

مرويات، مستندات، وادييات
عن الحزب السوري القومي الاجتماعي

المنارة الجعبة



المجلد الرابع

من 16 تشرين الثاني 1937

الى 16 تشرين الثاني 1940

منارة الجعبة الجعبة

جيران جريد

مرويات، مستندات، وادبيات
عن الحزب السوري القومي الاجتماعي

324.256
M663m9
v.4

البيان جيران جريج

المجلد الرابع: العمل العائلي الميادي

قبرص - المؤتمر - أوروبا

السنة الحزبية السادسة

من 16 تشرين الثاني 1937
الى 16 تشرين الثاني 1938

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
الطبعة الأولى
1993

الى العائلات والعاملين في الحركة السورية القومية الاجتماعية
 الى الزهراء والاشبال، ايجيل الصاعد الى
 قسم المجد والسعادة
 الى الاجيال التي لم تولد بعد
 الى المناضلين الذين قضوا على طريق الحياة شهداء
 الى المناضلين على طريق الحياة حتى الرشق الاخير
 أهدي هذا الكتاب

مقدمة

بناء على طلب رسمي من حضرة عميد الاذاعة في الحزب السوري القومي الاجتماعي الرفيق يحيى جابر بدأت بتاريخ 30-10-1977 نشر سلسلة حلقات في جريدة «صباح الخير- البناء» العدد 116، تحت عنوان «من الجعبة»، تتضمن ما تستوعبه الذاكرة من حوادث وأحداث أو كما يسميها الزعيم «مرويات تكون مستنداً هاماً من مستندات تاريخ حركتنا القومية الاجتماعية».

جرت محاولة باكرة من هذا النوع سنة 1960 بتفويض رسمي من وكيل عميد الثقافة الرفيق طلال جرجس ولكني تهيبت الموقف. على كل حال حالت الثورة الانقلابية دون الانطلاق إلى تنفيذها ولكن بقيت الفكرة تراودني.

لذلك عندما عادت الأمور إلى مجاريها سنة 1969 اخترت العودة إلى تكرار المحاولة بدءاً بسيرة انطون سعادة وصولاً إلى بدء تأسيسه الحزب السوري القومي الاجتماعي فوافقتني حضرة رئيس الحزب الأمين الجزيل الاحترام الدكتور عبد الله سعادة على هذا النهج وانطلقت إلى العمل وبدأت بجمع المعلومات من مصادرها.

استغرق هذا العمل ثلاث سنوات وفي سنة 1972 صدر بأمر من عميد الثقافة كتيب موجه إلى الأشبال عن انطون سعادة «الطفل» ولكن

أوقف بقرار رسمي وتقرر أن تصدر سيرة انطون سعادة كاملة غير مجزأة أي منذ الولادة حتى التأسيس وهكذا توقف العمل الرسمي بهذا الشأن عند هذا القرار.

لكنني بقيت مستمراً على مسؤوليتي الشخصية وهكذا بعد خمس سنوات رأت «من الجعبة» النور وبعد عشر سنوات 1982 رأت سيرة انطون سعادة النور «منذ الولادة حتى التأسيس».

سنة 1982 وبناء على الحاح الكثيرين من المسؤولين الحزبيين والأمناء والرفقاء والأصدقاء، قررت أن أجعل سلسلة حلقات «من الجعبة» كتاباً ولكن حال الغزو اليهودي لجنوب الكيان اللبناني والحرب مع الفلسطينيين دون اخراج هذا المشروع الى حيز الوجود وها اني، الآن سنة 1985 أضعه في التداول معتزاً اني لبيت طلب الزعيم الذي ذكرته في كتابي «حقائق عن الاستقلال في قلعة راشيا» وفي سلسلة كتبي الأربعة «مع انطون سعادة» والذي أعيد ذكره هنا: «سألته عن رأيه في كلمة كنت قد قدمتها له بمناسبة الأول من آذار فقال: «كلمتك قوية، لماذا لا تكتب أكثر من ذلك. انك أكثر شخص في الحزب يعرف حوادث وأخباراً عنه. انك تعرف أكثر مني». وهنا ابتسم تلك الابتسامة الآسرة التي اشتهر بها «ليتك تكتب عنها. اننا في حاجة إلى هذا النوع من الكتابة». وها اني في هذا الكتاب البي وان بعد خمس وثلاثين عاماً كما اني البي طلب الكثيرين، أيضاً، الذين تمنوا عليّ أن أكتب عن الحزب السوري القومي الاجتماعي كما عرفته وحييته.

كما يهمني أن أنوه بالشهيد الأمين الجزيل الاحترام بشير عبيد رئيس المجلس الأعلى السابق الذي كان من متبعي هذه الحلقات وكان راضياً عن لون الأسلوب التسجيلي للحوادث الحزبية والتنوع في المواضيع والذي أبدى لي رأيين أخذت بهما فوراً لوجهتهما وهما:

1- أن أتوسع قليلاً في تسجيل الوضع السياسي في كيانات سورية الطبيعية الجغرافية لترافق المسيرة الحزبية إن محلياً أو خارجياً.

2- ان الحِصص مضمون البيانات أو المقالات الحزبية ان لم يكن بالامكان نشرها كاملة بدلاً من أن أشير إلى مكانها في الآثار الكاملة فقد يكون بين القراء من لا يستطيع اقتناء الكتب المذكورة فتضيع عليه الفائدة المرجوة.

ايضاح حول الذاكرة

اني أرغب في ايضاح فكرة ترافقي تتناول قوة وخصب ذاكرتي وهي في محلها وان فكرة «الجعبة» كانت مبنية عليها وهي صحيحة أيضاً ولكن الذي أرغب توضيحه هو، مع ان ذاكرتي كانت المصدر الأساسي للمعلومات «المرويات»، اني ما اتكلت عليها فقط بل كل واقعة اتذكرها أو كل اسم يرد في ذاكرتي أو أي امر آخر اسحبه من مستودع الذاكرة كنت أتأكد واتثبت من صحة الواقعة أو الاسم أو الأمر، مكاناً وزماناً، أما بمراجعة صاحب العلاقة أو بمراجعة مكان ورودها في أية كتابة من الكتابات أو المقالات أو الصحف والمجلات ولذلك يمكن الاعتماد على هذا السجل بشكل نهائي واعتبار أي نصّ سواه غير دقيق أو غير صحيح فهو «أوفى مستند من مستندات تاريخ حركتنا القومية الاجتماعية» وما كان يدور في أثناء مسيرتها من أحداث سياسية كيانية أو عامة.

ايضاح حول الكتاب

كما اني أرغب في ايضاح ترتيب أقسام هذا الكتاب وتصنيفه. هذا الكتاب سيتضمن سجلاً وافياً للفترة الممتدة من سنة التأسيس 1932 إلى السنة 1985 هذا من حيث الأساس أما من حيث الإخراج فهذا الجزء الأول من الكتاب سيشمل الفترة ما بين التأسيس 1932 حتى سنة 1938 سنة الاغتراب الذي بدأ جولة ثم أصبح اغتراباً قسرياً بسبب الحرب.

وهذا الجزء الأول قسمان: القسم الأول من 16 تشرين الثاني 1932

حتى 16 تشرين الثاني 1935 وهو يحتوي على ثلاث سنوات من العمل السري وهو المجلد الأول والقسم الثاني من 16 تشرين الثاني 1935 حتى 16 تشرين الثاني 1938 وهو يحتوي أيضاً على ثلاث سنوات من الجهاد العلني، لكنها متنوعة، سجن ومحاكمة واضطهاد من اعتقال وتشريد وملاحقات وأخيراً الهدنة فالسفر. وهو ثلاث مجلدات: المجلد الثاني من 16 تشرين الثاني 1935 إلى 16 تشرين الثاني 1936 والمجلد الثالث من 16 تشرين الثاني 1936 إلى 16 تشرين الثاني 1937 والمجلد الرابع ثلاث سنوات من 16 تشرين الثاني 1937 إلى 16 تشرين الثاني 1940.

القسم الأول: العمل السري

السنة الحزبية الأولى 1932 - 1933، السنة التأسيسية. في الجامعة الأميركية لانتقاء العناصر الصالحة. اختيار تاريخ 16 تشرين الثاني تاريخ التأسيس: «وأعلنت أنا، منذ سنوات أنه يعدّ أيضاً يوم نشوء أو تأسيس الحزب نظراً لمغزاه الكبير ولعدم وجود يوم معين تأسيسي للحزب الذي نشأ بالاعتناق التتابعي للعقيدة من قبل الأفراد وليس باجتماع معين في يوم معين ولأن 16 تشرين الثاني لا يبعد كثيراً عن تولّد الحركة في أول السنة المدرسية في الجامعة الأميركية سنة 1932». إذن، عنوان السنة الأولى: «الاعتناق التتابعي» أي الانطلاق.

السنة الحزبية الثانية 1933 - 1934، سنة الامتداد، لأن الاعتناق التتابعي لم يعد محصوراً في نطاق الجامعة الأميركية بل بدأ يمتدّ إلى مختلف المناطق والمعاهد. وفي هذه السنة الثانية تبرز مسألة حصل حولها - بعد الانكشاف - لفظ كثير وهي هل نظام الحزب اقتباس أو تقليد أو ابتكار؟ فيأتي الجواب في هذه السنة أنه ابتكار.

السنة الحزبية الثالثة 1934 - 1935، سنة الانتشار، لأن الاعتناق التتابعي بدأ يتحول إلى روح الجماعة التي يضبطها دستور مقرر، فيعقد الاجتماعات

في شتى المناطق: جزين، الكورة، طرابلس، رياق إلى أن توج هذه الاجتماعات
باجتماع أول حزيران العام 1935.

كان اجتماع أول حزيران نقطة تحول في مسيرة الحزب السوري القومي
الاجتماعي إذ بعد القاء الزعيم خطابه المنهاجي الأول شعر الأعضاء أنهم
لم يعودوا أفراداً ينتمون إلى حزب بل انهم أصبحوا حزباً بكل معنى الكلمة
«فيحيون معاً أو يسقطون معاً وأنهم قد تعاقدوا على تحقيق أمر خطير يساوي
وجودهم».

ارشادات

وإني ألفت نظر الذين يحبون أن يقوموا بدراسة حول الحزب وكيفية تأسيسه إلى
النقاط التالية:

- 1- الاعتراف التابعي الذي سرد كيفية إجرائه جعله جافاً وإن مفيداً على تنوعه.
- 2- مراحل وضع الدستور.
- 3- الاجتماعات والسير إلى كشف الحزب أو التسبب بانكشافه بتكوين روح
الجماعة.
- 4- الخطاب المنهاجي الأول.

إضافة إلى النقاط التي أوردتها هناك أمران حريان بدراسة عميقة.
الأول يختص بشخصية انطون سعادة الفذة الذي اجترح أعجوبة خلق النهضة
السورية القومية الاجتماعية مع اصدار مجلة «المجلة» (وان بضعة اعداد)
والقاء بعض المحاضرات في الجامعة وغيرها وهو لا يملك من حطام الدنيا
شروى نقيير بل بالكاد يحصل على قوته اليومي من الدروس التي كان يعطيها بطريقة
خاصة في الجامعة الأميركية.

أما الثاني فيختص بوضع البلاد الذي يكاد يبدو أنها كانت بانتظار من يوحد جهود أبنائها ويصهرها كلها في بوتقة واحدة فجاء انطون سعادة يقوم بهذا العمل فكان الحزب السوري القومي الاجتماعي وذلك واضح في دراسة السنة الحزبية الثانية: في بعقلين، في صيدا، في بصيره - طرطوس، في بيروت (رسالة الزعيم إلى رفيق الحلبي) في دمشق وبكلام آخر كانت البلاد تتململ وتتمخض عن مولود جديد.

القسم الثاني

والآن نتقل من المرحلة السرية إلى المرحلة العلنية أو بكلمة أخرى مرحلة الجهاد التي تبدأ بالسنة الحزبية الرابعة 1935 - 1936 بالمعركة السياسية التاريخية الأولى التي أهلتها لأن يتبوأ مركز الزعامة عن كفاءة وجدارة واستحقاق. تأليف كتاب «نشوء الأمم» في أثناء مدة محكوميته (سته أشهر). السجن الثاني وتغلبه على الاضطهاد والتهديد وسوء المعاملة مما كلفه الكثير من صحته. السجن الثالث وخروجه منه بانتصار سياسي سجل هدنة وبعض المكاسب مثل اصدار جريدة، عمل حزبي حر وان بدون رخصة، الخ... هذا من جهة الزعيم أما من جهة الحزب فنمو وانتشار في كل الكيانات السورية واستشهاد البنا والقائد محمد سعيد العاصي في معارك فلسطين.

السنة الحزبية الخامسة 1936 - 1937، اعلان تصريح 14 تشرين الأول 1937 قاعدة للعمل الحزبي السياسي في الكيان اللبناني ما يزال ساري المفعول حتى تاريخه. ما عدا العمل الحزبي العلني.

السنة الحزبية السادسة 1937 - 1938 الانتكاسة السياسية. بداية زيارة للمغربتات مروراً في سورية الجنوبية (عمان فحيفا) فالاستجمام في قبرص ثم المرور بأوروبا حتى وصوله إلى سان باولو - البرازيل. رحلة إلى المغربتات تحولت إلى اغتراب قسري.

ارشادات

وكما نصحت في ارشادات القسم الأول أعود فانصح في هذا القسم الثاني مطالعة

الأجزاء الثاني، الثالث والرابع من الآثار الكاملة فتكتمل الصورة إذ تقترن مع نصّ البيان والمقال مع أسبابها وزمن حدوثها. وكذلك لكي تكون الدراسة كاملة وشاملة انصح بمطالعة الجزء الأول من الآثار الكاملة أي فترة ما قبل التأسيس وكذلك كتاب «انظون سعادة، منذ الولادة حتى التأسيس» لأن فيها مؤشرات واضحة عن الرسالة التي صمم على الاضطلاع فيها.

اعمل احسبني الميادي



الزعيم في اجازة

قبل منح نفسه اجازة، ادلى الزعيم بتصريح يرد على تصريح للدكتور شهبندر نشرته جريدة النهضة في عددها 28 تاريخ 14 تشرين الثاني 1937، تحت عنوان « بين الامة الكبيرة والصغيرة » وهو منشور في الأثار الكاملة الجزء الثالث. اما بصدد الاجازة فقد جاء في جريدة النهضة العدد 29 تاريخ 16 تشرين الثاني 1937، ننشر نصه مستهلاً للسنة الحزبية السادسة.

« يصعد زعيم الحزب السوري القومي الى الجبل ليصرف وقتاً في ترويح النفس من الجهاد القومي والسياسي المضني الذي قام به طوال خمس سنين بدون انقطاع.

ويلاحظ ان هذه هي الفرصة الاولى التي يأخذها الزعيم لنفسه بعد جهاد خمس سنين. وفي هذه السنين الخمس اسس الزعيم، الحزب السوري القومي وقام على بث الدعوة له بنفسه وتولى ادارته ووضع له القواعد والمؤسسات وشرع له الانظمة والقوانين وشرح مبادئه.

وقاد الزعيم الحزب في ظروف صعبة فسار فيه بصورة سرية مدة نحو ثلاث سنوات عمل فيها ليلاً نهاراً على افهام الاعضاء فكرة الحزب ومرامها وعلى تدريبهم في الادارة وتعوديهم الاضطلاع بالاعباء والمسؤوليات وممارسة الصلاحيات.

ثم لما كشف امر الحزب سجن الزعيم ستة اشهر ذهب منها نحو شهرين في التحقيق والباقي صرفه الزعيم في تأليف كتابه نشوء الامم.

وخرج الزعيم من السجن تَوَّأ الى العمل فاستأنفه والحزب قد ازداد وتراكت

القضايا والامور التي تركت لحين خروجه ولكنه لم يكذب يقبض على ناصية الادارة حتى اقتيد مرة اخرى الى السجن ففضى فيه اربعة اشهر ونيف قيد التحقيق .

وعاد فخرج من السجن فوجد اكثر الامور الحزبية معلقة على خروجه فباشر العمل توا وقام يسهر عليه بلا انقطاع ولا توان حتى سجن للمرة الثالثة على اثر حادث بكفيا التاريخي . ففضى في السجن شهرين ونيف قيد التحقيق .

ولما خرج للمرة الثالثة وجد الحزب قد تصدع الشيء الكثير في ادارته ووجد بعض العوامل الشخصية تذر قرنبا فعمل على استئصال ما لا يصلح ومعالجة ما يرجى له شفاء وتولى ادارة الحزب بجده المعروف فاعاد الى الادارة روح النظام ولكن التطورات السياسية عاجلته وكان موقف الحزب دقيقا شديد الخطورة في المشادة القائمة بين جبهتي الحكومة والمعارضة وقضاياه في المحاكم لاتزال معلقة والبت فيها يتوقف على موقف الحزب فقام على معالجة المسائل السياسية ، وتمكن بمهارته وبعد نظرة من حفظ الحزب سليما والاحتفاظ بمعنوياته فلم يتزعزع عن مبادئه قيد شعرة . واوجد للحزب في الانتخابات موقفا لاتشوبه شائبة فلم يكن للحزب مرشحون وضع الحزب ثقته بهم ولكن اتخذ موقفا سياسيا هو من اكبر انتصارات الحزب .

والزعيم يصعد الآن الى الجبل ليتنقل بين هضابه واوديته ترويجا للنفس نزولا على الحاح معاونيه واصدقائه واشارة طبيبه . والنهضة تتمنى له نزهة لطيفة يعود بعدها نشيطا مرتاحا ليستأنف العمل للقضية القومية التي اوجدها .»

مرسوم حل الاحزاب

في 17 تشرين الثاني 1937 عقد مجلس الوزراء اللبناني جلسة برئاسة رئيس الجمهورية اميل اده عرض فيها مسألة الجمعيات والهيئات ذات الاهداف والاتجاهات الشبيهة بالعسكرية وبعد نقاش طويل جرى بين معارض وموافق اقتنع جميع اركان الوزارة بفكرة الحل خدمة للقضية « القومية » وصدر بعد انفضاض الاجتماع الوزاري مرسوم وزعته دائرة الدعاية والنشر في وزارة الداخلية وهذا نصه:

ان رئيس الجمهورية اللبنانية

بناء على الدستور اللبناني الصادر في 23 ايار 1926 والمعدل بالقانونين الدستوريين الصادرين في 17 تشرين الاول 1927 و 8 ايار 1929 .

وبناء على اقتراح وزير الداخلية،

وبعد استماع رأي مجلس الوزراء .

يرسم ما يأتي

المادة الاولى - يمنع في جميع أراضي الجمهورية اللبنانية وجود أي جمعية ذات اتجاهات أو اهداف شبه عسكرية .

المادة الثانية - تحل اعتبارا من تاريخ هذا اليوم الجمعيات المعروفة بالقمصان البيضاء والكتائب اللبنانية والنجادة وكل جمعية شبيهة بها .

المادة الثالثة - كل شخص سواء كان او لم يكن عضوا في جمعية منحلة، يثير أو

يجاول أن يثير عقد اجتماعات أو تظاهرات لأية جمعية منحلة يعتبر مخللا بالامن العام ويكون عرضة للعقوبات المنصوص عليها في القوانين المرعية الاجراء .

المادة الرابعة - ينشر هذا المرسوم او يبلغ حيث تدعو الحاجة الى ذلك .

بيروت في 17 ت 2 سنة 1937 .

الامضاء: اميل اده

صدر عن رئيس الجمهورية

رئيس مجلس الوزراء

وزير الداخلية

مدير غرفة الرئاسة

: الامضاء:

: الامضاء:

: الامضاء:

خير الدين الاحدب

حبيب ابو شهلا

جورج حيمري

بيان الاسباب الموجبة

اتخذت الحكومة تدابير تحتمها النصوص القانونية والحالة العامة في البلاد . فقد قررت منع وجود كل هيئة او جمعية ذات اهداف او اتجاهات شبه عسكرية . وبالتالي قررت حل الهيئات المعروفة « بالقمصان البيضاء » و « النجادة » و « الكتائب اللبنانية » .

ان الحكومة لواثقة من ان الرأي العام يقدر الاسباب التي ادت الى هذا التدبير حق قدرها . فمعظم الجمعيات الموجودة في لبنان تألفت وعاشت خلافا لاحكام القانون . ليس هذا وحسب بل ان الحكومة ترى وجودها - على شكلها الحاضر واهدافها الحقيقية وجهادها واعمالها المعروفة - لا يتفق مع ما تقتضيه مصلحة البلاد من سعي لتألف جميع العناصر والعمل في سبيل وحدة البلاد .

فالقوانين المعمول بها هي القانون العثماني الصادر في 29 رجب 1327 وقرار المفوض السامي رقم 146 - ل . ر . الصادر في 4 تموز 1934 . وقد اشترطت هذه القوانين الشروط التالية لوجود كل جمعية :

أولا : ان تكون غاية الجمعية رياضية بحتة .

ثانياً: ان لا يكون لها هدف سياسي وان لا تشترك في تظاهرات او اجتماعات لها صفة او اتجاه سياسي.

وهذه شروط صريحة لا تقبل شكاً ولا جدلاً. وقد كان محتوماً ان تحترم هذه النصوص القانونية التي وضعها الشارع عن حكمة كبرى ولكن معظم الهيئات التي نشأت في لبنان لم يوافق وجودها ونظامها واعمالها على احكام القانون، بل رأينا البعض منها ينزع نزعة طائفية بحتة، والبعض يعمل في الحقل السياسي وبصورة لا تتفق مع المبادئ التي يجب ان يدين بها كل لبناني، والبعض الآخر يتخذ له اهدافاً مستورة ترمي الى التفرقة بين شتى العناصر التي تؤلف الامة او الى الافتئات على وحدة الامة وكيانها او الى الدعاية لمصالح خاصة او الى الفوضى والشغب.

ورأينا القسم الاكبر منها يتخذ الرياضة هدفاً علنياً ويعتبرها اداة لتدريب اعضائها تدريباً عسكرياً، يرتدون الالبسة الخاصة ويتظاهرون حيناً بعد حين دون مسوغ ناتج عن غاية الجمعية المشروعة. هذه هي الحالة التي رأت الحكومة فيها مساساً بمصلحة البلاد وبالنظام والامن العام.

ان العهد الجديد الذي دخل فيه لبنان بعد المعاهدة الافرنسية - اللبنانية يضع على عاتق الحكومة والشعب اللبناني واجب الاهتمام بوحدة الامة والقضاء على شتى العناصر التي ترمي الى التفرقة والفوضى مهما كان شكلها وايا كان مصدرها.

فالحكومة تقدر حق التقدير الروح الوثابة الناهضة التي يشعر بها عدد كبير من الشباب اللبناني. ان حل الجمعيات التي كانوا ينتمون اليها ليس من شأنه ان يقضي على هذه الروح بل بالعكس. ان في ميدان الحياة متسعاً لاعمال وطنية كبيرة يمكن للنشء الناهض ان يعتني بها في سبيل وحدة الامة وعمران لبنان.

بيروت، في 18 تشرين الثاني 1937

وزير الداخلية

الامضاء: حبيب ابو شهلا

وقد علق الزعيم وهو في منتجعه في زهور الشوير على هذا المرسوم بما معناه: « اذا كانت الحكومة ترمي من وراء هذا التدبير الى ازالة العنعنات الطائفية والمباحكات

العنصرية التي تفرق وحدة الامة في هذه البلاد والحؤول دون التجند الديني الذي اثار في العام الماضي بعض الحوادث الدامية الاليمة، اذا كان هذا هو قصد الحكومة - والبيان الحكومي يؤكد لنا ذلك، فنعم القصد».

في 21 تشرين الثاني اقلت الشرطة برئاسة الموسيو لوسيانو ومعه السيد عبد الله اللبان مفوض المركز، نادي النجادة في البسطة، يرافقهما السيد داوود أبو شقره مفوض شرطة البسطة وكذلك قصد السيد يوسف عواد مفوض مخفر الجميزة الى بيت الكتائب فقام بالعمل نفسه ثم توجه المفوض المذكور الى باب ادريس للقيام بالعمل المماثل في دار الوحدة اللبنانية واقلت النوادي الثلاثة. وانزلت الاعلام وختمت بالشمع الأحمر. ولكن بقي حزب الوحدة اللبنانية يمارس نشاطه على اعتبار ان مرسوم الحل يتناول فرع القمصان البيضاء التابعة له مما اضطر الحكومة الى اصدار مرسوم جديد يقضي بالغاء العلم والخبر المعطى لمؤسسي الحزب فتوجه المفوض فؤاد ياغي الى منزل توفيق عواد رئيس الوحدة وابلغه النص النهائي.

على اثر صدور الحل قامت احتجاجات كثيرة وتنادى عدد من النواب لدراسة الموقف مما اخرج موقف رئيس مجلس النواب، بتروتراد، لكنه توفيق الى اقناع هذا البعض بالتمهل والتريث.

منعت الحكومة الصحف من نشر اي خبر يتعلق بهذا الموضوع تحت طائلة العقوبات ولما كانت جريدة «الاوريان» خالفت هذا المنع فقد صدر مرسوم بتعطيلها الى اجل غير مسمى ثم سمح للصحف بنشر البلاغات الرسمية.

قتل في أثناء هذه التظاهرة التي نظمتها الكتائب اللبنانية جندي سنغالي واعتقل عدد من الكتائبيين والاهالي على رأسهم بيار الجميل، استلم التحقيق الاستاذ حسن قبلان، يعاونه مفوض شرطة البرج ايليا بصل.

اما بصدد مقتل الجندي السنغالي فاني انقل عن جريدة النهضة ما قالته بهذا الصدد : «وصل الينا من مصدر موثوق جدا في دار القضاء ان اعضاء اللجنة التي الفها المستنطق لاجل فحص الرصاصة، اعدوا تقريرا يقول ان الرصاصة اصابت في البدء شيئا صلبا اما ان يكون الحائط او الارض ثم رجعت فنفذت الى ساق الجندي من الجهة السفلى وصعدت الى جنبه فاستقرت فيه وقد قطعت الشريان مما سبب نزيفا دمويا شديدا ادى الى وفاته حالا».

وقد تبين من التحقيق ان عددا كبيرا من الموقوفين كان قادما لاستماع القداس في كنيسة مار جرجس او كان قادما لحضور السينما فاخلى سبيلهم، لانسى ان التظاهرة جرت يوم الاحد في وقت اقامة القداس وموعد حفلة السينما، من جهة اخرى نقل بيار الجميل من سجن الرمل الى مستشفى اوتيل ديو وذلك بناء على اوامر صدرت من الدوائر العليا في دار الانتداب. احيلت هذه الدعوى الى محكمة بداية الجزاء الناظرة في قضايا « قانون قمع الجرائم ».

تصريح الزعيم ونداؤه

في الخامس والعشرين من تشرين الثاني هبط الزعيم الى بيروت وادلى بتصريح الى جريدة « النهضة » وارسل بواسطتها نداء الى القوميين الاجتماعيين تقتطف منه بعض المقاطع لتعميم الفائدة. أما النص الحرفي فمنشور في الآثار الكاملة الجزء الثالث.

كان اول عمل قام به الزعيم ان كلف معاونه الاول نعمه ثابت وناموسه الخاص بالاستفسار عن صحة السيد بيار الجميل وتقديم عبارات اسفه لحوادث الاحد ونتائجها الى اهل السجين الجريح واركان الكتائب.

من التصريح: « ولجميع هذه الاسباب لا يمكن مطلقا ان يكون استفساري عن صحة رئيس الكتائب اللبنانية واسفي للحوادث التي جرت يوم الاحد الماضي من باب استحسان هذه الاحزاب واعمالها... واذا كان السيد بيار الجميل قد طلب سحق رأسي فانا اريد سلامة رأسه، لأن المبدأ الذي اتمشى عليه هو مبدأ القومية، وهو المبدأ الذي يدعوننا الى محبة ابناء قومنا وجلب الاصلاح القومي اليهم ».

وعاد مندوب النهضة فسأله: « ما رأيكم بإقدامه في حوادث الاحد الماضي؟ » فأجاب الزعيم: « ان بيار الجميل جندي باسل ولا شك ولكنه قائد ضيق ».

ومن النداء: « وقد رأيت الحكومة اخيرا ان تحل هذه الاحزاب الطائفية والمذهبية فاصدرت قرارها بذلك. فأدى صدور هذا القرار الى استياء الاحزاب التي يشملها وتقريرهم القيام بمظاهرة. وقد حدثت المظاهرة يوم الاحد الماضي الواقع في الحادي والعشرين من الجاري... وفي هذه الظروف الحرجة ادعوكم الى الرصانة والتعقل فلا

تكونوا من الشامتين ببناء قومكم. سيقول لكم بعض محبي الفتنة والشغب: انهم شتموا بكم في محنتكم وقد جاء دوركم لتثمتوا انتم. لاتصدقوا هذا القول، بل آسوا المنكوبين، ولا تدخلوا في سعاية او وشاية فليست هذه من صفات القوميين. اذا غلط ابن امتك فلا تجعل من غلطه سببا لعداوة داخلية بل اعمل على اصلاحه. كونوا قوميين دائما».

اضراب بيروت والمطران مبارك

واتفق التجار على اعلان الاضراب في مدينة بيروت احتجاجا على سوء الاحوال الاقتصادية فحاولت الكتائب اللبنانية استغلاله لمصلحتها مما ادى الى ازدياد الاحتياطات الامنية التي اتخذتها الدولة وزاد الاهتمام بما يجري، من قبل قيادة جيش الشرق والمفوضية العليا. ولم يترك المطران مبارك الملقب بمطران اليهود، الساحة تفوته، فراح يدلي بالتصريحات العنترية والخطابات النارية، ويصب على النار زيتا.

عادت المدينة عن اضرابها. عقدت الحكومة عدة لقاءات وبخاصة لقاء رئيس الوزارة خير الدين الاحدب مع المفوض السامي ثم عادت الحكومة الى مزاوله اعمالها كالعادة وسحبت قواتها من الساحات العامة اما التحقيق القضائي فقد تواصل.

خلاصة التحقيقات ادت الى ان الاشخاص الذين خضعوا للتحقيق وقد جرحوا انهم كانوا يَمرون في المنطقة وهم ذاهبون الى اعمالهم الشخصية فواحد كان متجها الى مكتب المحامي لعرض دعوى وآخر كان مارا امام البرلمان فاصيب برصاصة وآخر جاء ليحضر السينما ولما كانت مقفلة اراد العودة الى بيته في وادي ابو جميل فمنعه رجال الشرطة والدرك.

اخلي سبيل عدد كبير من الموقوفين ثم اخلي سبيل بيار الجميل لقاء كفالة قدرها 200 ليرة لبنانية.

عقد مجلس النواب جلسته المرتقبة لبحث مرسوم حل المنظمات فنالت الحكومة الثقة بعد بحث ومناقشة ومداولة طويلة صاحبة من قبل البعض ختمها رئيس الحكومة خير الدين الاحدب بكلمة اعرب فيها عن تأييد الرأي العام للتدابير المتخذة وان الشباب المثقف سيفيد الحكومة بطرق مشروعة اخرى.

مرسوم الحل والزعيم

اما ذيول مرسوم الحل فقد عاجلها الزعيم بواسطة جريدة النهضة بمقالات عديدة توجيهية تحت باب « رأي النهضة » فرد على المطران مبارك وقارن بين موقف الداعين الى حرية القول والفكر الآن وبين موقفهم عندما كان يتعرض هو والحزب لاضطهاد السلطات المحلية او الاجنبية وتوج هذه المقالات بسلسلة من الانتقادات اللاذعة تحت عنوان « قضية الاحزاب البيغائية في المجلس بلغ عددها 11 » ثم قدم عرضا سريعا للاحزاب السياسية المنحلة في الجمهورية اللبنانية نشر على ثلاث دفعات. هذه المقالات كلها منشورة نقلا عن جريدة النهضة في الجزء الثالث من الأثار الكاملة.

وما ان انتهت ذيول مرسوم الحل بنوال الحكومة الثقة حتى قام المحامون باضراب اخذت الحكومة بمعالجته بجو هادىء كما انها راحت تعالج مسألة الصحف المعطلة. انتهى اضراب المحامين بعد 22 يوما.

كان البطريرك الماروني قد القى خطابا شاملا مانعا يعالج فيه مواضيع الساعة بعد ان كان له موقف سلمي من عملية احتكار التبغ اخذ ضجة قوية ان في لبنان او في الشام. لكنه في هذه المرة تطرق الى مواضيع وشؤون لا يجوز المرور بها مرور الكرام عدا عن عدم جواز تدخل رجال الدين بامور الدولة الزمنية فانبرى له الزعيم برد مستفيض نشر متسلسلاً في جريدة النهضة من العدد 52 تاريخ 1937/12/18 وهو منشور بكامله في الجزء الثالث من الأثار الكاملة.

وهذه المناسبة وفي مكتب جريدة « النهضة » وهو يشرح النقاط الرئيسية التي توجب الرد قال الزعيم: « يجب علينا ان نكسب حياد بكركي بالنسبة للحزب ومبادئه فيوم نكسب بكركي الى جانبنا او نكسب حيادها تنتهي خرافة عداوة الحزب للكيان اللبناني فتكون اكبر عقبة امام الحزب في لبنان قد زالت ».

وجوابا على سؤال: « هل تعتقد بامكان الوصول يوما الى كسب بكركي الى جانبنا او الى كسب حيادها؟ » قال: « كل شيء ممكن، ولم لا؟ ».



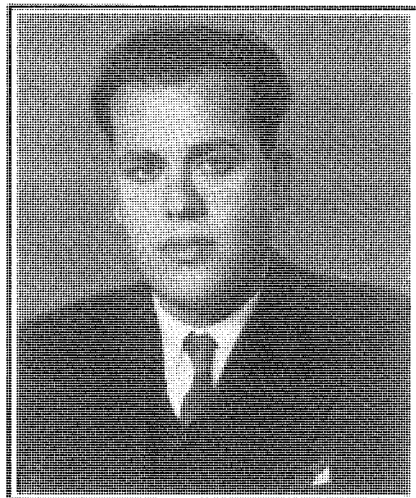
أحمد دمشقية



جميل عازار



جورج عبد المسيح



جبران جريج

جميل عازار يكرم الزعيم

جميلة كانت تلك المأدبة التي اقامها الرفيق جميل عازار على شرف الزعيم بمناسبة رأس السنة. دعا اليها اسرة جريدة النهضة التي كان أحد اعضائها وبعض الرفيقات والرفقاء. تلك المأدبة التي حوت من الذوق اسلمه ومن الوان الطعام تشكيلة محترمة ومن الشراب انواعا شتى.

كان من حضورها الاستاذ جبرائيل غرزوزي الذي بعد ان شرب نخب الزعيم ارتجل الابيات التالية:

يا زعيم الشباب والأخلاق وحييا لكل حرّ راقى
يا مثال الاخلاص تسمو وفاء رغم سجن ورغم شدّ وثاق
كل هذا لم يثن عزمك فاسلم انت انت الزعيم باستحقاق

وتلاه الرفيق احمد دمشقية وكان امتياز جريدة النهضة باسمه فقال:

تفجرت الاجيال عند فجر نهضة اضاءت بسوريا فطاب نسيمها
وهب بنوها من رقاد مطول لاحياء اجماد تسامى قديمها
ستدرك سوريا الاماني كبيرة ويخلد في لوح الوجود زعيمها
ثم تلوت هذه الأبيات من الشعر:

يا زعيمي! يا قبة في جين الدهر، يا بسمه الربيع الهادي

يا رسول الشباب، في طلعة الفجر، على قيثار الطبيعة شادي
يا طموح الصبا الى المثل العليا، على أنوار الهدى والرشاد.
انت حرية من الشفق الاحمر يزهو على شواطى المبادي.
امل انت في خفايا الحنايا، من صدور الاجيال والاماد.
يوم آمنت فيك، آمنت ايضا، بالهى، بامتي، ببلادي.

وأخيرا القى الرفيق جورج عبد المسيح كلمة ناسبت المقام. كان الجو عابقا
بالانس والمرح وقد اضفى عليه جميل من خفة دمه وروحه السمحة جوا من البهجة
وعدم الكلفة غمر الجميع. والذي اثار عجي ان الزعيم شرب نخب الرفيق عازار
وشقيقاته وهو يمشيخه وذلك على غير عاداته.

لم يدم عجي كثيرا فقد علمت ان «الشيخة» لم يرثها جميل عائليا بل كانت
«مشيخة» شباب وذلك لما امتاز به من محبة اقرانه له وكرمه الذي لا يضاهى. كان
الرفيق جميل عازار «شيخ شباب» عن حق وحقيق وقد اعترف الزعيم له
«باللقب».

وقد علمت في الوقت نفسه ان شقيقاته الثلاث، لم يجلفن قسم العضوية مع ان
الزعيم كان يخاطبهن «بالرفيقة كوكب او الرفيقة جميلة او الرفيقة تقلا» وذلك
تكريما لاخلاصهن وولائهن. وقد بلغت ثقة الزعيم بهن ان ائتمنهن على مرسوم
تعين عادل عسيران نائبا له يعاونه الرفيقان المحاميان لطفي وأبو ظهر من صيدا
وذلك عند انكشاف أمر الحزب. كن مطلعات على وجود الحزب وهو ما يزال
سرّيا. كن أهلا للثقة وداومن عليها معتزات بها رغم الشدائد والاضطهادات ورغم
استشهاد شقيقهن ورغم الاعتقالات.

هنيئا للنهضة السورية القومية الاجتماعية بأمثال الرفيق «الشيخ» جميل عازار
وشقيقاته «الرفيقات».

النسب والحزبي المركزي



مصطفى المقدم



خالد أديب عبد الواحد



نجلاء معتوق حداد



جمال ناصيف

معلومات عامة

بمناسبة سفر وكيل عميد الداخلية الامين خالد اديب الى بلاد شاطيء الذهب (غانا اليوم) عين الزعيم محمد الباشا وكيلا لعميد الداخلية محله. منح الزعيم الرفيق مصطفى المقدم رتبة الامانة وكذلك الرفيقة جمال ناصيف والرفيقة نجلاء معتوق حداد والرفيق الدكتور محمد امين تلحوق.

اصدر الزعيم مرسوما باقالة عميد الرياضة الرفيق جورج حداد من مسؤوليته لقيامه ببعض التصرفات المخلة بالانضباط النظامي مع انه كان يبدي غيرة حبيته الى الزعيم واعوانه ففسح له الزعيم المجال ليعطي نتيجة اختباراه وليبرهن عن تفانيه في الحركة، ثم فصل عن الحزب.

قرر الزعيم في احدى جلسات مجلس العمدة عند درس انتشار الحزب في الوطن السوري والحاجة المتزايدة لاعتمادات مالية اضافية لتغطية نفقات متابعة ومرافقة هذا الانتشار، قرر الزعيم ضرورة قيامه بجولة عبر الحدود يتفقد فروع الحزب فيها ويدرس معها مسألة التعهد بتأمين مبلغ سنوي يقدر بالفين وخمسمئة ليرة لبنانية لرفع هذه المسؤولية المالية عن عاتق مركز الحزب، هذه المسؤولية التي ينوء بحملها بالنسبة للاوضاع الاقتصادية الضعيفة عند الاعضاء من جهة وبالنسبة للوضع الاقتصادي في البلاد عموما.

ثم يقول الزعيم في خطاب أول آذار 1938 بصدد هذه الفترة السلمية مايلي: « في هذه الفترة السلمية الاخيرة تمكن الحزب السوري القومي الاجتماعي من لمّ شعثه واستعادة الشيء الكثير من معنوياته... وبعد زوال هذه المشاكل الملحة تمكّنت من

العودة الى الاهتمام بأهم عمل اساسي بعد تأسيس القضية القومية، الا وهو ايجاد المؤسسات الصالحة لحمل مبادئ الحياة الجديدة وحفظ مطالبها العليا وخططها الاساسية فاعدت المؤسسات التي انشأتها قبل انكشاف امر الحزب وزدت عليها مؤسسات لجان المديرية الاستشارية وبمجالس التنفيذات والمكتب السياسي وشعبه السياسية. (مرسوم انشاء المكتب السياسي بهذا التاريخ وشعبه السياسية مفقود) وفسحت بهذا العمل المجال امام الكفاءات السورية القومية للقيام بالاعمال المؤهلة لها بصورة نظامية وهناك طائفة من المؤسسات الصغرى الاذاعية والثقافية هي الان في دور التأسيس ومتى استكملت تأسيسها كانت جهازاً دقيقاً عظيم الفاعلية.

ان انشاء المؤسسات ووضع التشريع هو اعظم اعماله بعد تأسيس القضية القومية لأن المؤسسات هي التي تحفظ وحدة الاتجاه ووحدة العمل وهي الضامن الوحيد لاستمرار السياسة والاستفادة من الاختبارات بواسطة مؤسساتنا الحزبية المنظمة تمكناً من القضاء على الفوضى وترقية خططنا واساليبنا. ولولا مؤسساتنا القوية ونظامها المتين لكانت العوامل الشخصية الانانية التي برزت في بعض الظروف تمكنت من تسخير جهاد الوفاء السوريين والسوريات لمطامعها».

المدرّب العام

صدر مرسوم من الزعيم يقضي بتعيين الرفيق منير الملاذي مدرّباً عاماً للحزب فبدأ جولاته السرية في مناطق الكيان اللبناني بناء على برنامج دقيق مدروس اذ يجب ان لا ننسى مخاطر الامن العام والمكتب الثاني العسكري. وقد باشر بممارسة مسؤولياته في دمشق، طرطوس، صافيتا، الشويفات، بعقلين، عين عنوب وبشامون.

ثقة او لا ثقة

كان انيس فاخوري من الذين وقع عليهم اختيار الزعيم لمنحه رتبة الامانة وكان في هذه الاثناء عميداً للداخلية. كان اول من نظم السجلات الادارية المكتبية في المديرية او في المنفذيات او المركز فاستحق على عمله هذا كل تقدير.

انما من وجهة اخرى كان انيس فريسة لظنون وريب تتأكله من حين الى آخر في موضوع المال. كانت تساوره الشكوك بان الزعيم يتلاعب في الأموال او انه يحتفظ بها

او يتصرف بها لشؤون خصوصية. خلاصة القول انه كان يشك بالزعيم ماليا .

قرر، تهديئة لوضعه النفسي هذا ، ان يفتح الزعيم بهذا الامر فبعث اليه برسالة بهذا المعنى ، استدعاه الزعيم على اثرها ولم يستغرق البحث وقتا طويلا بل كان من نوع « المختصر المفيد » تقبل الزعيم هذه الحالة بكل موضوعية . ما غضب ولا ثار ولا حاول ايجاد المبررات للاقناع او انه اتخذ موقف الدفاع عن النفس بل اعتبر المسألة مسألة عارضة ممكنة الحدوث .

احال الوضع الى المجلس الاعلى للنظر في هذه الرسالة فانعقد المجلس وبنتيجة المداولة صدر قرار بان يوقف عن ممارسة اية مسؤولية مع اعطائه فرصة لاعادة النظر بثقته بالزعيم الذي لم يُخف في النهاية حزنه والمه لهذا الوضع الذي عبر عنه بهذه العبارة : من هزة القدر ان اتهم .

اوقف انيس عن منحه رتبة الامانة وعن قيامه باعمال عمدة الداخلية ، اذ لا استمرارية في العمل الحزبي وخصوصا في اعلى المستويات ، ووحوش الشك تنهش في النفوس . بقي هذا الكف عن الممارسات شأننا مركزيا لم يعمم على الاعضاء مع فصله لمدة ستة أشهر .

لم تطل مدة هذا التدبير فقد عاد الى نفس انيس صفاؤها وتبين له في هذه الفترة التي قضها في التأمل والاستجمام ان عدم الثقة كان عارضا مؤقتا وعاد الى مركزه في المسيرة اقوى من السابق وامضى .

وبهذا الصدد يقول الامين قبرصي :

كان سعادة يتسلم بعض اموال الحزب فيدفع بها الى الخزانة العامة . من اول التنظيمات التي قام بها ، اشترع النظام المالي ، بالاشتراك مع عميد المالية جورج حكيم . لقد استبقى لنفسه ، هو المشتري ، حق صرف مبلغ ٥٠ ليرة فقط في كل دورة مالية (اي كل ستة اشهر) دون المرور بمجلس العمدة ، ليعطي الدليل الدستوري على حرصه ودقته في المحافظة على الاموال العامة ، بالرغم من فقره وتخصيص ليله ونهاره للعمل الحزبي .

هل كان لاحد منا عندما يتسلم مبلغا من الخزانة بامر صرف دستوري ان ينفقه على هواه ؟ كلا . فقد كان سعادة يطلب ان يقدم الصارف بيانا مفصلا بما انفق . ولم

يكن هناك ملاينة او مسايرة في هذا الشأن. اكره ما كان يكره سعادته التسويات في الامور المبدئية.

بعد كل هذا الحرص تراءى للامين انيس فاخوري سنة 1937 ، ان يتهم سعادته بانه قبض مالا وما سد المال للخزانة.

ساعة تسلم سعادة رسالة الاتهام من الامين فاخوري ، بادر ليلا الى جمع مجلس العمدة وكان مأمون اياس يومئذ عميدا وبيته على محطة غراهام وهو مريض.

فعمد مجلس العمدة جلسة استثنائية برئاسة سعادة، حول فراش مأمون. واستمع المجلس بكل روية إلى اتهام العميد الامين أنيس فاخوري للزعيم. واجاب سعادته على التهمة، بعنف، واخرج من جيبه النقود، وبعد مطالعة وافية شاملة، سئل العميد فاخوري عن مصدر شكوكه. فما كان منه الا ان اذعن واعتذر. ولكن تاريخ الحزب سجل الاعتذار ومحكمة العميد انيس لتسرعه بالاتهام بناء على السماع. فحوكم أمام المجلس الأعلى - كمجلس استشاري - وجرّد من رتبة الأمانة وحقوق العضوية مدة ستة أشهر. فكان الحكم مثلاً يضرب في العدل والحكمة والمبدئية، وكان الرفيق فاخوري مثلاً يضرب في المحكوم عليه العاقل، المنصف بحق نفسه وحق القضية. لقد نفذ الحكم راضي الضمير راضي النفس، إذ اعتبره تكفيرا عن خطيئته واصلاحاً لنفسه من الرواسب. لذلك أعيدت إليه رتبة الأمانة في اليوم الأخير من مدة العقوبة. فلم يحدد عليه المعلم ولا هو حقد. كان ذلك الحكم بالنسبة للنهضة تدشيناً لمفهوم جديد للعدالة في الحزب القومي الاجتماعي.

في كانون الاول 1937

في 11 كانون الاول 1937 ، يجيب الزعيم على رسالة وردته من مدير مديرية ميتشغن المستقلة الرفيق صلاح الدين الايوبي (وهو شقيق الرفقاء اسعد الايوبي ورفيق الايوبي وبلقيس الايوبي وقد مر ذكرهم في مجلدات سابقة). وذلك توضيحاً لسؤالين يتقدم بهما المدير المذكور. الأول عن المسألة الفلسطينية والثاني عن جواز انتهاء العضو الى مؤسسة اخرى. (النص الكامل للجواب منشور في الجزء الثالث من الآثار الكاملة).

وفي 14 كانون الاول 1937 يصادف مرور عام على اثاره مسألة لواء الاسكندرون الذي قرر تسميته «يوم الحدود الشمالية» وافي انقل ما كتب بهذا الصدد في جريدة «النهضة» العدد 52 في 14 كانون الاول 1937 : «في مثل هذا اليوم من العام الماضي

قدم الحزب السوري القومي الاجتماعي مذكرته بصدد الاسكندرون الى العصبة الاممية والامم المتعدنة ليشبت فيها سورية الاسكندرون، القطعة العزيزة على سورية. وتشاء السياسة ان تكون ذكرى 14 ديسمبر من هذا العام ذكرى اليمه على بعض ابناء الامه جميعا. فما مر عام على المذكرة حتى كان العلم السوري يطوى على اللواء وحتى كانت الانباء الخارجية تحمل الى البلاد عزم الدولة التركية على مهاجمة اللواء مهاجمة عسكرية.

ويأى العبيد من الناس الا ان يثوروا لكرامة الأمة المجروحة فيقومون بدعاوات واسعة للاستعمار التركي في بلادهم في حين يرون ان علم بلادهم يطوى كما تطوى اشرة المركب والريح عاصفة والملاح حائر.

ان النهضة القومية التي جاءت تؤمن مصالح الامه وتحافظ على كرامتها وتفك قيود عبيدها، لن تفك حتى تعيد الحق الى نصابه، وتجعل وجه الامه في وجه الشمس.

ان القوميين الاجتماعيين في جميع الاقطار يذكرون هذا اليوم، وفي نفوسهم عزيمة الشباب وامل الشباب وعقيدة الشباب».

وفي 28 كانون الاول 1937 وجه الزعيم نداء الى السوريين عبر الحدود يعالج فيه مختلف الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ويحمل على مؤسسات التقاليد القديمة من دينية وعشائرية واقطاعية ويقارن بين مبدأ الحياة ومبدأ الموت. ويأتي على ذكر التضحيات العظيمة وقيمتها في رقي الامم وفلاحها ثم يدعو المغتربين ان يخرجوا من تفكيرهم بعزيمة معقودة على اختيار الحياة القومية ونبذ الموت القومي مصيراً. النص لهذا النداء منشور في الجزء الثالث من الآثار الكاملة.

وفي ختام الكلام عن شهر كانون الاول 1937 اود ان اورد هذه الواقعة الطريفة التي جرت في جريدة « النهضة » تتناول الوضع المالي وذلك في آخر اسبوع من العام. كان الوضع المالي مزدوج الوجه اذ لم يكن المال موجوداً لا في صندوق الجريدة ولا في الخزانة العامة للحزب. كانت الازمة المالية تتناول الاجرة الاسبوعية لعمال صف الجريدة. قمت بالمساعي المعتادة التي اصبحت نوعاً من التقليد ولكن دون جدوى فاتصلت بعميد الاذاعية المشرف على الجريدة والمسؤول عنها اعلمه بالموقف ولكن لاحيلة في اليد.

افترقت عن العميد ووصلت في سيري الى قرب المدخل الرئيسي للجامعة

الاميركانية. كنت أسير على غير هدى فلا يبعدي عن الواقع المرير سوى عدد من الساعات باتت تتقلص حيناً بعد حين.

هنا جاءت صدفة تحل المشكل وان بطريقة غير مباشرة. التقيت بالزعيم فبادرني بقوله «مالك متجهم الوجه؟» فشرحت له الوضع بجزافيره. كان جوابه «على كل حال، لا تستقبل العام الجديد بهذا العبوس. ابتسم، مهما تكن الحال ابتسم. استقبل العام الجديد بالابتسام». قال هذا وانصرف.

وصلت الى مكتب الجريدة قبل ختام العمل بما يقرب النصف ساعة وهنا راودتني فكرة هبطت علي كالوحي. مددت يدي الى جيبي اتفقد مالدي من مال. فوجدت ما يقرب الاربعين ليرة سورية. عدد الشغيلة سبعة. اذا اعطيت كل واحد منهم عيدية خمس ليرات يبقىّ معي صباية من المال اتدبر فيها امري.

اذن، جاء في الحل المرتجى، اقدم لهم النهائي بجلول رأس السنة مع هدية مالية توازي خمس ليرات لكل منهم وأرجوهم ان يؤجلوا اجرتهم الاسبوعية الى مطلع الاسبوع القادم كما كانت تجري العادة احيانا والعذر هو تأخير بعض الحوالات المالية من عبر الحدود. قررت تنفيذ هذا المخطط وارتحت.

كانت نقابة عمال المطابع تحت سيطرة الشيوعيين وكانوا يجاولون بشتى الاساليب منع عمال المطابع من الشغل في جريدة «النهضة» وبالجهد الجهد حتى توقفنا بعدد من العمال الكافي لها، قسم منهم اعضاء في الحزب وهم قلة والقسم الثاني من الحيايين وهو الاكبر ولهذه الاسباب كنت أحسب الف حساب لأي تأجيل في الدفع ليس فقط على صعيد الجريدة البحث بل على صعيد النقابة اذ ان أي تدخل منها سيؤدي حتما الى المقاطعة وهنالك الطامة الكبرى.

قعدت وراء مكتبي استقبل الشغيلة للدفع وانا مبتسم. كلي ابتسام وحين اكتمل شملهم وقفت، وصافحت كلاً منهم اعايده واضع في يده الخمس ليرات، طفع البشر على وجوههم فاستبشرت. عند الانتهاء من هذه العملية عدت الى مكاني وقلت لهم بكل هدوء وبساطة وفي كلامي نبرة المحبة والالطف «كل عام وانتم بخير» الاسبوعية لمطلع الاسبوع القادم. صار تأخير بوصول المال. كل عام وانتم بخير».

كان من عادتهم ان يجادلوا قليلا عندما يطرأ تأخير من هذا النوع اما هذه المرة.

فقد صافحوني وقدموا لي بدورهم التهامي بالعام الجديد مع كلمة « بسيطة » وانصرفوا فتنفست الصعداء واستقبلت العام الجديد بالابتسام كما اوحى الزعيم لي. « كل عام وانتم بخير » حل المشكلة وبالطبع لانسى « الابتسام ».

حلقة الاربعاء وطبع الدستور

الف الزعيم حلقة سرية، سماها « حلقة الاربعاء ». سماها كذلك لان اعضاءها كانوا يعقدون الاجتماعات كل نهار الاربعاء من كل اسبوع. كانت تضم عددا من الاعضاء من ذوي الثقافة العالية وأصحاب تجارة او صناعة. كان هؤلاء الاعضاء لا يستطيعون الالتزام بالاجتماعات النظامية العادية في المديریات وكانوا من جهة اخرى لقللة الممارسة لا يدركون تمام الادراك حاجات الحزب المالية لتسيير الشؤون الكثيرة المتشعبة فكانوا يتدمرون كلما لجأت الادارة المالية في الحزب للاستعانة بهم بشكل استثنائي خاص.

ضمت هذه الحلقة عددا كبيرا منهم. من الذين ما زال اذكر اسماءهم: الدكتور جورج صليبي، المحامي محسن سليم، المهندس رجا خولي، المهندس بهيج المقدسي، الاستاذ ناجي عيتاني، الصناعي انيس قساطلي. الخ... كانت من اولى فوائد هذه الحلقة انهم صاروا على تماس بمسيرة الحزب النضالية فارتفعت درجة روحيتهم الصراعية وتأجج حماسهم الكفاحي وبالتالي اصبح استعدادهم للمساهمة والتضحية اكبر واقوى.

وفي ذات يوم دعاني الزعيم لحضور احدى هذه الندوات. كان البحث يدور حول ضرورة طباعة خطابات الزعيم باعداد كبيرة وتوزيعها، مما لم يتيسر حتى الان لضعف ميزانية الحزب. سئلت رأيي بهذا الموضوع فوافقت ولكن خشيت ان لا يتمكن الاعضاء من جمع المال اللازم منهم لمشروع ضخم من هذا النوع واقترحت عليهم بالمقابل، بادىء ذي بدء ان نجتمع مبلغا يكون من ضمن امكاناتهم ويكفي في الوقت نفسه لتمويل مشروع طباعي ضروري ومفيد واعطيتهم مثلا طبع دستور الحزب. الذي كان تم تصنيفه في 27 كانون الثاني 1937.

لقي اقتراحي قبولا لديهم واثني الزعيم على اقتراحي وعلى قبولهم وطلب مني ان اقدم في الجلسة القادمة تقريرا عن هذا المشروع واحتياجاته المالية. قدمت دراستي

عنه في الجلسة نفسها مما أثار ارتياح الزعيم ودهشة الاعضاء واعجابهم، وفي تلك الجلسة بالذات تم جمع المبلغ وبعد اسبوع كان « دستور الحزب السوري القومي » يرى النور مطبوعاً طبعة انيقة، مطروحا للتداول بعد ان كان مكتوباً بخط اليد او على الآلة الكاتبة ومطروحاً بين الايدي مجزءاً ابواباً ابواباً. اذكر ان المبلغ الذي لزمي لانجاز هذا المشروع كان خمس عشرة ليرة لبنانية لاغير. كانت، هذه، اولى ثمرات حلقة الاربعة.

ويقول الزعيم بهذا الشأن في الرسالة الخامسة الى غسان التويني، تاريخ 9 تموز 1946 مايلى: « واضطرت لبذل جهود كبيرة لاقتناعهم مع غيرهم من غير الراغبين في العمل العلني واحراق مراكب الانقاذ، وتمكنت من ان اعقد لهم عدة اجتماعات واعين لهم اعمالاً تخصهم على تحقيق الغاية الكبرى وتحيي العقيدة والقضية في نفوسهم ».

امثقف ومتعصب؟

اخذ الرفيق منير الحسيني والرفيق ناجي العيتاني موعداً له من الزعيم. انه شاب مثقف تخرج حديثاً من ارقى الجامعات في فرنسا. انها يرشحانه للدخول في الحزب. اسمه الدكتور عمر فروخ.

التقى الجميع. في ندوة ثقافية، ان صح التعبير. ندوة بحث ومناقشة على مستوى رفيع، يصح ان يكون مثلاً يحتذى به.

كانوا ينتقلون من مرحلة الى اخرى، ومن موضوع الى آخر، من باب الى باب، بروح علمية مجردة موضوعية وبايجابية استحوذت على اعجابهم كافة.

واخيراً كان لابد من الاختتام. مسك الختام المنتظر اعلانه قبول الدعوة الى الرسالة القومية الاجتماعية ثم الانتساب بناء على كل هذه الموافقات.

ولكن... خاب فألهم وخيب رجاءهم فقد اعلن عند الانتهاء « ان المبادئ صالحة وصحيحة - لا اصلح ولا اصح - لكنه لا يستطيع ان يتقبل زعامة من غير دينه ».

انصرف الدكتور. خيم الوجوم على المعرفين. كان التعليق الوحيد من الزعيم وقد قالها بمرارة واضحة « امثقف ومتعصب؟ ».

الانتصار للأديبة «ممي»

ما رأيت الزعيم مرة كما رأيته في ذلك الصباح. كان الالم مرتسماً على محياه خطوطاً بارزة للعيان. احترمت ذلك المشهد فلم أنبس بعد التحية ببنت شفة. انتظرتة، هو، حتى يتكلم.

« كيف يمكن ان تجري امور من هذا النوع؟ » طرح هذا السؤال وكأنه يطرحه على نفسه ثم وجه حديثه الي وقال: « قصة الادبية ميّ. هل سمعت بها؟ هل تعرفها؟ » ولما كان جوايي سلبيا تابع قوله « انها متهمة بالجنون وهي ليست مجنونة » وهنا سرد على مسمعي الحكاية، كما وصلته برمتها. من استدراجها بواسطة نسيبها من مصر الى احتجازها في المستشفى وانه قرر ان يتدخل.

بالفعل تدخل وتدخل بكل الوسائل التي لديه. صرت اتتبع ملاحقة الموضوع وكنت معجبا بالاندفاع الذي كان يبديه. مراجعات سياسية حتى مع رئيس الغرفة السياسية في المفوضية الفرنسية وملاحظات قضائية بواسطة الحقوقي الأمين عبد الله قبرصي وحراسة على سلامتها من قبل اعضاء اذكر منهم الرفيق بطرس كيروز من حرسه الخاص.

لم يكن الوحيد الذي تدخل لمعالجة هذه المحنة وأوصى بها انما كان الاكثر فعالية وقد عاها في المستشفى اكثر من مرة وتابع المراحل كلها لهذه الفضيحة ان شخصيا او صحفيا على صفحات جريدة النهضة. ان المسألة بنظره كانت مسألة رفع ظلم وحيث نرلا بمخلوق ضعيف. معزول من كل سلاح عن طريق مؤامرة هي بمثابة جريمة اجتماعية بشعة.



الأديبة ميّ

تقبلت الادبية ميّ، هذا التدخّل، باديء ذي بدء ببعض الريبة والشك وبعض الجفاف ولكن ما ان تأكدت من نبل النوايا وشريف المسعى حتى محضته ثقتها كاملة غير منقوصة وصارت تنو الى الحرس بعين المحبة والحنان.

واخيرا انتهت مشكلة الأدبية «ميّ» على ما يشتهي المحبون، وارسل لها الزعيم وفدا من الادباء القوميين الاجتماعيين للتهنئة، يحمل معه باقة من الزهور اذكر منهم الأمين عبد الله قبرصي والرفيق فؤاد سليمان. وراح الزعيم يشجعها على الظهور والبروز في المحافل الأدبية فكانت محاضرتها في الجامعة الأميركية.

كان الزعيم يبرر هذا التدخل الواجب بنظره لان المحافظة على سلامة اعضاء في المجتمع وخصوصا من وزن الادبية ميّ هي في صميم عملنا القومي والانساني.

يعود اعجاب سعادته بميّ الى سنة 1922 عندما كتب سلسلة تعليقات على مقالاتها الادبية «نظرات في المساواة» نشرها في جريدة «الجريدة» التي كان يعاون والده على اصدارها في سانبلو، البرازيل.

كلما ذكرت الادبية ميّ وتاريخ حياتها سيذكر سعادته الاديب والانسان والزعيم. (كل ما يتعلق بهذا الموضوع منشور في الآثار الكاملة الجزء الرابع).

واني اورد مقالا للزعيم نشره عنها في «الزوبعة» في الارجتنتين العدد 34 تاريخ 14 كانون الأول 1941. (راجع ما كتب بهذا الشأن في باب أدبيات).

ليس من عادتي ان اعير الحوادث والامور التي لا علاقة وثيقة لها بالقضية القومية التي وقفت نفسي عليها، او بالنظريات والقضايا الفلسفية الحية اهتماما كبيرا، مهما كانت هذه الحوادث او الامور خطيرة من وجه آخر. ولكن لم يكذب يقع نظري على خبر وفاة الكاتبة السورية الذائعة الصيت، ماري زيادة المعروفة في عالم الادب بلقب «ميّ»، حتى شعرت ان خواطري وتأملاقي تتجمع وتقف كلها عندها.

الخبر بسيط وارد بطريق نيويورك ومحصله ان ميّ توفيت حوالي 19 تشرين الاول الماضي في احد مستشفيات القاهرة وانها كانت في الاشهر الاخيرة عائشة في عزلة وانها انقطعت عن الاكل لثلاثة أيام قبل وفاتها. ولكن هذا الخبر البسيط اثار في ما

اثاره اول خبر بلغني في بيروت في اواسط شهر كانون الثاني 1938 ان الكاتبة السورية الكبيرة مسجونة في مستشفى ريبز بتهمة الجنون وهي سليمة النفس.

لم تنجب سورية في القرون الاخيرة من النساء اديبة كبيرة كهاري زيادة واقول بكل تأكيد اني لم اجد فيمن قرأت ولا فيمن حادثت من ادباء سورية ومصر سوى نفر قليل جدا من الادباء الرجال الذين يضاهاونها ثقافة وشعورا وفناً.

كانت مي بركة من بركات العناية لامة صريعة ولذلك كانت بركة ضائعة. كانت كرمة نابته في ارض شوك كثير، فالتف عليها الشوك وخنقها خنقا. وما كانت ايام ميّ الاخيرة غير اختناق بطيء!

عاشت ميّ القسم الاكبر من حياة نضجها في مصر. واكتسبت الجنسية المصرية، وحاولت ان تشعر كمصرية وان تمزج حياتها بحياة مصر، فذهبت حياتها في هذه المحاولة التوفيقية التي لا يمكن الان الجزم بمبلغ نجاحها. واذا تركنا هذه الناحية جانبا واخذنا ناحية علاقة ميّ بوطنها الاصلي وجدنا انها كانت من أشام العلاقات.

ان وطن ميّ الاصلي، الذي يجري فيه اليوم صراع موت وحياة، بين يقظة الوجدان القومي الاجتماعي وعمارة مثالب الانحطاط، كان الغول الذي انشب مخالفه في نفسها وجسدها وكان يطبق اشداقه عليها في مصحح العصفورية او في مستشفى ريبز للعلل الجراحية. وفيما خلا شعوري بالسعادة لوقفي كل ما انا مدين به لامتي وبلادتي على قضية امتي وبلادتي، فقليلة جداً هي الامور التي تجلب الى نفسي شعورا بالسعادة كالشعور الذي تولاني حين نجحت الحملة التي قمت بها لانقاذ ميّ من ذمّها بين مخالف الغول.

لم يكن قد مضى وقت طويل على اجتياز الحزب السوري القومي الاجتماعي محنة من اعظم محنه في الصراع السياسي. وخصم السياسة لا تهدأ اواجه يوما حتى تتعالى وتتلاطم اياما، والمشاكل السياسية والادارية اخذت بعضها برقاب بعض ولا فرصة لتنفس الصعداء.

وسط هذه الحالة الشديدة الاضطراب بلغني في اية حالة توجد الادبية السورية الكبيرة ماري زيادة.

كان ذلك في اواسط كانون الثاني 1938 بين 15 و 18 من الشهر المذكور، والارجح في السابع عشر منه. وكان احد الشبان المثقفين السيد انيس ناصيف الذي عرفه وعائلته في الشوير مسقط رأسي، يسعى ليتصل بي ويسأل وقتا ليطلعني على امر هام. وكنت في ذلك الوقت كثير التنقل لشدة ما يطلبه الموقف من السهر ومركز الحزب يغص بالناس. فلم استصوب ان اضرب للسيد ناصيف موعدا في ادارة الحزب. ولما كنت مدعوا الى الغداء مع الامين فخري معلوف وعائلته في رأس بيروت وكان منزل السيد ناصيف على بعد عدة امتار من منزل الامين معلوف قلت للسيد المذكور ان ينتظرنني في منزله بعد الغداء فاجتمع به هناك. ولما فرغت من واجب الاكل دعوت الامين فخري معلوف لمرافقتي الى منزل السيد ناصيف وتوجهت رأسا اليه. فلما استقر بنا المقام روى لي السيد انيس ناصيف رواية لو لم تكن متعلقة بأديبة مشهورة كالاتسة ماري زيادة ومتصلة بأمكنة معروفة كالعصفورية ومستشفى ربيز لوجدتها اقرب الى المصنفات الخيالية منها الى الحقيقة الفعلية.

كانت خلاصة مارواه لي السيد انيس ناصيف بحضور بعض افراد عائلته والامين فخري معلوف ان احدى المرضعات في مستشفى ربيز واسمها استير داود، وهي من معارف عائلة السيد ناصيف اسرت اليه انها منذ مدة غير يسيرة تقوم، في المستشفى المذكور على العناية بمي الأديبة المشهورة المودعة ذلك المستشفى بحجة الجنون وانها في كل مدة عنايتها بها لم تجد هذه السيدة الكبيرة في حالة من حالات الجنون. فهي محجوز عليها في حجرة وحالتها شر حالة من طول الحبس عليها. فاهتم السيد ناصيف للامر وبطريقة ما عرف بزيارة الاديب المتوفى حديثا، أمين الريحاني، للكتابة مي واهتمامه بأمرها. واتصل امين الريحاني بنسيبها، الدكتور زيادة، وخابره في صدد اخراج مي من المستشفى واستئجار منزل لها تسكنه وتستعيد حريتها فتظاهر الدكتور زيادة بعدم الممانعة فسمى السيد ناصيف وغيره لاستئجار منزل واخبروا الدكتور زيادة انهم وجدوا واحدا موافقا ولم يبق غير معاملة الاستئجار ودفع المال. فقدم الدكتور زيادة سندا بمبلغ معين كلف امين الريحاني نقله الى الانسة ماري لتوقيعه. فرفضت وقالت ان نسيبها لم يكن امينا لها وانها تريد ان تحاسبه على ما تصرف به من ماله الخاص فرجع الريحاني بالسند وطلب الى

الدكتور زيادة ان يقوم هو بتسوية مسألة استئجار البيت لنسيته لتخرج من المستشفى. فجاببه انه لا يقدر ان يتحمل هذه المسؤولية لأن مي مريضة ومصابة بالجنون وانه بحسب شهادة الاطباء لا يقدر على اخراجها واطلاق سبيل حريتها وان هذا الامر يعارض به قنصل دولة مصر، اذ الادبية مصرية الهوية. فذهب الريجاني توا وخابر قنصل مصر فاطهر هذا عدم اعتراضه فعاد وذهب مع الدكتور زيادة اليه لتأكيد الامر فدخل الدكتور زيادة اولاً على القنصل وحده وبعد فترة دعي الريجاني واخبره القنصل انه يعارض في استعادة مي حريتها وانه يطلب ابقاءها محجوزاً عليها في المستشفى، لانها لا تقدر على تدبير شؤونها بنفسها.

هذه هي خلاصة وجه المسألة الفعلي والى هذا الحد كانت بلغت المسائل. ثم انتقل المحدث الى ناحية اخرى فادلى الي بان المحادثات مع مي كشفت عن حوادث سرية غاية في الاهمية فبعد وفاة اي مي في مصر اخذ يتردد عليها بعض اقاربها الرقيقى الحال ويطلبون معونتها المالية حتى انهم طعموا فيها وازعجوها جدا وهي وحيدة وفي حاجة الى التعزية والراحة والظاهر ان ماورثته مي وما كان معها ولها من مقتنيات اطمعت فيها انسابها في الوطن ومن جملتهم الدكتور زيادة (وقد نسبت اسمه الاول). فهذا اتفق سرا مع احد الرهبان الجزويت او الموارنة وارسله الى مصر ليتقرب من الادبية ويهتم بامرها ويقنعها بالاعتماد على نسيها الطبيب. فنجحت الخطة وبعد قليل من الوقت ارسلت مي، لشدة تضايقها تستدعي نسيها الطبيب اليها لينقذها من حالتها فاسرع هذا لوقته الى مصر وهناك طلب من نسيته، ليريحها، من عناء الشؤون اليومية ان تعطيه وكالة بما لها المودع في مصرف واملاكها ومقتنياتا وهو يقوم بما يجب ويعود بها الى سورية، الى لبنان الجميل، المحيي الذي يؤكد لها انتعاشها فيه واستعادة نشاطها. فقبلت وكانت تثق بنسيها ولا ترتاب بمقاصده فاعطته وكالة. وللحال دبر الامور وهياً سفرها. وفي هذه الاثناء وهب مكتبتها او جزءاً منها الى الآباء الجزويت واستولى على حليها المودعة في المصرف وجاء بها الى بيروت فأسكنها في منزله مدة وصار كل يوم يجدها عن سوء صحتها وانتهاك قواها وحاجتها الى المقويات واقنعها انها تحتاج لبعض الحقن تحت الجلد وصار يعطيها الحقن المذكورة مع انها ما كانت تشعر بالانحطاط الذي يصوره لها نسيها ثم عمد الى خطة اخرى فصار يستدعي اطباء من اصدقائه لرؤيتها

ويتحدث معهم عن حالتها ووجوب الاهتمام بها. وفي الاخير استقدم مدير مصحح العصفورية الذي كان حديثا في المصحح وكان يرى ان المصحح يصلح ايضا لكل من اعصابه مضناة واتفق معه على نقلها الى العصفورية مع المجنونات. وشيئا فشيئا صار الرأي العام او الذين اتصل بهم الخبر يقتنعون ان مي مجنونة حتى ان بعض الادباء والاديبات صاروا يذهبون في الفرص الى العصفورية ليشاهدوا مي ويتأملوا جنونها!

بعد نحو تسعة اشهر في العصفورية - نعم تسعة اشهر تقريبا - نقلها نسيبها الى مستشفى ربيز للعلل الجراحية! وهناك بقيت نحو ستة اشهر حيث هي موجودة! هذه خلاصة الرواية التي رواها السيد انيس ناصف اعيدها باختصار كثير وكما لا تزال عالقة بالذهن.

فما كاد يكملها حتى شعرت بثورة غضب شديد جدا تسيطر على كل فكر وكل شعور في. فصحت « ان هذه مسألة لا يمكن اخذها بهذه البرودة فهل بلغ القحط في الشهامة والمروءة الى هذا الحد؟ ».

فسألني السيد ناصيف اذا كنت ارغب في زيارة مي. فقلت بكل تأكيد فقال انه سيزورها ويخبرها ويتفق معها على موعد للزيارة واكد لي مبلغ ياس مي من الناس حتى انها امتنعت عن مقابلة أي زائر ادبيا كان او من غير دائرة الادب ومن جملة الذين رفضت استقبالهم الاديب المعروف ميخائيل نعيمة وعلى هذا الاتفاق غادرت والامين معلوف منزل السيد ناصيف والغضب يغلي في نفسي غليانا لا حد له.

في مساء ذلك اليوم كنت مدعوا للعشاء عند صديقي وصديق الحركة السورية القومية الاجتماعية السيد الامير امين ارسلان، الرجل الكبير النبيل المناقب، الذي كان من رجال السياسة في العهد التركي واحد اعضاء مجلس ادارة جبل لبنان المشهور الذي قبضت عليهم فرنسة سنة 1920 وفتتهم الى كرسكة وباريس، فأطلعت على ما بلغني من خبر مي وقلت له اني سأزورها في اول موعد وأبديت اهتمامي الشديد لامرها وقضيتها الغريبة. فنصحني الامير امين بعدم التدخل في مسألتها خشية الخيبة واخبرني انه يعرف عن الدكتور زيادة وان هذا او خاله كان مرشحا لرئاسة «الجمهورية اللبنانية» وله علاقات قوية مع مقامات الاكليروس الماروني والجزويتي

ومع الفرنسيين. وارتأى السيد الامير امين ارسلان ان هذا الرجل لم يقدم على هذا العمل، اذا كان صحيحا الا وهو واثق من شبكة اتصالاته وان تدخلني في هذه المسألة يؤدي الى اصطدام سياسي عنيف يرجح انه يضر مصلحة الحزب السوري القومي الاجتماعي فأجبتني اني سأهتم بالمسألة فاذا اقتنعت، بعد زيارتي لمي، بوجود الظلم فلست مترددا في فعل كل ما أقدر عليه لانقاذ هذه الاديبة المواطنة فأوصاني الرجل النبيل النفس بالحذر والاحتياط.

في صباح اليوم التالي تلقيت جوابا من السيد ناصيف برغبة مي. فتركت مكثبي في ادارة الحزب وتوجهت مع السيد ناصيف الى مستشفى ريز. صعدنا الى الدور العلوي واجتازنا بعض الممرات ثم اشار السيد ناصيف الى باب وفتحه فدخلت فاذا غرفة ذات نافذة واحدة وفي وسطها سرير القيت عليه نظري فوجدت امرأة ملتحفة ممدودة وقد برز رأسها على وسادة والشيب قد اشتعل في شعرها وهي صامتة تنظر بعينين سوداوين نظرا غير قوي. وجهها الاسمر البشرة شاحب والكآبة قد القت عليه قناعها.

وقد ظهر لي ان السيدة تحاول السيطرة على شعور يميش في صدرها، فقد تلملت قليلا وأنت بمحركة كمن تصارع قوة خفية.

جرت تعارفنا في غاية البساطة بواسطة السيد انيس ناصيف الذي انتقل، بعد ان اعاد على مسمعي شيئا من حالة مي الى اعطاء الانسة ماري زيادة صورة عني. فذكر لها فيما ذكر اني اقود حزبا سياسيا ينضم اليه الوف الشبان بينهم نخبة من المثقفين ثقافة عالية من طلبة وخريجين ومعلمين واصحاب مهن حرة. فأبدت مي تدمرها من السياسة بكلام قد غاب الان بين طيات الحوادث التي تعاقبت على ذهني منذ ذاك التاريخ. فاستدركت ما أشار اليه السيد ناصيف وقلت لمي ان مهمتي الاولى وعملي الاساسي هما فوق السياسة فالذي اقوم به هو توليد نهضة الامة السورية وشق طريق الحياة لها ووضع القواعد الاجتماعية الاقتصادية لايجاد حياة افضل للمجتمع السوري. والسياسة في الحزب السوري القومي الاجتماعي ليست سوى عمل تكتيكي مسخر للاغراض القومية الاجتماعية. وهذا يختلف كل الاختلاف عن اعمال الاحزاب السياسية المعتادة كالتي قد تكون خبرت بعض اعمالها

ومظاهرها في احزاب مصر وسورية ورجالها، فشعرت، بعد ايضا حي ان الاستثناس اخذ يحل في نفس مي محل النفرة الاولى من السياسة ومواضيعها. فأجابت بكلام يدل على استعداد نفسي كبير لادراك النظرات العالية وجماعة التفكير العلمي والفلسفي. فهي اديبة ذات ثقافة صحيحة ومقدرة تفكير لم أجدها في احد من الادباء السابقين النهضة القومية الاجتماعية الذين عرفتهم، ولا استثنى امين الريحاني وميخائيل نعيمة اللذين سبق لي معرفتها. ولا اتردد في القول ان استعداد مي النفسي ودرجة ثقافتها كانا اقوى وارسخ من انتاجها الادبي المعروف، او على الاقل مما قرأت لها منه. ولكن كان ينقصها الحافز الموضوعي من عمل عظيم او حدث تاريخي خطير او فكرة فلسفية سامية. ولم يكن في أي من المواضيع التي طرقتها مي من قبل ما ابرز لنا كل مكونات نفس هذه الاديبة الكبيرة.

كنا لانزال في بداءة هذا الحديث الممتع حين طرق الباب وفتح واذا بالسيدة ام السيد انيس ناصيف والانسة اخته تدخلان الغرفة وقد جاءتا تدفهما الغيرة على مي وحب الاهتمام بها وقد باغتني هذه الزيارة لاني لم اتوقع ان تختلط زيارتي التي كان لها غرض خاص بزيارات كان يمكن ان تحدث بعد فترة او في وقت اخر. دخلت السيدتان بلهفة والام المتأثرة تقول «نهارك سعيد، يا حبيبتي، كيف حالك ليس لنا صبر عنك» وكان صوت السيدة متهدجا. فانقطع الحديث بيني وبين مي وانتاب الاديبة انفعال نفسي شديد فاجهشت بالبكاء. فشعرت ان زيارتي قد انتهت قبل ان اصل الى كل ما كنت ابغي الوقوف عليه، خصوصا ما يتعلق بتفاصيل وضعيتها. فنهضت وخطوت نحو الباب وانتظرت الى ان هدأ روع هذه الكاتبة السيئة الحظ ولما مسحت دموعها والتفتت الي قلت لها اني اذهب الآن ولكني اطلب منها ان تتشدد وتثق فلا بد من تغيير الحال سريعا فقالت «لم اعد اصدق ان ذلك ممكن» فاجبتها «ان ماقلته ليس عبارات تشجيع موقت. واني لا اريد ان اجعل الكلام يسبق الافعال». واكدت لها انها يمكنها ان تعتمد علي وودعتها وخرجت وعبرة يأس مي ترن في اذني. ولكن فكرة انقاذ مي كانت قد صارت عزيمة في.

عدت، في الطريق، الى الحديث مع السيد ناصيف فسألته «هل من جديد؟» فقال: ان امين الريحاني سيسعى في توجيه كتاب الى قنصل مصر ليرى ما يكون جوابه وانه استشار لذلك احد المحامين فكررت له ماقلته له سابقا وهو اني لا اجد

قنصلية مصر مرجعا لهذا الامر وقلت له صراحة اني اعتقد ان السعي هو اضاءة وقت يربحه الخصوم. وافهمته اني سأهتم بنفسى بوضع قضية ميّ حيث يجب وطلبت منه ان يؤكد لى انها ستنال حريتها.

وصلت الى مكنتى فى ادارة الحزب السورى القومى الاجتماعى فى شارع المعرض فى بيروت وقبل ان انظر فى اى امر آخر اخذت ورقا وكتبت مقالا ارسلته الى ادارة جريدة النهضة التى كان الحزب يصدرها فى بيروت وشرحت عليه ان يوضع فى الصفحة الاولى من أول عدد. فصدر المقال فى الصفحة الاولى فى العدد الصادر فى 19 يناير 1938 وقد جعلت عنوانه وفروعه هكذا: « قضية الادبية الكبيرة ميّ الى النيابة العامة والمفوضية العليا حادث طريف خطير ». فما كاد يوزع عدد الجريدة حتى صارت قضية ميّ على كل شفة ولسان فى بيروت وجبل لبنان ودمشق وحص وحمه وحلب والاسكندرون وحيفا ويافا والقدس والناصره وعمان وما بينها وكان وقع المقال فى النفوس شديداً. وقد رميت، فى تبويه وانشائه الى أربعة اغراض هي:

1 - اطلاع الرأى العام على خطورة قضية الادبية ميّ وما وراءها من ذيول خلفية.

2 - وضع ناحيتها الحقوقية على الوجه الصحيح اى يجعل القضية تحت نظر النيابة العامة المركزية « للجمهورية اللبنانية » ولايقاف قنصل مصر عن تدخله فى هذا الامر الذى تجرى حوادثه فى ارض سورية وليس فى ارض مصرية.

3 - لفت نظر المفوضية الفرنسية التى كانت تتحلل تمثيل سورية فى الحقوق الانترنسيونية، الى ما يعنىها من تدخل قنصل مصر فى حجز حرية الانسة ماري زيادة الساكنة فى سورية.

4 - جعل المفوضية الفرنسية والنيابة العامة فى القضاء اللبناني مسؤولتين عن الظلم الواقع على الانسة ماري زيادة.

وقد تحققت هذه الاغراض كلها وانهاالت الاسئلة من كل حدب وصوب على ادارة « النهضة » للسؤال عن صحة الخبر وعن سير المسألة فلم يهدأ التلفون طول ذلك النهار وطول اليوم التالى.

ولا يسأل القارئ عن شدة اهتمام اوساط الحزب السوري القومي الاجتماعي لقضية ميّ فعقد الطلبة اجتماعات اختيارية للتذاكر في مسألتها. وقوميون اجتماعيون آخرون عقدوا مثل هذه الاجتماعات وعائلات قومية كثيرة تنادت للسهر لتبادل الآراء في هذه القضية الخطيرة. ومن جميع هذه الاجتماعات القومية لم يكن اجتمع اشد روعة من اجتماع السوريات القوميات الاجتماعيات في منزل الرفيقة المأسوف عليها السيّدة حرية ارسلان قرينة السيد (الامير) امين ارسلان. فقد تذاكرت السيدات السوريات القوميات الاجتماعيات في أمر ميّ وأرسلن ان الذين اخذوا يلتفون حولها تعمدوا تصوير سير قضيتها على غير حقيقته ووضع موقفني والحزب السوري القومي الاجتماعي تحت الاشتباه.

ومن التقارير التي وردتني ما يؤكد ان اشخاصا تكلموا عند ميّ وادّعوا ان جريدة « النهضة » كانت معاكسة او غير مهتمة لقضيتها!

هو مرض الانحطاط المتفشي حتى في اعلى الطبقات العلمية والادبية اللاقومية. الحسد وحب الظهور والبهت. لم احفل بشيء من ذلك بل احتقرت هذه الدسائس الصغيرة، التي ظهرت في اشكال متعددة. حتى لقد نقل لي ان بعض الحساد قال انه يود ان لا تنقذ ميّ ابدا اذا كان لا ينقذها غير الحزب السوري القومي. لاغرابة في هذا القول فان هذا النوع من « الاعداء » يود ان لا تُنقذ سورية باسرها وان تظل مستعبدة على ان ينقذها الحزب السوري القومي الاجتماعي!

وقد حاول « العربيون » في الجامعة الاميركانية استغلال ميّ ضد النهضة السورية القومية الاجتماعية. فاقترحوا عليها عدة مواضيع « كرسالة الاديب العربي » او « الادب العربي » ولكن الادبية جعلت موضوع محاضرتها « رسالة الاديب الى الحياة العربية » وجاء تطور حديثها خلافا لما كان يتوقعه اولئك المهووسون. فميّ لم تكن ادبية خلط.

ثم اتفق ان حادثي الدكتور شارل مالك في امر القيام بزيارة لميّ فقبلت وزرتها برفقته ورفقة الامين فخري معلوف. فكان استقبالها لي عاديا ليس فيه شيء من دلائل الرابطة الوثيقة التي نشأت منذ زيارتي الاولى لها في المستشفى وما عقبها من صراع عنيف في سبيل انقاذها من مخالب الغول.

وارجح ان الحديث الذي سمعته منها عن كيفية ادخالها العصفورية والتجارب القاسية التي تعرضت لها هناك كان في هذه الزيارة.

في هذه الزيارة الاخيرة لمي وقفت على نوع الحياة الذي قدمه لها محيط الثقافة اللاقومية الاجتماعية المبلبلة. وقد ترك ذلك في نفسي اثرا واحدا: الاسف. فقد كثر حول هذه الاديبة المسالمة الذين يريدون ان يهتموا بها ويسلّوها ويجعلوا منزلها زاھيا.

وكل واحد منهم كان يرى الوصول الى هذه البغية على هواه. فكثرت السهرات ولعب الورق عندها والتحدث في امور كثيرة. وكل ذلك كان ضجيجا وصخبا مزيدا. وكنت ارى مي تحتاج الى الراحة والهدوء بعد الذي تحملته، والى شخص او اثنين عميقي الفهم، سامي الادراك يعرفان ان السكوت في بعض الساعات من ذهب. وان المطاوعة في الحالات النفسية التي تنتاب هذه المرأة الرقيقة الشعور افضل من ابتكار المسليات المتعبة.

كان اسفي شديدا لحالة هذه المواطنة الكبيرة. ولم اعد ارى مي بعد تلك الزيارة فقد كانت مسؤوليتي على رأس الحركة السورية القومية الاجتماعية تتطلب كل دقيقة من دقائق وقتي.

بعد نحو شهرين على الزيارة المذكورة كنت على الطريق الى دمشق فعان فحيفا فقبرض حيث صرفت اياما معدودة في راحة نسبية سافرت بعدها الى اوروبا فاميركا الجنوبية. فلم اعد اقف على شيء من اخبار مي الا انها سافرت الى القاهرة. وفي اواخر السنة الماضية اطلعت على قصاصة جريدة سورية فيها نص قسم كتاب ارسلته هي منذ نحو سنتين الى الانسة ليلي نفاع في منتويداو وفيه تقول: «وإنما ابطأت في الكتابة اليك لاني في المدة السالفة انشغلت عن كل مراسلة في امور ومشاكل من الصعوبة والاهمية بحيث لا تخاطر في بال وهل يخاطر على بال احد ان الحياة ممكنة بدون حرية شخصية؟ والحرية الشخصية هي التي هاجني فيها وجردني منها اولئك الاقارب الذين رموني بالجنون بعد وفاة ابي وامي ونشروا عني الاشاعات المتنوعة في الشرق والغرب طمعا في المال وفي المشاع الفاني».

وفي اوائل هذه السنة اطلعتني بعض القوميين الاجتماعيين عن قصاصة من صحيفة

اخرى فيها خبر منقول عن جريدة « صوت الاحرار » البيروتية الصادرة في 18 اكتوبر من السنة الماضية خلاصته ان ميّ كلفت احد المحامين في بيروت باتمام معاملة حصر ارث جدها في شحتول الذي ينتقل اليها منه القسم المختص بوالدها المتوفى وان المحامي اصطدم بصعوبة هي رفض مختار قرية شحتول التصديق على المعاملة القانونية التي لاتم الا به. والسبب هو ان المختار لم يكن غير الخوري يوسف زيادة ابن عم ميّ الذي كان قد وضع يده مع الورثة الاخرين على نصيب والد ميّ من املاك جدها!

من هذا الخبر الاخير علمت ان المعركة حول حرية ميّ لم تنته الا لتتشب معركة اخرى حول حقوق ميّ.

ان الغول المفترس بنيه الذي تحدث عنه الدكتور خليل سعادة في محاضراته ومقالاته قد افترس ميّ كما افترس الدكتور خليل سعادة نفسه.

ان ايام ميّ الاخيرة كانت من اتعس الايام التي ذاق مرارتها اشقى الادباء السوريين الصحيحين اذا لم تكن اتعسها كلها!

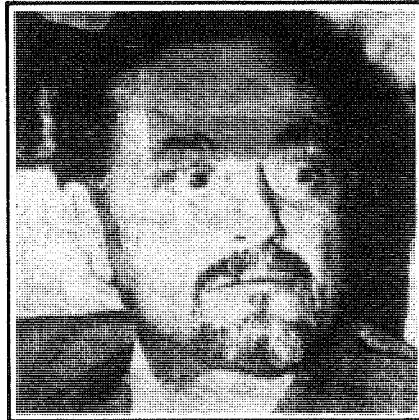
وقد لا يكون في العالم كله اديبة قوية الشعور وراسخة بالثقافة ذاقت من الاضطهاد والعذاب ما ذاقته ميّ في آخر أيامها من تنين الحياة السافلة الذي اعدت له الحركة السورية القومية الاجتماعية سيفاً مرهف الحدين يجد فيه آخر أيامه.



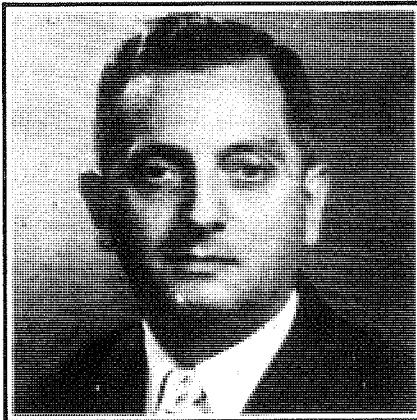
فؤاد سليمان



فريد مبارك



يوسف الخال



بشير فاحوري



عجاج المهتار

جريدة النهضة

قبل ان نستأنف حديثنا عن الوضع الحزبي المركزي يحسن بنا ان نتوقف قليلا عند جريدة « النهضة » ونستعرض بالايجاز الممكن سيرها الذي بدأ بتاريخ 14 تشرين الاول 1937 وانتهى في 17 ايار 1938 اي بصدور 163 عددا. تعطلت مرة لمدة ثمانية ايام بقرار رقم 62 تاريخ 12 شباط 1938 بسبب مقالات عن العربة السعودية كان يكتبها الرفيق جمال الغزي، اول مدرب عسكري في الحزب، كما مر بنا، وتعطلت مرة اخرى باضراب من قبل عمال الصنف بعد ان حاولوا اعلانه مرة سابقة ثم عادوا عنه. (نص القرار والتعليق عليه منشور في الجزء الرابع من الآثار الكاملة).

كانت الجريدة تطبع عند البداية الفبي نسخة وعندما تعطلت كان العدد قد وصل الى الفين وخمسة. كانت قيمة الاشتراك السنوي اربع ليرات سورية وكان ثمن العدد الواحد غرشا واحدا ثم رفع الى غرش ونصف الغرش اما قيمة الاشتراك السنوي عبر الحدود فقد كانت عشرة دولارات.

كان اكبر راتب لا يتجاوز في الادارة او التحرير العشرين ليرة سورية. كان التطوع رائدا في التحرير اذ لم يكن متفرغا فيه الا اثنان هما فريد مبارك ويوسف الخال اما احمد دمشقية وشقيقه المصحح فقد كانا يعملان في جرائد اخرى ومن ابرز المتطوعين في التحرير الرفيق فؤاد سلمان.

كان مكتب الجريدة كناية عن غرفتين تؤدي الواحدة الى الأخرى. كانت الأولى مخصصة لاستلام الجريدة ولفها وتوضيها وارسالها الى البريد. والثانية كانت

مخصصة للتحضير والادارة. للادارة مكتب واحد يتناوب على استعماله المدير الرفيق جبران جريج ومدون الحسابات الرفيق جميل عازار وللتحرير مكتبان يستعملهما ناموس التحرير الرفيق فريد مبارك والرفيق يوسف الخال اما المحررون الباقون فيتناوبون على استعمال المكتب الخالي.

لن انسى جلسة الزعيم الى المكتب في غرفة التحرير يكتب مقالاته كأنه ينسخها نسخا من فكره الى الورق ولا يهتم بما يجري حوله من تحرك او حتى في بعض الاحيان من فتح الباب او اغلاقه ويسلم المقال دون ان يطاله اي تصحيح او تشحيط. لن انسى ايضا رفقاء الادارة التنفيذيين في الغرفة الأولى، الرفيق عبد الرحمن عكاوي، عبد الحميد شوشاني، الرفيق شحادة رزق الله موزع الجريدة على المشتركين والرفيق عبد الرحمن بشناق الموزع الثاني المساعد وبخاصة مندوب الجريدة المتجول الامين عجاج المهتار الذي رافقها من يوم صدورها الى يوم تعطيلها وكم كانت فرحته تزيد أو تنقص بالنسبة لتوقيقه في التحصيل او في اضافة مشتركين جدد الى اللائحة التي يحملها ثم يروي تفاصيل جولته التي كان يقوم بها في المناطق وكلها مشيا على الأقدام. وكذلك لن انسى محمود طلعت مندوب النهضة في الشام النشط وزياراته الشهرية.

اعلان البسكلات

كان من اهم الاحداث التي جرت في الادارة حدث الحصول على بسكلات التي كان اقتناؤها من اهم تمنيات الرفيق شحادة رزق الله موزع الجريدة ولذلك قصة ومنافع وذيول اروياها فيما يلي: صار للجريدة في الاشهر القليلة السابقة بعض الاعلانات البسيطة. بعضها من اعضاء الحزب والبعض الآخر اعلانات سينا واعلانات من مؤسسات لا تتجاوز اصابع اليد الواحدة. انما الاعلان المهم الذي كان له شأن وأي شأن، كان اعلان البسكلات الوارد من مؤسسة تامر اخوان.

كان لفؤاد سليمان، المحرر في الجريدة، شقيق يعمل في هذه المؤسسة فاقترحت عليه ان يبحث معه امر اعلان منها عن البسكلات التي تبيعها (عادة اجرة اعلان من هذا النوع هو من النوع نفسه اي بسكلات) فوافق على القيام بالمحاولة. هذا مع تدمره الدائم من ان الادارة المثلة بي لا تقدم له ولو اجرة الترام ذهابا وايابا حين يأتي الى عمله في الجريدة. نجحت المحاولة فصار للمؤسسة اعلان في الجريدة

وصار للجريدة دراجة مقابل الاعلان. الى هنا تبدو المسألة بسيطة ولكن حاصل وجود الدراجة المرموقة كان تنظيم توزيع الجريدة على المشتركين ففرح بها الرفيق «شحادة» المسؤول عن توزيع الجريدة. ان موضوع التوزيع كان موضوعا من اهم المواضيع عدا عن المشاوير الكثيرة التي صار بإمكان الادارة القيام بها دون دفع مصاريف اضافية. ان توفير بضعة قروش كان من اهم همومي في الادارة.

في ظهيرة احد الايام والزعيم يهيم بالخروج من مكتب الجريدة، التفت نحوني وسأل « اين الدراجة؟ ». اجبته « مع شحادة، راح مشوار ».

قال: « ارى ان ننظم استعمالها فيدخل في برنامج هذا الاستعمال امكان استخدامها في الوصول الى البيت ».

تفرست به والدهشة تمتلكني. هل انا اسمع جيدا؟ استخدمها الزعيم في الوصول الى البيت؟ كيف؟ الزعيم، يمتطي دراجة؟ لا، ان هذا الامر لا يعقل معها يكن الطفر ضاربا اطنانه.

قلت « حضرة الزعيم، ان الدراجة لا تليق بالزعيم، فماذا يقول الناس عنا؟ ».

« عنا؟ » اجاب « ان ملك السويد يركب دراجة ». قلت تلك بلاد وهنا نحن في بلاد اخرى. قد يكون ركوب الدراجة هناك امرا عاديا ولكن هنا...؟ ».

قال « كنت في دمشق اركب الدراجة وعودت سواي على ذلك ».

قلت « كنت في دمشق فردا لاغير، انت اليوم زعيم حزب. لأرى ان ذلك ينسجم مع بعضه البعض ».

لا اقول اني اقنعتة. لكنه اوقف الحوار وطلب اجرة الطريق. قدمت له ماتيسر ادركت انه كان يود ان يستعمل الدراجة ليضع حدا لطلب اجرة الترام مني او من سواي او ليوفر على الصندوق هذا المصروف الباهظ.

اننا ما كنا نعلق على هذه الطلبات اية اهمية سوى الدعاء الى العلي الكريم ان يمن على الحزب بدخل مالي كاف لتبسيراحاله وتأمين حاجاته وحاجات زعيمه ولكن اني لنا ذلك فقد كان يتزايد الدخل المالي ولكن نمو الحزب المضطرد كان يتطلب المزيد من الصرف كذلك، فيبقى التوازن مفقودا وهكذا دواليك الى ايامنا هذه.

السيما والترام

وما دمنا بصدد المكتسبات الصحفية اود ان اورد ايضا شأنين يتعلقان بالسيما والترام .

كانت دور السيما توزع على الصحف دفاتر تحول قسيماها الدخول اليها لشخصين يدفعان خمسة غروش عن كل منها وهي قيمة الضريبة المالية للدولة عن كل مقعد . وكذلك كانت شركة الجر والتنوير توزع على الصحف عددا من البطاقات او الدفاتر تحول حاملها ركوب حافلات الترام مجاناً .

بطاقتا الترام كانتا من نصيب فريد مبارك وفؤاد سليمان بوصفهما محررين يحتاجان الى الترام في تنقلاتها اما دفاتر السيما فقد ابدى الزعيم بشأنها ملاحظة عابرة يقتضي بموجبها استعمال الدفاتر بالدور وهو يدخل في عداد المنتفعين من هذا الدور .

طبعاً بدأ الدور منه فسألني عن افلام ذلك الاسبوع فعددتها له . قال لي « عندما يكون الفيلم من نوع الكوبوي Cow - boy او يشبهه اي عندما يكون فلماً لا معنى له فبلغني لنحضره معاً لاني بحاجة الى افلام تنقلني من جوي الشديد الجدية والتفكير الى جوٍ ارخي فيه لاعصابي العنان في السخافات والسطحيات » .

نزلت عند طلبه وطبقت توصيته بكل دقة واهتمام ولكن... اني له وقت فراغ يصرفه في حضور فلم من هذه الافلام! الى ان كان يوم وضعت في الميزان كل ما لدي من « ضغوط » حتى سحبته الى فلم هزلي .

ما عدا ذلك ذهب مرة او مرتين مع سواي لانشغالي . ارتاح ولكن الى حين .

معلم اللغة العربية وولادة اديب

وما دمنا نتكلم عن بعض الطرائف التي حصلت في جو جريدة « النهضة » ارى من المستحسن ان اورد هاتين الطرفتين وكتاتهما مصدرهما الرفيق فريد مبارك الذي كان بصفته مسؤولاً عن تحرير الجريدة يقرأ كل مايكتبه الزعيم قبل ان يرسله الى التنضيد . وقد تولد عنده ، من هذه القراءات ، اعجاب عميق بلغة الزعيم العربية مما دعاه يوماً الى اجراء هذا الحوار معه . الطرفة الاولى : معلم اللغة العربية

- حضرة الزعيم! اقرأ كتاباتك دائما واني اعترف لك اني حاولت اكثر من مرة ان اكتشف غلطة، من اي نوع كان، املائية او نحوية ولكن ذهبت كل اتعابي سدى فهل تسمح لي بسؤالك « اين درست اللغة العربية وعلى يد اي استاذ؟ ».

جاءه الجواب سريعا، مختصرا ومفيدا.

- « نعم، رفيق فريد، تعلمت اللغة العربية على يد المطران جرمانوس فرحات»، (المطران متوف من زمن بعيد). وقبل ان يثوب الرفيق فريد من اندهاشه، اكمل الزعيم، « في كتابه بحث المطالب ».

اما الطرفة الثانية: ولادة اديب فقد حصلت كما يلي:

استدعى الزعيم الرفيق مبارك الى مكتبه وسلمه عدة مقالات صالحة للنشر في الجريدة. سها عن بال فريد سؤال الزعيم عن صاحبها « هذا الناشء الجديد ».

احتفظ بها لحين وجود مجال لها عدة ايام وهو يفكر عما يصنع بها وذلك لجهله منشئها من جهة ولضرورة كتابتها ثانية لتصبح صالحة للتنضيد.

وفي ذات يوم يستأذن شاب الدخول الى المدير المسؤول لجريدة « النهضة » لامر يختص بالتحضير. جاء هذا الشاب يراجع بشأن المقالات التي سلمها الزعيم لفريد.

تباحثا بأمرها واتفقا على ما يجب فعله بصددها ونهض الشاب الكرم للانصراف واذ بفريد يتذكر انه لم يفصح عن اسمه الكرم فبادر الى سؤاله عنه.

كان الجواب « محمد يوسف حمود ». كانت هذه المقالات ولادة اديب جديد. جاء ثالثا في الترتيب التسلسلي في الجريدة. الاثنان السابقان كانا، فؤاد سليمان ويوسف الخال.

تأمين الورق للجريدة

وبما اننا مانزال في سرد سيرة سير الجريدة وكيفية تأمينه بطرق غير مصمم عليها سلفا وكيفية معالجة الازمات الطارئة التي لا تخاطر على بال لكوننا « جديدين في الكار » باشراف مستديم من الزعيم اورد الان قصة تأمين الورق للجريدة ثم قصة محاولة الاضراب ثم الاضراب. كنا في جريدة النهضة نشترى الورق اللازم لطابعاتها على اساس يومي من جريدة صوت الاحرار حيث كان يعمل صاحب الامتياز،

احمد دمشقيه وذلك بسعر السوق اي بسعر المفرق. والبون شاسع بين سعر المفرق وسعر الجملة دون دفع مكوس لانه يستعمل لصحيفة.

كان شراء الورق بالطريقة المذكورة اي بالجملة دون مكوس هاجسي الاكبر وكَم من جلسة عقدتها مع بشير فاخوري، الخازن العام، نحك فيها ذهننا دون جدوى الى ان مرّ صدفه بمخزن الادوية خاصة الفاخوري، «بترو ربيز» احد تجار بيروت، صديق بشير فعرفني به.

بعد الخوض في احاديث تناولت شتى الميادين والحقول انصرف ربيز. على اثر انصرافه اقترح علي بشير ان نعرض عليه مسألة تمويل الجريدة وذلك بواسطة دفع ثمن الورق بالجملة لقاء فائدة يتفق عليها ستكون بلا شك اقل من الفرق الزائد الذي ندفعه بالشراء اليومي بالمفرق. وافقت على الفكرة فوراً وطلبت منه الاتصال به وجمعي به للعمل معا على اقتناعه.

وهكذا كان. قبل ربيز واتفقنا مع تاجر الورق ذكي الداعوق واستودعناه في مخزن لربيز نسحب منه لقاء وصولات وندفع له دفعات حسب التيسير، كبيرة او صغيرة وهكذا انتهت احدى الازمات التي كانت تتآكلني كل يوم والتي كم رهنت خاتمي الذهبي بواسطة الرفيق الياس سمعان لقاء قيمة شراء كفاف الجريدة اليومي من الورق او من طوابع البريد كما انه انتهى في الوقت نفسه خطر سيف توقيف الجريدة، هذا السيف المسلط فوق رؤوسنا، بسبب عدم تأمين الورق.

اخبرت الزعيم عن هذه العملية بعد انتهائها وبعد توقيع المعاملات التابعة لها فنلنا، انا وبشير، تهنئة على هذه المبادرة التي تدل على حيويتنا من جهة وعلى عميق اهتمامنا بالشؤون الحزبية من جهة اخرى.

وبهذه المناسبة حدثنا عن كيف بدأ في إصدار الجريدة بالرغم من عدم اكتمال عدتها المالية اللازمة وبالرغم من معارضة العميدين اياس وعبد المسيح اللذين طلبا منه ان يتمهل في الاصدار الى ما بعد عودتها من جولة حزبية قررا القيام بها الى مناطق الحزب الداخلية (دمشق، حلب، حمص، حماه).

ان الذي جعله يستعجل في الاصدار هو الحاجة الماسة الى لسان ينطق باسم

الحزب فالوقت حافل بالاحداث والزمن يمضي ونحن مشغولون في ترتيبات قد تطول. اذن، لنصدر الجريدة بصباغة المال التي لدينا وعندما يصبح المشروع في التداول يصبح تحصيل المال لاجله اسهل ومن ناحية معنوية تشتد العزيمة في العمل على تأمين استمرار المشروع فلا يفشل. ونجاحنا، الآن، لدليل على صحة نظريته.

كذلك حدثنا عن كيف تقبل اقتراحي باسناد ادارة الجريدة لي فهو من القائلين بتحميل المسؤوليات لمقترحيها ولا يجد اي ضرر باقتراح انسان نفسه لها فالمسؤولية هي عمل وانتاج وليست وجهة او مركزا شخصيا. المسؤولية ليست للمباهاة والزهو. هي تضحية بكثير من الامور الفردية في سبيلها ومن اجل القيام بها على اكمل وجه.

وقد اعطانا مثلا عن السنة الفاتنة، 1936 - 1937، عندما سلم الدكتور شحاده غصين عمدة المالية بصفة وكيل. وسلم ناموسية العمدة الى موسى سليمان. كلاهما باسم مستعار، الاول جلال طالب والثاني جهاد نصر.

ذلك لانها كانت لها آراء ونظريات ومشاريع تختص بالحقل المالي فوضعها في الحقل المقترح منها فاما ان تكون هذه الشؤون المقترحة قابلة للحياة فتنجح والا فالسير العادي في عمدة المالية لا يخسر شيئا لانه ما يزال ساري المفعول.

محاولة الاضراب ثم الاضراب

لم اعد في حاجة الى رهن خاتمي. واذا خلت خزانة الحزب صار عندي اكثر من مصدر للاقتراض. واحد دبره الزعيم بنفسه وقد شدد كثيرا على حسن التعامل معه (هو انور نخيش، التاجر البيروقي) وعلى الارجح انه كان عضوا سريا وآخر دبرته بنفسه هو الدكتور محمد امين تلحوق.

كما ان تأمين الورق للجريدة بالجملة مع التوفيرات التي تسببت بهذا التأمين جعل جو الاحاح اليومي للحصول على الكفاف اكثر ساحة فما عاد الجو يتكهرب لعدم وجود المال الكافي لشراء الطوابع لارسال البريد اليومي وبخاصة بريد عبر الحدود كما ان الاجرة الاسبوعية لشغيلة صف الجريدة ماعادت تحشر الادارة كل يوم سبت.

صرت استطيع ان اترك المكتب واقوم بجولات الى المناطق الحزبية البعيدة والقريبة. وهذا يعني بالتالي ازدياد الدخل للجريدة من زيادة عدد المشتركين وزيادة التحصيل وخصوصا ان الجايي الذي عين لهذه الغاية صار يؤمن دخلا شهريا شبه ثابت.

خلاصة القول ان همومي المالية قد خفت كثيرا ولكن بقي هم واحد يأكل معي في الصحن، هو هم عمال المطابع الخاضعين باكثريتهم للنقابة وهي شيوعية الجذور والإدارة فكنت اداريهم «كالعين الرمداة».

يبدو ان الراحة النسبية التي بدأت تتمتع بها ادارة الجريدة احدثت بعض الشكوك والظنون لدى الشغيلة من الوجة المالية فصار يصلني همس بان البعض منهم يحرض على طلب زيادة الاجور بحجة تحسين الاوضاع. هذا مع العلم ان اجورهم كانت مرتفعة بالنسبة لسواهم في غير جريدتنا ولكن هي الحزبية الشيوعية.

في يوم من الايام انفجر الوضع واعلن الاضراب. هكذا فجأة. وصادف وجود الزعيم في المكتب عند تبليغي. طلب مني الزعيم استدعاء العمال الى المكتب لمقابلته. انه يود ان يعالج الموضوع معهم بنفسه. امتثلت للطلب وبعد ربح من الزمن كان العمال في المكتب.

استقبلهم الزعيم بكل بشاشة وسألهم عن غاية اضرابهم فاجابوه بلسان ممثلهم «زيادة الاجور». اخذ يشرح لهم ان جريدتنا حزبية وهي لاتعمل مستهدفة أي ربح. هي ليست عملا تجاريا. ومع ذلك فهو مستعد ان يضع دفاتر المحاسبة بين ايديهم وان يضع الاموال الواردة تحت اشرافهم ومايزيد عن ميزانية الجريدة فهو لهم حلال.

على اثر هذا الحديث انفصل عن المجموعة القوميان الوحيدان واعلنا انها ليسا مضربين فيها يؤمران وبطيغان. قبل الزعيم اعلانها وراح يسأل كل واحد من الباقيين بمفرده فكان الجواب بالقبول وانتهى الاضراب بهذه السرعة الغريبة غير المنتظرة.

سررت كثيرا لهذه النتيجة المثمرة يحصدها الزعيم بهذا الاسلوب البسيط الصريح طغت شخصيته الصافية على كل غموضهم وخفاياهم.

انتهى الاضراب بهذه السهولة ولكن الزعيم لم يكن راضيا كل الرضى عن الموقف ولذلك نهني ان اعمل على ايجاد البديل في حال تكرار هذه « التمثيلية » .

صح شك الزعيم وبعد مدة وجيزة عاد النغم واعلن فريق العمال الاضراب . ما نفع تفرد القوميين الاجتماعيين الاثنين وانعزالهما عنهم .

وبالرغم من المساعي التي كنت مهدت بها السبيل لتدارك وقوع الازمة في حال حدوث اضراب جديد ، اخذت معالجة الاضراب هذه المرة اسبوعا كاملا بينما بدلت المضربين بسواهم . تجدر الملاحظة ان ممثلين عن نقابة عمال المطابع زارت الادارة وجرى حوار بيننا وبينهم دون جدوى . كانت النويا مييطة .

تغلب الحزب على خطة النقابة وصار للجريدة فريق قومي صرف من الرفقاء بولس صعب رئيس الفريق ، طانيوس سعاده وسليم الفتى من كفرشيا وكامل سليم وشقيقه محمد من العبادية .

حصل الاضراب في آخر اسبوع من شهر نيسان وكأنه كان نذير شؤم على الجريدة فما ان انتصف شهر ايار حتى تعطلت الجريدة الى اجل غير مسمى بقرار من المندوب السامي . وسنأتي على تفاصيل ذلك .

درس وتوجيه

وجاء يوسف الخال الى مكتب الجريدة كعادته عند مجيئه كل صباح ولكن ، في يده ، هذه المرة ، نسخة من الجريدة . وحكى لنا مايلي :

« حتى الزعيم وجلس . كان ذلك في اوتيل النورماندي . بادره الزعيم بسؤال « ما هذا ، يا يوسف ؟ » و اشار الى مقال في الصفحة تحت « رأي النهضة » عنوانه « من يوسف الخال الى النائب الرسول موسيو غرات » .

لم يفهم معنى السؤال فهو لم يكتب في هذا المقال شيئا يصح مأخذا عليه ولذلك هز برأسه مستفهما وسائلا بمركبة من يده عما يعنيه الزعيم بهذا السؤال وبقي منتظرا الجواب ، مستغربا .

اقترب الزعيم منه ووضع نسخة الجريدة على الطاولة امامه ودل بسبابته الى عنوان

المقال وقرأ « من يوسف الخال الى النائب الرسول الموسيو غرات » وبعد نهاية قراءته قال « ماذا تعني من يوسف الى غرات »؟.

اجاب يوسف بانه يخاطبه بصفته سوريا قوميا اجتماعيا يلفته الى الحزب، الى هذه النهضة المباركة التي اخذت تعم البلاد من ادناها الى اقصاها فما الخطأ اذا قلت من يوسف الى الموسيو غرات؟

قال الزعيم « ليس الخطأ في مضمون المقال ففي جوهره هو مقال جيد انما العلة هي في الصفة الفردية التي توجهت بها. كانك شخص من خارج الحركة ينصح بان يهتم بالحزب لا كأنك عضو فيه. كأنك احد اصدقاء الطرفين وهذا لا يجوز ان يصدر لا عنك ولا في جريدة الحزب. فلو كان العنوان « الى الموسيو غرات » فقط لكان كافيا والمقال يدل على ان كاتبه عضو في الحزب الذي تنطق الجريدة باسمه. سأنزل فيك عقوبة رمزية. تمتنع عن التحرير ثلاثة ايام ».

اجابه يوسف « ومن يصدر الجريدة في غيابي؟ » فابتسم الزعيم وقال له « لا بأس، لا بأس ». وها هو يعود الى التحرير معاقبا عقوبة رمزية بالامتناع ثلاثة ايام.

كان الزعيم في ابداء توجيهه، هذا، كالمعلم يلقي احد طلابه درسا في مادة من المواد المكلف تدريسها. والحق يقال اننا في ذلك الحين، مع اقرارنا بصحة التوجيه الذي جاء بمنتهى اللطف، اعتبرناه نوعا من التزمت او زيادة في التشدد على ذوبان الشخص في المؤسسة. كان الذوبان في نظرنا، نوعا من تحصيل الحاصل.

المنشيت

رن الهاتف في مكتب الجريدة. اخذ فريد السماعه. كان المتكلم الزعيم. اعطاه بعض التعليمات فيما يختص بالتحرير. كان اهمها موضوع منشيت. لأول مرة منشيت في الجريدة على سطرين او ثلاثة.

قال فريد « جاء دور المنشيت. نبأ هام يستدعي هذا النشر الطويل العريض. الجيوش الالمانية تحقق الوحدة الالمانية باحتلالها النمسا. اختل التوازن في القارة الاوربية. ان الزعيم يعلق اهمية كبيرة على هذا الحدث.

صدرت النهضة في اليوم التالي وفي اعلاها منشيت كبيرة على ثلاثة سطور...

تحمل الحدث الخطير. بدت الجريدة كأنها غير جريدتنا التي فناها يوماً على غير هذا الشكل. لا بأس في سبيل المنشيت ومن اجل الحدث الهام.

وبمناسبة الحديث عن « النهضة » اذكر اني توصلت الى تأمين اعلان في سينما « اوبرا » عن جريدة « النهضة » مع كل اوصافها من « حرية، واجب، نظام، قوة » الخ. وم كانت دهشة السوريين القوميين الاجتماعيين عند مفاجأتهم بهذا الاعلان.

سير جريدة النهضة

في سياق الحديث عن سير النهضة الحثيث في ميدان الصحافة لا بد ان نذكر بعض المفوات او الاشكالات أو العراقيل التي تعرضت لها الجريدة وهي الحديثة العهد في عالم الصحافة من حيث الصدور. من هذا البعض ما سوف أرويه بدءاً من التحرير ثم الادارة.

سورة غضب

كانت استخبارات الحزب اي م. أ. م. قد كشفت أن في المفوضية الفرنسية مشروعاً سياسياً لضم منطقة العلويين الى الجمهورية اللبنانية فقرر الزعيم التلميح اليه في الجريدة مبدياً رأيه في خطورته.

وفي مكتب الجريدة شرح ليوسف الخال المعلومات الواردة كما شرح له ما يستحسن ان يكتب بهذا الشأن وتأكد من أن يوسف قد استوعب ما طرحه أمامه من مواضيع وافكار وأهداف.

صدرت الجريدة في اليوم التالي وفيها المقال المرتقب ولكن « تجري الرياح بما لا تشتهي السفن ». جاء الزعيم الى مكتب الجريدة والعدد في يده يهزه في وجه يوسف ويقول له « أين الأفكار التي طلبت منك نقلها؟. هل طلبت منك نقل المعلومات بمخافيرها حتى تعرف المفوضية ان لنا جواسيس في عقر دارها؟ من يتحمل مسؤولية فضح هذه الاخبار وبهذا الشكل المسيء؟ ».

كان يوسف عندما دلف الزعيم الى المكتب يرشف فنجان قهوة على مهل ويدخن وينفث دخانها أمامه فيرسم اشكالا يرافقها بنظره الساهي وهو سادر عما حوله. ولما

خاطبه الزعيم بهذه اللهجة العنيفة غير المتوقعة منه، حملته المباغتة على السكوت، لا يحير جوابا ولا يحرك ساكنا، بقي مستمرا في امتصاص القهوة وتدخين السجارة.

- « قل لي من يتحمل مسؤولية النتائج الوخيمة التي قد تحصل من جراء كشف هذه الاسرار؟ اليس انطون سعادة؟ على انطون سعادة ان يراعي جانب هذا وذاك حتى يغضوا النظر، فلا تنشأ مشكلة وتستمر هذه الهدنة بيننا وبينهم؟ اكاد أجن من هذا الموات في الشعور».

وهنا مسك شعر رأسه بيديه وكاد ينتفه شعرة شعرة. كنت اشاهد ما يجري امامي وانا اكاد لا اصدق ما تراه عيناى. ما هذه الانتفاضة الغريبة؟ هل هي الارهاق؟ قدرت خطورة الخطأ ولكن ما كنت لافهم هذا الموقف الساخط الغاضب المفاجيء الذي ما تعودناه.

خيم جو من الحزن والأسى على المكتب وعلى الموجودين فيه وقد ارتبكنا، جميعنا، فما يعرف أي منا وسيلة للخروج من هذا المأزق واعادة المياه الى مجاريها.

وأخيرا، اذ لم يجد تجاوبا لهذا الغيظ، رأيته يلتفت الى جهة الباب المؤدي الى شرفة تطل على الشارع والذي كان مغلقا في تلك الاثناء، فيرى قرب احد المكاتب ابريق الماء فدنا منه وركله برجله فراح يخترق زجاج الباب المذكور فيكسره وينكسر.

رافق هذا الركل «دين هذه الحالة» وراح يذرع أرض الغرفة الضيقة ذهابا وايابا حانقا لا يهدأ ثم خرج من المكتب يلحقه جورج عبد المسيح الذي صادف وصوله في تلك اللحظة بالذات.

خرجا من المكتب. لحقت بهما ولما رأيتها يتوجهان صوب البحر الى الكورنيش لجهة مقهى الحاج داود اطمأنيت وعدت ادراجي الى المكتب بسرعة لأجد ان جدالا قد احتدم بين يوسف وفؤاد سلمان.

كان فؤاد قد اغتاط لغيظ الزعيم لكنه ما قدر ان يهضم التعنيف الذي سلطه الزعيم على يوسف، والذي وصفه بأنه اعنف من لسع السوط وراح بدوره يلومه لانه ارتج عليه وناء تحت عبء الذنب فلم ينبس ببنت شفه.

كان فؤاد يخاطب يوسف وقد نسي هو بدوره، أنه كان يخاطبه بلهجة اعنف من لهجة الزعيم فما كان من يوسف الا ان قبض على مسكة الريشة التي كان يستعملها للكتابة واطلقها كالسهم تستهدف فؤاد الجالس خلف الطاولة الأخرى.

كان تعليق فؤاد على ردة فعل يوسف « اني اثرت الرجولة فيك لتارسها علي؟ اين كانت رجولتك، يا...؟ ».

على كل حال، انقضت الازمة دون ذيول من جهة المفوضية الفرنسية ولا من جهة الزعيم ولا من جهة يوسف.

الجريدة هي الحزب

وفي ختام الكلام عن جريدة « النهضة » يحسن بنا ان نستمع الى قول للزعيم عن اهميتها الحزبية. كان ذلك في جلسة لجهاز التحرير في مكتبها وقد انتظر الجميع ان يتكلم الزعيم عن التحرير ومواصفاته وكيفية الاخراج ومعرفة الحصول على الاخبار، خصوصا سبق الصحفي ولكن الزعيم خيب الظن لهذه الجهة وبدأ كلامه عن مدى تمثيل الجريدة للحزب ومدى تعبيرها عن غاياته واهدافه ومقاصده وعن مدى الترابط بين الجريدة والحزب كمؤسسة للتوجيه والدعاية الى ان قال « ان الجريدة في وقت من الاوقات هي الحزب ان من حيث الفات النظر الى وجوده ودوام استمراره اليومي بقطع النظر عن اجتماعات الحزب الدورية الداخلية وصعوبة المواصلات الحزبية احيانا... زد على ذلك رأي الناس والدوائر الرسمية فيها ومايرد فيها من مقالات وكتابات واخبار ».

خلاصة القول شدد الزعيم كثيرا في تلك الجلسة على هذه الناحية وختم حديثه « ان الجريدة هي الحزب ».

وكذلك يحسن بنا ان نقوم بعرض مكثف للمواضيع والابحاث والأقلام التي رفعتها الى اعلى مستوى صحفي في ذلك العهد. من جهة المواضيع فقد عاجلت كل المواضيع ان على الساحة المحلية في لبنان والشام بصورة خاصة والعراق بصورة عامة ثم السياسة الخارجية ان عالميا عموما او ما له علاقة ببلادنا خصوصا فيما يتعلق بالمعاهدتين وبالجنسية السورية للمغتربين او ما يتعلق قوميا بالجنوب السوري او بالشمال

بمسألة « اللواء » والحترقات الخارجية بشأن لواء الجزيرة ولاننسى سلسلة المقالات الخمسة عن السياسة الشامية بعنوان « حقوق الامة بين الكتلة الوطنية والاجانب » على غرار الاحزاب البيغائية في المجلس النيابي اللبناني. ثم من جهة الابحاث فقد عالجتها اقلام رفيعة كثيرة اذكر منها على سبيل المثال جورج حكيم، فخري معلوف، معروف صعب (من سامراء العراق) يوسف الصوراتي (تاريخ) فرح جبران والدكتور ميشال بولس ومن دمشق الاستاذ عبد الله الاسطواني. ومن الاقلام النسائية ادال صعب واميلي حلي هذا ما عدا بعض الابحاث الادبية والتاريخية واخيرا برز الى الميدان الاديب المغترب الرفيق اسد الاشقر.

كانت جريدة النهضة جريدة يومية سياسية شعارها حرية، واجب، نظام، قوة. حوربت كثيرا بخاصة من قبل جماعة الجزويت لكنها تغلبت على كل هذه الصعوبات وبقي عليها ان تجتاز مرحلة الصراع من اجل الحقوق القومية في الوطن السوري.

ماتم والدة الرئيس ثابت

لقى الزعيم كلمة على قبر الفقيدة الكبيرة ايوا شكور ثابت والدة رئيس مجلس العمدة نعمة ثابت انقل بعضها لما فيه من افكار يستحسن تسجيلها لأنها تلقي نورا على بعض جوانب من تفكير الزعيم في شؤون الخلود والانسان في المجتمع. (الكلمة منشورة في الجزء الرابع من الآثار الكاملة).

« ليس نكبة ان يموت انسان، فكل انسان يموت يوما، ولكن النكبة هي في الانسان الذي يعيش وكأنه ميت لا يتحسس حاجات محيطه ولا يشعر مع قومه بما يضرهم وما ينفعهم ولا يدرك ان عليه واجبات نحو امته ووطنه ».

« في هذه الدقيقة تذكرون الخلود. والخلود خلودان: خلود لأهل الدين وخلود لأهل الحياة والاجتماع. وما يهمننا هنا هو الخلود في الحياة والاجتماع الانسانيين. وهذا الخلود يكون بالعمل على استمرار الفضائل الباقية في جسم المجتمع، فضائل خير المجتمع ورقبه والاقتراب من مثله العليا بالعمل في جرأة وعزم وتضحية وفعل الواجب القومي والمحافظة على الاخلاق القومية كالاخلاص والصدق والمروءة واحترام النفس والثقة بالنفس ».

« ان الشعب الذي ينجب نساء يعملن للفضائل الباقية فيشعرن بحاجات الأمة ويقمن بنصيبيهن في سبيل سدها ويؤدين واجبهن بتربية اولادهن على الفضائل القومية التي فيها خير الأمة، ان الشعب... هو شعب قد ابصر الخلود واخذ يسير في طريق الخلود ».

« وان النهضة القومية في سورية كلها تقيم الدليل على ان الأمة السورية تعرف الخلود وتسير في طريق الخلود بقيادة النهضة القومية التي يشترك فيها الرجال والنساء ».

والآن حين توارى السيدة ايوا شكور ثابت التراب نشعر أن لنا تعزية كبيرة في انها كانت أمًا قومية أدت واجبها على أفضل ما أمكنها وعملت لاستمرار الفضائل القومية الباقية».



الرئيس نعمة ثابت

جواب عصبة الأمم على مذكرة الحزب

ملاحظة المنشىء - كان للمذكرة التي وضعها باسم الحزب السوري القومي الاجتماعي الأمين نعمه ثابت وقع قوي في الجمعية الأمية وتناولتها لجنة الانتدابات الدائمة بشيء كثير من الاهتمام والتدقيق. وقد حملت المذكرة اللجنة المذكورة على إعادة النقاش في مسائل سورية التي جعلت لها المذكرة وجوهاً جديدة وقيمة جديدة لم تكن لها من قبل. وهذا يشهد للحزب السوري القومي الاجتماعي ورجاله بأهمية العمل الذي يقومون به وبمبلغ رسوخ القضية القومية الاجتماعية وصواب النظريات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تناولوا بها شؤون سورية وشؤون الانتداب.

وقد اهتمت لجنة الانتدابات بتسجيل مناقشتها في صدد مذكرة الحزب السوري القومي الاجتماعي وبإجابة الأمين نعمه ثابت جواباً رسمياً يدل على خطورة الوثيقة الحزبية وعلو قيمتها وفي ما يلي نص جواب الجمعية الأمية -

جنيف في 12 فبراير 1938

حضرة السيد:

وفقاً لقرار اتخذه مجلس جمعية الأمم في 28 يناير 1938 أشرف بأن أعلمكم أن لجنة الانتدابات الدائمة قد أفرت خلال دورتها السادسة والثلاثين النتيجة التالية بصدد عريضتكم المؤرخة في 12 أغسطس سنة 1936 «إن اللجنة» بعد أن درست العريضة المؤرخة في 12 أغسطس سنة 1936 الواردة من السيد نعمه ثابت بيروت التي تمثل وثيقة ذات قيمة، كما درست ملاحظات الدولة المنتدبة، تعتبر إنها تتناول مواد تناقشت فيها اللجنة مرات كثيرة، وستناقش فيها أيضاً عند تطور الانتداب.

«وترى أنه لا مجال لأن تقدم بشأنها توصية خاصة إلى جمعية الأمم».

إن هذه النتيجة قد صدقها مجلس عصبة الأمم وإني أقدم إليكم طيه نسخة عن التقرير الذي قدم إلى لجنة الانتدابات الدائمة بصدد عريضتكم. وهذا التقرير ينطوي على محضر الدورة السادسة والثلاثين للجنة (وثيقة م 551 - 388 - 1938 - 6 الصحايف 167 - 170).

وتفضلوا أيها السيد بقبول خالص احترامي مدير شعبة الانتدابات

أ. دي هول

نسخة عن محضر الدورة السادسة والثلاثين للجنة الانتدابات الدائمة (وثيقة م 551 - 388 - 1938 - 6 صحائف 167 - 170).

الملحق ولبنان

سوريا ولبنان

عريضة مؤرخة في 12 أغسطس 1936 من السيد نعمة ثابت - بيروت

- تقرير المسيو بالاسيوس -

إن عريضة السيد نعمة ثابت مؤرخة في 12 أغسطس 1936 وقد أحييت بواسطة الحكومة الفرنسية إلى جمعية الأمم في 30 أكتوبر 1937 أما الفترة التي انقضت بين هذين التاريخين فناتجة في الغالب عن أن العريضة لم تحول مبدئياً بطريقة نظامية. والعريضة هي مذكرة طويلة باللغة الإنكليزية (مذكرة الحزب السوري القومي) تشرح الموقف والتقدير والحلول التي يترتبها الحزب للحالة الناتجة من العام 1922 إلى السنة التي كتبت فيها المذكرة.

إن صاحب العريضة، وهو ممتلئ إيماناً بالحاضر وناظر في الحملة المجردة على حزبه دليلاً على أهمية الحزب وحيويته يقدر قدر الخط الفاصل الذي يفصل الأحداث الاقتصادية والاجتماعية التي تكيف منذ عدة عصور في البلاد السورية الضمير القومي الذي تنبه وتقوى منذ فرض الانتداب، ويذكر الأساليب والأعمال التي يقول أن الجمهورية الإفريقية لجأت إليها بدوافع استعمارية لتمنع هذه الحركة التحريرية.

ويعتبر الكاتب أن جمعية الأمم مسؤولة ما دامت هذه الأمور جارية وما دام الانتداب لا يتفق لا روحاً ولا نصاً مع المادة 22 من صك الانتداب، ولا سيما فقرتيه

الأولى والرابعة. على أنه هو وإخوانه في العقيدة السياسية لا يريدون مناوأة العصبية وإنما يريدون أن يعينوها فيما إذا خدمت أمانتهم القومية وهدفهم التحريري الذي قررت سورية، سورية كلها - سورية الداخلية ولبنان - العمل على تحقيقها مهما كلفت من التضحيات.

والكاتب الذي يزعم أنه تبني في هذه الاعتبارات وجهة نظر إيجابية بل وعلمية، يقسم مذكرته المستفيضة إلى فصول وأقسام أجزأها كما يلي متبعاً جهد الطاقة طريقة سرده إياها - 1 - العوامل الاقتصادية - 2 - العوامل السياسية - 3 - الحلول القومية.

- 1 -

إن محاولة تعليل البؤس الاقتصادي في سورية بالأزمة العالمية الكبرى التي يجب مع ذلك أن نحسب لها حساباً، هي إخفاء أو عدم رغبة في جلاء الأسباب الأساسية في الفوضى الاقتصادية الكبرى التي تعانيها سورية، وفي إفلاسها الاجتماعي، والنتائج التي لا مندوحة عنها لنظامها الاغتصابي.

ويلج صاحب العريضة على رغبته في تقديم دراسة معززة بالوثائق، فيورد في هذا الفصل كما في الفصول الأخرى من مذكرته البراهين والمستندات التي أتاحتها له كتاب ظهر في العام 1936 للأستاذ سعيد بك حمادة من الجامعة الأميركية في بيروت باسم «النظام الاقتصادي في سورية»

إن الامراض العميقة والمعضلة التي تتألم منها الثقافة والنظام الحكومي في سورية ترجع في أكثر ظروفها إلى تقسيم هذه المملكة إلى عدة دول، فإن التقسيم ونفقات الإدارات الحكومية تسبب خراب البلاد وتزجها في الفوضى. حتى إن المدونين أنفسهم الذين كانوا وحدهم طلاب الانفصال والذين كانوا مجمعين. كما يظهر، على ذلك بسبب خوفهم من أن يكونوا أقلية مسيحية في العالم الإسلامي، قد أصبحوا اليوم لا يفكرون كفكرهم السابق، إن التقسيم نوع مضرّ بنظام الضرائب. وإن الحل المبين في الصفحة السابقة أثبت فساد حماية الضرائب المناصرة في الجمهورية اللبنانية، فالأغنياء والمنفذون يهربون من هذه الضرائب ولا سبيل إلى محصل البقايا المتراكمة عليهم، وهناك عبث ظاهر في الأنظمة والأساليب ثم إن تخمينات الثروة في كل سورية أصبحت قديمة. هي سابقة لعام 1923، ومع أن الإيرادات قد زادت فعرض نظام الضرائب على الأساس القديم ولم تراع فيه النسبة، والنظام العقاري هو أيضاً سيء ورجعي، وربما أنهم لا يريدون إزعاج راحة الملاكين والأقوياء ولا يدخلون تحسينات فنية وعلمية على

الزراعة، كما أنهم لا يفكرون بلغاء أشكال الاستثمار التي لا تزال متبعة منذ القرون الوسطى .

القسم الثاني

ويتنقد مرسل العريضة بنوع خاص نظام جعل الفرنك أساساً لنقد البلاد، في حين أنه لا ضرورة مالية توجب ذلك، وفي حين أن موجودات الذهب في سوريا تكفي لأن نؤمن لها نقداً سليماً، مستقراً، مستقلاً، فقد ربط هذا النظام البلاد بنقد الدولة المنتدبة على ما فيه من تقلبات واضطرابات وأخطار ثم يستشهد بما جاء في الكتاب الأنف الذكر، ويذكر بأن «لجنة الانتدابات الدائمة فد حسبت حساب هذه الخطة وأيدت الرأي القائل بأن السياسة النقدية للدولة المنتدبة تمنع بهجة البلد السوري لممارسة استقلاله - هذا الاستقلال الذي لا يمكن أن يتم إلا إذا استقلت سوريا في الميدان المالي والنقدي.. لقد كان هدف ربط النقد السوري بالفرنك إنقاص النفقات.. نفقات للجيش في سورية. وفي الوقت الحاضر نرى النقد السوري يمثل قرضاً من سورية في سورية لفرنسا وهذه الحالة يزيد حرجاً، وفي رأي صاحب العريضة، السياسة المصرفية وسياسة الاعتمادات والموبولات التي لا تخدم المصلحة العامة ولا تنتج إلا زيادة نزوات الشركات التي هي قوية كلها وتتمتع بالخيرات والامتيازات ويشير صاحب العريضة أيضاً إلى تشريع العمل فيذكر أنه معقود تقريباً ولا صلة بينه وبين المشاكل الصناعية في العصر الحديث الذي تعرض فيه قضايا عملية دقيقة جداً. وقد حدث في البلاد اضطرابات. ظهرت ميول لتشكيل نقابات. والتنظيم الحالي سيء جداً والسلطات، والحكومة اللبنانية خصوصاً يظهرون في هذا الصدد معارضة عمياء ورجعية إلى أقصى حد.

- 2 -

يذكر صاحب العريضة أنه في عام 1922 شرح المسيو فيكتور برار في مجلس الشيوخ السياسة الفرنسية في سورية كما يلي -

كما هو ثابت وأكد أنه قد طبق في سورية نظرياً وعملياً مبدأ «فرق، تسد» فقد جزئت سوريا إلى عدة دول لا مبرر لوجودها، واقامت الجماعات بعضها ضد بعض وأججت المنازعات الدينية إلى حد لم يعرف له مثيل في ماضي الأيام، اسألوا السوريين أياً كانوا فرأيهم مجمع على أن وجودنا في سورية أتى بنتيجة رهيبه، فقد هيّج الأحقاد الدينية.

كل ما في سورية من الوجهة السياسية ، في نظر صاحب العريضة، عليه طابع الإقطاعية، وسوء الإدارة التركية والإنكليزية أما المظاهر الحديثة وإدخال أدوات المدنية الجديدة فلم يستخدم لتقوية الأمة. بل لتأخير تطورها ونموها، ولتشويها واستثمارها والإثراء على حسابها، أن الحزب السوري القومي قد عانى كل أنواع الاضطهاد لأنه جاهر بهذه القضية.

ويورد صاحب العريضة قصاصات من الشمس، التي انتقدت في مناسبات عدة سياسة الدولة المتدبة. ويذكر أن الأمور تبدلت وتبدلها يظهر على وضع النهار عندما يرى الساعون والموقوفون والمعدون مرتدين، يوماً ثوب الزعماء الوطنيين، ويوماً يعملون مع الحكومة الفرنسية.

ويدرس صاحب العريضة درساً وافياً ومفصلاً نظام الصحافة والإدارة السياسية والدفاع القومي والأمن العام، فيستنتج أن الأولى مستعبدة والثانية سيئة الاتجاه. إذ أنفق في سنوات 1929 - 1932 على إدارة العدلية 29 في المئة من الموازنة بينما لم ينفق على الصحة والمعارف والآثار سوى 8 بالمئة، وانتقد أخيراً عدم وجود حسّ قومي.

ويرى صاحب العريضة بوجه خاص أن السياسة اللبنانية. يميلها إلى الانفصال الذي يعارض القومية، وإن المفاوضات مع وزارة الخارجية التي يمثلها المسيو فيانو، وكيل الوزير، هي مخالفة تماماً لمصالح سورية، وإن الصلة بين السكان ومساحة الأرض تنشأ، كأن الانفصال هو الدائم فإن هضاب لبنان لا تستطيع أن تغذي بمحاصيلها الضئيلة 93% من السكان في الكيلومتر المربع بينما سورية فيها معدل لكل 9 أشخاص كيلومتر مربع وهي ذات أرض خصبة وبحاجة إلى السكان.

- 3 -

وبعد أن درس بدقة العوامل الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتاريخية شرّح صاحب العريضة بأن القومية السورية هي عمل لا يقاوم ولا سبيل إلى الكرامة وإن الحزب السوري القومي يمثل هذه القومية، وهو يطمح إلى إقرار نظام «فدرالي» ويعرّض في الحدود الوهمية القائمة ويعرض على السلطات المتدبة فرصة ممتازة لاستعادة ثقة الأهالي، ويقول إن مبادئ الحزب متبعة مع روح الانتداب.

إن زعيم الحزب المسيو أنطون سعادة يمد يده لمصافحة الأجنبي، فقد صرح يوم 2 يونيو 1935 في اجتماع عام قائلاً:

يجب أن نعترف بأن مصالح سورية تجبرها على إيجاد علاقات ودية مع الدول الأجنبية، ولا سيما مع الدول الأوروبية، أما الشيء الذي لا نرضى به أبداً فهو مبدأ الدعاوة الأجنبية

فالروح السورية يجب أن تظل حرة ومستقلةً.

وإليك المبادئ الثمانية العامة والمبادئ الخمسة المتعلقة بالإصلاحات والتي يجب على أعضاء الحزب التقيد بها -

المبادئ الأساسية:

المبدأ الأول - سورية للسوريين والسوريون أمة تامة .

المبدأ الثاني: القضية السورية قضية قومية مستقلة كل الاستقلال عن أية قضية أخرى .

المبدأ الثالث: القضية السورية قضية الأمة السورية والوطن السوري .

المبدأ الرابع: الأمة السورية هي وحدة الشعب السوري المتولدة من تاريخ طويل يرجع إلى ما قبل التاريخ الجلي .

المبدأ الخامس: الوطن السوري هو البيئة الطبيعية التي نشأت فيها الأمة السورية وهي ذات حدود طبيعية تميزها عما سواها تمتد من جبال طوروس في الشمال إلى قناة السويس في الجنوب شاملة شبه جزيرة سيناء وخليج العقبة ومن البحر السوري في الغرب إلى الصحراء في الشرق حتى الالتقاء بدجلة .

المبدأ السادس: الأمة السورية هيئة اجتماعية واحدة .

المبدأ السابع: تستمد النهضة السورية القومية روحها من مواهب الأمة السورية وتاريخها القومي والسياسي .

المبدأ الثامن: مصلحة سورية فوق كل مصلحة .

المبادئ الإصلاحية

المبدأ الأول: فصل الدين عن الدولة

المبدأ الثاني: منع رجال الدين من التدخل في شؤون السياسة والقضاء القوميين

المبدأ الثالث: إزالة الحواجز بين مختلف الطوائف والمذاهب.

المبدأ الرابع: إلغاء الإقطاع وتنظيم الاقتصاد القومي على أساس الانتاج وإنصاف العمل وصيانة مصلحة الأمة والدولة.

المبدأ الخامس: إعداد جيش قوي يكون ذا قيمة فعلية في تقرير مصير الأمة والدولة.

إن كل هذه التعليمات تصطبغ بروح حماسة الشباب والانقياد العسكري، والأهداف العظيمة للمستقبل.

وتقول الدولة المنتدبة في الكتاب الذي أرفقته بالمذكرة أنها لا تستطيع تقديم ملاحظات عليها دون أن توجه إلى عصابة الأمم درساً عن معظم المسائل السورية واللبنانية التي درست قبل الآن من لدن لجنة الانتدابات الدائمة وإنها، رغم ذلك مستعدة لتقديم إيضاحات إذا طلب منها ذلك.

فبصفتي مقررًا، أرى أنه ليس من الضروري إبداء إيضاحات خاصة فبالطبع قد درست مراراً وستدرس باستمرار القضايا التي تتحدث عنها المذكرة وهذه المذكرة هي في نفسها وثيقة تعرب عن إيمان أفضل كثيراً من النقد، ويمثل قوة. ومن الخطأ أن لا يحسب لها الحساب الواجب، على الرغم من أن الوقت الحاضر لا يأذن لي بأن أخصها بتوصية لدى مجلس العصبة، وإني اقترح بالنتيجة اتخاذ القرار التالي:

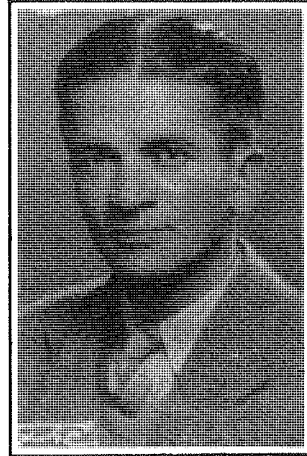
«إن اللجنة بعد أن درست العريضة المؤرخة في 12 أغسطس 1936 الواردة من السيد نعمة ثابت - بيروت التي تمثل وثيقة ذات قيمة كما درست ملاحظات الدولة المنتدبة.

تعتبر إنها تتناول مواد تناقشت فيها اللجنة مرات كثيرة، وستناقش فيها أيضاً عند تطور الانتداب.

وترى أنه لا مجال لأن تقدم بشأنها توصية خاصة إلى جمعية الأمم.



الزعيم بلباسه الرسمي



الرفيق فايز عبد الخالق

اول مارس

كانت احتفالات عيد اول اذار هذا العام احتفالات بكل معنى الكلمة. فهي تجري للمرة الاولى تحت ظل الحرية التامة. للمرة الاولى تأخذ هذا الحجم من التعميم والشمول. ففي كل المناطق في كل كيانات الوطن السوري. وعند جميع الاعضاء عمت الفرحة. من اعضاء في المديریات، في الاجتماعات، او من اعضاء تسلقوا قمم الجبال العالية لاشعال النيران او اعضاء في المدن اطلقوا الأسهم النارية ونوروا على سطوح المنازل بواسطة الرماد والزيوت المحرقة.

الحزب برمته، احتفل بهذه المناسبة، ان على الصعيد الرسمي بواسطة اجتماعاته التي اقبل عليها المواطنون برغبة جياشة او بواسطة الحفلات المركزية.

كانت «الغيبيري» هي المكان المختار لاجتماع حشود القوميين الاجتماعيين ولكن عناصر الدس والقلاقل أثارت هذا الموضوع مع عميد الداخلية (جورج ثابت) فكاد يأمر بمنع الاحتشاد، ولكن لقاء مع الزعيم سوى المشكل المفتعل وانتقل الاجتماع العام من «بورة الغيبيري» الى منزل الرفيق زكريا اللباييدي في محلة عائشة بكار مع الابقاء على الغيبيري مكانا للتلاقي حيث استعرض الزعيم القوميين الاجتماعيين بلباسه الرسمي.

وبهذه المناسبة يجدر بنا ان نعرف انه لولا الرفيق فايز عبد الخالق لما كانت لنا صورة الزعيم الرسمية فهو صاحب مشروع اخذ الصورة باللباس الرسمي.

دام الاجتماع في دار اللباييدي اكثر من ساعتين القى فيه الزعيم خطابه المشهور التفصيلي الذي لم يقل روعة عن خطابه في اول حزيران قبل ثلاث سنوات.

ما تسنى لي حضور هذا الاجتماع لاني كنت مشغلا في المطبعة لانجاز طبع خطابه الذي كان يلقيه والذي كان مفروضا ان يوزع على المجتمعين عند ختام الاجتماع. انجزته ووزع عند ختام الاجتماع.

كان والد اللبايدي، القاضي، يستمع الى الخطاب. (فعل ذلك واقفا طوال الوقت مأخوذا ببلاغته. وهو الغير قادر على الوقوف لعدة في احدى رجله).

ويجدر بي ان اسجل ملاحظته القيمة على اللقاء: «عظيم جدا، القى الزعيم خطابه وهذه المدة الطويلة من الزمن، دون ان يرتكب اية غلطة لغوية او نحوية. انه لم يلحن. عظيم!!».

ويجدر ايضا التنويه ان القاضي احمد اللبايدي المعجب بالزعيم والذي زاد اعجابا به بعد سماعه ذلك الخطاب، سُمع من افراد العائلة وهو يشمل سعادة بدعائه عند انتهائه من الصلاة.

من ابرز هذه الاحتفالات كانت تلك التي اقامها فرع السيدات برئاسة جمال ناصيف في بيروت، حيث تجلت الروح القومية الاجتماعية من الجنسين. كانت حفلة عيد ميلاد عصرية تضمنت كل ما يجب ان تتضمنه - ان من حيث البهجة والخبور او من حيث المأكولات المتنوعة الغنية من كل ما لذ وطاب.

كانت اسارير الوجوه الوضوءة منفرجة بأماثر السعادة والغبطة. في هذه الحفلة قدم جورج عبد المسيح باسم الدكتور محمد امين تلحوق سيفاً تذكارياً لآل تلحوق تقبله الزعيم بكل رضی وارتياح ثم تكلم عن العمل النسائي القومي.

هناك في منزل الرفيق الامير امين ارسلان اقيمت حفلة اخرى مختصرة تعهدتها عقيلته الرفيقة حورية ضمت باقة من الورود الحسان حول طاولة الشاي المتنقلة بينهن وقطع الحلوى توزع عليهن.

وانما كان ابرز ما فيها مقدمة الرفيقتين «بيهم» تلك الهدية الذهبية لصاحب المولد عربونا للولاء القومي الصافي النابع من صميم الروح القومية الاجتماعية الطاهرة.

ومن الهدايا الاخرى، تلك التي قدمتها حلقة «الاربعاء» وهي كناية عن «كوبون جوخ» مع مستلزمات اللباس من قميص وعقدة رقبة وحذاء. استلقت نظري تلك «الكرافاة» تشير بلمعانها وبهاء الوانها الى عظمة العيد ومكانته في النفوس.

كان القمة في فرحة العيد جوابه الى جميع المحتفلين بالعيد من قوميين اجتماعيين ومواطنين، ذلك الجواب السامي الرفيع، النبيل، « ان هذا الاحتفاء ليس لشخصي بل هو لما امثل ».

انتهت مناسبة الاول من مارس وبدأت انطلاقة جديدة في المسيرة القومية الاجتماعية على طريق الحياة.

من كلمة الزعيم

نقتطف بعض الفقرات من الكلمة التي القاها الزعيم في اجتماع القوميات الاجتماعيات بمناسبة الاول من آذار.

« ليس العمل القومي وقفا على الرجال. لن يكون العمل قوميا حتى تشترك فيه المرأة وتكون عضوا عاملا فيه. واني عندما فكرت بامكانيات رجال سورية، فكرت ايضا بامكانيات المرأة السورية، التي كانت في ادوار تاريخنا الخاص، دليلا اساسيا في تقدمنا ورقينا، وفي تلك المدنية التي وزعناها على العالم ».

« قد يعجز الرجل ان يدرك بعقله ما تستطيع المرأة ان تدركه بقلبها ». « فالنساء يفكرن بقلوبهن وهذا التفكير الاحساسي او هذا الاحساس التفكيرى هو شيء جوهري في كل نهضة، وبغيره لانستطيع الوصول الى غايتنا ».

اما عن السيف فقال « قد لانستعمل هذا السيف في الحروب، ولكنه الرمز، انه الرمز للقوة التي لن نبلغ اهدافنا بدونها. ان قضيتنا ليست قضية منطق، فخصومنا يدركون ان لنا حقوقا، ولكن هذا الادراك لا يعطينا حقوقنا فالحقوق هي نتيجة نزاع الجماعات. واذا لم نسترجع حقوقنا بالقوة فعبتنا نسترجعها... ». (الكلمة منشورة في الجزء الرابع من الآثار الكاملة).

خطاب اول اذار

ونختم الحديث عن اول اذار بالكلام عن خطاب اول اذار. ان هذا الخطاب يقسم الى ثلاثة اقسام. الاول وضعية الأمة السورية قبل تأسيس الحزب والثاني سرد تاريخي زمني للحزب منذ نشوئه حتى تاريخه 1938 وقد اعتمدته في كتابة تفاصيل هذه

الحلقات من الجعبة والثالث عما حققه الحزب وعما يمثل والايمان بالمستقبل والوضع الحالي في لبنان والشام وفلسطين والاسكندرون.

واني اختم السرد الزمني للوضع الحزبي بهذه الفقرات من خطاب اول اذار: « ان انشاء المؤسسات ووضع التشريع هو اعظم اعمالنا بعد تأسيس القضية القومية لأن المؤسسات هي التي تحفظ وحدة الاتجاه ووحدة العمل وهي الضامن الوحيد لاستمرار السياسة والاستفادة من الاختبارات بواسطة مؤسساتنا الحزبية المنظمة تمكنا من القضاء على الفوضى وترقية خططنا واساليبنا. ولولا مؤسساتنا القومية ونظامها المتين لكانت العوامل الشخصية الانانية التي برزت في بعض الظروف تمكنت من تسخير جهاد الوفاء السوريين والسوريات لمطامعها».

« نحن لا ندخل في عداد الشعوب الشرقية. نحن مصدر ثقافة البحر المتوسط الذي صيرناه من قبل بحرا سوريا تحمي مراكبنا سبله وتحمل الى شواطئه الشالية، والغربية والجنوبية ثقافتنا واختراعاتنا واكتشافاتنا».

« واني اوصيكم بالقضاء على الخيانة اينما وجدتموها، لانه اذا لم نتخلص من الخيانات لانبلغ الغاية. والمجتمع الذي يحتضن الخيانة ويفسح لها مجال الحياة مجتمع مصيره الموت المحتم».

« فكل ما يجري الآن على مسرح السياسة انما هو تدجيل. ففي لبنان يتراشق الحكوميون والمعارضون وليس من وراء هذا التراشق اية فائدة للشعب. وكذلك الحال في الشام. ونحن نقول ان الامة ليست محتاجة لاسقاط هذه الوزارة وتأليف تلك الوزارة، بل هي بحاجة لتغيير السياسيين الكلاسيكيين العفنين واساليبهم الفاسدة. ان المدرسة القديمة يجب ان تزول كلها وتحل محلها مدرسة السياسة القومية لكي يمكن الاصلاح. وما اقوله في صدد لبنان والشام اقوله في صدد فلسطين، فالسياسيون الكلاسيكيون هناك لم يتمكنوا من ايجاد اي دفاع مجد يصد الخطر اليهودي، لان اساليبهم لا تزال من ذلك النوع العتيق المسيطر فيه الصفة الاعباطية والانانية المغررة للشعب».

« اما الخطر التركي فقط اصبح مداها بعد نزع السيادة السورية عن لواء الاسكندرون واما الخطر اليهودي فقد اصبح مداها بعد فشل ثورة 1936 وتدخل

عناصر غير سورية في مسائلنا الجنوبية، ولا ينحصر خطر اليهود في فلسطين، بل هو يتناول لبنان والشام والعراق ايضا» .

« ان نهضتنا القومية قد اصبحت امرا واقعا واننا نعمل ونثق بانها ستحقق غايتها وتنفذ الاصلاح الذي تحتاج اليه الأمة » - (الخطاب منشور في الجزء الرابع من الآثار الكاملة).

عدد أول آذار

بدأنا نعد العدة لهذا العدد الممتاز من جريدة « النهضة » قبل موعد الأول من آذار بأكثر من عشرة أيام. كان قلم التحرير يستشير الزعيم بكل شاردة وواردة.

ان أول آذار هذا العام يرتدي اهمية لم تكن لسابقه من الاعوام التي انقضت وهو اما في السجن او في الملاحقة. انه، هذه السنة، حر طليق وكذلك حزبه.

كتب عبد الله قبرصي عن اول عيد اول مارس سنة 1935، وصاعدا وكتب مأمون أياس عن وقائع حدثت له وكتب فؤاد سليمان عن أيامه إبان الحرب وتأثيرها عليه (كتب ذلك بناء على ملاحظة عابرة ابداهها امام قلم التحرير « كل شيء عن الزعيم، ان الزعيم شخص من لحم ودم فليكتب احد عن الزعيم الشخص »). وكتب فخري معلوف تحت اسم « نصوح الخطيب » من الناحية الفلسفية وعن ناحية القوة كتب يوسف الخال واما يوسف الصايغ فقد تناول ناحية الأديب الفنان فيه وفرح جبران كتب عن مفهوم الزعامة وكمال خولي وويكتور اسعد وفؤاد حداد عن ذكرياتهم عند انتمائهم الى الحزب وبعض القصائد والاشعار من أروعها قصيدة الرفيق محمد هاني وقصيدة الأمين عجاج المهتار وخصوصا ابيات من الشعر تحت صورته للدكتور وجيه بارودي - حماه. وكلف فريد أحدهم لم أعد أذكر من هو - بتخصيص باب لأقوال مأثورة للزعيم أو عبارات هي بمثابة حكم.

تمت هذه الكتابات كلها على أفضل ما يرام وأمنت الورق المصقول الخاص بشق النفس ورحت انا وفريد نحضر مادبة غداء دعينا اليها في مطعم على باب ادريس. وبينما نحن في أوجنا في هذه الحفلة الاجتماعية اذ باحدهم من الجريدة يدعوني ليخبرني ان الزعيم بحاجة الي والى فريد في الحال.



ويسقطه من غفلات الأمس
مجرد الروح شديد البأس
حلوا الأساريز سري النفس
في حقل سوريا وباري القوس
الدكتور وجيه البارودي

يا شعلة من ظلمات اليأس
سرت إلى العلياء عالي الرأس
تصبح في معضلة وتمسي
انت الزعيم الفرد كالي الغرس

اعتذرنا من الداعي وهرعنا الى مكتب الجريدة. وجدنا الزعيم متجههم الوجه، عابسا فاستعوذنا بالله من الشيطان الرجيم ورحنا نحسب الف حساب. وجه سؤاله المباشر الى فريد عمن جمع أقواله المأثورة وعباراته فأنبأه فريد. قال الزعيم «الا استشار في أقوالي وعباراتي، عن التي يحسن نشرها أو عن التي لاتنشر لانها قيلت في مناسبات سياسية فهي ليست عبارات حكم ولا أقوال مأثورة فما علاقة هذه وهذه... في موضوع جوهرى من هذا النوع؟».

تطلع فريد الى الزعيم وهو الرجل الهاديء الساكن وأعلن له بكل بساطة كأن شيئا خطيرا لم يكن قد حدث «ما هي المقاطع التي يجب ان تلغى؟ أرجو ان تضع جنبها علامة ونعيد طبعها مصححة».

افتر ثغر الزعيم عن ابتسامة وسري عن نفسه وعاد الانشراح الى محياه. أخذ قلما وأشّر على المقاطع التي لا يريدھا. هذا كان يجري من جهة ولكن من جهة اخرى، من جهتي، كنت بدأت اعبس ووجهي يتجههم فاعادة الطبعة معناها مصروف جديد، ثمن ورق واجرة طباعة وانا بالكاد كنت امنت مستلزمات هذا العدد وم كنت فخورا ومعتزا بذلك الانجاز والان تأتيني هذه المصيبة. وانا لست في غيرها ولا في نفيها. فما العمل؟

كنت طوال هذا الوقت ساكتا ولكن عندما انتهى الزعيم من ابداء ملاحظاته اقتحمت الساحة وقلت كأني اخاطب نفسي «ولكن من اين تأتي بتكاليف الورق وأجره الطبع» فما كان من الزعيم الا وجاوبني «المسألة بسيطة، نلغي العدد كله فلا يصدر». قالها وانصرف وهو العالم مؤكدا ان هذا الامر لن يكون. الا يصدر عدد أول اذار؟ مستحيل.

طبعاً صدر العدد كما اراده الزعيم ولكن على أعصابي واعصاب فريد هذا الانسان الذي كان منسجما معي كل الانسجام كما اني كنت منسجما معه كل الانسجام. صدر العدد بعد ان راق الجوز واقتنعنا انه ما كان ليحوز صدوره بتلك العبارات التي نوه عنها. على كل حال، دفعنا ثمن عمل غلطة ارتكبتها سوانا ولكننا نحن في الجريدة وحدة يحمل بعضنا أوزار البعض الآخر.

الصرخة القومية

هجرت على اسي نفسي شراي
وقد افقلت دون الانس باي
وكان اخصك بالامال قلبي
فصوحت المنى ريح اليباب
وقد هانت حماة المجد فيها
وانقل هونها وقر الصعاب
ولي وطن جنان الخلد منه
تطالع في السهول وفي الهضاب
تسيل بطاحه دعة وامنا
وتشمخ عند غضبته الرواي
عليه وقفت في الانشاد شعري
وفي الحدثان - ما طرقت.. شباي
به التاريخ مشحون عجابا
فسل ما شئت عن تلك العجاب
اعرفانا؟ وقد فجرت ضياء
مطالع شرقه هدي الصواب
لنا فضل التمدن مذ نشأنا
فعدنا فيه غير ذوي ثواب
لنا الاجداد قد تركوا تراثا
يناطح عزه روق السحاب
وقد هارت صروح المجد لما
ورثناها وعادت للتراب
هم حكموا الرقاب فساخضعوها
بعضب ليس يخضع للقراب
بكيننا للزعامة في بلاد
يلذ لها التعامي والتغاي

يئن الشعب منها وهي تلهو
بأعراض الجواهر لا اللباب
امام عيونها تهوي حثيثاً
مرافقه الى قاع الخراب
وما دار النيابة غير دار
وناد فيه مجتمع الصحاب
اذا جدت فذاك جمود موت
وان صخبست فصخب الاضطراب
عيون الشعب تحترق الخبايا
ولو غشيتموها بالضباب
وهذي نهضة لن تهدموها
وقد قامت على زند الشباب
وتلكم نارنا لن تخمدوها
وقد اخذت باطراف الشعاب
فليس يروغنا نهي ونفسي
وتشريد ولا بعد اغتراب
فزوجوا بالسجون من استطعم
وهاتوا ما قدرتم من عذاب
هبوا اخدم الانفاس منا
ووارانا الثري طي الحجاب
فان الماء محترقا بخارا
يسيل عليك من جفن السحاب
وثورات العقول اشد فتكا
من الاجسام تسعى في ثياب
اثرتم فتننة الاديان حتى
فتحمم للتعصب الف باب
اذا القرآن كان بلاء قومي
او الانجيل يأمر بانشعاب

فلا ارتفعت الى ربّي صلاتي
ولا وقعت يدي على كتابي
فكفري في عُلَى وطني صلاح
وان جهنما خير المآب
يقول الناقدون كفاك زهواً
بتنميق المقالة والخطاب
وما نفع البلاد بدون جيش
يرد غزاتها حين الطلاب
واين الجو ترعد في سماه
طوائره، وماخرة العباب
يسير كل هذا ان وجدنا
قلوباً لا تمل من الرغاب
وان السيف في زند اشل
لتفضله العصا عند الضراب
وللغربان اجنحة طوال
وما تنقض كالطير العقاب
ولولا جرأة الاساد كانت
تساوى بالشعالب والكلاب
انيلوني شباباً ليس فيهم
سوى المصدام والفذ المهاب
انيلوني قلوباً لا تبالي
لدى الاهوال خارقة الصعاب
لاعطيكم سلاحاً ليس ينبو
وذخراً ليس ينفد من وطاب
واسطولا يضج الجو منه
وقد غشاه منتشر القباب

إذا لم يرم قنبرة المنيا
رمى للارض صاعقة الشهاب

الشاطيء الذهبي - انصوام
محمد هاني

أول زجلية نظمتها لأول آذار

ليس أول آذار عيد مولد سعادة فحسب: إنه عيد مولد كل منا نحن السوريين
القوميين الاجتماعيين، بل عيد مولد كل مواطن ينتمي إلى أمتنا العظيمة. إنه عيد
بعث الأمة الكريمة التي ظن أعداؤها إنها اضمحلت في قبر التاريخ!

إن اعتناق المبادئ السورية القومية الاجتماعية ولادة وبعث يشعر بهما المواطن
عندما ينضم إلى صفوف هذه الحركة الجبارة المحيية، فيدفن ماضي اللامبالاة والاستهتار
والفوضى ليدخل حياة الجد والاهتمام والعمل المثمر والنظام. وانطلاقاً من هذا
الإحساس وهذا التبدل السريع كان أول آذار عيد ولادة جديدة لكل من اعتنقوا رسالة
صاحب أول آذار، ولجميع أبناء الأمة!

كان يدخل إلى أعماق أعماق النفس والقلب بدون أن يتكلم، وكانت نظراته
الأخاذة تخرق صميم الصميم. وكنا نسبق الشمس إلى محلة السور لنشاهده في مشيته
الجبارة قاصداً المكتب في الصباح الباكر لنستوحي منه العزيمة والمضاء والجد والتضحية
والإخلاص! وكان لنا وما يزال، القدوة كل القدوة.

هذا هو الزعيم القائد الذي تحققت فيه آمال الأمة، والذي ما يزال يولد في كل
أول آذار، بل في كل يوم ما دام هنالك من يعتنقون المبادئ السورية القومية
الاجتماعية، عاملين لمجد الأمة وعظمتها.

فإذا غنت النار على رؤوس التلال والمرتفعات، وإذا أقيمت في كل مكان
الاحتفالات والمهرجانات، في كل أول آذار، فهي نار الحياة التي لم تنطفئ ولا يمكن
أن تنطفئ، هي النار التي أحرقت المفاسد الدخيلة على شعبنا الكريم، هي النار التي
أحرقت المفاسد الدخيلة على شعبنا الكريم، هي النار التي تهدي التائهين إلى محجة
الحقيقة والصواب، وهي احتفالات البعث ومهرجانات النصر لانتصار العقيدة والمبادئ

التي بثها سعادة! هي الصراع الدائم المستمر الذي لا نهاية له في سبيل عز الأمة! بل هي الحياة التي تغلبت على الموت:

والموت، ما بيجوز عنا نوأمن فيه:
منموت في تموز، منقوم في آذار!

من هذه الدوافع كانت أول زجلية نظمها لأول آذار. ومغزاها بارز في سردها، وقد نشرت هذه الزجلية افتتاحية لعدد البيدر التي كانت تصدر باسم «بلبل الأرز» آنذاك. أما تاريخها فهو يوم الإثنين 28 شباط من سنة 1938 وتشاء الصدفة أن يقع أول آذار هذه السنة في يوم الثلاثاء كما وقع سنة 1938.

أما غلاف ذلك العدد فقد صدر برسم معبر، كتب تحته ما يلي:

«يهدي هذا العدد إلى الذين عرفوا واجبه في الحياة، فمشوا صفاً نظامياً وراء قائدهم العظيم، فألفوا باتحادهم قوة هائلة هي الكفيلة بإيصالهم إلى الحرية الزهراء».

وفي ما يلي النص الكامل لأول زجلية نظمها في أول آذار:

وقفت عالخصم براس عالي وعليها من شعاع المجد هاله
بثوب مزركش بأسود وأحمر حاكو الدهر عانول المعالي!
بثوب مزركش بأسود وأحمر يرهج عاصفيحة لوح مرمر...
وبين أسود وأحمر عرق أخضر وشتلة نور عامحيا كأنو
انعكاس البدر عاوجه الغزاه!

وشتلة نور عامحيا كأنو انسلخ وجه القمر والشمس عنو
وشعر، يموج عتم الليل منو وجبين مزرع جبين، وحواجب
سليلة سيف بوزيد الهلالي!

وجبين مزرع نجوم، وحواجب خفر: عاكل عين انقام حاجب
وعيون بملس ريش جفون، واجب إنسان السناء، وفيها مرجرج،
يناجي الأفق ويخلق خيالي!

إنسان السناء، وفيها مرجرج وجوز حدود كالورد المضرج!
شرقت وانطفأ ولع ولوهج على أنف الشمم والعبقرية،
وطبع قبله على ثغر اللآلي!

على أنف الشمم والعبقرية وشفاه الشهد والبسمة الندية
إذا نطقت رشفت البابلية ورنين العود والناي المكهرب

بريش الوحي عاوتار الليالي!

ورنين العود والناي المكهرب، وسكبة عنقها أطرب واطرب!
البها عاصدرها زلغظ وهورب وهلل من حواليتها، وعليها

سفح مفعول حبات الدوالي!

وهلل من حواليتها، وعليها سفح روحو وطوق جانبيها،
وسحب من فجر ابلج ساعديها: انسوحت قبالتها وقلت: اسمعيلي:

إنّ مين، يا نسل الموالي؟

انسوحت قبالتها، وقلت: اسمعيلي: من أيا حمى وأيا قبيلة؟
قالت: بنت من أشرف سليله: في لبنان لي أهل وقرايب،

وبالأرز الأشم بشوف حالي!

في لبنان لي أهل وقرايب، وبفلسطين ربعي والنسايب،
وبشرقي الأردن عمامي الحبايب، وفي أرض العراق ولاد عمي

وأهالي الشام أخواني وعيالي!

وفي أرض العراق ولاد عمي، وأهالي اسكندرونة عروق دمي
ربوا بها لمنطقة بيبي وأمي من الشاطي إلى الصحراء شرقي

ومن العقبة إلى طورس شمالي!

من الشاطي إلى الصحراء شرقي ونبض في حبهام دمي بعريقي!
بريد على المجره تكون طريقي وارجع مثلما كنت بزماني

عروس العز في أوج الأعالي!

وارجع مثلما كنت بزماني ودهاني الدهر بصروف الرزايا،
وجعل أهلي على الغبرا عرايا وقسمني ضياع خربانة وقرايا،
وحذفني بين أشداق المنايا، ورجالي تشتتوا، وصاروا مطايا
وهومي تجز ما بين الحنايا، وضعيفه، مكبله بقيد البلايا،
وظلي غاب عن كل الرعايا، وبنار العز وعطّ الأمان!

وعلى الجنبين بحرابو كواني وهياكل ضعف مهدومه المباني
وكؤوس الخنظل القاتسل سقاني وبناب الظلم حطمني وبراني
الغصيبة، وسيبوني في هواني وزفير الويسل يغلي في جناني!
وحبال الجور تعقد ترجماني ونسوا أهل الحمى عطفني وحناني

وملكي مشاع أصبح للبرايا،
وعظايم معقلي صارت سبايا،
وتركني بذلّ إستجدي العطايا،
ويتمه صرت تشززي الصبايا

* * *

عجب من شعب أنجبتمو، جفاني،
وحفرتي في جحيم الموت رمسي
وطوى شمسي ومسح وهجة «هلالي»!

وحفرتي في جحيم الموت رمسي
وجعل يومي دما يبكي عا أمسي
وطوى في غيب الأجيال شمسي
على أيام، إسمي كان فيها
مدى الغريين والشرقين مالي!

على أيام، إسمي كان فيها
أنا الأم التي تنبأ نبيها⁽¹⁾
معبي الكاينة ومدهش بنيتها.
دفين الأرز عن مولد بطلها
مرجع مجد أعصرها الخوالي!

دفين الأرز عن مولد بطلها
باعث مجدها ومحبي أملها!

* * *

جمع صوتو الخواضر والبوداي،
وعلى التنظيم علملي ولادي
وسندي رابتي بكفو
وقوّه حط بضعاف الإرادة
وخلق حرיתי، وعزمو كفلها
ونشر في ديرتي اسمي المبادي
وبحري، بشوق، للمهجر حملها
وجبله ثانية الأنفس جبلها
وجدد حلتي، وطهر فسادي
وهياه واحده أهلي جعلها
وكشع غيم التعصب عن بلادي
وأهالي المكر، بالحكمة خذها
ونفض فيها إلى عرش السيادة
وملوك الأرض حيرها وفشلها
وبوجهي فتح دروب السعادة
ودروب الويل سكرها وقفلها!

* * *

بعيدو، مرابعي أبيضت حللها
وهتافات الوفا من كل جانب

تدعي بانتصارو بصوت عالي:

أنا بلادك، وغيرك عون مالي!

وليم صعب

(1) المقصود جبران خليل جبران

نفحة من حول الصفوف

ظلمة الامس لا اطيع خيالك
انت عصف من المجاهل ناعق
انت سرب من المظالم في التيه
وييد من الخطوب الدوافق
اطلعت شوكننا وذرت قفارا
واستباححت ورودنا والزنابق
كبلت مجدنا وشلت علاننا
فاندفعنا الى الجهاد بنادق
قد اقامت من المذاهب حكماً
يبعث الاهل في البلاد خلائق
قد بشمنا من المذاهب والايان
والحق يملآن الخوافق
ظلمة الامس لا اطيعك ذكرى
ليت منك السنين بضع دقائق
موطن النور ما لنسورك يغشو
اعين الناس فالطيور النواعق؟!
موطن الوحي انت مهد الضحايا
انت خرج العلي ووهج البوارق
رعشة المجد ان يراك شهيدا
خالع العز دنستك الفوارق
من لهذا الكسيح يسند جنبيه
الى المجد تصعدان الشواهق
من لهذا الضريير يفتح عينيه
الى النور تبصران الحقائيق
زفرة في الصدور يلهتها الحزب
فتغفرو على مناهما الحدائيق

نفحة من شذا الفطنة الكبرى
ونشر على المفاخر دالوق

يا هدى الحزب، يا زعيم المبادي
يارضا المجد، يا اريج البيارق
شعلة الحق للنبوة بكرر
ينفخ الحزب نارها في المشارق
والشباب يقظان يقبس منها
سانحا قبسه الشعوب الروافق
هيكل المجد سوح انت فيه
سيرة النشء والعلی والحقائوق
يعشق الشعب في مباديك فتحاً
وانتقال البلاد ما انت عاشق
دُم الى الحزب واثبا للمعالي
والى الافق بالزوابع ناطق

طرطوس - بهجت منصور

الزوبعة الحمراء

اليوم عيد به تمت امانينا
فاهتز يا بحر، ميدي يا رواسينا
وشاطرينا بافراح فانت لنا
شريكة في منانا في تهانينا
المجد انت، ومنك المجد منبثق
وفيك للشرق ما التاريخ راوينا

سورية انتت ام للبنين فهلا
تذكرين لنا ايام ماضينا
عهداً به كنت نورا يستضاء به
لولاك لا علم لا تهذيب لا ديننا
هبت عليك اعاصير رماك بها
فم الزمان فلا انس ينادينا
تفرق القوم لا قومية لهم
ولا كيان، قضوا فيها مهانينا
وساسة الغير فت في سواعدهم
وكلهم في الهوى كانوا مجانينا
هبت عليهم من الافلاك زوبعة
حراء قد سطرت فيها مبادينا
نجّ الزعيم فحيا الله ساعده
وصانه من عوادي الدهر آمينا

الكورة - مصطفى الايوبي

العلم الاحمر

أيها التاريخ سجل
كيف احيينا الهمم
أيها السـوري انهض
هاتفا حول العلم
تحي سوريا منانا
يجيى اصحاب الشمم
وزعيم الامة السمحاء
فيه النصر تم
فوق هامات السحاب

يا بلادي صفقي فرحا اني اراك
بنعم ورخاء فارتدي اغلى حلاك
وبنوك باتحاد كلهم يحمي حاك
انه يوم نراه ونرى فيه عداك
تحت اقدام الشباب! ...

عبدالرحمن عكاوي

الزعيم مطلع الصباح

عيشي على امل ولا تتبرمي
يا دوحه الفكر المنير الملهم
عيشي بجو الابتسام قريرة
وتنعمي بلذاعة المتبسم
اقصي التجهم وانبذي اسبابه
ما جادت الدنيا على المتجهم
في جوك الموهوب من فيض الهدى
نور يشع على الورى فترنمي
ماضيك، سدت به الممالك كلها
ومضيت في ارجائها لتعلمي
فن الصناعة والملاحاة في الورى
متوارث عن عهدك المنصرم
لولاك ما عرف الزمان هداية
بكتابة وقراءة وتفهم
هذي رسالات الهدى قدمتها
للعالمين، امنكر غير العمي

وإذا مجازك الامور تعقدت
وتجهمت آمال قومك، فاعلمي
سيعود دورك في الحياة كما مضى
والناس بين تأخر وتقدم
ولكل شيء في الحياة نهاية
والنور يأتي بعد ليل مظلم
طلع الصباح بنوره وسنائه
فتفاءلي خيراً به وتوسمي
ولد الزعيم، فكان صاعقة على
رأس الذليل الجاهل المتزعم
ولد الزعيم فكان حجة قومه
في الدهر صارخة ايا دنيا احكمي
ولد الزعيم، فقل لمن طمعوا بنا
في الجانبين، على الذليل ترحمي
ولد الزعيم، فقل لمن هزئوا بنا
سنعلم الدنيا بما لم تعلم
الشويات - ط.ن. (طنوس نصر)

الامل الخالد ...

مرفوعة الى امل سورية الخالد، الى زعيم احرار سورية المفدى:

يا شعاع الرجاء في مسرح الخلد
ورموز الاخفاء والاتحاد
يا زعيم الشباب في موكب الحب
يوحي البطولة الرواد
يا زعيم القلوب والانفس الحرة
جاهد لنيل حق البلاد

سِرُّ امام الشباب للمستوى الاسمى
 وتبته شعورهم للجهاد
 واعد للوجود ما سطر التاريخ
 فيه من عظمة الاجداد
 الألى دوخوا الحواضر والبيد
 وذلت لهم رقاب الاعادي
 سوريا فاخري وتيهي دلالا
 بفتاك الابر، نور البوادي
 ها هو اليوم يستعيد سنا المجد
 عظيم الفضال ضخم المراد
 يميل المشعل المنير ويمشي
 بثبات كشامخ الاطواد
 زحزحوا الترب والغبار ليمشي
 في رحاب الضلوع والاكباد
 صافيتا - عبدالرحمن ابراهيم

عواطف الاخلاص

أببا المواطن، والفواجع جمّة
 والطامعون الغاصبون تحكّموا
 وبغوا فبامن راحم او غلّص
 وقضوا بتمزيق الشعوب وقسموا
 فانقض، زعيم الشرق وانقضد امّة
 لعب الفناء بها وحلمك اعظم
 سر حيث سرت تسير حولك امّة
 عرفتك حرًا لا تهاب وتحجم
 عرفتك (والارهاب مدّ رواقه)
 والظالمون ثغورهم تتبسم

عرفتك قائدها ومنقذها اذا
احتدم الجدل ويات ليل اسحم
النهضة الكبرى وانت زعيمها
وشبابها صلوا عليك وسلموا
الشوف - وديع حداد

موكب النور

يا ليوث الشرى اقيموا الحدودا
افترضون ان نعيش عبيدا
انكروها فاسرفوا باضطهاد
واستبدوا فما رهبنا القيودا
كلما شددوا النكير علينا
عرفونا اقوى واصلب عودا
لو اردنا سحق القوى لفعلنا
ودققنا على النجوم البنودا
لا تناموا عن الحقوق ضعافا
ما عرفنا ثعالبا بل اسودا
نحن كنا الاحرار نسعى لحق
ضاع من شعبنا وكانوا عبيدا

كن فتى سوريا اشد مراسا
من حديد اذا لبست الحديدا
ان قومية سعيته اليها
هي في مهجتي تراها وقيدا
نحن نسعى وانت تسعى لنحيا
عش عزيزا او مت فداها شهيدا

يا زعيم العلي وصبح الامساني
آن ان تخرس اللئيم الحسودا
نحن طوع لما رسمت فمرنا
نفرس الشوك في الصدور ورودا

فاصيف ايوب

الجهاد المقدس

جهادك عن جاهها خير درس
لبائع شعب سوريا بفلس
ونومك في السجون وانت حر
الذ من المنام على الدمقس
وتخليص البلاد يكون سهلا
اذا كان الزعيم كبير نفس
فسر يا ابن السعادة للمعالي
فسوريا تعاني كل بؤس
فان الليل يعقبه ضياء
وان السعد يأتي بعد نحس

محيي الدين الفييل

الفجر

هرول الليل بادي الذعر لما
ولد الفجر في الظلام البهيم
لم يغير كفاحه او يؤخر
لحظة من مصيره المرقوم

فالوليد الجديد جاء مذيعا
للموئى حكم القضا المحتوم
.. وقريبا ستسطع الشمس في الافق
وتجلو منه بقايا الغيوم
وتدبّ الحياة في الكون حتى
يستفيق الوجود بعد الوجوم..

ولسد الفجر في سماء بلادي
وسط ليل من الشقاء مشوم،
وامحت آية الظلام وهبت
سوريا بانتظار يوم عظيم،
وحلمنا بالنور والمجد، لما
رأت النور مقلتك، زعيمى!
ثم في يقظة الحياة شهدناك
تدك القيود بالتحطيم
واردت الحياة للوطن الغالي
صريع التفريق والتقسيم
ثم قدت الصفوف نحو المعالي
فتبعناك في الطريق القويم
وبنينا عهدا جديدا مجيدا
فوق انقراض شر عهد قديم
ورأينا الصباح يكتسح الليل
الذي فر «عائرا بالنجوم»

مشغرة - «وليم» أبو خليل

المنقذ!!!

الى جريدة « النهضة » الغراء ارفع هذين البيتين بمناسبة
مولد الزعيم الحبيب
هلي يا بلاد فاليوم ذكرى
مولد القائد الزعيم المفدى
مولد الفجر شعّ من شفق دامٍ
فشقّ السيل يطلب مجدا
هو يوم مقدس حين داس الشعب
غلاً وحين حطم قيّدا
يوم مدّ الانجيل كفيه للقرآن
كما يصفح الود ودا...
يا حبيب البلاد يا منقذ الشعب
هنيئاً بالعيد ولتحى رغدا

زحلة - توفيق... (التيبي)

23 فبراير 1938

صبح الحياة

راح الشتي بالعلم وجود الصقيع
وباحت شفاف الشرق بالسر العظيم
في فجر يقظة مجنحة وبسمة ربيع
طلت بنورها روح الزعيم

يا مارس، يا صبح الحياة الضاحكي
رفرف جناح العطر عزهوور الورود
عمّرت قصر الضحك عا قبر البكي
وحوّلت اصنام الخشب موكب جنود

وفجرك سحق عثم الشقا في المعركي
وسجلت فوز العبقريّة والخلود
وزحت الغطا عن وجه مربعنا البديع
وجلّيت نور الحق والمجد القديم
وعملت من ريشات زغلول الوديّع
حريات عدل وحزم يخشاها الغريم

★ ★ ★

في ارض كان المجد غافي بجزئها
وولادها قطعان في العالم شتات
الدهر هدم في صروفو حصنها
العالي، وعملها الجهل شيع ومقاطعات
بالضغط والواجاع جابت ابنها
الجبار، وبدوروا خلق فيها الحياة

★ ★ ★

راعي امين محب مخلص للجميع
عزم ونبوغ ومرجلي وحكمة حكيم
خلى المراعي بعد توحيد القطيع
جنات خضرا. وزاح شوكات الهشم

★ ★ ★

فيق عيون العبقريّة الغافلي
وتحركت من بعد سكرات الجمود
ورجع ضيا شمس الحياة الآفلي
وحطم حديد الذل وقيود القيود
ورغم انف الدهر مشى القافلي
تخفق عليها « زوبعة » باربع بنود

★ ★ ★

بالحق خلى الظلم في السهلة صريع
وشدّ الدوا للمضمون في علاج السقيم
بروح قومي عمّم عالقطر الوسيع
وغلّ في عروق المهاجر والمقيم

★ ★ ★

وقامت بقايا الذل بالروح العتيق
تطبّخ سموم الموت للروح الجديد
وتشدّ في فلك الامل شدّ الغريق
وتشيك القضبان وتزيد الوعيد
صاح « تحيا سورية » وشق الطريق
الموت مات وراح مسحوق، الحديد

★ ★ ★

واليوم وين ما كنت بتشوف الرفيع
والوضيع، وكل من عقلو سليم
والاختيار والشب والطفل الرضيع
يهتف لتحيا سورية وليحي الزعيم

عجاج المهتار

زوبعة!

زوبعة! ويا لها من زوبعة!

زوبعة ستهدم الباطل وترفع راية الحق
زوبعة ستقضي على المصلحة الشخصية
لترفع على انقاضها مصلحة

سورية العزيزة وحدها
زوبعة ستثبت للعالم ان سورية لن
تزول او تزول الجبال الراسيات
زوبعة حمراء يحف بها رجال يبذلون
الدماء الحمراء في سبيل رفعة
الوطن وعلوه

★ ★ ★

دوري يا زوبعة وارتفعي بالسما! دوري وفي
منتصفك صورة الخلود ، صورة الاقدام
والتضحية ، صورة باعذك وحاميك
زعيمي المفدى

★ ★ ★

ارتفعي وتعالى فنحن قوة لك وسهام في يدك
نرضى ببذل الروح لتسعدى ويسعد
الوطن

★ ★ ★

ارتفعي وتعالى ودكى كل صرح مشيد من
النفاق والعنونات الشخصية ، مشيد
من حب المال والنفس

★ ★ ★

وانت يا زعيمي ، فسنة جديدة سنبلغ فيها ما
تريد لنا ، فسر فالله يركاك ويحميك
لانك صوت الحق ، ومن حواليك
رجال يصدقون الله ما عاهدوا عليه
او تضمهم اللخود

تحسين ميداني
دمشق - سورية

طفل الخلاص

في مثل هذا اليوم منذ اربعة وثلاثين عاما انبثق نور ساطع في سماء سوريا يبشر
بميلاد طفل الخلاص والحرية، طفل الحياة الحقيقية، طفل قد تفتحت عيناه للنور فقام
يمحو ديجور الظلام عن أعين ابناء الظلام.

اننا اليوم نتقدم باكليل من النور العظيم المنعكس علينا من شمسك المشرقة ايها
الزعيم الجليل لنضعه فوق رأسك بدلا من اكليل الشوك الذي ذقته في ايام المحن
والصعوبات.

اننا نتقدم في هذا اليوم السعيد الى الزعيم الخالد بباقة من زهور عصارة قلوبنا نحن
فتيات الامة.

نحن اليوم نهتف باعلى اصواتنا: ليحيي. من احرق نفسه لينير بلاده.

طرابلس - ليلي فاخوري

الزعيم الاديب الفنان

تنادى جبال سورية الشاخنة المتطاولة الى المجد، وسهولها السخية القلب والكف
صحراؤها وشاطئها - حراسها الامناء - حياة فيها تنادي حياة ومجد يسارع الى مجد،
ماض خصب جواد يأتمن حاضرا غنيا متحفزا ويتناول الى غد بسام! قطعة من الفخر
والامل والقوة والفن، الغني بالالوان والموسيقى والحياة، الزاخر بالاحلام والامال
والجبرؤوت تتغنى وتبتهج فخورة بالابن البار، القوي، بالزعيم!

سورية، قطعة الفن الغنية بالوان المجد وموسيقى الازل المتأوجة في الخلود، الزاخرة
بالحياة، ثملى بالفخر بابنها الحساس المتصل بمجري الحياة في امته، الآخذ من غذائها

الروحي والمبدع في تصوير عواطفها واحساساتها، الفنان المستمد وحيه من حياة شعبه وفلسفة شعبه، والاديب المتلاشي في رسالة امته للمدنية والحضارة والمتفاني في تعزيز الرسالة وانارتها شعلة ابدية هالة من المجد تطوق راس سورية الابي .

الزعيم الاديب الفنان هو ابن سورية وارث غناها واجادها وانفتها، ومتبني آمالها وحاضن احلامها وهنّ اطفالا، يدرجن بعد غد من حقائق التاريخ .

هو الاديب الذي يجمع في نفسه عواطف النفوس السورية واختلاجاتها وصورها، في رسمها قوية غنية .

هو الاديب الذي يتغلغل الى اعماق العادات في تفهم نفسية بيئته ويستوحيها .

هو الاديب الصادق الذي ينقل مزايا شعبه وعصره قطعا من الادب الحي، والاديب الفاهم الذي تحمله اجنحة النبوة فيصنع ادبه بالتوجيهات الصحيحة التي يود اضافتها الى الثروة النفسية، هو الاديب المتنبه لحاجات امته يغذيها بالفكر ويغذيها بالادب ولا تفوته اي النواحي الغنية بمظاهر الحياة الشعبية وهو الاديب الحساس تتصل به كل ارتعاشات امته فيشعر بادقها ويتفهم محاولات امته للنهوض فيوجه بصرها صوب العلاء، لترى شمس الحياة والحرية ولتتفتح احساساتها وقواها الكامنة . والاحساس ميزة الزعيم الاولي كباعث نهضة، وكمفكر، وكاديب فنان، أليس هو المنشد :

« اذا انبثق الفجر وبزغت الغزالة

وفتحت عينيك للنور

ورأيت الازهار تنشق عنها اكمامها

وتنشر في الفضا عمق اريجها

فاذكري زمنا كان لنا ربيع

اذ نركض ونقفز وفي قلوبنا اختلاج ! »

« لقد مضى ذياك الربيع وهذا الربيع ليس لنا

فأزهاره غير ازهار ربيعنا

وفجره غير فجرنا

اما المرح والددن فشيء كان
لا لا تذكرني شيئاً مما مضى
لا تنهني الاحلام!
« الحب وهم! هكذا يقولون
اذا اضمحل الحب فماذا يبقى من الحقيقة؟
حب يذهب مع المساء وآخر يجيء مع الصباح،
فيجب ان لا يقام للحب عهد!
كذا يقول الجاهلون
لانهم لا يعرفون
ان لنا في الحب الجديد
بقية مرة
من حلاوة الحب القديم!
اللهم،
الا اذا كان القلب حجراً
والجسم طيناً
فحينذاك لا فرق
بين حب قديم
وحب جديد!

يعمل الزعيم الاديب لترقية الذوق الادبي وسمو القوى النفسية، التي هي ثروة في الفرد وثروة في الشعب تمكنها من التحسس الصادق العميق للحياة وللمثل وتقوي تنبهاها للقيم في العواطف والحالات الروحية، وللتلذذ بنتاج الفكر ونتاج الفن وللجهاد للتحرر من القيود الروحية الذي هو القوة المولدة في اية حرية اخرى، فهو يقول في قصته « فاجعة حب »

« ان الفورة السياسية امر تافه اذا لم تكن مرتكزة على نفسية متينة يبثها في قلب كل فرد، سواء أكان رجلاً ام امرأة، شاباً ام شابة، ادب حي وفن موسيقي يوحد العواطف ويجمعها حول مطلب اعلى حتى تصبح ولها ايمان اجتماعي واحد قائم على المحبة، المحبة التي اذا وجدت في نفوس شعب بكامله اوجدت في وسطه تعاوناً خالصاً وتعاطفاً جميلاً

يملاً الحياة آمالاً ونشاطاً. حينئذ يصح الجهاد السياسي شيئاً قابل الإنتاج. واما الوطنية القائمة على تقاليد رجعية رثة فهي عقيم ولو ادت الى الحرية السياسية».

★ ★ ★

الزعيم الأديب يرى ما هو كائن في مجتمعه ويرى الفقر الروحي، ولكنه يمتد الى ما هو أبعد فيلمس الفن الروحي الكامن ويلمس ما سيكون توجه القوى الادبية، النفسية صوب ذلك لتغسل عن الامكانيات ما يلبسها من غبار الدهور وما يحوكها من انسجة مهترئة، لتبرز الثروة البكر: ميراث اليوم من الامس وغنى الغد المتضاعف.

هوذا نبوته عن ادبنا، في كلامه على لسان قصته:

« ان التقليد قد اعمى بصائرهم (اي بصائر ادبائنا القدامى) عن الحقيقة، واني لاعتقد انه لا بد من القيام بجهود جبارة قبل ان تصبح النهضة الادبية معبرة عن حياتنا القويمة ولكني موقن بانه سيجيء اليوم الذي يتحقق فيه ذلك وتصير النفسية والعقلية السوريتان الغنيتان بمواهبها الطبيعية معينين ينهل منها الادباء واهل الفنون والعلماء والفلاسفة الذين يخرجون من صميم الشعب السوري».

★ ★ ★

والزعيم الفنان يلمس كذلك القوى النفسية المتولدة من الرقي الفني، في الموسيقى والتصوير، وما يعمل هذان في تثقيف الاحساس النفسي والتنبيه النفسي حتى ليتوفر التنبيه الفكري في التقاط الظواهر وتفهم البواطن، يلمس ما في الموسيقى من دوافع تعمل على التسامي وموحيات مولدة ومن منبهات للقوى الروحية الزاخرة المتفجرة، وكيف تستطيع الموسيقى بما فيها من شعر وادب وفن وفلسفة وفكر، وبما تتناول من عواطف وحالات، وبما في تمازج وانسجام الاصوات من غذاء روحي فكري ضروري لا كماله، وكيف يستطيع فن التصوير بما فيه من شعر وفلسفة وبما في تمازج الالوان والرموز من موحيات واغذية روحية فكرية ضرورية لا كماله - كيف يستطيع هذان ترقية الذوق الادبي الفني وتنمية الحضارة وتوجيه القوى غير المادية في الانسان صوب السمو والتسامي والمثلية، وكيف يعبران عن شعور الامة وتمثيل «عواطف الحب والبغض والرفقة والقساوة والسرور والحزن وبواعث الطرب والتأمل واللهو والتفكير

والطموح والفناعة وما ينتج عنها جميعها من ثورات وانفعالات وتصورات نفسية « على حد قول الزعيم نفسه .

وهو يرى ان « بتحرر النفسية وارتقائها تصبح الموسيقى تعبر عن عواطف تسمو على الشهوات الجنسية وتخيلات تعلق عن الاغراض الحيوانية الدانية... ان التقاليد القديمة قيدت نفوسنا بالحن محدودة ابتدائية قد اصبحت حائلا بيننا وبين الارتقاء النفسي . ان في فطرتنا ونفوسنا شيئا اسى من الشهوات او العواطف الاولية . ان في انفسنا فكرا عاطفيا وفيها عاطفيا يتناولان التأملات العميقة في الحياة والرغبات الشديدة في تحسينها من وجوه متعددة اجتماعي ، قومي ، روحي ، انساني... فاذا كنا نريد ان تحيا نفسيتنا حياة راقية تقربنا من اكناف السعادة وجب علينا ان نحررها من ربكة الالحان التقليدية التي لا تغذي الا العواطف الدنيا ، وان نعود الى الاصوات نفسها فنسلط عليها فكرنا العاطفي وفهمنا العاطفي ونستخرج منها موسيقى تغذي كل عواطفنا وكل تصوراتنا وتظهر بواسطتها قوة نفسيتنا وجمالها . »

والزعيم يؤمن ايضا ان تأثير الفنون الجميلة جمعاء افعل في النفس من النتاج الفكري المجرد ، وهو لذلك يستطيع استفزاز قواها واستثمار خصبها وبالتالي يمكنها من تفهم النواحي الفكرية والتنبه الى القيم الصادقة في الحياة والى اضمن الوسائل لجعل الفرد يكتشف غناه النفسي ويتحسس ويقدر الغنى النفسي في الآخرين ، ورسالة الزعيم تعتمد فيما تعتمد على الناحية هذه ، فهي قوة موجهة ، عميقة ، صادقة ، مولدة ، تزخر بالمواهب .

صفرت آلهات الفن والادب والموسيقى اكليلهن من ازاهير سورية .

فحمله الفكر : في جانبيه المجد والقوة ورأيناه في اول مارس فوق جبين الزعيم !

يوسف صائغ

بيروت في 25 فبراير 1938

الحقيقة الخالدة

- نشيد الحياة -

انه لمن الفخر والعز للسوريين القوميين ان يروا في يوم اول مارس عيداً قومياً خالداً يذكرونه والامل ملء نفوسهم ويتهجون به ويتهللون.

كيف لا وهو يوم ميلاد زعيم النهضة القومية الجبارة.

لقد كانت الامة السورية في حالة من الانقسام الطائفي والانخزال والميعان واللامبالاة وعدم الثقة بالنفس... كادت تجرأ الى اليأس القائم المميت.

فحري بهذه الامة - بل من واجبها المقدس ان تجعل اليوم الذي ولد فيه زعيم نهضتها القومية التي برهنت على انها الطريق الوحيد للحياة والسعادة - من واجبها المقدس ان تذكّر اليوم، اول مارس، يوم مولد الزعيم العظيم، بنفس ملؤها الامل وقلب مندفع للجهاد والتضحية..

ورب يوم يساوي في قيمته اجيالاً..

اما هذه القطعة الرمزية فما هي الا صوراً مصغرة عن بعض تحسسات الامة وعالي الهمة القومية.

وما هي الا بعض صور الامل الخالد والايمان القوي الذي احيا في هذه الامة الزعيم المفدى.

... وكنت تائهاً في اغوار اللجة...

وكانت تغمرني ظلمة كشيقة..

والاصفاد الثقيلة كانت تكبلني وتجريني الى الهاوية السحقية...

واليأس كان مكشراً عن انيابه يستعد لتمزيقي وطحني..

وكلما لاح بارق ضئيل من الامل. كنت احاول جمع قواي لاتخلص مما انا فيه.

ولكني ما كنت أرى حولي غير ذئاب نهاشة تأبى الا الخيانة والغدر وكلما تملمت من
هذه الجهنم الهائلة كانت سياط من فولاذ ونار تنصب على جسدي الواهي المقيد
بالاصفاد.

استغثت كثيرا وبمرارة مفعجة
ببح صوتي من الصراخ
بكيت وانتحبت ..
جفت دموعي ..
وأخيراً كدت ارتمي بين اشداق اليأس والموت ...
كنت تائهاً في ظلمات كثيفة ...
كنت غارقاً في هواجسي القائمة .

وتجاذبت في اعماق روحي اصداء ما كنت احسها من قبل
فاختلجت ... وارتعشت وكدت لا اصدق ما انا فيه ...
ظننتني في حلم !!
وتدفق النور هازماً ظلام النفس المريع وتجلت في ذلك النور العظيم الحقيقة تعلن نفسها
الحقيقة الخالدة!!

وارتفع صوت ملائكي
يملأ السمع وينعم الروح
ينشد بعذوبة وايمان سرمدي
نشيد الحرية والواجب والنظام والقوة
عرفته حالا
نشيد الحياة!

المحامي اديب الحسيني

يوم القوة

في أول مارس، منذ اربعة وثلاثين سنة أشرق جبين الربيع، واخضوضرت الارض وتفتحت آفاق السماء، وصفقت اجنحة الشمس، فاذا بالنفوس، في معقل العباقرة، غير النفوس، فقد تغير فينا شيء، وانقلبت دنيانا رأساً على عقب، وتلون بجرنا بلون لم نعهده من قبل، واكتست روايينا باوشحة يهزج عليها الفن، وعبقت اجواؤنا بعطور رقص لها كل قلب.

في أول مارس، انسلّ الخلود الى اكواخنا بعد عوقة طويلة وتمايلت العبقرية في ارجائنا بعد جمود مهين، وبنى الامل اعشاشه في كل جارحة من جديد، وانتشرت محمرات اطراف الزوبعة الى كل مدى، وعصف القدر نشيد الثورة على اوتار النفوس المتعطشة للدماء ولادة قائد آخر من قادة الفكر والحياة في تاريخنا المجيد...

في اول مارس، في هذا اليوم المثل على متكى الربيع، ولد البطل الذي سيغير وجه تاريخنا الحديث، فقرر الزمن مصير سورية بولادة سعادة.



واليوم، بعد ثلاثة عقود من هذه الولادة يقف القوميون تحت كل سماء، خاشعين، متمردين، تتمركز آمالهم في منقذ الامة وباعث نهضتها، وتتحرك مواكبهم المنظمة نحو ساحات النضال العنيف، وعلى كل ساعد منهم زوبعة، وفي كل صدر أمل، وعلى كل ثغر بسمة، وملء كل قلب ايمان.

اول مارس

عيد الامة القومية

اهلا باول مارس، اليوم العظيم في حياة الامة القومية التي ستخلده ذكراً مجيداً وشأناً عظيماً.

اول مارس يوم تبهج به الامة القومية في سورية الجغرافية واميركا واستراليا والشاطيء الذهبي والسوريون القوميون في انحاء العالم أجمع...

تنتفح قلوب القوميين في اول مارس صارخة طوباك ايها الامة، افرحي واطربي
بيومك السعيد

اول مارس عيد الشباب وعزه

اول مارس يوم الحرية والواجب والنظام والقوة

اول مارس هو كل ما في حياة الامة السورية من الفخر والمجد . يحتضن القوميون
افراحهم كلها ويعانقونها في اول مارس

السوريون القوميون ورود من الايمان ينبعث عبقها في اول مارس اجل الشهور
واقدها

كيف لا . واول مارس يوم عيد مولد زعيم الامة وقائدها ونصيرها الوحيد الناهض
بها من مقاعد الذل والارهاق الى الحرية والحق والمساواة وفتح اعينها للنور لتسير
بالنور بدل الظلمة

فالامة القومية في العالم أجمع تبتهج بعيد مولد سعادة زعيمها الاوحد

فاقبل يا زعيم الامة وقائدها الشجاع تهاني السوريين القوميين الحارة الذين يعيدون
معك في اول مارس ويعملون تحت لوائك في حقل الامة للنهوض بها من التعاسة الى
السعادة

فيا من يتبعون الباطل ويسرون على طريق الاعوجاج تنهبوا من غفلتكم واتركوا
باطلكم واعوجاجكم وآمنوا بالقومية المقدسة الشريفة واتبعوا زعيم الامة وانهضوا
فامامكم مبادئه وعيدوا لاول مارس وانضموا تحت لواء الحرية والواجب والنظام
والقوة، شعار السوريين القوميين واهتفوا باعلى اصواتكم من قلوب يفور منها الايمان
والاخلاص . وليحيي الزعيم

اللاذقية

« قومي »

الانشاء الانساني في مختلف مظاهره هو دائما النتيجة المحسوسة لتتابع طويل من التفاعلات النفسية الخارجة عن نطاق الحس فالنفس بما فيه الفكر والخيال والارادة هي مصدر الاشعاع الحقيقي تنبثق عنها المنشآت المؤلفة لتراث البشرية المدني. وكل محاولة لفهم اثر ثقافي من مجرد النظر الى مظاهره تعود بتقدير سطحي ولا يكون التقدير الحقيقي حتى يتناول النظر الحياة النفسية التي صدر عنها هذا الاثر.

هذه الحقيقة البسيطة العامة تنطبق بصورة اخص على النظر في تقدير نهضة تاريخية لامة باسرها فالذين حاولوا درس النهضة القومية في سورية بمجرد مراقبة بعض المظاهر الخارجية لهذه النهضة ظلوا بعيدين عن فهمها فهما صحيحا فكانت تلك المظاهر لهم الغازاً غامضة.

شاهد الناس في هذه النهضة مظاهر بارزة فأروا انها ثورة اجتماعية اساسية يتصل اثرها بجميع اجيال الامة وجميع مناحي الحياة وشاهدوا مظاهر النظام والاستمرار والنمو يرافقتها مزايا سامية كالثقة بالنفس والايان بالامة والانصراف الى المثال الاعلى. شاهدوا هذه المظاهر الناتجة فاذا هي تبدو لحواسهم الخمس اعمالا وحركات آلية يسهل تقليدها ولكنهم لم يتعمقوا كثيرا لفهم الحياة النفسية التي انبثقت عنها هذه المظاهر او لدرس الموجهات الفكرية التي نشأت عنها العقيدة الجديدة وهكذا كان تقليدهم سطحيا موقتا وكانت مقلداتهم اشبه بالنقد الزائف له بعض مظاهر النقد الصحيح ولكنه لا يمثل ذهابا في بنك الدولة.

لم يكن من الممكن للنهضة القومية ان توجد لو لم تؤسس على فلسفة اجتماعية شاملة فالتفكير العادي مهما كان ثاقبا لا يأتي بمثل النتيجة التي اتت بها هذه النهضة. ان التفكير العادي يتناول من الاشياء والحالات ما يقع منها تحت الحس ويكتسب بعد الاختبار الطويل احساسا داخليا يرشد المرء للتصرف في مختلف الظروف. هذا الاحساس وهذا التصرف يمتاز بكونه مشتركا بين السواد الاعظم من افراد المجتمع ولذلك نسميه الادراك العام وتكوينه لا يحتاج الى مجهود فكري شاق من قبل الفرد

بل يحتاج الى نباهة ولباقة. ان هذا « الادراك العام » ضروري جدا للمجتمع اذ ليس من الممكن لكل فرد ان يتعمق في أسس الحياة وفي فلسفة العوامل المسببة فالادراك العام في المجتمعات المستقرة على اساس صالح يصبح عامل الاستمرار للسلوكية الاجتماعية الموافقة غير ان هذا المستوى من الحياة الفكرية بعيد جدا عن احداث التطورات الاجتماعية الخطيرة لانه من طبيعته لا يتصل بالامور الاساسية بل يتناول المظاهر لذلك يصبح في ظروف الانقلابات والثورات الخطيرة التي تتناول المنشآت الفكر والاجتماع في امة من الامم عامل رجعة وتأخر.

الادراك العام اذن هو عامل استمرار للمنشآت الاجتماعية ولكنه يقصر ان يكون عامل انشاء لان من ضرورات الانشاء الاجتماعي امران، النظام والمتابعة، اما النظام فهو توافق اعمال عدد من الافراد لغاية واحدة وفي خطة مرسومة. واما المتابعة في استمرار العمل في تتابع الزمان مع الاحتفاظ بالاتجاه الاساسي ليكون من مجمل الجهود المنشورة زمانيا، كل يتم بعضه البعض وتجمعه وحدة الفكرة الاساسية والهدف الموحد. فالنظام والاستمرار اذن ليسا مواد دستورية ولكنها نتيجة ادراك حقيقية اساسية شاملة وتعيين خطة وهدف وتولد ارادة عامة لتحقيق ذلك اما التفكير الفلسفي، وهو ما يمتاز به العبقري فهو يبحث عن الحقيقة وحدها مثبتاً نوايس الاستنتاج الصحيح، سائراً مع الحجة حيثما تهديه، غير متأثر بالضلالات من صخب الناس وضجيج العاطفة، ضابطاً فكره، محكماً ارادته خلال الساعات الطويلة في الدرس والتحليل حتى تظهر له الحقيقة الواضحة وهنا السر الغريب، دنيا من المستنتجات التي تتبع حتما التسليم بالحقيقة الكبرى فاذا سلوكية جديدة وتفكير جديد واذا ثورة تتناول جميع مناحي الحياة.

ويتنقل الحلم الجديد من محيلة الى محيلة فتولد الارادة الاجتماعية العامة وتستفيق عوامل الرجعة محاولة رد التيار فتتخذل، واذاً فالفكرة تنمو لا بفضل الاضطهاد كما يتوهم البعض لان الاضطهاد ليس عاملاً ايجابياً بل برغم الاضطهاد، وبفضل قوة الحياة التي خرجت من نفس صاحب الدعوة فكرة ناضجة وعقيدة شاملة.

* * *

ان للمعرفة طريقا واحدة لا بد من عبورها على كل راغب بها، تبتدىء بفهم الانسان ان هنالك حقائق تقتضي البحث للوصول اليها ولكنها لا تولد معنى اما الذين يجيئون في اكتفاء ذاتي بالمعرفة التي اوصلها اليهم الادراك العام فهؤلاء لا يمكنهم ان يرتقوا الى مرتبة التفكير الفلسفي. لقد مر على سعادة يوم سألته فيه نفسه مثل هذه الاسئلة من انا؟ ما هي امتي؟ ما هي الامة؟ ما هي هذه الظاهرة الاجتماعية البارزة الاثر في عالم المدنية - القومية؟ ما هو مزاجنا القومي وما هي عوامله؟ ما الذي جعل امتي فاقدة الارادة؟

ولو لم تسأله نفسه الحساسة هذه الاسئلة وكثيرا غيرها لكان مثل غيره يخبط في مظاهر الامور ولكانت هذه النهضة الجبارة ظلت كامنة في خاطر العدم.

هذه المرحلة مرحلة الشك بالادراك العام والاعتقاد بوجود حقيقة اساسية كامنة وراء مظاهر الامور قادت الى المرحلة الثانية مرحلة البحث والدرس والتنقيب وهنا نجد سعادة باحثا ادق النظريات في علوم الاجتماع متبعا في ذلك خطة التسلسل المنطقي لعلاقة هذه العلوم بعضها ببعض وعلاقتها بالغاية العملية المنتظرة.

فمن علم الانسان الى علم الجماعات الشعبية الى علوم الاجتماع والاقتصاد والسياسة وما ينشأ ويتشعب عنها ولما لم يكن سعادة يدرس هذه العلوم لنفسها فقد اقتبس من كل منها روحيتها لتملي محلها في نظام العقيدة النامية فلم يكن شأنه شأن العالم في كل من علوم الاجتماع فحسب بل شأن الفيلسوف الاجتماعي المحيط بجميع نواحي الاجتماع. وقد كان له من ميله الطبيعي للتفكير والتحليل والتأمل ومن اتقانه اغلب اللغات الحية ما ساعده على اخذ المعرفة من مصادرها والتعرف على الحياة الفكرية لعدد كبير من كبار الفلاسفة الاقدمين والمحدثين.

قال سعادة « وبديهي اني لم اكن اطلب الاجابة على السؤال المتقدم من اجل المعرفة العلمية فحسب فالعلم الذي لا يفيد كالجهاالة التي لا تضر » ان فلسفة سعادة كانت فلسفة عاملة اذ لم يسمح للذة التأملات الجزئية ان تنسيه حقيقة امته ولكنه كان يستهدف في جميع انصرافاته النفسية غاية واضحة تحرير نفسية الامة ورفعها الى اسمى امكانياتها وليس النضال السياسي والاهداف في فلسفة سعادة.

ولما اجاب سعادة نفسه على الاسئلة الكثيرة المعقدة بعد امد طويل من الجهاد الشاق ظهرت له حقيقته الجليلة التي اعلنها بوضوح تام في مبادئ النهضة القومية. وقد ظهرت هذه الحقيقة الواضحة في كل كلمة قالها او كتبها هذا المفكر الكبير منذ ما عرفه عالم الفكر والكتابة فاعطى مثالا حيا عن قوة العقيدة ووحدة اتجاهها.

ان حياة الزعيم الفلسفية الشاقة هي سر طمأنينته الى حقيقته الاساسية الراسخة. وسر اختلافه عن جميع الذين عملوا قبله في السياسة والاجتماع. فبينما رأينا رجال السياسة السوريين يجعلون السياسة في محل الخلوص القومي ويلتجئون الى الغموض في مبادئهم لكي لا يصطدموا بامراض الشعب الحقيقية فيخاطبونه بتعابير مبهمة ترضيه ولا ترضيه ولا تنظم افكاره واتجاهاته وجدنا الزعيم يأخذ الخطة المعاكسة شأن الوثائق من نفسه المطمئن لحقيقته فيضع الوضوح محل الغموض ويحل الدقة التخطيطية محل الاعتباط.

وبينما كان دعاة الاصلاح يحاولون عبثا قتل العصبية كأن قتل العصبية وحده كافٍ لانشاء الارادة المجموعية الحية العاملة وجدنا سعادة يعمل على توليد العصبية الموحدة لشخصية الامة الجامعة لمصلحتها.

ولقد اتصل اثر حياة الزعيم الفلسفية حتى بمظاهر عمله الانشائي فقد بدأ دعوته بالقاء الاسئلة على الشباب الجديد اثاره لقوتهم التفكيرية وحفزاً لهم على تمحيص الحقائق فكانت ابحاثه تلك مبدأ النهضة الفكرية التي نشأت حول شخصية الزعيم ورافقت تطور النهضة القومية العامة.

وبالنتيجة اننا امام نهضة اجتماعية هي مظهر رائع من مظاهر الانشاء الانساني في ارقى مراتبه وقد رأينا أن اساس هذا الانشاء قائم في حياة الزعيم الفلسفية النيرة.

(فخري معلوف) نصوص الخطيب

1904

في اليوم الاول من مارس سنة 1904 صحت عزيمة القدر ان تتم رسالة الانشاء الانساني في هذه البقعة الخضراء التي شهدت اول مولد للفكر المبدع واول محفل للمجتمع الباني، وكان لهذا القرار ضجة فارجت اجيال الخمول المتطاولة ورقصت على

الجانب الآخر من هذا البرزخ الزمني اجيال نورانية جديدة... في اليوم الاول من مارس سنة 1904 ولد انطون سعادة.

رجل فرد وضع للامة العقيدة الاساسية وشق امامها طريق الحياة وانشأ فيها على بقايا الخنوع من عصور الانحطاط، وفوق ركامات النزعات الصغيرة من مولدات الانانية المستكينة، جيلا جبارا عاملا يلتف كالبناء المرصوص حول شخصية مثاله الاعلى وقائده العظيم.

رجل فرد انشأ جيلا وخلق عصرا ولما يتجاوز بعد عتبة الفتوة. وعمله بعد في اول الطريق.

ان مجتمع السوريين القوميون الذي بلغ في سمو العقائد والتنظيم، ارقى مراتب التطور الاجتماعي، يدرك ادراكا واضحا اثر سعادته في هذا التطور المجيب. وان كل سوري، في وطنه كان ام في مهاجره، داخلا في نطاق القوميون ام خارجا عنه، يجب عليه ان يعترف بان مجهودات الزعيم قد اكسبت المجتمع السوري صفة المجتمع الحي الراقي فرفعته بذلك مراتب في الرأي العام العالمي، وقضت على الخرافات القديمة المحقرة للشخصية السورية القائلة بضعف اثر المثال الاعلى على الفرد السوري وطغيان انانيته على كل سمو وتضحية، ورفعت النفس السورية عن الخضوع للارادات الاجنبية والمؤثرات الخارجة عن نطاق الامة. ان حياة الزعيم ثلاث مراحل هي بمثابة اجيال ثلاثة قطعها بنفسه عن الامة. مرحلة الاحساس الصافي. ومرحلة التفكير التحليلي. ومرحلة العمل النظامي.

ان اختبارات الحرب العظمى التي واجهها الطفل سعادته فاحس فيها جميع آلام امته واحلامها ايقظت في نفس الطفل الشاعر احساسا عميقا بشخصية امته وبوحدة مصيرها فدفعته الى المرحلة الثانية مرحلة التفكير الفلسفي لتحليل الحالات والمظاهر الاجتماعية الى عواملها وارجاع النتائج السياسية الى اسبابها.

لقد جابه الحقيقة الاساسية المجردة هذا الفتى الفيلسوف لانه فكر واختبر وشاهد وتأمل خلال الليالي الطويلة باخلاص وبجاس فلما اطأنت نفسه الى حقيقته الواضحة وجد نفسه مدفوعا بعامل روحي متدفق لانشاء العمل النظامي فكانت هذه المرحلة الثالثة من حياة القائد الجبار.

واليوم ايها الزعيم، والجو الدولي يتجهم والتجربة المؤلمة القديمة توشك ان تعاد، وعوامل الرجعية ما تزال مجدة في عملها، ودعاة العصبيات اللاشعورية يسهلون طريق الهلاك للامة، وليس غيرك وغير نهضتك التي تعهدت دليلا يشير الى ان مصير الغد القريب غير مصير الامس القريب.

ان جنودك، يازعيم الامة، المبتهجون اليوم لذكرى مولدك العظيم، يثبتون بتوجههم اليك ان اليقظة التي اوجدتها فيهم تزداد وتنمو، اننا على العهد، يا زعيم، مصممون على ادراك الهدف الاسمى الذي جمعتنا عليه بقيادتك وتحت اعلام الزوبعة الحمراء، فايان ما دعوتنا الى العمل الخطير وجدتنا في اماكننا مستعدين.

اول مارس عيد البطولة

هذا صوت شريف يرتفع لانقاذ امته التي تتقاذفها الالهواء المختلفة فلبى صوت ضميره وهو عالم ان العمل شاق وطويل! اجل ولكن هيات للعقبات ان تقف في طريقه. ان ارادته فوق ارادة الاقدار!

لقد ولدت ارادته الحزب السوري القومي وابرزته الى حيز الوجود عام 1932 نهضة قومية تعمل في السكون والحياة تفتح الهواء والشعب مضطرب.

وكأني به اسمعه يقول مخاطبا القوميين:

ايها الرفقاء!

هنالك فوق الآكام وفي قعر الوديان تضعضع معنوي وانحلال قومي انتدبتم للقضاء عليها.

في النفوس الهزئة وفي العقائد البالية تعصب ذميم اعمى ينخر بجسم الامة والوطن فمهمتكم تطهير المجتمع.

ان في نفوسكم قوى كامنة قوية سيتاح لها الظهور لا للظهور فحسب، حاشا لكم، وانما للقومية.

وقضيتكم ليست قضية الحزب السوري القومي وانما هي قضية الامة جمعاء.

ثلاث سنوات اكتشفت الحكومة بعدها امر الحزب السوري القومي.

قاومته بالنار وبالحديد. اضطهدت زعيمه وعمدته واركانه. زجت اعضاءه في السجن لعل عقيدتهم تضعف وخططهم تفسد.

اشاعت الرجعية الشائعات وزورت الاحاديث لبلبله الرأي العام ولكنها اصطدت بالعقائد الراسخة والنفوس الشريفة وتحركت قوى الطائفية والاقطاع تعمل متحدة لايقاف تيار الحياة الصادر عن الزعيم القائد ولكنها باءت بالفشل والخسران ونجح الحزب السوري القومي حزب الامة.

ولم هذا؟

لا لشيء الا لان الحزب السوري القومي يقول بان « الامة السورية هيئة اجتماعية واحدة » « مصلحتها فوق كل مصلحة » فمن الضروري « فصل الدين عن الدولة » ومنع رجاله من التدخل في شؤون السياسة والقضاء القوميين مع « ازالة مختلف الحواجز بين مختلف الطوائف والمذاهب » و« الغاء الاقطاع وتنظيم الاقتصاد القومي على اساس الانتاج وصيانة مصلحة الدولة والامة » و « تأليف جيش قوي يكون ذا قيمة فعلية في تقرير مصير الامة والوطن ».

وبكلمة مختصرة لانه يريد رفع مستوى حياة جميع افراد الامة. اعضاء الدولة وجعل سورية في مصاف الدول الراقية بكل معنى الكلمة.

والجماعة لا تريد الاصلاح لانه يقضي على مطاعمهم ويقتل نفوسهم الصغيرة.

فهم دائما عقبة في سبيل التقدم ولكن لا يحسب لها حساب وعثرة ولكن ذلناها بجهادنا الشريف.

لقد لاقينا كثيرا من العذاب وكثيرا من الاضطهاد لانه أخطىء فهمنا في بادىء الامر ولكننا سرنا متكلمين على ثقنتنا بزعيمنا ونفوسنا فما تحولنا عن مبادئنا رغم قصد القاصدين ولا تجاوزنا حدودنا خائفين!

ولكننا هزئنا بالقوة تحاول التحكم فينا نحن اصحاب القوة الحقيقية جديرون بالأندع حياة الامة كريشة في مهب الريح طائرة لا تستقر على حال من القلق.

والفضل الاكبر في ذلك لمن بعث في نفوس الشباب عزيمة وجهادا.

فلا بدع اذا كان هذا اليوم يوما خالدا في حياتنا.

ولا غرو اذا اعتبرناه عيداً قومياً فيه نمجد البطولة ونهتف للاخلاص !
ايه زعيمي ومولاي المفدى
انت لم تولد وحدك في اول مارس وانما ولدت فيه معك الامة السورية الجديدة .
ولم تبصر عيناك وحدك النور وانما تفتحت به اعين ارادة الحياة في حياتنا .
لقد اعطانا اول مارس قائداً منتظراً فليتبارك مارس وليتبارك مولوده لانه اهل
للبركة ولتقدس هديته لانه يستحق التقديس .
نحن يا زعيمي ، يا زعيم الامة ، دائماً من حملة الوبة الحرية الحمراء ، الوبة الزوابع التي
لا تلين .

حصص - احسان مسوح

هذا هو الزعيم

نجوم هوت ونجم علا ، ليس ديبياً وراء الشهرة المشتراة بالدراهم او ببقايا مجد
اقطاعي قديم ، بل بفضل نفس كبيرة تجل بمثلها العصر الحاضر على الامة السورية
نفس خرجت من صفوف الشعب لتقود هذا الشعب الى مرفأ الخلاص .

الزعامة كلمة ضخمة تملأ فم السوري بمناسبة وبغير مناسبة لانه مطبوع على التبجيل
والتعظيم . وقياس تعظيمه وتبجيله في الظواهر التي تطمس في بصيرته روح النقد الدقيق
وقوة الحكم الذاتي ، ولان الاحداث التاريخية الجائرة التي حلت به خلقت في نفسه نزعة
الاعتقاد بضعفه فحسب . البشر يخلقون طبقات منها الضعيفة المستكينة في ضعفها ومنها
القوية النهمة التي تغير على الضعيفة فتلتهمها وتهضمها في سبيل نموها الشخري ، فغدا
قلبه يهلع لبادرة تافهة تضرب حولها نطاقاً من الضجة فيتخيلها خطراً مداهما . ثم يسعى

بطبيعة الحال الى الالتجاء الى قوة تحميه فيرتمي على اقدامها ويعفر جبينه بتراب نعالها
كي تدفع عنه غائلة الشر . ويشتد به الهلع فيضع الترهات موضع الحقائق ويتمسك
بالكلمات دون ما تقدير لجوهرها .

لقد كان للسوري بعض العذر في فقدان قوة التمييز من مجموع قواه التفكيرية يوم
كان يجهل فلسفة الطبيعة ويعتقد ان عواملها هي الالهة، يوم كان الجهل يطمس
بصيرته . اما اليوم وجميع الاسباب توفرت لديه لوضع قياس عملي حقيقي لما يجري
امام بصائره فما عذره لو حاد عن جادة المنطق؟؟

ان الضعف التفكري في المحيط السوري لبرهة خلت كان يبدو في، الاستعمال
المتدل لكلمة زعامة كأن هذه دمية طفل او بكلمة أخرى، درع حديدي صبغناه
زعما عنا بمصارعة الآلهة بينما نحن نشاهد عراكه بجهاش شديد يتجلى بايدينا وحناجرنا
اذا ما دعت الحاجة الى ذلك لكن سوري اليوم ليس مثله بالامس تحت تأثير تطور
فكره بفضل النهضة القومية المحيية فاصبح بحكم عقله، بما يقال ويعمل طارحا
الادعاءات الجوفاء جانبا ويوتى ظهره إلى كل ما يستند الى الكلام والاوهام، ويعتبر
الأمر حقيقة راهنة لا ملاحظة فيها إذا كانت هذه الحقيقة واضحة ينهل من مصدرها
الجميع على السواء .

ليست الزعامة كلمة فارغة طنانة لان الحاجة اليها والافتقار الى وجودها وجدا في
نفس اول شخص استوطن البسيطة . غير ان مضمونها وفهم هذا المضمون تطورا
حسب تطور العقل البشري على مرور الزمن .

لقد مرت الزعامة في ثلاثة اطوار حسب عناصرها المختلفة .

ففي الطور الاول كانت تستند الى قوة العضلات وشاع هذا النوع منها يوم كان
الانسان لا يزال في دور الهمجية وكان من شيمه سلب جاره وقتله وليس هناك قانون
يجمي الضعيف من بطش القوي، فيضطر المهضوم الحق الى الاندفاع في البحث عن
رجل وهبته الطبيعة عضلات قوية كي يحتمي بظله ويضع ذاته تحت كنفه ومطلق
تصرفه، فيثار له حاميه من مغتصب حقه . ولكنه يكون قد دفع ثمن هذه الحماية من
كرامته وارادته . فبعد ان كان الالتجاء فرديا تطور فصار اجماعيا في عهد القبيلة التي

اتخذت لها قائدا اسبغت عليه الطبيعة من القوى الجسمانية والشجاعة ما لم تسبغه على غيره كي يجمع شملها وينظم قواها ويقودها في الغارات على القبائل المجاورة. لكن هذه ايضا كانت تدفع غالبا ثمن الزعامة عندما كان يحين وقت قسمة الغنائم، فنشأ عن هذا التكتل الطبيعي حول الزعامة، النظام الاقطاعي الذي عانت وتعاين منه ايضا كثير من الامم الحية. ثم ما عتمت نفس الجماعة ان تاقت الى وضع الاسس لروابط تحدد المعاملات والعلاقات المدنية بين الافراد والغي عهد الاغتصاب فاتى القانون يحمي الفرد. وهنا ابتدأت تتجلى ارادة المجموع في القانون واخذت زعامة القوة الجسمانية بالافول لزوال اسبابها وعدم الاحتياج اليها واتت فترة الانتقال يتخللها شيء من الفوضى والنزاع بين الزعامة الهاوية وارادة الشعب المنبثثة. وارتقى الفرد الى درجة محدودة عرف معها كيف يحترم حق جاره وارادته دون مباحكة او اكراه او تحت تأثير الضغط العضلي. لكنه بقي جاهلا اسرار الطبيعة التي تظهر بعوارض فجائية كقصف الرعد وهياج البراكين وهزات الارض العنيفة فحسبها الآلهة القاسية المنتقمة. فولدت عنده الفكرة الدينية القائلة بالرضوخ لهذه الارادات الجبارة الخفية واستعطافها بتقديم القرابين والذبائح كي يأمن شرها ويفوز بعطفها، بل ذهب الى الاستجارة بها لتنصفه من ظالمه.

وبهذه الظاهرة انهارت الزعامة الاولى انهيارا ابديا بانهيار بواعثها تاركة الفراغ للزعامة الثانية.

ثم جاء الدور الثاني فاستغله المشعوذون والمتاجرون بتلك الفكرة المزيفة عن الدين المتحكمون بسداجة المجموع وصوروا له الدين بشكل آلهة عبوسة لا تلين الا بوساطتهم فنجم عن تلك الالاعيب البهلوانية ذوبان ارادة الفرد وارادة المجموع بارادة المشعوذين الذين انتحلوا لهم صفات الآلهة الخفية. وعملوا كأن لهم مصلحة في ذلك. اما الشعب فسار وراءهم مخافة اغصاب الآلهة.

وتبدو لنا هذه الظاهرة باكثر جلاء في الدور الثاني من الزعامة عند الشعوب الاكثر ضعفا والتي بقي للزعامة الاولى اثر فيها. فجمعت الزعامتان بشخص واحد لقب نفسه بالملك واستولى هذا «الزعيم» على مقدرات «شعبه» الزمنية «والدينية». وممرت الاجيال والشعب يتململ حتى تطور الفكر البشري واصبح يفقه المعنى الصحيح للدين وعلاقته بالنفس وبما وراء الطبيعة ووجد في تخليص هذه العلاقة السامية من برائن

الابالسة وترفيعتها عن احوال المادة فوضع حدا فاصلا ما بين اشياء النفس واشياء الجسد وميّز بين مرتبة هذا الدنيوية ومرتبة تلك العليا. ودان بوجود اله واحد للجمع حليم، شفوق، ووذلل الآلهة. المسوخة فتدحرجت تلك الزعامة المنكرة وسقطت هيبة اولئك المتاجرين باسم الدين لمصلحتهم المادية بسقوط ترهاتهم.

هنا بدأ عصر النور، عصر المنطق، عصر العمل الذهبي الذي يقدر الاشياء الروحية ورجا الى رجال الدين الحديثين ان يكرسوا حياتهم وقفا على الاهتمام بشؤون النفس فقط، وخصص للجسد قوانين اجتماعية وحقوقية تستند الى حقائق علمية وطبيعية والى تطور مطالبه الزمنية. واقام على هذه القوانين حراسا اخصائيين. فنبغ نفر من هؤلاء القوامين بفضل ما منحهم الطبيعة من قوى عقلية ودانت لهم الزعامة الحقيقية بعناصرها المستمدة من هبات الطبيعة والتي لا تزول الا بزوالها.

هذا هو الدور الذي وقفت الزعامة على عتبه اليوم. فهي تختلف عن السابقتين في كونها لا تدعي التزعّم في الاشياء المتعلقة بالروح وما وراء المادة! وفي التحكم بارادة الفرد واستغلال جهله استغلالا تجاريا بل في فهم الاتجاه الذي يتطلبه نمو الفرد وبالتالي نمو المجموع والامة المادي فيها اقرب الى الصواب. هذه هي الزعامة التي لا نزاع اناني فيها طالما انها ليست وقفا على مصلحة فرد معين، واتباعها في تناول من تسول له نفسه الطموح اليها ويرى في نفسه المؤهلات للقيام باعبائها.

هذه هي الزعامة التي فرضها علينا سعاد يوم خرج من خلوته الطويلة بنتاج عبقرية السوري المنبعثة خلال الاجيال مما جعل تفكيرنا ينقاد لتفكيره انقيادا ليس فيه اكراه. هذا هو الزعيم الذي لفت انظارنا بنور تفكيره القويم ونظراته العميقة في الليل الدايم الذي تهيم به سورية فجذبنا اليه واقنعنا بصوابية مبادئه المعبرة عن عظمة امته على مر الاجيال والتي تهيم لها طريق الحياة.

فالشبيبة السورية الناهضة لا تدعي ان سعاد نبى او «تؤله» كما قال الخوري اسقف لويس خليل بوريقاته عن الحزب السوري القومي سنة 1936 لان سعاد لم يدع النبوة ولا «الالوهية» ولان هذه الشبيبة لم تصل بعد الى ذهنية الخوري المحترم التي تخلط بين التقدير لاعمال البشر وعبادة الله عز وجل. بل تحترم سعاد وتقدر اعماله وتعتنق مبداه القومي وتشد ازره في اسعاد الامة السورية.

نجوم هوت ونجم علا، ليس دبيبا وراء الشهرة المشتراة بالدرهم او ببقايا مجد
اقطاعي قديم بل بفضل نفس كبيرة بجل يمثلها العصر الحاضر على الامة السورية، نفس
خرجت من صفوف الشعب بقلم ومبدأ معين التي يعاركها المجتمع السوري.

هذا هو مؤسس النهضة القومية وباعث حيوية الامة السورية الغافلة التي تسير وراءه
مخيرة، صفوفاً منظمة من آلاف السوريين.

هذه اقواله بين ايديكم واعماله تحت انظاركم فحللوها تحليلاً لا تسوده الانانية
ونزعات النفس الدنية اذا اردتم المسير على ضوء العلم والمنطق. لعلكم تتساءلون، هل
كان سعاد صادقاً فيما فكر وقال ام كان تاجراً ماهراً في صناعة البيان فأثر على نفسية
النشء تأثيراً يزول بنفاد بضاعته.

ان اول شرط للاقتناع يستلزم وجوده عند الرجل هو التحسس الداخلي والوجدان
الحي لهذا التحسس بصواب فكرته، وهضم هذه الفكرة والتقيدها في حياته الخاصة،
اذا كان من نوع فكرة سعاد الى حد بعيد قبل اعلانها حتى يصبح ذاته وتلك الفكرة
المجسمة فيستطيع التسرب الى نفوس وقلوب وادمغة الآخرين. فلو نظرنا الى مبادئ
سعاد القومية بصدق امتزاجه بتلك المبادئ لوجدناه حائزاً على هذا المقدار الملازم
لشخصيته في جميع حركاته وسكناته، ان في خلواته او في مجتمعاته لسنوات قبل تأسيس
الحزب السوري القومي كما بعده. ومن اراد المزيد فليراجع كتاباته قبل تأسيسه الحزب
وليستعلم من شخصيته الخاصة من عارفه يوم كان بعد شخصاً عادياً.

ثم ان الصدق في المبدأ لا يكون شرطاً كافياً ليُجعل من هذا المبدأ حقيقة مؤهلة
للحياة اذا استثنينا الجوهر والتقاليد التي يستند اليها واذا لم يكن صاحبه فيلسوفاً
جامعياً وعالمياً حكماً وسياسياً مرناً مطلعاً وادارياً حاذقاً وقائداً شجاعاً ذا ارادة صلبة لا
تلين وخطيباً نادراً يجمع بين صفات الخطيب المحاضر وصفات الخطيب الشعبي.

ان جوهر المبدأ الذي يدعو اليه سعاد هو في ذمة التاريخ واما الرجل ففيلسوف له
نظرات في مبدأ القوميات وتكوين ونشوء الامم تتجلى في مبادئ الحزب الأساسية.

فرح جبران

ان ارادتنا نحن هي التي تقرر كل شيء ، نحن نقف على أرجلنا وندافع عن حقنا في الحياة بقوتنا

★ ★ ★

اننا قد ترابطنا في هذا الحزب لاجل عمل خطير جداً هو انشاء دولتنا .
اننا قد حررنا انفسنا ضمن الحزب من السيادة الاجنبية والعوامل الخارجية

★ ★ ★

ليست القومية الا ثقة القوم بانفسهم واعتماد الامة على نفسها

★ ★ ★

يجب ابتكار اساليب جديدة لفتح طرق الحياة امام الامة

★ ★ ★

ان طريقنا طويلة لانها طريق الحياة، انها الطريق التي لا يثبت عليها الا الاحياء
وطالبو الحياة، أما الاموات وطالبو الموت فيسقطون على جانب الطريق
كل امة تكمن فيها قوة الحياة لا يمكن ان ترضى بالقبر مكانا لنفسها في الكون

★ ★ ★

احذر من ان تجعل عقلك ضحية لقلبك او قلبك ضحية لعقلك

★ ★ ★

من الناس من يستخدم المعرفة للفهم ومنهم من يستخدمها للجهل

★ ★ ★

الذين لم يتألموا لا يمكنهم ان يدخلوا عالم النفس ولا يؤتون فيها

★ ★ ★ ★

الامة التي لا تظهر قوميتها الا في السياسة امة لا تعرف سبل النجاح

★ ★ ★ ★

كثرة السياسة لا تنمي الروح الوطنية او القومية ، بل تقتلها

★ ★ ★ ★

الامة التي لا تحيا الا بالنسب البعيد امة تعود الى الوراء

★ ★ ★ ★

الامة التي تنظر ابدأ الى الوراء لا تستطيع السير الى الامام . واذا هي سارت فانها
تتعثر

★ ★ ★ ★

ان النور جميل دائما ولكنه اجمل ما يكون بعد الظلام لذلك كان الفجر اجمل النور

★ ★ ★ ★

تبتهج العين بمرأى حديقة ورود . اما الوردة القائمة وحدها وسط الاشواك فهي
تثير معظم اعجابي

★ ★ ★ ★

لا تكفي الاراء والافكار السياسية لتوحيد الشعوب

★ ★ ★ ★

ليس من الحكمة ان يحكم المرء على مجرى حياة من مجرى بعض الحوادث . ان نبل
الانسان ينتصر دائما

★ ★ ★ ★

ليس عاراً ان ننكب ، ولكنه عار اذا كانت النكبات تحولنا من اشخاص اقوياء الى
اشخاص جبناء

★ ★ ★ ★

ان العراك بيننا وبين القوات الرجعية لا يقف عند هذا الحد فكلما ازددنا نمواً كلما
ازداد الضغط

★ ★ ★ ★

لا تقوم المعرفة مقام الفهم

★ ★ ★ ★

منذ الساعة التي عقدنا فيها القلوب والقبضات على الوقوف معا او السقوط معا في سبيل تحقيق المطلب الاعلى المعلن في مبادئ الحزب السوري القومي وفي غايته وضعنا ايدينا على المحراث ووجهنا نظرنا الى الامام، الى المثال الاعلى وصرنا جماعة واحدة مؤمنة حية تريد الحياة الحرة الجميلة، امة تحب الحياة لانها تحب الحرية. وتحب الموت متى كان الموت طريقا الى الحياة

★ ★ ★ ★

نحن نهضة امة غير عادية، امة ممتازة بمواهبها متفوقة بمقدرتها، غنية بخصائصها، امة لا ترضى القبر مكانا لها تحت الشمس

★ ★ ★ ★

تحت طبقة الثرثرة والسياح المنتشرة فوق هذه الامة يقوم السوريون القوميون بعملهم بهدوء واطمئنان وتمتد روح الحزب السوري القومي في جسم الامة وتنظم الجماعات.

★ ★ ★ ★

ان هذه القوة النظامية ستغير وجه التاريخ في الشرق الادنى، ولقد شاهد اجدادنا الفاتحين السابقين ومشوا على بقاياهم اما نحن فسنضع حدا للفتوحات

★ ★ ★ ★

لا حد للفهم والامل يقفان عنده

★ ★ ★ ★

كثيرا ما يشبه الناس المياه بطبيعتها، بعضها رقراق شفاف تطلع على ما وراءه في لحظة وبعضها هادى عميق لا تصل الى مكوناته الا بشق النفس

★ ★ ★ ★

بداية كل شيء صعبة ولكن كل امل بدون بداية في غير محله

★ ★ ★ ★

القوة القاسية الجامدة قوة عظيمة ولكن القوة الاعظم هي القوة اللينة المتحركة
الثابتة

★ ★ ★ ★

لا يوجد في العالم شيء يسمى حقيقة ابتدائية فكل شيء متعلق بما سبقه الى ما لا
نستطيع ادراكه

★ ★ ★ ★

النبت الصالح ينمو بالعناية اما الشوك فينمو بالاهمال

★ ★ ★ ★

ليس من تطلب النجوم مجنوناً ولا من قنع به ابله ولكن مطامح الناس مختلفة
والنفس الكبيرة طماحة.

★ ★ ★ ★

ترتاح نفوس بعض البشر في طلب العمل ونفوس البعض تتعب في طلب الراحة

★ ★ ★ ★

حياة بلا مُثل جسم بلا روح

★ ★ ★ ★

خسارة الحياة قبل خسارة المثل

————— ماثورات —————

ان النهضة القومية تعترف بانه ليس أفضل من تنازل بعض الامم عن حقهن في
الحياة لتوطيد سلام دائم وبأن سورية ليست ولا تريد ان تكون من هذا البعض .

★ ★ ★

ان النكبات لم تفعل الا ان زادتنا قوة لان فينا سرّاً نقدر به على النكبات سواء
تكلّمنا همساً

★ ★ ★

ان سورية الناهضة القائمة على القوى القومية الجديدة الممثلة في الحزب السوري القومي ستكون غير سورية القديمة الراضحة تحت التقليد المسترسلة الى اوهام فاقدى الروح القومية وعديمي الثقة بالنفس

★ ★ ★

نحن نقول اننا ننمو في سبيل المصلحة العامة وهم يقولون غداً سيصلون الى كراسي الحكم.

سواء افهمونا ام أسأؤوا فهمنا فاننا نعمل للحياة ولن نتخلى عنها

★ ★ ★

الزعيم هو هذا المجموع المنتشر في طول الوطن وعرضه

كلمة الزعيم

في حفلة القوميات الاجتماعيات

ليس العمل القومي وقفاً على الرجال. لن يكون العمل قومياً حتى تشترك فيه المرأة وتكون عضواً عاملاً فيه. وإني عندما فكرت بإمكانيات رجال سورية، فكرت ايضاً بإمكانيات المرأة السورية التي كانت في ادوار تاريخنا الخاص، عاملاً اساسياً في تقدمنا ورقينا، وفي تلك المدنية التي وزعناها على العالم.

قد يعجز الرجل أن يدرك بعقله ما تستطيع المرأة أن تدركه بقلبها، وكما يجب على الرجل أن يعمل في سبيل امتنا، كذلك نريد من المرأة أن تكون عضواً عاملاً في مجتمعا. نحن في حاجة شديدة إلى المرأة. إني اهنيء السوريات القوميات، هؤلاء اللواتي قد ابتدأن في الحياة القومية وفتحن السبيل لأخواتهن السوريات اللواتي نتوق منهن أن ينضممن إلى الحزب السوري القومي بالاندفاع ذاته الذي صار مع الرجل.

إني مسرور بهذا الاجتماع الصغير بعدده، ولكنه بمعنوياته كبير. إذا كان الرجال يشتغلون ويفكرون بعقولهم، فالنساء يفكرن بقلوبهن وهذا التفكير الاحساسى أو هذا الاحساس التفكيرى وهذا الاحساس المجرد من كل تفكير هو شيء جوهري في كل نهضة، وبغيره لا نستطيع الوصول إلى غايتنا.

إن لهذه الحفلة معنى كبير عندي، اشعر أنني مدين به لمن... لقد عملن في السر وفي العلن بما استطعن لخدمة القضية القومية، وقضية الحزب، وكانت نتيجة ذلك، هذا السيف المقدم لي. وأعتقد أنه مقدم لي بفكرة جلية واضحة، وإني أقبله أيضاً بفكرة جلية واضحة. قد لا نستعمل هذا السيف في الحروب، ولكنه رمز، إنه رمز للقوة التي لن نبلغ أهدافنا بدونها.

إن قضيتنا ليست قضية منطق، فخصومنا يدركون أن لنا حقوقاً، ولكن هذا الإدراك لا يعطينا حقوقنا فالحقوق، هي نتيجة نزاع الجماعات. وإذا لم نسترجع حقوقنا بالقوة فعبثاً نسترجعها، ولذلك سنكون مستعدين للدفاع عن حقوقنا.

إلى المحتفلين والمهنئين

- ايها القوميون!

إن العواطف النبيلة والاحساسات الكبيرة التي أبديتها بمنااسبة ذكرى مولدي قد وقعت من قلبي موقعاً كبيراً. فقد لمست فيها يقظة امتي وتنبهها، لأنني أدرك جيداً أن هذا الأكرام العظيم ليس مقصوداً به شخص من حيث أني إنسان موجود، بل ما أمثل من آمال الأمة ورغائبها.

إني شاعر كل الشعور بآمالكم في مظاهر ابتهاجكم وبحاجاتكم في ساعات تقدماتكم. وفي هذه الساعات التي تتوجهون بها إلي يزداد يقيني بصحة توجهي. فاشكر لكم ما اظهرتم نحوي. وإني على العهد مقيم.

ماتمان

مأم الرفيق سلمان جنبلاط

كان الموعد المعين للقيام بمراسم دفن القومي الاجتماعي سلمان نجيب جنبلاط في زرعون المتن الشمالي في الساعة الحادية عشرة من نهار الرابع من شهر اذار 1938 ولكن ترام الثلوج على الطريق اوقف موكب الزعيم في بكفيا فاضطر الى النزول من السيارة وقطع المسافة من بكفيا الى ضهور الشوير ومنها الى زرعون شاقا طريقه في الثلوج المتراكمة فلم يستطع الوصول الا عند الساعة الواحدة بعد الظهر .

كان الجميع بانتظاره وبعد الصلاة على الجثمان القى الزعيم كلمة نقتطف منها هذه المقاطع: « اننا قد اجتمعنا هنا وفي هذا الاجتماع مدلول لم يكن للاجتماعات السابقة في مثل هذه الظروف الشديدة. اننا هنا وان في وجودنا هنا معنى، هو المعنى الجديد. معنى هذا الترابط المتين الذي ربطتنا به مبادئ الحزب السوري القومي ومبادئ النهضة القومية، التي جمعتنا شعبا واحدا، امة واحدة يشترك افرادها في الجهاد للمجد ونيل الحقوق والمصالح اشتراكا تاما متضامنا في السراء والضراء .. »

« كان له فخر العاملين الاولين الذين شقوا طريق الحياة للامة. ان اسمه قد انضم الى اسماء الذين رأوا النور وعملوا في سبيل المبدأ العام والخير العام . »

وبعد ان هالوا التراب على الجثمان، تقدم الزعيم الى والد الفقيد معزيا فأجابه الوالد المنفجوع بقوة وايمان « علي واجب نحوك، يا حضرة الزعيم، وهو واجب تعزيتك بفقد جندي من جنودك المخلصين . »

مأم حسن الايوي

كان في نيتي مغادرة بيروت الى احدى المناطق الحزبية في جولة تفقد مالية للحزب

وللجريدة واذ يصل الى غرفتي احد رفقاتنا من « النخلة » الكورة يطلب مني ان احضر اليها حالا لان الرفيق حسن درويش الايوي يطلبني وهو يعاني سكرات الموت.

اعلمت فريد في الجريدة عن ذهابي وكذلك اعلمت عميد المالية وانطلقت مسرعا الى « النخلة » وقلبي يرافقتني في خفقانه وجلا اذ قد يلفظ النفس الاخير قبل وصولي. اصيب بعقصة سامة من ذبابة في شفته العليا لم تمهله. ذهبت جهود الاطباء وغير الاطباء ادراج الرياح. كانت العقصة تحمل معها الاجل المحتوم.

وصلت الى القرية مشيا على الاقدام وفي اقل من لمح البصر كنت قرب سريره. امه قابعة جنبه، انه وحيدها. حالما رأني اشتدت ونهضت لا لتصافحني بل لتقول لوحيدها « حسن، يا حسن، هذا هو جبران الذي طلبت ».

سبحانك اللهم! فتح عينيه ومجلق فيّ وحرك يده اليمنى الملقاة على السرير زاوية مستقيمة وقال وهو مبتسم « لتحي سورية ».. رددت التحية بمثل حرارته واخفيت عواظي ما امكنني ورحت احدثه علي انسيه ما هو فيه ولكن... لا حياة لمن تنادي. كانت هذه الحملقة هي الاخيرة وكانت لتحي سورية اخر ما لفظ وبيده يؤديها فكانت آخر ما حرك. كأنه كان يؤجل حكم القدر الى حين قدومي حتى يقوم بهذه الفريضة القومية فيودع بها هذا الوجود.

طلب مني الاهل ان انعيه الى الزعيم والرجاء اليه بالحضور، كان الزعيم مطالعا على صلاح سيرته وحسن سلوكه ومحبه التي قربت فريقين متنازعين في القرية لاجراء صلح نهائي. وقد ذكرت هذا الصلح في مناسبة سابقة.

نزلت عند رغبة الاهل واتصلت بالزعيم فقبل ولكن عين اليوم التالي لارتباطه بموعد سياسي، لا مندوحة عن تنفيذه. قبل الاهل بالانتظار لليوم التالي، ضارين عرض الحائط بالتقاليد التي تقضي بالدفن في اليوم ذاته.

حضر الزعيم مع بعض المركزيين في اليوم التالي فدفن حسن درويش بكل ما يستحقه شبابه الغض من اكرام واسف واتبه الزعيم بكلمة رائعة ذكر فيها اعماله واهميتها على الصعيد القومي والمحلي.

بعد الدفن انتقلنا الى منزل احد انساب الفقيد حيث تجمعت الوفود لتعزية الاهل

والزعيم وفي هذا المنزل جرى حوار اثار الحاضرين بشكل مفضوح، جرى الحوار بين الزعيم والباشا من بثوروتيج، القرية المجاورة.

«استاذ انطون، نحن ممن يحبذون العمل القومي ولنا في هذا الميدان جولات (لقب باشا ناله من الملك عبد الله - الامير آنذاك) فبدلا من ان تتعب نفسك وتجمع هؤلاء الشباب فردا فردا كان بإمكانك ان تكسب امثالي « فيتبع الباقون لانهم غير مثقفين. انهم اميون ».

- « ان تلك الايام التي كان فيها « السلطان » يمنح الالقاب وسواها ويمنح معها منطقة بكاملها يقطعها عليه. هدية، قد ولت الى غير رجعة ولن تعود. ان هؤلاء الشباب، غير المثقفين، يدركون بسليقتهم، بوجودهم الباطني، الخير والشر. فكما انك ترى الطفل ينفر من شخص دون معرفتنا السبب او يبش لآخر دون معرفتنا السبب ايضا، كذلك هؤلاء الاميون ينفرون من الاقطاع ويلقون في المبادئ السورية القومية الاجتماعية طريق الخلاص وان كانوا لا يستطيعون تحليل ذلك فلسفيا او اجتماعيا ».

لاحظ الباشا ان الجو تلبّد بغيوم الانزعاج فنهض مودعا ومعزيا. غادر المكان. ودعته وشيعته حتى خرج من نطاقنا لاني خشيت ان يحدث ما لا تحمد عقباه.

بعد الانتهاء من مراسم التعزية وقبل ان ينصرف الزعيم اياها الى بيروت دعا وجيه الايوبي الزعيم الى منزله للتعرف على القوميات الاجتماعية والقوميين الاجتماعيين من القرية في جلسة خاصة فلبّى الزعيم الدعوة وذهبنا، كلنا، الى بيته.

تم التعارف وفي هذا الوقت بالذات حصلت طرفة يجب ان تسجل لما تدل عليه من معان اجتماعية سامية لا يمكن ان تنتسى، كانت القوميات الاجتماعية محجبات فتقدم وجيه من شقيقته اولا ونزع الحجاب عن وجهها قائلا: « هذا، (مشيرا الى الحجاب) لا يجوز امام الزعيم »..

وهكذا بدأ السفور انطلاقا من هذه المبادرة التي تجرأ على القيام بها وجيه. هناك وهنأهن جميعا وقبل ما قدم له ومرافقيه من الضيافات القروية الطيبة وعاد وعدنا معه الى بيروت.

ان يوم ماتم حسن درويش الايوبي كان يوما خالدا في حياتنا القومية الاجتماعية،

خالدا الى الابد، تتوارثه الاجيال سلماً الى العز والمجد والسؤدد. ان حسن درويش الايوي خالد في المجتمع الذي عمل له ولاجله طيلة حياته وان قصيرة.

واني اقتطع من كلمة الزعيم المنشورة في الجزء الرابع من الاثار الكاملة هذه الفقرات. «نحن هنا لنودع رفيقا قوميا ارتبطت حياته بحياة رفقاءه جميعهم وعمل حياته وحياة رفقاءه جميعهم بالمعنى العام. عمل لحياة امته، ليس لمجرد انه عضو في الحزب السوري القومي، ليس لمجرد هذا الاسم، نحن هنا، لكن للصفات الحقيقية والحقائق الاساسية التي يجمعنا عليها الحزب السوري القومي والتي تدل على صفة هذا الحزب والحقائق التي تجمع المصالح في الشعب موحدة الجماعات، تربط كل فرد منا بالآخر وتولد الارادة، الارادة العجيبة التي هي ارادة المجموع تذوب فيها كل اراداتنا لتوليد القوة العامة المتغلبة الساحقة».

«لم يكن الراحل الرفيق حسن الايوي مجرد اسم في سجلات الحزب السوري القومي. انه مثل في حياته مظهرا قويا من مظاهرنا العملية في الحزب.. انه عمل لازالة كثير من العوامل المسببة لتأخر المجموع واحلال الفضائل الاساسية المتينة التي تربطنا في مصلحة واحدة وارادة واحدة. لقد عمل للقضاء على مبدأ الخلاف ووضع مبدأ الحياة، مبدأ القوة، مبدأ الحرية، مبدأ الواجب».

«ان من نتائج اعماله انه ازال الاختلافات في قريته وان فاعلية عمله تستمر بعد موته لانه قد أسسها في الحياة».

«نحن هنا لنقدر حياة الراحل في الاعمال والخدمات التي قام بها: وحدة، فاعلية، حياة، اتجاه».

«نحزن لان هذا الرفيق الذي رحل باكرا جدا، انه كان يمثل فضائل المبادئ تمثيلا صحيحا، كان يعطي لما حوله عزيمة وقوة، نحزن لان فاعليته قد وقفت عن طريق ذاته. لكننا نتعزى ان الفاعلية اثبتت وجودها في المجتمع. ان فاعلية حسن درويش الايوي قد اوجدت طريقا مستمرا لا تموت بموته».

معلومات عامة

هذا حزب

ثلاث وقائع شامية اذكرها على سبيل المثال، عن النشاط الهائل الذي كان يقوم به الزعيم في الكيان الشامي على أعلى المستويات، واضعا الحزب في الواجهة، مت دخلا في السياسة الشامية، من حكومية او معارضة.

التفت جميل مردم بك رئيس مجلس وزراء الشام الى مضيفه وقال له « هذا حزب » واخذ يروي له بحضور ممثل الحزب الرفيق مأمون اياس إعجابه بهذا الحزب. قال له « تفضل، مع ان مأمون بك هو من انسابي، اذ بين عائلة اياس البيروتية وعائلة مردم بك الدمشقية وشائج قري، مع ذلك ينتدبه انطون سعادة، زعيم الحزب السوري القومي الاجتماعي لمقابلتي ويحمله رقيا رسميا بشعار الحزب وختم الحزب يتضمن تعريفا به وبمسؤوليته الحزبية وبمهمته المكلف تأديتها لدي ».

روى مأمون اياس هذه الواقعة للزعيم عند عودته وأضاف ان تعليقه الاهم كان تصريحه له حول جدية التعامل ومستواه الرصين، البعيد كل البعد عن « الخوش بوش » وخطط العلاقات العائلية بالعلاقات السياسية التي تدوم بدوام بقائها واستمرارها او تزول بزوالها، هذا من جهة ومن جهة اخرى تقدير رئيس الوزراء للتخاطب معه من موقع المؤسسة لا من موقع الزعامة، زعامة الشخص او زعامة الفرد مع المحافظة على كل القواعد السارية المفعول في اصول التوجه الى السلطة.

تدبير وقائي

طلب الزعيم من المنفذ العام فوق العادة، فريد مبارك أن يستأذن رئيس المجلس النيابي فارس الخوري بمقابلته في مكتبه، في الندوة البرلمانية ففعل.

بعد اتمام هذه المهمة بقي فريد في الخارج تأدبا، اذ لم يكن محسوبا في عداد الوفد المؤلف من الزعيم والرئيس نعمة ثابت ولكن ما انقضت برهة من الزمان حتى جاء من يدعوه الى الدخول.

اهم ما بقي عالقا في الذهن مما جرى من احاديث وابحاث هو اجوبة الزعيم على اسئلة ناظم القدسي.

- « لماذا أسست حزبك سرا، اليس في هذا العمل نوع من التهرب او عدم المجاهبة؟ ».

- كلا، ان سرية التأسيس كانت تدبيرا وقائيا لا اكثر ولا اقل. كالجنين يبقي في بطن الأم تسعة اشهر ليصير النور او كالنبتة يضع حولها المزارع سياجا يحميها من التعديت الطبيعية او من الحيوانات حتى تنمو وتعصي ».

ثم انتقل الحديث الى امور متشعبة اخرى، كان فارس الخوري يثني خلالها على الزعيم وعمله في سبيل الامة ووحدتها ومركزها في الوجود.

تذمر

كان الشهبندر، الزعيم الشامي الراحل، قد سمحت له السلطات المنتدبة بالعودة الى الشام من مصر حيث كان شبه منفي. جرى ذلك في اثناء عهد الانتقال من الانتداب الى عهد المعاهدة والاستقلال.

كانت السلطات الاجنبية والوطنية ترصد تحركاته وكانت تحيطه بجواجز ظاهرها المحافظة على الامن. كان لا بد للزعيم من الاتصال به بالرغم من هذه العقبات المصطنعة فتم له ذلك سرا عن طريق الرفيق هاني الجلاد. هذا المواطن الدمشقي الذي اعجب بالحزب فانتمى اليه باذن خاص لتجاوزه السن القانونية التي ينص عليها الدستور الحزبي.

رتب الجلاد هذه الزيارة التي قال عنها الزعيم في حينه انها كانت ناجحة جدا. اتفقا في هذه الزيارة على دوام الاتصال والتشاور في الامور السياسية الراهنة وبخاصة ان الدكتور شهبندر او الحكيم على لغة الزعيم، حمل لواء المعارضة للكتلة الوطنية.

ثم جرى ذلك التجمع الذي نوهت عنه في مقطع سابق ولكن الزعيم ابدى تذمره

من زيارة اخرى قام بها وفد من الحزب شكله الزعيم لمتابعة الاتصالات وهذا التذمر نشأ من حوار غير موفق ورط الوفد نفسه فيه حول العقيدة السورية القومية الاجتماعية والعروبة والكيانات والحدود الطبيعية للأمة، الخ... بدلا من ان يستمر الحوار والبحث على اساس سياسي واقعي لاعلاقة له بهذا الجدل الذي لايفيد في هذا الحقل بل قد يضر.

ليس المجال هنا مجال تبشير. تذر الزعيم من المزج بين العقيدة والسياسة.

صياغة قانون

كان الزعيم في منزل الرفيقة وداد ناصيف. كانت قد المت به وعكة الزمته الفراش ومع ذلك كان يستقبل البعض. من هذا البعض الرفيق عبد الله محسن، الرفيق فريد مبارك والرفيق ادمون عبدو. كانوا في جهاز م. ا. م. وقد رغب الزعيم ان يضع لهذا المكتب قانوناً فكلفهم بصياغته.

انفرد الثلاثة واخذوا يتداولون ويبحثون ويتأملون ويفكرون ثم ذهبوا اليه يعرضون نتاج اجتماعهم.

اطلع على ما جادت به قرائحهم وابتسم. توجه الى الرفيق عبد الله محسن وقال له «اكتب».

« ان زعيم الحزب السوري القومي الاجتماعي بناء على المواد ... من الدستور.

يرسم ما يلي:

مادة اولى: وراح ينص عليه مرسوما تضمن المواد القانونية لعمل المكتب الاعلى المختص، اي م. ا. م. ».

كان ينصّ بعبارة واضحة وصريحة. ما احتاج ان يراجع كلمة واحدة مما املاه وفي النهاية كان المرسوم القانون. (المؤسف ان النص مفقود).

في السينما

كانت عمدة المالية قد قامت بعدة مشاريع مالية. مثلاً مشروع اليانصيب على

جهاز راديو كما مر بنا وكذلك مشروع التعامل مع مطعمين يجريان حسبا لكل زبون قومي اجتماعي. احدهما كان مطعم أبو عفيف في ساحة البرج والثاني كان مطعم النابلسي « فلسطين » في ساحة « عالسور ». الحسم عند الاول 15 بالمئة وعند الثاني 20 بالمئة. يتوجب على القومي الاجتماعي ابراز بطاقته المالية عند الدفع فاذا كان مسددا اشتراكه الشهري فاز بالحسم والا فلا. ولكن اهم مشروع قامت به هو مشروع ضمان احدي حفلات سينما.

وقع الاختيار على فيلم الاسبوع لسينما الاوبرا. تحدد الموعد ووزعت البطاقات فنفدت كلها. كانت نفوس القوميين الاجتماعيين عطشى للظهور العلني في المحلات العامة وعلى رأسهم زعيمهم، لذلك كان الاقبال منقطع النظير.

كانت الحفلة قبل ظهر يوم احد وفي الموعد المعين وصل الزعيم وكنت اتفقت مع ادارة السينما على عدم البدء الا عندما اعطى الاشارة ولذلك ما كاد الزعيم يطأ ارض الصالة الا وقد كان صوتي من على المنبر يدوي بايعاز التأهب واداء التحية للزعيم.

كان المنظر رائعا. وكم ندمت اني ما فكرت باستحضار آلة تصوير تسجل ذلك المشهد البديع. لا فراغ في المقاعد. مشغولة كلها. الانضباط لا مثيل له. ما ان اعطيت الايعاز بالاستقامة حتى نهض الجميع منتصبين وقوفا كالرجل الواحد وما ان هتفت بعد التحية السورية بتأدية التحية لسعادة مع لفظة يجبي حتى دوى الجواب بصوت واحد سعادة تردّد صداه اطراف القاعة الفسيحة الارحاء.

وعند انتهاء الفيلم جرى له توديع حافل اذ اصطف الحضور من قوميين واصدقاء صفين حتى المدخل الخارجي يؤدي التحية وهو يجيهم جوابا تحية مستمرة الى ان اجتاز الصفين واصبح في الشارع حيث امتطى السيارة وانصرف. كان النجاح باهرا، ان ماليا او معنويا، شملتنا غمرته كلنا دون استثناء زعيما واعضاء وحضورا.

دمعتان

جرى ذلك في مكتب الحزب في شارع المعرض. كنا ثلاثة في المكتب، وفي ذلك النهار، قرب الظهر. الزعيم، الرفيق يوسف الخال، وانا.

كان ذلك اليوم يوم عطلة عيد الأضحى، ان لم تحن الذاكرة. كان الجامع العمري

الكبير يغصّ بالمصلين وبالذين حضروا للتفرج. في هذا العيد يأتي ممثلو الهيئات الرسمية من الدول العربية والاجنبية لتقديم التهانى.

انتقل الزعيم الى الشرفة المطلة ليتفرج، انتقلنا، نحن الاثنان، معه، نشاركه الفرجة. بدأت الشخصيات الرسمية تفد بعد الهيئات الحكومية. عند مدخل الجامع ثلة من الشرطة تؤدي التحية ثم اقبل السفراء فكانت الجماهير تستقبلهم بالتصفيق والتهنئات. يزداد التصفيق والتهنئات لهذا من البعض ومن البعض الآخر يخف. كل حسب ميله. حتى الان كان الوضع طبيعيا.

واذا بالزعيم يقول لنا «انتظران؟ هذا هو السفير التركي! تحمله الاكف الى الاعلى، على الاكتاف، ويهتفون له ويصفقون. ما هذا الغباء! ما هذا الجهل! تركيا تبتلع الاسكندرون وهنا امام الجميع تحمل الناس سفيرها! ما هذا التناقض!».

لم يقدر الزعيم ان يستمر بالتفرج فانسحب بعد ان لفظ «تفوه، شو هلمشهد!» وترقرقت دمعتان على خديه.

انا ويوسف، وقفنا صامتين خاشعين امام هذا الاحساس المرفف المتألم ولم ننسب بينت شفة.

للتمويه

وصدر مرسوم بطرد الرفيق قاسم حاطوم فما كنت اصدق. لم يكن بعلمي انه ارتكب اية مخالفة او انه خرج على العقيدة او النظام ولكن ها هو المرسوم واقع لاجدال فيه.

عشنا حاولت ان اكلمه او احده عندما كنا نلتقى صدفة في الشارع او في احد المنازل. كان يبتعد عني، مطبقا من جهة عقوبة الطرد أي الامتناع عن الاتصال او الحديث مما زاد ريبتي في الموضوع.

بقي الشك يساورني ردحا من الزمن ثم غابت المسألة عن فكري. غادر الزعيم الوطن وقاسم حاطوم مطرود انما بعد غياب الزعيم لان تصلبه وصار يبتسم عند الملتقى الى ان كان يوم ولا كالايام.

«ان طردي كان تمويها. ولم يعد بامكاني ان اتحمل اكثر مما تحملت. وها هو غائب. لن تصدقني. من يعمل على اعادتي الى الصفوف؟».

طبيت خاطره ما وسعني وشيئا فشيئا بدأت تزول مواقف المقاطعة وما ان اطل
الزعيم بعد تسع سنوات حتى افرج عن قاسم حاطوم نهائيا .
قام بمهمته كضابط ارتباط بين الزعيم والاعضاء العسكريين السريين (وهو مطرود
تمويها) خير قيام .

تقييم

كان مستلقيا على السرير في قيلولة له في غرفته في منزل الامير امين ارسلان . كان
يطالع ديوان شعر لصلاح لبكي . جئت لأسأله رأيه في امر ما .

عندما دخلت عليه وضع الكتاب جانبا . تباحثنا في الأمر الذي قابلته من اجله .
قبل ان انصرف سألته عن رأيه في الديوان الذي يقرأ فيه . قلت له : « حضرة الزعيم ،
تقرأ ديوان صلاح ؟ » . فتفرس في كمن يقول وهل في ذلك عجب ؟

كنت استحسن شعر صلاح لبكي كما اني كنت استصوب رأي الزعيم الادبي وهذا
ما دعاني الى طرح هذا الاستيضاح . بقي سارداً حيناً من الوقت ثم التفت الي وقال لي
وهو يقلب شفتيه : « لايمت الى الروح القومية بصلة لا في منظومه وهو عضو في
الحزب ولا في منظومه وهو خارج الحزب » .

انتظرت قليلا لعله يزيد على هذا القول اي شرح آخر ولكني وجدت ان من
الكلام ما قل ودل فانصرفت . عدت الى ديوان صلاح اتصفحه من جديد فما كان
بوسعي ان اغير رأبي الايجابي فيه بالرغم من احترامي وتقديري لرأي الزعيم .

اخيرا ، استنتجت وقد يكون استنتاجي مصيبا ، ان الزعيم كان ينظر الى اي شيء
من خلال المجتمع واطباعه وامراضه ، مفسده ، امكاناته ، تطلعاته . فمن هذه الزاوية
لايصور الديوان اية حالة من هذه الحالات اما من الناحية الشخصية فانه كان ينظر الى
الفرد من خلال التزامه بالقسم فمتى خرج عليه فهو خائن . وهل يصدر عن الخائن امر
صالح ؟ هذا هو اساس التقييم لدى الزعيم .

اني ، اليوم ، افهم بوضوح اكثر هذا الاساس . ولكن في ذلك الزمان . فهمته من
حيث الالتزام والخروج مع استثنائي « الخيانة » ولكن ما فهمته من حيث التعبير عن
المجتمع . ولذلك بقي شعر صلاح شعرا جميلا في نظري ، شعرا رقيقا فيه الكثير من
العاطفة والرقّة والخيال .

ولكن هل كان يطغى على تفكير الزعيم خروج الشخص على النظام الحزبي وولائه للعقيدة على اي اعتبار آخر؟ قد يكون ذلك صحيحا في السنين الاولى وسنوات التركيز والبناء بعد التأسيس لأنه في الاربعينات والخمسينات عالج مصير اشخاص عديدين بتوعدة وصبر وحنان اكثر بكثير من ذي قبل.

انني اليوم افهم قواعد هذا التقييم بعمق ونضوج اكثر من ذي قبل ايضا وذلك بعد الممارسة والاختبار.

تهنئة جبران تويني

قال لي الزعيم « هل قرأت مقال جبران تويني اليوم في النهار؟ » قلت « كلا » قال « اقرأه » وناولني الجريدة. قرأته. كانت اهمية المقال انه جاء موافقا ومنسجما مع مقالات كان يكتبها الزعيم في « النهضة » تحت باب « رأي النهضة » دون توقيع. كانت هذه المقالات تتناول وضع المجالس النيابية في الجمهورية اللبنانية وعدم تمثيلها للشعب اللبناني من جهة وعدم تعبيرها عن الديموقراطية الصحيحة الحققة من جهة ثانية عدا عن الاستبداد والطغيان للحكم واصحابه وتعسفهم الكيفي في الامور.

قال لي الزعيم « ارى ان تذهب الى جبران تويني وتهنئه باسمي على هذا المقال ». قلت له: « ليس بيني وبينه معرفة شخصية. كل ما هنالك اني اعرف ان هذا الشخص هو جبران تويني ».

قال « لا يهم، انك ستقابله منتدبا من قبلي وهذا يكفي. قد تكون هذه الزيارة فرصة مناسبة لتعارف اوثق وامتن ». غني عن البيان اني نفذت المهمة بكل امانة ودقة وما زال اذكر دهشته عندما ابلغته تهنئة الزعيم على ذلك المقال.

قال: « ارجو ان تبلغ حضرة الزعيم، شكري وامتناني على تهنئته فان له قيمة خاصة في نظري لصدورها عن شخصية من وزنه، لها عندي كل تقدير واحترام، اني لم اعبر في مقالي الا عن واقع الحال ».

كرمني جبران تويني وودعني بالطف مما استقبلني به ونقلت الى الزعيم خلاصة مجردة عما جرى فسرّها بها وهنأني بدوره على حسن الاداء اعتبرت تهنئته لي تشجيعا يحفزني للتكرار في أي وقت كان.

في كل اتجاه

في مكتب الحزب في شارع المعرض على الشرفات التي تحيط بالطابق كان احد الاشكال على البلكون يشبه شكل الزوبعة ولكن بخطوط مستقيمة متوجهة الى اليسار لا الى اليمين.

مرة، لفت احد الرفقاء نظر الزعيم الى هذا الشبه مع ملاحظته ان هذه الزوبعة تدور بالمقلوب فكان جواب الزعيم الفوري « ان الزوبعة تدور في كل اتجاه ».

انا رصاصة

كنت ارافق الزعيم الى زيارة شخصية سياسية مكتبها في جادة الفرنسيين - الزيتونة - واذ نلتقي صدفة بالرفيق غندور كرم القادم باتجاهنا على الرصيف نفسه. كان الرفيق غندور كرم معاقبا بفصل اداري موقت لمخالفة ارتكبتها في نطاق تنفيذية دمشق.

تعهد الرفيق غندور التحرش بالزعيم فأدى له التحية الرسمية وارفقها بعباراة « وان كنت مفصولا » فرد له الزعيم التحية وقال له « لا بأس ». حاول ان يشرح له ولو باختصار سبب هذا الفصل ولو على الطريق فامتنع الزعيم بلطف وطلب منه ان يحضر الى مركز الحزب ويشرح له ما يريد. قبل الرفيق غندور وختم كلامه قائلا: « يا حضرة الزعيم، ان الرفيق غندور كرم الذي صرح في المحكمة جوابا على سؤاله « ما هي وظيفتك في الحزب؟ » وصرح « اني رصاصة في مسدس الزعيم يطلقني حيث يشاء »، ان الرفيق غندور كرم، هذا، باق على ما كان عليه مفصولا كان او بلا فصل ».

افترقنا بعد التحية والزعيم يقول له « جيد، جيد، في المكتب سنرى، في المكتب ».

مشكلة الاسم

في الادارة حدثت النادرة التالية حول اسمي. ففي صباح أحد الأيام وقد بكرت يومها على غير عادتي الى ادارة الجريدة وقبل ان يبدأ الزعيم بكتابة مقاله، استدعاني على حدة مستفهما مني عن سبب بروز اسمي على الجريدة.

استغربت سؤاله لأول وهله ولكني تذكرت، على الفور، اني لم أستأذنه في ذلك بل كنت تحدثت في شأنه مع الرفيق فريد مبارك فوافق على ذلك.

أجبتة بكل بساطة: «حضرة الزعيم، تعددت المراجع التي تتلقى المراسلات الواردة الى الجريدة وكذلك حوالاتها المالية مما يسبب عرقلة تضاييق الادارة اكثر الاحيان وخصوصا في الحوالات المالية لذلك رأيت ان احصرها كلها في بصفتي المسؤول الاداري والمالي وقد بحثت هذا الامر مع الرفيق مبارك فوافق». وقمت الى احد اعداد الجريدة احمله اليه وادله الى العبارة الواردة مع اسمي - جميع المخابرات والمراسلات باسم مدير الادارة، جبران جريج -.

يبدو انه اقتنع من جوابي لأنه لم يصدر لي أي أمر بهذا الخصوص أما الذي عرفته فيما بعد ان «أحدهم» لفت انتباهه الى ابراز اسمي في الجريدة وقد عزا ذلك الى حب الظهور. ومن الطبيعي، في جريدة حزبية، أن تبقى الأسماء ضمن اطار النهضة، فلا بروز ولا ظهور لأي شخص من الاشخاص. فكل ما يصدر فيها يعبر عن رأيها ويكتب باسمها فما معنى اسم جبران جريج؟ هل هي فردية أم أنانية؟

انتهت في جيب الزعيم

وهذه نادرة أخرى ادارية ولكن تتعلق بالرفيق فريد مبارك. كان الرفيق عبد الرحمن بشناتي مكلفا بتوزيع عدد معين من جريدة «النهضة» الى اصحابها المشتركين، ولسبب ما توقف الرفيق المذكور عن العمل وامتنع في الوقت نفسه عن تسليم قائمة المشتركين، أولئك، الى ادارة الجريدة ليصير تسليمها لسواه.

كل المحاولات الرضائية فشلت وبقي الرفيق المذكور متمتعا في موقفه لا يتزحزح مما أخرج الرفيق فريد فأخرجه.

انذره للمرة الأخيرة بالتسليم واذ جاءه الرفض جوابا انبرى له بل انقض عليه صافعا ومنتزعا تلك اللائحة منه بالقوة.

الغريب ان الرفيق المذكور، بعد حصول هذه الواقعة عاد الى تعقله وراح يقوم بمهمته حق القيام ولكن من جهة أخرى قدم شكوى بحق الرفيق مبارك الى عمدة الداخلية لتصرفه هذا الذي اعتبره خارجا على القواعد المسلكية في الحزب.

قامت عمدة الداخلية بواجبها تجاه الشكوى فارسلت الى الرفيق المدعى عليه

قائمة تطلب منه الجواب عليها. بدأت بالتحقيق مما ازعج الرفيق فريد المعروف بانضباطه.

واذ هو في هذه الحال من الانزعاج يحضر الزعيم الى الجريدة لكتابة مقاله اليومي فيلاحظ وضع الرفيق فريد المرتبك فيسأله عن السبب.

سرد له ما جرى بالتفصيل، غير مخف عنه شيئا، معترفا بتصرفه هذا الذي املته عليه الظروف التي راح يشرحها ويبررها بكل ما عنده من فصاحة وبلاغة.

طلب الزعيم منه قائمة الاسئلة. القى عليها نظرة سريعة ووضعها في جيبه وراح يتهيأ للتحرير.

سأله فريد عن مصير هذه الأسئلة الطويلة العريضة فأجابته الزعيم « انتهت في جيب الزعيم ».

الدين المشكلة

وقعت أمر الصرف وارسلته الى الخزانة العامة فعاد الي « مرتجع مع الشكر » أي بكلام آخر لا سيولة في الصندوق. اسقط في يدي فالمبلغ لاغنى عنه. اخرجت في موقفي.

اخذت افكر في حل. تذكرت الأمين الدكتور محمد أمين تلحوق وانه يكون قد قبض معاشه (تعويض خدمة قضاها في السودان) وان لم يفت الوقت بعد لاتداركه قبل توزيعه دفعات، هنا وهناك، فقصدته الى عاليه.

بعد شرح الغاية التي من أجلها تشرفت بزيارته وبعد تفهمه للموضوع (وقد كان من جماعة « ان اللبيب من الاشارة يفهم ») لباني وحرر لي حوالة بالمبلغ على المصرف.

عرضت عليه امر الصرف بالمقابل فأبى بكل اعتزاز وفخر فثقتة بي لاتحد والمبلغ، مهما تكن قيمته، لا يستحق ان تسري عليه معاملة مقايضة من هذا النوع فخرجت واعتذرت.

عند ورود أول مبلغ الى الخزانة العامة سددت للدكتور تلحوق دينه مشكورا ولكن اين كان لي ان اتنبأ عن وجود مشكلة وراء هذا التصرف !!

دعائي الزعيم الى المركز هاتفيا من مكتب الجريدة فحضرت حالا . واذ يفاجئني على طريقته المعهودة معي، بصراحة وببساطة، بسؤال «لماذا استقرضت مبلغا من الدكتور تلحوق؟» .

اجبته، على طريقيتي المعهودة، ايضا، «لاني كنت بحاجة اليه للجريدة» وسردت على مسمعه المسألة، دون تنميق أو تزويق، فابتسم ابتسامته المطمئنة الى ان تصرفي سليم.

سألته بدوري عما حدا به الى هذا التحقيق والمسألة لم تتعد نطاق المعاملة العادية بين رفيقين مسؤولين لاستباق الوقوع في مشكلة مالية قد يكون لها من الذبول ما هو أسوأ من المشكلة نفسها .

أجابني ان عميد المالية غير مطلع على هذه التفاصيل فاحب ان يلفتني الى هذا الموضوع الذي من شأنه ان يثير مضاعفات على الصعيد الحزبي النظامي في حالة عدم تسديد الدين فيصبح هنا دين وهناك دين وهناك دين، ديون بديون بديون فتسوء السمعة المالية وهناك الطامة الكبرى. لم يكن العميد على علم بالتسديد المعجل .

تضايقت من العميد فانا وكيله وكان بإمكانه سؤالي عن الموضوع بدل رفعه الى الزعيم ولكن لم افاتش العميد واكتفيت بما كان بيني وبين الزعيم .

رأي في وحدة الكنيسة

والآن نعود الى الكيان اللبناني لتتابع المسيرة التي كانت ما تزال تدغدغها المهادة وبهذه المناسبة اذكر رأيا للزعيم في وحدة الكنيسة الارثوذكسية التي كانت تعصف بها رياح الانفصال او الاستقلال .

كان سيادة المطران ايفانوس زائد حاملا لواء الكنيسة الارثوذكسية المستقلة على اثر حادث جرى له ليس هنا مجال ذكره .

التقيا في طرابلس في احد المنازل وكان حاضرا بعض الاحبار وبعض الشخصيات العلمانية ودار البحث، بطبيعة الحال، حول موضوع الساعة، موضوع الازمة القانونية في كنيسة انطاكية وسائر المشرق للروم الاثوذكس .

وتشعبت الابحاث والأحاديث، واحتدّت حيناً وبردت أحياناً والزعم يستمع، يصغي الى ان هدأ الجو بعد ان افرغ الحاضرون ما عندهم من تأييد وحماس أو انتقادات واقتراحات من سلبية او ايجابية .

ويلتفت بعض الحضور الى سعادة يستطلع رأيه في الشأن المطروح على بساط البحث فما كان منه الا ان لّبي باختصار موجها المناقشة الى امر اساسي حول المسيحية وكثرة طوائفها واجتهاداتها من مارونية او كاثوليكية او انجيلية، الخ وضرورة السعي الى وحدة الكنيسة تحت اسم « الكنيسة المسيحية السورية المستقلة » لا الارثوذكسية المستقلة، فتنتهي مقاطعة طائفة مسيحية لطائفة مسيحية اخرى، لدرجة العداء كأنها دولتان تتحاربان بينما هم أبناء وطن واحد اولاً واخيراً .

مجلة بريطانية

نشرت مجلة «بريطانية العظمى والشرق» في عددها الصادر بتاريخ 14 نيسان مقالا بعنوان « نمو جمعية سرية في لبنان »، الحزب السوري القومي . والمجلة تعنى بشؤون الشرق من وجهة نظر بريطانيا وكاتب المقال السيد نيفيل بربور يهتم بقضايا الشرق الادنى ويبحثها بحثاً فيه كثير من التجرد العلمي . ترجمة هذا المقال منشور في العدد 153 من جريدة « النهضة » تاريخ 4 ايار 1938 واني اقتطف من الفقرة الختامية « علينا ان نعترف بان نجاح سعادة في اكتساب هذا العدد الكبير من الاتباع المخلصين كان مدهشاً، والحركة هي بنفس الوقت ظاهرة من الظواهر التي تدل على الاستياء الشديد الذي يشعر به الجيل الحديث في الشرق الادنى وخصوصاً في لبنان، فالالوف من الشبان تبحث عن مثل اعلى من نفس البلاد تكافح لاجله، لايجاد قضية قوية تحفظ شخصيتها وتبرزها وتؤدي الى استقلالها عن المداخلة الاجنية » .

مأدبة

بعد احتفالات اول اذار العامرة جاءت دعوة من «جماعة اكسفورد» للزعيم لحضور مأدبتها التي اقامتها على شرف رئيسها التي حضرها ايضا نخبة من اساتذة الجامعة الاميركانية ورئيسها بايار دودج وقد جرت مقابلة بين رئيس الجماعة والزعيم الذي بادل دعوته بدعوة خصوصية في فندق سان جورج، كان ذلك قبل سفر الزعيم بقليل .

الى الدكتور شارل مالك

بمناسبة ذكر رسالة الزعيم الى الدكتور شارل مالك تاريخ 10 نيسان 1938 انقل ما جاء في مقدمة نشرها في سلسلة النظام الجديد، العدد الاول، مارس 1948، المجلد الاول، لما فيها من وصف مفيد للوضع الفكري الذي كان سائدا في تلك الاثناء.

« كان ظهور تعاليم النهضة السورية القومية الاجتماعية في هذه البلاد حدثا خطيرا جدا، لانه اوجد، لأول مرة في تاريخ هذه الامة الحديث، قضية الفكر الفلسفي الاساسي، ووضع امام العقل السوري قضايا الحياة والوجود الاساسية الكبرى وقضايا الحياة العملية. ولكن الغفلة عن قضايا الفكر والحياة العظمى ابقت هذه الحقيقة محجوبة عن الادراك والمعرفة. ولم تتمكن الحركة السورية القومية الاجتماعية في بادئ عهدها، من الانصباب على قضايا الحياة والكون والفن، التي تقدم تعاليمها نظرة واضحة اليها، نظرا للظروف السياسية العنيفة - ظروف العراك السياسي الشديد الاول - التي لازمتها في بدء عملها، مع ذلك فان الحركة القومية الاجتماعية، وهي الحركة السلبية بطبيعتها التي لا تخضع لامر مفعول ولا تسلم لقوة اخرى او فرض غريب، لم تقف جامدة تجاه القضايا الكبرى ولم تتخل عن اثبات نظرتها الى الحياة والكون والفن بالفعل والقول حتى في اشد الظروف حرجة.

في عززال ناء عن العمران، وفي كوخ حقير في بيروت قائم وراء دار المرحوم الاستاذ جرجس المقدسي في الشارع المسمى «جان دارك» في رأس بيروت، وفي طرقات حديقة الجامعة الاميركانية، كان الزعيم يعلم ويلقي دروسه على تلاميذ دعوته الاول. وفي ذلك الاجتماع القومي الاجتماعي الاول الذي حضره وفود من الحركة

القومية الاجتماعية، المنعقد في اول حزيران 1935 القى الزعيم خطابه المنهاجي الاول الذي هو اول شرح مثبت لمبادئ الحركة القومية الاجتماعية واطهر فيه نواحي هامة من النظرة القومية الاجتماعية. ثم تلا ذلك تأليف الكتاب الاول من مؤلف «نشوء الامم» في ربيع سنة 1936 في سجن الرمل. وتلاه كتابه «شرح المبادئ» في صيف سنة 1936 في سجن الرمل ايضا. ثم انشئت الندوة الثقافية في الحركة القومية الاجتماعية في خريف سنة 1937 للابحاث الثقافية ولنقل الفكر من السطحيات ومسائل الادراك العادي الى الاساسيات وقضايا العقل العلمي والفلسفي.

في سنة 1937 ظهر في بيروت الدكتور شارل مالك (دكتور في الفلسفة) وارتبط في الجامعة الاميركانية لتدريس الفلسفة في صفوف التمهيد العلمي. على ان يصير للفلسفة فرع تخصصي كامل لرتبة البكالوريا. واتصل الدكتور شارل مالك بالزعيم في اواخر سنة 1937 واولئ سنة 1938. وفي اول مقابلة جرت بين الزعيم وبينه. في منزل الامين فخري معلوف، طرح على الزعيم اسئلة في صدد القضية القومية الاجتماعية ذات طبيعة فلسفية. وبعد ان اجاب الزعيم على اسئلته اعلن الدكتور مالك انه قد وجد نفسه امام قضية واضحة كاملة لها كل الجذور والفروع الفلسفية التي تجعلها قضية صحيحة ذات نظرة واضحة. وقد تأسف جدا افراد عائلة معلوف لانهم لم يفتنوا لوجوب تدوين الاسئلة التي طرحها الدكتور مالك واجوبة الزعيم عليها.

على اثر تلك المقابلة نشأت بين الزعيم والدكتور مالك صداقة. واقترب الدكتور مالك بالفكر والروح من النهضة القومية الاجتماعية التي اوجدتها تعاليم سعادة واهتم كثيرا لها. ولما انشأ نادي الابحاث الفلسفية في الجامعة الاميركانية في اواخر سنة 1937 او اوائل سنة 1938 صار الامين السابق فخري معلوف وغيره من القوميين الاجتماعيين اكثر المقربين اليه، حتى انه اعترف اكثر من مرة للامين السابق معلوف انه يرى في القوميين الاجتماعيين ميزة فكرية صحيحة ويجد فيهم اقوى عناصر الفكر. ولما قدم بيروت صديق اميركاني للدكتور مالك متخصص في الفلسفة وفي الادب اهتم الدكتور مالك بجمعة الى الزعيم وقدم به في موعد معين ذات مساء الى بيت معلوف حيث جرى بعد العشاء بحث فلسفي طويل كان الزعيم في جهة منه والدكتور الاميركاني (الذي لا يحضرنا اسمه الآن) والدكتور مالك في جهة اخرى. واستمر البحث الى ما بعد منتصف الليل. وفي ختامه قال المفكر الاميركاني للزعيم: «اني لم اجد في جميع من

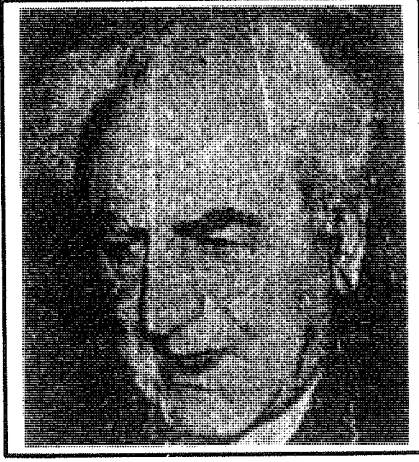
اجتمعت بهم وناقشتهم من قبل ما وجدته في نظراتك وحججك من قوة البيان ودقة النظر ومثانة الفكر والحجة». وصار الدكتور مالك يقول: «يتضح انكم تأملتم مليا تأملا عميقا في هذه القضايا الاساسية».

كان موقف سعادة في البحث المقدم ذكره، قوله بضرورة المعرفة للحقيقة وعدم كفاية الوجود غير العاقل في ذاته لتكوين قيمة الحقيقة، لان الحقيقة قيمة فكرية تحصل في العقل او الضمير بواسطة المعرفة فقط. وكان موقف الدكتور مالك والدكتور الاميركاني ان الحقيقة تقوم بلا معرفة كالاقتراض ان جبلا في القمر قد اندك بركان او زلزال او ما شاكل فلا حاجة لرؤية ذلك ومعرفته ليكون قد حصل. وقد وجه الدكتور مالك الى الزعيم، فعلا هذا السؤال: «اذا افترضنا ان زلزالا حدث في القمر ودك جبلا فهل يكون الجبل اندك او لا يكون؟» فأجاب الزعيم: «ان افتراض المجهول لا يكون حقيقة. فلا استطيع القول ان جبلا في مكان ما اندك او لم يندك. وان زلزالا حدث، الا بالمعرفة الصحيحة فقط». وواضح ان موقف سعادة هو موقف الفيلسوف المعتمد العقل والمعرفة بينما موقف مناظره كان موقف الحدس والتخمين الذي يجعل افتراض المجهول قاعدة للحكم.

ومع ذلك فان مثل المحادثة المتقدمة لم يباعد بين الزعيم والدكتور مالك، بل بالعكس قرب بينها.

حوالى هذا الوقت القى الدكتور شارل مالك، في كلية البنات، الجامعة الاميركانية، خطابا بالانكليزية عنوانه «معنى الفلسفة» وقد قدم نسخة منه هدية الى الزعيم. فقرأه الزعيم وكتب الى الدكتور مالك الكتاب الذي ثبت نصه في ما يلي. وهو كتاب يعد وثيقة فكرية هامة تظهر اهتمام الزعيم بقضايا الفكر والتوجيه الفلسفي. وفيه من الملاحظات والارشادات الدقيقة ما يجعل قيمته عالية جدا. وان من حسن التقادير ان تكون نسخة كتاب الزعيم الى الدكتور شارل مالك، التي نسخها الامين السابق فخري معلوف، قد بقيت محفوظة مع اوراق حزبية ننشرها الان حرصا عليها من الضياع واظهارا لقيمة الكتاب».

اما الرسالة فمنشورة في الاثار الكاملة، باب الرسائل، الجزء الاول وهي منشورة ايضا مع هذه المقدمة في الجزء الرابع من الاثار الكاملة. واني هنا انقل التعليق التوجيهي الذي ختم فيه الزعيم رسالته فيقول:



الدكتور شارل مالك

« واعتقد انك انت، ايضاً، ستظل تحدق، حتى خلال هذه الاسماء، وتغوص على هذه الحقائق والمرامي في اعماق نفسك وتحس تياراتها الخفية الجارية من تحت الطبقات التاريخية المطبقة عليها فتكتشف نفسك - نفسك الاصلية بكل جمالها وكل قوتها - فتخرج فيلسوفاً لا ناقل فلسفة.. وحينئذ تجد الحلقة المفقودة بين الفلسفة والادراك العادي وتدرك الرابطة بين الفيلسوف وامته، وبين حيوية امته وقبول الشعوب القريبة منها » .

النسب الحزبي في الفرج

1911

في بيروت

ومن بيروت يبدأ جميل هرموش وهو من الشوف ويعمل في بيروت حيث اطلع على مبادئ الحزب فافتتح وأمن وانتفى اليه، يبدأ بالعمل التبشيري فيصل به هذا العمل الى جبل حوران، الى السويداء، الى صديقه جاد الله العيسى الذي يصبح اول عضو في منطقة جبل حوران ويسير على طريق رفيقه وصديقه جميل وهكذا وضع الأساس لإنشاء أول فرع فيها.

وختاما للكلام عن تنفيذية بيروت اضيف واقعة طريفة تدل على الاسلوب الخسيس الذي كان متبعاً في محاربة الحزب. كان الرفيق فرج الخوري مستأجراً غرفة عند الخوري يوسف مهنا. مرض يوماً وكثر عائدوه في مرضه وبالطبع اكثرهم من رفقائه. راح الخوري مهنا يسجل اسماء الزوار، الواحد تلو الآخر بطرق مختلفة فاستطاع ان يجمع خمسة وستين اسماً. لاحظ الرفيق فرج عجقة البونا فخامرته الشك في الامر واستوضح منه سر المسألة فأبى الكاهن التوضيح وأراد ان يخفي قائمة الاسماء بين ملابسه ولكن الرفيق فرج انتزعها منه بعنف بعد جهد كاد يؤدي الى ما لا تحمد عقباه وأخيراً اجاب الاب المحترم انه يريد ان يقدمها الى سيادة المطران حتى يحرمهم من الدين!!!

هذا من جهة اما من جهة اخرى فقد تقدم المحترم المذكور بوشاية الى رجال الشرطة أن القوميين الاجتماعيين يعقدون اجتماعاً سرياً في منزل الرفيق فرج الخوري فداهمت الشرطة المنزل وقد تبين لها عند التحقيق ان الاجتماع السري المزعوم كان كناية عن سهرة اجتماعية بمناسبة عيد أول اذار. الخلاصة لم يتم الرفيق فرج في الحبس كما كان يشتهي الكاهن المحترم.

على الصعيد السياسي المحلي كان المحامي الناشئ جميل مكاوي يشق طريقه بأسلوبه

الخاص الذي اصطدم في سيره بعد عدة جلسات نقاش وبحث مع السوريين القوميين الاجتماعيين في مديريةية جبل النار - البسطة - اذكر منهم الرفيق محمد شامل فأعلن خصومته للحزب وبدأ يفكر بتأسيس تنظيم خاص به كما ان الدكتور عبد الله اليافي الذي بدأ نجمه يتألق - كما مر بنا - ازداد نفوذه البيروتي بعد ان صار رئيسا للحكومة.

الدكتور شلفون

كان نعوم البطراي من اصدقاء النهضة، معجبا بالزعيم على طريقته. كان يعتبر نفسه عضوا في الحزب ولكن لا يلتزم نظاميا مع انه كان يتقيد باي موقف من مواقف الحزب ويتبرع بكل المناسبات، كان داعية لا يهدأ للمبادئ القومية الاجتماعية وللزعيم (مر بنا ذكره).

في عصر احد الايام اطلع الزعيم على سر خطير. نسيبه الدكتور شلفون يهيء عملية انقلاب على الحكم. لم يكن القصد من هذا الاطلاع طلب المساعدة او العون او التعاون معه على انجاح العملية. كان القصد الوحيد معرفة ما يجري في البلد.

كتم الزعيم الخبر حتى عن اقرب المسؤولين اليه وما كانت معرفتي به الا لاني رافقت نعوم في زيارته للزعيم واخبره بالنبا بوجودي على اعتبار اني احتفظ بالسر.

لم يبذ الزعيم اي اهتمام للخبر وكان تعليقه الوحيد المقتضب « لن ينجح ». في فجر اليوم الثاني او الذي بعده داهمت قوى الامن منزل الدكتور شلفون واعلنت عن كشف عملية الانقلاب!! وصدر مرسوم جمهوري يحيل القضية الى المجلس العدلي وقد باشر الموسيو تمبال مستنطق المجلس التحقيق مع الموقوفين.

وبمناسبة ذكر وجودي مع نعوم بطراي عند اطلاع الزعيم على خبرية الانقلاب ومعرفتي به اودّ ان اودّون فقرة وردت في رسالة الزعيم الخامسة الى غسان تويني تاريخ 9 تموز 1946 تتعلق بالثقة التي كان الزعيم يمنحها الى بعض معاونيه وانا منهم. « الامين الجزيل الاحترام نعمة ثابت والرفيق الموقف فخري معلوف كانا اكثر الرفقاء اطلاعا على خطط الزعيم وافكاره ويأتي بعدها الامناء الجزيلو الاحترام جورج عبد المسيح، مأمون اياس، عبد الله قبرصي، والرفقاء زجا خولي، يوسف صايغ، جبران جريج ورشدي معلوف وغيرهم ».

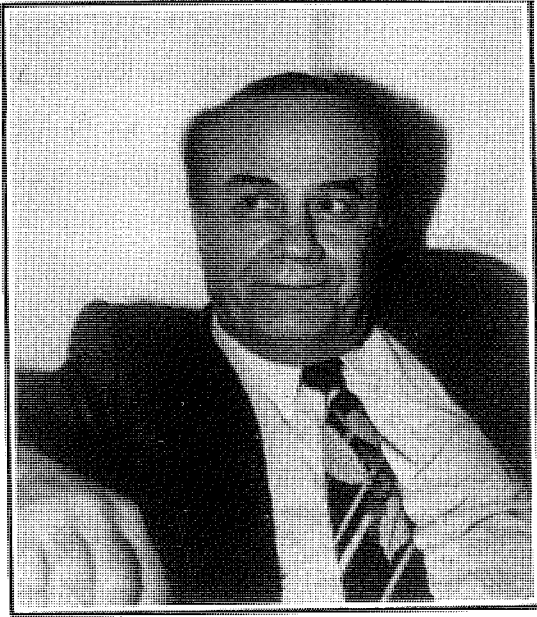
في الجامعة والمدارس الأخرى

الطلبة

كانت منفذية الطلبة تسير سيرها الخثيث وقد زاد عدد افرادها النشيطين اسمي منهم على سبيل المثال - لا الحصر؛ رشدي معلوف وشقيقه حلمي معلوف، كمال خولي، ابراهيم يموت، رشيد عبد الرحيم قليلات، اميل همام شقيق الدكتور نسيب همام، يني دبغي، نجيب صدقة، ادمون شويري، نايف قعوار، نديم المقدسي، متري عقاد وسليم البتلوني. وهذا الازدياد في النشاط استدعى اعادة النظر في التنظيم القائم فقسمت المنفذية الى قسمين: قسم يشمل الفرع العلمي في الجامعة الاميركانية القسم الطبي والصيدلة وقسم يشمل المدرسة الثانوية العامة وصف الفرشمن في الجامعة الاميركانية وعين لهذه المديرية الرفيق عقاد.

كان اول منفذ عام لهذه المنفذية الرفيق رائف زنتوت، فرع الصيدلة، وبعد سفره الى المانيا لاتمام دراسته سلمها بدوره الى الرفيق نايف قعوار.

اما عن السير الخثيث فاني انقل من مذكرات الطالب ابراهيم يموت بعض الوقائع المدونة فيها تدل على اهتمام الزعيم بالطلبة. « كان الطلاب يجتمعون في اربعة بيوت على التوالي، هي بيوت الرفيق جورج خطار، محمد الباشا، فؤاد حداد واميل همام. كان الزعيم يحضر اكثر هذه الاجتماعات يشرح ويفصل الحوادث الجارية ويسهب في شرح المبادئ السورية القومية الاجتماعية، مشددا على اهمية الطلبة في النهضة. واني انقل عن اجتماع شباط 1938 العبارة التالية: « ان قيمة الشهادات هي بما يستطيع حاملوها ان يخدموا بلادهم وشعبهم». وعن اجتماع ايار 1938 المقطع التالي: « ان القوميين



ابراهيم يموت

الاجتماعيين ليسوا الات صماء تتحرك بصورة الية كما انهم ليسوا بمتسرعين ولا متهورين ولا يسرون بعواطفهم وان عليهم ان يكونوا رسل خير للشعب السوري معتمدين على قوتهم الروحية والمادية» وفي مكان اخر يقول « ان الشهادات العلمية تفقد قيمتها حين يتساوى من الناحية الاقتصادية حال المهندس المختص بمجال العامل البسيط». ثم كان يلفت الى الاهتمام بالعلوم العسكرية وممارسة التدريب العسكري كلما كان ذلك بالامكان».

كان المركزيون يحضرون بعض هذه الاجتماعات، اذكر على سبيل المثال وكيل عميد الاذاعة جورج عبد المسيح.

اضطهاد الطلبة القوميين الاجتماعيين

لقد تعرض الطلبة القوميون الاجتماعيون لمضايقات واضطهادات لا اخلاقية يصعب تصديق صدها عن دور العلم والنور والفكر. وفيما يلي تسجيل لبعض نماذج من هذه الممارسات السيئة.

« انطون بتلوني وفؤاد عازوري، طالبان في معهد البطريركية، كانا مثالا يحتذى في الاجتهاد والذكاء والخلق الحسن وقد نجحا في الامتحانات الاخيرة نجاحا باهرا

ولكن... وردت الى اللجنة الفاحصة اشارة سرية من مرجع ديني في المدرسة تفيد بانها سوريان قوميان اجتماعيان. فكانت هذه الاشارة كافية لاسقاطهما في الامتحان النهائي وحرمانها من الشهادة». كم تتناسب هذه الممارسات مع الممارسات الدينية الصحيحة!!!

« سليم مغبغب - نسيب غبطة البطريرك مغبغب - تخرج من المعهد المذكور نفسه بتفوق. قدم طلباً الى المدرسة الحربية فقبل مبدئياً واجتاز الامتحانات المطلوبة وجاء في طليعة الناجحين وتقرر قبوله. ولكن... اشارة من رئيس المعهد الى مدير الحربية وردت تنبه الى ان سليم مغبغب ينتمي الى الحزب السوري القومي الاجتماعي فكانت هذه الاشارة كافية لتبديل القبول بالرفض ».

« منيف مصطفى هلال من قرنايل، في المتن الاعلى، طفل في الخامسة من عمره، في عمر الورد، طالب في مدرسة الضيعة. تعلم من ذويه الهتاف بحياة سورية واخذ يردد هذا الهتاف في كل مكان وكل مناسبة والمدرسة من جملة الامكنة. انزعج استاذاه علي هلال الذي كان سوريا قومياً اجتماعياً ثم لمصلحة خاصة انحرف الى عصابة العمل القومي فأصبح «عصبويا»، انزعج من هذا الهتاف الذي يذكره بكل مناسبة بقسمه الذي به حث فراح يطلب منه ان يغير هذا الهتاف السوري بهتاف «العروبة» فأبى الطفل «الشبل» منيف الامتثال فأعاد عليه الكرة ولكن عبثاً كان يحاول فالهتاف للوطن سورية اقوى من الهتاف للعروبة المهمة ففشل فشلاً ذريعاً. حاول المستحيل ولكن دون جدوى حتى انه لجأ الى الضرب والقصاص ولكن الشبل منيف بقي مصراً على موقفه ملقنا استاذاه المتنقل من حزب الى حزب درسا قاسياً ».

« امين هنري شكور، طالب في البطريركية ايضاً، كان مثال الطالب المجتهد في جميع دروسه ومثال الخلق الطيب والسيرة الحسنة. شعر المدير في احد الايام، أن «امين» ينتمي الى الحزب فبدأ باضطهاده وتعذيبه وقصاصه لغير ذنب، كانت التفاتة واحدة منه الى احد رفقاءه تكلفه - كم طبشة او كم ركعة على البلاط - امام جميع تلاميذ المدرسة.

وقد استمر المدير المحترم في استعمال هذه الاساليب التنكيلية حتى اضطره اخيراً الى ترك المدرسة قبل نهاية العام الدراسي ».

« نقولا خرياطي، ايضا الطالب في البطريركية، كان فضلا عن اجتهاده وتفوقه في دروسه، يقدم خدمات طيبة الى اصحاب المعهد المذكور. كان سلوكه كما يجب ان يكون عليه الطالب الممتاز ولكن انتهاء نقولا الى الحزب كان جريمة في نظر حضرة «الاب المدير» استحق عليها الطرد من المدرسة قبل انتهاء السنة المدرسية بشهر واحد تحت اعدار غير مشروعة مما تسبب في حرمانه من الحصول على الشهادة التي كان يستحقها حتما لو كان للأب المحترم ضمير!!».

في المتن

مكتبة بيت مري

من المآثر الثقافية في المتن بل في اية بقعة من بقاع الوطن قاطبة تأتي المكتبات في المنزلة الاولى.. من هذه المكتبات مكتبة بيت مري التي ذكرنا كيفية تأسيسها على يد القوميين الاجتماعيين منذ أكثر من ثلاث سنوات وها ان هذه المكتبة التي بدأت نواة مكتبة اصبحت تضم أكثر من ألفين من المجلدات الادبية والتاريخية والقومية الاجتماعية. مايزال القوميون الاجتماعيون يقومون على ادارتها وفي انتخابات هيئتها الادارية هذه السنة فاز الرفقاء والاصدقاء التالية اسماؤهم: « بشارة الخوري: رئيسا: نسيب حمدان: نائب رئيس، خليل نصر: أمين سر، خير الله سرور: امين صندوق، يوسف العسراوي: مدير اشغال، يوسف شختورة، جوزيف رعد وباسيل حداد: اعضاء.

عرزال الزعيم

بعد مضي سنتين على رسم عرزال الزعيم روى الفنان مصطفى فروخ للزعيم وهو يقدم له اللوحة الفنية الرائعة « العرزال » الطرفة الجميلة التالية. كان قد زار ضهور الشوير في صيف سنة 1936 وتجول في هضابها المخضلة فوقعت عينه اليقظة على عرزال كبير قائم على هضبة رائقة تقابل صنين من جهة وتشرف على البحر من جهة اخرى فراقه المنظر ووضع لوحته وأخذ يرسم ويدهن وهو لا يعرف شيئا عن أمر العرزال ومن يخص.

وفما هو آخذ في عمله اقبل فتيان يحملان كتبا ولما اقتربا من العرزال قال الواحد للآخر: « هل تعرف لمن هذا العرزال؟ » فأجابه الآخر: « لا » فقال الأول « هذا يخص انطون سعادة؟ » فأظهر الاول دهشة عظيمة لهذا السؤال وأجاب: « انه زعيم

الحزب السوري القومي الاجتماعي. ألم تقرأ أو تسمع عنه؟». واستمر الاثنان في حديث لذيذ بين شخصين وعقليتين.

عندئذ عرف الفنان ان العرزال هو عرزال الزعيم فأتم عمله وقد اهدى نتاجه الفني الجميل الى الزعيم. اما سبب تأخير تقديم الهدية الفنية الثمينة فقد كان للظروف التي كان يجتازها الحزب فلا يكاد الزعيم يخرج من السجن حتى يعود اليه الى ان جاءت هذه الفترة الهادئة الآن لتتيح الفرصة للقيام بهذه المهمة. كان جواب الزعيم للفنان انه يعتبر هذه اللوحة من اثنان ما يملكه. (ما تزال هذه اللوحة موجودة في بيت الزعيم).

تعيين ناطور

تحت عنوان « الادارة ضد الشعب » نشرت جريدة « النهضة » في عددها 145 تاريخ 18 نيسان 1938 قصة تعيين ناطور في الشوير انقله على سبيل المعلومات. « منذ مدة ومسألة تعيين ناطور للشوير موضع أخذ ورد بين الشعب والادارة. وحقيقة الامر ان بلدية الشوير كانت قد اقترحت تعيين ناطور غير حائز الشروط المطلوبة، فما كان من الاهالي الا ان تداولوا في الامر وعلى الاثر رفعوا عريضة الى القائم مقام والى البلدية بطلب رفض تعيين الشخص المرشح وتعيين متري بو زيد الذي سبق له ان خدم هذه الخدمة وأعطى نتائج حسنة جدا في اقامة النظام ومنع التعدي في الارزاق، حتى احبه كل اهل الشوير.

. والظاهر ان بعض الاشخاص الذين يقيمون نفوذهم على تعيين ناطور وخفير وجابي بلدية رأوا ان النزول عند رغبة الشعب يحط من نفوذهم ويبطل سحرهم فقاموا بمساع لدى القائم مقام لحملة على التدخل ضد ارادة الشعب.

وقد بلغنا انه عند تطور القضية وبلوغها الى معالي وزير الداخلية وصدور ارادة معاليه باجابة رغبة الشعب في مسألة تهمة قبل غيره رأى القائم مقام ان يزور مدير الداخلية ليقنعه ان الناطور المطلوب تعيينه هو عضو في الحزب السوري القومي الاجتماعي وانه لهذا السبب يجب كسر ارادة الشعب في الشوير في سبيل تقوية نفوذ بعض الأفراد الذين جعلوا همهم خدمة المصالح المعاكسة لمصلحة الشعب.

لا ندري اذا كانت مساعي هذا البعض بالاتفاق مع القائم مقام ستنجح في حل الادارة على الوقوف ضد ارادة الشعب وايجاد عداوة مستحكمة بينها. ولكن لنا ثقة

بان الادارة العليا حكيمة الى حد ان تمنع تولد هذه الحالة التي لاتكون في مصلحة الشعب ولا في مصلحة الادارة».

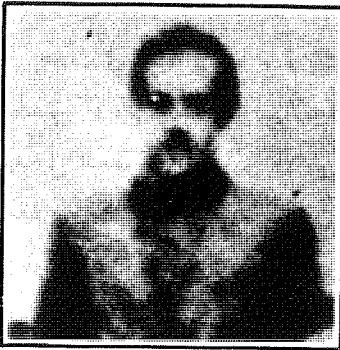
سباق الدرجات والركض

كنت قد ذكرت خير هذا السباق في حلقة سابقة في السنة الحزبية الماضية وقد عثرت صدفة في جريدة « النهضة » تفاصيل هذا السباق في العدد 158 تاريخ 10 أيار 1938. انقله تعميماً للفائدة وللتصحيح. « كان يوم الأحد الفائت موعداً لسباقات الدرجات والركض في الساحل الشمالي فأنت النتيجة على الصورة التالية:

اولا: سباق الدرجات جل الديب - الساحل الشمالي كانت النتيجة كما يلي:
اولا - سباق الدرجات، جل الديب - جونبة، ذهابا وايابا وقد فاز بالأولية القومي جورج نقولا 49 دقيقة واتي القومي محمد حجازي ثانيا 50 دقيقة.

ثانيا: سباق الدرجات، جل الديب - ضبية ذهابا وايابا. فاز بالأولية القومي خليل فؤاد 19 دقيقة واتي ثانيا السيد سليمان بشارة 19,30 دقيقة.

ثالثا: سباق الركض جل الديب - الضبية فاز بالأولية القومي ميشال عزيز 51 دقيقة واتي ثانيا السيد نقولا فاضل 53 دقيقة.



نهاد ملححم حنا

وبعد انتهاء السباقات وزع منفذ الساحل الشمالي - الرفيق نهاد حنا - الكؤوس المقدمة كجوائز للأول في كل سباق وهي: كأس سيدات الساحل الشمالي.

كانت الحفلة شائقة، اشترك فيها ما يقارب العشرين مسابقا وضمت الحفلة جمهورا غفيرا من المتفرجين من الساحل الشمالي وبيروت».

في قرنايل - المتن الأعلى

كانت قرنايل في فترة من الزمن مركزا لفرع عصابة العمل القومي، أنشأها علي هلال الذي كان ناظر اذاعة للحزب السوري القومي الاجتماعي ثم انهاد ملححم حنا معروفة تختص بخصوصياته وأصبح خصما عنيدا للحزب الذي حث بقسمه له. في هذه الفترة بالذات، فترة الفورة الحزبية العصبوية، في فصل الصيف وانا معين منفذا

عاما للمتن كله قمت بزيارة لهذه البلدة التي بقي للحزب فيها فرع يناضل لاثبات وجوده رغم صعوبة الموقف .

وجئت قرنايل من جهة بزبدین سیراً علی الاقدام . وصلت اليها واتجهت الى بيت احد الرفقاء ماراً باحدى ساحات البلدة وتشاء الصدف ان يكون في هذه الساحة «علّ» لأحد المتوفين . (محل اي مكان للتعزية) اجتزت الساحة بعد القاء التحية واكملت سيرتي . لم اكاد ابتعد قليلا عن هذا المكان حتى شعرت بأني ملاحق من قبل جهرة من الناس تتهامس وتمتم كلمات لا استوعبها لكنها تدل على نقمة وغضب .

تأكدت بأني المقصود دون ان استطيع ان احلل الأسباب لهذا القصد ولكن دون التفكير الكثير عزمت على ان اجابه الموقف ولتكن النتيجة ما تكون . توقفت عن السير وسألت احد الشيوخ الذي كان في الصف الأول عما يريدون ؟ فأجاب بصوت رزين : « نحن لانريد فتنة في البلد » أدركت عندئذ مصدر الهجوم . انه المسؤول عن عصبة العمل القومي . لقد هيج الاهالي ضدي وها هو يحاول ان ينال من الحزب بشخصي فيعرضه للاهانة . قلت له « لست من اصحاب الفتن وانا غريب عن المنطقة فهل هذه هي من شم الضيافة عندكم ؟ » يظهر ان الشيخ كان عاقلا حقا وقد ادرك ان الاهالي جرت لفتح وهو لا يريد الشر فاكتفى بجوابي وطلب من الحضور الانكفاء .

حدث في هذه الاثناء ما لم يكن في الحسبان وهو ان الرفقاء علموا بالامر فأسرعوا بالحضور وعلى رأسهم الرفيق نايف هلال ليتدخلوا في حل المشكل . لم يعجب هذا التدخل البعض من الفريق الآخر فكادت ان تنشب معركة لولا تداركها من قبل العقلاء ايضا ولكن في هذا الحين بالذات رأيت احدهم يحمل « دبشة » حجرا كبيرا ويحاول رشق الرفيق نايف به فاندفعت تجاهه ووصلت في الوقت المناسب اذ اني دفعته دفعة كانت كافية لالقاء الحجر ولكن لا على رأس الرفيق نايف بل على الارض متدحرجا على الجلل .

انتهت المشكلة عند هذا الحد ورافقت الرفيق نايف الى بيته حيث عقدنا اجتماعا نهائيا تداولنا فيه بالوضع الراهن ووضعنا له خطة للمجابهة واقترحت عليهم بانصرافي حتى لانعطي حجة للخصم بتنفيذ ايقاع الفتنة وذلك بحجة وجودي . انصرفت وقد علمت فيما بعد ان ظنوني كانت في محلها فقد كانت النية تتجه للقيام بعمل اخراجي من البلدة بالقوة تغطية للفشل الذي مني به صاحبنا العسبوي .

في الغرب وإشوف

في العبادية

كان يوم مأتم الرفيق امين العنداري في العبادية، الذي توفاه الله في فرن الشباك حيث كان يسكن يوما مشهودا تجلّت فيه الروح القومية بأروع مظاهرها ودلت على ربط قلوب ابناء الوطن الواحد على اختلاف المذاهب والنزعات بعضها ببعض. وقد ضاقت ساحات البلدة بوفود القادمين من بيروت وعاليه والقرى المجاورة، نادبة الراحل العزيز بالأهازيج القومية والمراثي الزجلية الرقيقة.

وما أذفت الساعة المعينة للدفن حتى كان القوميون الاجتماعيون صفوفًا منظمًا تحيي الرفيق الراحل بالتحية الرسمية الصامتة وسار الموكب الى مقبرة العائلة، الكائنة في غابة ظليلة تكتنفها اشجار الصنوبر. كان نعش الفقيد مجلّلاً بعلم الزوبعة الحمراء يرافقه ما يربو على مئتي رفيق بنظامهم البديع وبعد الصلاة على روح الفقيد وقف الرفيق محمد راشد اللاذقي مؤبنا الرفيق العنداري باسم القوميون الاجتماعيين وعقبه الرفيق ويكتور اسعد باسم القوميون الاجتماعيين في بيروت ثم القى الزجال القومي الرفيق قاسم نجد ابياتا زجلية رقيقة.

الطلبة في عاليه

في اوائل السنة المدرسية 1938 - 1939، كان النشاط الحزبي مستمرا بين صفوف الطلبة في الجامعة الوطنية في عاليه التي كانت مصنّفة بؤرة خصبة في تقبل الافكار الاجتماعية. خصوصا وان طلابها كانوا من جميع أرجاء الوطن بخاصة الاردن، كان

فؤاد فخر الدين ما يزال مديرا وكان الرفيق امين سري الدين يده اليمنى ومن ثمار تعاونها والتنسيق بينها ان اقبل عدد من الطلاب على الانتماء الى الحزب، اذكر منهم من الاردن، رينيه بنوت وجميل قعوار من عمان، شوقي سماوي وشقيقه من اربد ومن الكورة الشقيقان صفا ووصفي عون وسهيل فريجي من بعلبك .

في محكمة بعبدا

انعدت محكمة جزاء بعبدا، جبل لبنان برئاسة القاضي مسعود حنين لمحاكمة ما يزيد على 28 سوريا قوميا اجتماعيا بتهمة عقد اجتماعات غير مرغوب فيها وقد تأجلت الجلسة بعد ان استمعت الى اقوال المتهمين. وقد ظلت هذه الدعوى تتأجل الى ان شملها العفو اما الرفقاء الذين مثلوا امام المحكمة فمنهم: محمد الباشا، عجاج المهتار، نجم الاحدية، شرار الصايغ، عارف فياض، رشيد يوسف فياض، رشيد محمد شيا، بو حسين ناصيف، خطار سلمان، عبد الحميد سلمان، سعيد ابو علي، محمود سلمان، فارس رشيد أبو علي، سعيد نصر الدين أبو علي، عامر ناصر الدين، وديع سلمان، شاهين سلمان، محمود سلمان، فارس ابراهيم سلمان، بشير على سلمان، فياض ابو علي وعز الدين سلمان.

والجدير بالذكر ان هذه الجلسة كانت من الجلسات الاولى للقاضي حنين الحديث الممارسة في القضاء وكان محامي الدفاع الامين عبد الله قبرصي .

في بيبصور: قضاء عاليه

هذا من جهة اما من جهة كيفية محاربة الحزب في منطقة منفذية الغرب فاني اقدم مثلا على ذلك ما جرى في بيبصور نقلا عن جريدة « النهضة » في عددها 117 تاريخ 16 اذار 1938. « بيبصور قرية عامرة في منطقة عاليه. امتدت اليها الحركة القومية واقبل الشباب على الانضمام تحت لوائها اقبالا ازعج الرجعيين واقض مضاجع الدجالين الذين يتاجرون بالدين ويتعيشون باسمه فارضين ارادتهم العنيفة على السذج من الناس، باعثن روح التفرقة والبغضاء بين ابناء الوطن الواحد، والعائلة الواحدة لتبقى لهم السيادة والسيطرة والاحتفاظ بالمنافع الذاتية الخاصة .

ازدهرت الحركة القومية في بيبصور وتقلص ظل الرجعية وسحق نفوذها، الأمر الذي حدا برجالها الى لم شعنتهم لمقاومة تيار القومية الجارف ولما باؤوا بالفشل وعاد

كيدهم الى نحرهم عادوا الى الدين يتخذونه ستارا لمحاربة النهضة القومية باسمه حارمة الشباب القوميين من ممارسة حقوقهم الدينية بحجة انهم ينتمون الى حزب ضد الدين يريد ان يوحد بين الطوائف، وقد صرفوا جهودا كبيرة لتقسيمها وتفريقها وبلبلتها.

لم تنطلج هذه الخيل على الشباب القومي ولم تثن عزيمتهم الجبارة وكانوا يَمْرُونَ بهذه الترهات دون مبالاة وغدوا يمارسون واجباتهم الدينية في بيوتهم. ثم عادوا اخيرا الى آباء بعض القوميين يهددونهم بالحرمان من الدين وبالطرد من «المعبد» اذا لم يسحبوا اولادهم من الحزب. فجاء بعض هؤلاء الالاء «يسحب» اولادهم من الحزب مهددينهم بالطرد من بيوتهم وبجرمانهم من حق الارث، الخ... فكانت هذه المحاولة سببا لهياج الشباب وتحفزهم الى الذود عن كرامتهم وكرامة مبادئهم القومية وايقاف هذه الرجعة عند حدها فلا تتجاوزها الى مبادئ الافراد وعقائدهم. كانت امثلة قاسية تتلقى مثلها الرجعة في كل مكان وفي كل يوم».

في الشوف

في بعدران، الشوف، اقيم ماتم بمناسبة ذكرى اسبوع على وفاة الوجيه يوسف قاسم باز، ندون هنا بعض ما ورد في كلمة مندوب عمدة الاذاعة الرفيق جورج عبد المسيح: «اولئك يكرمون ومقياسهم للحياة محدود لان حياة الانسان محدودة اما حياة المجتمع الذي ينتمي اليه فلا حدود لها ولذلك فنحن الذين قد سرنا في طريق حياة الامة نكرم الانسان بمقدار ما يعمل لحياة الامة. ان الراحل الكريم قد عمل لأجل الحياة لانه منذ ابصر نور النهضة القومية الجديدة كان رغم سنه فاهما لها كل الفهم ولم يكتف بانه فهم بل عمل في سبيل امثالها وتشجيع المناقب والاخلاق القومية.

انه قد عمل جهده لأجل حياة الامة ولذلك نحن نكرم ونجله. لقد ترك للنهضة جنودا غذاهم مجبها والتفاني في خدمتها فهو، اذن يعمل حتى بعد موته للحياة لان الذين عرفوه منا حق المعرفة يذكرون بعد موته مزايا واخلاقا، يذكرون اقوالا وافعالا تشجعهم للسير في طريق الحياة، حياة الامة والعمل تحت راية زعيمها المفدى. هذا عزاؤنا نحن الذين فقدناه». (جريدة النهضة، العدد 111 تاريخ 9 اذار 1938).

أما في عين قني، الشوف، فقد احتفل بزفاف القومي كامل بريش على كريمة السيد باز سلمان. وقد اشترك في هذا الاحتفال قوميو القرية والقرى المجاورة

اشتركا دَلَّ على روح الألفة والنظام واقاموا للعريس قوس نصر تخفق عليه الزوبعة
الحمراء محروسة بمرهفين. وبعد ان تناول الحضور ما لذ وطاب من المأكَل الشهية وبعد
سهرة حافلة بالأغاني القومية والدبكة، القى الرفيقان مسعود عبد الصمد وسليم احمد
ماهر كلمات طيبة. ثم شكر السيد فارس بريش الحضور باسم آل العريس وانصرف
الجميع وكانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وهم يهتفون بحياة سورية والزعيم». .
(جريدة النهضة، العدد 128 تاريخ 29 اذار 1938).

في لبقاع

مشغرة

ومن الامثلة على الاعمال الاعتبارية التي كان يقوم بها افراد من قوى الامن من الدرك او من سواهم ما جرى في مشغرة بناء على وشاية مغرضة وردت الى مخفر مشغرة من بعض المفصولين من الحزب. الوشاية تقول بأن القوميين الاجتماعيين يعتقدون اجتماعا في بيت احد الرفقاء وبما ان رئيس المخفر الرقيب الياس الاسمر لا يجب الحزب لسبب من الاسباب تدرع بهذه الوشاية ايحارب الحزب الذي كان يعمل وان دون رخصة رسمية في كل انحاء الكيان اللبناني وهذه احتفالات اول اذار اكبر شاهد على ذلك.

على هذا الاساس الارتجالي داهمت قوة من الدرك منزل السيد حمود نصار في الساعة الثانية ليلا فلم يجدوا الا اهل الدار. زادت هذه الخيبة في سورة الغضب العارمة التي انتابت الرقيب فما كان منه الا ان استاق ابن صاحب الدار الرفيق يوسف منصور الى المخفر بعد ان فُتس البيت تفتيشا دقيقا. ما اكتفى حضرته بذلك بل ادخل الرفيق المذكور الى غرفة منعزلة وضربه ضربا مبرحا ترك في جسمه بعض الآثار واخيرا بعد ان روى غليله أخلى سبيل الموقوف.

انما صاحب الدار لم يخلد الى الاستسلام فاقام الدعوى على الرقيب والانفار الذين اقتحموا المنزل في الليل دون ان يصحبهم المختار حسب الاصول كما ان الرفيق يوسف منصور اقام الدعوى على الرقيب وانفاره على عملية الضرب. كما ان جريدة النهضة نشرت الخبر وطالبت السلطة باجراء تحقيق في الامر وطالبت بمجازاة المعتدين الذين وجدوا لخدمة النظام لا للتشفي والانتقام.

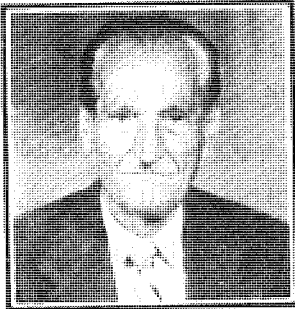
بمناسبة الحديث عن مشغرة انقل ما جاء في نشرة رسمية صادرة عن مفتشية الدرك وذلك مثالا على احتفالات أول اذار في الفروع الحزبية:

« قام اهالي مشغرة واطرموا النار حول المنازل اكراما لعيد ميلاد السيد انطون سعاده زعيم الحزب السوري القومي المصادف في اول اذار. وقد قبض على كل من الياس حبوش ونعيم اسعد مهدي، سليم محمود عيسى، عيسى محمود عيسى، حسن محمد علي يوسف، حسين حسن منصور، عباس حسين علي، يوسف عبد الله مزاحم وكامل حسين الشيخ. وقد احيلوا جميعهم الى القضاء بتهمة الانتماء الى عضوية الحزب السوري القومي والشعب وعسكرت قوة من الجند في القرية لمنع امثال هذه الحوادث والحالة هادئة.»

في زحلة

اما في مدينة زحلة فالموضوع يختلف عن غيره في باقي فروع الحزب فالتهمة التي كانت تذهب بالموجهة اليه الى الحبس كانت تهمة الشيوعية وبما ان المقصود هو ارسال الشخص الى الحبس فقد قرر الواشي بالرفيق فريد شحاده انه شيوعي خطر. ان هذه الوشاية تسببت باستدعاء الرفيق شحادة الى المخفر ولكن المفاجأة الكبرى حدثت عندما تبين لرجال الامن ان التهم بالشيوعية هو سوري قومي اجتماعي ومعروف الفرق بين الشيوعية والقومية الاجتماعية فأخلي سبيله على الفور.

في الهرمل



الرفيق عبد الرحيم عاصي

تمت هذه المديرية المستقلة التي بدأ نشؤها عام 1935 فقد أصبحت المنطقة مؤلفة من مديريتين وأخرى على الطريق فصار من الواجب أن تصبح منفذية فدرس المسؤول المركزي الذي أوفده مركز الحزب الرفيق جبران جريج لدرس هذا الوضع فاقنع وأصبحت مديرية الهرمل المستقلة منفذية الهرمل. أذكر أن أحد المديرين كان الرفيق علي السمار والآخر محمد الساحلي وكان خازن المنفذ الرفيق عوض الساحلي. أصبح الرفيق حسين الساحلي المنفذ العام، الرفيق محمد القبوط ناموساً للمنفيذية وأما باقي هيئة المنفذية فقد اقترحت الأسماء ولكن بقي أن تعرض على العمدات المختصة، من هؤلاء المقترحين الرفيق عبد الرحيم عاصي الذي كان له نشاط يلفت النظر ومن الأعضاء الجدد الرفيق عبد الكريم سيروان الذي كان يمارس مهنة طب الأسنان.

دمشق

مرّ معنا في حلقات سابقة عن محاربة الحكومة الشامية للنهضة السورية القومية الاجتماعية بالرغم من مدّ يد زعيم الحزب للتعاون في سبيل مصلحة البلاد العليا وبصورة خاصة فيما اختص بمسالة اللواء والاطماع التركية فيه والان ابدأ باعطاء امثلة عن هذه المحاربة الرخيصة التي ان دلت على شيء فعلى صغارة النفس وانحطاط اساليب العمل المصلحي عند اقطاب الكتلة الوطنية.

كان للكتلة الوطنية تشكيلة اطلقت عليها اسم « القمصان الحديدية » حاولت بواسطتها استقطاب الشباب الوطني تقليدا للحزب السوري القومي الاجتماعي - كما مرّ بنا سابقا - ولكن الجديد الذي طرأ على موضوع هذه التشكيلة هو فشلها في المهمة الملقاة على عاتقها واطمحلها دون صدور مرسوم حكومي بحلها اسوة بمثيلاتها في الكيان اللبناني. وقد يكون فشل هذه التشكيلة قد زاد في ازدياد العمل على اضطهاد السوريين القوميين الاجتماعيين، طبعا ما عدا النقد البناء الذي كانت تقوده جريدة « النهضة » لسياسة الكتلة الوطنية.

مع اضمحلال « القمصان الحديدية » انتهى مكتب البارودي ومشروع الفرنك الى لا شيء وقد عزا فخري البارودي هذه النهاية المسكينة الى حملات الحزب النشطة ضده فنشط هو بدوره وبدأ يطالب بمنع دخول جريدته « النهضة » الى مملكته السعيدة وبعد معركة طاحنة وبعد ان خسر مكتبه ومشروعه الفرنكي سايرته الحكومة الى مطلبه فأمرت بمنع دخول الجريدة الى الشام. على كل حال كان قبل لفظ انفاسه الاخيرة قد عدل عن مشروع سفره الى المغربيات. لم تطل مدة المنع فقد عادت الجريدة

الى الدخول الى الكيان الشامي ولكن قبل يوم واحد او يومين من القرار الفرنسي تعطيلها لاجل غير مسمى .

الاعتقالات

والآن ماذا في مدينة دمشق بالذات ؟ في 15 كانون الاول 1937 ، مساء الاربعاء اقتاد رجال الشرطة الرفيقيين زكي صواف وجورج غنّاجة الى سجن مخفر المركز في ساحة المرجة دون ان يفصحوا عن الاسباب الموجبة . وزيادة في القهر باتا ليلتهما في هذا السجن بعد ان منعا من القيام بأدنى اتصال حتى ولو كان اعطاء علم الى ذويهما ، كما انه منع عنها الطعام .

ثم قيل ان الاسباب تكمن في اخبارية تقول ان الرفيقيين صواف وغنّاجة يرسلان جريدة « النهضة » وهما مصدر ايصال خبر تمزيق العلم السوري من قبل الشرطة في دمشق . عقد السوريون القوميون اجتماعا وتدارسوا الامر فقر رأبهم تسجيل موقف استنكار لهذا التصرف فارسلوا برقية احتجاج الى المفوض السامي كما رفعوا عريضة الى رئاسة الوزارة الشامية يسألون فيها عن المبرر القانوني لهذا الاعتقال التعسفي . كانت البرقية بتوقيع الرفقاء الدكتور نسيب الدردري ، ادوار عبّود ومصطفى الصواف . (نص العريضة والبرقية منشور في جريدة النهضة العدد 55 تاريخ 17 كانون الاول 1937) .

الاعتداءات على الصالون السوري

بعد مرور ما يقرب على الاسبوعين من الاعتقالات حدثت الواقعة التالية : جاء شاب في ربعة العمر الى الصالون السوري الكائن في شارع رامي ، قرب ساحة الشهداء ، ودخل الصالون المذكور مشهرا بيده خنجرا ، مهددا « صانع » الصالون الصغير الذي لا يبلغ من العمر الا الثانية عشرة واختطف صورة الزعيم . كان واضعا دراجته امام مصبغة الاميركان واتجه نحو مجلة الشاكلية - القنوات وهناك اتجه فورا نحو دار فخري البارودي . لم يتمكن صانع الصالون من القبض عليه . محاربة زعيم الحزب بخطف صورته من الصالون !

ولكن يبدو ان خطف الصورة لم يكن شافيا لغليل المعتدي خصوصا بعد الضجة التي رافقت هذا العمل التافه الصغير فاكمل اعتداءه على الصالون بأن اوحى لبعضهم

بالمهجوم عليه وتحطيم واجهاته. حصل هذا العمل المنكر بعد يومين من عملية خطف الصورة وتم الهجوم عند الساعة السادسة صباحا حيث لم يكن هناك الا العامل فحصل التحطيم بالواجهة ثم... توارى المعتدي عن الانظار!!

على اثر هذا الاعتداء «السخيف» قابل وفد من السوريين القوميين الاجتماعيين رئيس الوزراء في داره وجثوا معه موقف «فخري البارودي» الغوغائي. وقد اظهر دولته سخطه على هذه الاعمال واستنكرها كل الاستنكار ووعده باعادة الصورة وأثنى على موقفهم الرصين وبالمناسبة اعلن لهم تحييده لفكرتهم وانه يشجعهم عليها. وقد انصرف الوفد من داره شاكرين.

ولكن لم تنقضى عشرة ايام على هذه الزيارة حتى تجدد الاعتداء للمرة الثالثة على الصالون السوري كأنه «بعبع» متزعمي هؤلاء الرعاع من الناس وذنبه الوحيد ان اصحابه سوريون قوميون صادقون. على اثر هذا الاعتداء عقدت منفذية دمشق اجتماعا عاما للاعضاء وانطلقوا بمسيرة نظامية، طبعا، الى دار دولة رئيس الوزراء شارحين له الوضع، طالبين منه وضع حد لهذا التعدي المشين وقد اصغى دولته للشكاية واطهر ارتياحه لاسلوبهم وهنأهم على مسيرتهم وجدد الوعد.

بعد مضي فترة وجيزة على حوادث الاعتداء على الصالون السوري عقد السوريون القوميون اجتماعا عاما في «حي القصاع» وكان عددهم يربو على الاربعمئة حضره رئيس مجلس العمدة نعمة ثابت وقد القى فيهم كلمة بين فيها مرامي الحزب الحالية والمعارضة وما يجب عليهم عمله حيال هذا الظرف وشدد على انه يجب ان لا تستولي العاطفة على احد منهم وان يقوم كل منهم باداء الرسالة السورية القومية الاجتماعية، هذه الرسالة التي اخذ كل منهم على عاتقه نشرها بكل دقة وامانة. ثم خرجوا من الاجتماع بصورة نظامية يجوبون الشوارع ويهتفون بحياة سورية وحياة الزعيم.

وفي أول اذار احتفل السوريون القوميون الاجتماعيون بمسيرة بديعة النظام، حاملين المشاعل النارية واعلام الزوبعة الحمراء منارة بالكهرباء وهم يهتفون بحياة سورية والزعيم، كما كانت النار تشتعل في هذه الاثناء على قمة جبل الصالحية ثم اطلقوا الاسهم النارية في الفضاء ودفع بالونات كبيرة في الجو وقد رسمت عليها اعلام الزوبعة الحمراء والعبارة التالية «اول مارس».

عُين مأمون اياس قبل سفر الزعيم منفذا عاما لمدينة دمشق وقد بدا يمارس نشاطه

بكل جد وتأن ومع ذلك فان السياسة الكتلوية ما برحت هي هي فلم يسلم من عشوائها
فقد اعتقل وقضى مدة اسبوعين او شهر في سجن « القلعة » المركزي .

في مجدل شمس

الحزب السوري القومي الاجتماعي في مجدل شمس 1- أول المتمين للحزب - كمال
كنج أبو صالح - قبل 1940 - وكان تلميذاً في القدس - حيث تعرّف هناك على مدرسين
قوميين كانوا يعملون هناك .

2- عندما عاد إلى مجدل شمس أدخل في صفوف الحزب شاباً من عائلات أبو صالح -
حدّاد - مرعي .

3- معروف سعد - وكان مدرساً في سوق الغرب 1936 - تعرّف إلى نور الدين كنج أبو
صالح شقيق كمال الذي كان تلميذه . وعندما لوحق معروف سعد من السلطات
الفرنسية آنذاك . انتقل إلى مجدل شمس حيث نشط في العمل الحزبي فأدخل : «س»
مرعي و«س» ملي و«س» وس : حداد ، وغيرهم . بعضهم لا يزال في مجدل شمس
وبعضهم في دمشق الآن .



النائب السوري السابق الشيخ
كمال أسعد كنج أبو صالح

الوضع السياسي

كان الوضع السياسي في دمشق العاصمة مثيراً للغاية في هذه السنة الحزبية السادسة .
معارضة الشهبندر، حوادث الجزيرة، مسألة لواء الاسكندرون، المعاهدة مع فرنسا وعراقيل
تصديقها ثم العلاقات المتوترة الانفصالية مع الجمهورية اللبنانية وجهها المصالح المشتركة
وأخيراً مشاكل الحكم التي كانت تطفئ في كل صعيد على كل شيء . كان هاشم الأتاسي
ما يزال رئيساً للجمهورية وجميل مردم بك رئيساً للوزراء وفارس الخوري رئيساً لمجلس
النواب الذي ادلى بشأن المسألة الفلسطينية بتصريح مماثل لتصريح الزعيم مما لفت الانظار
لهذا التشابه في المواقف .

وتتكرر الاعتقالات في حمص مما يدل على وجود خطة مبيتة فقد استدعى رئيس الشرطة

المنفذ العام الرفيق عبد النافع الجندي الذي خلف الرفيق احمد نورس السواح . . . وحذّره من اذاعة منشور اعده ناظر الاذاعة تحت عنوان «الاتجاه القومي دواء الامة الوحيد» وهدده بقانون قمع الجرائم اذا اصر على نشره رغم خلوه من أي تعرض للحكومة أو لغيرها. ومع ذلك بعد مدة من الزمن عاد واستدعاه واستجوبه لمدة ساعتين، اصدر على اثرها بحقه مذكرة توقيف غير موقت بموجب قانون قمع الجرائم الذي هدد به، هذا القانون المنتقل من عهد الانتداب الى عهد الاستقلال.

على اثر ارسال المنفذ العام الى السجن ابرق السوريون القوميون الاجتماعيون الى رئيس مجلس الوزراء يسجلون التحدي للحريات ويحملون الحكومة تبعة ذلك. كان هذا يجري من جهة اما من جهة اخرى فكان يجري اعتقال ناظر المالية جودت عبد المسيح مما فسح المجال في الشك ان الحبل على الجرار. ولكن . . . توقفت الاعتقالات وبعد خمسة ايام اطلق سراح المسؤولين واحيلا الى المحاكمة بتهمة سياسية لا صحة لها. وقفت الملاحقة عند هذا الحد.

كانت هذه الاعمال تجري في مدينة حمص مع ان شقيق رئيس الجمهورية السيد خليل الاتاسي كان في جانب الحزب ويحترمه ويقدره وكذلك اكثرية افراد عائلة الاتاسيين.

مفوضية حماه

اما في حماه فقد بقيت الحالة هادئة دون أي اعتقال.



يتوسطها حضرة الزعيم على يساره المفوض الرفيق سروري بارودي

في حلب

ذكرت في الجعبة ان الحزب نما في حلب في اوساط الطلبة ولهذا السبب كان نشاط هذه

المنفذية مقتصرًا عليهم. كان أيضًا في هذه المدينة جريدتان من دأبها الدس والتشويه لكل عمل قومي اجتماعي، هما «الشباب والأهالي».

ففي أوائل شهر أيار قام الطلاب بمظاهرة سلمية رائعة ليظهروا عواطفهم القومية نحو الجزء الجنوبي من الوطن السوري بمناسبة وصول لجنة التقسيم وقد مرت جماهير الطلاب أما دار القنصلية البريطانية وقد هتف الطلاب القوميون الاجتماعيون واصدقاؤهم باسم النهضة القومية الاجتماعية والزعيم مما أثار حفيظة الخصوم الذين لم يتورعوا من تشويه هذا المظهر بأن اطلقوا اشاعة ان السوريين القوميين الاجتماعيين هتفوا باسم موسوليني مما جعل الجريدتين المذكورتين «الشباب والأهالي» تستغلان هذا الدس لمصلحة لم تعد خافية على احد. انما مع شدة الحملة لم يمر هذا الدس الرخيص على الاصدقاء والفاهمين بل كان لها ردة فعل جيدة لانها اظهرت كذب وزيف وبهتان مزاعمها.

والغريب في الامر ان الكتلوليين الذين انقلبوا الى عناصر دعاية للأتراك، الذين ساءهم انتشار الحزب في اوساط الطلاب، انبروا يحاربون الحزب على كل صعيد بكل ما لديهم من افتراءات لتغطية فشلهم في معالجة الوضع في لواء الجزيرة او في «السنجق». انما النهضة السورية القومية الاجتماعية في حلب تنتشر رغم كل شيء في الأوساط المثقفة والشعبية عاملة على انقاذ الأمة من مخالب السياسة الكتلولية الرعناء التي تستخدم الادارات الاجنبية بمعرفتها أو دون معرفة.

تصريح الدكتور شهيندر

وبهذه المناسبة صدر تصريح الدكتور شهيندر لجريدة النهار البيروتية في العدد الصادر 21 تشرين الأول 1938:

«انا لا اكون منصفًا الحزب السوري القومي اذا لم اذكر له جهاده، لان هذا الحزب يسعى لاكبر غاياتنا القومية. فاسألوني ما هي هذه الغاية النبيلة التي يسعى اليها هذا الحزب؟ هل هي طلب الحرية؟ وكلنا طلاب الحرية. هل هي وحدة سورية؟ وكلنا طلاب وحدتها. هل هي التعلق بتقاليدنا والمحافظة على عاداتنا؟ كلنا يحافظ على التقاليد والعادات الصالحة.»

إذن، ما هي مزية الحزب السوري القومي؟ هي تضافر رؤسائه واعضائه المسلمين والنصارى على ان تكون سورية لابنائها المسلمين والنصارى. هي انه لادين في الوطنية، ان الاديان في المعابد والعبادة بين الانسان وربّه اما الوطن فهو للجميع.

ولقد سمعت التهم، التي توجه الى الحزب السوري القومي بانه عدو القضية العربية، ولما باحثت الكثيرين من رؤسائه واعضائه تبين لي ان هذه التهم لا تستند الى حق فهذا الحزب يسعى لتوحيد سورية وما سورية الا جزء من العالم العربي.»

في الجزيرة ولواء الإسكندرون

من مطالعة الآثار الكاملة في الجزئين الثالث والرابع يتبين لنا مدى الخطر الذي يهدد لواء الجزيرة ولو اردنا سرد الوقائع التي تدل على سوء سياسة الكتلة الوطنية في هذه المنطقة بالذات لاحتجنا الى مجلدات لا الى صفحات ولكن نكتفي بتدوين مكثف لرسالتين نشرتا في جريدة « النهضة » في عدديها 30 و 100 بتاريخ 17 تشرين الثاني في 1937 و 21 شباط 1938 وذلك لاهميتها ومساهمتها في القاء الضوء على هذه الممارسات الخاطئة. جاء في الرسالة الأولى: . . . وقد حدثت عدة حوادث مؤسفة جداً كان سببها تحكم الكتليين في رقاب غيرهم من بقية الشعب المسكين وقد اصبحت الجزيرة في حالة تشبه تماما الحالة التي كانت سائدة سورية خلال الحكم العثماني مما ادى بالسكان الى التذمر والسعي بشتى الطرق الى التخلص من هذه الوضعية التي يجب ان لا تكون في ظل حكم وطني استقلالي».

« شاع في الاوساط هنا خبر مفاده استقلال الجزيرة وفصلها عن الوطن الام فصلا اداريا وماليا يشبه انفصال اللاذقية والسويداء قبل المعاهدة. ويقال ان حدود الجزيرة ستكون من تل ابيض التي تبعد عن قرية بينار 58 كيلو مترا وان منطقة جرابلس عائدة الى حلب وخوفا من اثاره شغب ما، فقد قام ضابط المصالح الخاصة بجمع الاسلحة من الاكراد الذين كان قد وزعها عليهم بنفسه. وكذلك مما يؤسف له قيام بعضهم ممن هم محسوبون على فرنسا باثارة الشغب، وزيادة التنافر والتحزبات بين افراد الشعب وتشجيعهم على طلب الانفصال تحت الحكم الفرنسي المباشر. ولعل الذي يغذي هذه الحركات هو الطمع في استثمار البترول الذي ظهر بكثرة في اراضي الجزيرة».

وامام هذه الحركات الانفصالية يقوم رجال النهضة السورية القومية الاجتماعية في

بث روح الوحدة والتضامن بين جميع العناصر ، الكردية والسريانية والطوائف المختلفة الاخرى، ويسعون سعيا حثيثا للقضاء على الفكرة القائلة بالانفصال ومع ذلك فان رجال الكتلة الوطنية على غنائهم يحاولون ملاحقة السوريين القوميين الاجتماعيين بالوشاية كأن مصلحة الوطن محتكرة في حزب دون الاخر او على الاصح وقف على الكتلة وحدها. ويقود هذه الحملة قائد درك عربينار السيد حسني الذي اصبح شغله الشاغل ملاحقة كل من يدعو الى الاتحاد والوئام والمحافظة على بقاء الجزيرة في وضعها الحاضر وله عدة حوادث لا نريد ذكرها لسخافتها ونكتفي بالاشارة الى سوء تدابير هذا القائد... الوطني».

وجاء في الرسالة الثانية: « بعد انقضاء مدة وجيزة على عقد المعاهدة مع فرنسا وتسلم رجال الكتلة الوطنية على اساسها، مقاليد الحكم، ثارت الاضطرابات في لواء الجزيرة واعلن العصيان على حكومة دمشق، فثة من ابناء اللواء لم تترحم الى تدابير الحكومة الكتلوية المبنية على النظرة العنصرية التي تخرج بقية العناصر من وحدة الامة السورية والمرتكزة على اساليب سياسة القرية التي تستمد روحها من العنعنات الشخصية والاستثثار الحزبي، ان هذه الاسباب التي دفعت هذه الفئة للخروج عن طاعة الحكومة الشامية قد فسحت لارباب المصالح من وطنيين واجانب، مجال التدخل وتشجيع هذه الفئة على خروجها وعصيانها، مما ادى اخيرا الى وقوع رجال الحكم الوطني في مأزق حرج من ناحية المعاهدة التي عقدوها، ويحرصون على بقائها، ذلك لان هذه الفئة المتدمرة قد رفعت الى عصابة الامم ووزارة الخارجية الفرنسية عرائض احتجاجية يطلبون فيها ابقاء الانتداب وفصل لواء الجزيرة نهائيا عن الجسم السوري، وكان لهذه العرائض نتيجتها في باريس حيث قامت الصحف والاندية الفرنسية المعادية للمعاهدة تنذرع بها في محاربة تصديق المعاهدة من البرلمان الفرنسي .

ولكن مشكلة الجزيرة لم تنته رغما عن تصريحات رجال الحكم الكتلويين، فقد خطفت جماعة من ابناء اللواء المحافظ مدة ثلاثة ايام، لتقيم الدليل على استياء غير الكتلويين من سياسة حكومة الكتلة التي استمرت باستعمال التحذير وذر الرماد في العيون فكان من جراء ذلك استفحال الاضطراب وفسح المجال برحابة للمصطادين في الماء العكر. وقد شاء وزير الداخلية والخارجية ان يقوم بزيارة للمنطقة فكانت هذه الزيارة وكان من نتائجها ان شاهد معالي الوزير ما لا يرضيه فقد استقبل من قبل

الاکثرية الساحقة من الاهلين بالاضراب وعدم الرضى وشيع بالاضراب وعدم الرضى .

ان الحسالة لا تدعو الى الارتياح ولا تفتح باب الامل الواسع بالاستقرار والكتليون ماضون في سياستهم الحزبية الضيقة واهالي الجزيرة ماضون في عدائهم وفي مساعيمهم لتقويض الحكم الوطني في الشام .

اننا امام هذه الحالة المؤلمة، نقف حيارى، لا ندري الى اي مدى ستوصل بالبلاد سياسة الكتلة الخاطئة، مع اننا كم قلنا للحكومة الكتلوية ان فسح المجال للحركة السورية القومية الاجتماعية هو اكبر حل لانقاذ البلاد من هذا التفكك المجموعي الاقومي . ومن البديهي ان الكتلة غير مؤهلة للقيام باي شيء من شأنه تقوية المجموع القومي في الامة، ورفع مستوى البلاد وضمان سيادتها، ذلك لانها لاتستند على اي برنامج قومي اقتصادي او اجتماعي . ان استمرار الكتلة الوطنية في هذه السياسة سيؤدي الى ضياع الجزيرة بعد ضياع الاسكندرون وعلى الشعب ان يدرك هذه الحقيقة .»

في لواء الاسكندرون

من لواء الجزيرة ننتقل الى لواء الاسكندرون حيث للحزب مفوضيتان ناشتتان في الاسكندرون وانطاكية . في حلقات سابقة شرحنا اهتمام الزعيم الكلي في مسألة اللواء واعلان 14 كانون الاول يوم ذكرى الحدود الشمالية والآن ناتي على ذكر نشاط المفوضيتين والوضع السياسي في اللواء . اقتصر النشاط الحزبي مع قلة الامكانيات والطاقات البشرية على رفق مركز الحزب بالمعلومات الصحيحة عن النشاط التركي الذي ما كان ليهدأ او يكل حتى الوصول الى الحشود العسكرية على الحدود استعدادا للاستيلاء على اللواء اذا باءت المفاوضات السياسية بالفشل . على كل حال كان صوت النهضة السورية القومية الاجتماعية مسموعا عاليا في الاسكندرون وانطاكية بواسطة جريدة « النهضة » التي كان متعهدا الرفيق بطرس المدني ويضاف اليها صوت القوميين الاجتماعيين الذي كان يرفع عاليا في جميع انحاء الوطن السوري والذي كانت تصل اصداؤه الى اهالي اللواء فيزدادون قوة وصمودا بالرغم من الاستسلام المخزي من قبل حكومة دمشق الكتلوية وهذا ما سأسرده بالتسلسل في شرحي للوضع السياسي .

الوضع السياسي

يبدأ الوضع السياسي في التآزم الحقيقي من تاريخ 29 تشرين الثاني 1937، تاريخ بدء تنفيذ اتفاق جنيف المختص بالاسكندرون. في هذا التاريخ قامت التظاهرات في جميع المدن السورية، اكثرها من قبل الطلاب وقدمت العرائض والاحتجاجات والبرقيات وطلب مقابلات مع ممثلي المفوض السامي وممثلي الحكومة الوطنية فكانت الردود عليها كلها بالمسكنات المهدئة انما اهمها كانت في انطاكية عند انزال العلم السوري فكان جواب مندوب المفوض السامي « ان العلم السوري لم يُلغَ بتاتا، وكل ما هناك ان هذا التدبير اتخذ بصورة مؤقتة. ان جنسية الاهلين، هي الجنسية السورية حسب النظام الجديد » ثم عدول المفوض السامي الفرنسي عن الحضور الى اللواء لاعلان النظام الجديد.

في 8 كانون الأول نقضت الحكومة التركية معاهدة الصداقة وحسن الجوار المعقودة سنة 1926 وقيل ان سبب هذا النقص هو منع السلطات السورية في اللواء المظاهرات التركية ترحيبا بالنظام الجديد وقيل ايضا ان السبب هو في ان النظام الجديد سيحل محل المعاهدة المذكورة.

على اثر موقف مندوب المفوض السامي الموسيو غارو المنوه عنه توترت العلاقات بين تركيا وفرنسا وورد في تقرير حزبي ما معناه:

توترت العلاقات بين تركيا وفرنسا وذلك على اثر ما قام به المسيو غارو يوم اعلان الحدث في 29 تشرين الثاني بالغائه الاحتفالات الرسمية ومنع رفع العلم التركي وعلم « هاتاي » فوق المباني الرسمية وهدمه اقواس النصر ومعالم الزينة الخ... واغلاق جريدتي وحدة ويني كون التركيتين لنشرهما اخباراً كاذبة تسيء الى الوضع. هذا من الجهة الفرنسية اما من الجهة السورية فقد غادر محافظ اللواء السيد حسني البرازي مركزه نهائياً وسلم سيارته الرسمية للحكومة.

اما من حيث تطبيق النظام الجديد فقد الغيت كلمة « الجمهورية السورية » عن الاوراق الرسمية وتوجت بكلمة « لواء الاسكندرون المستقل ». وفي 11 كانون الاول حُلَّت الجمعيات في اللواء بحجة منع وقوع الحوادث بين السوريين والأتراك.

اهم البرقيات الاحتجاجية كانت تلك التي طيرها نزيه مؤيد العظم ومحمد الاشمر

باسم لجنة ذكرى الشهداء وهذا نصها: «المجاهدون الذين دفعوا ثمن استقلال سورية نفوسا غالية ودما زكيا يعربون لفخامتكم في وقفتمهم على قبور اخوانهم الشهداء في قرية «عقربا» ان كل اتفاقية تنشأ عن مباحثات باريس الحاضرة او عن غيرها تمس او تنقص من حق سورية وكرامتها وحريتها واستقلالها، ترفضها الامة رفضا باتا، وتحفزها لتجديد العهد على الجهاد الى ان تظفر بامانيها الكاملة».

14 كانون الاول 1937

وحلت الذكرى الأولى للحدود الشمالية وتشاء السياسة ان تكون ذكرى هذا العام ذكرى اليمّة فقد طوي العلم السوري عن اللواء والانباء تقول بعزم الدولة التركية على المهاجمة العسكرية. وتشاء الصدف ان يدي المندوب الفرنسي موسيو غارو بتصريح صحفي في هذا التاريخ نفسه اهمّ ما جاء فيه نقلا عن جريدة « النهضة » العدد 52 تاريخ 14 كانون الاول 1937.

س - من قبل من تدار شؤون اللواء بعد اعلان النظام الجديدة؟

ج - تدار شؤون اللواء من قبل امين السر العام السيد علاء الدين حتى انتهاء الانتخابات وقيام الحكومة الجديدة، هذا بسبب غياب المحافظ.

س - هل تتبدل تذاكر النفوس؟

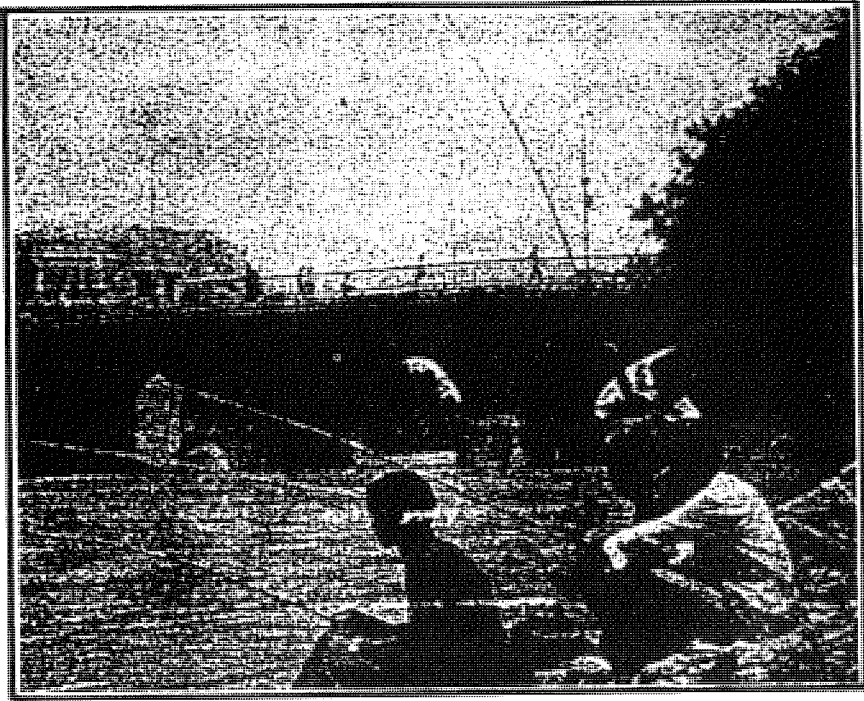
ج - لقد اتخذت اللجنة الدولية التدابير اللازمة للانتخاب وقدمتها الى عصبة الامم وهي الآن قيد الدرس وستحضرها معها عند عودتها الى اللواء في اوائل كانون الثاني المقبل.

س - ماذا بقي من نقاط مشتركة بين «السنجق» وسورية؟

ج - لقد منح «السنجق» ادارة داخلية مستقلة اما النقاط المشتركة فهي في النقد والجمارك والبريد.

اعتقالات

تخرجت الحالة في اللواء على اثر اغلاق نادي العروبة واعتقال الارسوزي ورفاقه وقد عززت السلطة قوتها وجاءت بقوى الدرك والميليشيات ووضعت المدافع والرشاشات في بعض المناطق والتي القبض على كل من يشبه به. وقد توارى عن الانظار عدد كبير من الشباب الذين وضعت قوائم باسماهم لاعتقالهم.



في لواء الاسكندرون

في اللاذقية وصافيتا

في اللاذقية

واخيرا يعود الرفيق صبحي فؤاد الرئيس الى اللاذقية.

في صافيتا - الزهوية - مأم الرفيق ياسين الغريب

وفي صافيتا، جرى مأم حافل للقومي الممتاز ياسين الغريب الذي كان يقوم بمهام سياسية على الصعيد المحلي في محافظة اللاذقية وقد مثل مركز الحزب رئيس مجلس العمدة نعمة ثابت والعميد جبران جريج. وقد القى الرئيس ثابت كلمة عدّد فيها صفات الرفيق الفقيه ونضاله الحزبي الذي يستحسن ان يقتدى به. والجدير بالتنويه ان الرئيس ثابت أبلغ ان الرفيق ياسين الغريب قد اوصى بكل ما يملكه للحزب السوري القومي الاجتماعي على ان يشرف الحزب على تنشئة اولاده تنشئة قومية اجتماعية.

الوضع السياسي في المحافظة

في اللاذقية نفسها قام المحامي ماجد صافية يحمل المعارضة ضد السياسة الكتلوية الحزبية كما ان «بدوي الجبل» الشاعر محمد سليمان احمد تبنى وجهة نظر الكتلة في محاربة الحزب وجند بعض اتباعه لهذه الغاية.

واهم حدث جرى على ساحة اللاذقية توزيع منشور طائفي علوي يحضّ واضعوه ابناء عشائريهم على مقاومة الحكومة الكتلوية وعلى اعلان العصيان المدني. وقد استنكرت الاوساط القومية اسس ذلك المنشور الطائفية وقد تساءلت الاوساط العامة «اما حان لهذه الحكومة الغارقة في بحر من الفوضى ان تشعر بلزوم نبذ هذه السياسة

الحزبية لانه ما من ريب ان الوقائع الشاذة التي حدثت ما كانت لتحدث لو ان الحكومة كانت يقظة تعمل على حفظ مصالح الشعب. ولكن الحكومة غافلة لا تريد ان تتنبه».

تألف حزب محلي جديد بسبب سوء السياسة الكتلوية وسمي « حزب الاصلاح » وانتخب له رئيسا ابراهيم الكنج، والمحامي نوفل الياس امين سر عام، والسادة يوسف الحامد، الدكتور عبيد، علي محمد كامل، صقر خير بك، جبرائيل بشور، راغب وحوّد ونديم اسماعيل لجنة تنفيذية. ان خلق هذا الحزب الجديد الذي غايته التهديد بعزل محافظة اللاذقية عن الشام توصلنا الى مصالح خصوصية، امر لا يمت الى الروح القومية بصلة:

على الصعيد الاداري الحكومي ابدل محافظ اللاذقية مظهر ارسلان بالاستاذ احسان الجابري الذي بدأ نشاطه بشكل ايجابي معقول ينتظر له اطيح النتائج ان لم يكن قد فات الاوان.

معلومات عامة

ويقول الأمين جورج عبد المسيح في يومياته المخطوطة:

«وكانت نتائج هذا التعاون الذي أخبرني عنه هذا الرفيق عام 1938 ان اقطاعي المنطقة تشدّدوا جداً ضد حزب تحي سوريا واصبحوا يهاجمونه بشتى أساليب الدعايات ويشيرون فلاحهم ضد الرفقاء القوميين.

واليك طريقة للإثارة:

في العلويين وبين الفلاحين لاقيمة للمرأة أبدأ: يذهب الرجل راكباً دابته وتتبعه امرأته أو نساؤه حاملات الحطب إلى المدينة للبيع أو بحاجات من المدينة على رؤوسهن.

وكان القوميون من الفلاحين قد تركوا هذه العادة فأصبح الرجل يمشي أمام امرأته ويضع الحمل على الدواب. وكان هذا العمل ما يؤاخذ عليه «حزب تحي»: إنه يريد أن يسلط المرأة الناقصة العقل على الرجل وهو يعلم أفراده أن يمشي الرجل مثل الامرأة بدلاً من أن يتركها تمشي هي.

فسبحان من أعطى النظام الاقطاعي هذه العقلية المستكلبة على استغلال الشعب المسكين.

في بلدة صغيرة عند مفرق طريق متن عرنوق من طريق طرطوس بانياس - دخل صفوف الحزب الاغا صاحب الأرض وكان قبله قد انضم فلاحوه سرّاً خوفاً منه .

وهذه قصة قصصها عليّ عام 1938 بعد الموسم قال . اردتُ أن أطبق مبادئ علي الفلاحين وقررت أن لا اتعامل عليهم في قسمة البيدر وأن أعطيهم بعض الحرية في العمل فجمعتهم في بدء الموسم عند توزيع الاسهم والبيدر لاعلن لهم قصة العمل الجديد . وبعد الحديث عرفوا أنني من الحزب فاعلنوا لي أنفسهم ففرحت بهم وفرحوا بي وانصرفنا كل في أعماله . وهاك ما كانت النتائج .

وبعد مقدمة ذكرني فيها بما أعرفه عن اخلاق الفلاح هناك وما وصل إليه من الانحطاط بسبب الظلم الطويل - فالكذب والسرقة والرياء والمداهنة وشهادة الزور والوشاية - كل هذه صفات تلازم فلاحنا في ظل الاقطاعي أينما وجد وفي جميع المناطق على السواء . وما هذه الصفات إلا وليدة الطغيان الاقطاعي .

قال بعد المقدمة سلمتهم مفاتيح عنابر العلف وحواصل بذار القمح والشعير والذرا وغيرها ولم أقسم الأرض بينهم أسهماً كالعادة . لأنهم قرروا أن يتعاونوا على العمل . فلحوا الأرض ونقبوها ونقوها كما لم يفعلوا منذ أجدادهم ومنذ أن كانوا على أرضنا وفي مدة قصيرة جداً وقبل فوات أوان الموسم كانت الأرض قد زرعت

وفي أيام الربيع كانوا يقومون بتنقية الأعشاب من المزروعات دون أن يميز الواحد بين أرض وأرض فكان في ذلك علف ممتاز للمواشي فزادت أحجامها وكبرت ولم يعتد واحدهم على حصة الآخر فالكل حصة واحدة ولم يتنازعا المرعى أو العلف - عائلة واحدة .

واليوم هم على البيادر يقسمون الغلة فيأخذون ما يجني إلى الحواصل وأنا لا الاحظ البيادر ولا المحاصيل لأنهم لم يتعمدوا سرقتي ولا تعمدت الاقتصاص منهم على السرقات بأن آخذ من حصتهم بالقوة . ولكن أقول بل مقسماً بشرف الزعيم أن غلالنا هذه السنة ستكون أربعة أضعاف على أقل تقدير من أحسن سنوات المحصول .

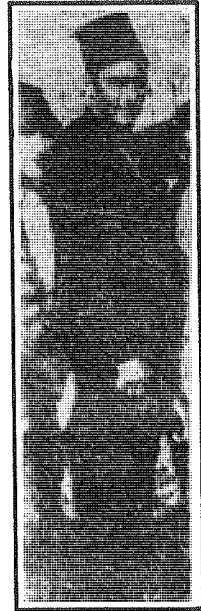
لقد أنصفهم وأعطاهم بدل ربيع الغلة ثلثها إنصافاً للعمل والربح هو كثير بسبب هذا التعاون وكان هذا سبب في تألب الاقطاعيين عليه فأضروه جداً لأن عمله هذا كما يقولون يكبر رأس الفلاحين! (؟) .



الدكتور وجيه البارودي
(راجع ص 84)



للي فاخوري



عزيز حديد

في اشغال البستاني

في طرابلس - محاكمتان

نقلا عن جريدة « النهضة » عن عددها 36 تاريخ 24 تشرين الثاني اسجل وقائع اول محاكمة . « كان يوم امس السبت يوما تاريخياً مشهودا في تاريخ القضاء في مدينة طرابلس الفيحاء ، فقد كان موعد محاكمة عدد من الشباب القومي الذين رفعوا عريضة الى رئيس الجمهورية احتجاجا على اعتقال الزعيم واعوانه اثر حوادث بكفيا في شهر شباط الماضي . وقد رأت الحكومة ان تحيل موقعي العريضة الى القضاء وتقيم الدعوى عليهم بتهمة تحقيرها والاخلال بالامن العام .

ومنذ الصباح أخذ القوميون يتوافدون إلى السراي حتى غصت بهم الساحة الكبرى وازدحمت بهم الأروقة ، وكانوا موضوع اعجاب الناس واحترامهم بهدوئهم وورصانتهم .

ولما حان موعد الجلسة ونودي على المتهمين دخل الشباب القاعة واحدا واحدا بنظام وهدوء وعلى ثغورهم ابتسامات الرضى والطمأنينة ومن عيونهم تشع انوار الثقة بالنفس وقوة الارادة والرجولة الصحيحة . قرأ الرئيس نص العريضة والتهمة الموجهة اليهم ، وقد جاء في مطالعة النيابة العامة عن العريضة انه وردت عبارات « سمجة غليظة » وفي تقرير قاضي التحقيق عبارات « شديدة اللهجة » امثال « اعمال شاذة » و « خرق القانون » و « خنق الحريات » ولما سألهم عن صحة امضاواتهم صادفوا جميعا على صحتها بصوت واحد .

عندئذ طلبت الرئاسة من النيابة العامة رأيا فطلب الحكم على الشباب بموجب

المادتين 1 و 2 من القرار 115 ل، اللتين تنصّان على العقوبة من شهرين الى ستة اشهر ومن خمس ليرات الى خمسين ليرة او باحدى العقوبتين.

الدفاع

وهنا وقف المحامي الاستاذ سليم غنطوس وكيل القوميين والقى دفاعا مجيدا حلّل فيه التهمة وبين ان العريضة المرفوعة للرئاسة الاولى في الجمهورية اللبنانية لا تشكل جرما يستوجب العقوبة الجزائية ولكنها كانت غير لبقة، والمقصود منها رفع الظلامة فقط لانهم لو شاؤوا تحقير الحكومة والاخلال بالامن لكانت لهم طريقة غير هذه الطريقة، وانهم اتخذوها لبيان شعورهم نحو زعيمهم، الاستاذ انطون سعادة، وان كلمة « الشاذة » التي وردت في العريضة يقصد منها ما هو مخالف للقياس، وهذا هو قصد موقعي العريضة.

الى ان قال: « ان هؤلاء الشباب الذين رفعوا هذه العريضة الى الرئيس، اللبناني الاول، يشكون فيها حكومته خنقها للحريات العامة وان من يؤمن بحقه ايمانا راسخا قويا مثل هؤلاء الشباب يستعمل هذه اللهجة وان تكن غير لبقة فهم ليسوا دبلوماسيين ولا يعرفون اساليب المجاملة، وان جميع الحكومات في العالم ترتكب اعمالا شاذة ». ثم قال: « لو اصدرت علي حكما، يا حضرة القاضي ثم استأنفت الحكم الا اكون في ذلك قد نسبت اليك الشذوذ والظلم ضمنا لانني لو لم اعتبر نفسي مظلوما لما استأنفت. وهذا ينطبق تماما على ما فعله هؤلاء الشباب.

واذا اردنا ان نرى في عملهم جرما فان هذا الجرم يصح تطبيقه على قانون الاداب الاجتماعية لا على قانون الجزاء ». وكان لدفاع الاستاذ غنطوس اثره الطيب في نفوس الجميع.

ثم القى الامين انيس فاخوري احد المتهمين كلمة عطف فيها على كلام الاستاذ غنطوس واطهر فيها ان كلمة « شاذة » تعني مخالفة القياس بالحكومة قبل حادثة بكفيا المشهورة والتي لاجلها كتبت العريضة كانت تعرف باجتماع السوريين القوميين في الشوف وعماطور وفي طرابلس دون ان تلاحقهم قانونا فعدولها عن التساهل يعتبر شاذا نسبة لسلوكها السابق معهم.

ثم قام المحامي الامين عزيز حديد والقى كلمة طيبة بين فيها ان نية الشباب كانت

حسنة في احتجاجهم وطلب براءتهم ولكن القوميين استأنفوا الحكم الى بيروت فانعقدت جلسة في 10 اذار 1938 وبعد الاعتراف والدفاع الذي القاه الاستاذ غنطوس قررت المحكمة براءتهم من التهمة المنسوبة إليهم. وأخيراً أعطت الرئاسة الحكم وهو يقضي بتغريم كل واحد من الشباب الذين وقعوا العريضة بمبلغ عشر ليرات سورية. وبعد الجلسة زار الرفقاء الزعيم في مكتبه فألقى فيهم كلمة هنأهم فيها على صمودهم ونبرثتهم.

اما المحاكمة الثانية فقد بدأت بتاريخ 18 كانون الاول 1937 لمحاكمة الشباب القومي في طرابلس والكورة بتهمة الاخلال بالامن العام. بلغ عدد المتهمين 85 بينهم أنسة، وهي المرة الاولى في تاريخ القضاء اللبناني تحال فيها أنسة الى المحاكمة بتهمة سياسية وقد كان عدد الذين اتوا لحضور هذه الدعوى الفريدة من نوعها كبيرا حتى ان قاعة المحكمة والساحة المحيطة بها ضاقت على المتفرجين ولكن اجلت المحاكمة ليوم 12 شباط 1938 وظل التأجيل ساري المفعول الى ان انعقدت بتاريخ 12 نيسان وقد القت الرفيقة للي فاخوري دفاعا رصينا ثم تقدم الاستاذ سليم غنطوس الذي فند التهم المنسوبة الى الشباب والتي ظهر من شهادات رجال التحري انها لم تقم الا على اخباريات مخبرين سرين. طلبت النيابة العامة احالة الأوراق للايداع وتأجيل الحكم الى العاشر من ايار.

ويقول جبران جريج بهذا الصدد في العدد 1033/90 من جريدة «البناء تاريخ 9 كانون الأول 1972 تحت عنوان «من تاريخ الحزب»: «كان ذلك سنة 1937 - 1938. كانت الحركة القومية الاجتماعية تناضل وحدها ضد الاستعمار من جهة ولتوعية الشعب على مصيره القومي من جهة أخرى وكان الأمن العام يتربص الدوائر بالشباب القومي ويتحين الفرص للإيقاع بهم بالتجسس وبإحصاء حركاتهم واجتماعاتهم. كانت الرفيقة للي فاخوري من الفتيات الأول اللائي أقبلن على اعتناق العقيدة السورية القومية الاجتماعية وقد نشطت في هذا السبيل باجتهد وتفان فكانت حركة دائمة لا تكمل ولا تمل.

قد تبدو واقعة مثول فتاة أمام محكمة في هذه الأيام بعد مرور أربعة وثلاثين عاماً ونيف (واليوم مرور نصف قرن) على حدوث هذه المحاكمة، قد تبدو هذه الواقعة بسيطة عادية إنما إذا أعدنا هذه السنوات إلى الوراء وتطلعنا إلى الأوضاع التي كانت سائدة في أمتنا لوجدنا أن هذه الواقعة كانت حدثاً خطيراً في حد ذاته من الناحية العامة فكيف به يتناول فتاة وفي محيط كذلك المحيط.

إن هذا الحدث كان الأول من نوعه ليس في الجمهورية اللبنانية وحسب بل كان الأول من نوعه في كل الدول السورية عامة وكل الدول العربية بصورة أعمّ وأنه لمن مفاخر النهضة السورية القومية الاجتماعية أن تكون هي السبّاقة في هذا المضمار أيضاً فتسجل مثول أول فتاة أمام محكمة بتهمة سياسية فتحال إلى التحقيق وتستجوب وتحال إلى المحاكمة وتلقّي دفاعاً ثم تنال «البراءة».

للي فاخوري (اليوم للي فاخوري قربان) كانت صاحبة الحظ في هذا التسجيل في سفر الحياة فهنيئاً لها وهنيئاً لحزبها ونهضتها وأمتها».

دفاع الرفيقة للي فاخوري

سادتي القضاة المحترمين.

انه لمن الامور الغريبة والغريبة جدا ان تتهم النيابة العامة المحترمة فتاة مثلي بتهمة الاخلال بالامن العام، والتحريض على كره السلطات. وانتم تعلمون والعالم بأسره يعلم ان الجنس اللطيف هو ابعد الناس عن مثل هذه الامور التي لا يأتيها سوى الرعاع.

ايها السادة، لقد روعت في صباح احد الايام من السنة الماضية برجال التحري يدخلون منزلنا ويدهم امر النيابة العامة المحترمة القاضي بتفتيش الاوراق الخاصة بشقيقي. وقد عثروا صدفة على خطاب لي كنت قد اتخذته موضوعا انشائيا مدرسيا اتخيل به قدوم زعيم النهضة الجبارة التي اجتاحت تفكير الشباب والشابات في هذه البلاد.

ولامر اجهله تمسك رجال التحري باوراعي هذه وصورت لهم مخيلتهم الواسعة انني اتأمر على سلامة الدولة وانني خطر على الامن العام وانني احرض على كره السلطات العامة ذلك بناء على هذا المقال الانشائي المدرسي الذي يتضمن شعور وتقدير واخلاص فتاة نحو رجل عظيم اوجد نهضة كل ما فيها يؤول لخير وتقدم هذه البلاد، والاحترام والنظام.

وكان بعد مدة شهر ان قدم الزعيم سعادة الى طرابلس وذلك بعلم الحكومة ونزل ضيفا في بيت احد اصدقائه وكنت انا موجودة هناك وكان الموقف مما يوحي الي ويدكرني بمقالي المدرسي السابق وكانت مناسبة فالقيت كلمة بين يديه.

وكانت هذه الزيارة بعلم الحكومة المحلية اذ قد حضرها مدير الشرطة في طرابلس واحد معاونه.

وهكذا ترون ايها السادة ان جرمي ينحصر في مقال مدرسي وفي كلمة ترحيبية القيتها بين يدي رجل اتى بفكرة قومية اجتماعية جديدة مهذباً بها نفوس الشبان والشابات مُظهرًا لهم فيها الفضائل العلمية للحرية والواجب والنظام والقوة - اذا كان هذا يجب ان يسمى جريمة.

على هذا تبني النيابة العامة تهمة وتضعني في صف المخلين بالامن العام والمحرضين على كره السلطات. فما هي الاثباتات والمستندات التي وجدتها النيابة العامة لتثبت علي هذه التهمة الباطلة.

انا ايها السادة في عصر تنبعت فيه الافكار، في عصر يسيطر فيه العقل والمنطق والحرية الشخصية والفكرية، في عصر ضمن فيه الدستور حرية المعتقدات والافكار.

نحن في عصر كهذا ونرى بان النيابة العامة المحترمة التي وكل اليها امر المدافعة عن حقوق الافراد وصيانة الحريات نراها هي بنفسها تقيم علينا الدعوى التي لاتقوم على مستندات ولاتنطبق على وقائع.

ولذلك نلجأ اليكم ايها السادة وانتم الذين يمثلون العدالة وتروني الان اقف امامكم شارحة لكم هذه القضية الاولى من نوعها في هذه البلاد قضية فتاة لما تخرج من ضمن جدران المدرسة تتهمها النيابة العامة بالاخلاق بالامن العام وبمحاولة تأسيس حزب حلته الحكومة.

ان هذه القضية ايها السادة لاتحتمل التأويل فهي ذات وجهين. اما انني احاكم في سبيل مبادئ اعتنقها هي طريق الخلاص والاستقلال لهذه البلاد وهي فكرة في لن تزول ولن تحول وليس في العالم سلطة تقدر ان تحاكم المرء لاجل افكاره ومعتقداته بل ان جميع قوانين ودساتير العالم ضمننت الحرية الفكرية لكل فرد من افراد الامة.

واما الوجه الثاني فكوني قد ساهمت في اعادة حزب محلول وعلى هذا لم يقم اي دليل حسي. فهذا استجوابي لحضرة المستنطق امامكم وهذا مقالي الانشائي الذي بنيت عليه هذه التهمة موجود في ملف الدعوى يمكنكم مراجعته وانا اتقدم اليكم ايها السادة وانا واثقة مطمئنة بان وجدانكم الحي ونزاهة تفكيركم وبعد نظركم في الامور ستكون السبب الاساسي في حكمكم ببراءتي من هذه التهمة التي لا صحة ولا اساس لها.

في الكورة

مثل امام محكمة الاستئناف في بيروت بتاريخ 24 شباط عشرون قوما اجتماعيا من اميون - الكورة بدعوى تقديم احتجاج على اعتقال الزعيم للمرة الثالثة وقد حكمت المحكمة على كل منهم بدفع خمس ليرات سورية جزاء للحق العام.

انتخاب مختار

كان 15 ايار 1938 موعدا لانتخاب مختار وهيئة اختيارية لقرية بيترومين - الكورة وقد ألفت مديرية القرية قائمة قوامها السادة ميخائيل عبد الله نجار، مختارا وميخائيل سمعان القبرصي وجرجس حنا القطريب وموسى اسعد منصور اعضاء اختياريين وقد كان نجاح القائمة بتسعة وخسين صوتا من اصل واحد وستين. كان الفصل بهذا النجاح الباهر لمساعي القوميين الاجتماعيين التي ارادت ان تظهر القرية موحدة الاتجاه، بعيدة كل البعد عن المشاحنات المحلية الضيقة التي تفرق بين عائلة وعائلة او بين افراد العائلة الواحدة فكانت الانتخابات صورة صحيحة لوحدة الغاية والقصد.

حضر الرفيق جبران جريج هذا الانتخاب فهنا الناجحين في منزل المختار بحضور هيئة الرقابة الامنية المكلفة بالاشراف على هذه الانتخابات بكلمة اوضح فيها مغزى هذا الاجماع. كانت الهيئة الامنية قد اظهرت اعجابها وتقديرها لهذا الاجماع الذي انفردت به هذه القرية وذلك بفضل الوعي القومي الاجتماعي الذي عم الاهالي دون استثناء.

في البترون

وفي بلاد البترون بدأ الانتشار يمتد فشمّل قرية تولا بدخول الياس الزعني ومعلم المدرسة هاري الزعني، والصيدلي في ترتج وفي قرية بجدرفل التي صار مفوضها الرفيق اميل حايك، في كفر حلدة مفوضية ايضا مفوضها المحامي انطون موسى الذي كان قد انضم الى الحزب في القامشلي.

في الجنوب اللبناني

في صيدا

وفي صيدا، ايضا، كان مفوض الشرطة محمد علي فياض من الذين يلدّ لهم مضايقة السوريين القوميين الاجتماعيين إن لاسباب محلية او لتوجهات السلطة او لأسباب تمت الى الاثنتين بصلة ومثال على ذلك جرى حادث بين افراد يخصون عائلة البزري وافراد اخرين من سكان صيدا فما كان من حضرته الا ان ذهب واعتقل بعض أعضاء الحزب بحجة انهم يخصّون معروف سعد. إن معروف سعد بنظره يمثل حزبية محلية وليس يمثل الحزب السوري القومي الاجتماعي الذي كان منفذه العام في مدينة صيدا.

وكانت ذروة التحامل من قبل المفوض المذكور عند وقوع الاضراب العام الذي عمّ مدينة صيدا نزولا عند رغبة العائلات الصيداوية احتجاجا على قدوم اللجنة الملكية الى فلسطين. لا غرو في ذلك فمعروف سعد كان قد اشتهر بعدائه لليهود ومقاومته اليهودية في فلسطين قبل انتائه الى الحزب وقد عرف عنه تحريضه المحقّ في تحطيم السيارات الشاحنة الخضار والفواكه الى فلسطين.

والآن نعد الى منفذية صيدا او الى منفذها العام الرفيق معروف سعد، أروي قصة توقيفه واحالته الى المحاكمة وحضور الزعيم الى صيدا لهذه المناسبة ثم الحكم ببراءته.

التوقيف

وروت الجرائد الحوادث الاخيرة التي جرت خلال شهر نيسان في صيدا وأوقف على اثرها الرفيق معروف سعد، روتها بأشكال متعددة على غير حقيقتها. والحقيقة هي

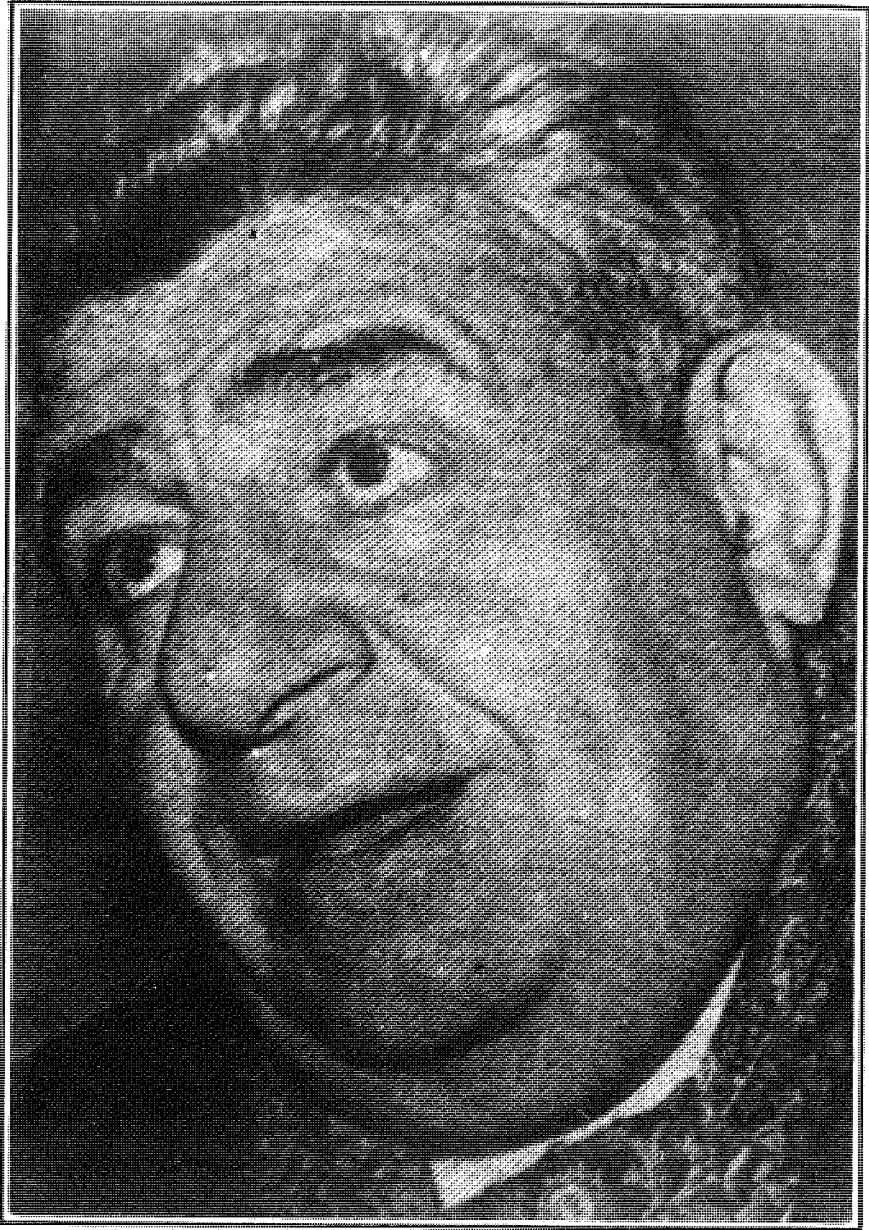
انه بينما كان الرفيق معروف سعد يمر في احد شوارع صيدا يتصدى له المفوض المذكور، محمد علي فياض، ويوجه اليه كلمات يتهمه فيها انه هو الذي حرّض على الاضراب، بصفته منفذا عاما للحزب السوري القومي الاجتماعي ولكن الرفيق سعد لم يابه لكلامه وتابع طريقه. وفيما كان يتابع طريقه تصدى له جماعة من آل البزري واطلقوا عليه الرصاص ولكنهم اخطأوه كما انهم لحقوا به الى منزله وهناك راحوا يهددونه ويهتفون هتافات عداوية.

كانت دهشة اهالي صيدا بالغة عندما رأت ان مفوض الشرطة بدلا من ان يقبض على المعتدين الذين اطلقوا الرصاص يلقي القبض على المنفذ العام سعد. بعد مضي اربعة ايام نفذ صبر الاهالي على هذا التآمر المفضوح فتألف وفد من اربعين شخصا قابلوا رئيس الجمهورية اللبنانية ورئيس الوزراء ووزير الداخلية والمندوب الفرنسي وطلبوا منه نقل مفوض الشرطة محمد علي فياض بعد ان ظهر ان تبعة الحوادث تقع على عاتقه كما انهم طلبوا تبرئة الرفيق معروف سعد واخلاء سبيله ومجازاة المعتدين الحقيقيين.

في الرابع من شهر ايار 1938 جرت المحاكمة. كانت دار السرايا وغرفة المحاكمة غاصة بالجماهير الغفيرة التي تألبت من كل حذب وصوب لحضور هذه الجلسة وما ان أتى رجال الشرطة بالرفيق سعد والرفيق «سامي كالو» حتى ساد السكون بانتظار الاستجواب، كان الزعيم قد كلف المحامين صلاح البايدي، عبد الله قبرصي، اديب الحسيني وابراهيم عازار. بدأت الجلسة الساعة العاشرة فاستمعت المحكمة الى معروف سعد الذي كرّر افادته الاولى.

ثم تقدّم مفوض الشرطة محمد علي فياض والتحريان محمد اديب وفيليب فاخوري الملقب بالدرزي والسيد عز الدين البزري فشهدوا كلهم بما يشتم منه رائحة الانتقام والتشفي وخصوصا حضرة المفوض الذي صور معروف سعد مرعب صيدا واهاليها. خلال اعطاء شهاداتهم طلب الاستاذان لبايدي والحسيني ان يذكروا اسم تاجر واحد أجبر على الاضراب فعمجزوا عمجزا ظاهرا فاضحا مما كان يثير تهكم الحضور.

اما النائب العام فقد اوجز مطالعته حاصرا التهمة في التحريض على الاضراب واطلاق النار وطلب انزال الحكم على معروف سعد بناء على المواد 1 و2 و3 معطوفة



معروف سعد

على المادة 6 من قانون قمع الجرائم. وقد دافع اللبايدي مستندا على النداء الذي وزع في المدينة والذي لم يخرج من دائرة النظام والقانون كما ان الحسيني ردّ مزاعم الشهود واطهر تحامل المفوض المحترم ثم نهض الرفيق معروف سعد والقي دفاعا قوميا مجيدا هذا نصه :

دفاع معروف سعد

أيها السادة!

يسرني أن أقف هذه المرة أمام هيئة وطنية. فإنه للمرة الماضية حيث كانت هيئة أجنبية تنظر في قضية كهذه. إن استلام زمام أمورنا وفضّ قضايانا الداخلية دون تدخل عنصر غريب خطوة مباركة نحو الاستقلال ننظر إليها بعين الارتياح والرضى.

أيها السادة!

أشد ما كانت دهشتي عندما ألقى القبض علي بتهمة الإخلال بالأمن العام. حمدت الله الذي اتسعت داري بالأحد عشر شرطياً وعلى رأسهم غيرهم خارج البيت وإلا لروعت النساء وهلعت قلوب الأطفال الأمنيين من منظرهم في مثل تلك الساعة من الليل.

كان أحرى أيها السادة برجال الأمن هؤلاء إلقاء القبض على أولئك الذين اعتدوا على حرمان الناس وحرابتهم والذين كانوا ولا يزالون مجتمعين على قارعة الطريق يهددون بمسدساتهم وعصيهم وخناجرهم الناس الأمنيين. وإني لا أشك أن هناك مؤامرة مدبرة بمعرفة حماة الأمن وليست هي المؤامرة الأولى من نوعها.

لعمري أيها السادة ما هو الإخلال في الأمن العام، هل دعوة بضعة رجال لآداء صلاة الغائب عن أرواح الشهداء الفلسطينيين إخلال في الأمن العام؟ أم هل الاحتجاج تلغرافيا أو غير تلغرافي للمجلة الإنكليزية الفنية إخلال في الأمن العام؟ ليس في الأمر غرابة؟.

أيها السادة، أيسمح لأقلية يهودية صهيونية في لبنان وخصوصاً في صيدا بالإضراب ساعتين اشتراكاً مع صهيونيين العالم. وأن نمنع نحن الذين تربطنا مع الشعب الفلسطيني رابطة القرابة واللغة ورابطة المصلحة الواحدة والقومية الواحدة المتينة حتى من الترحم عليهم وأن يحسب عملنا هذا جريمة لا تغتفر، نزع من أجلها في أعماق السجون.

أليس في الأمر غرابة أن يضرب العراق في 28 أبريل شعوراً مع فلسطين وعطفاً عليها مع العلم أنه يبعد لا أقل من ألف وخمسمائة كيلومتراً عن فلسطين ونحن الذين على مرمى حجر من هذا الجزء الحبيب نسمع صراخ شعبه وأنيته ونرى بأم العين اضطهاده والخيف اللاحق به حتى ونسمع في أذاننا أزيز الرصاص ودوي المدافع التي تحصد صفوفه حصداً ونقف دون أن نبدي حراكاً؟ . . .

لم نصل إلى هذا الحد من الخمول ولن نصل بعون الله وفينا دم القومية يجري، لا تتأثروا أيها السادة بأقوال الوشاة بأننا أعداء للبنان إننا لسنا من أعداء لبنان ولا من المشاغبين لهدم الكيان اللبناني كما تتوهمون اننا بالعكس نسعى لبناء البلاد ولبنان هو جزء منها اننا نحب لبنان أكثر ممن يدعي حبه ونفديه بالأموال والأرواح لنحميه من غوائل الزمن، ولهذا ترونا مع كل ما نقاسي فيه من عذاب وآلام لا نرضى عن السكنى فيه بديلاً.

وأخيراً إنني ما فهمت ولا كنت أقدر أن أفهم هذه التهمة بحق نسميها «إخلال في الأمن» ومع هذا في ثقة بمقدرتكم الكافية لتبينوا القصد من تهمتي هذه ولتحكموا فيها عما ترتاح إليه ضمائركم الحية والسلام».

وفي اثناء الجلسة، كانت المفاجأة الكبرى. كان حضور الزعيم يرافقه جبران جريج ومأمون أياس. لست ادري كيف تناهى الى الاعضاء والاهالي في صيدا ان الزعيم وصل ليحضر الجلسة فقد تجمعت حشودهم وازدحمت الطرقات المؤدية الى السراي حيث تجري المحاكمة. ارتبكت السلطة المحلية واحترارت فيما تتخذة من تدابير فيها هو الزعيم موجود فقد بلغت جرأته حداها في خرق حرمة حدود مملكة محمد علي فياض!! ها هو متجه الى قاعة المحكمة فهل تمنعه وكيف؟ هل تستدعيه اليها ولكن بأية صفة ولاي داع؟ على كل حال عززت القوة بحجة المحافظة على الامن فتوزعت على الممرات. انتظرت الناس الاصطدام الذي لا بد واقع بين دقيقة واخرى.

كادت الجلسة تتعطل ولكن موفدا من قبل المحافظ انقذ الموقف. تشار مع المحامي اللبايدي الذي نقل بدوره الى الزعيم اضطراب الموقف وان وجوده قد يتسبب بتغيير مجرى الامور فاستجاب الزعيم لحل الازمة وطلب منه ان يلاحق الاجراءات العادلة وانه هو بدوره عائد الى بيروت. «ان الغاية من حضوري قد تحققت». وبالفعل خرج الزعيم من القاعة واتجه الى السيارة كما حضر فجأة، لم تشعر الجموع الا وسيارة الزعيم تقله الى بيروت.

اثبت الزعيم بحضوره وجود الحزب واهتمامه ودعم وضع الرفيق معروف سعد وكانت النتيجة الحتمية الحكم بالبراءة.

منفذ الحزب القومي في صيدا يخرج من السجن بتظاهرة رائعة

صيда - وكالة النهضة بالتلفون - على اثر إعلان المحكمة براءة القومي المحبوب السيد معروف سعد، على نحو ما أخبرناكم أمس تجمهر شباب صيدا أمام السجن بانتظار خروج السيد سعد. ولم يكذب يظل حتى حمله الشباب على الأكتاف مخترقين شوارع البلدة هاتفين بحياة سورية وسعادة.

وقد كانت تظاهرة لطيفة رائعة، ظهر فيها مبلغ ما للسيد معروف سعد من المحبة والتقدير في قلوب شباب صيدا وأهاليها على العموم.

وعند وصول السيد معروف سعد إلى داره تدفقت الجماهير لهتهته ببراءته العادلة ونحن إذ نهنيء السيد معروف نتمنى له استمرار الجهاد والمساهمة في خدمة القضية القومية المقدسة.

في صور

قام فريق من معلمي وطلاب «مدرسة صور الاسقفية» بتمثيل رواية « بنت يفتاح » الشعرية لمؤلفها سعيد عقل. وذلك مساء الجمعة في 25 اذار وقد حضر الحفلة مطران صور وقائمقامها ونخبة من سكانها وسكان صيدا. كانت الحفلة خطابية اكثر منها تمثيلية طغت عليها الروح القومية ومما لفت الانظار قطعة القاها احد الطلاب الاحداث عنوانها « لو لم اكن انا نفسي » وهي القطعة التي كتبها الزعيم ونشرتها جريدة «الجمهور» في حينه. ثم القى الاستاذ سعيد داغر، مدير المدرسة، قصيدة عامرة تغمرها الروح القومية الحساسة وعقبه الامين عجاج المهتار بقصيدة قومية لاقت الكثير من الاستحسان كما ألقى الرفيق المعلم حنا اسطفان خلال التمثيل ابياتا شعرية ملؤها الروح القومية.

اما القائمقام الاستاذ جان عزيز فقد القى كلمة تشير الى اهمية التعليم الديني. كانت الكلمة الاخيرة لسيادة المطران ضمنها قوله « نحن كلنا سوريون رغم وجود الطوائف المتعددة » فكان لقوله هذا اثر طيب في النفوس.

هذا في المدرسة الاسقفية اما في مدرسة الثقافة الوطنية فقد كان يتم عمل من نوع

آخر. فقد نشأ في هذه المدرسة فرع جديد للحزب في صفوف الطلاب الاحداث وفوض الرفيق كامل يونس بأمر الاشراف عليه وتدريبه حتى اصبح هذا الفرع المستحدث مديرية رسمية للاحداث او للشباب حسب التسمية التي اعتمدت مؤخرا.

كانت هذه المديرية اول مديرية من هذا النوع في الحزب وكان اول مدير لها الشبل مصطفى عز الدين. وزيادة في الشرح اقول انها اول تنظيم حزبي من هذا النوع اذ ان امتداد الروح القومية الاجتماعية للأحداث شمل كل فرع حزبي اينما وجد في أي كيان من كيانات الوطن السوري. كان الأحداث يتظاهرون بدافع ذاتي كل يوم تقريبا وبصورة خاصة في الآحاد والاعياد وفي اكثر الاحيان في الامسيات فيملأون الارضاء بأصواتهم النقية الصافية بالهتافات الحزبية التي تعلموها من ذويهم بحياة سورية وحياة سعادة.



الرفيق مصطفى عز الدين

وفي زيارة قام بها العميد جريج الى صور للمتفقد من ضمن جولة حزبية غابتها شرح أسباب سفر الزعيم عقد اجتماعا هذه المديرية في منزل المدير المستقل الرفيق خليل حلاوي وتحدث اليهم بما يناسب المقام. بهذه المناسبة أود ان أدون الطريقة الظريفة التالية: «صادف الموعد المقرر لعقد الاجتماع الحزبي المذكور موعدا مدرسيا آخر لممارسة رياضة كرة القدم فما كان من الشبل مصطفى عز الدين الا ان عطل هذه التمارين الرياضية بأن اوغز الى احد الاحداث تنفيس الكرة ففعل وذهب كالعادة لاصلاحها فلم يجد - بالطبع - صاحب الخانوت الذي وحده يحتكر اصلاح الطابات التي من هذا

النوع. وبهذا الاسلوب تمكن جميع الاحداث من حضور اللقاء - الاجتماع الحزبي لسماع ما سيتوجه به اليهم حضرة العميد.»

وبما ان الشيء بالشيء يذكر كان هذا التاريخ تاريخا فاصلا لدى الشبل عز الدين اذ انه دعي بصفته مسؤولا عن هذا الفرع الحزبي الى الاشتراك في مأدبة اقامتها مديرية صور المستقلة للعميد الزائر فقام باستعدادات خاصة لهذه المناسبة الكريمة فمر بالمزين يطلب منه ان يخلق له ذقنه لأول مرة فنزل الحلاق عند رغبته وحضر المأدبة وشرب

لأول مرة نخب سورية وسعادة مع الرفقاء المشتركين. هاتان المارستان كونتا عنده تاريخاً فاصلاً.

في وادي التيم

لا جديد في هذه المنطقة ولكن اود ان اروي كيفية دخول الحزب التي جرت لأحد الاعضاء الرفيق نصار مداح من « ميمس » لأعطي مثلاً على بدء انتشار الحزب في لبنان الجنوبي. سئل الرفيق المذكور: كيف تعرفت على الحزب؟ فكان جوابه « أول مرة سمعت بالحزب كنت بالسجن بصيدا. كنت محكوماً عشرة أيام حبس، لأنني اختلفت مع شب من الضيعة وضربته. وكان معي « بالقاووش » معروف سعد وشب ثاني. كان المساجين يدلوا عليهم ويتهامسوا « هودي قوميين تبع انطون سعادة » حاولت أن اعرف شو هلحزب بس ما كان حدا بيعرف بعد. قالو لي المساجين أنو رح يجي انطون سعادة ومعوناس كتار حضروا المحاكمة. القى معروف سعد خطاب في قاعة المحكمة. وطلع براءة. زقفوا كلهم وضيفوا الشباب بقلاوة».

- من عرفك بالحزب؟ - اجا الرفيق عجاج المهتار على المنطقة عن طريق راشيا الوادي، عين عطا ووصل ميمس. ويوم اجا لعندي الرفيق توفيق حدان والرفيق محمود العيسمي من الكفير. قالوا لي في حزب جديد، الو مبادي ودستور ومؤسسو اسمو انطون سعادة؟ قعدنا، تناقشنا، واطلعت عالمبادى. قلت بنفسى لا بأس بها الحزب لها لوطن لأنو باعتقادي عن غير طريقو ما في وحدة وخلص للشعب. بعد أسبوع طلبوني لعند الرفيق محمود أبو العز واقسمت اليمين وصرنا نسعى لضم الشباب للحزب. (كان الرفيق محمود أبو العز أول مدير لمديرية ميمس).

- هل كان الحزب محصوراً بقرى معينة في الجنوب - كان بكل القرى براشيا، بالكفير، عين عطا، مرجعيون، دبين وما كان في نشاط منظم الا الحزب.

في العراق

نشرت جريدة «الناس» التي تصدر في مدينة البصرة مقالا عن النهضة السورية القومية الاجتماعية في تاريخ الرابع من كانون الاول 1937 هذا نصه: «في سورية اليوم حركة عنيفة لست ادري ان كانت هذه الكلمة الاخيرة كافية للتعبير عما اقصد، فالعنف احيانا غير محبوب كما انه محبوب احيانا. وهذا العنف احيانا غير محبوب كما انه محبوب احيانا. وهذا العنف الذي اتكلم عنه هو من هذا النوع الاخير ولعل الحب فيه تطور فأصبح عبادة. اذن، يصح لي ان اسمي الحركة القومية في سورية اليوم حركة عنيفة معبودة.

كل من يدير تلك الحركة شاب. عنيف، معبود العنف. تزاخت في صدره أرواح عدة قامت تؤدي رسالة واحدة... لكنها مباركة... وتدفتت من عينيه معاني الشباب فراحت تفصح عن مكنونات الرسالة ومراميها وقد التف حوالبه فريق هائل من الشباب... والشابات.... والشيوخ.... والاطفال... أجل والاطفال من عمر سنتين فما فوق! كلهم مستعدون في أية لحظة كانت لتحمل انواع العذاب في سبيل المبدأ الذي يحملون... فكلهم يسجن وكلهم يطرد من وظائفه وكلهم يُحرم الطعام والشراب ورؤية الأهل والاصدقاء! ويضيق عليهم فتسلب حرياتهم... وكلهم يُنفى ويطارد وبالرغم من كل هذا فكلهم يجهر بالمبدأ وانهم لن يجيدوا قيد شعره عما يؤمنون.

أسمعت بحركات الشباب العنيفة في العالم؟ هكذا يمشي انطون سعادة امام سورية اليوم. هكذا يبعث النار في عروق شعبها وهكذا يقف ابن سورية تحت الارز فيهتف «لتحي سورية» فترد عليه الآلاف من حوالبه «لتحي»، الاف على مختلف ادبياتهم

ومذاهبهم... وعلى مختلف اعمارهم وعقلياتهم... وعلى مختلف وظائفهم ومهنتهم... ذلك هو الحزب السوري القومي. ذلك هو زعيمه. حركة جبارة من أشد حركات الشباب في العالم جبروتا وقوة! حركة هي الاولى من نوعها في الشرق العربي. ذلك هو ايمان قويم بقداسة الوطن وقداسة الواجب تجاهه... ذلك هو الطريق النير نحو الآمال محققة... بلا تهريج ولا تطويل!

تلك رسالة نيرة... قذف بها رأس ازدحمت به عدة رؤوس... وحملها صدر تزاحمت الحياة فيه عدة ارواح. (جريدة النهضة، العدد 46 تاريخ 7 كانون الأول 1937).

في هذه الاثناء نرحب الى العراق في سبيل ممارسة مهنة التعليم او الطب كل من اميلي الحلبي، الامين معروف صعب وزوجته الرفيقة أديل، الدكتور توفيق فرح وعروسه والدكتور جورج باسيل ما عدا عدد من مثقفي بشمزين الكورة.

في الوضع السياسي

في هذه الاثناء كانت وزارة جميل المدفعي في الحكم وكان في واجهة المعارضة السيد رشيد عالي الكيلاني، الوزير السابق، لست هنا في موقع الشارح للسياسة العراقية المتبعة في ذلك العهد ولكنني اشير الى ان « النهضة » لسان حال الحزب قد أخذت جانب المعارضة خصوصا على اثر مقتل بكر صدقي وجعفر العسكري وتدخل الجيش في شؤون البلاد. فقامت بحملة عنيفة على الحكم.

ان حملات « النهضة » على الحكومة العراقية شديدة عنيفة. « حبذا لو عمدتم الى تلطيف اللهجة واعتدلتم في الانتقاد لثلا يصيبكم بعض الاذى والمضرة » هذا ما قيل لمسؤول حزبي في احد المراجع العليا. كذلك قام وزير الخارجية العراقي توفيق السويدي بمراجعات لدى وزير فرنسا المفوض في بغداد شاكيا موقف « النهضة » من الوزارة. هذا كله لم يمنع « النهضة » من الاستمرار في الحملة الى حين. ولم تتوقف الا بعد ان نشرت خطاب السيد رشيد الكيلاني الذي القاه في مجلس الاعيان ونشرت عدة كتب مفتوحة موجهة الى رئيس الحكومة المدفعي. ما عدا حملة « النهضة » على الحكومة التي كان يرأسها نوري السعيد. ومن أسوأ أعمال حكومة المدفعي المعاهدة العراقية - الايرانية التي تتنازل بموجبها العراق عن قسم من الحدود الشمالية الشرقية في « الاحواز ».

متفرقات

نشوء الامم

واحتجت الى مبلغ من المال للجريدة فذهبت الى الخازن العام حسب العادة بناء على تفويضي فوجدت الكمية المطلوبة ولكن الخازن العام ابدى تحفظه لجهة الدفع على غير عادته. جاء هذا التحفظ بمثابة تنبيه ان المبلغ الذي اقتطع من الكمية التي دفعها وارد من عبر الحدود والحوالة كانت باسم الزعيم.

لم اعر اهمية لهذا التنبيه فالمال للحزب والدليل وجوده في الخزانة العامة. اخذت المبلغ وتصرفت به للوجه المطلوب وتنفست الصعداء. لا ازمة مالية في هذا الشهر.

في اليوم التالي او في اليوم الذي بعده، ما عدت اذكر تماما، استدعاني الزعيم الى مكتبه وابلغني ان الكمية التي اخذتها من الخزانة العامة، هذه المرة، هي من مبلغ مرسل عبر الحدود، مخصص لطبع كتابه نشوء الامم ولذلك لا يمكنه المباشرة بالمجاز هذا المشروع قبل تأمين القيمة الناقصة وانحى علي باللائمة لاني ما اخذت بعين الاعتبار تنبيه الخازن العام لي بان المال وارد باسم الزعيم فأسأله قبل التصرف. كان المبلغ واردا من شاطيء الذهب بواسطة الرفيق اسد الاشقر. كان حاصل هذا التصرف بالمبلغ المخصص لكتابه «نشوء الامم» اني امنت القيمة المطلوبة بطريقتي الخاصة وفي اليوم التالي قدمت المال للزعيم الذي كلفني بدوره تأمين المطبعة والاشراف على طبع الكتاب.

سُرَّ كثيرا لشعوري بالمسؤولية من جهة ومن جهة اخرى سُرَّ لحصولي على المال فلا يتأثر مشروع الطبع الذي اصبح بنظره ملحا خشية منه من الجوا الذي كان قد بدأ يتلبد.

لم يتكل الزعيم علي تماما في الاشراف على طبع الكتاب فقد اصر على تصحيح طبع المواد النهائي بنفسه فكان كلما ننتهي من طباعة ملزمة يعطي الموافقة عليها وهكذا دواليك الى النهاية .

ومرة عندما كنت ارافقه الى المطبعة، « مطبعة الاتحاد » للرفيق رفيق عبد الملك ليلقي النظرة الاخيرة على الملزمة الاخيرة، وما كدنا نمر من امام الجامع العمري الكبير، في شارع المعرض ونجتاز الطريق التالي حتى سمعنا الرصاص يمر بجانبنا. ظننت لاول وهلة ان الرصاص يستهدفنا فالتفت لتأكد من مصدر الصوت فما وفقت. تابعت سيرى لاجد الزعيم قد سبقني شوطا بعيدا. وصلت اليه وسرت ازاءه واخبرته عما لحظت وسألته ان كان تنبه لشيء فكان جوابه « سمعت أزيز الرصاص ولكن ما دخلي بالموضوع »؟

اعجبت بضبط اعصابه، نعم، « ما دخله بالموضوع؟ » كان الحادث بين شخصين من القبضيات.

واخيرا صدر الكتاب بعد اجتيازه عرقلة مالية صغيرة اثارها صاحب المطبعة. الزفيق رفيق عبد الملك، الذي كان غارقا في همومه المالية فهو مصاب بكساد في السيولة، وهو من هذه الناحية « ملحق » كانت ادارته تشكو الكثير من الانتظام، ومع ان الكتاب انتهى تجليده وصار حاضرا للتسليم، مع ذلك اوقف عملية التسليم لان مبلغا ضئيلا من المال لم يسدد بعد.

انزعج الزعيم كثيرا لهذا الموقف يأتي وسط جو ينذر بالويل والثبور وعظائم الامور فبعث له معي برسالة يحمله مسؤولية ما يمكن ان يحدث للكتاب في حال تمسكه بهذا الموقف المؤسف.

تحركت في نفس عبد الملك الروح القومية الاجتماعية التي كانت - على ما يبدو - كامنة وقدم الكتاب مع اعتذاره الشديد مبررا موقفه بجعله للوضع من جهة ومن جهة اخرى لارتبائه المالي الذي كان ينعكس على تصرفاته.

تسلمنا الكتاب ولكن... بعد فوات الاوان. كل ما استطاع الزعيم فعله هو ان قدم بعض النسخ الممتازة لبعض الاصدقاء والرفقاء من هؤلاء الاصدقاء القاضيان، حسن قبلان وجورج مراد والشيخ خليل مغنية. ومن الرفقاء بشير فاخوري الذي سماه

« امينا » بكلمة الاهداء وعندما نبه للخطأ اجاب سأثبت الامانة بمرسوم لاحق. طبع من الكتاب خمسون نسخة على ورق ممتاز والف او الف وخمسة نسخة على ورق عادي، كان نصيبها الاستيداع في غرفة مفروشة كنا قد استأجرناها في حي زقاق البلاط. وما ان تم ذلك حتى كان الزعيم سافر في رحلته المقررة.

اما عن قيمة واهمية كتاب « نشوء الامم » فاني انقل ما يلي عن جريدة النهضة العدد 162 في 15 ايار 1938 وهو منشور في الآثار الكاملة، الجزء الرابع.

« لا مشاحة في ان رسالة الزعيم القومية لاقت صعوبات جمة من عدة انواع. واهم صعوبة كانت في الجهل التام للمسائل القومية المتفشي في الشعب... » بناء على هذه الحالة رأى الزعيم بثاقب بصره ان الحاجة الى اساس علمي لهذا الموضوع الاجتماعي الخطير ماسة وانه لا بد من وضع كتاب في علم الاجتماع يوضح الواقع الاجتماعي والبضايا الاجتماعية ويرينا كيف نشأت الامم من تطور الاجتماع الانساني فيكون الحد الفاصل بين الخلط والهزر وبين الكلام الجدي المبني على المعرفة. وقد شعر الزعيم انه مدعو للقيام بهذا العمل بنفسه، لندورة علماء اجتماع سوريين غيره ولفقر اللغة العربية العامة في المؤلفات الاجتماعية التي يمكن الاعتماد عليها، وتفي بالحاجة لفهم الامم والقوميات فاغتمت فرصة وجوده في السجن واكب على تأليف هذا الكتاب النفيس الذي نثق انه سيحدث ثورة فكرية عامة في سورية والاقطار العربية. »

« ان « نشوء الامم » ليس كتاب الزعيم الذي يضمه افكاره وآراءه الاجتماعية - السياسية فيما يختص بانشائه الحزب السوري القومي ودعوته القومية وخططه السياسية، فهذا قد اجله الزعيم لفرصة اخرى، بل هو كتاب الزعيم العلمي الذي يشرح فيه نشأة النوع الانساني منكشفة لعينيه ويدرك حقيقة المسائل الاجتماعية وماهية الامة وكيفية نشوء هذه الشخصية الاجتماعية. »

من مطالعة « نشوء الامم » يصبح القارئ قادرا على التمييز بين الصحيح والفاقد في النظريات والعقائد التي تدعوه الى اعتناقها وعلى تقدير رسالة الزعيم القومية المبنية على فهمه العميق لكيان الامة السورية وعناصر حياتها. في كتاب « نشوء الامم » يضع الزعيم اساس «علم الاجتماع الحديث»، وكما وضع في مبادئه القومية أساس «بناء الامة السورية القومي».



الاجودان كمال الزاهد

وقد سجّل الزعيم قبل المقدّمة العبارة التالية: «ويعود الفضل في انجاز تأليف هذا الكتاب الى التسهيلات العمليّة التي قدّمها لي في السجن المعاون الصحيّ الاجودان كمال الزاهد بتقدير منه».

مسألة عبد المسيح - حداد

ماذا جاء يفعل جورج حداد المطرود من الحزب عند مدخل بناية البحصلي في شارع المعرض حيث كان مركز الحزب يشغل الطابق الرابع منه فوق محلات ابي راشد. طرح جورج عبد المسيح هذا السؤال على نفسه عندما نزل من مكتبه في مركز الحزب وبرفقته شقيقته حنينة، وبلغا اسفل السلم فشهدا جورج حداد متربصا عند احد عواميد الرصيف ويده اليمنى تحت سترته الى خاصرته اليسرى كأنه يقبض على شيء وعلامات الشر على وجهه.

وما ان اصبحا بالقرب منه حتى انتضى حداد مسدسا وصوبه نحو عبد المسيح وكان عبد المسيح قد استشعر الشر من حداد فلما رأى المسدس يشهر عليه عاجله بلكمة شديده افقدته توازنه ثم قبض على اليد الشاهرة المسدس وصوبها الى الارض .

حاول جورج حداد بكل قوته تحرير يده والمسدس من قبضة جورج عبد المسيح حتى انه عضه في اذنه وقطعها باسنانه ولكن عبد المسيح ظل قابضا على يده بينما كانت شقيقته تستنجد الموجودين في الشارع الى ان اسرع سائق السيارة ملحم دياب شमित من عاليه وانتزع المسدس من يد جورج حداد . اقبل شرطي السير الواقف في النقطة فاطلق عبد المسيح يد جورج حداد الذي لاذ في الحال بالفرار .

لست هنا ، بموقف المحلل لهذا الحادث ولا لذكر الضجة التي احدثها ولا للعرائض التي جاءت تتوارد من المناطق الحزبية تحتج على اهماال السلطة في ملاحقة الفار ولكن المهم في الامر موقف السلطة في ملاحقة الفار ولكن الالم في الامر موقف السلطة القضائية المثلة بالمدعي العام المركزي الذي ما وجد تعليقا على الحادث ، عند التحقيق في المستشفى الالماني حيث لجأ عبد المسيح للمعالجة ، ذلك التعليق المتبدل السخيف الذي لا يمت الى العلم ولا الى القضاء والعدالة بأية صلة « شفت شو يبصير لي يشفتل بالاحزاب ؟ » .

علق الزعيم على هذا القول اكثر من تعليقه على الحادث مجد ذاته فالظاهرة وراء هذا التعليق تنبئ عن عقلية رجعية ، بعيدة كل البعد عن الموضوعية الواقعية المجردة عدا عما تتضمنه من استخفاف وعدم فهم او سوء فهم للقضية القومية الاجتماعية ونهضتها الجبارة . ثم ما علاقة هذا التعليق بالتحقيق ؟ هل له علاقة بالوضع العام السياسي الذي كانت المعلومات ترد عن طريق م . أ . م . انه بدأ يميل الى انهاء الهدنة والاستعداد لمرحلة جديدة ترافقه السياسة الانترناسيونية المبشرة بقرب وقوع الحرب ؟ ولا ننسى انه كان قد تمت تغييرات على شخصية المفوض السامي فاستدعي الكونت دي مارتيل وعين محله غبريال بيو .

وتطور موقف المدعي العام المركزي فوجه تهديدا للجريدة بالتعطيل اذا ما ثابرت على ملاحقة ذيول هذا الحادث بما يستحقه من الاهتمام مما اضطر الجريدة ، بموافقة بل بايعاز من الزعيم ، على توجيه كلمة الى حضرته فيها انذار ناعم للممس لكنه قوي الحججة والبرهان .

واخيرا بعد مضيّ عدد من الايام مليئة بالمد والجزر جاءت نصيحة الى مكتب الجريدة عن طريقي تشير الى تخفيف حدة اللهجة والى تأجيل او ايقاف نشر الاحتجاجات المذيلة بمئات التواقيع. بلغت النصيحة الى الزعيم فتقبلها بكل طيبة خاطر بخاصة وانه كان له ثقة بمسديها وهكذا اسدل الستار على هذا الموضوع في الجريدة ثم في القضاء لان احداثا اضخم بدأت تظهر دلائلها على مسرح السياسة الداخلية والخارجية تتناولنا وقد يكون موعدها قريبا. قبل الزعيم النصيحة ايثارا للاهم على المهم وخصوصا انه كان يريد انهاء مشروع طبع كتابه «نشوء الامم» قبل هبوب العاصفة.

من غرائب الصدف انه لم تنقض مدة وجيزة من الزمن، اظنها لا تتعدى الاسبوع او العشرة ايام حتى صدر مرسوم تعطيل النهضة المذكورة آنفا مع العلم انه قبل تعطيلها بيوم كان قد افرجت سلطات دمشق عنها وسمحت بدخولها بعد منعها عدة اشهر. تعليق الزعيم على هذا السماح منشور في الآثار الكاملة، الجزء الرابع. وفي «عبدالله قبرصي يتذكر»، الجزء الاول، الصفحة 212 ورد ما يلي:

جورج حداد «يقضم» اذن جورج عبد المسيح

«طبعاً من نتائج طرد صلاح والحملة عليه اقلت في وجهنا ابواب سلمى صائغ وحيد فرنجية وتأثر بصلاح - على ما اتصور - المهندس جورج ابراهيم حداد، الذي كان من اذكي اداريينا وانشطهم.

وقد اتهم جورج، يومذاك - خطأ او صوابا لا اجزم - بأنه استولى بطريقة غير مشروعة على بعض سجلات ووثائق الحزب، فاتخذ بحقه نفس القرار الذي اتخذ بحق صلاح.

ولكن اذا كان طرد صلاح لبكي مرّ دون هزة كبيرة، فطرد جورج حداد كاد ان يتسبب بجرّيمة قتل، فقد التقى جورج عبدالمسيح عند مدخل مركز الحزب، وكان مكتب جورج حداد في نفس البناية وحدث بينها اشتباك لم تكن القوة الجسدية فيه متكافئة، لان عبدالمسيح مفتول الساعدين قوي الشكيمة، عنيف وبطاش وجورج حداد لا يملك الا ثقته بنفسه وشبابه.

ووقعت المعركة، فشهّر جورج حداد مسدسا صغيرا كان يحمله تحسبا للمفاجآت

خاصة وقد وردته اخبار من اصدقائه في الحزب ان عبدالمسيح يتوَعده ويهدّده في اجتماعات حزبية عقدت في الاشرفية .

اما جورج عبدالمسيح فلم يكن يقصد القتل ولا جورج حداد طبعاً ، لان شهر المسدس لم يكن لاستعماله بل للتهديد به . اذا ما احسّ بالهزيمة ، فاخذ عبدالمسيح اليد القابضة على المسدس وراح يشد بها كما اذا انطلق الرصاص اصاب الارض لا اللحم والعظم . استفاد الحداد من ان رأس عبدالمسيح اصبح في متناول اسنانه ، فقمض اذنه وفرّ راکضاً لان الالم والدم اعميا بصيرة عبدالمسيح فلم يعد بإمكانه الركض وراءه .

نقل عبدالمسيح الى مستشفى سان شارل ، فتوافدنا للاطمئنان عنه . وكان رأينا جميعاً ان تصرفه كان تصرف القادر الذي عفا . كان تصرفاً نبيلاً .

وتوليت متابعة الدعوى بحق الحداد الذي توارى ثم سافر الى العراق ، واشتعل العالم بالحرب الكبرى الثانية قبل ان تنتهي الدعوى بحكم ثم القي القبض علينا جميعاً ، فاهملت ، ثم اختفت اثارها .

لم يحقد عبدالمسيح كما كان متوقعا ، واثناء تواريه في دمشق بعد استشهاد سعادته اذكر جيدا ان جورج حداد كان يرسل له الهدايا ويقابله كلما سنحت الفرصة التسامح ابن المحبة والمحبة رأس القيم .»

تعطيل النهضة

من معلومات م . ا . م . ان المفوضية تدرس الحزب درسا دقيقا وتجده فيه خطرا واي خطر على نفوذ فرنسا في هذه البلاد وهذا يعني انها تدرس كيفية درء هذا الخطر عنها او كيفية القضاء على الاسباب من جذورها . هذه المعلومات قسمت رجالات المفوضية قسمين : الاول ايجابي يقول بالتعاون وعلى رأسه المفوض السامي دي مارتيل نفسه ، والثاني سلبي يقول بانزال ضربة في الحزب تكون القاضية ومن اشد المتحمسين لهذا الموقف بعض العسكريين . وكانت المعلومات تشير الى ان كلمة الفريق الاول كانت حتى الان هي الراجحة ولكن ...

صدق م . ا . م . فالتوايا السيئة عادت وريجت الجولة واول الغيث قطر ثم ينهمر . صدر قرار بتعطيل جريدة النهضة لاجل غير مسمى . كنا كلنا نتوقع امرا ما لأن الزعيم كان يضعنا في الجو مرحلة مرحلة .

كانت تأتي الانباء من م. ا. م. ان المفوضية ضاق صدرها بالكتابات عن «السنجق». هذه المتابعة، هذه الملاحقة، هذا الاصرار على اعتبار عمل فرنسا خارجا عن نطاق وصايتها، وهذا الكلام عن السيادة القومية وارضاء تركيا تبعا لسياسة الحرب التي تستعد لها دول اوروبا.

تعطلت « النهضة » المرة الاولى بسبب مقالات عن شبه جزيرة العرب فكان اول تعطيل يصيب جريدة لاسباب سياسية خارجية تتعلق بالعلاقات بين دولة ودولة. لا لأسباب تتعلق بالحترقات المحلية الداخلية السخيفة. حتى في التعطيل رفعت « النهضة » مستوى الاسباب.

والان يأتي التعطيل لأجل غير مسمى، ولكن لاسباب غير خافية على احد منا. حزننا حزنا شديدا لهذا التعطيل اولا لأنه مقدمة لتطور في موقف الهدنة بين الحركة القومية الاجتماعية والسلطة المنتدبة من جهة وثانيا لان الجريدة كانت قد وقفت « على رجليها » فالورق موجود والاجور تدفع في مواعيدها والاعلانات زادت وخصوصا تلك التي تخص المؤسسات ولكن... هو الصراع.

مشروع العفو

كانت المعلومات السرية التي كان يستقيها م. ا. م. كلها تشير الى ان الهدنة قد قاربت نهايتها والوعد بالعفو ما يزال يتأرجح بين الحكومة والمجلس النيابي مما اثار عند الزعيم بعض الارتياب. مع ان رئيس الجمهورية قد اصدر مرسوم عفو خاص بالمدة المتبقية من عقوبة حبس عبد الله الجميل الذي كان محكوما لمدة سنتين بمحاكمة تأديب الصحفي عارف الغريب. وكذلك عن القوميين عارف الجردي ومحمد فكري شريف. المحكومين بتهمة الاعتداء على ادارة جريدة « الرابطة » كان ذلك بطلب من الزعيم لظهار حسن النية مع ان المدة المعفاة « ما كانت تحرز ».

كان الزعيم يلاحق هذا الموضوع يوميا بمثابرة واهتمام زائدين فيوفد المندوبين اما الى رجال السياسة في الحكم او في البرلمان، يقدمون لهم دراسات ومشاريع بشأن العفو الذي كان بالطبع سيضم سوانا من المرشحين للمحاكمة او من المحكومين احكاما بسيطة. كان الشيخ ابراهيم المنذر من النواب الذين بذلوا نشاطا قويا في الملاحقة بمثابرة ولجاجة مشكورين.

كانت الصعوبة الكأداء في انه كان اول عفو يصدر في الجمهورية اللبنانية بعد عهد الاحتلال الى يومنا هذا. خلال عقدين من السنين من انتداب فرنسي لم ير النور اي مشروع للعفو. كانت مناسبة العفو الحزبي هي المناسبة الوحيدة لمشروع من هذا النوع وبديهي القول انه لولا الحزب لما كان التفكير بهذا العفو.

وهكذا كانت تمضي الايام ثم الاسابيع والشهور والمشروع يراوح مكانه الى ان كان احد الايام السعيدة وبعد الكثير من الاخذ والرد وافق المجلس النيابي على مشروع العفو، لم يبق سوى مسألة منح الزعيم جواز سفر.

كانت مسألة هذا الجواز متعلقة بمشروع العفو ولذلك ما ان أقرّ المشروع حتى قام الزعيم بسعي حثيث للحصول عليه. كان له ما اراد خلال ايام معدودة. وبمصول الزعيم على جواز سفر انتهت المرحلة الموعودة بعد الاعتقال الاخير. وقد علمت بهذه المناسبة ان الزعيم احتفظ باسم «مجمعص» حتى لا تتعرقل المعاملة بسبب تصحيح الاسم لجعله «سعادة» فقط.

انتهت مرحلة لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل الصراع.

الاجراءات الادارية

كان الهدوء قبل العاصفة، كان الزعيم يستعد للقيام برحلته الى اوروبا واميركا الجنوبية وهذه الاسباب كان يقوم بدراسة للجهاز التنفيذي المركزي الذي كان حسب رأيه «ساكنا».

كانت خلاصة الدراسة انه ينبغي ان تكون الوحدات الادارية - المنفديات - واسعة النطاق، لا ضيقة. اذ كلما ضاقت رقعتها قد تنكمش على نفسها وتتأقلم بينما كلما اتسع مجالها تقضي على النزعات المحلية وذلك بالتفاعل والاحتكاك والتعامل بين المنتمين اليها.

على كل حال قرّر ان يجرب هذه النظرية ووضعها في حيز التنفيذ فحلّ مجلس العمدة الذي كان رئيسه نعمة ثابت وعينه منفذا عاما للبقاع الشاسع الاطراف وعين مأمون اياس منفذا عاما لدمشق والمناطق التي حولها كالغوطة مثلا وعيني منفذا عاما للمتن كله، جردا وساحلا وعين جورج عبد المسيح مسؤولا عن محافظة اللاذقية،

جرت تعيينات اخرى للشوفيين ولمنطقة قضاء عاليه . المهم اننا دخلنا لنختبر صحة هذه النظرية وليس المهم سرد التعيينات كلها .

وفي المركز شكّل مجلساً جديداً، سماه مجلس وكلاء عمد . عين رئيساً له عبد الله القبرصي واذكر الدكتور اديب معلوف وكيلا للداخلية . ولا اذكر سواه . كما ان ذاكرة الأمين قبرصي لا تحوي سواه ايضاً . على كل حال لم تدم هذه التجربة طويلاً وسنأتي على ذكرها فيما بعد .

تصريح طه حسين

من حديث للدكتور طه حسين أورده الرفيق الدكتور نجيب صدقة في «المكشوف» العدد ١٧٥ ، ١٩٣٨ .

«تريدون أن تتحقق الوحدة العربية . فعل أي أساس علمي تنادون بها؟ تعالوا معي نستعرض الروابط التي تصل مصر بالأقطار العربية الأخرى . فأولها اللغة ، وثانيها الدين ، وثالثها أصل بعض التقاليد الموروثة من حقب تاريخية متشابهة متفاعلة . أما الدين فلا يصلح لأن يتخذ أساساً وإلا أصبحت الوحدة المزعومة وحدة إسلامية لا وحدة قومية ، وأصبحنا من جهة ، ندخل فيها شعوباً غير عربية ، ومن جهة أخرى ، نستثني منها جميع المسلمين الناطقين بالضاد . وكذلك أصل السكان ، فهو غير كاف لخلق الوحدة القومية العربية ، فالأكثريّة الساحقة من المصريين لا تمت بصلة إلى الدم العربي بل تتصل مباشرة بالمصريين القدماء . ولا أخالكم إلا معترفين معي ، بأن التقاليد العربية المنتشرة في مصر قليلة ، ضعيفة التأثير ، متبعة بنوع خاص في العشائر المتحدرة من أصل عربي صميم .

فما بقي إذن من روابط مصر بجيرانها؟ التاريخ؟ اللغة؟ إن تاريخ مصر مستقل تمام الاستقلال عن تاريخ أي بلد آخر . إن مصر الفراعنة ، والمصري فرعوني قبل الفراعنة ، والمصري فرعوني قبل أن يكون عربياً . لا تطلبوا من مصر أن تتخلى عن فرعونيتها ، وإلا كان معنى طلبكم : «أهدمي يا مصر أبا الهول والأهرام وتغاضي عن جميع الآثار التي تُزين متاحفك ومتاحف العالم وأنسي نفسك وأتبعينا» .

تنتظرون أن أتوقف حائراً عند اللغة ، وهي السبب الظاهر الذي يصل المصريين بكم ، فلا تتخذعوا ! لو كان للغة وزن في تقرير مصير الأمم لما كانت بلجيكا ولا سويسرا ولا أميركا ولا البرازيل ولا البرتغال .

المرحلة الجديدة



11 حزيران 1938

تبدأ هذه المرحلة من تاريخ 11 حزيران 1938 وهو التاريخ الذي غادر فيه الزعيم بيروت للقيام بالرحلة المقررة الى عبر الحدود. ومع بداية هذه المرحلة الجديدة ينتهي اجل المهادنة التي كانت قائمة بين الحزب والسلطات المحلية اللبنانية وبالتالي السلطات الفرنسية. دامت هذه الهدنة سنة كاملة وبضعة ايام. كانت هذه الهدنة ضرورية وان تكن هدنة مؤقتة كانت ضرورية للطرفين. فقد كان الحزب في حاجة الى فترة سلم يعيد فيها تنظيم دوائره ودعم صفوفه واخذ الاهبة لاستئناف جهاده. وقد نشأت هذه الحاجة عن صراع عنيف استمر زهاء سنتين دون انقطاع مع المفوضية الفرنسية ثم مع الحكومة اللبنانية والحكومة الشامية وما تشتمل عليهما من عناصر الرجعة المخالفة للارادة الاجنبية سراً والمتظاهرة بالوطنية علناً. خصوصاً وان الحكومة اللبنانية كانت قد اصبحت في حاجة الى النظر في موقفها الذي زعزعه هذا الصراع، الذي لم يصل الى الشعب من تفاصيله سوى القليل القليل.

يمكننا تسمية هذه المرحلة الجديدة بالمرحلة الرابعة. الاولى كانت المرحلة السرية ومدتها ثلاث سنوات، الثانية تبدأ من السجن الاول لمدة ستة اشهر بعد الانكشاف واجراء المحاكمة ثم الاعتقالات الثانية والثالثة التي ادت الى المرحلة الثالثة بعد الانتخابات النيابية وهذه المرحلة الثالثة كانت مرحلة الهدنة المؤقتة المذكورة والان نبدأ بالمرحلة الرابعة التي امتدت من سنة 1938 الى سنة 1947 اي من تاريخ بدء رحلته الى تاريخ عودته منها، والتي سميت «بالاغتراب القسري» بسبب ظروف الحرب الكونية الثانية.

انتقل الزعيم من بيروت الى دمشق وفي اليوم التالي تابع سفره الى شرق الاردن حيث بقي عدة ايام ومن عمان الى حيفا فقبرص ومنها الى اوربا فاميركا الجنوبية .

في الاسبوع الذي سبق انتقال الزعيم من بيروت جرى اتخاذ بعض التدابير الاحترازية منها تفريغ مركز الحزب في شارع المعرض من جميع الوثائق الحزبية اي بكلمة اخرى الغاؤه كمكتب مركزي للدوائر الحزبية وكذلك اخلاء مكتب جريدة النهضة في شارع المطران خلف مبنى البلدية في بناية الصفيير ثم تم نقل ادارتها الى حيث كان مركز الحزب وقد علقّت اللوحة المكتوبة باسمها على احدى شرفاته للتدليل على استمرار وجود الجريدة بالرغم من تعطيلها الى اجل غير مسمى او بمعنى آخر، تعطيلها النهائي .

في هذا المكتب الجديد - القديم جاء المباشر القضائي يبلغ الزعيم مذكرة صادرة من المستنطق رضى التامر بوجوب حضوره الى دائرته لاستجوابه حول دعوى مقامة من المدعو غبريال منسي احد المرشحين للانتخابات النيابية الفاشلين . رفضت تبلغ المذكرة لا لعدم وجود انطون سعادة في هذا المكان بل لان هذا المكان لم يعد يخص انطون سعادة زعيم الحزب السوري القومي بل هو يخص جريدة النهضة فما كان منه الا ان الصقها على الباب .

علمت بعد ربح سير من الزمان مرّ على وصول المذكرة ان الزعيم في بيت فخري معلوف يودع المركزيين قبل مغادرته بيروت فاسرعت اليه اخبره بشأن المذكرة واقوم في الوقت نفسه بوداعه . كان وجوده في بيت المعلوف بمنتهى السرية وبعد وصولي بدقائق معدودات غادره الى عمان عن طريق دمشق . وجدته علما بصدور المذكرة او بنية اصدار المذكرة .

من دمشق الى عمان

اثناء تفقد الزعيم منفذية دمشق اتصل به الرفيق حود هاني يستأذنه بخوض القتال ضد اليهود برفقة خليل الطويل وعارف نبا ونال الموافقة ، ثم بعد دمشق توجه الزعيم الى عمان حيث كان في استقباله مدير مديرية عمان المستقلة المنشأة حديثا الرفيق المهندس مجد الدين الجابري من حلب وبعض الاعضاء من آل قعوار . كان ابو فيصل ، الشنقيطي من الذين اعجبوا بالزعيم منذ اللحظة الاولى التي تم فيها التعارف بينها في

منزل المواطن ميخائيل قموار المقرب من الامير عبد الله كما ان علاقة « ابو فيصل » بالامير علاقة وثيقة حيمة ولذلك عندما حدثت المقابلة كانا موجودين . (وقد انتمى ابو فيصل الى الحزب) .

مقابلة الزعيم للامير عبد الله

ويروي الزعيم خبر هذه المقابلة في رسالته من قبرص الى « عزيزي فخري » تاريخ 25 حزيران 1938 .

عزيزي فخري

كبتت اليك مساء امس كتابا مستعجلا ليذكرك البريد العادي واظن ان هذا الكتاب الذي اكتبه صباحا سيدرك كتاب امس ويرافقه . وقد جعلت العنوان باسم فاضل ، لان اسمه الاغريقي ابعده ما يكون عن الشبهة . اني جالس الان في ظل خيلة وارقة الظل وسط غابة ما اجملها غابة ! فحوي أنواع عديدة من الشجر من صنوبر وشجر يشبه الحور منبسطة الاغصان ورقه يشبه راحة الكف وله أصابع خمس وأشجار اخرى لا اعرف اسماءها . وبقرني سيل ماء يسمع له خرير لطيف .

أريد ان اذكر لك الايام الاخيرة في عمان وسفري الى هذا المكان . ان زيارة بعض اصدقاء وأقرباء مضيبي جعلت وجودي في عمان منكشفاً . وكان نايف يرتني ان أزور الامير لعله يمكن الاتفاق معه . وحدث تسرع من هذه الجهة فلم تدرس وضعية الامير قبل الجزم بهذه الفكرة . وقد جرّ الى الاسراع ذهائي الى السلط لزيارة اهل نايف . وفي السلط يقيم الاستاذ الشنقيطي ، احد رجال الامير المخلصين له . وكان من رأي نايف الاتصال به ، لانه سيعلم بمجيئنا الى السلط فزاره نايف وأخبره بوجودي في دار أبيه فخف لاستقبالي والسلام علي وكان في حديثه ودوداً . وهو الذي عرض علي فكرة زيارة الامير فقبلت فقال ان الامير نايف بن الامير عبد الله سيكون عنده بعد الظهر وانه سيتحدث معي في هذا الامر . على ان ازور الامير في صباح اليوم التالي . عند الظهر غادرنا السلط وفي صباح اليوم التالي ، السبت في 18 الجاري ، ذهبت لمقابلة الامير في موعد ضربه . وكان عنده رئيس وزارته والسيد فؤاد الخطيب ، رئيس دوائر الشرطة . وبعد ان استقر بنا المقام وفتحة مجاملة ابغني الامير انه لا يجب نشوء احزاب في منطقة نفوذه وانه بلغه اني قادم لانشاء فرع للحزب وهو لا يود ذلك فجاملته وقابلت كلامه بعدم

اكثر اظاهر ونهضت وخرجت بعد ان ودعت الامير وأنا منتصب كما سلمت عليه عند قدومي. والظاهر ان الامير شعر بصلافة عودي فلم يقر له قرار بعد خروجي من عنده. والحقيقة ان قلقه كان قد ابتداء يظهر حالما ابلغه الشنقيطي بالتلفون خبر وجودي في عمان منذ ايام. ففي ذلك اليوم عينه، أي الجمعة، تلفن الى القائد العام وسأله اذا كان يعرف شيئا عن وجود «شخصية خطيرة» في عمان وأنتب القيادة على جهلها الامر. وقد علمت ان الامير ووزارته صرفوا ايام السبت والاحد والاثنين في تداول ومخابرات واتخاذ تدابير. وكان قد بلغهم ان وجودي في عمان هو بدون جواز سفر او بدون اجازة رسمية فارسلوا مساء الاثنين عريفا وفردا يطلبان جواز سفري لتطلع عليه القيادة فأعطيتهم الجواز. وقد بلغني انه كانوا يقصدون القبض علي وتوقيفي ذلك الليل ووضعي خارج الحدود في صباح اليوم التالي ولكن جواز سفري كان مستوفيا الشروط فلم يمكنهم فعل شيء ولكنهم اخذوا يشيرون بوجود مغادرتي شرق الاردن «لان الحكومة في خوف وقلق». فسافرت في صباح الثلاثاء في 21 يونيو بطريق اربد، جسر الجامع، طبريا حيث عرجت على منزل أهل يوسف ووجدت هناك فؤاد وتناولت الغداء عنده وتابعت الى حيفا وليس معي سوى 8 ليرات سورية. فأعطيت السائق خمس ليرات وأحلت الباقي على نايف اذ تركت معه اربعين كتابا وأخذت معي 10 الى حيفا. وبقي معي ثلاث ليرات سورية ولم أكن أعرف مقر أحد في حيفا وفيما أنا اتجول في حيفا التقيت بصديقة احد الاعضاء التي جاءت معي في أيام الثلج الى بيروت وهي صديقة جمال ناصيف. وهي فتاة يقولون انها انجليزية ولكني اعتقد انها يهودية. فهذه عرفتني وأسرعت فخابرت السيد سليم سفري وبواسطته تم الاتصال بباقي الاعضاء. وكان من حسن حظي ان باخرة شركة اللويد تريستينو تسافر مساء الاربعاء الى قبرص. فتمكنت هيئة التنفيذية من خلال أربع وعشرين ساعة من ايجاد المبلغ اللازم لي لسفري. والحقيقة ان الاعضاء في حيفا على كسلهم الماضي وتراخيهم، كانوا جيدي الروحية. وقد عقدت اجتماعات ادارية وعمومية وأفهمتهم الواجبات العملية وطريقة العمل. وأظن ان حيفا ستتحسن كثيرا بعد الان.

ان قبرص جزيرة صغيرة وأهلها في خمول دونه الخمول الذي لايزال معششا في بعض اوساط شعبنا. وكثير منهم يشبهون السوريين شبا عظيما ولعل ذلك بسبب

المزيج السوري الاغريقي القديم. وجزيرة ليست غنية ولكن فيها معادن نحاس يشتغل فيها بضعة الاف والبقعة العالية التي انا فيها الان تصلح لجلب عدد كبير من السياح وطلاب الراحة وأرى انه لا بد لي من الاقامة نحو شهر ونصف لترويح النفس وتقويم الصحة والنشاط من اجل متابعة العمل. والمكان هنا يعطيني راحة تامة فالمصطافون لايزالون قليلين والطبيعة جميلة ورحبة. فهو المكان الذي كنت أتمنى الحصول عليه وجئته مكرها!

احب ان اعرف ماذا جرى للمدرسين وهل يتابعان اعمالها؟ ويجب عليهما ان يجتهدا كثيرا في هذا السبيل لان قسما كبيرا من عمل النهضة العظيم سيكون في هذه الناحية. كيف حال الماما وفايزة عساها بخير وراحة بال. وكيف فاضل؟ سأكتب الي رشدي ويوسف قريبا. بلغ الجميع سلامي. واسلم. ولا تنس ان ترسل الي بعض الصحف والاعخبار. ولتحية سورية.

في 25 يونيو 1938.

حدثت المقابلة وبدأت المتاعب. اخبرني الرفيق كميل الجدع ان الزعيم لم يحافظ على اصول البروتوكول فمن حضوره مكشوف الرأس، وعدم تقبيل اليد بل كانت المصافحة يدا بيد ومن ثم توجه اليه، جوابا على سؤال، بأنه يزور جزءا من وطنه يتعرف عليه وعلى شؤونه. الخلاصة كانت المقابلة بين ندين، لابن سمو امير البلاد المعظم واحد الرعايا « الاغراب » عن الاردن.

لاحظ الزعيم ان الجو قد اكفهر وان التوتر بدأ يبرز على وجه الامير فاستأذن قبل هبوب العاصفة، واندلاع النيران وقد جاءه فيما بعد من يقول له ان سمو الامير قد يأمر باعتقاله. بعد قضاء يومين او ثلاثة بعد هذه المقابلة، بالرغم مما قيل عن نوايا الامير غادر الزعيم عمان الى حيفا تاركا خلفه صداقتين قويتين. احداها صداقة ابو فيصل الذي عتب على الامير لموقفه الغاضب وهو الداعي لمشروع سورية الكبرى، عتب على هذا الموقف من اكبر داعية للوحدة السورية الطبيعية، ويقال ان « ابو فيصل » عاد الى وصل ما انقطع ولكن الزعيم اعتذر بسبب ضيق الوقت واضطراره لاكمال رحلته والصداقة الثانية كانت صداقة طلال ولي العهد الذي اعجب بدوره بالزعيم بافكاره التحررية التقدمية حتى انه سرت اشاعة انه انتمى الى الحزب.

في حيفا

لا جديد في سورية الجنوبية على الصعيد الحزبي أكثر مما رويت بمناسبة مرور الزعيم في عمان وحيفا في طريقه إلى قبرص للقيام برحلته ومقابلته للأمير عبد الله. ولكن الملفت كان تزايد عدد السوريين القوميين الاجتماعيين القاصدين ساحات الثورة في فلسطين بدءاً من تهريب السلاح إلى الثوار والاشتراك معهم في القتال. اسمي من هؤلاء الرفيق حمود هاني وجميل صالحه من رأس المتن ومحمد عبد الشافي من نيبا.

ويقول الرفيق كميل جدع

« كان الزعيم يحمل تذكرة سفر لكرسي على ظهر الباخرة ولهذا حكاية ارى هنا المجال لسردها: عندما وصل الزعيم الى حيفا واجتمعت به في دار محاسبة بلدية حيفا حيث كان الرفيق سليم سيفري يعمل. سألتني الزعيم عن تكاليف كلمات برقية يرغب بارسالها الى بيروت. فاستغربت السؤال عندما اصر. وكانت الجرائد التي كانت تصل الى حيفا من بيروت تنشر بالعناوين الضخمة « سعادته يهرب حاملا اموال الحزب » - « سعادته يستولي على اموال الحزب ويفر » وغيرها من العبارات التي كان يدسها المستعمر الفرنسي في ذلك الحين.

قلت للزعيم حرر البرقية لنعرف تكاليفها فاجابني: ان كل ما احمله لا يتعدى خمسة وخمسين قرشا سوريا فكم كلمة استطيع ان ابرق بهذا المبلغ !؟

قلت للزعيم. سيدي الزعيم لدينا في المنفذية مال، منه ما هو اشتراكات للمركز ومنه ما هو لاعمال المنفذية ومنه ما هو من اموالنا الخاصة. اكتب البرقية التي تريد وسنرسلها فانتفض واجاب: اما اموال المركز فليس للزعيم ان يتصرف بها دون اذن من الخازن العام وفيما يتعلق باموال المنفذية فلا يجب ان تنفق الا في اعمال ومشاريع المنفذية اما اموالكم الشخصية فالزعيم في غنى عنها.

كان لا بد من استضافة الزعيم بعد ان عرفنا وضعه المالي واذهلطنا عزة نفسه فعرضنا عليه، انا والرفيق سفري الذي كان يومها مديرا لاحدى المديریات، ان يكون لنا شرف استضافته وجعل كل منا يصرّ على ان يكون له ذلك الشرف. وجعل الزعيم يرافق نزاعنا، مبتسما ثم قال: « هل تسمحان لي بأن ادخل لحسم الموضوع ؟ » قلنا: « تفضل، حضرة الزعيم ». فسأل « ايكما منزله اقرب ؟ » قلت: « بيت الرفيق سفري » فقال: « اذن نذهب اليه ».

تألف متاع الزعيم من حقيبة صغيرة حملها في يده ومن حقيبتين اخريين، احدهما متوسطة الحجم والاخرى اوسع. عند نزولنا من دار البلدية اردنا حمل الحقيبتين فوجدنا ان الحقيبة الكبيرة ثقيلة الوزن. «هل انها تحوي خزينة الحزب؟» سألت فأجاب الزعيم: «احمل معي مئة نسخة من «نشوء الامم» كوني سأحتاج اليها في المهجر». لم يكن الكتاب قد وصل الى حيفا فسألت الزعيم عما اذا كان بإمكانه الاستغناء عن بعض منها فأجاب «يمكنني التنازل عن ثلث الكمية». فتحنا الحقيبة واخرج ثلاثة وثلاثين كتابا ووضعناها على الطاولة. خطرت لي فكرة، طلبت من الزعيم ان يوقع على هذه النسخ فلم يمانع ونزلنا. انصرف الزعيم مع الرفيق سليم في عربة حنطور الى بيته اما نا فحملت الكتب ورحت اطوف على الرفقاء عارضا الكتاب اقول لهم وانا ابلغهم دعوة للاجتماع بالزعيم في المساء نفسه: «ان ثمن الكتاب ليرة سورية واحدة لكنه الآن يحمل توقيع الزعيم فلم تعد قيمة الكتاب تقدر بالثمن المطبوع عليه فكان ان جمعت مبلغا يقارب 320 جنيها فلسطينيا... اذ ان كل رفيق اخذ الكتاب دفع في ذلك الحين كل ما حوته جيوبه.

بعد الاجتماع الذي انعقد في تلك الامسية تقدمت من الزعيم بمغلف حوى المبلغ. فسألني: «ما هذا» قلت: «انه مردود انتاجك الفكري، وهو ليس من اموال المركز او التنفيذية او من اموالنا الخاصة وعليه فلا مفر لك من قبوله». تناول الزعيم الظرف واستخرج منه مئة جنية وهو المبلغ الذي كان في برقيته يطلبه من المركز ثم اعاد لي الباقي وطلب مني ارساله لمركز الحزب حيث الحاجة اليه اكثر. وفعلا بعد رحيل الزعيم سلمت المبلغ المتبقي للامين جبران جريج الذي حضر الى حيفا بمهمة حزبية.

كنت في ذلك الحين ناموسا للمنفيذية وكان الرفيق يونس نفاع منفذا عاما، طلب منّا الزعيم ان نحجز له بطاقة سفر على الباخرة المتوجهة من حيفا الى قبرص. سألت الزعيم «هل احجز جناحا» فقال «ولم الجناح؟» قلت «اذن في الدرجة الاولى»، قال «ولا في الثانية او الثالثة، Deck Chair كرسي على ظهر الباخرة. هدوء البحر السوري في هذا الوقت من العام هرائع واحب ان امتنع نظري بجمال بلادي اثناء ابتعاد الباخرة عن الشاطئ الحبيب». وتجاه اصراره على كرسي على ظهر الباخرة نزلت مع المنفذ العام الى شركة البواخر «لويد تريستينو» حيث ابتعنا له تذكرة بمبلغ 81 غرشا فلسطينيا.

في اليوم التالي طلب الزعيم مني ان ارافقه الى القنصلية الايتالية، كما، يستحصل على تأشيرة لايتاليا. ذهبنا الى القنصلية وطلبنا مقابلة القنصل. دخلنا على القنصل وكان يجلس وراء مكتبه فلم يتحرك عند دخولنا. وبعد لأي استعلم عن سبب زيارتنا فأخبره الزعيم انه يريد الحصول على تأشيرة لبلاده. عندها طلب منه القنصل جواز سفره. كان جواز سفر الزعيم قد صدر باسم «انطوان سعادة مجاعص». تصفح القنصل الجواز وفجأة تغير موقفه وقفز عن كرسيه وقال: «Signor el Presidente» سيدي الزعيم، واعتذر ثم دعاه للجلوس وطلب المرطبات لنا ثم استعلم عن الموعد الذي سيتوجه فيه الزعيم للباخرة. كانت الباخرة التي ستقله الى قبرص ايتالية. فرد عليه الزعيم وقال له كون الباخرة تغادر الميناء في العاشرة مساء فممن الانسب ان يصل اليها عند التاسعة ثم اعاد اليه الجواز بعد ان ختم عليه التأشيرة.

فوجدنا عند وصولنا لظهر الباخرة بأن نشاهد على رأس السلم قبطان الباخرة ومعاونين من ضباطها يؤدون التحية للزعيم ويستقبلونه استقبالا رسمياً كما ان القنصل كان حاضرا. ذكرت ما سبق لاقول ان الزعيم عومل على ظهر الباخرة معاملة ممتازة امنت له كل وسائل الراحة اذ اعتبر ضيفا على الحكومة الايتالية بعد ان كان القنصل قد اتصل بحكومته واخبرها عن توجه الزعيم الى ايتاليا.



غادر الزعيم حيفا الى قبرص بعد ان عيّني ضابط ارتباط بينه وبين المركز وذلك لتفادي وقوع رسائله بين ايدي الفرنسيين في لبنان. وعلى هذا الاساس صارت رسائل الزعيم تتوارد الي واحلها انا الى المركز في بيروت، كما كانت هنالك منه رسائل شخصية اليّ كنت اتمنى لو انها باقية. لكن اهل بيتي، في احداث عام 1949، احرقوها مع الاسف..

الزعيم في الباخرة الى قبرص

في قبرص - المراسلات

والآن اثبت فيما يلي نصوص المراسلات التي استطعت الحصول عليها والتي بعث بها الزعيم وهو يستجم في قبرص من حين وصوله في 23 حزيران 1938 الى 28 تموز 1938 عندما غادرها لبدأ رحلته الى اوروبا. هذه الرسائل موجهة الى مركز الحزب الا رسالة واحدة الى منفذية المكسيك.

عزيزي نصح

اني مشتاق جدا لمعرفة اخباركم فمند غادرت بيروت حتى الان وانا لا اعرف سوى مابلغته بالتلفون. وحتى الان لم يصل اليّ البريد الذي ارسل الى عمان وأنا هنا انتظر. ومهما يكن من الامر فأظن ان حساي كان مضبوطا وسيدرك اعدائي واعداء القضية ان من الغباوة الخطرة التفكير في مهاجمة النسر وقصّ جناحيه. واذا كان النسر جريحا فان ذلك يكون اشد خطرا.

والان يجب التفكير مجد في تهيئة الجو لي لرحلتي التي أرى انه يجب القيام بها لربح الوقت وتنظيم قوة المهاجرين العظيمة في سبيل القضية القومية. وهذا يعني انه يجب ان تصدر الاذاعة بلاغا بهذا الصدد الى فروع المهجر وواحد الى الصحافة السورية في الخارج لاعلان هذه الرحلة وتهيئة الجو لي للحملة القومية التي سأقوم بها. ويجب أن يصدر مكتب عبر الحدود التعليمات اللازمة الادارية وغيرها الى المسؤولين لاتخاذ التدابير الادارية والاذاعية اللازمة كلّ في منطقتة. وأرى ان تكون رحلتي عن طريق مصر فالشاطيء الذهبي ثم اميركا الجنوبية وبعدها الشمالية او العكس. ويمكن الاتفاق مع تايلر لابراق هذا الامر واريد عنوان مصون واسيردون لآخبارهما في هذا الامر

واستخدام شركة التلغرافات عندها. ويمكن ايضا مخابرة الوكالة العربية في دمشق بواسطة مأمون لاذاعة مايلزم. وبهذه المناسبة اقول انه يجب ان يدفع للسيد جورج فارس ثلاث ليرات سورية هي دين له ويعرف هذه المسألة فرح فرح. ويجب تهئية اذاعات قوية قد اضع انا نفسي نصوص بعضها. وأريد الحصول على عنوانات ابي عجرم. وجورج كرم. وخالد اديب فضلا عن العنوانات التي طلبتها في الكتاب السابق وعنوانات اخرى قد تكون مفيدة. ويحسن ان ترسل انت نفسك ونعمة بعض الكتب الشخصية لتهئية الامور.

سأكتب حالا كتابا بالبريد الجوي الى اسد الاشقر اطلعه على عزمي واطلب ان يقوم بما يلزم لتأمين سفري. وبهذه المناسبة اكرر وجوب ارسال مئتي نسخة من الطبع الممتاز اليه لتسديد نفقة الكتاب. ويمكنك انت ان تكتب الى اسد والى خالد خصوصا بينما ترسل اليّ عنوان الاخير. ومما يجب الاهتمام به تأمين وجود كاتب معي يحسن ان يكون اكرم. فاذا كان هو فيجب ان يستعد. وم كنت اود لو تتمكن انت من مرافقتي وم يكون جميلا لو تتمكن من القدوم الى هذا المكان فنتفاهم على امور كثيرة. واذا تعذر عليك الامر فلعل هنالك احدا يجب ان يصرف اسبوعا خارج لبنان والامر لا يكلف كثيرا فأجرة الباخرة على الظهر نحو ليرتين فلسطينيتين ومن لارنكا الى هنا نحو ثمانية شلنات والبقاء هنا يكلف نحو ست شلنات يوميا. ارسل اليك هذا الكتاب باقتضاب وسأكتب بالبريد العادي فيما بعد. حولوا الي كل البريد القادم باسمي. سلامي للماما وللجميع ولتنحي سورية.

في 28 يونيو 1938

توقيع الزعيم

الحزب السوري القومي

مكتب الزعيم

حضرة رئيس المجلس الاعلى

سرتي جدا ان اتسلم امس البريد الاول الذي ارسل الى المحطة الاولى بعد خروجي. وقد جعلتني المعلومات الواردة فيه أتبين الموقف الاول الذي كنت في حاجة ماسة لمعرفة. ومن الاخبار الاولى الواردة في رسالتكم اتضح لي جليا صحة تقديري

الموقف والظروف قبل مغادرتي. فلو اني ترددت او أبطأت لكنت الان غنيمة باردة لاعدائي واعداء الامة. ان مدهامة مكتب الحزب في صباح الاثنين بينما كان ينتظر قدومي ومعني نعمة الى دار القضاء لدليل قاطع على صحة المعلومات التي تلقيتها وعلى خطة المؤامرة المدبرة بدقة لضرب الحزب على اليافوخ. واعتقد ان خطتهم التنفيذية كانت كما يلي:

1 - ينتظر ان يأتي الزعيم اما الى دار القضاء لاعطاء «شهادة» وإما الى مكتب الحزب لانتظار معلومات.

2 - في كلتا الحالتين يدهام مكتب الحزب ويستولى على ما فيه من أوراق ووثائق، واذا كان الزعيم موجودا قبض عليه لوجود ادلة تثبت وجود الحزب واذا كان الزعيم قد جاء الى دار القضاء فتؤخذ الادلة المشبهة بوجود الحزب الى تلك الدار فتكون سببا كافيا لاصدار مذكرة توقيف بحقي بحجة التحقيق في وجود الحزب ومقاصده وعلاقاته الخ. اما وجهة نظر عبد الله فواهمة، بل صيبانية. وعبد الله لا يصرف وقتنا في درس قضية الحزب السياسية والتبصر في مؤامرات اعداء النهضة القومية. ومن هذه الجهة لا يمكن الاخذ برأيه. واني مرسل اليكم مع هذا الكتاب كتابا الى عبد الله فليسلم الكتاب لعبد الله بعد اخذ نسخة منه تحفظ عند رئيس المجلس الاعلى حين الحاجة. ويمكن ان يأخذ المجلس الاعلى علما بورود جواب الى عبد الله مع الاحتفاظ بتبليغ مضمونه حين تدعو الحاجة.

المجلس الاعلى: سرفي كثيرا شعور اعضاء المجلس الاعلى بالمسؤولية الخطيرة الملقاة على عواتقهم وظهور استعدادهم للاضطلاع بها. وأريد ان اهنيء المجلس بانتخابه الامين النصح رئيسا له ليس من اجل انكم اقل تعرضا من غيركم للاعتقال، بل من اجل المزايا والمواهب العالية التي تتحلون بها والتي اقدرها واطلب من جميع اعضاء المجلس ان يشاركوني في هذا التقدير.

صلاحيات المجلس الاعلى: اوافق على اجتهاد المجلس في تعيين صلاحياته التطبيقية. اما الابهام في المرجع التنفيذي الاعلى عندما لايمكن الاتصال بالزعيم فلا يمكن ان يكون هناك ما يدعو اليه، لان التنفيذ يكون تنفيذ سياسة وتنفيذ تشريع وهو من صلاحية مجلس وكلاء العمدة ويكون من صلاحية المجلس الاعلى تقرير السياسة وتقرير التشريع واتخاذ التدابير اللازمة لمراقبة التنفيذ والتثبت من صحته

عمليا. اما اذا كان القصد من الابهام في القرارات السياسية والتشريعية فحين تعرض قضايا خطيرة مستعجلة لا تتمكن من انتظار الاتصال بالزعيم فالمجلس الاعلى يتخذ صلاحية التقرير النهائي ويحمل مسؤولية ذلك. واني اعطي المجلس الاعلى صلاحية واسعة من هذا القبيل في كل الظروف التي لا يمكن معها انتظار الاتصال بي. وفي كل مقررات المجلس الاعلى يخضع المجلس للاتجاه السياسي - الاداري العام ولتوجيهات الزعيم.

الحالة السياسية الداخلية: ان مراجعة بعض مقالاتي السياسية الخارجية والداخلية في النهضة تظهر جليا اني كنت اشعر باتجاه جديد في سياسة الانتداب على سورية، وهذا يمكن مراجعته في مقالة « امصير المستعمرات مصيرنا؟ » وما يليها وفي المقالات التي كتبتها في الاعداد الاخيرة تحت رأي النهضة في صدد « الكتلة الوطنية » وهذا الاتجاه الجديد وما يجره من اتفاقات وعقود انترنسيونية يتضارب تضاربا كليا مع اتجاه عملنا القومي. وقد كنت دائما اصرح ان السلم بيننا وبين « الحكومة » ليس سوى هدنة ولا يمكن ان يكون غير ذلك لانه سلم غير مبني على تفاهم واتفاق، بل على سعة الحيلة من الجانبين. وان موقفنا من التطور السياسي الجاري على طريقة اكتساب الوقت ريثما تم العقود الانترنسيونية المنتظرة، خصوصا في حالة « الكتلة » ولواء الاسكندرون وتحركنا في النقمة على هذا التطور والضرب على أيدي مؤيديه جعل احراج موقف الجماعة بقدر ما اخذ يوجد لنا مكانة سياسية في قلب الشعب واوساطه. وليس من المعقول ان يكون حادث المجرم جورج حداد سببا كافيا لتعطيل النهضة الى اجل غير مسمى على الرغم من ان وزيرين اكدا لنا انها لن تعطل. فالتوتر نتيجة تطور التضارب السياسي الاساسي. اني اشك كثيرا في امكان الوصول الى تفاهم مع اي حزب او فئة سياسية في الوطن، لان لجميع الاحزاب والفئات اغراضها الخاصة وصلاتها وليس في شيء منها ما يمكن ان يتفق مع سياسة الحزب القومية المستقلة. ولكن ضمن هذه الاحزاب والفئات يوجد افراد وجماعات تكون مستعدة للتفاهم معنا طالما نضع برنامجا عمليا للكفاح وهذا ما افكر فيه الان. اذن أرى ان عمل الحزب السياسي يجب ان يكون مناورة محكمة مع الاحزاب ودفعها في بعض الاتجاهات او ايجاد استعداد معين فيها للعمل في اتجاه معين او الوقوف موقف معين بينما نشغل الاوساط الشعبية والحزبية في الاتجاه الذي نريده ونهيء رأيا عاما أو حالة نفسية متهيئة

للإجابة على ندائنا الذي نوجهه الى الأمة في الحالة المناسبة. والذي اراه انه اذا امكن تمديد الهدنة لربح كان افضل واذا اظهر الجانب الانتدائي استعدادا للتفاهم معنا فنحن مستعدون. ولست اعتقد بنجاح اي مساع رسمية مع « الكتلة » بصورة شخصية، كما يفعل مأمون مثلاً. ويجب من الان فصاعدا، ان نوجه كل عنايتنا الى قيادة الجهاد القومي وتوجيه الأمة معتمدين على انفسنا.

مؤتمر المنفذين: ان الفكرة حسنة ويحسن عقد اجتماعات لفئات من شخصيات الحزب المتينة التي لاتشغل وظائف لدرس الموقف وتأليف لجان تتكلف كل منها بالعمل من ناحية ويشعر الجميع بالمسؤولية الملقاة عليهم. وجميع ما اتخذ بصدد المنفذين حسن واثبتته.

مجلس وكلاء العمدة: اني اقر واثبت ما أقره المجلس الاعلى في هذا الصدد والغني قرار تعيين عبد الله رئيسا لمجلس الوكلاء. ويجب تبليغ الوكلاء اهمية المراكز والوظائف التي يشغلونها وما يترتب عليها من نتائج ووجوب التضحية في هذه الظروف فلا يكون العمل في ساعات الفراغ، مع السماح بتكاثر الاشغال الخصوصية، كما في شأن الدكتور وبشير. فكل وكيل عميد يجب ان يعطي نحو نصف نهار للاشغال الحزبية فنحن نكاد نكون في ساعة الجهاد العام واستعداداتنا يجب ان تكون تامة.

التدريب القومي: في كتاب سابق الى نصوح اشرت بوجوب متابعة العمل في هذه الناحية بكل نشاط، بنشاط اكثر كثيرا من السابق. واني مسرور، لان المجلس الاعلى شعر ايضا بأهمية هذه الناحية واتخذ التدابير التي رأها عملية ومفيدة. على اني اشير بتوحيد العملية هذه. وبناء عليه تولى جمال قيادة التدريب العام. فيكون العاملون تابعين له وهو يصدر اليهم تعليماته وأعين منير رئيس اركانه للتدريب العام. ويلحق بهذه الدائرة صلاح شيشكلي. فيكون عليهم درس مناطق الحزب وتعيين برنامج التدريب والتشكيلات. ويجب ان يعلم بذلك « العدد المجهول » في المكتب المختص ويكون على رئيس المكتب التنفيذي لهذا المكتب الاتصال بالقائم بالاعمال في الشام الذي زارني برفقته في بيت مري وابلاغه ان يحذر حلبي وان يبلغ جميع التابعين اليه ذلك وان يبلغ جميع رجال هذا الفرع ان يكونوا مستعدين للعمل فالساعة قريبة. وفيما يختص بمركز بيت مري يجب ان يكون للمتن الادنى والمتن الشمالي ثم يمدد لجميع المتن ويكون على المسؤول ان يتردد على الشوير لاجراء ما يلزم هناك. ويبلغ رئيس الدائرة

التنفيذية في المكتب المختص وجوب الاتصال بوديع في الشوير واطلاعه على دقائق الفرع. وقد يكون وديع اكثر المؤهلين للتوفيق بين الفرع التدريبي والفرع المجهز. ويجب الاهتمام بالحاق منفذ صيدا بهذه الدائرة ويجاد خلف له ولعله يتمكن من مرافقة جمال.

اعمال مجلس وكلاء العمدة: هي حسنة. ولكن على هذا المجلس، لصفته التنفيذية، الاهتمام بايجاد الاشخاص العمليين وتأليف اللجان للطوارئ وتشغيل عدد من الاشخاص الموثوق بهم. ويجب ايجاد لجنة تنفيذية احتياطية، حتى اذا حدث اعتقال تتولى هذه اللجنة العمل وفي طرابلس امكانيات واسعة.

السيد الباشا المناصفي: ان وجود هذا الشخص في بيروت مدة ايام وتركه مركزه الجديد بدون رخصة ولم يمض على تسلّمه وظيفته الجديدة سوى ايام معدودة جعلته موضع شك كبير عندي، خصوصا عندما وجدته ملازما المكتب ودائرة الداخلية. وقد سألته عن سبب وجوده واعطيته تعليمات بالألا يغادر مركزه بدون رخصة وانه يمكنه ان يأخذ ثيابه معه. ولم اظهر له اكثر من ذلك. وقد جاء تقرير العامل في «المكتب الاعلى المختص» (لا المجلس الاعلى المختص) يجعل هذا الشخص موضع ريبة شديدة. واقصاؤه عن الوظائف التنفيذية والادارية ضروري. ولكني ارى الافضل تكليفه بمهمة كمراقبة احزاب او اشخاص او كتابة شيء معين او درس بعض النظريات وتنفيذ نظريات الاحزاب اللبنانية مثلا لتتشر فيما بعد. ولكنه يجب أن يوضع في مكان بعيد عن الدوائر المركزية والافضل الا يكون في بيروت او في مراكز التدريب القومي. ويجب ان يظل تحت مراقبة مراقب نبيه فطن ولعل فريد عطايا من حيفا، وهو الان في عبيه، يتمكن من تمثيل دور معه. وهذا العضو متصل بأديب الزهيري ويمثل معه دورا ويمكن استخدامه في المكتب المختص. ويجب ايضا مراقبة عبد الله الجميل وسلمى صايغ ووداد ناصيف وهذه يتردد عليها كثيرا فؤاد حداد وهي تلاطفه لتأخذ منه معلومات وهو غبي.

الفرقة السرية: يجب ان تتابع تمارينها بجدّ ويجاد بعض مهمات لها او لافرادها.

فكتور اسعد: ان رايكم في مشروعه هو الاصوب. والاتصال ببيار عقيم ولكن فليجرب حظه. على انه يجب ان يحذر خبث بيار ومن وراءه فالرجل ليس سوى عميل للسياسة الاجنبية.

« نشوء الهم »: قد فوضت الى السيد نصوح، بالتلفون ان تعود اليه جميع اعمال الكتاب. ولما كان جبران « صوفته حراء » عند الحكومة فقد لايفيد عقد اتفاق معه ولكن يمكن ذلك مع شخص اخر. وكنت قد وضعت في مكتبة ابي اللمع خمس نسخ من المعتاد وثلاثة من الممتاز، على الارجح، وقد يكون العدد اكثر فليسأل والقيد كان في درج مكتبي. ولم اقبض منها شيئا فليحاسب ويمكن تلبية طلب المكاتب. ولترسل النسخ المطلوبة لاسد الاشقر بسرعة، كما انه يجب ارسال عدد الى كل فرع في المهجر.

ملاحظات: 1- لك شخصيا اقول يجب ان تكون متحفظا، لان جورج حداد لايعرف سدا للشواية ويجب المضي في العمل والاحتياط لكل شيء. وعندما يسألك احد عني قل له انت لاتدري شيئا لانك غير متصل بالادارة.

2 - ليكلف بعض اشخاص بترتيب تشكيلات « فد وول » يعرف بعض اشخاص. وقد يصلح فكتور لترؤس هذه الفرقة.

3 - اذا حدث شيء خطير يستدعي مخابرتي بسرعة فيمكن ارسال برقية بالاسم المعطى الى فندق في قبرص.

4 - يجب الا يظهر الحزب أي ضعف، بل ليحافظ على انتظام اعماله ورباطة جأشه.

5 - يجب الا يقتصر الاستعداد على الجمهورية اللبنانية بل في الداخل ايضا، لانه اذا تحركنا هذه المرة فالحركة يجب ان تكون لاغراض يؤيدها الحزب عامة.

6 - اذا خشيم مراقبة الرسائل الصادرة ف لترسل بواسطة فلسطين. وفي حيفا عنوان مجهول للمنفيذية حتى اني لاحظت انكم ترسلون سلاما للرفقاء بواسطة الزعيم.

اني انتظر البريد القادم الاسبوع الآتي. واظن انه يجب اختراع مفتاح جفر جديد. بلغوا سلامي الى اعضاء المجلس الاعلى ورجال الدوائر وطمنوا الجميع واطلبوا منهم أن يسهروا على قضيتهم.

ان خروجي من متناول اعدائي يعطينا فرصة ثمينة فلنستفد منها: ولتحيا سورية.

في 2 يوليو 1938.

توقيع الزعيم

بعد: وردني من مأون ان احد الاعضاء يمكنه ان يضع مئة انكليزية للرحلة
فليستعد وليسأل عبد الله قبرصي اذا كانت قضية منسى تمنع قيامي بالرحلة.

* * *

الحزب السوري القومي
مكتب الزعيم

«ول»

الى رئيس الدائرة التنفيذية في المكتب الاعلى المختص

وردني كتابك المؤرخ في 12 يونيو الماضي الحاوي تقريرا مطولا في صدد محمد
الباشا وقد لاحظت انك كتبت في اعلى الورقة الاولى «المجلس الاعلى المختص» بدلا
من «المكتب الاعلى المختص».

أريد ان اهنئك على هذا التقرير الضافي الوافي وفي الوقت نفسه اريد ان الومك
اشد اللوم على كتمان هذه المعلومات الكبيرة والقيمة عنيّ حين كنت لأزال في بيروت
وفي حين حدوث كل حادث من الحوادث التي ذكرتها. انك كنت تكتفي بإيداء
شكوكك لي ورأيك بناء على تأييد ملاحظات عمومية لم تكن تفيد شيئا. وهذه لم تكن
تهمني مطلقا، لاني كنت أجهل الاسباب التي كان اول واجب عليك اطلاعي عليها
بالتفصيل. فأنت كنت تقول لي، مثلا، «اني لاحظت تركّزا في الاعمال عند الباشا
وأرى كثيرين يسألون عن الباشا». وبديهي ان اعتبر انا هذه الملاحظات اولية وغير
كافية، لان الباشا المناصفي كان ناموسا للداخلية والاعمال متمركزة فيه بطبيعتها.
ولو انك ذكرت لي الفصول التي حدثت لكنت فهمتك اكثر وقدرت رأيك غير
تقديري السابق له.

اني افهم الاشخاص الذين يشتغلون في هذا السلك بقيمة ملاحظاتهم ومعلوماتهم
اكثر مما افهمهم بثنبهم وشكوكهم وآرائهم. فالمقياس عندي هو المعلومات الكاملة
ونوع الملاحظات، لا مدى التخيلات وبعد النظر وكثرة الافتراضات المعقولة. عندما
كان خالد يشتغل على رأس هذه الدائرة كان يدون في دفتر صغير بعض المذكرات
بصورة مقتضبة ثم يأتي في ساعة معينة ويقصّ علي انه في يوم كذا وساعة كذا وفي محل
كذا جرى ما هو كذا وكذا وبعد ذلك يبدي ما عنّ له حول علاقة الامور بعضها

ببعض. وهذا ما لم تكن تفعله انت. فكنت تختبر وتلاحظ وتبقي كل ذلك في دماغك ثم تبدي لي شكوكك وآراءك. وتنسى انك لاتزال في بدء العمل وفي طور الاختبار والتأسيس.

ملاحظاتي:

- 1 - هل اتخذت شيئاً من التدابير الفعالة لايجاد ضبط الاشخاص القادمين لمواجهة محمد الباشا على موعد معه؟ وهل عرفت اسماءهم والى أية مديرية ينتمون؟
- 2 - هل طلبت فتح تحقيق حول الاعضاء الذين كنت تضرب لهم مواعيد فلا يأتون بعد ان يكونوا قابلوا المناصفي والذين كنت تكلفهم بأمر فلا يفعلونها؟
- 3 - مع كل شكوكك فانك لم تكن تتخذ الحيلة اللازمة لمنعه من الوقوف على الادخال السري فكان الادخال يجري في المكتب ويتعرض لمعرفته وملاحظته.
- 4 - كان يجب ان تذكر لي اجتماع المناصفي وامين وفؤاد في القهوة حال حدوثه فهو حادث هام بتفاصيله. ولست ادري كيف اعلل ولعلك بالاحتفاظ بالتفاصيل لنفسك فكأنك لاتدرك اهمية وجوب ايصالها الي في الحال؟

تعليماتي:

- 1 - يجب الاهتمام من الان فصاعدا باشارك اعضاء «العدد المجهول» جميعهم بالتفاصيل التي تقف عليها.
 - 2 يجب اتخاذ جميع التدابير لمراقبة الاشخاص الذين أرسلت تعليماتي بشأنهم في كتابي السابق المؤرخ 29 الماضي وجميع الاشخاص المشبهين، خصوصا حلبي الذي يجب ان يوضع على اللائحة.
- وسأرسل تعليماتي الى الدوائر التنفيذية في صدد المناصفي. وليكن سهرم على القضية دائما، خصوصا في هذه الظروف الحرجة. ولتحفي سورية.
- في 2 يوليو 1938.

بعد: يجب الاهتمام بانشاء فرقة فدائية او عدة فرقة يكون لها ادارة مركزية معروفة من المجلس الاعلى واعضاء «العدد المجهول» ولا تعرف الواحدة منها بوجود الاخرى. وكذلك يجب تنظيم لوائح صفراء للخونة وزرقاء للاعداء الالقاء.

ايضا: يجب مراقبة بيت و داد ناصيف فهي تبقي دائما اتصالا بأحد الاعضاء لتقف منه على المعلومات و يتردد عليها اليوم فؤاد حداد. وهذا يمكن الداخلية ان تأمر المنفذية باصدار تعليمات تمنعه من الاتصال بالسيدة المذكورة ومن ان ييوح لها بأن اوامر صدرت اليه بذلك.

الرسالة الاولى

حضرة رئيس المجلس الاعلى

وردني البريد الاخير فقرأت فيه تقريركم الطامح بالاحداث الغربية المؤلمة الداعية الى التأمل العميق في حالة امتنا والاحطار المحدقة بها والعوامل والقوات العظيمة العاملة على قتل حيويتها ومصالحها وحقوقها. وهذه امور كنت اترقب بخشية كبيرة وقوعها فحاولت جهدي في الوقت الذي سمحت لي به الظروف، ان اوقظ الامة وانبهها للاخطار المداهمة. ولكن المادية القاتلة المسيطرة ووجود صحافة واسعة النطاق تتخدم مصالح الاجانب الاستعماريين وتندفع في خدمتها عند أقل اشارة وانعدام حرية القول والاجتماع وقيام ادارة تجرد كل واحد فيها من اي شعور حقيقي بالقومية او محبة الوطن جعلت مجهودي يضع قسم كبير من مفعوله السريع ويقتصر على قسم من القوميين الواعين. فالحالة الموجودة الان في اللاذقية ولواء الجزيرة وانحاء اخرى هي ما توقعته واشرت الى امكانيته في «البلاغ الازرق» الذي اشرت فيه الى الخطر العظيم الكامن في الاعتماد على سياسة المفاوضات واغفال مسألة تنظيم الامة تنظيمًا قوميا يكسبها القوة الكافية للبقاء والثبات. ولكن «الكتلة الوطنية» هذه الكتلة الجانبية الاثيمة، هذه الكتلة التي جبلت على الانانية والرعونة وضربت بالجنون اندفعت وراء الطعم الذي القاه اليها الاستعمار ودفعت الشعب في الداخل وراه ولم يخطر لها في بال ان تترى لعلها تجد وراء الطعم شقا. ولقد جاء بلاغي قبل انجاز الامر وتوصياتي اليهم من السجن. ولكن انانيتيها كانت قتالة فلم تسمع ولم تع والآن تحمل هذه الكتلة المجنونة وزر الاشتراك الفعلي في تنفيذ السياسة الاستعمارية في بلادنا. وباليات احدا منا يقدر على درس هذا الموضوع وجمع وثائقه واظهار هذه الحقائق للامة. او ليت الوقت يسمح لي انا، وأنا الان على أهبة عمل جديد، من الانصراف الى وضع شيء بهذا المعنى. خصوصا وان صحيتي تحتاج الى وقت اطول للعودة الى درجتها السابقة. فهي الان قد تحسنت كثيرا. ولكن لا بد من الاستمرار في هذه الناحية. قرأت رسالة

الامين ثابت ووقفت على رأيكم في موضوعها. وانا اقول بسرعة الاتجاه في هذه الناحية. ولكني اقول ايضا ان السرعة منوطة بالمقدرة العامة وحسن الاستعداد. وهنا يوسفني ان اذكر الفصول المؤلمة التي جرت امورها البليدة الغربية لعهد نيابة الزعيم الاولى. فقد تكررت رسائلي من السجن وطلباتي الانكباب على انشاء الميليشيا ولكن ما حدث من هذا القبيل كان ايجاد بعض الاشكال المرسحية. وأنا وافق على رأيكم في الملاك الذي تقتضيه الحركة في الوقت عينه الذي اقدر فيه تقديرات الامين ثابت لتطور الحركة بعد اعلان الامر وانقضا الصاعقة. ومن جهة اخرى ان الامر ولو نجح في البدء لا يكون نجاحه فاصلا الا اذا اكتملت وجهته الانترنسيونية. ويمكنكم ان تتخذوا اسبانية مثلا على ذلك مع اعتبار البعد بين حالة اسبانية وحالتنا العامة. على كل حال، اريد ان تبذل الجهود في ناحية التدريب وتوجد التشكيلات الرئيسية في مناطقها التي تعين لها. وهذا الامر يجب ان يقرره قائد التدريب واركانسويضع له الخطة التنفيذية. ويجب ان يدرس المجلس الاعلى امكانية استعمال السلك الموصول بوليم ويمكن ان يكلف الركن منير الاشتغال في هذه الناحية ووضع حساب مايمكن لنا الاعتماد عليه كل الاعتماد من هذا السلك ويضع تقريرا بذلك يرفعه الى المجلس الاعلى وترسل نسخة منه الي. ويجب الحذر جد الحذر من الحلبي واذنابه ورئيس المكتب التنفيذي في «العدد المجهول» يعرف شأنه. ان الاسراع في العمل الذي يقترحه الامين ثابت يجب ان يكون على قدر خطانا وامكانياتنا.

رحلتي = قد خابرت اسد الاشقر منذ نحو عشرة ايام بالبريد الجوي. وقد طلبت عنوانه لاتثبت من صحته فوجدته صحيحا ويجب ان يردني منه جواب قريبا، الا اذا كان غائبا. وفيما يختص بنفقة الرحلة فقد اخبرني منفذ دمشق في رسالة قديمة ان العضو حنين دير عطائي مستعد لان يضع تحت تصرفي مئة ليرة انكليزية فأريد التحقق من ذلك وهل المبلغ جاهز أو متى يكون جاهزا وقد ارسلت كتابا الى عزيز ثابت في مصر بواسطة جبرائيل مالك في دار الهلال وانتظر منه جوابا وسأكتب الى المدير على العنوان المرسل الي.

مقرّي = يجب الاستمرار في الايهام اني لاأزال في لبنان. وهذا يكون باثتان الاشخاص المقرين اني لاأزال موجودا ولكن يجب عليهم ان ينكروا معرفة مقرّي ويجب ان تعطي بعض التعليقات بناء على اوامر الزعيم او حسب اشارته. وقد عرف

اعضاء غير قليلين في حيفا بوجودي . فيجب التعميم بكمثال مقرر الزعيم واتجاهه لكل من رآه او عرف مقره .

تقريركم:

1 - وقفت منه على اخبار الاتجاه العام في لبنان فهو في مسيره الطبيعي الذي عرفته من قبل . ولست ارى الحكم على الشلفون بالسجن المؤبد « سابقة ملعونة جدا » ولكن السابقة الملعونة خطابة الشلفون ورواية الجرائد الملعونة اقواله وعدم تطبيق السجن عليه .

2 - اذا تطور الاضطهاد ضد القوميين نحو الاتجاه العام فيجب ان ينفذ ما قرره المجلس الاعلى بشأن المظاهرات ويجب الامتناع عن التسليم للجور واتخاذ التدابير لعرقلة اعمال الملاحقات . وهناك مسألة كنت حدثت الامين عبد المسيح بها قبيل سفري وتثبت من الذين يعينهم الامر فيجب عدم اغفال هذه المسألة . أما وحشية الطبقة النفعية في لبنان فقد خبرت منها الشيء الكثير وليس ارسانوس اول بطل من ابطالها ولكنه يريد ان يكون بطلا متفوقا في هذا المضمار ويؤدي للاستعمار خدمة لم يتمكن في تأديتها مدع عام ورئيس مكتب تحريات قبله فهذا يجب وضع اسمه على القائمة الزرقاء .

3 - ان الامير امين ارسلان يغمرني بغيرته واهتمامه . والحزب كله مديون لهذا الرجل بمساعدات غير قليلة فبلغوه سلامي وتقديري . اما نشر « البشير » خبر محاولتي الفرار الى شرق الاردن عن طريق الجبل الدرزي فتعليله ان هذه الفكرة قديمة وفي حالة حصل فيها توتر بيننا وبين الحكومة قبل الانتخابات رأيت الاحتياط للطوارئ فكلفت محمد الباشا السفر الى الجبل الدرزي ليدرس لي امكانيات اجتياز الحدود بدون جواز الى شرق الاردن ويتخذ التدابير اللازمة لهذا الامر وقد عاد الباشا بعد ان هيا الحالة المناسبة وكان باقيا في الجبل في تلك الاثناء جميل هرموش وكان عليه ان يرافقني . فالباشا يعرف الامر وقد يكون اتصل بالامير مؤخرا .

4 - يجب اتخاذ الحيطة الكافية في اخفاء الاوراق الحزبية بكل دقة واتقان حتى لاتذهب ضياعا والاشخاص المكلفون بالحفظ يجب ان يكونوا حكما .

5 - بلغني بواسطة منفذ دمشق انتداب البارودي لمعرض نيويورك واطاف تقريركم

فؤاد مفرج وهذا طبيعي. يجب مراقبة مجرى هذا الامر ومعرفة الوقت المعين لسفرهما، لانه يجب ان اسبقهما الى هناك. ولهذا يجب كتابن خطتي الجديدة كل الكتان فلا يتسرب اليها شيء ويجب تحذير منفذ دمشق في هذا الصدد.

6 - ان سير الامور في شرق الاردن حسن فليتابع على هذا النمط. وكنت قد تحدثت مع نايف عن امكانيات عملية لبعض المسائل المعينة واكد لي وجود هذه الامكانيات في شرق الاردن فيجب ربط هذه الامكانيات بالامكانيات التي كتبت الي ولم بشأنها. وليذكر لي ولم اذا كان قد تسلم كتابا ارسلته اليه بواسطة سامي على عنوان بيته. ولا بأس ان يستمع للعسيلي ولكن يجب ان يوضح امكانياته.

7 - اصدرت تعليماتي في كتاب سابق بشأن عدم اقرار رئاسة مجلس الوكلاء فليجبر بموجبها.

8 - الجريدة. كان جورج شقير يريد عرض اقتراح بهذا المعنى. وعلى كل حال متابعة هذا المشروع تفيد وكذلك الجهودات في سبيل المدرسة.

9 - دفاتر السينما. لايزال باقيا معي دفتر الروكسي وهذا ارسله مع هذا البريد. أما دفتر الامبير فقد نسيتته مع من بقي. وكذلك ارسل تفويضا خطيا مع هذا البريد لمن اعتمده بصدد «نشوء الامم».

ملاحظات وتوجيهات - ان ضربات كثيرة حلت بنا من جراء بلوغ غير المؤهلين الى المراكز العالية في الحزب. ورفعت زنتوت وجورج حداد ويوسف شقير امثلة بارزة في هذا الباب والان تظهر قضية الباشا وقد كنت منذ البدء غير راض عن ارتقائه بهذه السرعة الى مواضع الاسرار بناء على انه «يكتب العربية جيدا ويشغل كثيرا اذا اعطي شغلا». ولكن الامين ثابت كان لايرغب في التخلي عنه وكنت اظن انه يختبره من النواحي الاخرى ويثق به وكان من المصائب الا يعرف رجال بلغوا اعلى مراتب الحزب مسؤولياتهم في هذه المرتبة وواجباتهم. فان كثرة اشغال الامين قبرصي كانت تمنعه من تسجيل وقائع جلسات العمدا واعمال الحزب عنده تأتي بعد الفراغ من اعماله الخصوصية التي يوجه اليها كل اهتمامه وبعد الحياة الاجتماعية وبعد رضى امراته! وقد آن لنا ان نحسن الامور ونمنع تكرار الاغلاط السابقة فكل شخص لانعرفه معرفة جيدة ولم نختبره من قبل يجب الا يقبل في اية وظيفة مركزية او هامة الا بعد ان يعطي المكتب المختص موافقته.

فيما يختص بالأمر: الى اليمين، الى اليسار، لي. توضع كلمة اشخاص في محل لي او صب. وفيما يختص بأكرم فان الشبهات التي يتكلم عنها منفذ الشمال كنت قد وقفت عليها في طرابلس ولم اجدها ترتكز على اساس متين وهي من نوع ان الشخص شيوعي سابق او كانت له علاقات مع شيوعي طرابلس. ومع ذلك يحسن اختباره.

كنت قد كلفت روبر خلاط القيام بمساع سياسية داخلية وبجئت معه قضية الكنيسة الشرقية المستقلة ورئيسها واحب ان اعرف ماذا كانت مساعيه. فيجب ان يتصل به منفذ الشمال. وكان قد عرض طبيب الاسنان وليم خلاط ان يقوم هو بدعاوة واسعة للحزب في الجبل الشمالي على ان تسهل له المنفذية مهمته وتوقف له الشخص او الاشخاص الذين يحتاج اليهم لاكمال المهمة فليأخذ منفذ الشمال علما بهذه المسألة وليتابع جهوده في هذه الناحية. يمكن ان يدخل في اعمال المكتب المختص العضو الذي كان سابقا رئيس مكتب عبر الحدود اذا رأت حياة «العدد المجهول» ذلك موافقا وضروريا.

يحسن توثيق الاتصال بشفيق لمعرفة مايمكنه ان يعمل ولعله يصلح للاذاعة او لاعمال ادارية او في المكتب المختص او للاشتراك في لجنة سياسية قد تشكل للقيام ببعض المهام والبحث عن الاشخاص المخلصين المؤهلين للقيام بالاعمال المركزية الهامة يجب ان يكون سياسة رئيسية، لان الملاك شيء هام ولان الدوائر المركزية والاعمال الرئيسية تحتاج الى رجال مؤهلين والى عدد جيد منهم. واني اتوسم في شفيق عنصرا طيبا وأتمنى الا يجيب ظني. بلغوا سلامي الى قيادة التدريب وأركانها وقولوا لهم اني اعلق عليهم املا كبيرا وانتظر منهم نتائج طيبة.

يجب الا يحدث تزعزع في ناحية من النواحي. وان هذا الثبات والصمود الهادىء في وجه الحكومة يبرهنان عن قوة نظام طيبة. وبقدر ما تذاع الارجيف يجب جعل الحزب يدرك تفوق معنوياته على معنويات الحكومة وتغلب خطته على خططها. ماذا حدث للهدية التي جاءني في عيد ميلادي في حفلة مديرية السيدات؟

ملاحظة:

مع مرور الايام تثبت الاختبارات صواب الخطة التي اسلكها وسخافة رأي الامين قبرصي فيما يختص «بانذارات» الحكومة. والحقيقة انهم لو وجدوني لتحولت هذه

«الانذارات» الى مئات الاعتقالات والتضييق على الخناق. وما رأي الامين المذكور
«بالانذار» الوحشي الذي نفذ في بيت الحداد؟

بلغوا سلامي الى جميع فروع الحزب بواسطة الادارة المركزية. واني انتظر من
جميع الاعضاء ان يثبتوا في اماكنهم ويفعلوا واجبههم القومي وان يتمم كل واحد منهم
المهمة التي تعهد اليه بكل دقة كما اقسام. ولتحية سورية.

في 9 يوليو 1938

الجفر (الشفيرة) يجب ان يرسل المفتاح بطريقة غير الطريقة المعتادة اذا كنتم
تلاحظون تأخرا في وصول البريد اليكم او الى اشتباه بالظنون عن مقري. البريد يصل
الي في حينه مما يدل انه حتى الان لاخوف من المراقبة على مراسلاتنا. ولكن اذا
استشعرتم شيئا فيحسن جعل المراسلة عن طريق فلسطين.

بعد جورج شماعية: - كان موضوع شك عند خالد. يحسن ان يراقب مراقبة دائمة
لان ظهوره الفجائي في هذه الظروف والقبض على فلاحه وبقاؤه هو حرا أمور تدعو
الى كثير من الشك. هو جريء وكان خالد يعتمد كثيرا من منفذية طرابلس لاعمال
الاستخبارات ولكنه اخذ فيما بعد يشك في امره ويتوقاه. يجب ان توضع ورقة باسمه
في المكتب المختص تلخص فيها المعلومات عنه.

ويشير الامين عبد الله قبرصي عن الزعيم في قبرص فيما يتعلق به في العدد 220 من
صباح الخير - البناء الى ما يلي:

«كتب (الزعيم) الى المركز رسالتين من قبرص. احدهما يطلب بعض المال لتغطية
نفقات السفر ويحمل الامين قبرصي مسؤولية تسليمه من قبل السلطات البريطانية الى
السلطة اللبنانية عبر الحكومة الفرنسية اذ انه كان يؤكد له ان لاطلب من هذا النوع
موجود».

والصحيح ان سعادة ماحمّلي مسؤولية تسليمه لأني كنت على حق في القول بانه
لايوجد اي طلب استرداد بحقه. ولكنه قرأ في الصحف خبرا كاذبا فكتب لي مباشرة
يقول لي بالحرف:

«اذا اسلمتني السلطات البريطانية يا عبد الله فتكون انت الذي اسلمتني.

الحقيقة اني اوجست خيفة ووجلا ان يكون هناك طلب استرداد تمّ في غفلة مني

فسارعت الى قصر العدل وكان رئيس القلم السيد موسى الجريديني وطلبت ان ابحث في السجلات عن دعوة تهمني، ورحت ابحث من تاريخ 23 ايار وما بعد، فاذا بالخبر كاذب حقا، وليس هنالك اي طلب استرداد. فتفتست الصعداء وكتبت له بلغة المتفوق في الامتحانات.

ان رحلة الزعيم الى اوروبا لدرس الحالة السياسية فيها والسعي لمصلحة سورية لم تكن سرا من الاسرار بل عملا منظما وضع له برنامجا الرسمي وصدر فيه بلاغ رسمي من عمدة الاذاعة بتاريخ 15 اب 1938، هذا نصه: « الى جميع السوريين القوميين ».

وطد الزعيم المفدى عزمته على القيام برحلة واسعة الى انحاء المهجر يعرج فيها بطريقة على العواصم الاوروبية، والقصد من هذه الرحلة امران رأى الزعيم ضرورة تأمينها لنجاح قضيتنا القومية. الأول: اطلاق الرأي العام الانترناسيوني على القضية السورية وتطوراتها وموقف القوميين منها والثاني: تنظيم المهجر السوري ليكون على استعداد للعمل المتضامن مع النظام القومي في الوطن.

ايها الرفيق! سيغتم اعداء نهضتنا الكثيرون فرصة غياب زعيمنا الجليل ليذعوا ان الحزب يضعف ويتراجع وليختلقوا مختلف الاشاعات والاراجيف املين انها، بعد الشخصية القومية الكبرى مصدر الادراك القومي ومبعث الجهاد والبطولة ستجعل القوميين ينسون قضيتهم وقسمهم ويكونون عرضة للتراجع امام الضغط. أيها الرفيق ان القوميين سيرهنون للعالم اجمع ان قضيتهم قضية الحياة للامة. لانها اصبحت جزءا من وجدانهم لايمحي. ان زعيمنا، أيها الرفيق، قد ترك القضية القومية امانة في اعناقنا وشرفنا والويل لمن سيخونون هذه الامانة!

ايها الرفيق! ان زعيمنا ذاهب ذهاب البطل يمثل قضيتنا وكرامتنا امام العالم الراقي ويخبر امم الحضارة ان في سورية امة صممت بعد اليوم ان لاتموت بل ان تحيا في بلادها حياة الحرية والرقى والكرامة لانها تستطيع ان تخدم الحضارة العالمية والمدنية المنظمة الراقية متى كانت سيدة نفسها وبلادها.

ايها القومي! ان تأييد موقف الزعيم واعطاء كلمته المفعول الحاسم هو امانة ايضا في اعناقنا جميعا سيحاسبنا عليها ابناؤنا في الاجيال الآتية. لنكن ثابتين في مراكزنا مستعدين ليوم يدعونا الزعيم الى ساحة الحرية والشرف والكرامة. ولتكن قلوبنا رفيقة

البطل القومي حيث سار واين حل . لتتجه افكارنا جميعا وعواطفنا كل يوم من ايام رحلته ، ولتكن عائلاتنا واطفالنا اسبق منا في التطلع بشوق وايمان الى عودته الظاهرة في سبيل مجد سورية وعزها .

لقد كانت صرخة الزعيم « سورية استفيقي » بدء يقظتنا والان نسمع صرخته « سورية استعدي ليوم مجدك القريب » وهذا بدء عملنا ، واننا مستعدون ، يقظون دائما ولن ننام عن واجبنا حتى تبلغ سورية الهدف الاسمي فتردد معنا الاجيال : لتحي سورية وليحي سعاده .

الرسالة الثانية

حضرة منفذ عام فرع المكسيك

ترون من طابع البريد ان هذا الكتاب مرسل اليكم من جزيرة قبرص . فانا في هذه الجزيرة منذ 23 الماضي وقد اجتزت حدود الانتداب الفرنسي في 12 الماضي بعد اكتشافنا مؤامرة واسعة النطاق تشترك فيها دوائر حكومية واعداء الحزب السوري القومي وغرض المؤامرة القبض علي وزجّي في السجن وملاحقة الحزب من جديد وانزال اضطهاد شديد به لقتل فكرته وعقيدته المنافيتين للسياسة الاستعمارية المتفككة مع الطبقة الاقطاعية النفعية في الوطن . وقد كانت دوائر استخباراتنا متيقظة فاكشفت هذه المؤامرة على سلامتي وسلامة الحزب في حينها . ورأيت منعا للاصطدام المباشر ان لا أقع في ايدي اعدائي ولا اتعرض لاصطدام دموي سابق لأوانه واخترت مغادرة نطاق الانتداب الفرنسي . فخرجت في 12 الماضي وداهم التحري مكتب الحزب في بيروت في 13 منه وباؤوا بالخيبة اذ لم يجدوني ولم يعثروا على شيء من وثائق الحزب . واعتقد ان تفصيل الخبر يرد اليكم من مكتب عبر الحدود .

بهذه المناسبة ارى أن استفيد من هذه الفرصة بالقيام بجولة واسعة في المهاجر السورية فأزور فروع الحزب فيها واتفقد شؤونها وشؤون السوريين عموما واعمل على تنظيمهم واقوم بجملة اذاعية شديدة في سبيل القضية القومية وانقاذ الامة والوطن من المصير المحتّم في حالة فشل نهضة الحزب السوري القومي .

ولما كنت قد خرجت بسرعة قبل ان اتمكن من اتخاذ اية اهبة مادية لاقامي في

الخارج ولسفري. فإن هذه المسألة أصبحت ملقاة على عاتق الفروع عبر الحدود. ولذلك فإنني اطلب أن تؤمنوا بسرعة ارسال مدد مالي اليّ لأتمكن من التحرك. ويمكنكم ان تنشروا في الاوساط السورية عزمي على زيارة المكسيك. ويجب عليكم اتخاذ الاحتياطات والتدابير اللازمة لتأمين اقامتي وتنفيذ برنامجي ولتهيئة الافكار لهذه الرحلة. ويجب ألا تذكروا شيئاً عن مقرّي الحالي فهذا الامر يجب ان يبقى في حياة المنفذية. وكذلك يجب الا يشيخ اني تركت الوطن وكيف تركته.

سلامي اليكم والى جميع الرفقاء القوميين واصدقاء النهضة.

وقبل ان اختم هذه الرسالة خطر لي ان اطلب منكم الاتصال بمنفذية الولايات المتحدة لدرس موضوع سفري والاشترك في اتخاذ ما يجب من التدابير. ولذلك ارسل اليكم عنوان معتمد الحزب في الولايات المتحدة.

ولتحية سورية

في 13 يوليو 1938.

الارجح ان ابتدء سفري بين اواخر اغسطس واول سبتمبر فيجب السرعة بالجواب.

عنوان معتمد الولايات المتحدة:

Mr. Fuad Agram

1502 Damidson Road

Flint, Mich

U.S.A

الرسالة الثالثة

عزيزي نصوح:

بعد ارسال كتابي اليك بالبريد الجوي الاخير كثر تفكيري حول الصراع بين الصلاح والشر وقد حلمت امس حلماً غريباً رأيت ان اروني لك قصته. فقد رأيت في منامي ان جماعة رأّت الفساد يعم البلاد فاجتمعت على محاربهه وجعل الصلاح سائداً. وانشأت هذه الجماعة حزبا. اما الفساد فكان له شركات تعمل لتأييد دولته وابتدأت

هاتان القوتان تتصارعان. فما ان احست شركات الشر بنشوء حزب الصلاح حتى اخذت المؤامرات السرية تدبر لاهلاك هذا الحزب. واتفق ان المخرط في سلك جماعة الصلاح رجل من اهل السوء باشا في الخديعة والنميمة. فبعد الاحتكاكات الاولى بين جماعة الخير وجماعة الشر تحركت في رجل السوء عوامل الانحطاط الاصلي فباع نفسه لشركات الفساد وظل يتظاهر بالصلاح ليكيد لجماعته سراً. ولما كانت جماعة الصلاح تعده واحدا منها ولم يكن اظهر في السابق شيئاً من طويته السيئة لم تشك به وسلمت اليه شيئاً كثيراً من اسرارها. ولكن اعمال هذه الجماعة اخذت تسوء في المدة الاخيرة واصبحت في مأزق حرج. فخططها التي كان يتحتم نجاحها كانت تصاب بالشلل فتعود الجماعة الى فحص الخطط ودرسها فتجدها محكمة غير قابلة للفشل ولكن لا يصبح الصباح حتى تفاجأ بمحركة جديدة من جانب شركات الفساد تعطل هذه الخطط. وقد سبب هذا الامر نكبات عظيمة وقاست جماعة الصلاح الاهوال. واخيرا تنبه واحد من جماعة الصلاح الى هذا السوء المندس بينهم واكتشف سوء طويته وبعض اعماله الاثيمة. فحالا اجتمع ثلاثة رجال من اهل الصلاح وتداولوا في الامر. فقال واحد يؤنب السوء ويقاصص. وقال الثاني، بل يقتل غيلة وشمسي في جنازته، اذ يكون قد سقط في سبيل الواجب. وقال الثالث، بل يرسل اليه واحد يراه في الطريق وحده فيدعوه لمقابلة احد المسؤولين في الحال ولا يترك له مجالاً للاتصال باحد وعند مجيئه يقبض عليه وينقل سرا في الليل الى مكان معين ويكون فاقد الوعي فيصحو ليجد هيئة محكمة مهيبة جالسة لتحاكمه فتوجه إليه تهمة خيانة الجماعة وايقاعها في يد شركات الفساد واعطائها جميع معلومات الحركة فاذا انكر يخرج مركزه بالسؤال ثم يعذب حتى يعترف بكل شيء وحينئذ تحكم عليه المحكمة بالاعدام فيقتل رميا بالمسدس وتخفى جثته في مكان لا يمكن الاهتداء اليه. وكان وجه احد الثلاثة يشبه وجه القائم في الساحل الشمالي ووجه الثاني كوجه رئيس الدائرة التنفيذية في المكتب المختص ووجه الثالث وديعا. وفيما الثلاثة لا يزالون يقبلون المسألة والقائلان بالعقاب الاقصى يشددان بوجود قطع دابر الشر من جماعة الصلاح على الخصوص وان الاجراءات الضعيفة الناقصة لاتنفذ شيئاً استفقت من حلمي وقد فكرت كثيرا في هذه الرؤيا الغريبة وما هي علاقتها بالحوادث الجارية. فما رأيك وما رأي الثلاثة في هذه المسألة او هذا اللغز؟ ولماذا يجب ان ارى هذا الحلم الآن؟ وانا اعتقد ان المسألة تافهة فولع سيجارة بهذه الورقة!

الرسالة الرابعة

عزيزي نصوح

وردني البريد هذا المساء وكنت بانتظاره. وقد رأيت وانا في دائرة البريد اعلانا بان هذه الادارة تقبل كُتبا الى سورية حتى الساعة 8,15 من الصباح لتسافر بالباخرة الاغريقية وبواخر هذه الشركة تؤمّ سورية وهذه الجزيرة ذهابا وايابا ولم أوفق لمعرفة مواعيدها فرأيت ان اكتب هذه الرسالة المستعجلة الليلة لأضعها باكرا في البريد. وضعت أمس في ادارة البريد كتابين بالبريد الجوي الواحد الى المنفذ العام في المكسيك والثاني اليك وهذا يجب ان يصل اليك بعد غد. فغدا موعد قيام الطائرة الى فلسطين ومن هناك بالبر. وقد ذكرت لك في هذا الكتاب اكتشاف الخائن الكبير الذي كان السبب في توقيفي للمرة الثالثة، اي بعد حوادث بكفيا وكان السبب في علم دوائر الامن والمفوضية بقضية التدريب.

يظهر انك كنت تبعا جدا حتى انك نسيت ان تضمن الرسالة التقرير الوارد من حنكش فلم اجد هذا ضمنها. ولقد نسيت انا وضع التفويض اليك ضمن رسالتي السابقة ولكني عدت فأرسلتها على حدة.

خالد الموره لي: - لا اوافق على الرأي الوارد بشأنه ورأيت ما قلته في رسالة سابقة ان الاشخاص الغامضين يجب ان يظلوا بعيدين عن المركز والدوائر المركزية فهذا الشخص كان قد أصبح موضع شك مؤخرا ومن يدري ما هي علاقته الآن واذا كانت التقارير والمعلومات عنه اخيرا جيدة فيمكن استخدامه خارج المركز في بعض المناطق الضعيفة ولكني اكرر بوجوب الحذر والحيطه.

أرسلت اليك الاسبوع قبل الماضي كتابا مضمونا على العنوان المعطى في شرق الاردن وفيه جواب على تقريرك الاول وفي البريد الماضي جواي على تقريرك الثاني وكتاب الامين نعمة. فأود ان تذكر لي تسلمك كل بريد لاطمن.

رحلة الزعيم - اكتب اليك هذه الكلمات الاولى بشأنها وسأكتب غدا وبعد غد في هذا الصدد حين أجيء على رسالتك كلها. ان قصدي هو ان ترسل كتابا الى المنفذين العامين والمسؤولين ورجال الحزب في المهجر يقال لهم فيها ان الزعيم قد عزم على القيام برحلة الى المهاجر السورية لزيارة فروع الحزب فيها ولتفقد شؤونها وشؤون

الجواي السورية عموماً. وأن عليهم اتخاذ التدابير الحزبية والشخصية للتمهيد لرحلة الزعيم من غير ان يعطوا تصريحات علنية بهذا الصدد حتى يكون قد تقرر موعد السفر من هنا وبرنامج الرحلة وتبذلوا الامر بذلك. أما الآن فيحسن القيام بالمساعي التي يرونها حسنة مع بعض الشخصيات وفي بعض الأوساط ويجب عليهم ان يبلغونا نتيجة مساعيهم واستعداداتهم. وقد كتبت انا بهذا المعنى لابي عجرم وابي مراد وكتبت لاسد الاشقر وفي جميع هذه الكتب طلبت القيام بالمساعي التمهيدية من غير ضجة حتى يكون قد تقرر كل شيء وقلت لهم ان رحلتي الارجح قد تكون نحو اوائل سبتمبر المقبل.

كتبت اليك سابقاً بشأن دير عطاني واستعداده لدفع مئة انكليزية للرحلة وطلبت منك محاضرة مأمون في هذا الامر ولم تجبني على هذه النقطة.

ليرسل الي مأمون عنوان الانسة قندلفت وليبلغني مساعيه.

اني ارسل اليك دفتر الروكسي

عسى ان تجد في الجبل الراحة اللازمة وان يساعدك رشدي في نسخ بعض الامور وكتابة بعض الرسائل.

عندما مررت بطبريا اخبرني فؤاد صايغ ان عائلتهم قد تصيف في «المشرع» فأخبرني ماذا حدث من هذا القبيل.

اني مرسل مع كتابي هذا كتاب تهنئة ليوسف فليصل اليه سلامي لكم جميعاً ولتحية سورية!

في 14 يوليو 1938.

الرسالة الخامسة

عزيزي نصوح

لا أدري لماذا جعلت لنفسك قاعدة لاتحيد عنها في الكتابة الي وهي اهمال ذكرى تسيلمك رسائل وعدادها، كأن تقول مثلاً «الكتاب الذي ورد في البريد الاخير مسجلاً قد تسلمته وسلمت الي فلان ما يخصه الخ» او غير ذلك من العبارات حتى اعلم اين أنا وما هي قيمة المراسلة العملية وأقف على مجرى الامور. فقد كتبت عدة رسائل واعطيت توجيهات لم اتلق جواباً عليها لاعلم هل عمل بموجبها. وسألتك ان تخبرني

هل تسلم رئيس الدائرة التنفيذية الكتاب الذي ارسلته اليه بواسطة سامي الى شارع السادات وذكرت لك في احد كتبي اسم الشخص الذي عرض على منفذ دمشق تقديم مائة ليرة انكليزية لرحلتي لتجري المخابرة ولاعلم متى يكون هذا الشخص مستعدا لتقديم هذا المبلغ والاستعداد للسفر. هذه وغيرها من الاسئلة لم احصل على اي جواب في صددها. أعلم جيدا انك الآن كثير الاشغال والجو الحار يبسط الاعمال ويرخي الاعصاب وانك تجتاز مرحلة جهد كبعض ما كنت اجتازه. وقد تكون تفعل ذلك وانت لما تنتعش من مرضك كما كنت افعل انا حتى في ابان مرضي وهو ما جعلني اشعر الان بالحاجة الى استكمال الراحة. ولكن هو الصراع افتنخلى عنه؟ ولست ادري اذا كان ولیم قد ذهب الى الصيفية مؤجلا القيام بالمسائل المطلوبة الى ما بعد الصيف. ثم انت لاتذكر لي شيئا عن «العدد المجهول» وعمله وكان يجب على رئيس الدائرة التنفيذية ان يضع رسالة بهذا المعنى ويطلعني على ماتسلم مني وما تم من توجيهاتي. والا فها الفائدة من كتابتي وعملي. على الشخص الذي ارسلت بواسطة رئيس الدائرة التنفيذية اعينه رئيسا للمكتب الاعلى المختص ان يضع رسالة يخبرني فيها بالامور الجارية. والا اصبحت أنا ضائعا لا ادري ما افعل.

تقرير رئيس المجلس الاعلى عدد 3 - اطلعت على هذا التقرير والمعلومات الواردة فيه ثينة وقد سرتني النتائج التي وصلنا اليها في جعل الوحدة القومية حقيقة راهنة في محافظة اللاذقية.

البقاع - استغربت كيف ان المنفذ العام المعين لم يتسلم مركزه الا منذ بضعة ايام. صحيح ان الظروف كانت صعبة ولكن الاسراع في تنظيم المناطق هو الدواء الوحيد.

مجلس الوكلاء - ان الخطة التي سلكها المجلس الاعلى لتقوية هذا المجلس حسنة ويجب على معروف ان يشتغل كثيرا وان يهتم على الخصوص بالاذاعة الشعبية ويجاد عدد من الخطباء غير المسؤولين للخطابة في الاجتماعات الحزبية على مثال خطاب قيل في طرابلس مؤخرا وهو من انشاء آنسة. واما مسألة رئاسة هذا المجلس فكنت قد كتبت اقول اني الغيت تعيين الامين قبرصي لهذا المنصب فحالته وخصوصا مع امراته لاتسمح باسناد مثل هذه الوظيفة اليه في هذه الظروف، ومن جهة اخرى فاني يئست من جعله يلقي عناية عظيمة الى الاعمال الموكولة اليه ولعل السبب عائد الى تربيته السياسية القديمة. فهو قد ارسل الي كتابه في اخبار دار القضاء ولكن معلوماته جاءت

ناقصة وتركتني في شكوك وانزعاج. انه ذكر لي ان المستنطق قد استمع الى شهادة اميل لحود وشهادة الدكتور دبغى ولم يذكر لي ما اذا كان نوع الشهادات خصوصا لحود فهذا الرجل مديون لنا بجميل كبير معنوي ومادي. والامين قبرصي لا يبدي في كتابه رأيا في الاعمال ولا فكرة سياسية تدل على انه يدرس الموقف بتفكير عميق فهو يكتفي بالقول ان اصحاب المسؤوليات يرفعون تقاريرهم الى المجلس الاعلى. واني مسرور لان اسناد اعمال الاذاعة الى شخص آخر سيبقي قسما من الوقت للاهتمام بالشؤون الاخرى الكثيرة.

المدرسة - ان الاكتشاف الذي وقف عليه منبر حسن ويجب بذل كل مجهود لتحقيق هذا المشروع.

التدريب - يذكر التقرير شيئا عن الشوير والقويطع ولاذكر للشويقات فلماذا. واذا كان صلاح قد عاد فيجب تمديد المشروع الى العلوين بعد اجتماع يعقده اركان التدريب ويوحدون فيه الخطط. واذا كانت البطاقة المرسله الى وليم حقيقية فمتى اصبح الشخص حرا يكلف هو ايضا بتهيئة ناحية. اما الاوراق فأريد نسخة كاملة منها جميعها لاني اريد تطبيق هذا النظام في المهجر ايضا وقد اتمكن من طبع التعاليم في كتاب. ويمكن ان يعمل معك في النسخ حلمي وفوزي. والنسخ الباقية عندكم يجب الا تفقد ويجب الاحتياط للطوارئ عند النسخ والافضل ان يجري ذلك في البرية او عند بعض الاقارب. ويرسل رئيس الدائرة التنفيذية في المكتب المختص كلمة الى صاحب البطاقة يبلغه فيها تقديري لتضحيته واني لأتخلى عن العاملين المخلصين.

رحلة الزعيم - كتبت اليك امس في صدد هذا المشروع وازيد الان ان التعميم يجب ان يحتوي على ذكر عزم الزعيم على القيام برحلة في المهاجر السورية حالما تم التهيئة وان الزعيم يقدر ان التدابير التي سيتخذها المنفذون العامون والمسؤولون ستستغرق نحو شهر عدا عن وقت المراسلات فيكون المنتظر ان تحيء الرحلة في اوائل الخريف. وهذا الامر يجب ان يعلن في الجرائد الآن ولكن يمكن وضع الصيغة لهذا الاعلان بشكل بلاغ من عمدة الاذاعة ويمكن ان يرسل منذ الآن الى المنفذين العامين فيحتفظون به لحين صدور الاشارة باذاعته او ان يبقى في دوائر الحزب ويرسل فيما بعد لان هذا البلاغ يجب ان يتضمن المراحل ونقاط البرنامج وهذه الامور يحسن ان اهتم بها بنفسي حالما تأتيني الكتب المنتظرة من الولايات والشاطيء الذهبي والمكسيك.

فيكون على مكتب عبر الحدود ارسال تعميم اولي الى المسؤولين يعلمهم فيها ان الزعيم يفكر في زيارة المهاجر السورية في هذا الخريف وان عليهم ان يهيئوا الجو لهذه الرحلة في الاوساط من غير ضجة. وليس من الضروري ان يذكر في تعميم عبر الحدود اني قد خرجت من البلاد، بل لتوضع الصيغة كما لو كنت افكر في السفر من الوطن. ويتضمن هذا التعميم اشارة الى المسؤولين بأن موعد الرحلة والبرنامج يصل اليهم فيها بعد وبأن يكونوا رصينين متحفظين.

أما أمر مرافقتي فلست اشك في كثرة الذين يتمنونها ولا ازال افكر في اصطحابك او اصطحاب الامين ثابت معي وسأحتاج الى شخص اخر ايضا وان فكرة اصطحاب معروف حسنة. وأما حنا خوري فهذا كان قد وردني منه كتاب قبيل مغادرتي بيروت وبقي الكتاب معي وعنوانه وقد كتبت اليه منذ اكثر من اسبوعين على ما اعتقد وسأرى ما يكون جوابه.

احب ان تبحث مسألة مرافقتي في المجلس الاعلى لترجح ما اذا كنت أنت او الامين ثابت سيرافقتي مع معروف على الارجح، اذا كان يقدر ان يقوم بنفسه. وكنت قد كتبت اليك بشأن الشخص الذي يقول منفذ دمشق انه مستعد لمرافقتي ووضع مئة ليرة انكليزية في هذا السبيل فيجب الاهتمام بهذا الامر واعطائي الجواب سريعا. وحين بحث المجلس الاعلى امر مرافقتي يجب النظر في الحاجة الى بقاء من يتمكن من العمل في الوطن اثناء الغياب.

انيس فاخوري - ان ترشيح فاخوري لتسلم الداخلية حسن ولكن يجب النظر في قضية هامة وهي انه قد آن لانيس ان يندم على الكتاب الذي وجهه الي وادي الى تجريده من رتبة ومركز كان يكون جديرا بها. فليطلب منه ارسال كتاب الي أو الى المجلس الاعلى يعلن فيه ندمه على كتابه المذكور ويعترف بأنه كان مخطئا ويطلب الصفح فاذا فعل امكن ان تعاد اليه رتبة الامانة. وهو يجب ان يقدر هذا الامر ويعرف اهميته.

استخبارات الشرق الادنى - كان يجب ان تبقى في المكتب المختص لتنظيمها ووضع الاوراق اللازمة لها فتكون مرجعا. فاذا لم يكن عند المكتب المختص نسخة منها فأذكر لي ذلك لانسخها واعيدها اليه.

الجرائد - وردتني الرزمتان المرسلتان دفعة واحدة امس. واحب ان يتابع ارسال الصحف الي فانها تفيد كثيرا في الاستعداد للحملة. وبهذه المناسبة اكرر طلب المجموعات الاخبارية التي كانت موزعة على بعض الافراد لترتيبها. وكنت قد وعدتني باستعادتها منهم. فهذه اريد الحصول عليها، كما اريد الحصول على التصريحات الاخيرة في صدد الوحدة العربية التي اعطيت في مصر. وكان قد بقى في غرفتي مجموعة صغيرة من الخطب والمقالات فاذا كانت لم تفقد فأحب ان ترسل الي واذا كانت فقدت فاحب ان ترسل الي مجموعة من خطبي ومقالاتي ونشرات الحزب الاذاعية. وكذلك اريد مجموعة كاملة من النهضة. وياليت عندي احد هنا لترتيب هذه الامور فان دائرتي ستتسع هنا حتما.

رحلتي ايضا - ذكرت لي ان معروف والدويك كانا يفكران في الحصول على رخصة مني للقيام بجولة في المهجر لتنظيمه. وانا اذكر ان يوسف البحمدوني كان عرض مثل هذه الفكرة. ثم عرض علي مثل هذا الامر عزيز حديد وهذا الاخير كان مستعدا للقيام بنفقة سفر شخص اخر ولكنه لما علم اني اميل الى ارسال الامين ثابت على رأس هذه البعثة او القيام بها بنفسه وجه افكاره الى شيء اخر وتهرب من العمل في هذه الناحية! ونحن لنا اختبار في الامين معروف ونثق به بناء على اختبارنا اياه اما الدويك فلا نعلم شيئا من امره ومراميه. فهو قد دخل الحزب سراً في الصيف الماضي وسافر الى العراق. وعند سفر الامين صعب في الفرصة حملته تكليفا سياسيا الى السيد الدويك الذي طلبت منه القيام بمهمة معينة وان يرسلني في صدها ولكنه لم يرسل كلمة واحدة تشير الى شيء من العمل وحتى الان لم يردني شيء منه. فنحن نثق به الثقة التامة المبدئية ولكن يجب عليه ان يحول هذه الثقة المبدئية الى ثقة ثنوية عملية اذا كان يريد فعلا القيام بخدمة كبيرة لقضيته. وهو يمكنه ذلك بالاضطلاع ببعض الأعباء في الوطن التي تظهر لنا مقدار شجاعته ورباطة جأشه ومقدرته واخلاصه وغير ذلك من الامور التي يجب ان يبرهن عليها من كان يطمح بلعب دور خطير. أما الشهرة في المهجر فهي من اسهل الامور ففتويض من الزعيم كاف لان يصير فردا كجورج حداد رجلا خطيرا في عالم السياسة حتى ينعت بالرجل «النافذ الكلمة» في الحزب. ومثل هذه التجارب يجب الا يتكرر. ومما لاشك فيه ان بعثة الى المهاجر هي سفارة خطيرة وخطيرة جدا. لا أريد هنا اثاره شك في احد ولكني اقول ان المؤهلين للاعمال يجب

ان يتطوعوا للقيام بها اينما وجدت لا ان يبدو رغبات في القيام بمهمات معينة فالطريق الى فوق تبندىء من تحت. والزعيم نفسه كان اول من تمشى على هذه القاعدة التي وضعها. والحزب كله يقوم على هذه الفلسفة، فلسفة الابتداء من الاساس. وها هي مسألة منفذية الشوف والعرقوب تكون قضية يجب حلها والدويك من العرقوب. فهل يقبل بتولي المنفذية هناك او في المتن. او هل هو مستعد ليظهر لنا فهمه قضية الحزب وكيفية معالجتها بالقيام باعمال اذاعية كتابية او خطابية، سياسية او قومية وان مجال العمل واسع جدا للذين يريدون ان يعملوا فليتقدموا. وأريد ان تكلف وكالة الاذاعة بمخابرة الدويك ومعرفة ما يستطيع ان يفعل. والاشخاص يمكن ان ينمو مع نمو الحركة لافوقها.

اني أميل الان الى ترجيح اصطحاب الامين ثابت للاسباب التي ذكرتها لي، ولان الجامعة يجب ان تصبح مركز قوة فكرية عظيمة للحزب ولذلك يحسن ان تظل فيها عناصر فكرية - روحية قوية. فيكون على الامين ثابت ان يستعد منذ الان ويتخذ جميع الاحتياطات للظروف المفاجئة، كما فعلت انا. وقد وافقت مبدئيا على فكرة اصطحاب معروف ايضا فليستعد هو ايضا وينتظر اشعارا اخر. وهنا اكرر وجوب الاتصال السريع بمنفذية دمشق في صدد الشخص المشار اليه.

ويترجح عندي الميل ان اجعل هدفي الاول الولايات المتحدة فالمكسيك نظرا للظروف ولان الحملة يجب ان تبدأ حيث الحشد أكبر. ولذلك اريد من لجنة المدرسة القومية ان تسرع اعمالها وتنجز بعض الامور الرئيسية وتفرغ منها وبعد كل ذلك لكي يكون زوادة عملية في هذه الرحلة.

ويمكنكم ان تفكروا في وضع اذاعة الى الاعضاء في الوطن عن رحلة الزعيم ومرماها وفوائدها كما يذكر التقرير.

شفيق = ان الملاحظات التي أبديتها فوق بشأن الدويك يجب ان توجه الى شفيق ايضا. وقد قلت لك في رسالة سابقة أنني اتوسم في هذا الشخص خيرا واود ان تقرّب اليك وتطلع على بعض الدقائق السياسية العامة وخطورة مركز الامة والوطن وتبحث معه في مختلف النواحي التي يحتاج فيها الحزب الى رجال عمليين. واذا امكنك ان تدعوه ليقضي بعض ايام الصيف معك فعلت حسنا.

مديرية برلين - سأكتب الى المدير واجيبه على رسالته الموجهة الي . أما اسيردون فيمكن الركون اليه واستخدامه في بعض المسائل فهو جدي ومهتم ومخلص ودقيق في النظام وقد يكون اكتسب في الخارج اختبارا يزيد في مؤهلاته للعمل ويمكن أن يظل من افراد الفرقة السرية .

جبران - ما زالت مسألة الجريدة نائمة فيمكنه ان يقبل وظيفة منفذ اما للمتن واما للشوف ، لان سياسة الحزب في تنظيم المناطق يجب ان تنفذ بجذافيرها اذ لايمكن الاعتماد على قوة الحزب الا اذا كانت المناطق منظمة وأعمالها متمركزة .

المجلس الاعلى - يجب البحث في جلسة رسمية في امر الاحتياط للطوارئ وانكار وجود المجلس في حالة شهادة او استنطاق او غيره وتبليغ مجلس الوكلاء وجميع المسؤولين والمطلعين انه في حالة البحث عن المجلس الاعلى يجب عليهم انكار وجوده وابداء جهلهم اي شيء من امره .

وثائق ومستندات - أحب الحصول على نسخة من مقررات مؤتمر قرنايل وبطاقة عصبة العمل القومي التي فيها « مبادئها » المنسوبة الى هذا المؤتمر . وميثاق الكتلة الذي اعلن في اربعين هنانو . وقانون « مكتب فخري البارودي للدعاية والنشر » وقانون « المكتب العربي القومي للدعاية والنشر » . ويجب الاحتياط لارسال ما قد اطلبه من الوثائق مع الشخص الذي سيأتي لمرافقتي .

نجيب - يحسن تقريب نجيب اكثر واطلاعه على حراجة مركز الامة والوطن وتكليفه القيام ببعض المهمات . فجميع المخلصين القادرين يجب ان يقوموا بواجبهم وبما يمكنهم في هذه الظروف لانقاذ الموقف .

كتاب الامين قبرصي - في كتاب الامين قبرصي الاخير رواية خصوصية عما سمع عن لسان المستنطق في صدد عزم الحكومة على « ابادة الحزب » . والامين قبرصي يقلل كثيرا من اهمية هذا الكلام فهو لا يريد ان يعتقد بخطورة الحالة وان كانت تنقصه جميع الاسباب لاتخاذ هذا الموقف .

معنوية الحزب - لذلك يجب الاهتمام كل الاهتمام بمعنويات الحزب وتنفيذ الخطة التي كان المجلس الاعلى قد قرر اتخاذها في الجلسة الاولى . والاستعداد للطوارئ . وفي هذا الصدد اذكر خطة مثلثة الاضلاع كنت قد ذكرتها للامين عبد المسيح قبيل

سفري فهذه يجب الاهتمام بها بجد من قبله وقبل رئيس الدائرة التنفيذية في المكتب المختص والشخص الاخر الذي حدثته عنه.

نشوء الامم - أرجو ان يكون فخري قد ارسل الى المهجر نسخا كافية خصوصا الى الولايات المتحدة والمكسيك والبرازيل، فضلا عن النسخ المطلوبة للشاطيء الذهبي. فان سبق الكتاب رحلتي يكون تمهيدا جميلا لها. وقد ارسلت اليه في البريد السابق تفويضا يخوله التصرف بالكتاب وقبض المال العائد من جميع المصادر.

مرافقتي - اذا جازت نهائيا بأن يرافقني الامين صعب ايضا وجب عليه ان ينال نصيبه من التدريب القومي وان يأخذ دروسا خصوصا من قواعد التدريب في كيفية التصرف في حضرة الزعيم وحين مرافقته. وهكذا الاخرون.

جواب طرابلس - مرسل مع هذه الرسالة جوايي على الرسالة الواردة اليّ بواسطة من طرابلس فليرسل بالطريقة التي جاء فيها بعد الاطلاع عليه، اذ فيه ملاحظات اذاعية يجب نسخها والاستفادة منها في الاذاعة، خصوصا ملاحظتي على مهمة الخطابة الشعبية والاذاعة الداخلية. ويجب ختم المغلف بعد قراءة الكتاب وللاستفادة مما ذكرت. مرسل ايضا كتابا الى الامين اياس.

سلامي للجميع ولتحية سورية
في 15 - 16 يوليو 1938.
توقيع الزعيم

الرسالة السادسة

عزيزي نصوح

وردتني البرقية بعد ظهر 20 الجاري وقد سبقت البريد بيوم. ولم يقلقني ورودها كثيرا، لاني لم أستشعر من عبارتها وقوع أي امر ولكني تيقنت ان المشادة تشتد وتأخذ دورا جديدا. فهنالك جماعة ذات مصلحة تريد ان ترى الزعيم مقضيا عليه على كل حال. ثم وردني البريد مساء اليوم الثاني فقرأت فيه تقرير رئيس المجلس الاعلى والتقارير والكتب الاخرى الواردة معه وتقرير منفذ البقاع ومنفذ دمشق ومفوض داخلية الشام وسأكتب هنا بصورة مختصرة ملاحظاتي في الهام في المواضيع واترك الاسهاب في بعض المسائل الى ان تكون قد ترتبت كيفية المراسلة بيننا.

اني ارسل هذا الكتاب بطريق فلسطين. وقد رأيت ارساله ضروريا، خصوصا بعد قراءة نبذة «البشير» التي فعلت حسنا بارسالها الي في الحال. فهذه النبذة تدل على

الاتجاه الجديد للمؤامرة على سلامتي. وأعتقد ان المصدر لاثارة مسألة فتح تحقيق جديد في قضية مطبعة الرابطة وتأديب الغرب، التي قام بأمرها أعضاء من الحزب تبين أنهم أقدموا على تلك الأمور بدافع غيرتهم على حزبهم، منهم جورج حداد- نجيب صايغ وشركاؤهما. واني أرى أن محاولات جديدة ستوجه في هذا الاتجاه، لأنه الاتجاه الوحيد الذي له قابلية اعداتي الى قبضة اعداء قضيتنا وذوي المصلحة في انهيار الحزب السوري القومي.

ان هذا الاتجاه، اذا وجد مجرى عمليا، كان من الاساليب الشائنة في الحرب السياسية القائمة بيننا وبين خصوم القضية القومية. واني اريد ان اوجه نظركم جميعا الى خطورة هذه المناورة الجديدة لالقاء القبض عليّ حتى ولو كنت قد أصبحت خارج الحدود فانه اتجاه يجرح مركزي كثيرا على ما اظن. ولذلك اقول انه يجب عليكم اتخاذ جميع التدابير الآيلة الى احباط هذه المناورة ومنع هذا الاحتيال القضائي الذي يحاول خصومنا التذرع به للتمكن من الزعيم. وهذا يعني انه يجب القيام باتصالات سياسية وقضائية توجد سدا في وجه هذا الاحتيال على العدل.

حالما قرأت خبر «البشير» شعرت ان مركزي قد تخرج منذ الآن وفكرت في الانتقال الى مكان قريب من هنا الى رودس ولكن نفاذ المال ابطل هذه الامكانية ولو كان معي مال كاف للانتقال لانتهزت فرصة عند الساعة التاسعة صباحا وهي فرصة لاتصح الا مرة في الاسبوع. والآن يجب علي ان انتظر اسبوعا كاملا ومع ذلك فلست ادري اذا كان المال الذي سأتسلمه بالبريد القادم يكفي للانتقال.

كنت قد ارسلت كتابا الى عزيز ثابت بواسطة مالك في مصر اطلب منه فيه امدادي ببعض المال. وقد وردني امس كتابان بالطيارة الواحد من مالك والاخر من مدير فرع مصر ويقول مالك ان عزيزا في شبه جزيرة سيناء يقوم بمهمة اوفدته لها شركته وغير معروف موعد رجوعه الى مصر.

وقد خابرت في البريد الجوي الاخير السيد باسيلا ليمدني ببعض المال بسرعة. وكنت انتظر ان يمدني نايف بشيء من بيع الكتاب ولكن حتى الان لم يردني شيء. كنت اتوقع، ولا ازال ان يردني شيء من الاشقر. وقد وردني مع رسالتك الاخيرة رسالة محتومة برسم البريد الجوي ففتحتها فاذا هي من اسد الاشقر وتشتمل على كتابين في تاريخ واحد. الاول تهنئة لي بخطاب اول مارس الذي يقول اشقر انه صير بعض الاعداء قوميين ملتهمين. وفيه ان خالدا يتألم من وجوده هناك وان احواله

التجارية غير حسنة اذ قد خسرت تجارته هذه السنة. وأسد يقول انه سيعوض عليه من بيع كتاب نشوء الامم.

يقول أسد انه حرام ان يبقى خالد في افريقية وانه يفكر باصطحابه معه الى الوطن، اذ ان اسدا قد ابتدأ يصفي اشغاله والظاهر انه اثر فيه كتابي الذي يقال ان التحري صادروا نسخة منه. وهذا الكتاب يفتح امامي امكانية عملية ذات وجهين: اما اصطحاب اسد وخالد معي في سفرتي اذا قدر لي القيام بها، واما ارسالها الى الوطن كبديل لبعض العاملين وسند قوي في العمل. ومهما يكن من الامر فان تعليقاتي السابقة بخصوص الشخصين اللذين طلبت ان يستعدا لمرافقتي تظل قائمة الآن بانتظار تعليقاتي النهائية.

اذا لم تأخذ المحاولة التي تشير اليها «البشير» أي وجه عملي فان برنامج الرحلة يمكن أن يسير بانتظام ولكن اذا حدث العكس فيصبح علي الالتجاء الى برنامج اخر وهو مأسأكتبه بالجفر. كنت من زمان طلبت من الامين قبرصي ان يعطيني قائمة لها علاقة بامكانيات المحاولة المنشورة في «البشير» ولكنه نام على طلبي كما نام على كل الامور التي لها علاقة بحياة الزعيم. وتنفيذ خطته. فهو لايعرف ان يصدع بالامر، وله تقديراته الخصوصية التي يسمح لنفسه ان يجعلها تتعارض مع تخطيط الزعيم فيعرض هذه الخطط للفشل ان هذه القائمة تكون ضرورية لي احتياطا ضد المؤامرة السافلة الوارد خبرها في «البشير».

في كتاب اسد هذه الفقرة «مدرسة قومية: كثيرون هم الاقارب والاصحاب القوميون الذين سيوكلون الي أمر اولادهم في الوطن، فهل بالامكان الاتفاق مع مدرسة من الطبقة الوسطى على استخدام معلمين ومعلمات من الحزب ونحن نقدم لها تلامذة عديدين لايقبلون في بادئ الامر عن الخمسين؟ او لعل بالامكان تأسيس مدرسة قومية؟» وفيه ايضا فكرة اخراج فلم قومي يضع له تصمما جميلا وسأجيبه عليه.

اذا حدث تطور جدّي في مسألة اعادة فتح القضية المشار اليها في «البشير» يجب ابلاغي برقيا لكي لا أؤخذ على حين غرة وفي هذه الحال يكون اتجاهي او نعمة يعرف.

تقرير المجلس الاعلى - تقسيمات المناطق - لايمكن ان يحدث خلاف حول هذه

المسألة الا باهمال دستور الحزب. ففي المرسوم الدستوري عدد 2 المادة الثانية نص صريح على هذه القضية ونظرية الامين ثابت هي الصواب في تفسير المسألة والصلاحية بصرف النظر عن الدستور.

اللجنة التنفيذية - تدبير حسن ولكنه سيتضارب من بعض الوجوه مع العمل في المناطق.

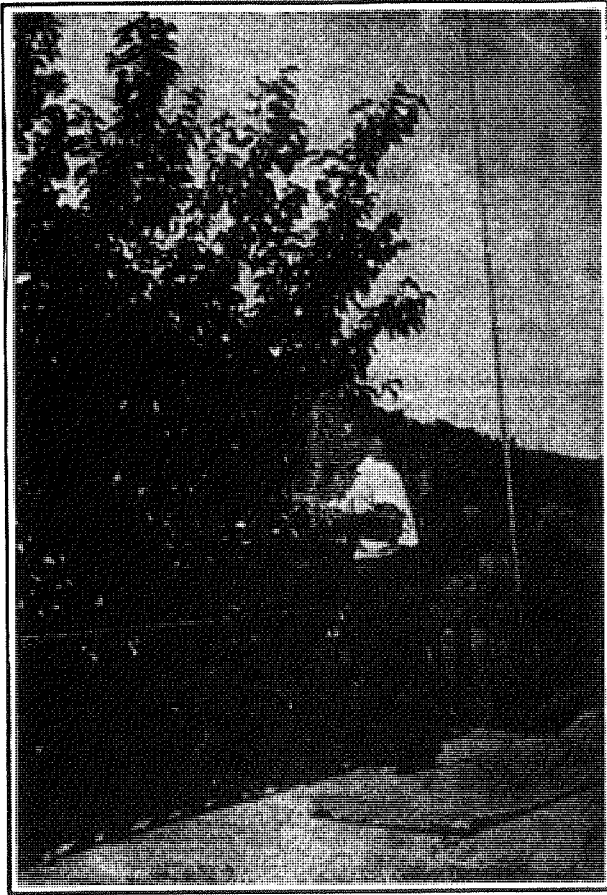
توجيهاتي - يجب زيادة الاستعداد للطوارئ. واذ كان الخصوم سيلجأون الى وسائل غير مقبولة ويستعملون اللؤم فيجب الاحتياط لاحباط جميع مؤامراتهم والوقوف موقفا عاما هذه المرة، لان الصراع هذه المرة اساسي وفاصل لانه يتناول مؤامرة تدبر للقضاء على الزعيم ومنع النهضة القومية من الاستفادة من ابتكاره وتخطيطه ويجب ان يوجه الاعضاء الى هذه النقطة وتقوية استعداداتهم لجميع الطوارئ والاحداث.

سأعود الى الكتابة حالما اطمئن الى الحالة وطرق المواصلة. وقبل ان اختم أقول ان اسد يشير في كتابه الاخير الى شوق الناس الى كتاب «نشوء الامم» فيجب ارسال العدد مها كلف الامر ومهما كان نوع الاستعانة. كذلك يجب ارسال عدد الى الولايات المتحدة والمكسيك والبرازيل والى صحف المهجر.

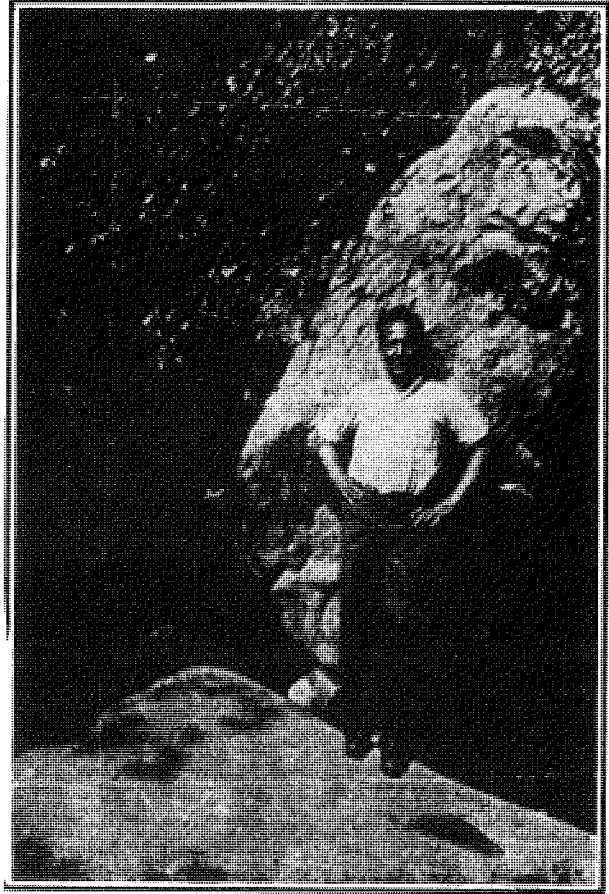
اخبرني اذا كانت رسالتي المؤرخة في 15 - 16 الجاري قد وصلت. سلامي لك وللعائلة. ولتحية سورية.

توقيع الزعيم

في 23 يوليو 1938.



في قبرص وقد كتب على ظهرها بخط يده ما يلي:
«هذه الصورة لا تسهر أعدائي الذين انتظروا أن يروني في قبضتهم. والمكان سطح أمام غرفتي
في الفندق النازل فيه كأنه رواق أو شرفة. والشجرة توت وفيها «شمامل» حلوة.



في قبرص أيضاً وقد كتب على ظهر الصورة بخطه ما يلي:
هنا أظهر أنا واقفاً على صخرة منبسطة ملساء أمام حامي ومستندا إلى صخرة كبيرة. والشلال
الذي اتخذته حاماً لي على قيد خطوتين.
الصورة غير واضحة. والراجح ان الآلة تحركت كثيراً عند أخذها.

28/6/1938

امضى الزعيم في قبرص مايقرب الشهر. قضاه في الاستجمام. غادر قبرص الى روما في 28 تموز 1938. كتب الى المركز رسالتين، احدها يطلب بعض المال لتغطية نفقات السفر ويحمل الامين قبرصي مسؤولية تسليمه من قبل السلطات البريطانية الى السلطة اللبنانية عبر السلطة الفرنسية اذ انه كان يؤكد له « ان لاطلب من هذا النوع موجود ». والآخرى يمنح المجلس الاعلى الاستشاري صلاحيات الزعيم الدستوري من تشريعية وتنفيذية. كما انه تبادل عدة مراسلات مع شاطيء الذهب وبرلين واميركا والمكسيك كما هو واضح في نصّ المراسلات.

ذهبت الى حيفا احمل معي النقود المطلوبة للزعيم لارسالها اليه في منتجعهم في قبرص. كان بالامكان ارسالها من بيروت لولا ان هذا الارسال يفصح محل اقامته لدى السلطات التي كانت تفتش عنه بكل ما اوتيت من مهارة وقوة جواسيس ومخبرين وعيون. لذلك كان ارسالها من حيفا اضمن لهذه الناحية وفي الوقت نفسه اقوم بزيارة لفرع الحزب فيها.

وافاني كميل الجدع الى الاوتيل حين علم بقدومي وذهبنا معا الى داره حيث التقيت بهيئة التنفيذية: يونس نفاع، محمد الشلبي، فهم عبد الله، و.... تداولنا بامر ارسال المال، فطريقة الاتصال به مجوزتهم. تمّ الرأي بأن نرسل له برقية بوجود المبلغ المطلوب معي فأن كان ما يزال بحاجة اليه بعثناه والا فيبقى في الخزانة العامة. اتفقنا على هذا الرأي لان الزعيم كان قد اخبرهم انه ينتظر بعض المال من منفذية شاطيء الذهب.

بقيت في حيفا ثلاثة ايام، بين انتظار الجواب البرقي والجواب على الجواب الذي كان ينصّ باختصار انه ليس بحاجة الى المبلغ. فبدلا من ان ارسل له مالا بقي ماحلته معي يضاف اليه المبلغ الذي تنازل عنه الزعيم من ثمن الكتب. في اللحظة التي ازعمت فيها على مغادرة حيفا في جولة الى يافا وسواها من فروع الحزب في الجنوب السوري يردني خبر ان احدي الجرائد في بيروت ذكرت بين انبائها عن وجود الزعيم في قبرص فرأيت بالاتفاق مع هيئة التنفيذية ان ارسل له برقية احذره من بقاءه في قبرص لسبب انكشاف مكوثه فيها. وردنا التطمين في اليوم التالي انه اخذ علما وانه سينتقل فورا الى روما.

حادثة اللطرون

وفي اثناء جولتي وبينما انا ذاهب من رام الله الى يافا توقف الركاب قليلا في محطة « اللطرون » للانتقال الى سيارة اخرى تقلهم الى يافا. ربت على كتفي احدهم وسألني عن اسمي. وهو شاب اسمر اللون غصّ الاهداب، يلبس قفطانا مكشوف الرأس. تفرست فيه وقلت بلطف « لماذا تسألني عن اسمي وماذا تريد ؟ ». فاجابني بلطف ايضا وقال « أترى هذا الشخص الكهل؟ هو الذي كلّفني ان اسألك » قلت له: « اسمي جبران جريج، انتمي الى الحزب السوري القومي الاجتماعي وانا هنا في مهمة حزبية قصد مدينة يافا، الى بيت « البيبي ». علّق على هذا الجواب « كدت اطخّك »^(١).

يبدو ان اسم الحزب السوري القومي الاجتماعي والمهمة الحزبية واسم « البيبي » جعلوه يقتنع ولم يعد ينسب بينت شفه. حضرت السيارة وانتقلنا اليها نحن الاثنان فقط واتخذنا مقعدينا الواحد خلف الآخر. جاء قاطع التذاكر وسحبت محفظتي لاتناول منها نقودا لادفع ما يتوجب علي واذا يقول لي، وانا مندهش مما اسمع، « واصل » فتلفت لارى من الذي دفع عني فالتقي نظري بنظر الشاب الاسمر و اشار لي بسبابته ان لا اتفوه بشيء فامتثلت ل اشارته. وصلنا الى يافا ونزلت من السيارة واذا بالشاب الاسمر يتناول مني الحقيبة ويقول لي « الى اين انت متجه ؟ » فاجبت « اني اريد حلاقا قبل ان اتوجه الى دار « البيبي » فدلّني ورافقني وهو يحمل حقيبتي وتركني عند باب

(١) « اطخّك اي اقتلك ».



كميل جدع

«الحلاق»، وسلّمني الحقيية متمنياً لي التوفيق. سألته عن اسمه لتزداد معرفتي به فكان جوابه «لا لزوم».

دخلت المكان واذا بصاحبه يرحوني ان افتح الحقيية ليطمئن على انها لا تحوي ما ليس مرغوباً بوجوده. خلاصة القول، حلقت «وتزينت» وخرجت الى دار «البيي» فوصلت سالماً.

بعد ان ارتحت قليلاً سألت رفيقي «البيي» عن مغزى او معنى ما جرى لي فشرح لي ان ثمة اتفاقاً بين الثوار واصحاب السيارات الكبيرة والصغيرة، يقضي بان تقلّ اي ثائر من مكان الى مكان، مجاناً وذلك مساهمة في العمل الثوري.

لله درّك! ايها الشاب الاسمر! صنفنتي من الثوار وقمت بكل هذه الخدمة فهل عنى لك اسم الحزب شيئاً؟ وهل انتقلت بهذه السرعة الى صف الثوار بعد ان كدت تطخني؟.

كان مجلس العمدة سنة 1938 قد قرر تكليف الامين عبد المسيح القيام بجولة استطلاعية في سورية الجنوبية وفي اثناء قيامه بهذه المهمة، وقد اتخذ لنفسه اسم «ابو جاسر» تعرّض لحادث كاد يودي به لولا تدخل القائد المناضل «القسام».

خطة «مكتب التحريات» الثأمرية

ونقلا عن جريدة «سورية الجديدة» في سان بولو في العدد الاول الصادر في 11 اذار 1939 اقدم ما تم الاصطلاح على تسميته بالمؤامرة. «لقد اتضح لاساط الحزب السوري القومي ان المؤامرة التي حاكتها دوائر «الامن العام» بالاشتراك مع بعض دوائر القضاء وبعض المراجع العليا انتهت الى وضع خطة عامة للقضاء على الحزب قضاء نهائيا. وقسمت الخطة العامة الى خطوط رئيسية هذه هي: اولاً - تبين من الاختبارات الماضية ان اضطهاد السوريين القوميين من اجل عقيدتهم لم يضعف شيئا من معنويات الحزب السوري القومي ولا من قيمته تجاه الشعب. ثانياً - تبين ان كل محاكمة سياسية للزعيم تنتهي بانتصار جديد وفتح جديد في الرأي العام وملاشاة كل نتيجة من نتائج عرقلة حركة الحزب ونموه. ثالثاً - تبين ان شخصية الزعيم هي الكتلة المغناطيسية التي تتجمع فيها معنويات الحزب وعوامل قوة الحركة القومية. رابعاً - تبين بعد الدرس ان قتل الزعيم وهو في قبضة القضاء، كما صرح المدعي العام السابق ان في نية الحكومة تنفيذه. يقوي الحركة ولايضعفها ويؤدي الى عواقب وخيمة ويستعجل الحوادث التي تخشى الحكومة وقوعها». هذا من حيث النتائج السلبية اما فصول الخطة الايجابية فهي: «بناء على الاسباب المتقدمة تكون الخطة كما يلي: اولاً - يجب ان يضرب الحزب في شخص زعيمه اولاً. ثانياً - بما انه لايمكن مهاجمة الزعيم سياسياً، لانه لا يوجد فيه نقطة ضعف ولا منكشف قابل للطعن، يجب مهاجمته بصورة عدلية، على الاقل في الظاهر. ثالثاً - وبما انه يجب تجنب كل ملاحقة سياسية للحزب تثير قضيته بشكل خطير يكون الشكل الايجابي هكذا: (١) يطلب من المرشح «اليهودي» للانتخابات الماضية الاستاذ جبرائيل منسى الناقم على الحزب السوري

القومي لان الحزب هاجمه في جريدته، وبين نفعية برنامجه الانتخابي ان يقيم دعوى مزورة على الزعيم وعمّده وتصادر الوثائق الموجودة في المركز، التي تصبح وسيلة لفتح تحقيق جديد في قضية الحزب السوري القومي ومراميه. ولكن هذا التحقيق يكون كحجة قضائية فقط لاطالة التوقيف فلا ينشر عنه شيء في الصحف. (د) قبل المباشرة بتنفيذ هذه الخطة تعطّل جريدة الحزب الى اجل غير مسمى فلا يبقى للحزب من وسيلة لرد الافتراءات والاشاعات غير النشرات التي يمكن مصادرتها بحجة انها غير قانونية. (هـ) تتبلغ جميع الصحف وخصوصا الحكومية والاكاديمية منها، الاخبار والتقارير الكاذبة التي يجب ان تنشرها كما نشرت اخباراً كاذبة عن تسلط ارادات اجنبية على الحركة القومية المستقلة. (و) تمتنع جميع الصحف عن نشر اي خبر او مقال يأتي من مصدر حزبي او موال للحزب وكل ما هو في مصلحة الحزب. (ز) يبقى الزعيم وعمّده لاقبل من ستة اشهر قيد التحقيق في تعذيب ومعاملة قاسية لاتقاس بها المعاملات القاسية الماضية. وفي هذه الاثناء ترتب المراجع الحكومية والقضائية اسبابا مزورة كافية لاصدار احكام لمئات طويلة. وقد علق مرجع قومي عال على هذه الخطة فقال ان المتأمرين قد اجهدوا قرائحهم كثيرا لاجراخ هذه الخطة، التي لاتحفي حقارتها وسخافتها الا على الذين يجهلون اسرار قوة الزعيم ومنانة المنظمة القومية التي لايمكن مهاجمتها بمثل هذه الخطط الصيبانية.

فشل الخطة

كذلك عن «سورية الجديدة» العدد نفسه، انقل الاقي: «عادت الحكومة اللبنانية التي لافرق بين ان تكون من فئة اميل اده، رئيس الجمهورية اللبنانية او ان تكون من فئة بشارة الخوري «رئيس الكتلة الدستورية» فالفئتان مرجعها دار الانتداب، الى ملاحقة الحزب السوري القومي ملاحقة شديدة». (في هذه الاثناء حدث اعتداء ثالث على عارف الغريب صاحب جريدة «المساء» البذيء. (قام بالعملية الرفيق محمد اللحام). «وفي الحقيقة ان هذه الملاحقة الرابعة التي اظهرت فشل الحكومة اللبنانية وتفوق مؤسسات الحزب عليها، كانت بناء على ما بلغ دائرة الاستخبارات الفرنسية من قيام الحزب بتوسيع دائرة التدريب التطوعي وتوزيع بعض الخبراء العسكريين على بعض المناطق الاستراتيجية واعداد الزعيم برنامج رحلته الى المهاجر. فأوعز الى «مكتب التحريات» بملاحقة الحزب والقبض على زعيمه واركانه. ويظهر ان دوائر

استخبارات الحزب (م. ا. م.) كانت اقوى واسرع من دوائر استخبارات جيش الشرق و «مكتب التحريات» اذ ان دوائر الحزب العليا اخذت علما بالتدابير جميعها ، فأمرت باحداث تنقلات بعض الموظفين والمدربين بحيث يتعذر على اعداء الحزب تطبيق معلوماتهم وتعليماتهم وباشر الزعيم رحلته في الوقت الذي كان معيناً ولم يطلع عليه غير اعضاء المجلس الاعلى» .



الصحفي البديء عارف الغريب .



الرفيق محمد اللحام

بعد تبليغ مذكرة الاحضار التي ورد ذكرها سابقا والتي كان يقصد بها القاء القبض على الزعيم، بعد ان خاب امله بذلك ادى الامر الى اضطراب الدوائر الحكومية والمفوضية وارسال التقرير الشديد الى المسؤولين. ظلت دوائر الامن العام تراقب الحزب، بقصد الاهتداء الى مقر الزعيم والقبض عليه وتعطيل برنامجه العسكري وخطة رحلته، حتى ادركت بعد مضي مايزيد على شهر كامل ان الزعيم يصرف وقت راحة في مصايف جزيرة قبرص قبل البدء برحلته الى اوربا فاميركا. فكان هذا الخبر اشبه بصاعقة انقضت على اعداء القضية القومية، ادى الى سلسلة اعمال جنونية قام بها «مكتب التحريات» وبعض دوائر دار العدل في لبنان والى حملة اشاعات قوية في الصحف وفي اولها جريدة «البشير» اليسوعية الاجنبية. وحاولت هذه الصحف جهدها

تصوير انتصار الحزب الرائع بصورة انكسار، ورحلة الزعيم، التي كانت مقررة في برنامج سنة 1938 بصورة «هرب» وكانت الحكومة قد هيأت لهذه الحملة الجديدة من الاشاعات بتعطيل جريدة «الحزب» كما مر بنا سابقا. ولكن كل هذه التدابير كانت عقيمة. فان تنقل الزعيم بحرية، كذّب جميع الاشاعات عن «هربه»، وكل ما حاولت هذه الاشاعات ان تلصقه به من دعاوى وتهم، وهكذا تبين ان الهدنة التي تمكن الزعيم بمرونته من الحصول عليها وتحديد مدتها كانت انتصارا سياسياً عظيماً له لم تتمكن من كشفها جميع الاعمال الجنونية التي اتتها دوائر القضاء والأمن العام في لبنان.

ردود الفعل للفشل

بعد حبوط خطة اعداء الحزب لتعطيل اعماله ومشاريعه والقبض على قوته المبتكرة انفجر حقد دوائر الامن الحكومية بشكل حملات «تفتيش» تعيد الى الذاكرة عمال ديوان التفتيش التاريخي المشهور، خصوصا «مكتب التحريات» الذي يرئسه رجل يحمل وظيفة المدعي العام المركزي في «الجمهورية اللبنانية» وهو القاضي فرنان ارسانيوس. وبمجرد قبول المدعي العام المركزي ترؤس هذا المكتب الذي يحتاج الى رجل يمتاز بالاعمال الجاسوسية لا بالقضاء والعدل يدل دلالة واضحة على قيمة القضاء والعدل في هذا العهد. فقد قام رئيس «مكتب التحريات» بعدة حملات ظهر فيها ما يحمله الرجعيون من شراسة الحقد على الحزب، خصوصا في مداهمة بيت جرجس الحداد الذي له ثلاثة اولاد، جميعهم اعضاء في الحزب.

كان ذلك في اواخر شهر حزيران فعاثوا في البيت غير مراعين حرمة وعزقوا ارض الحديقة وقلعوا بلاط الدار متوهمين انهم يمثل هذا «التفتيش» يتمكنون من الحصول على وثائق حزبية وادلة على اعمال الحزب. ولما لم يعثروا على شيء استاقوا الرفيقين فؤاد ويوسف وامهما الى السجن بداعي انهم وجهوا الى المهاجمين مثل هذه العبارات «لا يجوز لكم ان تدخلوا البيت وتفتشوا بدون حضور المختار. يخرب بيوتكم! خربتو بيتنا!». وهذه ليست اول مرة تتعرض فيها هذه العائلة للاضطهاد بسبب عقيدتها القومية. وكان المدعي العام او رئيس مكتب التحريات يقول للموقوفين وهو يجرهم الى السجن: «ان كان مش عاجبكم لبنان انقبروا روحوا عيشوا بسوريا». كأن لبنان ملك من املاكه الخاصة وكأن اهل لبنان عبيد عند طبقة نفعية موالية لكل حكم اجنبي.

الحقيقة ان الغيرة على لبنان ليست عند هؤلاء الذين يرون الحياة في وظيفة او معاش سوى ستار يسترون به فظاعة الشراسة، التي يسعون بها وراء منافعهم ومعظمها يقوم على خدمة السياسة الاجنبية. ومهما يكن من امر فقد جرت محاكمة بيت الحداد على « جريمتهم » بصورة يمكن ان تعد مثالا لقبائل افريقيا المتوحشة. فان رئيس المحكمة وجه الى المتهمين مثل هذه العبارة: « مبين دعسوا رقبتم وجروكم مثل الفيران عالجبس »! كل ذلك ليبين حضرة رئيس المحكمة انه لايجوز في لبنان الاعتراض على مهاجمة البيوت الوداعة والعبث فيها من قبل جواسيس الفئة الحاكمة، التي جرت لبنان الى حالة من الفقر والانحطاط تضاهي الحالة التي رآها سورية اثناء الحرب الماضية. فليس للبنانيين حقوق مدنية يجب احترامها وليس لهم حرية اعتقاد بل هم جماعة يجب ان تدعن لما يفرض عليها فرضا. اما المحكمة الموقرة فقد حكمت على الرفيق فؤاد حداد بالسجن ستة اشهر! وعلى الرفيق يوسف، شقيقه، بالحبس شهرين وغرمت الوالدة بمبلغ خمس وعشرين ليرة سورية لان اهل هذا البيت البسطاء قالوا لرجال التحري ان تحري المنازل يجب ان يكون باشراف مختار المحلة، كما ينص القانون! كانت هذه الحملة الحكومية على منزل عائلة قومية تشفيا دنيئا لم تلبث حقاوته ان ظهرت للرأي العام، الذي وجد فيه قباحة ضد كرامة الشعب بأسره.

جاء حادث تاديب عارف الغريب للمرة الثالثة ذريعة « لمكتب التحريات » ليتابع البحث عن « الوثائق » والمعلومات المفيدة بالنشاط المفروض فيه اظهاره لقاء معاشات موظفيه. أما سبب ضرب عارف الغريب للمرة الثالثة فهو عودة هذا الصحافي الجاهل الى التهجم على الحزب واختلاق الاشاعات، مما اثار الرفيق محمد سعيد اللحام فقرر الانتقام الحزب بتأديبه واطلع بعض رفاقه على عزمه وفي ذات يوم التقاه وكانت النتيجة انه ضربه ضربا مبرحا فقبض عليه وافر بفعله وادلى بالسبب الذي حمله على تاديب عارف الغريب وصرح بأنه اتى ما اتاه بدافع غيرته على حزبه وعقيدته.

ولكن الحكومة اللبنانية رأت الا تفوت هذه الفرصة فهاجم التحري بيوت بعض القوميين الامنين ووقفوا الرفيق ويكتور اسعد وعبد الرحمن عكاوي وداهموا منزل الرفيق الياس سمعان فلم يجدوه فقصدوا الى مكان عمله فوقفوه وسلموه للمستنطق الذي اصدر بحقه مذكرة توقيف غير موقت وادوع السجن ايضا ولما لم يتوقفوا ولم يعثروا على وثائق حزبية قرروا توسيع نطاق التحري والتوقيف فوقفوا عددا آخر من

القوميين بينهم الامين مأمون اياس. هذا في بيروت اما في طرابلس فقد جرت ايضا بعض التوقيفات، منها توقيف الرفيق احمد جحجاح وهو من الذين ساعدوا الرفيق محمد اللحام على الاختفاء من وجه القانون في قرية بيترومين الكورة. وعلى الاثر أوعز مكتب التحريات الى الصحف التي لها علاقة به بنشر مايرر هذه التوقيفات فقامت هذه الصحف تتكلم عن الاسرار الغريبة والوثائق الخطيرة التي تمكن مكتب التحريات من العثور عليها.



الرفيق مأمون اياس



الياس سمحان



الرفيق ويكتور أسعد

موقف الحزب

ليس لدينا نسخة عن البيان الحزبي الذي نشر بمناسبة التصرفات التعسفية التي مارستها السلطة ولكن يمكننا ان نسجل ملخصا لما ورد فيه مع العلم ان لهجته كانت شديدة قاسية. مثلا: « تبين بما لايقبل الشك ان الخطة التي وضعت للقضاء على الحزب السوري القومي كانت حقيرة وسخيفة. حقيرة، لأنها اظهرت صغارة القائمين بها وجبنهم عن مجابهة الحزب في الميدان السياسي وسخيفة، لانها دلت على سوء فهم الاختبارات السابقة وعدم تقدير قوة الحزب الحقيقية. ظن واضعو الخطة انها قاضية فسيقع الزعيم في شراكمهم من غير ان يعلم الناس شيئا عن اسرار المؤامرة والاسباب الحقيقية التي تدعو الى اعتقاله. وسيعتقد الشعب، بناء على الاكاذيب التي تنشرها الصحف ان سجن الزعيم كان لاسباب جزائية عدلية مبنية على دعاوى افراد ولذلك فالاجرام اجرام عادي».

تعميم الحكومة

وفي تاريخ 26 تموز اصدر المدعي العام المركزي رئيس مكتب التحريات تعميماً. نقتطف منه اهم فقراته بعد مقدمة تحوي حيثيات نشره مستندة على خطة المكتب السابقة القديمة وبعد التذكير بالخطة السابقة التي نشرت في حلقة سابقة يقول التعميم: « على ان الاحتياط والقمع لا يكونان فعالين الا بقدر ما يتناولان المديرين والمحرضين الخ... لذلك يجب أن يعلن في المعلومات عن الاشخاص الذين يرأسون حركة الشغب او الجمعيات غير المباحة وان يذكر عند الاقتضاء فروع هذه الجمعيات وعلاقتها وطرق عملها وما لديها من وسائل الدعوة وان يصرف الجهد الى الاستعلام مقدماً عن مشاريعها والى عرقلة اعمالها بمهارة وبراعة. وان التدابير التي من شأنها فشل اعمالها مثلاً: اذا اريد الايقاع باي سوري قومي يجب ان يتضمن المحضر أنه ينتمي الى الحزب السوري القومي، والحزب يعمل دون رخصة قانونية وانه قام بعمله بتحريض من العميد فلان او المنفذ العام فليتان نظراً للطاعة المشهورة في هذا الحزب الخ.

ان هذا التعميم لا يغير شيئاً من الأوامر المختصة بعلاقات دوائر الحكومة من جهة وادارة الامن العام من جهة اخرى. (قرار عدد 269 صادر عن المفوض السامي بتاريخ 20 تشرين الثاني 1935. أي بعد انكشاف امر الحزب بأربعة أيام).

وفد الحزب في الغرفة السياسية

تشكل وفد حزبي من الامينين ثابت وقبرصي لمقابلة مراجع المفوضية في صدد الموقف المستحدث. فزار هذا الوفد رئيس الغرفة السياسية وطلب رأيه في التعميم المشار اليه فقال انه لا يجد خطراً بارزاً على الحزب. فأشار الامين ثابت الى انه مع كل ما في التعميم المذكور من دلائل القياس العام فتطبيقه عملياً مقصود به الحزب السوري القومي فقط او في الدرجة الاولى على الاقل وذلك لسببين: الاول انه لا يوجد في لبنان جمعيات تقوم بحركات واسعة غير الحزب السوري القومي والثاني ان هذا الحزب هو الحزب الوحيد الذي نشأ بدون الاخذ برغبة السلطة او خلافاً لرغبتها، على العكس من جميع الاحزاب التقليدية التي انشأتها السلطة في لبنان وتعهدها وكانت الحكومة كل شيء فيها.

فأجاب رئيس الغرفة السياسية انه لا ينكر الصعوبات التي تقيمها الحكومة للحزب

ولكنه يعتقد ان مشاكل الحزب مع الحكومة اللبنانية ناشئة عن توتر العلاقات بين لبنان والشام بسبب الخلاف على المصالح المشتركة.

فرد الوفد على هذا الكلام بصراحة وقال انه يتعجب ان تكون المشادة بين الحكومة اللبنانية والشامية سببا للتفكير في اضطهاد الحزب وملاحقته لان الحزب لاشأن له في الخلاف الناشيء على المصالح المشتركة غير شأن التوفيق بينهما. وأشار الى ان الدستور اللبناني لا يمكنه ان يفرض على اللبنانيين عقائد ومبادئ قومية « ستندرد » وان كل ما يطلبه الدستور هو مراعاة النظام المعمول به من غير مساس بعقائد اللبنانيين. ولما كان السوريون القوميون يمارسون عقائدهم ضمن النطاق الدستوري والنظام الاساسي المرعي وهي ممارسة تخولها اياهم حقوقهم المدنية فان كل ملاحقة جديدة لا يكون لها نتيجة غير اخراج السوريين القوميين عن هذه الحدود بعد جميل الصبر الذي اظهره.

وعلى اثر هذا الكلام اعتبر الوفد ان المقابلة قد انتهت. خرج الوفد الحزبي من الزيارة بعد ان أدى رسالته على افضل وجه ودلت قرائن الاحوال على ان الحكومة ستتنجّب القيام بحركة عامة تجاه الحزب ولكنها ستحاول عرقلة بعض اعماله والحصول على معلومات عن خطته.

في اوروبا - المراسلات

في روما

ليست لدينا معلومات تفصيلية عما قام به في ايطاليا والمانيا اللتين زارهما في رحلته ولكن الذي لدينا يلقي ضوءا على نشاطه من الوجهة المبدئية. ليس للحزب فرع في ايطاليا انما له فرع في المانيا، برلين. ونبدأ الآن في روما، ورد في احدى مقالاته في سورية الجديدة ان مجلة «Omnibus» في روما كتبت عن وجوده وافكاره. وانه كتب الى المكسيك وذلك وارد في رسالة الامين عساف ابو مراد اذ يقول: «عندما ترك الزعيم الوطن كتب لنا طالبا دراهم والسعي على اذن لدخول المكسيك فأرسلنا الدراهم وسعينا بالحصول الى ماذونية ثم اخبرنا بأنه ذاهب الى البرازيل وان نبقي على مساعينا في الحصول على الماذونية.



عساف أبو مراد

فيما يختص بالمكتب المختص: ارسلت عدة تعيينات وترتيبات وكتب الى وليم واليكم ولم احظ باشارة واحدة الى وصولها او وصول بعضها وما تم بشأنها. فقد عيّنت الرفيق الذي حفظت اوراق هذا المكتب عنده اخيرا وياشر درسها والاهتمام بتصنيفها والعمل في هذه الدائرة باهتمام رئيسا لهذا المكتب. وهذا التعيين كان لعدة اعتبارات أهمها اهتمامه الجدي بهذه الناحية ولعه القديم العهد بها وأهمها من الوجهة الاحتياطية اخلاصه وامانته. وعيّنت الشخص الآخر الذي كلفته معاونته عضوا في ما سميته «العدد المجهول» أو «الكمية المجهولة» لهذا الكتاب وهذه التسمية هي من اجتهادات من عينته رئيسا. وعينتكم مستشارا وعضوا في هذا العدد المجهول وعينت عضوا فيه الرفيق وديع الياس ووليم سابا. وكنت قد فكرت في تعيين وليم رئيسا ولكني احتاجه لعمل اخر هو ادارة السلك ولانه قد يترك الوطن قريبا لمهمته الدراسية. وقد عينته رئيسا للدائرة التنفيذية في هذا المكتب ليعين المخبرين ورجال الاستخبارات السياسية من غير ان يعرفوا العدد المجهول ولانه هو على صلة بهم ويتابع بعض الاعمال من زمان وتعاونه في هذه الدائرة يساعد الهيئة الجديدة على الوقوف على المشاكل الواقعة تحت الدرس والاشخاص العاملين وعينت معاوننا له الرفيق فريد صباغ لاختباري مواهبه من هذه الجهة ولثقتي التامة به قد يكون رجال العدد قد تفرقوا في المصايف ولكن تفرقهم يجب الا يلغى وظائفهم او يشل عملهم. فهم يمكنهم ان يجتمعوا مرة أو اكثر في الشهر بشكل زيارة عند احدهم فيقيمون معا يومين او ثلاثة يدرسون خلالها الامور ويضعون برنامج العمل ويوزعون بعض المهام ويضربون موعدا آخر ثم ينصرفون. اما تحليلهم عن وظائفهم في هذا الزمن العصيب والجانسوية تلعب دورها الكبير ومشاكل الحزب السياسية تقتضي اطلاعا واسعا فيجعلني ضعيف الاعتقاد بأهليتهم للعمل القومي وشعورهم بالمسؤولية تجاه الزعيم والقضية.

وفيما ارسلت من تعليقات اشارة الى وجوب احاطة محمد الباشا بشبكة يمكن ان تبتدىء بالرفيق فريد عطايا الذي انتقل من حيفا الى عبيه للصف فهو كان مكلفا ببعض الامور وكان على صلة بالباشا حين كان هذا احد اعضاء المكتب المختص. والواجب يقضي بتنبية عطايا الى ما اكتشف من خيانة الباشا.

وطلبت من وليم في كتاب ارسلته اليه ضمن الرسالة التي ارسلتها مسجلة من بترس باسم الانسة اميرة في المشرع ان يعطيني معلومات عن التدابير التي اتخذها لضبط

تصرفات الاعضاء الذين لاحظ ان لهم صلات مشبوهة بالباشا وهذه القضية هامة ويجب اعطاؤها العناية اللازمة .

احب ان اعرف شيئا يقينا عن احوال المكتب واعماله . ولتحيي سورية .

توقيع الزعيم

في 22 اغسطس 1938

بعد : توضع رسائلي في غلاف باسمي يوضع ضمن غلاف باسم السنيور دتشكو وهو يقوم بتسليم الرسائل الي .
يمكن أخذ شيء من المال لنفقة المكتب المختص .

خاص برئيس المجلس

حضرة رئيس المجلس الاعلى الموقر

كتبت اليكم الاسبوع الماضي مطولا وأعطيت رأيي وتوجيهاتي في الشؤون السياسية الحاضرة بناء على مطالعة تقريركم الاخير وعلى ما وصل الي من اخبار الوطن .

في المراسلة: فاتني ان اذكر في الكتاب الماضي مواعيد المراسلة . فهي كما في السابق فالباخرة التي تحمل رسائلي اليكم من هنا تغادر كل اربعاء وتصل بيروت يوم الثلاثاء التالي وتعود صباح الاربعاء . فيجب عليكم ختم المراسلة الى مساء الاثنين وتقديمها بواسطة يوسف او بالطريقة التي يتفق عليها عندكم في اليوم عينه او صباح الثلاثاء . ويمكنكم الاستيضاح في بيروت عن آخر موعد لقبول المراسلة الدبلوماسية . وأوصيكم باتخاذ جميع الاحتياطات لكتمان هذه الطريقة بصورة شديدة . وتوضع رسائلي ضمن غلاف باسمي يوضع ضمن غلاف باسم السيد دتشكو .

في البعثة الدراسية: ذكرت في كتابي السابق اني سأدرس مسألة ارسال بعثة من اعضاء الحزب للدراسة . وأقول الآن اني وجدت استعدادا لقبول بعثة كالتي كنت أرغب في ارسالها من قبل . ولايطلب من اعضاء البعثة ان يقوموا بنفقة غير شؤونهم الخصوصية . اما الدراسة والاقامة فتسوى هنا . لذلك أرى ان يفتح تحقيق في صدد طلبات الدراسة في الخارج التي وردت المركز قبيل سفري . وقائمة بأصحاب هذه الطلبات وصورة طلباتهم موجودة ، كما أرجح ، مع أوراق « المكتب المختص » فيمكن أن تطلب من الرئيس . ويمدد التحقيق الى قسم كبير من الاعضاء ، خصوصا بين الطلبة

وبين الخائزين على البكالوريا او ما يعادلها. وأعلم ان بين الاعضاء عددا رغب في دخول المدرسة الحربية في حصص فاذا كانوا لم يقبلوا فيجب الاتصال بهم وبين هؤلاء عمر ناجي في دمشق. والبعثة التي يجب ان تجهز يجب ان تكون من الاعضاء:

- 1 - الذين عرفوا بثبات العقيدة والصمود للصعوبات.
- 2 - المعروفين بايمانهم واخلاصهم التام للزعيم وللبادئ الحزب ونظامه.
- 3 - الفاهمين معنى الحرية والواجب والنظام والقوة.
- 4 - الذين يؤهلهم ذكاؤهم ورسالتهم واهتمامهم للتقدم في تعلم الفنون الاختصاصية.

5 - المستعدين لتحمل مشاق العمل وتكريس حياتهم للجهاد. ومتى تم جمع هؤلاء وتصنيف وجهات دروسهم واصبحوا على اهبة السفر ينظّمون فرقة نظامية لها رئيس ومعاون وناموس. وتكون واجبات الرئيس السهر على تصرف افراد الفرقة في محل الدراسة وضبط هذا التصرف وفاقا لمثل الحزب العليا وللنتائج الدراسية التي يجب الوصول اليها واعطاء تقرير شهري بهذه الامور. ويجب ان يجهز كل عضو من هذه البعثة نفسه ببديلين من لباس الحزب الرسمي وتجهز الفرقة بعلم على الطراز الحديث. وتجتمع الفرقة بنظامها وألبستها وعلمها قبل السفر وتلقى عليها خطبة عن اهمية البعثة وما ينتظر من افرادها وواجبات المحافظة على حسن سمعة السوري القومي وشرف العلم واللباس. ومتى تم اختيار اعضاء البعثة ترسل الي قائمة باسمائهم مع تلخيص لحالتهم وحياتهم الحزبية.

فرع المانية: لقد حاولت الاتصال بفرع المانية على العنوان المعطى لي فكتبت من قبرص ثم كتبت من هنا بالبريد الجوي ولكن لم يردني اي خبر. وقد يكون المدير قد انتقل الى الوطن او الى مكان اخر دون ان يترك في العنوان الاول توجيهها او ان يخابر المركز في هذا الصدد. واخشى ان يكون انتقل الى الوطن وطلب توجيه رسائلي اليه فتكون رسائلي اليه قد حولت الى الوطن ويرجع اذ ذلك ان تكون وقعت في أيدي اعداء الحزب والقضية القومية. أطلب ايضا عن هذه المسألة.

جبرائيل مالك: كذلك خابرت جبرائيل مالك الى مصر ليحول الي ما يردني على عنوانه وحتى الان لم يردني جواب.

سفري: كتبت بالبريد الجوي الى الامين خالد اديب والى المنفذ الاشقر فيما يختص بميلي الى اصطحابها معي باعتبار ان الظروف والاحوال السياسية في الوطن قد تستدعي بقاء الامين ثابت هناك نظرا لصلاته وخبرته السياسية الطويلة واطلاعه على وجهة سياسة الحزب وفاقا لمواقف الزعيم وتوجيهاته وشروحه. ولا اعتقد ان يحتمل ورود جواب قبل ثلاثة اسابيع. وفي كل حال يجب على الامين صعب ان يكون مستعدا لاول اشارة. وقد كتبت اليكم فيما يختص بمسألة الترخيص لي بدخول الولايات المتحدة. وقد سألت في القنصلية البرازيلية فوجدت الشروط اسهل. وفي حالة تعذر الترخيص السريع الى الولايات المتحدة أرى ان أتوجه الى البرازيل.

الشعار: أحب ان يرسل الي في البريد القادم رسم شعار الزعيم بريشة فروخ وغيره من الشعائر فقد اتمكن من ايجاد بعض الوسائل لاستحداث مايلزم بهذا الصدد.

سفري ايضا: احب ان اعلم يقينا ما هو موقف الرفيق دير عطاني الذي كان عرض على منفذ دمشق تقديم مائة ليرة انجليزية لرحلتي ومرافقتي.

الاذاعة الشعبية: تكلمت في رسالتي السابقة على وجوب العناية بالمسائل الملحة التي يفهمها الشعب اكثر مما يفهم النظريات البعيدة واکرر هنا وجوب تحويل وجهة النظر في الاذاعة عن الجدل حول مسائل كالقضية العربية وغيرها الى الاهتمام بالمسائل السياسية الاقتصادية الجارية ومعالجتها وفاقا لنظرية الحزب واثارة الشعب عن هذه الطريق والهاب صدره بالفكرة القومية وحق الشعب في الحياة. كذلك اكرر توجيه العناية الى بث عدد من اصحاب العقيدة بين أفراد الجمعيات التقليدية للقيام بتحويل فكر الشباب الى العقيدة القومية الصحيحة.

سلامي لكم ولاعضاء المجلس الاعلى الموقر وجميع العاملين. ولتحية سورية.

في 29 اغسطس 1938. توقيع الزعيم

الى اميركانية

من رسالة وجهها الزعيم بتاريخ 30 ايلول عام 1938 الى الامين فؤاد ابي عجرم من روما، وكان الامين ابي عجرم معتمدا للحزب في الولايات المتحدة:

حضرة معتمد الحزب السوري القومي في الولايات المتحدة

تسلمت امس صادرتكم في 17 الجاري وهي تثبت لمضمون رسالتكم السابقة، التي ارسلتموها الى قبرص واجبتكم عليها منذ ايام.

أريد ان اهنئكم على سهركم على مصلحة الحزب وعلى بث الدعوة في محيط اشعر معكم بصعوباته ...

... وقد سرني ايضا بعض المعلومات الواردة في صادرتكم عن « الجامعة العربية »، واركائها، فمثل هذه المعلومات مفيدة جدا لي وللمركز ويجب ان تدخل في كل تقرير رسمي (كل ثلاثة اشهر) ترفعونه الى مكتب عبر الحدود ...

ان التسهيلات في المعاملة جعلتني افضل الذهاب الى البرازيل اولا، وهناك اقوم بجملي وأسير الى الارجتين وغيرها في الجنوب بينما يكون منفذ المكسيك قد اكمل الترتيبات وشروط الزيارة، وتكونون انتم قد استعدادتم الاستعداد اللازم الذي ستقويه حلتي في الجنوب وما سينشر عنها. وسيرافقني في هذه الرحلة بصفة ناموسين لمكتب الزعيم، الرفيقان الامين خالد اديب ومنفذ الشاطي الذهبي اسد الاشقر.

لا يهمنكم تملك الهوس الشيوعي بعض الرؤوس، فمتى وقفت على المنبر وقرعت الحجة بالصواب فلا بد ان يتغير الجو. سلامي اليكم والى جميع الرفقاء العاملين لحرية سورية ومجدها ولتحية سورية.

وهذا بعض رسالة وجهها الزعيم من روما كذلك الى الامين ابي عجرم جوابا على رسالة منه وهي مؤرخة 16 تشرين الاول سنة 1938.

« الرفيق العزيز فؤاد ابي عجرم.

بعد ايام من ارسال كتابي الاخير اليك من روما. وردتني رزمة رسائل في البريد الوارد الي الى قبرص، وتأخر في دورته اكثر كثيرا مما يجب. وبين هذه الرسائل كتابك الطويل المؤرخ في 25 يوليو الماضي الذي تشرح لي فيه حالة المهاجرين الروحية في الولايات المتحدة وما تعانیه من الصعوبات. وتشور علي بالذهاب الى المكسيك اولا، ولا تذكر لي شيئا عما طلبته منك من اجراء مايلزم لتسهيل الترخيص لي من القنصليات الاميركانية بدخول الولايات المتحدة.

واني ابدأ جوابي على كتابك من هذه النقطة. فأنا ارسلت كتابي الاول من قبرص



فؤاد ابي عجرم

الى « معتمد الحزب السوري القومي في الولايات المتحدة »، ليكون له صفة رسمية وتكون الطلبات الواردة فيه تعليقات يجب التقيد بها. ولولا ذلك لفضلت الكتابة الى رفيقي العزيز الامين فؤاد ابي عجرم الذي هو احد الرفقاء القريبين جدا من نفسي.

« والآن انتقل الى رأيك واختباراتك اني اعرف عقلية المهاجرين ونوع حياتهم وشؤونهم النفسية والمادية، واعرف تماما الصعوبات التي سأواجهها. وقد يكون في بعض المهاجر صعوبة اكثر من البعض الآخر، ولكن مهما كانت الصعوبات فاني مصمم على مواجهة المهاجرين بالعزيمة نفسها التي واجهت فيها الوطن ووجهه متجهم كالح وحالته حال فرضت اليأس على الجميع. واني واثق بأني سأتمكن من تغيير امور كثيرة.

اني اعلم ان دعاوات كثيرة قد فعلت فعلها في المهجر لايجاد روح عداء لي وللحركة القومية. واني اعلم اني قادر على ابطال فعل هذه الدعاوات وتوليد حركة قوية في المهاجر.

انك تصف لي « شيوعية » بعض المهاجرين وعروبة البعض الآخر، وما تقوله صحيح، وهو ما يجعل زيارتي الولايات المتحدة اشد لزوما من زيارة اية جالية اخرى..

ولتحية سورية

الزعيم

ثم يظهر من مراسلات الزعيم مع الأمين فؤاد أبي عجرم انه أمضى شهر أيلول والقسم الأكبر من تشرين الأول في روما.

مديرية برلين المستقلة

كانت عمدة المالية قد تسلمت من مديرية برلين المستقلة أزرارا مصنوعة باتقان تام، مرسوم عليها الزوبعة بالألوان الثلاثة. فسمحت باستعمالها ولكن فوجئت بعد التدقيق أنها تحمل في الوجه الخلفي اسم «مصون عابدين بك» للدلالة على منشئها فطلبت منه العمدة ان يتوقف عن دمج هذه الأزرار باسمه، مبينة له «الفردية» في هذا التصرف. هذا لم يمنع ان تقدر عمدة المالية عملية صنع اول شارة حزبية رسمية على هذا المستوى الفني الرفيع.

اول اذار

احتفلت مديرية برلين المستقلة هذه السنة بمناسبة أول اذار بصورة منتظمة فقد قسمت الاحتفال الى قسمين: الاول في النهار وهو بمثابة حفلة خطابية، خطب فيها المدير وشرح تاريخ حياة الزعيم ثم تلاه عدة خطباء سوريين وبعض المشتغلين بالتاريخ السوري من الالمان اما القسم الثاني فقد اختص بالسوريين فقط وهو بمثابة حفلة على شرف الزعيم.

اقالة احترازية

اطلع الزعيم اثناء وجوده في برلين على نشاط المديرية فاكتشف ان علاقة المدير بالسلطات الالمانية كانت علاقة من طرف واحد اي كانت تستثمر لخدمة الجهة الاخرى وفي هذه العلاقة خطورة واية خطورة. رأى الزعيم ان افضل وسيلة لمعالجة هذه المشكلة هي في اقالة هذا المدير وتعيين سواه وهكذا كان.

لم يكن اتخاذ هذا التدبير - كما هو واضح - مبنيا على اسباب او موجبات ادارية نظامية دستورية بالمعنى الحرفي بل كان لسبب اعمق بكثير وهو فقدان الشخصية القومية الاساسية القائمة على قاعدة مصلحة سورية فوق كل مصلحة فبدلا من خدمة القضية القومية في الاوساط الالمانية وتسخير هذه الاوساط لها كان يحدث العكس - ان عن معرفة او جهل - وكلاهما خطير. كانت اقالة «قومية» احترازية. تعين الرفيق سروري بارودي خلفا له.

لقاءات الزعيم



الزعيم

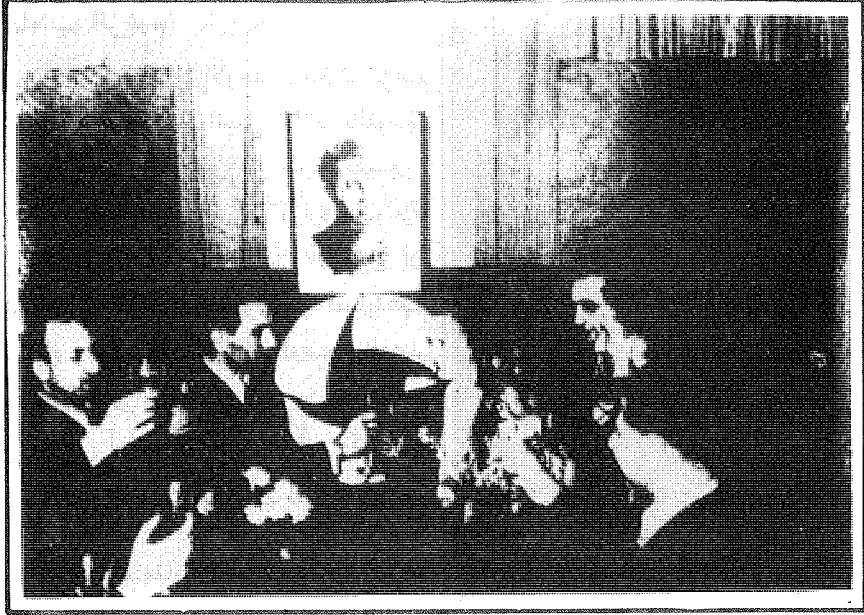
في طريقه إلى الأرجنتين مكث الزعيم في برلين بضعة أيام اتصل خلالها بالقوميين الاجتماعيين والسوريين من طلبة ومقيمين. ثم شاء بعض المسؤولين في وزارة الخارجية ودائرة شؤون الشرق الأدنى الألمانين أن يتعرفوا إلى الزعيم وبحثوا معه قضايا تهم بلادنا. وفي هذه المقابلة أوضح الزعيم للألمان حقوق الأمة السورية ووحدتها وسيادتها التامة على أرضها وجميع مرافقها، كما شدد على عدم قبول أية إرادة غير إرادة شعبها.

وجرت مقابلة أخرى مع «روزنبرغ» أوضح فيها الزعيم لفيلسوف المذهب النازي أفضلية النظرة القومية الاجتماعية على النظرات الجزئية، ومنها النظرة النازية العنصرية.

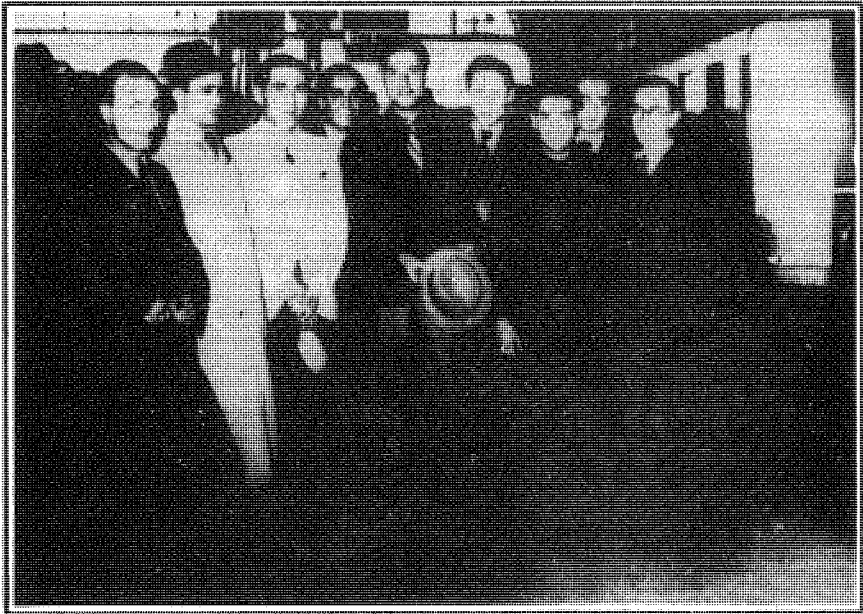
ونتيجة لهاتين المقابلتين في حكم بعض الطلاب السوريين على الزعيم أنه «قليل الخبرة» في السياسة. ولم يفهموا حينذاك أن المعبر عن إرادة الأمة السورية لا يمكن إلا أن يجعل إرادتها فوق كل إرادة، وفكرها الشامل أساساً لكل نهوض اجتماعي.



في ألمانيا فور وصوله إلى محطة برلين - أعضاء المديرية وخطيبة المدير تقدم له باقة زهر.



المفوض بارودي وزوجته وهيئة المفوضية



مفوضية برلين عند زيارة حضرة الزعيم الى برلين

المجلس الأعلى ومؤتمر الاستعداد

بدأ المجلس الأعلى بعقد جلساته يمارس الصلاحيات الممنوحة له من الزعيم فكان أول قرار اتخذته هو اعتبار تاريخ 28 تموز 1938 «يوم ذكرى المهاجر» وذلك تسجيلاً لمغادرة الزعيم أرض الوطن من قبرص في التاريخ المذكور للقيام برحلته الميمونة.

أما القرار الآخر الذي كان له شأن حزبي وإي شأن هو الدعوة لعقد مؤتمر عام يضم جميع المسؤولين في المركز وهيئات المنفذيات من كل أنحاء الوطن السوري وحددت الدعوة تاريخ أيلول 1938 موعداً لعقدته في مدينة بيروت. غاية المؤتمر تلخصت بموضوعين رئيسيين ماعدا بحث الأوضاع الإدارية والخطة الواجب اتباعها في العمل الحزبي في هذه المرحلة الجديدة. الموضوع الأول المحصر في الأسباب التي دعت الزعيم للقيام برحلته في هذا الظرف بالذات والموضوع الثاني كان الاستشراف للمستقبل الذي يبدو متجهاً نحو الحزب وما يستدعي هذا الاتجاه نحو الحزب من استعدادات حزبية لمجابهة الطوارئ ولذلك سمي المؤتمر «مؤتمر الاستعداد».

ويقول الأمين الجزيل الاحترام كامل أبو كامل عضو المجلس الأعلى في مذكراته المخطوطة:

«نعود إلى الوراء لاعطي لمحة عما قام به المجلس الأعلى من بعد ان تركه الزعيم وهو في أول نشأته ولا اكنتم سرّاً ان قلت بأن جميع اعضائه كانوا يتخوفون من الانزلاق في الخطأ نسبة لحدائثهم في تسلم مسؤولية ضخمة كهذه لهذا كان تخطيط المجلس ان يقوي بنية السلطة التنفيذية وليسهر على تقديم المعونة للمنفذين العامين في إدارة منفيذياتهم وكان الأمر بغاية السهولة لأن البعض من أعضاء «السلطة التشريعية» الذين هم أعضاء في السلطة التنفيذية كانوا يزودون المجلس بكل ما هو حاصل في الحزب مثلاً



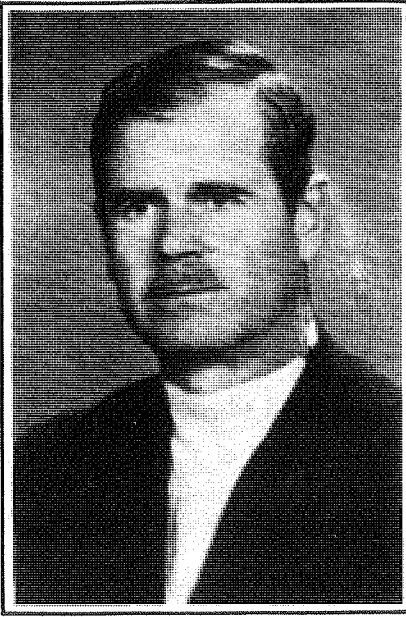
كامل أبو كامل

نعمة ثابت عضو المجلس الأعلى هو رئيس السلطة التنفيذية بالوقت نفسه كذلك مأمون اياس وجورج عبد المسيح. وبعد مرور وقت قصير قرّر الأمين فخري معلوف السفر إلى أميركا فانتخب المجلس الأمين نعمة ثابت رئيساً للمجلس. وكانت الصلة مستمرة بحضرة الزعيم الذي كانت تنقل إليه وقائع جلسات المجلس الأعلى المهمة كلها.

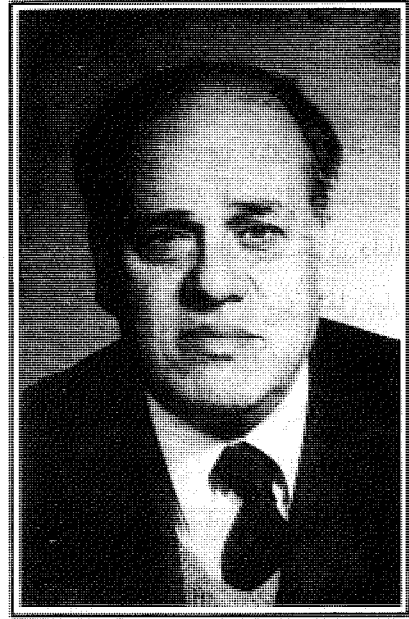
مؤتمر «الاستعداد» والاعتقالات

كانت القيادة الحزبية قد اتخذت عدة تدابير لتأمين سرّية عقد هذا المؤتمر ولذلك عيّنت امكنة متعددة للوفود الحزبية القادمة من المناطق، ذكرتها في كل دعوة مرسلة لكل منطقة على حدة كما انها عيّنت في كل مركز التقاء دليلاً يكون في انتظار الوفد لنتقله الى مكان انعقاد المؤتمر السري. كان موعد الانعقاد في 24 ايلول ان لم تخني الذاكرة.

كان الحضور كاملاً لولا حادث وقع صدفةً كاد يعرّض المؤتمر الى الالغاء مما اقتضى عدم حضوري وحضور الرفقاء وديع الياس مجاعص، فريد صباغ، منير الملاذي وعمر ترماني. انعقد المؤتمر في منزل الرفيق احمد مفتي في محلة «برج ابو حيدر». دام انعقاده حتى ساعة متأخرة من المساء. كان ابرز موجه فيه الامين فخري معلوف رئيس المجلس الاعلى. انفض المؤتمر وكل الحاضرين مستوعب خطورة المرحلة القادمة وكلهم استعداد لمجابهتها.



وديع الياس مجاصص



جبران جريج



منير الملاذي



فريد صباغ

أما الحادث المذكور فقد جرى كما يلي: كان مكتب جريدة « النهضة » أي مركز الحزب سابقا، احد مراكز الالتقاء وكنت انا المسؤول عنه كما ان مكتب الامين عبد الله قبرصي الكائن في البناية المجاورة كان ايضا مركز التقاء آخر وكان الامين انيس فاخوري مسؤولا عنه. بينا وانا اطل من الشرفة اذ ارى الامين انيس يوميء الي لانزل اليه عند مدخل البناية وعند وصولي اليه روى لي انه جاء الى البناية المجاورة ليصعد الى مكتب الامين قبرصي الذي كان يحمل مفتاحه ليستقبل فيه الوفد الذي سيكون دليله الى مكان انعقاد المؤتمر واذ يجارس البناية يعترض سبيله بحجة ان المكاتب تقفل نهار الاحد فلا تفتح. (كان هذا الحارس معروفا بعدائه لنا) تحاور معه الامين انيس بلا جدوى. اتهمه الحارس انه آتٍ ليعقد اجتماعات حزبية والاجتماعات ممنوعة وهدهدته بانه سيخبر الامن العام. تركه انيس.



أنيس فاخوري

بعد التداول اتفقنا ان يبقى الامين انيس يتمشى على الرصيف بانتظار الوفد ثم غيرنا فكرنا اذ لاحظنا ان الحارس غادر البناية. اتفقنا ان ينصرف انيس اذ اصبح معروفا ان الحارس راح ينفذ وعيده والمهم سلامة المؤتمر وان التضحية بتوقيف بعضنا اقل ضررا بما لا يقاس من ان ينكشف مكان المؤتمر وينفطر عقده. اتفقنا أن ابقي في مكتب الجريدة واذا جاءت قوى الامن فاني الهبها بي اذ لو اخليت المكتب وحضرت سلطات الامن ولم تجد احدا قد تتحرى البلد بحثا عن مكان الاجتماع. وهناك امكانية انكشاف

المكان. عدت الى المكتب الذي كان فيه عدد من الرفقاء المدعويين فألحقتهم بالامين انيس وبقي معي الرفيقان ترمانيبي وملاذي اللذين ابيا ان يفترقا عني رغم الحاحي وتبيان الخطر الذي سنتعرض له. الرفيق عمر ترمانيبي احد مسؤولي الحزب في حلب والرفيق الركن منير ملاذي وكيل عميد التدريب، المدرب العام سابقاً الذي كان زميلي في السكن في الغرفة المفروشة التي سبق ذكر استئجارها في زقاق البلاط.

صحّ الخبر. كنت من على شرفة المكتب استعرضهم، صفين من الشرطة صفّاً ثنائياً، مقبلين من جهة شارع ويغان، مقابل الجامع العمري الكبير. ظننتهم بادیء ذي بدء انهم متوجهون الى البناية المجاورة حيث مكتب الامين قبرصي ولكن خاب ظني. ان قوة الشرطة صعّدت الى مكتب الجريدة وتدفقت الى الداخل وانتشرت امام ابواب الغرف التي كانت مشرّعة والفراغ يصفع الناظر اليها بوضوح.

تصدّيت لها اسألها «ماذا تريد وبأمر من يدخلون هذا المكتب». اجابني المفوض بصل الذي كان على رأسها بسؤال آخر وعيناه تشيحان في انحاء الشقة تريدان استيعابها كلها، بجمع دقائقها «اين اجتماع الحزب» قلت له بكل برودة وبلادة «ليس هنا اجتماع لا للحزب ولا لسواه. هنا مكتب جريدة واشرت الى اللوحة المكتوب عليها اسم الجريدة المعلقة على الشرفة ولا يحق لكم الدخول اليه وتفتيشه دون اذن من نقابة الصحافة وحضور مندوب عنها. لذلك احملكم مسؤولية تصرفكم هذا الالاقانوني. تهبّ الموقف. امر الشرطة بالانسحاب وقد كان بامكانه - على ما اظن - ان لا يفعل بالنسبة للموضع الذي كان قائماً، لكنه طلب مني ان ارافقهم الى المخفر. «سمعا وطاعة». اغلقت الابواب واقفلت الباب الرئيسي بالفتاح وانصرفت معهم مخفورا ضمن صف ثنائي من الشرطة الى مخفر البرج، يرافقيني عمر ترمانيبي ومنير الملاذي اللذان لم يقبلا ان يخلى سبيلهما.

غدونا ثلاثة في المخفر ثم اصبحنا خمسة باضافة وديع الياس مجاعص وفريد صباغ اللذين اوقفا ايضا من امام مكتب الامين قبرصي وهما ينتظران دليلهما الى مكان المؤتمر. طال انتظارهما لغياب الامين انيس فاخوري كما مرّ بنا وبهذه الفترة كان حضور الشرطة فتوقيفهما في مخفر البرج. تم تفتيشنا فصدورت مني رسالتان كان قد بعث بهما الي رفيقي الوكيل الركن ملاذي عندما غادر بيروت في جولة تدريبية حزبية الى لبنان الشمالي.

بدأ المفوض بصل التحقيق معي. محور التحقيق يدور حول الاجتماع المزعوم في المركز. تثبتت بقولي وهو صحيح، « ان لا اجتماع في المركز. اين المجتمعون؟ ما الدليل على وجود اجتماع؟ » ابرز لي تقريراً كان امامه. تلا عليّ بعض فقرات منه. موجز قولها انه ضبط اجتماعاً ممنوعاً. كله كذب وافتراء، زيف وزور وبهتان. يا الهي كيف يمكن لانسان من لحم ودم يتمتع بذرة من الضمير او الوجدان ان يكتب بهذه الصفاقة وهذه الوقاحة.

صاق المفوض ذرعا بي وأصبحت، أنا، الذي يطرح عليه الاسئلة، لاهو. كيف لا، وأنا اعرف خلفية هذا التقرير المستند اساساً على وشاية حارس البناية التي اعرفها ولا يعرف حضرته اني اعرفها. تجاه هذا الهجوم الصاعق تحلى عن التحقيق وقال لي: « تبقى تتصافى مع المستنطق والآن فالى النظارة ». وهكذا دخلت، للمرة الاولى، مخفر البرج ثم نظارة البرج.

راح فكري يشغل بتحليل تقرير المفوض بصل. أهى يهوديته - التي ذكرتها سابقاً - التي املت عليه اعضاء هذه التفاصيل الكاذبة عن الاخبارية، عملاً بتعليقات تعميم مكتب التحريات، ام هي خسارة الموظف الذي يتطلع الى ارتكاب اية موبقة في سبيل ما يظنه يرضي رؤساءه؟ الارجح ان السببين معا كونا المسألة بهذا الشكل وقد يكون راح يحلم بالترقية لقيامه بهذا العمل البطولي !!!

رحت احلل ايضاً قوله « تبقى تتصافى مع المستنطق » اذن، ليست القصة قصة توقيف بسيط. ثمة تحقيق. وهذا التحقيق قد يستمر اياماً وفهمت عندئذ معنى كلمة « على ذمة التحقيق » وفي النتيجة قد نتوصل الى المحاكمة. الخلاصة وضعت نصب عيني مدة توقيف قد تطول واخذت اتهيأ لها نفسياً. لا بأس، فالمهم ان ينجح انعقاد المؤتمر ولا ينكشف امره بسبب هذا الحادث التافه فتفتتح عين السلطة « التي لاتنام » فتشم رائحته فتعوض بهذا الانتصار عن انكسارها بالقاء القبض على الزعيم.

مال النهار الى الاصيل. لاخبر عن المؤتمر، طبعاً، لا صالح ولا طالح. انه في حرز حريز اذ لو تم ماليس في الحسبان لكنت اول من عرف لان مصير الموقوفين كان سوقهم الى النظارة حيث انا ورفقائي الاربعة نزلنا ضيوفاً. ارخى الليل سجوفه. بدأت افكار السوء تنتابني. الف فكر وفكر يتجادبني ولا استقر على واحد. لاقلق من

جهة المؤتمر ولكن القلق الذي استحوذ عليّ هو ان لا يطل احد عليّ فيزيله بمعرفتي الاكيدة عن نجاحه .

ما طالت فترة القلق هذه . كأني كنت على موعد مع الامين انيس . سمعت صوته عند الباب . ما سمح له « محمد افندي » ، حارس النظارة ، بمقابلتي ، عرفني عن وجود الامينين مصطفى المقدم ونجلا معتوق حداد معه . اسمعني ، كل منهم ، صوته بدوره . قال انيس « ختمنا ، الآن ، زيارتنا . كنا مسرورين جدا ، تمنينا لو كنت معنا » . ادخل لنا الطعام والفرش المستأجرة من الاوتيل المجاور . ودعونا من بعيد . ساد الاطمئنان قلبي . دخل السرور في نفوسنا . توضيحي وتضحية رفقائي ما ذهبت سدى . اكلنا وشربنا ورحنا نستعد للنوم واذ بزبائن جدد مغلولة ايديهم يدخلون مكتب النظارة يرافقهم مأمور الامن . وزّعوا على الزنانات . عاد « محمد افندي » الذي يميز بمعاملته بين الناس وجلس على الكرسي امام باب نظارتنا معلّقاً : « الليلة فيها فقس وطقش ، يفرجها الله » . التفاصيل عن النظارة وبعدها عن الحبس ستأتي بكتابي « ابن حبوس » .



نجلا معتوق حداد



مصطفى المقدم

استدعيت عند المستنطق ، صبحي المحمصاني . اسمه مكتوب على لوحة صغيرة جنب الباب . كانت هذه اول مرة امثل امام مستنطق للتحقيق . كنت اسمع بالتحقيق سمعا من الذين سبقوني الى هذا الموقف اما الآن فعند الامتحان يكرم المرء او يهان . ان مروري امام المستنطق وديع عسيران في طرابلس في المرة السابقة لا يعدّ تحقيقاً بالمعنى الصحيح . كان المستنطق لطيفا معي . سألني عن الاجتماع المزعوم . كان جوابي

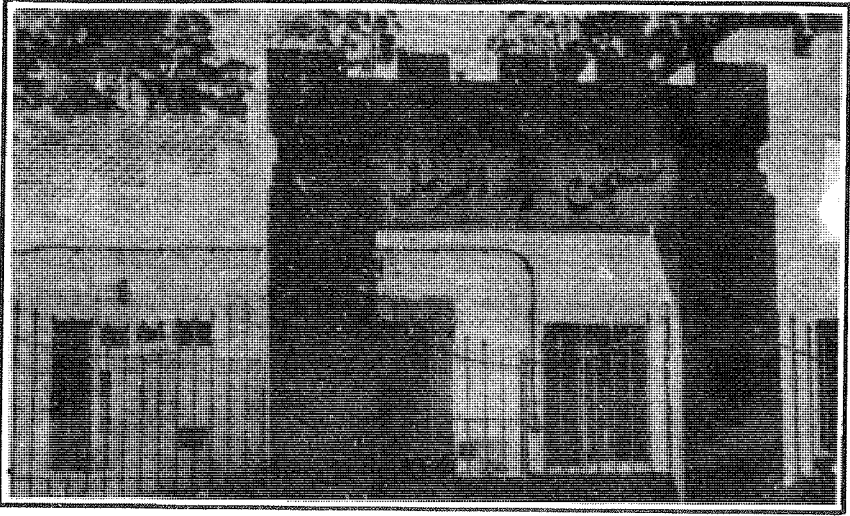
النفي. بقيت مصراً على موقفي. ما كاد ينتهي استجوابه حتى دخل شخص آخر، انتصب له وقوفاً، احتراماً واجلالاً.

وقع نظر الشخص القادم على عروة سترتي. كان معلقاً فيها زر يرمز الى شعار الحزب، الزوبعة الحمراء. كانت هذه الازرار نادرة الوجود. كانت شغل مديرية برلين المستقلة. انفضّ عليها كالشاهين، مدّ يده لنزعها من محلها. كانت يدي اسرع من يده اليها، فحميتها. وقعت يده فوق يدي. كان دركي واقفاً عند الباب الذي ظل مفتوحاً، يحمل بندقيته. حاول التدخل. صرخت به صوتاً دوى في الارحاء « شو دخلك، خليك مطرحك ». حاس الشباب دفعني للاستعداد الى معركة. تدخل المحقق المحمصاني وقال لي بدمائه خلق وهدوء اعصاب: « لا يجوز لك هذا التصرف مع حضرة المدعي العام الاستاذ فرنان ارسانيوس ». قلت له وقد عادت الحكمة إلى رأسي: « تشرفنا، الان قد عرفت. من فضلك اسحب يدك ». سحبها على الفور. نزعتم الزر ووضعتة للجهة الداخلية من العروة. قال لي المحقق: « ان الزر يتبع الملف ». تجاهلت طلبه.

اتخذ المدعي العام لنفسه مقعداً وسألني عن ورقة تناولها من ملف كان يتأبطه ثم وضعه على المكتب عند هجومه عليّ. اجبته « الجواب يجب ان يأتي من الذي وجدت معه او من الذي ارسلها اليه ». هذه الورقة انوجدت مع الرفيق عمر ترماني. سها عن باله اتلافها فبقيت في جيبه. عُثر عليها عند تفتيش ثيابه. هي دعوة لحضور المؤتمر، مسجل فيها « مركز الالتقاء، مكتب الجريدة ». من هنا كان الاستدلال ان الاجتماع قد يحصل في مكتب الجريدة، وجود هذه الوثيقة يطابق زعم المفوض ووشاية حارس البناية.

وقف التحقيق عند هذا الحد. ابلغت صدور مذكرة توقيف واحالتي الى سجن الرمل الذي كنت اعرفه من قبل من الواجهة ومن الرتاج الحديدي الكبير، المصفح اسفله. حللت ضيفاً على الغرف «5» و «7» و «6» من البناية الاولى. قضيت فيها خسا وخسين يوماً. دعيت الى التحقيق في اثنائها مرة واحدة. جرى هذا التحقيق في مكتب ادارة السجن على يد المفوض في الشرطة محيي الدين القباني، وذلك بعد مضي شهر تماماً وكماً، على توقيفي.

استغربت هذا الوضع. ما علاقة مفوض شرطة في التحقيق معي بتهمة عقد اجتماع



حزبي؟ صبرت. كان الله مع الصابرين. سحب من اضبارة جلدية كانت ملقاة على جانب من الطاولة ملفاً وضعه امامه. فتح هذا الملف وسحب منه ورقتين صفراويتين. كنت اتتبع حركاته واحدة واحدة فلما رأيت الورقتين عرفتھا فوراً. انها احدى رسالتی للرفيق منير ملاذي اللتين صودرتا مني. رحلت اتساءل بيني وبين نفسي عن علاقة رسالة الرفيق ملاذي بموضوع التحقيق. عدت الى تذرعي بطول الاناة. وضع الورقتين امامه وعاد فسحب من الاضبارة الجلدية اوراقا بيضاء يدل شكلها على انها تستعمل لكتابة التسجيلات الرسمية في الدولة. وضع ايضا هذه المجموعة من الاوراق البيضاء امامه وسحب قلم حبر من سترته وبادرني بصوت خافت نحيف بسؤال عن اسمي، اسم امي، اسم أبي وكنيتي. اجبته وانا اكاد اتمزق من الشوق الى معرفة غاية هذا التحقيق الخاص.

كان السؤال الذي تلا عن علاقة الرفيق منير ملاذي بي فاجبته. هز رأسه هزة يستشف منها دلالة ايجابية. قلت في نفسي « يظهر انه طرح سؤالا شبيها على الرفيق منير فجاء الجواب مطابقا. بينا هو يدون الجواب على السؤال التالي سرقت نظري الى الورقة - الرسالة امامه فلمحت خطوطا حمراء تحت بعض الاسطر. حاولت ان اعود بالذاكرة الى فحوى الرسالتين فما كانت تنجدني. لاشيء فيها يمكن ان يتناوله التحقيق، لا من قريب او من بعيد. انها مجرد رسالتين شخصيتين.

لقى علي سؤالاً آخر: « ما هذه الشيفرة التي تستخدمها بينك وبين منير الملاذي؟ ».لقى عليّ هذا السؤال بطريقة تدل على أهميته وتفّرّس بوجهي يقرأ على ملامحه ردود الفعل، علّه يكتشف فيه السر الخطير. اما انا فبحركة بديهية، لاشعورية وبصورة عفوية افلتت مني ضحكة جاءت تعبر عن سخافة هذا السؤال. قلت، بشكل طبيعي لا اثر للكلفة فيه ولا للتصنع، قلت، « شيفرة؟ اية شيفرة » فقرأ لي، وهو عابس، اذ لم يعجبه ضحكي، عدة اسطر. هي الاسطر المخطط تحتها بالاحمر. تدور هذه القراءة حول عصير الليمون وبراميل من هذا العصير وقناطير الليمون وعصيره ورخص الليمون وعصيره باسلوب ساخر هزلي اذ ان الرخص هو ثورية الغلاء الفاحش. كل قراءته من هذا النوع.

هدأت من روعي وجاوبته برزانة ورسانة، أعوَّض بها عن ضحكي السابق. « أتسمح لي بان اسرد على مسمعك قصة هذا العصير؟ ». اوماً بهزة من رأسه ان اتابع فاكملت « كنا عائدين الى غرفتنا المشتركة، انا ومنير، فمررنا بساحة البرج. عند اول شارع بشارة الخوري (اليوم) او بالاحرى عند زاوية مقهى العجم، موجود كشك لبيع عصير الليمون وبعض المرطبات الاخرى، دعوت منير الى تناول كأس عصير فتردّد وسألني ان كنت احمل « فراطة ». مددت يدي الى جيبي فوجدت ما يكفي ثمن كأسين ويتبقى رصيد تبلغ قيمته خمسة غروش لاغير، ما عدا الغلط والسهو. قال لي منير بلاها قلت له « بيدبرها الله » هجمنا على الكشك وشربنا العصير واكملنا سيرنا الى الغرفة ».

كان في بالنا ان نجد في البيت بعض النواشف للعشاء وهذا ماقصدته بعبارة « بيدبرها الله » خاب فألنا فقد وجدنا النملية خالية وبتنا ليلتنا على الطوى. ذلك كرمى لكأسين من عصير الليمون اشتهيناها فدفعنا ثمنها غاليا. لو لم نفعل لكنا اشترينا بثمانها ما نسد به الرمق.

بعدها افترقنا فكتب لي منير هذه الرسالة يسجل فيها هذه الواقعة الطريفة ويعلق عليها هذه التعليقات الظريفة الساخرة للدلالة على الجودة ورخص السعر. انها مجرد تذكّار بليلة ضحينا فيها بطعامنا المسائي من اجل التمتع بكباية عصير برتقال او ليمون، سمّها ما شئت. هذا هو الواقع لا اكثر ولا اقل.

دوّن ما سردته عليه حرفيا. استفهم عن بعض التفاصيل تتعلق بالسرد ايضا. يبدو

عليه انه اكتفى. طلب مني التوقيع على المحضر ففعلت. عند الانتهاء قدّم لي سيكارة واشعلها لي شجعتني هذه البادرة منه على الاستفسار عن هذا التحقيق وطول مدته. وهل من تحقيق سواه؟ كان جوابه انه لا يعلم ولكن التحقيق ليس فيه شيء مهم. كبس على زر الجرس فحضر الدركي ليعيدني الى «القاوش».

تملكتني نشوة. اخيرا طلبت الى التحقيق وان تمخض الجبل فولد فأرة. حديث عصير البرتقال اصبح في نظر جهابذة التحري عن الحقيقة مسألة «شيفرة». ياللسخف! بالسخرية القدر! شيفرة في رسالة شخصية عن عصير الليمون! أهكذا تكون الشيفرة! ام هي للاستهلاك المحلي وللدعاية المغرضة ضدنا؟ ام ذلك لتغطية الاعتقالات والتوقيف الاعتباطي الذي ما كان له لزوم اصلا والذي طال الآن دون اي لزوم ايضا.

علمت فيما بعد ان الجرائد نشرت خبر التحقيق هذا تحت عناوين كبيرة «اكتشاف شيفرة الحزب السوري القومي» وبصورة خاصة حملت جريدة «البشير» خبر هذه الشيفرة وعلقت عليه بصورة لثيمة كعادتها.

تنقلاتي في السجن

قلت في بدء كلامي عن سجنني اني حللت ضيفا على ثلاث غرف. لن ادخل في التفاصيل لانها تخص كتابي «ابن حبوس» ولكن لا بد من لمحة موجزة عن هذا التنقل. في المرة الاولى من الغرفة «5» الى الغرفة «7» بسبب «يتقي» فراشي. ما كان ينزل عند الحائط وشاويش القاوش يريد انزاله. «تيس عبدك بارب». وصلت المسألة الى مدير السجن محمد جواد. لم يكسر كلمة الشاويش اي رئيس الغرفة ولم يجبرني على انزال «اليتق» لاني على حق وقال لي « طالما لاتريد الانتقال الى الحيط فاني انتقلك الى الغرفة «7» وهكذا كان. كان عدد سجناء الغرفة «5» ثلاثا وستين اما في غرفتي الجديدة فالعدد ست وخمسون.

لم تطل اقامتي فيها فقد حدث لي ما يلي: «انفتحت «الشراقة» اي الكوة الصغيرة التي في الباب. تطلعت اليها على غير عادتي كأن شيئا جذبني اليها واذ بي ارى وجه الرفيق منير وهو يقول لي «خذ هذه» ويرمي لي بورقة صغيرة، مدعبله كالكلبة، وقعت بقربي. انغلقت «الشراقة». رافق الورقة نظر رئيس الغرفة. يبھلق بعينيه.

كأنني به همّ بالنهوض لالتقاطها. سبقته إليها. فلشتها وقرأتها ثم اتلفتها. يقول لي فيها ان مفوض في الشرطة استدعاه وسأله عن « الشيفرة ». جاء كلامه مطابقا لكلامي وكيف لا؟ كلانا يروي الحقيقة بعينها. من اين نبعث فكرة « الشيفرة »؟ اي دماغ مفكر قدح زناده فطلع علينا بهذه الدرّة الثمينة؟

بعد مضيّ يوم او يومين مرّ مدير السجن المقدم محمد جواد بالغرف. يقوم بدورة تفتيش زار غرفتنا. سأل رئيس الغرفة عن حالة « الامن » في دائرة نفوذه. اجابه « نحن بخير ولكن مافيني رد الاستاذ عن « الشارقة ». ورقة زايحة، ورقة جاية ».

فاجأه بهذا التصريح كما فاجأني. تطلّع محمد جواد صوبي كأنه يسأل. اجبته « مش صحيح » وكنت صادقا لان الورقة جاءت مرة واحدة وليس عدة مرات كما ادعى. التفت اليه واعلن له حكمه. « انك تتعبي. الافضل ان اريحك. سأوزع سكان غرفتك على الغرف. مارأيك بالمبادلة؟ امتقع وجه الشاويش فهو كان ينتظر المكافأة لا انزاله عن اريكة العرش الذي كان يتبوأه. انصرف محمد جواد اما انا فالدّهشة شدتهني واستحوذت على مشاعري. هذه نقلة اخرى في مدة ستة اسابيع. الى اين؟ من حفر حفرة لآخيه وقع فيها.

كان نصيبي الانتقال الى الغرفة «6». كنت الوحيد المنقول إليها. الشمس كانت تسطع فيها عندما تشرفت بالدخول. سلمت على الجميع بتحية « مرحبا يا شباب » كانت هذه الغرفة تختلف عن سابقتها ان من حيث النظافة او من حيث نزلائها. الشاويش مختلف فهو مهذب تهديبا طبيعيا والنزلاء قسبان كبيران، قسم من « مارون الراس » وقسم من « عيرون »، قضاء بنت جبيل في لبنان الجنوبي وما تبقى فأفراد يؤلفون تشكيلة متعددة اهمها الحاج مغربي. (مغربي الجنسية) جميعهم هادئون هدوءا يبعث الملل في النفس.

ولكن يبدو ان انتقالي الى هذه الغرفة غير الكثير من رتبة العيش في حياتي السجنية فقد بدأت سلسلة مفاجآت جعلت الحركة تدب في مفاصلي.

سلسلة مفاجآت سجنية

اولى هذه المفاجآت كانت السؤال الذي طرحه علي دركي متوسط العمر، وانا خارج الى النزهة: « هل انت جبران جريج؟ » ولما كان جوابي على سؤاله ايجابيا

وبادلتها بالمثل. قال لي « يسلم عليك ابني، رفيقكم كمال هرموش ». سررت بهذا السلام وبادلتها بالمثل. صار كلما كانت نوبته يأتيني بالسلام واقبله بأحسن منه فنشأت بيننا علاقة ود وائناس وان بوقت قصير وقصير جدا. حكى لي قصصا كثيرة كما كان يحكي لي الدركي بطرس « همشيرية الزعيم » والذي كان في هذا الحين مأذونا فحلَّ محلَّه ابو الرفيق كمال هرموش. أروع تلك القصص التي رواها لي كانت تلك التي اختصت بالزعيم.

ابو كمال هرموش كان المفاجأة الأولى هو وقصته. « كان ذلك سنة 1937. كان مركزي في مخفر الميحات، أول قرية على مقلب ظهر البيدر الشرقي، عند أبواب البقاع الفسيح الرحب جاءتنا تعليمات مستعجلة بأن نضع حاجزا على الطريق لايقاف السيارات المتجهة صوب دمشق. أعطيت اشارات سيارة بنوع خاص. الاوامر تقضي بتفتيشها واجراء توقيف من فيها. منذ ساعات الليل الأولى كانت نوبتي فأوقفت سيارة تنطبق عليها المواصفات المبلّغة اليينا. كان فيها ماعدا السائق سيدة ورجلان. طلبت منهم النزول فترجلوا. اخفى الرجلان وبقي بين يديّ السيدة والسائق. امرتها بالدخول الى المخفر. رافقتها وأعلمت الرقيب بالامر. قال لي « ويحك، فلت انطون سعادته منّا ». كنت اسمع بانطون سعادته وكنت احس بميل اليه. ميل عاطفي لرجولته ولمواقفه الجريئة في محاربة السلطة الاجنبية. لذلك غصّ قلبي عندما عرفت ماذا جنيت ولكني سررت لاختفائه. ماضى رده يسير من الزمن حتى باغتنا بحضوره. عزّ عليه ان تتوقف سيدة بسببه. زاد احترامي له وتقديري. انه شريف ونبيل. ان تصرّفه يدلّ على شهامته وفروسيته. الرجل الثاني ما بين له اثر. اخلينا سبيل « الست » والسائق.

« الست » كانت الرفيقة وداد ناصيف والرجل الثاني كان الرفيق جورج عبد المسيح.

تلفن الرقيب للقيادة. حضر نور الدين الرفاعي بنفسه (نور الدين الرفاعي قائد الدرك) واصطحبه معه الى بيروت ومعه شذمة من الدرك للحراسة. سمعت انه أطلق الرصاص على السيارة عند ظهر البيدر وبقي الفاعل مجهولا. كاد الرصاص يتسبب بقتل سعادة لان نور الدين خبير بمجالات من هذا النوع فانبطح في أرض السيارة « وغمزني بعينيه ». (لم يكن نور الدين محبوبا بين الدركيين). فهمت قصده من الغمزة.

عندما جئت الى البيت في بيروت ورويت لأهل البيت ما حصل معي، انبرى ابني كمال يلومني على ما فعلت واعترف لي بأنه عضو في حزبه. كشف لي هذا الحادث صفة ولدي الحزبية. ما عاد يترك مناسبة الا ويشرح لي عن المبادئ. كنت اقول له - لو كنت عالماً بشخصيته لما اوقفت السيارة، كنت مرقتها. كنت تجاهلت الموضوع. نصيب - ثم يعقب بقوله «نعم، أنا أوقفت سيارة الزعيم. شو بتريد. ما كنت بعرفو، هيك صار» ويتنهد بحسرة.

حدثت المفاجأة الثانية بعد مضيّ يومين أو ثلاثة على وجودي في هذه الغرفة اللطيفة. سمعت صوتاً عن يميني يلفظ اسمي بكل احترام وبلهجة تدل على تهيب الموقف فاذ بي ارى ازائي رجلاً نحيلاً، يرتدي لباساً منسجماً مع شكله، قنبازا طويلاً، اكل الدهر عليه وشرب، لكنّه نظيف. قال لي «تفضل، اقعد عندي قليلاً، اريد ان نتحدث ان لم يكن عندك مانع».

نزلت عند رغبته وقعدت على يتقه وتربع مقابلي وانبرى يتكلم. «اسمي محمد احمد المنصوري، من عيرون. ارجب ان تشرح لي مبادئ الحزب الذي تنتمي اليه. فهل تتكرم عليّ بذلك؟». لا شك ان طلبه اصاب هوى من نفسي خصوصاً لجهة صراحته وبراعته في الطلب. لا مقدمات، ولا مجاملات، لا لف ولا دوران.

اترك بقية ما جرى «لابن حبوس» واكتفي هنا بالاعلان اننا اصبحنا صديقين حميمين، مشتركين في السراء والضراء في حياتنا السجنية الى ان وصل البحث بيننا الى شروط الانتساب فأوضحتها له. طلب اداء قسم العضوية لأنه غدا من المؤمنين. اتفقت معه ان اعطيه عنواني عند خروجي من السجن وعندما يخلى سبيله يحضر الي فأقوم باجراء هذه العملية وهو حرّ طليق. رضخ لهذا الاتفاق وصرت اتصرف معه كأنه عضو ملتزم بالحزب.

وروى لي محمد المنصوري هذه القصة عن الاقطاع في قرية بليدا:

من اروغ الاحداث، حدث كان ما يزال يدور على كل شفه ولسان في جبل عامل. ذلك الحدث كان قصة مقتل سعد الدين فرحات «صاحب قرية بليدا».

كان سعد الدين فرحات الأمر الناهي في قرية بليدا. يتحكّم في رقاب العباد كأنه فاطر الخلق سبحانه تعالى. كان رجلاً عملاقاً، صادقاً، مستبدّاً. كان اقطاعياً بكل معنى الكلمة، حتى إذا كان احدهم في القرية يريد ان يتزوج لا يستطيع أن يقدم على

مشروع الزواج إلا بعد موافقته. لا تسقط شعرة من رؤوسكم إلا باذن ابيكم الذي في السماوات وسعد الدين ابيكم على الارضيات. يعمل الفلاحون في الأرض فيمنحهم الحصص حسبما يرتأي، هو ميزان العدل والقسطاس. حكم هو الفيصل الفصل. قوله هو القانون. كلمته لا تراجع. هي نافذة إن خطأ أو صواباً.

يدين المخالفين بنظره ويفرض عليهم الغرامات والأتاوات: خلاصة القول كان سعد الدين فرحات هو الأوّل والأخير، هو الكلّ بالكلّ ومن تبقى من بشر في الضيعة فيعامل كالحيوانات الداجنة، للاستعمال اليومي. إنهم يعيشون كالبهائم. لا إرادة لهم ولا حول. الإرادة محصورة ومثّلة فيه والحول والطول بيده، بيده الزمام فيتعرّف على هواه.

في هذا الجوّ الخائق كان يجيى أهل القرية وفي هذا المحيط الزريّ كان يخلق واحدهم وينمو ويكبر ويموت ونفسه ذليلة مهانة تحتمل الضيم والهوان إلى أن استفاق فيهم يوماً شعور بالكرامة والعزّة وخطّطوا للخلاص منه ومن طغيانه. ما عاد يطاق بطشه وظلمه. تحرّكت النفوس وقرّرت وضع حدّ لهذه الطريقة. وطّدوا العزم على إيقاف دوران دولاب القضاء والقدر وان يجعلوا من انفسهم قضاءً وقدرًا.

في ذات يوم من الأيام تحرّش صبيّ بالعملاء. ردّ عليه بصفعة القته ارضاً مغمى عليه. كانت هذه هي الشرارة فاتقدت النيران وهجم الاهالي. كلّ بما اوتي من قوّه وما في يده من سلاح. من خنجر، من منجل، من رفش، من معول، من سكين، من كلّ جارحة وكلّ اداة يمكنها أن تؤذي؛ باظافر ايديهم، باسنانهم، بالضرب، بالصفع، بالركل، بجمع الكفّ أو بالكفّ المبسوطة؛ على رأسه، على وجهه، على ظهره، على صدره، على رجليه، على قدميه، ما بقي مكان في جسده لم يصب بأذى حتىّ سقف حلقة إلى أن لفظ انفاسه وهو لا يدري كيف! قطعوه إرباً إرباً.

اعتقل عدد كبير منهم. اخلي سبيل اكثرهم. كان كلّما استجوب احدهم يلقي المسؤولية الكاملة التامة عليه وهكذا لم يستطع القضاء اداة واحد منهم. هذه قصّة نهاية الإقطاع في بليدا.

مسؤولية فردية ضاعت بين الجماعة. الجماعة فيها بخير كل الخير. اصبحنا في بداية الاسبوع الثالث في الشهر الثاني عندما وقعت المفاجأة الثالثة المدهشة. انفتح باب « القاوش » واذا بالامين أنيس فاخوري واقف عنده يتطلع بسكان الغرفة. انغلق الباب وراءه. ما رأي. كان النور قد ازاغ بصره فبهره. صحتُ به « انيس » فانتبه لوجودي وهجمنا. مصافحة، قبلات، ضمّ ومسكنه من يده أقوده الى « يتقي ».

بعد ان هدا تأثير المفاجأة، سألته عن سبب توقيفه. اخبرني انه جاءه احد رجال الأمن العام في طرابلس الى الاستوديو وأبلغه انه مطلوب « خمس دقائق » الى الدائرة، لسؤال وجواب. فأغلق المحل ورافقه. هناك في الدائر تبليغ انه مطلوب الى بيروت. عبثا حاول اقناع المأمور بالعودة الى الاستوديو لاقفاله. كل ما تسامح به انه استطاع ان يرسل خبرا لاحدهم ليقوم بمهمة الاقفال. وها هو الآن هنا. يظن ان السبب هو تهمة الاجتماع المزعوم بناء على وشاية الحارس الذي اصطدم معه يوم موعد المؤتمر.

أما المفاجأة الرابعة فكانت اخلاء سبيل فريد صباغ ووديع الياس مجاعص. دب الأمل في نفسي باقتراب دوري. ما علاقة القاء القبض على أنيس بسرعة الافراج عنها؟ لست ادري. قد تكون مصادفة. قد يكون القاء القبض لتصفية التحقيق واحالته الى المحاكمة. أرسل لي فريد خبرا وداعيا « الوساطة نجحت. أساسا ما علينا شي ».

بدأ أنيس يتذمر فيها قد مضى يومان ولم يحضر أحد لاستجوابه أو يطلب للاستجواب. خطر على باله ان يضرب. راح يقلب الأمر على وجوهه كلها. اخيرا، قر رأيه على ان يخطر الادارة بأنه مضرب عن الطعام وعن الكلام. وصل الاخطار الخطي الى الادارة ورفض قبول « التعيين ». (التعيين هو عدد أرغفة الخبز الذي يوزع على كل سجين يوميا) بتنا نترقب رد الفعل.

استدعي انيس الى باب البناية. سئل ان كان يصبر على اضرايه المزدوج. كان انيس قد تسلح بورق وقلم. كتب جوابه على ورقة وناولها للرقيب أول السائل. غاب وعاد حاملا أمرا بوجوب ايداعه الانفراد. فارقنا انيس. استوحشت غيبته. قضى ليلة بعيدا عنا.

تسللت في اليوم التالي الى انفراده. صرت احذق عمليات من هذا النوع. سألته عما جد وعما اذا كان في حاجة الى أي شيء. سحب ورقة من المجموعة وكتب عليها جوابه. عاملني كالادارة. انه جاد باضرايه عن الكلام حتى معي. قفلت راجعا. ما جد شيء. ولكن عصر اليوم نفسه، انفتح الباب ودلف منه أنيس. اندهشنا. ما طالت غيبته عنا. سألناه بلهفة عما دعاه للعودة الى قواعده متكلمها ومستعدا للاكل. هيأناله طعاما من الحواضر. قص علينا ما جرى له. استدعي بعد ان زرته بقليل الى الادارة.

بلغه أمر السجن ان حضرة المدعي العام مستعد للنظر في موضوعه على شرط فك
اضرابه المزدوج قبل وها هو الآن في انتظار « النظر » .

تفسير الاحلام والافراج

قمنا في اليوم التالي وانيس قد بصر حلما في نومه . حلما قصيرا ، لكنه على كل
حال يحتاج الى تفسير . قصدنا الشيخ محمد كما باقي الناس . عرض انيس عليه حلمه .
خرج انيس من مكان تحت الارض ، قبوا او ماشابه وراح يصعد الدرجات امامه حتى
وصل الى وجه الارض . انا اقتفي اثره . بيني وبينه ثلاث او اربع درجات . استفاق
وهو على سطح الارض وأنا وراءه على الدرج .

قال الشيخ محمد وهو يتسم ويسمل . « انك خارج ، يااستاذ انيس من تحت الارض
الى فوقها اي انك خارج من السجن الى الحرية ، الى الهواء الطلق . المدة التي تفصلك
عن العالم الخارجي هي أيام ، عددها عدد الدرجات لأن فسحتها ضيقة . لا درجات
بينك وبين السطح وقد صرت في أعلاها لذلك انتفى الفاصل يعني ستنال حرمتك إما
اليوم أو غدا والعالم عند الله أما انت وشار بسبابته الي ، فانك يصيبك ما يصيبه .
تخرج بعده بمدة أيام عددها عدد الدرجات » .

وصلتني رسالة وداعية شفوية من الرفيق عمر ترماني . اخلي سبيله نهار أمس وهو
ينوي التوجه الى حلب توا ويتمنى لنا الفرج القريب . بعد الظهر اخلي سبيل الامين
انيس . اعيد النظر بمسألته فكان الافراج دون اجراء أي تحقيق معه . صدق تفسير
الحلم . انصرف انيس مصحوبا بالأدعية .

سررت لوصول النتيجة الى هذا الحد من الحل . ولكن الحقيقة تقال ، اني
استفقدت انيس . عدت الى وحدتي وغربتي . كأني ابتدأت السجن من جديد . كأني في
أول يوم من ايامه . افكار جديدة تتناول الوخز في رأسي . لا راحة نفسية لي . هل
تحصر التهمة في وفي منير؟ او فيّ انا وحدي؟ انتهى الاسبوع الثالث وها اني ابدأ
الاسبوع الرابع من الشهر الثاني . بدأت وانا عرضة لهذه الهواجس والوساوس الجمة .
لاجدوى من كثرة التفكير والتحليل فسلمت امري للتقادير .

بعد يومين جاء الرفيق منير الملاذي بنفسه مودعا . استأذن الدركي المناوب فسمح
له . بقيت وحدي . لم تطل وحدتي هذه المرة اذ في اليوم الخامس والخمسين من توقيفي
تم اخلاء سبيلي - كما جاء في تفسير احلام للحاج محمد المغربي - غادرت حبس الرمل

غير مأسوف عليه ولكن علقت في نفسي ذكريات لاتمحي سترد في كتابي « ابن حبوس » ولكن هنا أود أن اسجل للذكرى اولئك الذين اقترنت اسماؤهم وافعالهم بهذه الفترة الزمنية من الحبس. أولهم ذلك السجن الذي استضافني عند دخولي « القاوش » احمد الاشقر. الذي قدم لي فراشه المتصدر قمة الغرفة والذي رعاني رعاية الهمشري الصديق في بداية اختباري للسجن. ساعدته ان طلبت من الامين قبرصي ان يدافع عنه في المحكمة بدل المحامي المسخر الذي عينته المحكمة. كان يخاف حكم المؤبد للجريمة التي اقترفها لاسباب غرامية فجاء الحكم بعد المرافعة خمسة عشر عاما. بعده يأتي ذكر الرفيق خليل محيو الذي اهتم ببادرة شخصية بتأمين الحصرة والفراس واللوازم التابعة لهما فثبت العلاقة الحزبية العفوية الفورية بهذا العمل وتبعه مقابلة في السجن حصل عليها بعد س. ج. طويلين من قبل مدير السجن عن علاقته بي ولماذا يريد مقابلتي فخرج منها الرفيق محيو ظافرا واهم ما جرى في هذا الحوار عن موضوع «الزيت» الذي ينوي بحثه معي وهو لا يتحمل التأجيل وكذلك الرفيق فهد حريق الذي اهتم بتأمين حاجياتي مع الرفيق محيو وأخيرا بعد صداقة الدركيين بطرس وأبو كمال، كاتب النيابة الماسك بحسابات المساجين المواطن حليم أي صعب من عيتات، قضاء عاليه، الذي أصبح سوريا قوميا اجتماعيا في السجن والتزم بالقسم بعد خروجه وسأتي على ذكر بعض اعماله في الحلقات القادمة وكذلك محمد أحمد المنصوري من عيرون - بنت جبيل الذي آمن على يدي في الغرفة عن طريق الغاء الاقطاع الذي



خليل محيو



الرفيق فهد حريق

كان يسعى اليه على طريقته الخاصة فأصبح فيما بعد ملتزما بالقضية القومية الاجتماعية وتصبح محاربة الاقطاع جزءا من محاربة أعم ضد جميع أنواع المفاسد الاجتماعية في الامة. كان ضد أحمد الاسعد، رمز الاقطاع بنظره فأصبح ضد أي اقطاع او ما شابه في اية مقاطعة من مقاطعات وطنه الكبير.

الوضع السياسي والحزبي

أما من جهة الوضع السياسي في الكيان اللبناني فانه بإمكاننا ان نقول ان مرحلة الهدنة قد انتهت مع مرحلة حكومة خير الدين الاحدب، الصديق الوفي واذا شئنا ان نتوسع فبإمكاننا القول ان مرحلة الهدنة انتهت فعلا مع انتهاء تعيين الكونت دي مارتيل مفوضا ساميا للشام ولبنان وتعيين قبريال بيو سفير فرنسا في النمسا الذي كان بلا شك، يحمل سياسة جديدة لتنفيذ في المنطقة المشمولة بالانتداب الفرنسي.

اما من جهة اخرى فقد تناوبت على الحكم في هذه الفترة الانتقالية وزارتان بعد استقالة وزارة الاحدب. الاولى برئاسة الامير خالد شهاب، دامت عدة اشهر. والثانية برئاسة الدكتور عبد الله اليافي الذي المحنا في حلقة سابقة الى صعود نجمه السياسي.

قد يكون ما ذكرت منطبقا على الواقع المحلي انما اذا نظرنا الى الوضع بمنظار انترناسيوني فلا بد من تسجيل تأثيره على الاوضاع العامة في شرق البحر السوري المتوسط اعني بذلك مسألة سلخ لواء الاسكندرون. ففي الرابع من تموز 1938 انعقدت معاهدة الصداقة التركية - الفرنسية التي نصت في البند الثالث بسلخ لواء الاسكندرون عن الجسم السوري واعلانه دولة تتمتع بحكم جمهوري، بارجحيتهما تركية، ذات استقلال تام في شؤونها الداخلية وأعطيت اسم « هاتاي ».

ان المؤامرة على سلخ اللواء لم تكن مؤامرة تركية - فرنسية فقط بل اشتركت فيها دولة بريطانيا العظمى وكان لا بد من ضحية تفندي هذه المؤامرة - المعاهدة من الجانب الفرنسي فكان دي مرتيل هذه الضحية - الفدية. خصوصا اذا تذكرنا ان الادارات الفرنسية المحلية ان في المفوضية او في « السنجق » كانت غير موافقة على سياسة فرنسا المركزية في باريس، لذلك اعتقد ان اهم عامل في تغيير المفوض السامي الفرنسي كان هذا العامل الانترناسيوني خصوصا بعد ان ضح السوريون في جميع كيانات الوطن وفي بلدان الاغتراب عبر الحدود لهذه المؤامرة مما جعل المسيو

« رابار » نائب رئيس لجنة الانتدابات الدائمة في العصبة الأممية ينبري لينتقد حيثيات المعاهدة المشؤومة التي تستند على حجة واهية هي « تأمين الصلح والسلامة في البحر الابيض المتوسط »، ووصفها بأنها انتهاك فاضح للبند الرابع في صك الانتداب الذي يوجب على الدولة المنتدبة ضمان سلامة الاراضي اللبنانية والشامية .

الوضع الحزبي

كان الوضع الحزبي المركزي عند ختام السنة الحزبية السادسة في مرحلة انتقالية من العلنية السافرة الى نوع يتراوح بين السرية وشبه السرية، وذلك بعد مؤتمر « الاستعداد » على اثر رحلة الزعيم. استقال الخازن العام الامين بشير فاخوري وعين بدلا عنه الرفيق احمد مفتي بينما بقي الامين فاخوري يمارس مسؤولية ناظر مالية منفذية المتن. لا أعرف معلومات تدل على أي نشاط لمجلس وكلاء العمدة الذي ترأسه الامين قبرصي .

ألغى مكتب جريدة « النهضة » الذي كان مركزا للحزب وانتقلت محتوياته الى عهدة الرفيق عبد الرحمن عكاوي كما كانت محتويات مركز الحزب قد جمعت ووضبت في شنطتين كبيرتين نقلتهما الى منزل الرفيق نقولا بردويل في الاشرافية الذي احتفظ بها في مكان مجهول منا جميعا .

في بيروت

وبرز في الساحة البيروتية بعض الرفقاء اذكر منهم توفيق سليمان من جون ومن سكان فرن الشباك، أمين خويس في رأس بيروت، كمال هرموش في وطا المصيطبة .



خليل علي طفيلي



شكيب أبو مصلح

محمد بدر الذي نال لقب بطل الملاكمة وهو طرابلسي من سكان بيروت وخلييل محيو في المزرعة الذي كان ألف جمعية عندما كان طالبا في مدرسة رأس بيروت للاميركان مع الرفيق ويكتور أسعد، غايتها محاربة اليهود ولأجل ذلك بدأ باقتناء العدة فاشترى مسدسا. كان ذلك سنة 1937 ثم عاد ليلتقي مع رفيق السلاح في الحزب السوري القومي الاجتماعي شكيب ابو مصلح في عائشة بكار الذي كان قد انتمى على يد الرفيق سعيد صالح عبد الملك من بتاتر، الذي الحق بمديرية المصيطبة التي كان مديرها بديع عبد الصمد من عماطور، الموظف في بلدية بيروت وخلييل جابر صعب من الشويفات. كذلك برز نشاط الرفقاء جمال، جميل، نايف، معروف، وفؤاد الذين كانوا قد انتموا على يد المدير أسعد العقيلي من بعقلين الذي مرّ ذكره ولا يجوز الا ان نمر بذكر عبد الرحمن حجازي من مديرية جبل النار (البسطة) الذي كان لولبا اذا عيا لا يهدأ ومن نشاطاته ادخال عيسى حمادة وخلييل الطفيلي من دير الزهراني - النبطية الذي كان يعمل حلاقا مثله والذي انطلق بدوره ناشطا في منطقة زقاق البلاط. كان مدير المديرية في هذه الاثناء وفيق زين. هذا مع العلم ان التنفيذية كباقي فروع الحزب انتقلت الى السرية واصبح اتصال كل وحدة حزبية محصورا بالمسؤول عنها فقط وهو بدوره يتصل بأحد المسؤولين المعينين لهذه الغاية فقط لا غير. يحسّ الامن العام بوجودها لكنه لا يراها ولايلمسها. خصوصا بعد حملة الاعتقالات التي شنتها السلطة والتي أتينا على ذكرها.

بالرغم من هذا الجو جرت محاولتان اخريان لتأديب الصحفي عارف الغريب لم تصيبا الهدف. واحدة قام بها الرفيق امين حمدان الذي كان يسكن منطقة عين المريسة والثانية قام بها الرفيق الحديث الانتاء خليل الطفيلي برفقة الرفيق سميح قصبياقي الذي كان قد انتقل من طرابلس الى بيروت، انما جهها للقيام بعمل ما حولها للتفكير بتسجيل موقف ضد اليهود، ولذلك تم الاتفاق على القاء متفجرات على كنيس اليهود، حصل العمل لكن الرفيق طفيلي اعتقل بينما الرفيق قصبياقي استطاع الفرار. جرى التحقيق واحيلا الى المحاكمة. استسام الرفيق قصبياقي وكانت نتيجة المحاكمة ان صدر حكم يقضي بالحبس شهرا على الرفيق الطفيلي، اخلي سبيله على الاثر لانه كان قد مضى على سجنه شهر ونصف، وبالحبس ستة اشهر على الرفيق قصبياقي قضاها بالتام عدا ونقدا.

قصة البير بدر

أما الرفيق الدكتور البير بدر فقد جاءت منه منحة دراسية من الجامعة فجاء يوماً الى الأمين فخري معلوف يعرض عليه هذه المسألة التي يعتبر أنّ عضويته في الحزب تسبب له مشكلة ربما أودت بالمنحة ولذلك جاء يستشير به بكيفية اعلان انسحابه فنصحه الأمين فخري بان يتقدم بطلب رسمي يعرض فيه وضعه ويقترح اعفائه من ممارسة هذه العضوية فاقنع وعمل بالمشورة وتقرر حزبياً تلبية طلبه فكان اول عضو في الحزب يسمح له بعدم ممارسة الواجبات الحزبية .

قصة الندوة الثقافية

في سنة 1937 خالجت الادارة القومية فكرة عقد مؤتمر للمدرسين وذلك منذ بدء العمل القومي الاجتماعي وكانت العزيمة واضحة ولكن الحوادث السياسية التي تلت المحاولات الاعدادية منعت خروج هذه العزيمة الى حيز الفعل فبقيت قصدا كامنا.



فخري معلوف

أما الندوة فهذه قصتها بقلم الامين فخري معلوف: يروي الامين فخري معلوف في مقاله «ناحية من نواحي النهضة القومية» العدد 109 من «سورية الجديدة» تاريخ 29 نيسان 1941: «ان الذين يظنون ان

مجرد جمع عدد من الكتاب في مؤسسة أو جمعية كافيًا لأن يؤد منهم تياراً فكرياً موحد الاتجاه يخطئون كثيراً. والذين يعتقدون ان النهضة الفكرية يمكن لها ان تنشأ بين عشية وضحاها على اثر بلوغ الامة اهدافها السياسية يخطئون اكثر، ان النهضة الفكرية يجب ان تصاحب العمل القومي وتنمو معه وتكون عاملاً من عوامل قوته كما يكون هو عاملاً من عوامل تنبها. هذه الحقيقة بدت لنا جلياً في اختباراتنا في الندوة الثقافية التي كان من حظي ان اكون احد اعضائها الاول. لقد اجتمع اولئك الشبان والشابات تجمع بينهم العقيدة الواحدة والارادة المشتركة في توليد الاساس الفكري للنهضة القومية التي ينتمون اليها ولكن لم يطل بهم الوقت حتى شعروا بالبون الشاسع بين ما هم عليه من الاستعداد وبين مسؤولية الخدمة التي يبغون تأديتها التفكير لايزال متشعثاً والمبادئ الوحيدة التي تجمعهم لم تصبح بعد واضحة الاثر في جميع تشعباتها وتفسيراتها العملية، لم يكن في هذه الجماعة البلبلة التي تجدها في جمعياتنا واحزابنا خارج الحزب السوري القومي لان نواة الوحدة كانت ماتزال امكانية فحسب. ورأى الزعيم ذلك فاخذ يكرّس قسماً كبيراً من وقته الثمين ليحضر بنفسه اغلب اجتماعات الندوة وليتولى نقد الاراء التي تعرض وتعين قيمة الابحاث التي تتلى دالاً على ما لها من القيمة ومنبها الى ما فيها من الاخطاء. والاعضاء يصغون الى حديث الزعيم بتقدير واحترام ومحبة.

وجاء الوقت الذي قرّر الزعيم فيه مغادرة البلاد بناء على خطة حزبية مرسومة. وخسرت الندوة الثقافية حظ الاتصال المباشر بزعيمها على ان الاتجاه الذي كان وضعه خلال العام السابق اعطى للندوة حيوية كافية للاستمرار في الاتجاه الذي اراده لها، غير ان الاعضاء شعروا انهم مازالوا بحاجة الى التعمق في فلسفة عقيدتهم فقرروا صرف العام التالي في درس كتاب «نشوء الامم» درس تمحيص وتمعن.

في خلال العام المدرسي 1938 - 1939 شرفني عمدة الاذاعة بتولي رئاسة الندوة وطلبت مني ان ينحصر عملنا في درس كتاب «نشوء الامم» فقبلت المهمة بسرور وحماس. وقد اخذنا نجتمع بعد ذلك نحواً من اربع ساعات متوالية كل اسبوع. وكان عدد الاعضاء يتجاوز الاربعين، فهم اساتذة في الجامعة الاميركانية والجامعة اليسوعية وكلية المقاصد وغيرها من كليات بيروت ومنهم المحامي والطبيب والصحافي واذكر

انه من خلال ذلك العام لم يتغيب من الاعضاء عن الحضور للاجتماع غير بضعة افراد في مرات قليلة جدا ولاسباب قاهرة ارسلوا في صدها اعتذارات خطية .

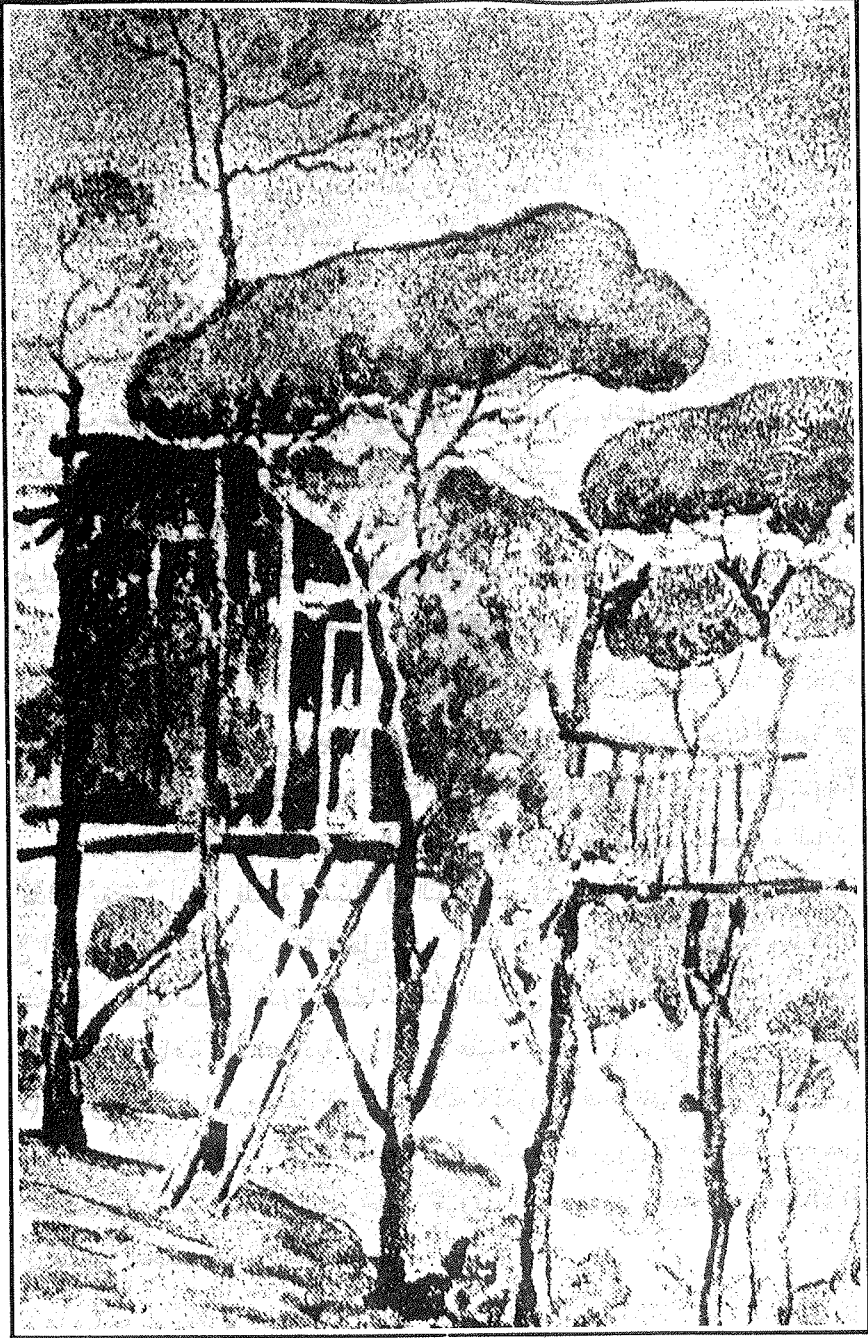
في هذه الاجتماعات المتوالية درسنا كل كلمة من كلمات الكتاب ورجعنا الى مراجعه الأولية وبجنا تطبيق مبادئه المقررة على حالاتنا الواقعية، وكثيرا ما كانت تستمر الابحاث في سائر ايام الاسبوع .

اذكر هذه الامور لأرى الذين يعجبون من تضامن الفكرة القومية في كتاب الحزب ومفكره . ان هذه النتيجة لم تحصل عفوا بل كلفت ثمنها من الجهودات .

ورأت عمدة الاذاعة ان توسع دائرة هذا العمل فامرت بانشاء الندوات الثقافية في مختلف الفروع وكانت ترسل اعضاء مؤهلين من المركز لحضور تلك الاجتماعات والاشراف على توجيهاتها فتشأت فروع للندوة في مناطق عديدة اذكر منها دمشق وطرابلس وحلب وعدد كبير من القرى التي وجد فيها الاستعداد وانتشرت مع النوادي فكرة انشاء مكاتب ثقافية فأسس الاعضاء عددا كبيرا منها في جميع مناطق الحزب وفروعه .

نعود الان الى الندوة المركزية . لم يطل الوقت على اعضاء الندوة حتى اكتشفوا ان الحقائق العلمية والتاريخية المثبتة في كتاب « نشوء الامم » تقتضي كتابة تاريخ سورية من جديد وبعث حضارتها في مختلف العصور ونشر قدامه نوابغها للحضارة العامة ، وكذلك يقتضي انشاء فلسفة جديدة في النقد الفني وفي العلوم الاجتماعية . وكان كل من الاعضاء يعين محله من هذا العمل الكبير المشترك تبعا لناحية اختصاصه ومؤهلاته فتشكلت حلقات ضمن الندوة بعضها للبحث التاريخي وبعضها للنواحي الفنية وبعضها للمواضيع الاجتماعية والاقتصادية . ورأى الاعضاء نتيجة اعمالهم التي كانوا ينشرونها كلما تسر لهم ذلك في صحف الوطن ومجلاته فشحروا بالحاجة الى انشاء معهد قومي يتولى تعزيز هذه الحضارة الجديدة النامية ، وقد نشرت « سورية الجديدة » بعض الابحاث حول هذا المشروع الذي حالت ظروف الحرب دون تحقيقه حاليا ولكنه لم يزل منتظرا التحقيق عندما تسنح الفرصة .

هذه لمحة سريعة عن ناحية من نواحي النهضة القومية حاولت ان ابين فيها الطريقة الصحيحة لنشوء المؤسسات وكمية الجهودات المطلوبة لاعطاء النتائج الكبيرة .»



لوحة فنية لعزال الزعيم رسمها الفنان مصطفى فروخ

ماذا في البرازيل ؟

كان في البرازيل عموماً وفي سانبولو خصوصاً تيار مؤيد للحزب لما كان يتمتع به الزعيم من مكانة اجتماعية ان من جهته هو او من جهة والده الدكتور خليل سعادة. اما اول عضو اغترب اليها كان الرفيق يوسف ملكي من عكا، الذي كان قد استأذن الزعيم بهذا السفر في أواسط السنة الحزبية السادسة. كما مرّ بنا. وكان من امر هذا التيار المؤيد تلك الرسالة التي بعث بها الشاعر الياس فرحات الى الزعيم على اثر انكشاف امر الحزب ولكن ما ان تمضي هذه الفترة الزمنية بين الرسالة وبين سفر الزعيم الى البرازيل حتى يصاب الشاعر فرحات بنكسة وذلك بتأثير من متبعي سياسة الكتلة الوطنية في المهاجر دون فهم لمبادئ الحزب وللنهضة السورية القومية الاجتماعية فكان ان بعث الشاعر فرحات الى أحد هؤلاء «المنتفضين» على سياسة الحزب السوري القومي الاجتماعي يدعى عبد النور ستوت، اصله من قلحات الكورة ومن سكان الاوروغواي برسالة يناقض فيها موقفه السابق المؤيد.

نشرت مجلة « المناهل » الصادرة في الارجننتين هذه الرسالة فقرّر مدير ادارة جريدة النهضة الرفيق جبران جريج بعد موافقة عمدة الاذاعة ان يكتب ردّاً على مضمونها لتتشر في المجلة المذكورة.

الرسالة الرد

فيما يلي الرسالة التي وجهتها الى الشاعر الياس فرحات في البرازيل والى الصديق عبد النور ستوت في الاوروغواي وذلك رداً على مغالطات وردت في رسالة من الشاعر فرحات الى الاديب ستوت وذلك في تاريخ 27 آب 1938 وقد نشرت في مجلة المناهل التي تصدر في بوانس ايرس بتاريخ تشرين الثاني من السنة نفسها.

كنت اتمنى لو حصلت على نص رسالة فرحات فيستوفي هذا الموضوع كامل شروطه ولكن يمكن للقارئ استخلاص ماورد فيها وذلك في نص ردي عليها. اما الزعيم فقد كتب عنها في احدى رسائله الى المجلس الاعلى يثني على اهتمامي بهذا الموضوع مُبدياً ملاحظتين اساسيتين:

الاولى: ان الرسالة تحتوي على سرد لا بأس به عن بعض المواقف وهذا امر مرغوب فيه.

الثانية: ان فيها بعض النقاط الضعيفة ومنها ما كان من المستحسن عدم ذكرها.

نص الرسالة

من مدير جريدة الحزب السوري القومي في بيروت الى الشاعر الياس فرحات في البرازيل

استلمت ادارة المناهل هذه الرسالة من السيد جبران جريج مدير جريدة النهضة في بيروت، لسان حال الحزب السوري القومي، ردّاً على ما كان قد نشره الشاعر المبدع الياس فرحات في عدد ماضٍ حول الحزب المذكور.

نشر الرسالة كما هي، فاسحين المجال لفرحات ليردّ على ما جاء فيها مما يخصه، محتفظين لانفسنا بحق الرد على بعض مقاطعها. وهذه هي الرسالة بحذافيرها:

حضرة هدير ومحرّر مجلة المناهل المحترم.

تحية وسلام ثم ارجو ان تنشروا هذه الكلمة عملاً بالزمالة الصحفية وخدمة للحقيقة تحت امضائي ردّاً على الرسالة التي بعث بها الشاعر فرحات الى الاديّب عبد النور ستوت التي اغتبطتم بان تنفردوا بنشرها دون سواكم ولكم الشكر.

الى الشاعر الياس فرحات في البرازيل

والى الصديق عبد النور ستوت في الاوروغواي

سلام اليكما اما بعد فلست ادري موضوع النقاش بينكما الذي استوجب هذه الرسالة التخلّصية التي تقع في 7 صفحات من المناهل الغراء من طرف الشاعر فرحات التي ان تعبر عن شيء فعن انكسار فظيع واندحار مريع وعن عدم تفهم حقيقة الامور

الواقعية في الوطن امام مناقشة وهجوم الاديب ستوت الذي استطاع ان يستخلص من الشاعر فرحات رسالة يستنتج من قراءتها عدم تفهم مبادئ الحزب السوري القومي وزعامته من قبل الطرفين.

ارى ان الشاعر فرحات يفسّر الحرية للاديب ستوت ويحدّدها بان يهجر ابويه والمنزل الذي وُلد فيه في العاشرة من عمره وان لا يزور عيلته اي « امرأته واولاده » الا لماما فيتحمّل هكذا مضض الشوق اليهم لانه خلق ليعيش حرا وبما انه خلق ليعيش حرا لا يمكنه ان يتعلّق في حزب من الاحزاب كأنه يريد ان يقول ان كل من ينخرط في سلك حزب يصبح عبداً؟ ليته تفهّم رموز الزوبعة الحمراء، علم الحزب السوري القومي التي ترمز الى اربع مثل عليا هي « الحرية، الواجب، النظام والقوة » اي ان هذه الحرية التي يتوق اليها كل فرد من افراد امتنا لا يمكن ان يحصل عليها الا اذا ادى واجبه بنظام حتى تتكوّن تلك القوى التي وحدها توصلنا الى الحرية. اذن الحرية بالقوة وليست بهجر الابوين وعدم زيارة العيلة وعدم الانتماء الى الاحزاب!!

ثم يقول الشاعر فرحات ان حضرة الزعيم الجليل كان ثقيل الظل، غير محبوب من الادباء الكبار، يُنفّر منه في مجتمعات سان باولو، كثير الدعوى والغرور فسبحان من يغيّر ولا يتغيّر فان حضرة الزعيم المفدى محترم ومحبوب ليس لانه اوجد المبادئ القومية واسس الحزب السوري القومي وقام يجاهد ويناضل ويضحّي في سبيل سورية ومجدها فقط بل لخفة دمه وتواضعه وتقربه الى الجميع حتى اصبح جزءاً لا يتجزأ من كل من عرفه معرفة تامة فهو يستولي على الشخص بتفكيره السامي وعاطفته النبيلة وحديثه العلمي المقنع وخصوصا بشخصيته البارزة التي تفرض الاحترام والاجلال وتحنق الانانية وحب الذات خنقا بما فيها من هيبة ووقار.

كل سوري قومي قدّر موقف الشاعر فرحات في تلك الرسالة التي وجّهها الى الزعيم المفدى وهو في السجن وبها يعلن تحبّذه للقضية القومية وقائدها الجبار انما الآن يعود ويقول انها كانت للتنشيط فقط وقد املاها الحماس والاندفاع ثم يأتيه مخبر ويقول ان الرسالة استغلّها الحزب السوري القومي لانه نشرها في جريدته فليطمئن بال شاعر فرحات ان الحزب السوري القومي لا يحتاج الى استغلال رسالته او غيرها لان قوته ليست في الرسائل وشخصيات كاتبها بل هي في جنوده الاحرار المؤمنين بحقهم في الحياة، المستعدين للقاء الموت متى كان الموت سبيلا الى الحياة.

والآن لنلقِ نظرةً وجيزةً على هذه الرسالة على ضوء تصريحه الجديد ولنستخلص منها روحيتها الحقيقية مع علمنا انه يصريح عن عدم وجود علاقات ودية دائمة بل كان يتخللها في كثير من الاحيان كثير من النفور.

نص الرسالة

لاباه البرازيل، في 11 شباط سنة 1936

عزيزي انطون

حياك الله يا انطون وسدد خطاك وبيّض وجهك يامبيّض وجه الوطن ووجه اخوانك المهاجرين، لقد كان اول ظهورك كبيراً يا انطون حتى لكأنك الشمس وقد خرقت حرمة النظام الطبيعي اذ بزغت بغتة في منتصف الليل. لقد حاولت مرارا ان اكتب اليك مهنتاً بهذا العمل العظيم ولكن كان يصدني جهلي كيف اكتب اليك وبأية واسطة حتى ذهبت أخيراً الى سان باولو وسألت اخاك ادوار عن الطريق فدلتني وها انا الان أقوم بواجب تهنتك مسروراً. لا حديث في سان باولو وفي معظم الاقطار الاميركية الا حديثك يا اخا الهمم واني اؤكد لك ان اخوانك كلهم وانا مجسدونك على هذا السجن الشريف الذي ساقك اليه عمك الطيب الممتلئ عظمة ومجداً. اقول انهم مجسدونك والحسد في هذا الموضوع فضيلة. زدت رفعة يا اخي وبلغت ما تمنى وما يتمنى كل غيور مخلص لسورية والعرب ولا زلت القائد الذي ينضوي تحت لوائه الاحرار. واعلم ان الأشهر الستة التي ستقضيها في سجنك كما قرأت مؤخراً ان هي الا البوتقة التي تزيد معدنك الطيب طيباً وجوهرك اللامع لمعانا. واسلم معافى لأخيك وأحد جنودك.

الامضاء: ا. فرحات

مما لاريب فيه ان الحسد في هذا الموضوع فضيلة ان كانت عاطفة الاخلاص والتقدير مسيطرة على النفس ولكن يظهر ان الشاعر فرحات كان يضم عكس ما يكتب والا كيف نستطيع ان نفسر قوله تزيد معدنك الطيب طيباً وجوهرك اللامع لمعانا، وهو ذلك الثقيل الظل، المكروه من الادباء الكبار، الكثير الغرور والدعوى، اذ ان هذه الصفات لامتت بصلة الى المعدن الطيب ولا الى الجوهر اللامع ولذلك اجراً ان اصريح ان حسده لم يكن على السجن الشريف بل على العظمة والمجد ينالها اديب صغير.

اما قول الشاعر فرحات انه بعيد عن ان يكون جنديا لانطون فقد اخذناه عليه يوم نشرت رسالته لان كل سوري قومي يعتبر نفسه جنديا لسورية فقط تحت لواء قائده الجبار سعاده وعلم الزوبعة الحمراء اما انطون سعادة فليس الا فردا من افراد هذه الامة اما الزعيم فهو تلك الشخصية العامة التي تمثل الفكرة والوف الالوف من الشباب الذين جعلوها ايمانا لهم وعقيدة.

ليت الشاعر فرحات كلف نفسه البحث عن اصل الارقام التي سماها افرنجية ليدرك ان الارقام التي يستعملها هندية والتي نستعملها عربية استعملها العرب في ثمان مئة سنة مضت وفي هذه المناسبة اعرفه ان المغاربة لا يزالون يستعملونها حتى اليوم فيجلي بهذا البحث سراً من اسرار الحزب السوري القومي التي كبرت على عقله!!

واما قوله ان الحزب السوري القومي يزعم ان الشام غير سورية والحقيقة ان الشام هي سورية جملة فهذا قول لغوي صحيح ولكن في الواقع السياسي فالشام اليوم جزء من سورية الطبيعية لاغير فلذلك فالتعبير « حكومة الشام » تعبير سياسي لتعريف الاوضاع الحاضرة السياسية كما يقال حكومة لبنان او حكومة فلسطين او حكومة شرقي الاردن وكل منها جزء من سورية الطبيعية وهكذا لايعود احد يستغرب ان لايتعرض الحزب السوري القومي لكيان لبنان السياسي كما انه لايتعرض لكيان الشام السياسي او لكيان فلسطين وشرقي الاردن السياسي في الوقت الحاضر وان يكن مركز الحزب السوري القومي في مدينة بيروت السورية والحق يقال، لست ادري كيف يجوز ان نسمي حكومة الشام حكومة سورية وهي لاتضم الا جزءا صغيرا من سورية وهي المدن الاربعة المعروفة مع منطقتي اللاذقية وجبل حوران ان صدقت المعاهدة.

يقول الشاعر فرحات ان جريدة النهضة او جريدة الحزب السوري القومي، تتعمد الاساءة الى العرب وتهكم على المتمسكين بالعروبة لذلك اجيب ان النهضة لم تنشر سوى الوقائع الحقيقية عن العرب وان كان الواقع عكس ذلك فليكذبها الشاعر فرحات بما لديه من اشعار وقصائد. اما التهكم فهذا لا بد منه على كل خيال ينكر شخصيتنا القومية، شخصيتنا السورية الخاصة فان كان يريد ان ننخدع ككل كريم بالعرب والعروبة فهذا بعيد جدا عن القوميين المقيمين والمهاجرين لان القوميين لا يؤمنون بالخيالات والاحلام بل يؤمنون ايمانا راسخا بالحقائق الواقعية العلمية ويعالجونها على ضوء مبادئهم القومية بكل اخلاص واضعين مصلحة سورية فوق كل

مصلحة حتى فوق مصلحة ابن سعود او ابن سعيد ولذلك فارقص من الالم ما تشاء فالقوميون لن يسمحوا ابدا لغير السوري المخلص ان يتدخل في شؤون سورية الداخلية والخارجية لان التمشي على نظرية الشاعر فرحات دليل عجزنا ومقدرة غيرنا ونحن لسنا بالعاجزين بل اقدر من غيرنا وهذا عملا بالمبدأ القائل: القضية السورية قضية قومية قائمة بنفسها، مستقلة كل الاستقلال عن اي قضية اخرى.

اما هذه الروح الضعيفة، المتكئة دائما على الغير، المعترفة بمقدرة غيرها وعجزها هي، المتجاهلة قواها الكامنة وامكانياتها وغنى وطنها، المتهكمة على كل من يحرص على كل شبر من ارض وطنه السوري المقدسة. والمزدرئة بعشرات الالوف من الشبان المستعدين للموت في سبيل الدفاع عن حدود وطنهم فلا اقول عنها سوى انها روح جاهلة لحقائق الامور، ضائعة في خضم من التصورات الشعرية التي لاتعبر الا عن اوهام واحلام.

اما تحامل النهضة على الكتلة الوطنية واعتبار هذا مأخذا على الحزب السوري القومي فهذا يدل ايضا على جهل الشاعر فرحات السياسي الفاضح فلو علم مثلا ان سياسة الكتلة العنصرية العربية هي التي حركت الاكراد لانهم ليسوا عربا بل سوريين وسياستها الطائفية الاسلامية المتجلية في رسالة فخري البارودي التي وقعت في يد الكردينال تبوني فحركت السريان وهكذا تركت الباب المفتوح امام الافرنسيين للتدخل بدلا من ان تمشي على المبادئ القومية العلمانية التي لاتفرق بين عنصر وطائفة بل كلهم سوريون التي كانت دائما تطالب بتطبيقها النهضة حتى اخيرا منعت من الدخول الى منطقة الشام ولو عرف الشاعر فرحات ان تسرع الكتلة بتصديق المعاهدة التي تعترف باحد بنودها ان مسألة الاسكندرونه تبحث فيما بعد فتركت المجال حرا للسياسة الافرنسية - التركية تلعب كما تشاء فكان فقدان اللواء ولو علم الشاعر فرحات ان سياسة الكتلة الاحتكارية سببت قلاقل منطقتي اللاذقية وجبل حوران وهي لاتزال ولو عرف ان الكتلة تحارب الحزب السوري القومي لا لسبب الا لانها لاتريد احزابا غيرها فكل شيء يجب ان يصدر عنها مع ان الحزب السوري القومي ايد سياستها اولا بطلب الوحدة السورية سنة 1936 بعريضته المشهورة مع مئات البرقيات حتى من المناطق المارونية والمذكرة الاقتصادية التي تبين الوحدة الاقتصادية والمذكرة السياسية الاخيرة والوفد ماراً برياق عن ضرورة الوحدة السورية القومية او على الاقل

ايجاد بند في المعاهدة ينص على الوحدة السورية القومية فيما بعد تحفظا للمستقبل فكان ان تنازلت الكتلة عن فكرة الوحدة السورية وتمسكت بالوحدة العربية واحلامها تاركة لبنان، والمذكرة بقضية الاسكندرونه مع استعداد القوميين للدفاع بدمهم وروحهم، لو عرف الشاعر فرحات ما تعمل اذنان الكتلة بايعاز من رجالها البارزين وقضية الدكتور شهبندر الاخيرة واحالته الى المحاكمة بموجب قانون قمع الجرائم لخلج من التللف باسمها. هذا واني اذكره بتصريح معالي رئيس وزراء حكومة الشام بينما اتاتورك يهجم على سورية فينتزع لواء الاسكندرونه: اتاتورك ليس ابا للاتراك فقط بل هو اب الشرق ايضا. اما شخصية فخري البارودي فليت الشاعر فرحات موجود في دمشق لامسكه من يده وآتي به الساعة الحادية عشرة ليلا الى شارع جمال باشا فاعرفه على فخري بك زعيم الشباب.

اما تأليه سعادته فاني اهنيء الشاعر فرحات برصفائه - لانه ان كان ثمة تأليه ينظره - فهو صادر عن شعراء مثله. أما قوله انه عرف الزعيم في صغره متألما فوق مصاف البشر فهي نظرة شاعر ايضا ولكن على كل حال، دليل ان الزعيم كان يعرف نفسه تماما منذ صغره وكان يشعر بالرسالة التي يجب ان يؤديها الى امته السورية ووطنه سورية والى العالم العربي فيما بعد.

وقول الشاعر فرحات ان الزعيم وحده - بنظر القوميين - القادر على انقاذ سورية فهذا مما لا يختلف فيها اثنان ممن يدركون موقف سورية تماما والآن اقول غير هيباب من تهكم الشاعر فرحات ان سورية لن تصبح دولة بكل معنى الكلمة محترمة الجانب من الامم الراقية المتعدنة ولن تستطيع ان تؤدي رسالتها الى العالم العربي بصفتها منه الا عن طريق الحزب السوري القومي بزعامة سعادته الجبار شاء فرحات الشاعر ام ابى.

اما تغيير موشح الشاعر فرحات ارضاء لعاطفة احد من الناس فهذا لا يغير حقيقة حدود الوطن السوري اذ ان حدود وطننا ليست معلقة على بيت من الشعر او على عاطفة شاعر او احد من الناس.

وخلاصة القول ليطمئن الشاعر فرحات الغيور ان الحزب السوري القومي لا يؤله سعادته ولا يتعرض للعرب والعروبة اذ ان ذلك واضح في المادة الاولى من دستوره التي تنص: غاية الحزب السوري القومي بعث نهضة سورية قومية تعيد الى الامة السورية

حيويتها وقوتها وتنظيم حركة تؤدي الى استقلال الامة السورية استقلالا تاما وتثبيت سيادتها وتأمين مصالحها ورفع مستوى حياتها والسعي لانشاء جبهة عربية، ثم تصريح الزعيم الجليل في شرحه مبادئ الحزب ان الامة السورية هي احدى الامم العربية ولن تتنازل عن مركزها في العالم العربي وان لسورية رسالة اليه ايضا.

ولو طالع الشاعر فرحات دستور الحزب السوري القومي وشرح مبادئه بقلم الزعيم لما رقص مذبحا من الالم رقصات ورقصات ولكفى نفسه كتابة الرسالة الى الصديق الاديب عبد النور ستوت لانه كان اكتفى بالحاشية وكان كفانا مؤونة الرد على رسالته ولما احتاج الى الاعتراف علنا بانه خدع والكريم من ينخدع فهو اليوم مخدوع اكثر منه في اي ظرف.

هذا ودمتم للحق والجهاد في سبيل سورية ومجدها.

واذكروا دائما فلسطين والاسكندرونه

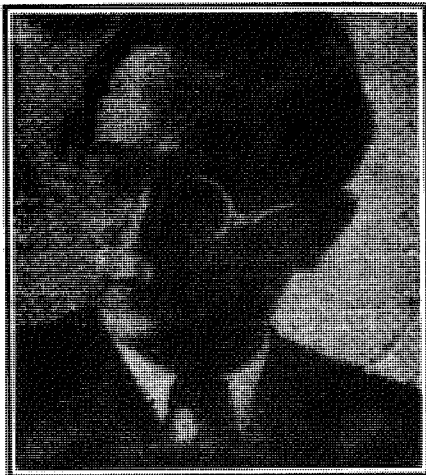
ولتحية سورية وليحي سعادته

في 27 آب سنة 1938.

مدير جريدة النهضة

جبران جريج

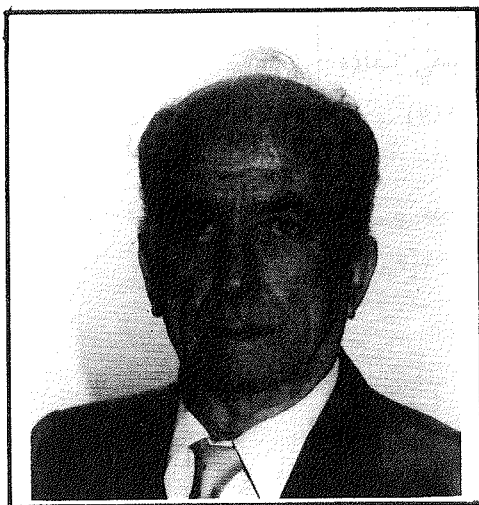
نشاط عبر الحدود



الرفيق أسد الأشقر



خالد أديب



أحمد إسماعيل

في شاطئ الذهب - غانا والمارتينيك

كان الرفيق اسد الاشقر اول منفذ عام لمنفذية شاطئ الذهب ومن اهم اعماله تأمين المال لطبع كتاب «نشوء الامم» اما من الاعمال الاخرى التي تذكر تلك الحفلة الكبيرة التي اقامها على شرف الامين خالد اديب لدى وصوله الى المغرب الافريقي وخطابه القيم الذي القاه في هذه المناسبة، نقتطف... منه هذه الفقرات القيمة. « ما اجمل الاجتماع باشقاء الجسم والروح! اليوم اشعر لأول مرة في حياتي بيقظة العالم السوري، فالعالم السوري هو نحن، نحن الذين لا يتجاوزون الخمسين عدا، (هذا في هور كوماسي) نحن الذين كنا لعام مضى لانجمننا الا زيارات تقليدية ومناسبات صدفية، نجتمع اليوم وكأن كهرباء قومية جذبتنا جميعاً فوحدتنا بافكارنا واميلنا شخصاً واحداً هو السوري وعقيدة واحدة هي القومية السورية».

« القومية: ما هي القومية؟ اهي حزب سياسي استشاري كما يظنها سطحيو الافكار؟ اهي جمعية الحادية ترمي الى هدم الدين كما يصورها رجال الدين؟ اهي تعمل لدولة اجنبية كما يتشدق الرجعيون؟ كلا، القومية السورية هي انقلاب فكري او تجدد قومي يسلم افكار المرء عن انانيته ويوجهها الى آفاق مجموعته، قائلاً له ان الانسان يجي بقوميته ومجموعه وليس لشخصه هي فكرة تحرر الدين من الطائفية الخبيثة وترفعه نحو السماء، فلو اكلنا ثمار الارض وروحنا جائعة فنحن جائعون ولو جمعنا مال العالم وكرامتنا مفقودة فنحن افقر بني الانسان».

« لقد شاءت سنة التجدد وعبقورية الزعيم بعث الامة السورية فبعثت حية تجاهد وتستميت. قلت سنة التجدد لا سنة التطور، لان المدنية السورية التي نشرت اعلامها

في الشرق والغرب من الوف السنين والتي رقدت او قهرت نحو الفي سنة، تسعى لتجدد في الجيل العشرين فهي اذن تتجدد لا تتطور».

« ان همّ حكومات سورية الحاضرة من امر المهاجرين هو همّ الفلاح الذي يعلف خروفه لينحره في ايام شتائه المثلج وياليتهم يعلفوننا كما يعلف! بل يودعون مصرنا الى القضاء والقدر ولا يروننا الا بعين جشعة جائعة».

« على صروح العهد الخانع المتزعزع وعلى سطوح المؤسسات الدينية الخبيثة المتداعية، وعلى رقاب المساومين على بيع الوطن وتمديد حياته التاعسة، يقف جبار سورية القومي، زعيم السوريين القوميين، وتحت اقدامه تميد مزعزعات العهد البائد المظلم وهو حامل يمينه مشعل القومية المقدسة ويبساره معول الهدم اليقوّض ما شيده الظلم والجهل».

« هو حامل مبضعه القومي ويصدق: « ان الطائفية وحدها اوصلتكم الى مجاهل امصاركم فلاقطعن شرايينها من جسم الامة لتسلم وتسلموا».

« نحن نرى مبادئ القومية تنتشر انتشار نور الشمس في شرقنا الجميل واجتماعنا اليوم. فكرا واحدا وميلا واحدا وقلبا واحدا هو اكبر دليل على امكانيات النهضة روحيا وماديا. وأرجو ان يكون كل منكم جنديا قوميا مضحيا لتصل الامة الى هدفها المقدس في المستقبل القريب» . (النص الكامل للخطاب في العدد 80 من جريدة النهضة تاريخ 20 كانون الثاني 1938).

في المارتينيك

ويقول الرفيق احمد اسماعيل: « وغادرت البلاد وكان بوداعي على متن الباخرة الرفيق جبران جريج وبعد وصولي الى القوادلوب Guadeloupe بشهرين تقريبا تسلمت رسالة من الامينة نجلا معتوق حداد تعلمني انه يستحسن التحاقي بالزعيم الذي غادر الوطن قاصدا البرازيل. ولكن ما ان تهيأت للسفر بعد ان اشتغلت الى ان توفر معي المصروف وتكاليف السفر حتى وقعت الحرب واغلقت طرق البحار فاجبرت على البقاء في القوادلوب.

ما طال مقامي فيها بسبب حادث فردي وقع لي فاضطرت على الانتقال الى المارتينيك حيث اقامت.

في اميركانية

بدأ الحزب في اميركانية يشير الانتباه واني اورد هنا مقطعاً من مقال للشاعر ايليا ابو ماضي نشره في جريدته «السمير» التي تصدر في بروكلن في عددها الثالث وذلك على اثر رحلة قام بها في المدن الاميركية. «وقد رأيت في مدينة «فلنت» ظاهرة قوية تمتاز بها عن سواها. وهي ان فيها للحزب السوري القومي انصاراً من أشد الانصار. وانك لتسمع الحديث في كل بلدة عن الكنيسة او الخوري او الجمعية، اما في «فلنت» فالحديث الاول فيها عن الوطن والقومية والرجال المجاهدين في هذه الحومة. ولاتقتصر هذه النهضة على الرجال وحدهم بل تشمل السيدات ايضاً».

وجاء في تعليق «النهضة» على هذا المقطع في العدد 48 تاريخ 9 كانون الاول 1937 بما يلي: «يلاحظ القارئ في هذا المقطع نقطتين مهمتين في مدى هذا الامتداد. الاولى - ان النهضة القومية كان لها التأثير الكبير في تحويل اتجاه السوريين الفكري فعوضاً عن ان يتحدثوا بحديث «الكنيسة والخوري او الجمعية» كما يفعل غيرهم، تراهم يتحدثون عن الوطنية والقومية والمجاهدين في هذه الحومة والثانية - هي ان النهضة القومية لاتقتصر على الرجال وحدهم بل تشمل السيدات ايضاً. وفي هذا ما فيه من القوة والفائدة اللتين تسجلان، للنهضة القومية بمداد الفخر».

في رانجر - تكساس وبروكلن

بدأ الرفيق شكيب الداكور عمله الحزبي ولم يكن لديه من ادوات اذاعية سوى جريدة «النهضة» فاستخدمها احسن استخدام.

ومن بروكلن تلقى معتمد الحزب الامين فؤاد ابي عجرم رسالة من احد اعضاء

الحزب هناك بتاريخ 8 اذار فحولها الى مكتب عبر الحدود لتجيب عليها لما احتوت من بلبله في المفاهيم وميعان وتضارب وبخاصة من حيث الدعاية المتهم بها الحزب من حيث العلاقة الاجنبية.

اما الضجة التي افتعلتها هذه الرسالة فقد تناولت «اصدقائي في كل ناحية من نواحي الولايات. قد كتبوا الي مستغربين من كاليفورنيا وواهايو، تكساس، اوكلاهوما، سوث كارولينا، كنتيكت، الخ... ولذلك كان الجواب من اذاعة مكتب عبر الحدود احسم رد على ترهات الرفيق المذكور!!!

واني اقتطف من الرسالة مقطعين هامين لما فيها من توجيه وتوعية. الاول عن العلاقة الاجنبية: «مهما يكن من امر فان لنا ملء الثقة بانه اذا اجتمع زعيمنا ليس فقط بقنصل ايتاليا بل بموسوليني نفسه وبهتلر وستالين، فانه هو الذي يخرج ظافرا بمقدرته واخلاصه لمصلحة سورية وتقدمها وارتقائها. واذا كنتم لاتثقون بانفسكم حتى انكم لاتثقون باي رجل عظيم تنجبه سورية فان النهضة القومية لن تنحدر الى مهاوي الاوهام السخيفة والشكوك التي تريدونها لها».

اما المقطع الثاني عن الانسانية ومفهومها: «ان الانسانية لنا ليست انسانية لينين ولا انسانية ستالين ولا انسانية ليون بلوم ولا انسانية هتلر ولا انسانية موسوليني ولا انسانية تشمبرلن ولا انسانية روزفلت، بل انسانية سعادة التي هي انسانية الامة السورية، انسانيتنا نحن. ويمكنكم ان تبلغوا هذه الحقيقة الى جميع اصدقائكم في كاليفورنيا وواهايو، الخ...». «اما نحن فاننا نسير في طريق الانسانية التي شقها لنا سعادة في طريق انسانيتنا نحن الجميلة الصريحة التي تظهر للعالم وجهها الحقيقي فاذا فيه معاني الحرية والواجب والنظام والقوة».

في كوبا

وللتدليل على النشاط الحزبي في كوبا اذكر ما ورد في رسالة الرفيق الياس جريج الى جريدة النهضة «ويسرني ان اخبركم ان «النهضة» اصبحت قبله انظار المهاجرين يتسابقون الى قراءتها. ومما اذكره لكم بفخر ان الجمعية اللبنانية السورية التي انتمى الى عضويتها قد تمكنت بمساعدة المفكرين في مجلس ادارتها من ضمها الى صفوف النهضة القومية المباركة». هافانا في 22 كانون الثاني 1938. الداعي: الياس جريج.

في المكسيك

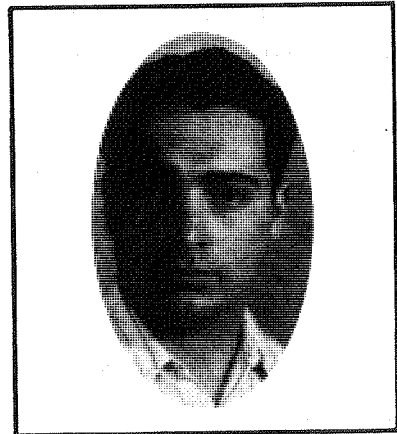
كانت منفذية المكسيك اهم فرع للحزب عبر الحدود، على الصعيدين الحزبي البحت والسياسي. ومن ابرز الاعضاء في هذه الفترة من الزمن في المديرية الاربعين وان كان بعضهم لم يعد حيا بل واجب ذكره لتخليده في المجتمع الذي خدمه بكل ما أوتي من قوة ومال، أمثال هذا البعض: من بيروت، فؤاد فرح، من المتن الاعلى: بتخنيه: صالح أبو الحسن، جميل محمود ابو الحسن، وديع رشيد أبو الحسن، فايز محمود ابو الحسن، محمد قاسم أبو الحسن، من ارضون: امين حسن حريز. من بمرم: يوسف بلوط، سليم أسعد أبو شاهين، محمد ابو شاهين، وكرم علي أبو شاهين. من الشويقات: شريف صعب، شاهين علي الريشاني، رامز خليل ابو نعيم. من شانيه: محمد ابو المنى، يوسف أبو المنى. من مجدلعنا: سامي قاسم عبد الخالق. من الشوف: من عين زحلنا: محمد حسن كرامه. من بشتفين: فريد قاسم فياض. من البقاع: من زحلة: نجيب يونس. من القرعون: عبد الله مسلم، فيليب ابو مراد، خليل سلوم، جبران نقولا سلوم، احمد حسن فارس. من راشيا الوادي: مرشد معلولي، اندراوس ابو عديلي. من حمص: ويكتور مبيض، نعيم فركوح، عبد الدائم نحاس، كماليا كامل نحاس، الشقيقتان لوسي وليديا عيسى، هكتور حداد. من حلب. توفيق غبريال، الياس سليم الفتال. من المشتى جرجس ابراهيم العجي، رفول سليم العجي، جرجس سمعان العجي، ديوب الاسير. من بيت سر كيس قرب المشتى: بشور سر كيس. من الحصن: من عيون الحصن: ابراهيم العزيز، شهاب سليمان، جرجي ابشالوم، عبدو حبيب طعمة، وهبة طعمة. من عكار: بيت ملات: انطون الخوري شباط، سمعان خليل عبد المسيح ومن الشطحة: يوسف ميخائيل درغل. من كفر جبو: سليم عاقلة.

من بينو: عبد الله طعمة، ميخائيل طعمة، ملحم الاشقر، محفوظ طعمة، اسحق طعمة، توفيق ابراهيم الاشقر. من طرابلس: الفريد نعم. من حمامات: انطونيو جرجي زخريا. من المنصف، بلاد جبيل: الشاعر زاهي نصر. من تنورين: بطرس حرب. من صيدا: غريب نقولا غريب. من الكفور: رشيد ثمر القزي. من السويداء: نجران: صلاح قاسم ابو عاصي، محمد شنان، رزق مارسي. من حوران: الدارة: فضل الله فريج. من ريمة الشمالية: عبد الغفار ابو فخر. من ريمة حازم: نجيب البيطار. من المجدل: اسعد هنيدي، من فلسطين: جرجس سليمان رهون، ابراهيم سليمان عطا الله، بهاء الدين بو شناق، نجيب محمد نجار واخرون. من امثال: امين داود، ابراهيم مارون الخوري، حسن عبد الله محمد، ميشال بشارة قرداحي، ريمون ميخائيل شعيا، كريم سليمان سالم، محمود علي خليل، رشيد رحال، نعمة مراد فرنسيس، جرجي موسى رفول، تفيد عجاج التنوري، جميل اسماعيل ابو مقلبي، الفونسو نجيب عواد، فهد مصطفى، توفيق زيرين، سليم ابي يزيك، يوسف النجمي، انطون سليم حداد، وفؤاد التقي.

كما انه كان في منفذية المكسيك مديرية خاصة بالسيدات على رأسها الرفيقات: الماس سليم صعب، كماليا كامل نحاس، ونبيهة وديع الخوري من كبا - البترون.



بطرس حرب



الفريد نعم



جميل اسماعيل



محمد شعبان



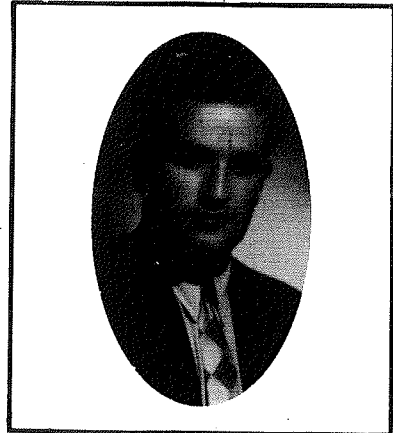
يوسف النجمي



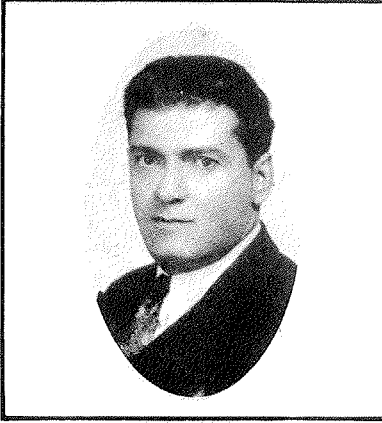
سليم ابي يزبك



اسعد هندي



فؤاد التقي



يوسف أبو المنى



محمد أبو المنى



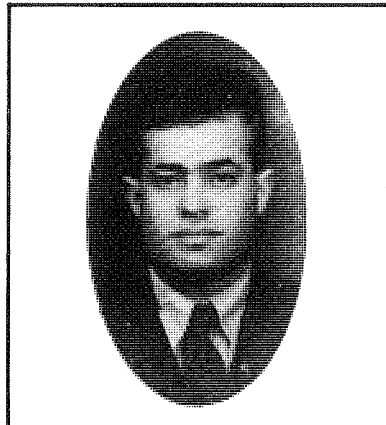
عبد الله مسلم



فريد قاسم فياض



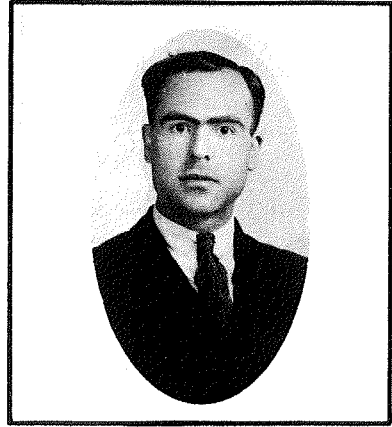
نعيم فرحوخ



خليل سلوم



كاملية كامل نحاس



عبد الدايم نحاس



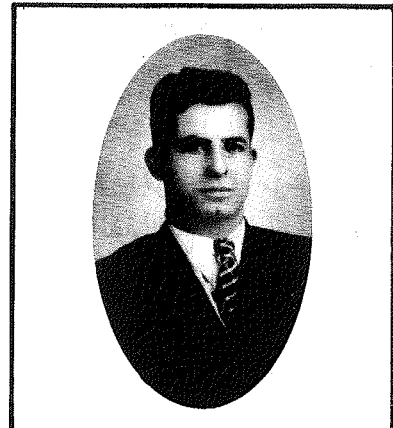
رفول سليم العجيجي



توفيق غبريال



ابراهيم العزيز



سمان العجيجي



نبهة وديع الحوري



الماس سليم صعب

أول آذار

هي المرة الأولى التي يحتفل فيها القوميون الاجتماعيون في المكسيك بعيد مولد الزعيم واعلام الزوبعة الحمراء تحقّق في أروقة مركز المنفذية وفوق الشرفات، المفرقات والأسهم النارية تملأ الجو دويّاً. كان في قاعة الاحتفال صورة مكبرة للزعيم يحيطها اطار بلون رصاصي وأخرى في وسط الزوبعة الحمراء في الجهة المقابلة ويحيط الصورتين أكاليل من الغار مع اعلام الزوبعة.

كانت الأنوار الكهربائية تتلألأ وتنعكس الأشعة على صورة الزعيم الأمامية فتزيد القاعة روعة وجمالا وتبعث في النفوس الخشوع والاجلال. كان على ذراع المستقبلين شارة الحزب اثنان عند الباب الخارجي، الرفيقان فيليب أبو مراد وجرجي ابشالوم واثنان عند الباب الداخلي الرفيقان نقولا البدن وابراهيم العزيز.

كان عد الحضور غفيراً مما اضطرّ القوميون للوقوف على الجوانب وفي مؤخرة القاعة حتى على الشرفات والأبواب عندما فتح المهرجان وقف المنفذ العام وطلب من الحضور الوقوف اجلالاً واحتراماً للقائد الأعلى، الزعيم المفدى فوقف الجميع وترددت التهاتفات المتواصلة بحياة الزعيم ثم طلب عريف الحفلة ناظر الاذاعة الرفيق ويكتور مبيض من حضرة المنفذ العام إلقاء كلمته الافتتاحية عن ذكرى مولد الزعيم ففعل وقوبلت بالاستحسان والتصفيق الحاد. وكانت أنغام الموسيقى يثيرها الرفيقان الكسي ويكتور مبيض فتثير بدورها في النفوس روعة وبهجة وانشراحاً.

ثم جاء دور الرفيقة الماس صعب وهي خير مثال للمرأة القومية التي تكلمت بالاسبانية تشجع فيها اللواتي حضرن الاحتفال للسير والانضواء تحت لواء الزوبعة الحمراء وبعدها تكلم الرفيق المحامي الياس زريق عن جلال الرسالة التي جاء بها سعادة إلى الأمة السورية قوطع خطابه مرارا بالتصفيق والهتاف بحياة سورية والزعيم. وتبعه الرفيق فؤاد سمعان بكلمة حماسية أثارت نفوس الجماهير المحتشدة وعواطفها وعلا التصفيق عندما ردد قول الزعيم: «ان القومية دين يصعد من الأرض إلى السماء». وأخيراً بعد أن أديرت على الحضور المرطبات والحلويات والموسيقى ترسل أنغاماً شجية تقدّم عريف الحفلة وشكر للحضور اشتراكهم بالاحتفال الذي انتهى وعلى شفاه الحاضرين «لتحي سورية وليحي الزعيم».

رسالة مكتب عبر الحدود إلى منفذية المكسيك
حضرة الرفيق الأمين عساف أبو مراد المحترم

تحية سورية قومية

كان الناموس الأول قد حرر إليكم يخبركم عن عزمنا على زيارة المكسيك ولما كنتم قد طلبتم منه ارسال الأسماء مع عمر كل انسان لتقوموا بالمعاملات القانونية اللازمة فإنني مرسل إليكم ذلك في هذه الرسالة آملاً أن تتمموا ذلك في أسرع ما يمكن وإذا وجدتم صعوبة في اتمام المعاملات الثلاث معاً أتموا معاملات الناموس الثاني أولاً ليمكن من القدوم بسرعة اليكم.

أحب أن أذكركم وأذكر جميع السوريين القوميين في المكسيك أن النهضة القومية الفتية هي الدليل على يقظة الأمة السورية يقظة مقرونة بالحياة العملية التي لا تقف عند حد المجادلات المنطقية في المجالس والخطب الرنانة من على المنابر بل تتناول حياتنا بكاملها فتتظر طبقاتاً لمصلحتنا في الحياة والارتقاء وانني أود بهذه الحالة العالمية المضطربة أن أذكركم أن الأمم التي تعيش في فوضى الآراء المتضاربة متعامية عن الأمور والأسباب الواقعية العملية أمم لن يكون لها مكان تحت الشمس إلا مكان مغني القصائد أيام الحصاد. إننا كقوميين أدركنا حقيقة الحياة العملية نقف في معترك الحياة معلنين عن إرادتنا ومؤيدين تلك الإرادة بجميع أنواع القوة حتى نتمكن من تثبيتها.

إنني أفهم أن هناك دعاوات ضد النهضة القومية ولكنها دعوات لن تثبت أمام شمس حقيقتنا لأنها تعتمد على جهل طبيعة الحياة أو مأجورة تعتمد على انعامات المستأجرين.

وختاماً أقول لكم كقوميين علينا ان نقف إلى جانب زعيمنا المفدى كجبابرة نظاميين ندرك المغزى البعيد لمعنى الكلمات حرية، واجب، نظام، قوة. ونثبت كلمات صاحب الزعامة في سجل الوجود بقوتنا فنكون حقاً ابناء الحياة الحرة.

إلى اللقاء القريب

ولتحي سورية وليحي سعادة

الناموس الثاني

35 حضرة الزعيم عمرة

الناموس الأول الأمين

(التوقيع غير واضح)

30 اسد الأشقر عمره

الناموس الثاني

27 خالد عبد الواحد عمره

الاشترك السياسي

بعد ان صار للحزب رخصة قانونية للعمل لم تترك التنفيذية فرصة تفوتها لاطهار الحزب ومن هذه المناسبات غير مناسبات الاعياد الرسمية التي كانت تقدم فيها اكليلاً من الزهر مناسبتان: الاولى - بعد القرار الخطير الذي اتخذته الحكومة المكسيكية بوضع يدها على شركات البترول الاجنبية ارسلت التنفيذية الى رئيس الجمهورية بكتاب تأييد ومما جاء فيه: « ان الذين ذاقوا طعم الاستعمار واستبداده وتغطرسه فقط يقدرون ان يفهموا معنى ما فعلتموه لصالح البلد المكسيكي ». كان ذلك في 21 نيسان 1938 والثانية - كانت عند تقديم مبلغ من المال جمعته التنفيذية من الاعضاء مساهمة من الحزب السوري القومي في دفع التعويضات المترتبة على الحكومة للشركات المذكورة، قدمه وفد من الحزب الى سكرتير رئيس الجمهورية مع كتاب اعجاب وتقدير لخطوة رئيس الجمهورية الجنرال كاردانس. Cardenas وقد اشارت الصحف الى تبرع الحزب ونشر بعضها صورة الكتاب المقدم الى رئيس الجمهورية. ومن نشاط التنفيذية ايضاً التبرعات التي جمعت لاغاثة منكوبي السيول في الوطن وهذه هي المراسلات التي تبودلت بهذا الشأن:

« ايها الرفيق المجاهد

لا شك انكم كنتم تستأثرون من تأخر مركز الحزب عن مواصلتكم بالاخبار واجابة ماكنتم تطلبونه في سبيل تقدم الحركة بين المهاجرين على ان الظروف القاسية التي مرت

على الحزب في المدة الاخيرة وصعوبات احداث منظمات جديدة ضمن الحزب وفي تلك الاثناء تبرّر هذا الامر اما الآن فقد انشئ في مركز الحزب فرع خاص للاتصال بالمهجر اطلق عليه اسم «مكتب عبر الحدود» وقد كلفني حضرة الزعيم بتولي رئاسته واني بهذه الصفة آمل ان تكون علاقة الحزب مع فروعه ومناصريه في المهجر اوثق بما لايقاس في هذا العهد الجديد.



هيئة مديرية السيدات التي كانت تابعة للمنفيذية في المكسيك.

لقد احيل الي فوراً بعد تأسيس المكتب عدد كبير من الرسائل التي وردت على افراد من الحزب ومنها رسائل منكم ولما كان من الصعب على مكتبنا متابعة هذه الرسائل والاجابة على كل رسالة بمفردها خصوصاً وفيها امور قد مضى عليها الوقت لذلك اكتفي ان اعلمكم الآن بوجه عام ان هذا المكتب سوف لايتأخر من الان فصاعداً عن ارسال كل ما من شأنه ان يوقفكم على اطراد الحركة في سورية وكل

المطبوعات الاذاعية التي تصدر عن المركز مما يساعدكم في بث الدعوة في محيطكم. وسيصل اليكم قريبا بعض المطبوعات الاذاعية منها شرح مبادئ الحزب بقلم الزعيم ومذكرة ارسلت الى عصبة الامم وبعض المنشورات نأمل ان تشعرونا بوصولها في اقرب وقت ممكن كما اننا في اول فرصة نرسل اليكم رسم حضرة الزعيم وشارة الحزب.

واغتنم هذه الفرصة لاذكر لكم عن مبلغ الفائدة التي كانت للحزب من الاموال التي وصلت الى المركز من فرعكم. فانها جاءت في اثناء ازمة من اشد الازمات التي مرت على الحزب وان كثيرا من الاعمال التي حفظت معنوية الحزب وساعدته على التغلب رغم كل الصعوبات لم تكن ممكنة لولا استمرار فروع المهجر في تعضيدهم وشعورهم بواجبهم. انني اكلفك ان تبلغ شكر حضرة الزعيم لاعضاء فرع المكسيك وامله في ان تكونوا دائما مثالا للقيام بالواجب.

وفي الختام بلغوا اجمل التحيات القومية لكل الاخوان القوميين في انحاءكم.

لتحي سورية ليحي الزعيم

رئيس مكتب عبر الحدود
فخري معلوف



الرفيق توفيق الأشقر

الحزب السوري القومي
مكتب عبر الحدود
صادر. رقم 73 (حاشية)

الى منفدية المكسيك
تاريخ الاجابة 2 يونيو 1938

قضية اغانة منكوبي السيول مفصلا:

في الرسالة رقم 73 المرسل طيه بعض رؤوس اقلام غير وافية لتنويركم عن تصرفات المركز بقضية المال المرسل من طرفكم لمنكوبي السيول رأينا ان ن فصلها فيما يلي:

وجه حضرة ناموس مجلس العمد في الحزب بتاريخ 10 مارس 1938 رسالة الى رئيس لجنة اعانة لمنكوبي السيول وهذا نصها:

« حضرة رئيس اعانة منكوبي السيول الافخم

تحية واحترام

وبعد فقد قرر مجلس العمد في الحزب السوري القومي في جلسة رسمية تكليفي ان اطلب اليكم اعطائي بيانا بالتخطيطات التي قررتها لجنبتكم الموقرة لصرف الاموال التي وردت من مختلف الانحاء وبالمصاريف المقررة لانفاذها مع ايضاح بالمبالغ التي صرفت حتى الآن على المنكوبين وكيف صرفت وتحت اشراف من... اني ارجو منكم اعطائي المعلومات هذه لتتمكن مؤسستنا من الاجابة على السؤالات التي تردها من مختلف الفروع. في الوطن والمهجر من الذين يهتمون بالاشترك في هذا العمل الانساني الواجب.

وتفضلوا بقبول فائق احتراماتي

في 10 مارس 1938

ناموس مجلس العمد

« عبد الله قبرصي »

أجيب على هذه الرسالة بكتاب رقم 391 بتاريخ 17 مارس 1938. وسينشر نص هذا الكتاب مع كل المراسلات التي جرت بين المركز ولجنة اعانة المنكوبين عند الافراج عن « النهضة ».

احال مجلس العمدة الموقر كتاب اللجنة المنوه عنه الى ثلاثة من رجال المحاماة ليبدو مطالعتهم فيما اذا كانت لجنة اعانة المنكوبين صالحة للقيام بمهمة كمهمة التوزيع فاجع الثلاثة على عدم صلاحها لتولي القيام بهذا الامر وان الجواب كان ناقصا واجاليا لم يبين فيه نهج اللجنة في جمع الاعانات بصورة منظمة تضمن حفظ الاموال المجموعة وتؤمن على صندوق اللجنة بصورة موثوقة. وقد ايدى المحامون دهشتهم من توافي اللجنة لتوزيع الاموال حتى يومنا هذا في حين ان المنكوبين يتضورون جوعا فان من متمات هذا العمل الانساني سرعة العمل بالتوزيع التي تشير اليه اللجنة في جوابها لاسيا وان مجموع المبالغ المترسب في صندوقها حتى الآن اصبح كافيا لمباشرة التوزيع.

هذا ملخص عن بعض النقاط التي وردت في مطالعات رجال القانون الذين كلفوا بدرس ردّ اللجنة. تجاه هذه المطالعات لم يشأ طبعا مجلس العمدة ان يعتقد بصلاح اللجنة للقيام بامر التوزيع واتخذ قراره النهائي بان لاتكون هذه اللجنة هي الواسطة فكلف هذا المكتب باعلامكم ماورد في مطلع الرسالة رقم 73.

اعتقد ان فيما ورد الى الآن بهذا الشأن كافيا ويهمني كثيرا ان الفت نظركم الى نقطة كنت احب ان لا اضطر الى ذكرها وهي انكم تطلبون منا ايصالا بالمال « حتى ولو مزورا » فهذا الطلب لا يتفق ولا بوجه من الوجوه مع مبادئنا. نحن جماعة نظاميون صادقون مخلصون لقضيتنا لايهمنا الا الوصول الى غايتنا عن طريق الاستقامة والقضاء على كل من لا يكون هذا دأبه في العمل. اننا لا نحمل أنفسنا الا ما كان لنا طاقة بحمله. ودمتم للجهد وليحي سعادة

22 يونيو 1938. رئيس مكتب عبر الحدود

انور عصام

حصيلة اغتقالات السنة الحزبية السادسة

- الرفيق محمد سعيد اللحام بسبب تأديبه الصحفي البديء والرفيق أحمد جحجا، الذي ساعده.

- الرفيقان الاخوان يوسف الحداد وفؤاد الحداد وامهما بعد تفتيش منزلهم تفتيشاً دنيئاً واحيلوا الى المحكمة فصدرت بحقهم الأحكام:
فؤاد حداد مدة ستة أشهر وشقيقه يوسف شهرين وعُزِّمت والدتهما بمبلغ خمس وعشرين ليرة سورية.

هاجم التحري بيوت القوميين ولكن أوقف منهم الرفيق الياس سمعان وعبد الرحمن عكاوي والأمين مأمون اياس.

- بسبب مؤتمر الاستعداد أوقف جبران جريج، منير الملاذي، عمر ترماني ثم وديع الياس مجاعص وفريد صباغ وأنيس فاخوري مدة التوقيف بين الخمسين والخمس وخسين يوماً. لم يصدر حكم على أحد منهم سوى جبران جريج مدة شهرين لعقده اجتماعاً مزعوماً لحزب منحل.

- عمل تطوعي أوقف خليل طفيلي وسميح قصبياي وصدر حكم لمدة شهر على الطفيلي بسبب المتفجرة على كنيس اليهود وستة أشهر على سميح قصبياي.

مستندات

انشاء مجلس وكلاء عمد

رئيس المجلس الأمين عبدالله قبرصي وكيل عميد الداخلية: الدكتور أديب معلوف - بقية الوكلاء مفقودة أسماؤهم لم يدم هذا المجلس مدة تستحق الذكر.

أسماء الأعضاء في الوطن وعبر الحدود الذين منحهم الزعيم رتبة الأمانة سنة 1937 وسنة 1938 وشكل من سبعة منهم مجلساً أعلى.

انتخب الأمين فخري معلوف رئيساً للمجلس الأعلى ثم استقال بسبب السفر وانتخب الأمين نعمة ثابت رئيساً للمجلس.

اعضاء المجلس الأعلى الامناء

1937

- | | |
|-----------------------|------------------------------------------------|
| 1 - جورج عبد المسيح . | 8 - عجاج المهتار . |
| 2 - نعمة ثابت . | 9 - أنيس فاخوري (أوقف عن الممارسة مدة وجيزة) . |
| 3 - عبد الله قبرصي . | 10 - عزيز حديد . (فقد رتبة الأمانة) |
| 4 - مأمون أياس . | 11 - خالد أديب عبد الواحد . |
| 5 - كامل أبو كامل . | 12 - جمال ناصيف . |
| 6 - معروف صعب . | 13 - مصطفى المقدم . |
| 7 - فخري معلوف | 14 - نجلا معتوق حداد . |
| | 15 - الدكتور محمد أمين تلحوق . |
| | 16 - فؤاد أبي عجرم . |
| | 17 - عساف أبو مراد . |
- عبر الحدود {

1938

- 18 - بشير فاخوري .
- 19 - وديع الياس مجاعص .

رويات

عن الأديب تميمي زيادة

وعن «مي» يكتب جان دايه في جريدة «البناء» العدد 1033/13 تاريخ 17 نيسان

: 1971

«عام 1964 كتبت «النهار» عن «شحتول» من غير أن تأتي على ذكر مي زيادة ابنة هذه القرية الكسروانية الصغيرة. فقامت قيامة أهل القرية عليّ لاني كتبت الوساطة بين جهاد أبو جودة والمصور سام من جهة وبين شحتول ومختارها الخوري يوسف زيادة ابن عم مي من جهة ثانية.

بعد سبع سنوات، وفي ملحق 4 نيسان و11 منه، تكتب «النهار» عن مي زيادة ولكن من غير أن ترد كلمة «شحتول» ولو مرة واحدة في المحاضرة التي القاها جوزف باسيلا بدعوة من مجلس المتن الشمالي للثقافة. فهل تقوم القيامة عليّ مجدداً؟

مهما يكن من أمر، فأني سأكتب هنا عن مي زيادة - شحتول لسببين رئيسيين: اولاً: كانت المحاضرة المنشورة توسيعاً لمجموعة من النقاط الرئيسية حيث أهمها ما ورد في مقدمة «المقدمة» حول الدور الذي لعبه «الرأي العام بقيادة طليعة الادباء والصحفيين عهد ذاك» مما أعاد الحرية لمي زيادة وحال دون صيرورة جنونها المزعوم جنونا حقيقياً، ناهيك بما ورد في المقدمة من تأكيد المحاضر بأن كل ما قصد اليه هو «اخراج» هذه الناحية من تاريخنا الادبي الى النور بشيء من الجرأة التي تُعوز الكثيرين من نقادنا او من محترفي النقد عندنا». ثانياً: كون شحتول «وطن» مي زيادة الصغير حيث يكون الارتباط عميقاً بين الاديب وقريته. وقد لا اغالي اذا قلت بأن تكريم

الدولة اللبنانية لمي زيادة عبر وزارة الثقافة العتيدة، يجب ان يمر بتمثال صغير يقام في ساحة قريتها الى جانب متحف يجمع كل روائعها الاديبة. مع الايضاح بأن التكرم الحقيقي يكون في ازالة الحَجْر عن أدب ميّ حتى ينتقل من دفتيّ الكتاب الى قلب الانسان وعقله.

ونعود الى السبب الاول. مما لا شك فيه ان امين الريحاني وبهيج تقي الدين وفؤاد حبيش وحبیب ابو شهلا وسعيد فريجه كانوا قد لعبوا دورا ايجابيا بالنسبة لميّ زيادة كلّ في الحقل الذي يعمل فيه. الا ان المحاضر أغفل من دون قصد - كما أحب أن أعتقد - انطون سعادة والدور الرئيسي الذي لعبه من أجل رفع الظلم عن ميّ التي كان يعتبرها «بركة من بركات العناية لامة صريجة، ولذلك كانت بركة ضائعة».

سعادة في دفاعه عن ميّ

ولعل قراءة جديدة لما كتبه سعادته نفسه عن الموضوع في كتابه «الاثار الكاملة - أدب» تحت عنوان «أيام ميّ الاخيرة»، من شأنها ان تلقي ضوءاً على حقيقة ميّ زيادة الاديبة عدا عن تحديدها للقوى التي وضعت حدا لتلك المؤامرة - المأساة.

في مطلع المقالة يؤكد سعادته ان خبر وفاة «الكاتبة السورية الذائعة الصيت» قد جعله يشعر ان خواطره وتأملاته «تتجمع وتقف كلها عندها». الا ان خبر الوفاة الوارد بطريق نيويورك ومحصله «ان ميّ توفيت حوالي 19 تشرين الاول الماضي في أحد مستشفيات القاهرة» لم يكن اكثر تأثيراً على نفسه من الخبر الاول الذي بلغه في بيروت في اواسط شهر كانون الثاني 1938، والمعلن ان ميّ «مسجونة في مستشفى ريبز بتهمة الجنون وهي سليمة النفس».

أما لماذا تأثر سعادته بمضمون الخبرين كل هذا التأثير، فلأن «سورية لم تنجب في القرون الاخيرة من النساء اديبة كبيرة كميّ زيادة، واقول بكل تأكيد اني لم اجد فيمن قرأت ولا فيمن حادثت من اديباء سورية ومصر سوى نفر قليل جدا من الاديباء الرجال الذين يضاهاونها ثقافة وشعورا وفنا».

وقبل ان يدخل سعادة في تفاصيل موضوعه، يقول شيئاً مبدئياً يشير فيه الى المجرم الحقيقي: «ان وطن ميّ الاصلي، الذي يجري فيه اليوم صراع موت وحياء، بين يقظة

الوجدان القومي الاجتماعي وعمارة مثالب الانحطاط ، كان الغول الذي انشأ مخالبه في نفسها وجسدها وكان يطبق اشداه عليها في مصحح العصفورية او في مستشفى ربيز للعلل الجراحية . ثم يضيف « وفيما خلا شعوري بالسعادة لوقفي كل ما انا مدين به لامتي وبلادتي على قضية امتي وبلادتي ، فقليلة جدا هي الامور التي تجلب الى نفسي شعورا بالسعادة كالشعور الذي تولاني حين نجحت الحملة التي قمت بها لانقاذ مي من ذمها بين مخالف الغول » .

حول مراحل المؤامرة على مي زيادة

هنا يلخص سعادته ما رواه له انيس ناصيف في 17 كانون الثاني 1938 حول مراحل المؤامرة على مي التي كان مضى على « سجنها » في مستشفى ربيز في ذلك الوقت ستة اشهر « حيث هي موجودة » . وما ان فرغ السيد ناصيف من سرد تفاصيل المؤامرة التي اوضحها جوزف باسيلا وبات يعرفها القراء ، حتى صاح سعادة : « ان هذه مسألة لا يمكن اخذها بهذه البرودة ، فهل بلغ القحط في الشهامة والمروءة الى هذا الحد » ؟ .

انيس ناصيف يؤكد لسعادة ان مي زيادة ترفض مقابلة احد مهما بلغ شأنه ، ومن « جملة الذين رفضت استقبالهم الاديب المعروف ميخائيل نعيمة » . ثم ودعه على أمل اقتناع مي باستقبال زعيم النهضة القومية الاجتماعية .

الا ان مسلسل المؤامرات لم ينته . صار التهديد واقتحام المنزل الذي انتقلت اليه امرا « يوميا مألوفاً » . مما حدا بسعادته الى وضع « مفرزة صغيرة من الميليشيا الحزبية بقرب منزل مي واخذ افرادها يتناوبون الحراسة عليه » . وكانت النتيجة ان احبطت عدة محاولات لاقتحام المنزل والاعتداء على صاحبه . بل ان الحرس كان يواكبها في تنقلاتها . ففي الوقت المعين للمحاضرة « ركبت مي السيارة ومعها مرافق او اثنان وركب في السيارة اثنان من الحرس القومي الاجتماعي مسلحان بمسدسات وسارت سيارة اخرى من الحرس وراء سيارة مي حتى مدخل « وست هول » في الجامعة الاميركية . وذهبت بنفسها وكنت بين الذين حضروا محاضرتها الجميلة في ذلك المساء » .

كانت بأمر الحاجة الى شخص أو اثنين عميقي الفهم سامي الادراك .

وفي صباح اليوم التالي تلقى سعادة جوابا من انيس ناصيف « برغبة مي » . فترك

مكتبه في ادارة الحزب على الفور وتوجه مع مرافقه الى مستشفى ريبز. «صعدنا الى الدور العلوي واجتازنا بعض الممرات ثم اشار السيد ناصيف الى باب وفتحه، فدخلت، فاذا غرفة ذات نافذة واحدة وفي وسطها سرير ألقيت عليه نظري فوجدت امرأة ملتحفة ممدودة وقد برز رأسها على وسادة والشيب قد اشتعل في شعرها وهي صامتة تنظر بعينين سوداوين نظرا غير قوي. وجهها الاسمر البشرة شاحب والكآبة قد القت عليه قناعها». ثم يقول بعد ان يلاحظ مصارعته لقوة خفية: «جرى تعارفنا في غاية البساطة بواسطة السيد انيس ناصيف الذي انتقل، بعد ان اعاد على مسمعي شيئا من حالة ميّ الى اعطاء الانسة ماري زيادة صورة عني». الا ان ميّ كانت سلبية لاعتقادها بأن سعادة مجرد رجل سياسة يتزعم كومة من الرجال ليصل الى كرسي الحكم. فاستدرك سعادة الامر واوضح لها بأن مهمته الاولى هي «توليد نهضة الامة السورية وشق طريق الحياة لها ووضع القواعد الاجتماعية الاقتصادية لايجاد حياة افضل للمجتمع السوري. والسياسة ليست سوى عمل تكتيكي مسخر للاغراض القومية الاجتماعية». هنا أخذ الاستثناس يحل في نفس ميّ «محل النفرة الاولى». فراحت تحاور بكلام يدل على «استعداد نفسي كبير لادراك النظرات العالية ومجارة التفكير العلمي والفلسفي». ولا عجب من ذلك «فهي أدبية ذات ثقافة صحيحة ومقدرة تفكير لم تتوفر لدى «أمين الريحاني وميخائيل نعيمة» اللذين سبق لي معرفتهما».

المقال الذي هزّ النفوس

بعد هذه المقابلة التي تبعتها زيارة سيدتين لميّ، عاد سعادته لتوه الى مكتب الحزب في المعرض وكتب مقالا نشرته جريدة «النهضة» في 19 يناير 1938 على الصفحة الاولى وكان عنوانه: «قضية الادبية الكبيرة ميّ، الى النيابة العامة والمفوضية العليا حادث طريف خطير». ما كاد يوزع عدد الجريدة «حتى صارت قضية ميّ على كل شفة ولسان، وكان وقع المقال في النفوس شديداً». تلك كانت الخطوة الاولى.

الخطوة التالية كانت باتجاه القضاء. «دخلت على قاضي التحقيق الاول المركزي الاستاذ حسن قبلان... فأخبرته اني قادم للاهتمام بأمر الانسة ماري زيادة وكشفت له شيئا عن ناحية هذه القضية الخفية. فاستصوب عرضها على النيابة العامة... وذهبت الى غرفة النائب العام الاستثاني فاستقبلني الاستاذ ثابت بترحاب. فعرضت عليه القضية..

فأجاب انه يرى وجوب ابلاغ النيابة العامة المركزية بصورة رسمية». عندها « تأكد لي ان دوائر القضاء تخشى كثيرا القضايا السياسية المحتجة وراء قضية مي ».

كان الانتداب الفرنسي . وكانت هدنة مؤقتة بين سعادة والفرنسيين اثر اعتقالين متتاليين في 1936 و 1937 . « طلبت الاتصال تلفونيا برئيس الغرفة السياسية في المفوضية السيد « كيفر » الذي جرت لي معه عدة مقابلات لبحث القضية القومية وامكان ايجاد حل سياسي لها ، فم الاتصال في الحال وطلبت مقابلة السيد « كيفر » لامر هام مستعجل فقبل طلبي فوراً ، وبعد نحو ربع ساعة كنت في الغرفة السياسية في المفوضية فاطلعت السيد كيفر على قضية ميّ ومبلغ خطورتها وتدخل قنصل مصر مباشرة فيها وأكدت له عظيم اهتمامي لهذه القضية ، ومبلغ امتناني لانهاثها برفع الظلم عن هذه الادبية الكبيرة . فأخذ السيد كيفر قلماً وورقة ودوّن امامي أهم المعلومات والملاحظات واكد لي انه سيخبر من يلزم للاهتمام بهذه المسألة . فودعته شاكرأ وعدت الى مكنتي لمتابعة اعماله » .

الدكتور زيادة الذي يمسك بجميع خيوط المؤامرة ، يعمل باستمرار على عرقلة كل المساعي . « عند هذا الحد نفذ صبري وقلت للسيد ناصيف ان يعدوا المنزل الذي ستقيم فيه ميّ لاني سأخرجها بالقوة » . لكن قوى الخير كانت قد تغلبت في الجولة الاخيرة على قوى الشر . « وبعد ايام قليلة صدر القرار باستعادة ميّ حريتها » .

قوميون اجتماعيون يتناوبون على حراسة منزل ميّ

وفي نهاية المقالة يبدي سعادته أسفه لان ميّ احيطت ، بعد استعادتها حريتها ، بالذين « يريدون ان يهتموا بها ويسلّوها ويجعلوا منزلها زاهايا » . في حين انها كانت بأمس الحاجة « الى الراحة والهدوء بعد الذي تحملته ، الى شخص او اثنين عميقي الفهم سامي الادراك يعرفان ان السكوت في بعض الساعات من ذهب . وان المطاوعة في الحالات النفسية التي تنتاب هذه المرأة الرقيقة الشعور افضل من ابتكار المسليات المتعبة » .

ونصل الى السبب الثاني . هنا لا بد لي أن أعيد نشر ما كتبت منذ ثلاث سنوات عن الشأن « الشحتولي » في احدي الصحف اليومية بعنوان « وطن ميّ زيادة بلا ميّ » :

وطن ميّ زياده بلا «ميّ» . . .

اذا كان القارىء لا يعرف عن شحتول شيئا وهي القرية المتواضعة المتمركزة بين كسروان والفتوح، فانه بلا شك يسمع بمي زيادة اكبر اديبة ظهرت في العالم العربي حتى الان.

ولقد أتينا على ذكر ميّ زيادة لا لكي نطالب المسؤولين بنقل رفاتها الى مسقط رأسها، واقامة تمثال لها على مدخل القرية.. بل لنعطي فكرة اذا كان القارىء لا يعرف عن شحتول شيئا وهي بسيطة عن القرية التي نتكلم عنها.

منذ خمس سنوات، كنت ادرّس في هذه القرية الجميلة، ولم يكن وقتها قد شعشت نيران الكهرباء في ربوعها وداخل منازلها. وطبعاً لم تتوزع مياه الشفة في جميع محائها. كنا نسهر على ضوء قناديل الكاز واللوكس. وكنا نمشي ثلاثة كيلومترات لنملاً ابريق الماء من عين السنديانة.

وقبل عامين، تركت القرية فيما كانت المشاريع العمرانية ضاربة اطناها. شق طرقات وتزفيتها صوب الجهات الاربع. اعمدة الكهرباء انتصبت بجيلاء تنتظر اتمام الجزء الاخير من عملية مد الشبكة الكهربائية. اما مياه الشفة فقد ثبت ان معاملة البدء بالتنفيذ قد تمت ولم يبق الا الامضاء الاخير.

امس، توجهت بعد مغيب عامين نحو هذه القرية المتواضعة. وفي ذهني ثلاثة اشياء: لقاء ابنائها، وهو لقاء يختلف مضمونه عن لقاء ابن المدينة المخضرم. سهرة طرنيب تحت الانوار الكهربائية. وشربة ماء من حنفية في منزل الخوري - الشيخ.

اما اللقاء فحدث عنه ولا نفس. كان حارا وطيبا. كل الفلسفات والتقلبات والمظاهر المدنية تسقط بزيفها امام البراءة القروية. ثمّة حجة عارمة تتدفق من ابن الريف لتغسل ما علق فيك من أدران المدينة.

تسألني عن الكهرباء فأجيبك بأني ترحت سبع مرات على اللوكس المعلق بزاوية الغرفة الشتوية وقد غطته خيوط العنكبوت. لماذا سبع مرات؟ لان التيار الكهربائي انقطع طيلة ساعة فقط سبع مرات واكثر. وقد انزعج الخوري يوسف زيادة - ابن عم مي - من العتمة التي أخرت لعبة الطرنيب ربع ساعة، والوقت ثمين.

تبقى مياه الشفة. قساطل موزعة داخل المنازل. حنفيات في كل مكان. كل شيء

يوحى وكأن شحتول جنة تجري من فوقها الانهار . لكن الحقيقة عكس ذلك . كنت عطشى جدا واطمأنت إلى أني سأرتوي فور وصولي . إلا أني انتظرت نصف ساعة وصول ابريق الماء من عين الضيعة ! فاستغربت . الا ان استغرابي تبدد حين علمت ان المياه مقطوعة عن القرية وحدها منذ شهر ونصف بالايام والدقائق والثواني ايضا . كان اهالي القرية قبل وصول الماء الى منازلهم يعتنون جدا بالعين وخزاناتها وتوزيع مياهها بالعدل والقسطاس . الا انهم بعد وصول مياه الشفة ، اهملوا لاعتقادهم انهم بغير حاجة اليها بعد الان . انقطعت المياه ولا يدري احد متى تستأنف سيرانها ، فطلعوا لا من هنا ولا من هناك . الخزان منشف ، والقساطل كذلك . وخذ على انتظار حتى تمتلئ الجرة . بل خذ على عطش ايها الزائر .

ترى متى تتحرك يد المسؤول لتعيد فتح الحنفية الكبرى لتعود المياه تتوزع في حنايا شحتول ؟

متى تعود المي لقرية مي ؟

حتى لا نقول متى تعود مي الى وطنها ؟؟

* * *

وتحت عنوان « قراءة في ادب ميّ زيادة وريادتها الفكرية » يكتب شريف ابراهيم في « صباح الخير » العدد 521 تاريخ 22 شباط 1986 هذه الدراسة بمناسبة ذكراها المثوية :

« الكتابة عن حياة الادبية الكبيرة مي زيادة ونتاجها الغزير والمتنوع ليس بالامر السهل ، لان القلم لا يستطيع ان يختصر في اسطر ما كتبه ماري زيادة في نصف قرن من الزمن .. أبدأ من الادبية ، ام من الشاعرة ، والخطيبة ، والمحاضرة ام من الكاتبة والصحافية والمترجمة ، ام من المرأة التي جمعت بين الجمال والذكاء من جهة ، وقوة التفكير ورجاحة العقل من جهة ثانية ، فشغلت قلوب الرجال وعقول المثقفين ؟؟

أبدأ من ماري زيادة اسمها الحقيقي ، ام من « عابدة » وهو الاسم المستعار التي كانت توقع به مقالاتها عن ذكرياتها وهي تلميذة عندما كانت على مقاعد الدراسة .. ام من « ايزيس كوبيا » « Isis Copia » وهو الاسم الذي وقعت به مجموعتها الشعرية « زهرات حلم » التي صدرت باللغة الفرنسية بعنوان « Fleurs de Rêve » ، واذا كانت ايزيس هي آلهة الخصب عند المصريين القدماء وزوجة اوزيريس واخته في آن معا ، واذا

كانت كلمة كويبا وهي كلمة لاتينية تعني الوفرة والغزارة اي انها تعني زيادة، فان الدكتور زكي مبارك كشف لنا اسما آخر للادبية ميّ زيادة هو «المداموزيل صهباء» وذلك في مقالة له بعنوان «عروس الادب» فكلمة «ميا» تعني بالفارسية الخمر، واهل فارس يسمون الخانة او الخمارة بـ «مي خانة» .

الى ذلك فان اسم « خالد رأفت » هو اسم مستعار آخر لماري زيادة كانت توقع به مقالاتها في المساجلة التي اثارها جريدة « الاجبشن ميل » حول اللغة العربية خلال عام 1919 .. اما اسم ميّ فهو اختصار اسمها ماري، وتقول عن ذلك في رسالة لجبران خليل جبران كتبها له في 19 آذار في 1912 «امضي مي بالعربية وهو اختصار اسمي، ويتكون من الحرفين الاول والاخير من اسمي الحقيقي الذي هو ماري، وامضي ايزيس كويبا بالفرنجية، غير ان لا هذا اسمي ولا ذاك اني وحيدة والدي وان تعددت القايي» .

اذن لنبدأ من ميّ زيادة «وحيدة» والديها، وهو اسم باللغات الاوروبية تصغير لماري للتحجب، نضيف الى ذلك ان والدتها كانت تحب هذا الاسم، لانها - اي والدة - قامت بتمثيل دور ميّ في رواية لكورناي وكان مُترجم الرواية قد عربّ اسم « كاميل » Camille الى ميّ، وكانت حلاوة هذا الاسم لا تزال على شفطي هذه والدة منذ ايام المدرسة رغم مرور الزمن.

نشأة ميّ

ولدت ميّ زيادة في بلدة الناصرة في فلسطين، والدها يدعى الياس زخور زيادة من قرية شحتول قضاء كسروان في جبل لبنان، ووالدتها فلسطينية من الجليل تدعى نزهة معمر، قضت معظم شبابها في مصر حيث اقامت في القاهرة مع والديها، كما انها دفنت هناك يوم وفاتها.

وعن ذلك تقول ميّ زيادة «ولدت في بلد، واي من بلد، وامي من بلد، وسكني في بلد، واشباح نفسي تنتقل من بلد الى بلد .. فلأبي هذه البلدان انتمي وعن اي هذه البلدان ادافع ..» اما سبب اقامة مي في مصر، فكان ذلك على اثر انتقال والدها الياس زيادة من التعليم في مدرسة الارض المقدسة في الناصرة الى مصر لممارسة الصحافة الى جانب التعليم، فانتقلت معه زوجته نزهة ووحيدتها ميّ، ثم انصرف الياس الى مهنة الصحافة في جريدة « المحروسة » وترك التعليم.

الوحيدة برفقة وحدتها

مي زيادة التي ابصرت النور في الناصرة في شباط عام 1886 ، بدأت تشعر بالوحدة على اثر وفاة شقيقها طفلا ، فعاشت وحيدة لوالديها ، وبدأت الوحدة تكبر معها وخاصة عندما ارسلها والدها الى مدرسة راهبات عينطورة لتدرس في الفرع الداخلي «1900-1903» كانت دون الرابعة عشرة بقليل ، لكن علامات الوحدة كانت بادية عليها بوضوح لدرجة ان هذه الوحدة كانت تكبرها بسنوات كثيرة ، يومها شاهدها مرشد المدرسة غارقة في التأمل والاستغراق فابتسم « المرشد راياها وقال :

اذن هي المخيلة .. المخيلة النشيطة الطيارة التي تتعب صاحبها .»

وفي « الحان الخريف » نرى ذلك واضحا في ذكرى ايام مدرسة عينطورة :

« كنت في المدرسة ، وسني دون الخامسة بعد العاشرة ومشهد الامواه يعرض لناظري اولى الفراديس فتهتز نفسي وتطير ..

ومنذ ربيعين اثنين لم تنس في الشجن ،

يا هذه الهزة الشعرية .

.....

انما نسير في الحرمان والتفادي .»

هذا الشعور بالوحدة الذي رافق مي حتى آخر ايامها يؤكد احساسها بأن المرأة في بلادنا « مغبونة الحقوق » مما دعاها للدفاع عن حقوق اخواتها ، كما انه ولد عندها الخوف من الرجل والنظر اليه كمتسلط ، وهذا ما نراه في كتابها « المساواة » ولم تنظر الى الرجل بغير هذه العين الخائفة وعاشت حياتها عزباء ولم تقترن بأحد ، فمما الشعور بالوحدة عندها الى حد الفراغ وخاصة بعد موت والدها عام 1930 ووفاة جبران عام 1931 ، ووفاة والدتها عام 1932 يضاف الى ذلك انفراط « حلقات الحب » بينها وبين العقاد . حتى ان مي زيادة عندما اهتمها بعض اقاربها بالجنون عاشت وحيدة في « العصفورية » وتناستها الالسن اشهرا سبعة بعدما كان اسمها على كل شفة ولسان ..

مي زيادة على لسان انطون سعاده

يقول انطون سعاده « لا يسعدني اخفاء سروري بأن يكون بين نساتنا الراقيات من

هي مثل (ميّ) تطرق المواضيع الحيوية وتحلل الحقائق العمرانية. تقنع البرهان بالبرهان وتدفع الحجة بالحجة وتجعل كل ذلك في لغة تليق بالأدب العربية لعذوبة الفاظها ورقة اسلوبها بما فيها من انسجام التعابير».

ويقول في مكان آخر: «لم تُنجب سورية، في القرون الاخيرة، من النساء، اديبة كميّ زيادة»... ولو تناولنا جميع ارائه بميّ لما اتسعت لنا هذه السطور ولكن نكتفي بهاتين الاشارتين لنقول ان سعاد، لم يثن هذا الثناء على ميّ ليقف عنده مثل الذين تعاطوا مع نتاجات ميّ زيادة ووقفوا عند حدود الثناء، ولكن سعاد نظر الى ادب ميّ من خلال نظرتة الى الادب النهضوي اي من خلال النظرة الجديدة الى الحياة والكون والفن، فاثني عليها في موقعها المصيب وصّح وانتقد الخطأ، وعلى سبيل المثال فان سعاد تناول بعين فاحصة وفكر ثاقب كتاب «المساواة» لزيادة، فعندما ردّت ميّ زيادة عبودية الرجل للمرأة في كتابها، الى المال فان سعاد انتقدها بذلك وقال ان ميّ حال حصول هذه العبودية «تكون نتيجة المخطاط اخلاقي، والمال لا يمكن ان يسوي بين الراقي والمنحط وبين النابغ والخامل» ويضيف سعاد: «العبودية التي تتكلم عنها (ميّ) لا يحرّرها المال»... و «ان العبودية الزوجية التي اتت على ذكرها (ميّ) عبودية وهمية لا اثر لها الا في ادمغة من انصرفوا الى الاوهام ولم يذوقوا حلاوة الارتباط الزوجي».

ويتابع سعاد «ان (ميّ) ارادت ان تعطي مثالا جديدا في المساواة فأعطت مثالا قديما في العبودية» ولكن سعاد يخلص الى القول:

«ان كتاب (المساواة) بديع ولو لم يتخلل فصوله الاغلاط التي ذكرتها وبعض اغلاط اخرى طفيفة مشتتة هنا وهناك لجاء آية في الاتقان وحسن النظر فضلا عن فصاحة لغته وحسن سبكه وسلامة تعابيره. وهو رغما عن الاغلاط التي ذكرتها جدير باطلاع الادباء عليه اذ في فصوله فوائد جمة ومحاسن لا تنكر فهو بالحقيقة نتيجة خيال مبدع رأى في الحياة من المشاهد الغريبة ما استحسّن مشاطرة قومه بها.. وانني في هذا المقام اثني على (ميّ) ثناء جما يستحقه اقدمها واهتمامها بمثل هذه الابحاث».

ولعل الاغلاط التي وقعت فيها ميّ في كتابها «المساواة» جاءت نتيجة خوفها من الرجل، هذا الخوف الذي ابعدها عن النصف الآخر للحياة، وجاء نتيجة الضلوع في الوحدة التي انتابتها طيلة حياتها، فكان سعادة هذه الاديبة الكبيرة كانت في وحدتها.

صالون ميّ أو لقاء الثلاثاء

لا يمكن أن تأتي على ذكر «صالون ميّ» كل يوم الثلاثاء والذي تحول إلى منتدى أدبي دون أن يتبادر إلى ذاكرتنا شخصيات هذا اللقاء: طه حسين، عباس محمود العقاد، إسماعيل صبري، خليل مطران، ولي الدين يكن، مصطفى صادق الرافعي، انطون الجميل، إبراهيم المازني...» فهؤلاء المشاهير بدأوا يتوافدون على منزل ميّ زيادة كل ثلاثاء مأخوذون بذكائها وجمالها معاً ولا نغالي إذا قلنا حسب ما جمعت المصادر أن وقعوا في حبها، وتعود فكرة هذا الصالون - المنتدى إلى عام 1914 ويعد صالون ميّ أول صالون أدبي أثر في التطور الأدبي والعطاء الفكري ولعب دوراً مهماً في بلورة الكثير من الآراء والأفكار والاتجاهات الأدبية، وإذا كان صالون ميّ الأول من حيث الأهمية في العالم العربي إلا أن ميّ استفادت من تجربة صالون دي رامبوليه تلك السيدة الفرنسية التي عاشت في عهد لويس الرابع عشر والتي حولت إحدى غرف منزلها إلى منتدى فكري وأدبي لتحريك العطاءات الإبداعية...، ويذكر محمد عبد المنعم خفاجي في مقالة له أن ميّ أقدمت على هذه الخطوة «بإيجاء من لطفي السيد صاحب فكرة المتوسطة في مصر في بداية القرن».

ويصف سليم سرקيس صالون ميّ: «وتفتح ميّ أبواب غرفة الاستقبال في منزل والديها رقم 28 شارع المغربي في القاهرة... مساء كل ثلاثاء يتحول منزل الياس أفندي زيادة صاحب جريدة «المحرسة» إلى منزل فخم في باريس وتحول الفتاة التي لا تزال في أواخر العقد الثاني من عمرها إلى مدام دي ستايل، ومام ريكاميه، وعائشة الباعونية، وولادة بنت المستكفي ووردة اليازجي في شخص ومدارك الأنسة ميّ ويتحول مجلسها يحضره إسماعيل صبري، ولطفي السيد وشبلي شميل وخليل مطران وأحمد زكي باشا، هؤلاء جميعاً يهزون بأحاديثهم ومناقشاتهم أغصان شجرة ذات ثمر ويحركون وردة ذات أريج، والأنسة ميّ بينهم تناقش هذا وتدفع حجة ذلك».

ولأهمية هذا الصالون وما يدور فيه من أحاديث وما يعالج فيه من المسائل، وما روي فيه من شعر، وما يناقش فيه من مسائل علم وأدب جعل المترددين عليه والمشاركين فيه ينتظرونه بفارغ الصبر، فمرة اضطر الشاعر إسماعيل صبري للغياب فإرسال رسالة لمي يقول فيها:

«روحي على بعض دور الحيّ جائزة

كظامي الطير حواماً على الماء

إن لم امتع بمي ناظري غداً

انكرتُ صباحك يا يوم الثلاثاء».

وهناك الكثير من الآراء حول «صالون مي» ..

طه حسين يقول فيه: «وكان الذين يختلفون إلى هذا الصالون متفاوتين تفاوتاً شديداً فكان بينهم المصريون، على تفاوت طبقاتهم ومنازلهم الاجتماعية وعلى تفاوت أسلحتهم أيضاً. وكان منهم السوريون وكان منهم الأوروبيون على اختلاف شعوبهم وكان منهم الرجال والنساء وكانوا يتحدثون في كل شيء ويتحدثون بلغات مختلفة وبالعربية والفرنسية والانكليزية خاصة. ربما استمعوا لقصيدة تشد أو مقالة تقرأ أو قطعة موسيقية تعزف أو أغنية تنفذ إلى القلوب».

ويصف الشاعر أحمد شوقي صالون ميّ وقد تردد كثيراً عليه، بقصيدة جميلة يترجم فيها انطباعاته عن ميّ:

«اسائل خاطري عما سباني
رأيت تنافس المحسنين فيها
إذا نطقت صبا عقلي إليها
وما أدري اتبسم عن حنين
أم أن شباهها راث لشبيبي
وما أوهى زمان من كياني».

أما الأديب أحمد حسن الزيات فيقدّم لوحة ناطقة عن ميّ في كتابه «من وحي الرسالة» فيصفها في صالونها:

«تشارك في كل علم وتفيض في كل حديث، وتختصر للجلس سعادة العمر كله في لفظة أو لمحة أو ابتسامة كأن فيها أفضل ما في الرجل وخير ما في المرأة، فمن كان يسمعها خطيبة أو يشهدها محدثة كان يحسبها - وقد استندارت على رأسها الأنيق هالة من السحر والفتنة - قلوب احدى بنات جويتير التسع وآلهة الفنون التسعة، وقد سرقت من اخواتها أسرار فنونهن ثم هبطت من فوق جبل البيرناس إلى ضفاف النيل».

أما العقاد فإنه يصف مي في إدارة لقاء الثلاثاء في صالونها بالقول:

«كان ما تتحدث به ميّ ممتعاً... فإذا دار الحديث بينهم جعلته ميّ على نسبة المساواة والكرامة وأفسحت المجال للرأي القائل وللرأي الذي ينقضه أو يهدمه وانتظم هذا برفق ومودة ولباقة ولم يشعر أحد بتوجيه الكلام منها وكأنها تتوجه من غير موجه أو تنتقل بغير ناقل وتلك غاية البراعة في هذا المقام..

علاقة ميّ بالذين أحبوها

إن غالبية الذين تردّدوا على صالون ميّ وقعوا أسرى هواها ولكننا نعتقد أنها

أحببت اثنين فقط الأول جبران خليل جبران وهو لم تره في حياتها شخصياً إلا من خلال الرسائل والكتب والصور الفوتوغرافية لأنها وجدت فيه الرجل الوطن والثاني وهو من رواد صالونها وهو عباس محمود العقاد لأنها وجدت فيه الرجل الحبيب.

ولو قدر لها أن تلتقي بجبران لما أحببت العقاد، والمثل الشعبي يقول «البعد جفاء» ولكن رغم هذا البعد فإن ما كتته لجبران من مودة وحب لو عمّدت اللقاءات لما أحببت العقاد. ولكن العقاد مركزه من قلب ميّ أنه «عصفور باليد» وما قيل عن علاقة الحب بين ميّ ولطفي السيد وأنطون الجميل فإنه أقل بكثير من مكانة العقاد في قلب ميّ حتى أن علاقة ميّ بمصطفى صادق الرافعي لم يكن حباً رغم رسائل الإطراء بينهما ونرد ذلك إلى قراءتنا المفصلة لعلاقة ميّ بالعقاد، لأن ميّ كانت تجاهر بكل الذين يتوددون منها ما عدا العقاد، فكانت مثلاً لا تتردد أمام الحضور في صالونها أن تردد قصيدة لولي الدين يكن خصها بها، كونه أكبر سنّاً إضافة إلى إصابته بالربو، ولكن العقاد الأكثر نضارة وشباباً من يكن والأصغر سنّاً منها لم تتجرأ على قراءة قصائده التي أطراها فيها. أما علاقتها بالرافعي لم تكن أكثر من إغاطة للعقاد لتحرك مشاعره وتثير غيرته عليها، ونذكر في هذا المجال أن العقاد عاد إلى مصر من لبنان فاتصلت ميّ زيادة به تلفونياً فأجابت على المكالمة فتاة أخرى تدعى «سارة» فثارت ميّ زيادة غضباً وتحرك شعور غيرة المرأة عندها فذهبت إلى مكتب عمله في جريدة «البلاغ» وهي الزيارة الأولى لها للعقاد في عمله وكانت الأخيرة أيضاً وعاتبت العقاد وبكت وفهم العقاد أن ميّ تحبه حباً كبيراً وإلا لما بكت فتقدم منها وقبل يدها ولكنها انهمت وهي باكية بدون أن تودّعه. هذا يدلنا على أن العقاد الذي كان له مكانة خاصة عند ميّ جعلها تذهب إليه تعاتبه بنظراتها وتبكي، ولكن فتاة مثلها لا بد وأن تثور لكرامتها لأنها أحست أن للعقاد علاقة مع «سارة» وتجدر الإشارة أن للعقاد منزلة خاصة عند ميّ جعلتها تلتقي به كل يوم أحد وفي الليل خارج إطار الصالون الذي يقام كل يوم ثلاثاء.

ففي رسالة جوابية بعثت بها للعقاد تقول ميّ:

«ولا تظن أنني أنظر إلى أحد من زوار الندوة نظرتي إليك، أو نظرة تجعلني في مكان الانتباه إليه، وأنت لست في حاجة إلى كتابة كلمات تؤكد فيها شعوري نحوك، وما أكنه لك من إعجاب وتقدير وفي اللقاء متسع للتعبير.

أما عن اقتراحك الحضور في غير الثلاثاء فإني أترك لك اختيار اليوم والوقت على أن يكون الموعد مساءً».

وبعد خروج مي من مكتب العقاد يوم أبكاها من الغيرة، شجع العقاد هذا الحب
الراحل بقصيدة عنوانها «موت الحب» منها:

«ولد الحبّ لنا، وافرحتهاه وقضى في مهده وأسفاه
مات لم يدرج، ولم يلعب ولم يشهد الدنيا، ولم يعرف أباه
ليته عاش فأما إذ قضى فليكن برداً على القلب جواه».

كتابات ميّ

تناولت ميّ مناحي أدبية عديدة، فكتبت الشعر والقصة، والمقالة، وكانت
المحاضرة والخطبية اللامعة والمترجمة. . ولعلها كانت أشد براعة في الخطابة والمقالة.

صدر لها ديوان شعر بالفرنسية «زهرات حلم» يتسم بالرومانسية الحادة. . وفي
شعرها يظهر تأثرها واضحاً بشعراء الرومانسية الفرنسية وخاصة بالشاعر لامارتين
والشاعر الفرد موسيه وقد لاقت مجموعتها الشعرية ترحيباً كبيراً فتناوله انطون الجميل
والدكتور شبلي الشميل وأهداها على اثر ذلك خليل مطران قصيدة وفي عام 1952 قام
الدكتور جميل جبر بترجمة عدد من قصائدها إلى اللغة العربية وضم إلى هذه القصائد ما
كانت قد نشرته مجلّتا المقتطف والهلال وأصدره بعنوان «أزاهير حلم» تأليف ميّ زيادة.

وللأدبية كتاب «سوانح فتاة» نشرته عام 1922 وهو عبارة عن مجموعة مقالات
كانت قد نشرتها في صحف عديدة، ولها كتاب «المساواة» الذي تناوله انطون سعادة
وجئنا على ذكره في بداية الكلام. وللأدبية كتابات كثيرة لعبت دوراً في النهضة الأدبية،
ولكن الجدير ذكره أن ميّ زيادة كانت تجيد الفرنسية والإنكليزية والإيطالية والألمانية
والإسبانية ولها ترجمات عديدة للذين كتبوا بهذه اللغات الأجنبية.

ونذكر أيضاً أن للأدبية مواقف ضد الحرب فلما قامت الحرب العالمية الثانية
كتبت رسالة بليغة في فلسفة الحرب بعنوان «رسالة إلى هتلر» نددت بمساويء الحرب
وويلاتها.

ويطل عام 1941 وترحل ميّ زيادة بعد ان آلتها الحياة وآلمها الذين أحببتهم وبعد
أن وجدت نفسها وحيدة بدون معين فتدفن في جوار والديها في القاهرة.

ميّ زيادة في الذكرى المثوية لولادتها ستبقى رمزاً للمرأة الأدبية الكبيرة التي تركت
بصماتها على جزء مهم من تراثنا الأدبي والفكري والإنساني والتي لعبت دوراً كبيراً في
حياتها الأدبية ونهضتها».

مي زيادة

- ولدت ماري الياس زيادة عام 1886 في ناصرة فلسطين، ابوها من شحتول - كسروان لبنان وامها من الناصرة.
- التحقت بمدرسة في الناصرة منذ السادسة ثم التحقت بمدرسة عينطورة وانتهت دروسها فيها عام 1904.
- انتقلت عام 1908 مع والديها الى مصر فأقامت فيها، وانتقت لنفسها اسم مي.
- تعرفت الى جبران خليل جبران عن بعد وراسلته منذ اوائل 1912، واستمرت العلاقات الادبية بينهما، كما كان شبلي شميل من اخص اخصائها.
- درجت مي، في كل ثلاثاء، على استقبال الكتاب والفنانين في صالونها الذي غدا بعد حين الندوة الادبية الاولى في العالم العربي.
- التحقت بالجامعة المصرية ودرست الفلسفة والادب وكانت اول فنانة جامعية في العالم العربي.
- ترددت الى لبنان واصطافت فيه مرات عديدة.
- كتبت عن ملك حفني ناصف وعائشة تيمور ووردة اليازجي وقد جاءت فصولها عن الادبيات الثلاث خير ما كتب عنهن.
- نشطت نشاطاً ملموساً في الحقل الادبي فكانت تكتب في الصحف والمجلات بالعربية والفرنسية والانكليزية وترجم وتخطب وتحاضر، وقد كانت تجيد اربع عشرة لغة من اللغات الحية.
- ساحت عام 1925 في ايطاليا، وعادت فكتبت عدة اجاث دقيقة عن اشهر الفنانين في العالم ولا سيما بهوفن كان لها اثرها في تعريف الغرب الى العالم العربي.
- زارت فرنسا وانلكترة عام 1932 وعادت لترجم اعلام الفكر الاغريقي.
- بعد ان فقدت والديها، ظهر ميلها الى العزلة بسبب وحدتها، وازداد تشاؤمها ثم اصابتها هستيريا وعجزت عن الكتابة فعاشت في اضطراب عيشة النساك وحاولت مرة الانتحار.
- في عام 1936 جيء بها الى مصحح العصفورية خدعة فعانت آلاما نفسية كبيرة.
- قامت الصحافة في لبنان بمحلمة عنيفة احتجاجا على تقييد حرية مي، وبرزت فيها «صدى النهضة» جريدة الحزب السوري القومي واهتمام الزعيم بشخصه في الامر.

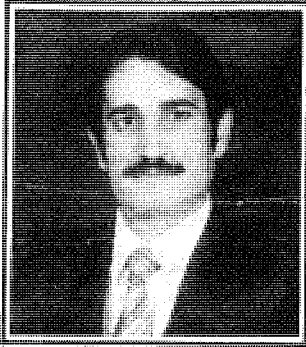
□ اعيدت اليها حريتها فاقامت في لبنان زمنا ثم عادت الى مصر وانزوت في منزلها حتى توفيت سنة 1941 .

- كتب الزعيم مقالا عن مي، في ايامها الاخيرة نشر في مجموعة النظام الجديد .
- الف جميل جبر كتابين فيها: «ميّ في حياتها المضطربة» و«مي وجبران» .

مؤلفاتها

- ازاهير حلم: بالفرنسية وهو اول كتاب لها نشرته بامضاء ايزيس كوبيا .
- ظلمات واشعة: اروع ما تركته ميّ من آثار ادبية .
- باحثة البادية: كتاب عن ملك حفي ناصف الملقبة بهذا اللقب .
- كلمات و اشارات: مجموعة خطب عن المرأة في العالم العربي .
- المساواة: معالجة ونقد لاشهر النظم الاجتماعية في العالم⁽¹⁾ .
- مذكرات الجامعة المصرية: يوميات عميقة كتبتها وهي في الجامعة .
- ليالي العصفورية: يوميات عن حياتها في العصفورية ولا يزال مجهول المصير .
- رسالة الاديب الى الحياة العربية: محاضرة القتها في الجامعة الاميركية عام 1938 .
- ومن مؤلفاتها ايضا: الجزر والمد، سوانح فتاة، الصحائف، غاية الحياة، رسائل ميّ .

(1) كتب سعادته عنه مقالا تحت عنوان «نظرات في المساواة» في جريدة «الجريدة» من العدد 95 في 1922/12/7 الى العدد 101 في 1922/12/14 ، وهو منشور في الآثار الكاملة، الجزء الاول، 1921-1932، ما قبل التأسيس، في الصفحة 41 .



الحزب السوري القومي الإجتماعي

في ملاحم صراعه

1938 - 1932

اعداد الأمين أسامة سمعان

عضو اللجنة الاذاعية المركزية

بسقوط منطقة الهلال الخصيب تحت نير الاستعمار التركي، دخلت عصرا انحطاطياً رهيباً كانت أبرز سماته، حالة التخلف الفكري والاجتماعي والاقتصادي. ونشؤ حالة التمزق الداخلي بالرغم من الوحدة السياسية تحت كنف هذا الاستعمار.

لم يستسلم الشعب السوري للإرادة التركية الاستعمارية. بل جرت محاولات جريئة لاعادة وحدة البلاد واستقلالها ولعل أبرز تلك المحاولات. هي محاولة فخر الدين المعني الثاني قبل عام 1585 الذي استطاع أن يوسع حدود إمارته بحيث شملت قسماً من فلسطين والشام وعبداً لبنان.

وفي فترة 1875 ولغاية 1913 قام الوطنيون السوريون بإنشاء الأحزاب السرية والجمعيات الثورية التي كانت تحمّ الشباب على النضال في سبيل الاستقلال، وما عيّد الشهداء في السادس من أيار الذي يحتفل فيه رسمياً لبنان والشام اليوم، إلا دليلاً وشاهداً على حقيقة إرادة الشعب السوري وتضحياته التي قدمها على أعواد جمال باشا في ساحتي البرج والنجمة في بيروت ودمشق.

إن موقع سوريا الجغرافي الهام، كنقطة وصل بين الشرق والغرب. وكونها تكتنز الخيرات والخصب، كان ذلك سبباً رئيساً في اعتبارها قبلة الأمم الكاسرة الطامعة للسيطرة على موارد الآخرين والعيش على حسابهم.

فرنسا كانت ترغب في أن تبقى مسيطرة الى الأبد على سورية، وكان الغرب قد ذاق طعم استعمارها منذ الحروب الصليبية. فنرى نابليون عندما غزا مصر عام 1798 يخاطب اليهود قائلاً «يا ورثة فلسطين الشرعيين». مدركاً أن السيطرة الدائمة إنما تكون باقتلاع الشعب السوري وزرع شعب آخر ليضمن مصالح فرنسا.

لم يكتب النجاح لنابليون بسبب المواجهة البريطانية له. والتي أبدت اهتماماً كبيراً
فكرة نابليون التي بدأت تتبلور لديها. وهذا ما حدا ببريطانيا الى مواجهة محمد علي
باشا الذي اجتاحت سوريا والأناضول عام 1831. لأنها رأت أن دولته ستشكل خطراً
وسداً على مصالحها التجارية الحيوية مع بلدان الشرق الأقصى.

لم تترك فرنسا وبريطانيا مناسبة إلا واستغلتهما للتدخل بشؤون سورية، وكان أبرز
تدخل تمهيدي لخططهما عام 1840 - 1860 أثناء الفتن الطائفية في جبل لبنان والتي كان
بموجبها حصولهما على امتيازات ثقافية وتجارية وغيرها.

هنا يفهم كيف رأت الحركة الصهيونية النور عام 1897 بفعل عقيدتها الخرافية
التوراتية القائلة بأرض الميعاد من جهة. وبفعل الامبريالية العالمية التي تأبى غير السيطرة
على الشعوب الصغيرة لنهب مواردها، واقتلاعها من أرضها، من جهة ثانية.

بدأت الحرب العالمية الأولى وسوريا تعاني من عدة مآسٍ.

أولاً: حالة التفتت الداخلي بين قوى الشعب الفاعلة.

ثانياً: حالة الاقطاع السياسي والزراعي.

ثالثاً: طموحات الامبريالية في السيطرة على سورية.

رابعاً: طموح الصهيونية بإنشاء دولة إسرائيل على أرض سورية.

خامساً: اضطهاد القوى الثورية وتشريد خيرة المناضلين واعداد الآخرين.

هُزم الجيش التركي خلال الحرب العالمية الأولى 1914 - 1918 بتحالف الشعب
السوري مع جيوش الحلفاء ضد العدو المشترك. إلا أن فرنسا وبريطانيا الدولتين
الاستعماريتين اللتين لم تفيا بوعودهما بترك الشعب السوري يتدبر شؤونهما. فإذا بهما
تعقدان عام 1916 اتفاقية سايكس بيكو لتقسيم سورية بينهما. ثم تصدر بريطانيا وعد
بلفوز المشؤوم عام 1917 الذي تمّ بموجبه بيع فلسطين لليهود. ثم أتبع الوعد عام 1919
بقرار تجزئته سورية الى دويلات طائفية.

في خضم المواجهة للاستعمار التركي ولد أنطون سعادة عام 1904 في بلدة زهور
الشوير في بيت والده المناضل الدكتور خليل سعادة الذي هاجر إلى مصر مع من هاجر
من الأدباء والمناضلين. ليتابع دوره في النضال.

أما أنطون سعادة الذي بقي في زهور الشوير فإنه يرفض حمل العلم التركي في

حفلة اقامته المدرسة التي يتعلم فيها. ثم لا يشارك في الاحتفال، وفي عام 1918 ينزل العلم التركي عن سارية مأوى مدرسة برمانا.

عن تلك المرحلة يقول سعادة: «كنت حدثاً عندما نشبت الحرب الكبرى سنة 1914 ولكني كنت قد بدأت أشعر وأدرك. وكان أول ما تبادر الى ذهني، وقد شاهدت ما شاهدت وشعرت بما شعرت وذقت ما ذقت مما مني به شعبي. هذا السؤال «من الذي جلب على شعبي هذا الويل»؟. منذ وضعت الحرب أوزارها أخذت أبحث عن جواب لهذا السؤال وحلّ للمعضلة السياسية المزيفة التي تدفع بشعبي من ضيق الى ضيق فلا تنقذه من دبّ إلا لتوقعه في جبّ». (المحاضرات العشر ص 48).

عام 1920 سافر سعادة الى البرازيل. وبدأ الكتابة في جريدة «الجريدة» التي كان يصدرها والده هناك. وانتمى الى تنظيمات سياسية، إيماناً منه بأن بعض الأحزاب السياسية هي حالة من حالات التجزأ النفسية.

ولم تكن لديه رغبة لزيادة هذه التجزئة. إنما أراد على حد قوله «كنت أحاول في جميع الأحزاب والجمعيات السرية التي اتفق لي الانخراط فيها أو تأسيسها أو الاتصال بها أن أوجه الأفكار الى ما وصلت إليه فلم أوفق كثيراً». (المحاضرات العشر ص 49).

ولكن الحالة في المهجر لم تكن المكان الصالح لاطلاق عمل سياسي فضالي تحريري. فيقول واصفاً الحال في المغتربات «لم تكن الحال في المهجر أحسن إلا قليلاً. فقد فعلت الدعاوات فعلها في المهاجرين فانقسموا شعباً. وكانوا كلهم سوريين. ولكن فئة كبيرة منهم خضعت للنعرات المذهبية فنشأت هناك أيضاً الفكرة اللبنانية التي تتيح بقاء زعامة المؤسسات الدينية وسلطانها ونفوذها».

كان سعادة في المغرب يحيا أيام أمته سورية التي كانت على حد تعبيره الرمزي «جسداً بلا روح» وإلا كيف لا تقوم فيها نار ثورة عارمة. «... تصريح بلفور هو تصريح اعتدائي على وجود الأمة السورية وعلى سيادتها وحقوقها. ومجرد اعلانه كان يجب أن يكون سبباً كافياً بإثارة نقمة الأمة السورية واحتجاجها ومقاومتها». (المطلقات الفكرية والستراتيجية - انعام رعد - ص 12).

لقد كافح سعادة وناضل عن طريق نفخ الثورة والتمرد من خلال كتاباته. وهلل للظاهرة الثورية التي لفت الشرق. فراه يكتب عام 1925 في مجلة المجلة «لذلك نقول بوجود اضرام نار عارمة في الشرق. ونحبذ تباشير الثورة المنطلقة من سورية ومصر ومراكش والصين وأقسام أخرى من الشرق» وهو في مكان آخر من المجلة يبشر باقتراب الوقت الذي تدخل فيه هذه الثورات في طور انفجارها الأخير.

عام 1929 يقرر سعادة العودة الى الوطن وقد تمت لديه قناعة أن النضال المفيد هو على أرض الوطن وقد كتب في مذكراته في 19 يوليو 1929 «يجب أن أنسى جراح نفسي النازفة لكي أساعد على ضمّد جراح أمتي البالغة».

عام 1931 ينتقل من بيروت الى دمشق ويشترك في تحرير جريدة الأيام الدمشقية. ومن على صفحات جريدة ألف باء الدمشقية وجه رسالته المفتوحة. الشهيرة الى لويد جورج عن الحركة الصهيونية وأثرها التدميري للإنسانية، التي ختمها بقوله «إني اطمئنكم بأن نتائجها لن تقتصر على فلسطين بل تتناول العالم لجميع بني الإنسان، ومن يعيش ير». (الأثار الكاملة مرحلة ما قبل التأسيس ص 228).

عام 1932 ينتقل الى بيروت، حيث اتخذ قراره بتأسيس الحزب السوري القومي الاجتماعي. بقصد وغاية أساسية من إنشاء الحزب وخططه. «إن خطط الحزب السوري القومي الاجتماعي كما هي في فكر الزعيم وتخطيطه وعمله لم ترم قط الى إنشاء كتلة عقائدية متحجرة، بل الى منظمة عقائدية تفعل إدارة وسياسة وحرماً لتحقيق غايتها. ودستور الحزب وتشكيلاته كلها تدل على اتجاهه العملي مع تأمين أساسه العقائدي».

بدأ بإعطاء دروس في اللغة الالمانية في الجامعة الأميركية إيماناً منه بأن الحزب يجب أن ينطلق من أوساط الطلاب «لأن الطلاب هم نقطة الارتكاز في العمل القومي».

لقد وضع مبادئ الحزب الأساسية والاصلاحية وبدأ اتصاله بالطلاب على القاعدة السرية وذلك للأسباب التالية:

أولاً: إن الحزب الذي وضع في غايته العمل على وحدة سورية الطبيعية واستقلالها وسادتها وإقامة نظام جديد يؤمن مصالحها ويرفع مستوى حياتها ويسعى لإنشاء جبهة عربية. إن هذا الحزب سيقا تل حكماً الانتداب الفرنسي البريطاني وسيحارب عملاءه. والمندوبون سوف لن يمنحوا هكذا حزب ترخيصاً قانونياً بل سيقمعونه بموجب قانون قمع الجرائم 115 ل.ر. الذي يجرمون بموجبه تجمع أكثر من خمسة أشخاص.

ثانياً: إن غالبية الشعب كان قد تولد لديهم شعور بالخوف والاستسلام للأمر المفعول، نتيجة الاضطهادات المتكررة. فالعمل السري يساهم في إزالة عامل الخوف ليغرس مكانه إرادة المواجهة وحب الحرية والتضحية في سبيل الحياة الحرة الكريمة.

ثالثاً: النفسية الفردية كانت سائدة في غالبية عقول ساستنا، وهي شعور قاتل للشعور القومي ومدمر لنهضة الأمة... فالسرية تزيل عقدة التسابق الى حب الظهور واقتسام الغانم. وترسخ مفهوم ذويان الفرد في الجماعة المؤمنة الواعية الناهضة باعباء الأمة وأثقالها. - راجع عبد الله قبرصي يتذكر -

إذن الجامعة الأميركية كانت لنشر عقيدة الحزب ليست لأن الطلاب فقط هم نقطة انطلاق في العمل القومي وحسب بل لأن هؤلاء الطلاب هم من معظم كيانات الأمة السورية المجزأة المغلوب على أمرها.

كان أول الداخلين الى الحزب جورج عبد المسيح وجميل صوبايا وفؤاد حداد ووديع تلحوق من الكيان اللبناني وزهاء الدين آل حمود من الأردن.

ولكن الزعيم بعد فترة من التجربة استدعى هؤلاء الخمسة ليلغهم رغبته في حل الحزب. لأنه تبين له أن عضوين منها غير صالحين للاستمرار في الحزب. وكانت هذه الطريقة لطردهما، لأنه لم يكن للحزب دستور بعد. فعاد واتصل بالثلاثة الباقين ليلغهم قصده من قرار الحل.

منذ تأسيس الحزب في 16 تشرين الثاني 1932 ولغاية انكشاف أمره عام 1935 تُعتبر هذه المرحلة في تاريخ الحزب بأنها المرحلة الأولى أي التأسيس وتمتد حتى الأربعينات أما المرحلة التالية فهي مرحلة التحقيق. وقد ميز سعادة بين هاتين المرحلتين في رسائله (كتاب شروح في العقيدة) «في المرحلة الأولى يكون الهدف المباشر الأوحده. نشر العقيدة وبناء الجسم الحزبي القادر على حمل الرسالة والانتصار بها. وفي المرحلة الثانية. مرحلة التحقيق، يبقى ويستمر البناء العقائدي. لأنه الحزب الدائم للحزب العقائدي. ولكن التشديد يصبح على التحقيق. الإنسان الجديد يبدأ صراعه في سبيل إقامة النظام الجديد، في سبيل انتصار «الخطة النظامية الدقيقة» في مجتمعه.

يمكن تلخيص مرحلة التأسيس بما يلي:

- 1- إنشاء حزب عقائدي يفعل سياسة وإدارة وحرابا. لاحزب كلام وحزب تمنيات وتبجحاح شخصية. ولقد بلغ عدد الأعضاء العاملين في هذه المرحلة ما يزيد عن الألف عضو، بينهم الأديب والمحامي والمهندس والعامل والفلاح والطالب.
- 2- البناء الحزبي كان على أساس «نحن نبي أنفسنا حياة وحقاً، نبي أنفسنا زحفاً وقتالاً، في سبيل قضية واحدة هي قضية أمة لا قضية أشخاص». (ص 65 مراحل

المسألة الفلسطينية) وقد كان المتمون إلى الحزب من مختلف المناطق والكيانات السورية ومن مختلف طوائف الأمة.

3- ابرام مشروع الدستور الشامل عام 1934، لأن الدستور سابقاً ومن ضمن المرحلة لم يكن شاملاً.

4- اعتماد الزوبعة شعاراً للحزب بزواياها الأربعة التي ترمز الى مثل الحزب العليا الحرية والواجب والنظام والقوة.

لم يصدر الحزب بيانات في المرحلة السرية تحدد مواقفه من الأمور السياسية الجارية. بل كانت تعمم على الأعضاء لرسم سياسته بما هو واضح جلياً في الخطاب المتهاجي عام 1935 والذي يمكن تلخيصه بما يلي:

- اعلان دولة الأمة السورية تقوم على أربع علائم هي: الحرية، الواجب، النظام، القوة.
- ابتداء تاريخ جديد للأمة السورية.
- اعلان وحدة الأمة السورية المعبر عنها بالحزب السوري القومي الاجتماعي.
- نشؤ قضية قومية واضحة للشعب السوري هي قضية الأمة السورية.
- اعلان مبدأ الإرادة. إرادة الحياة لأمة حية، اعلان مبدأ، أن المبادئ توجد للشعوب لا الشعوب للمبادئ، اعلان مبدأ ان كل مبدأ لا يخدم سيادة الشعب هو مبدأ فاسد. اعلان مبدأ ان كل مبدأ صحيح يجب أن يكون لخدمة حياة الأمة.
- اعلان استقلال الإرادة عن الإرادة الأجنبية.
- الحزب فكرة وحركة تتناولان حياة أمة بأسرها.
- نظام الحزب السوري القومي الاجتماعي لا يقوم على التقليد.
- تحديد مفهوم العلاقات الانترنسيونية على أساس أن تعترف الدول بالدرجة الأولى، بحقنا في الحياة وأن تكون مستعدة لاحترام هذا الحق.
- اعلان وضع حد للفتوحات الأجنبية.
- التحذير من الوقوع فريسة الدعاوات الأجنبية.

ذلك لأن شعبنا، خصوصاً في مرحلة بروز النازية الهتلرية في المانية والانتصارات السياسية والعسكرية التي حققتها في أكثر من مكان في العالم. تصوّر أن بانحيازه الى المانية المتناقضة مع جبهة الحلفاء والتي كانت تضمّ فرنسا وبريطانيا المنتدبتين على سورية، انه بهذا الانحياز يحقق تحرير بلاده ومن هنا كان بعض أفراد شعبنا يلقبون هتلر (بالحاج محمد).

انتشار الحزب :

على هذا الأساس يمكن تصور كيفية انتشار الحزب، والصعوبات الخطيرة التي واجهته، شخص واحد هو أنطون سعادة آمن بالقضية القومية التي تردّ على تحديات تاريخية و اراد أن ينشئ حزباً يحمل رسالتها موجهاً نحو أفراد الأمة فرداً فرداً.

ينشئ النواة كما ذكرنا، ثم يحلّها ليقصي عضوين فاسدين، انه لا يريد نشوءاً فاسداً. ويبقى الحزب طيلة عاميه الأول والثاني 32- 33 لا يتجاوز الخمسة عشر عضواً. وفي عام 34 يصبح العدد ثلاثين عضواً.

وفي صيف عام 34 تمتد حركة الحزب الى طرابلس والكورة، ويقبل عليها عدد من الشباب الذي أصبح من الواجب صهرهم في العقيدة القومية الاجتماعية، وتمتد الحركة خارج نطاق الطلبة في الجامعات والمدارس، الى أحياء في بيروت والجبل ودمشق والقدس. والحزب ليس لديه من منشورات وأبحاث لنقل الأفكار بسرعة لسبب قوانين قمع الجرائم، فالعمل مخوف بالمخاطرة الجسيمة وليس لدى - القوميين سوى المبادئ والدستور الأول وخطاب الزعيم المناهجي في أول حزيران 1935.

الحزب في مواجهة الانتداب الفرنسي البريطاني :

السادس عشر من تشرين الثاني عام 1935 كان بدء أول معركة سياسية يخوضها الحزب مع الانتداب الفرنسي، إذ إثر انكشاف أمر الحزب لدى دوائر استخبارات الانتداب. بقي القبض على زعيم الحزب وأعضاء من قيادته.

وكانت المحاكمة التي استمرت أربعة أيام عام 1936 والتي انتهت بالحكم على أنطون سعادة بالسجن، بعد أن ربح أول معركة، ضد الانتداب بتأكيد مبدأ الإرادة في المواجهة بين قوتين غير متكافئتين. رافضاً مبدأ التملص والهرب من تلك المواجهة. صارخاً في وجه الحاكم عندما طلبوا إليه أن يدافع عن نفسه باللغة الفرنسية «... اني سوري وفي بلادي ولاني أقود حركة تحريرية ترمي إلى إقامة السيادة القومية وجعلها مطلقة فلست أقبل أن أحمل على الكلام في بلادي بغير لغتي». (الاثار الكاملة - الجزء الثاني 32 - 36). معلناً أن الحزب هو حركة الشعب السوري العامة وهو لذلك لا ينبغي ان يسميه سرياً. فإذا كانت السرية أمر غير طبيعي، في العمل السياسي، فإن سورية بخضوعها للانتداب فهي ليست طبيعية. فالسرية لا يتحمل مسؤوليتها مؤسس الحزب

ولا أعضاؤه، بل يتحمل سببها من فرض هذه السرية بمنع الشعب من ممارسة حقه السياسي.

وكان جواب زعيم الحزب على تهمة خرق وحدة البلاد الجغرافية وانتهاك حرمة الأرض - كالصاعقة تضرب هيئة المحكمة بقوله «... أراني مضطراً، علمياً لا بالعاطفة، للقول: إن خرق وحدة وطننا الجغرافية وانتهاك حرمة أرضنا قد تمّا بالفعل في سان ريموسيفر ولوزان والمسؤولون عن ذلك هم غير الحزب السوري القومي الاجتماعي». وهكذا، أصبح المتهم متهماً.

إن الدعوة القضائية والمحاكمة في المحكمة أحدثت ذلك التيار من القوة المعنوية الذي رفع منزلة الحزب في أعين الشعب وأعين المنتدبين.

ولم يكتفِ الانتداب بسجن الزعيم وأعضاء القيادة مدداً متفاوتة، حيث أُلّف الزعيم خلال هذه المدة كتابه نشوء الأمم، بل أعيد إلى السجن ثانية أواخر 1936 حيث كتب كتيب شرح المبادئ. فيخرج ليعود ثالثة إلى السجن عام 1937 فيؤلف كتاب نشوء الأمة السورية وقد صودرت أوراق الكتاب منه عند اعتقاله وتمنعت السلطات عن إعادتها إليه. فيخرج في أواخر أيار 1937 ويتابع قيادة الحزب حتى مغادرته البلاد عام 1938. لتنظيم فروع الحزب في المغتربات.

ولم يقف الصدام مع الانتداب عند هذا الحد. بل تعداه الى تسيير المظاهرات المطالبة بالافراج عن المعتقلين في سجونهم، متطوراً إلى صدام فعلي في بكفيا عام 1937 بمناسبة الاحتفال - بالأول من آذار. حيث حطم القوميون الاجتماعيون بنادق رجال الانتداب الذين أرادوا منع قيام الاحتفال، بالرغم من معرفة القوميون بالنتيجة التي تنتظرهم ألا وهي السجن أو الاستشهاد.

كان لظهور الحزب على مسرح السياسة القومية الأثر البعيد على الانتداب الفرنسي البريطاني، مما جعل الفرنسيين يقرّرون إعادة النظر في قضية انتدابهم على الشام ولبنان... فكان البلاغ الذي وجهه زعيم الحزب والذي عُرف بالبلاغ الأزرق المؤرخ في 15 حزيران 1936.

تضمن هذا البلاغ «إن السوريين القوميون يقولون أيضاً أن قضية سورية المشمولة بالانتداب البريطاني هي قضية السوريين عامة. واننا نزعم وزعمنا حق. إن وعد بلفور وعد سياسي لا حقوقي وانه ليس لليهود حقوق خاصة أو عامة في أية أرض سورية». (الاثار الكاملة. مختارات في المسألة اللبنانية - 36 - 43 ص 179).

الحزب في مواجهة الفتن الطائفية :

في السادس عشر من تشرين الثاني عام 1936 اصطدمت الأحزاب الطائفية المسيحية في لبنان «الوحدة» الماروني «والكتائب» الماروني. بالكشاف المسلم ويفرق «النجادة الاسلامية» وتحذت هذه الأحزاب الطائفية شعور المحمديين في بيروت.

إثر هذا التحدي قام خطباء الجوامع بدعوة المصلين إلى التصدي للمسيحيين رداً على اعتداء سابق على بعض مخازن المحمديين في الأحياء المسيحية.

إزاء هذه الحالة، نظمت منفذية بيروت فرقة من القوميين الاجتماعيين سارت إلى بعض الأحياء ومنعت الاشتباكات بعد ان وزعت بياناً للقوميين صادراً عن زعيم الحزب 16 تشرين 1936 جاء فيه :

«كونوا رسلاً امناء لقضيتكم القومية، كونوا جنوداً لتحاربوا التجزئة والانقسام الداخليين كونوا سداً منيعاً ضد الدعوة إلى بعث النعرات الهدامة أوصوا كل من تجتمعون بهم أن لا يكونوا آلة في يد رجال يستثمرون الشعب في سبيل منافعهم، هؤلاء الذين أتخذوا الرعونة نظاماً لهم والمنفعة الشخصية دستوراً».

لم تكن حوادث بيروت الطائفية وحدها من هذا النوع على ساحة الأمة السورية، كما في بيروت حوادث طائفية دائمة كذلك في حلب. وقد أعلن الحزب موقفه من هذه الأحداث بالقول «إن النفعيين الذين لا هم لهم سوى استثمار الحال الراهنة لأغراضهم الخاصة لا يزالون يرون المصالح مصالح مسلمين ومسيحيين ودروز الخ... وكل نفعي يلتجئ إلى جماعته الدينية ليسيرها في سبيل منفعه ونفوذه. انهم يجدون في تقسيم المصالح وفاقاً للقاعدة المذهبية الوسيلة الاستثمارية الأقرب متناولاً».

إن حوادث بيروت الأخيرة وحوادث حلب التي سبقتها دلت بكل جلاء على الأسباب الباغية كما دلت النتائج الحاصلة والنتائج المتوخاة».

لقد أدان الحزب مبثري هذه الفتن وتصدى لها بالقول والفعل، مؤكداً أن المعركة الحقيقية هي بين الشعب الذي يشكل مجموع الفلاحين والعمال وأرباب الحرف والصناعات والتجارات وبين أعدائهم من النفعيين والانتهازيين عملاء الاجنبي والقوى الاستعمارية والصهيونية التي تعمل على إلغاء وجودنا من أساسه.

الحزب السوري القومي الاجتماعي في مواجهة الخطر الصهيوني وثورة 1936 في فلسطين:

تفاقت الهجرة اليهودية إلى فلسطين، من ضمن الخطة الصهيونية العاملة على اقتلاع الشعب السوري منها تحت مظلة الانتداب البريطاني الذي أعطى وعداً لليهود بمنحهم وطناً في أرض سورية.

اندلعت الثورة بين القوى الصهيونية المدربة والمنظمة تنظيمياً جيداً. مدعومة بحراب الاحتلال البريطاني، مع الشعب السوري في فلسطين، الذي ينقصه التدريب والسلاح ووحدة المواجهة.

أصدر الحزب توجيهاته إلى القوميين الاجتماعيين في سوريا الجنوبية - فلسطين بضرورة المشاركة في تلك الثورة. بالرغم من رأي المركز بأن هذه الثورة ليست المعركة الفاصلة بيننا وبين أعدائنا اليهود والانكليز. ولكن مهما كانت النتيجة المباشرة فإن الحركة السورية القومية الاجتماعية ستؤدي بطبيعة الحال إلى إفشال الخطة الصهيونية المجرمة والتغلب على كل الصعوبات الخارجية.

وبالفعل فقد تدخلت العناصر السورية القومية الاجتماعية في تلك الثورة وأبليت بلاء حسناً مؤمنة بأن ما يقوم به هؤلاء الرجال إنما الواجب القومي في ظروف عصبية، دون أن يدخل اليأس إلى النفوس مؤمنين بآمتهم لا تموت، مؤمنين بحزبهم منتصرأ.

«ولقد أشرفت الثورة لتلتهب في أكثر من كيان وقد تدخلت فرق من القوميين مدربة ولها في العراك جولات، وعلى رأسها الشهيد القائد سعيد العاصر. إلا أن بريطانيا لجأت إلى ملوك العرب طالبة منهم التدخل باسم العروبة لرفع الحرب ونزع سلاح جيش الثورة. فتدخل أولئك الملوك ووعدوا بأن يتولوا تحقيق مطالب الثورة بالطرق السياسية، فسلمت «اللجنة العربية العليا» بذلك «وعلى رأسها مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني. فخرج الأمر من يد الشعب السوري ووفدت اللجنة البريطانية التي وضعت مشروع تقسيم فلسطين وإيجاد دولة يهودية في القسم الخصب منها». (راجع الاسلام في رسالتيه).

انتهت الثورة في فلسطين 1936، وقد حقق اليهود بفضل تنظيم، ودعم بريطانية لهم. وبفضل اعتبارية القيادات السياسية العربية النتائج التالية:

- 1- إيجاد مرفأ خاص باليهود في تل أبيب.
- 2- تجرؤ اليهود على مهاجمة قرى ومزارع سورية.

3- تمركز القوات البريطانية في النقاط الاستراتيجية ..

4- فقد الموسم السنوي .

5- جرحى وقتلى .

6- مشروع تقسيم فلسطين .

عن هذه النتائج تنشر جريدة النهضة البيروتية مقالاً بقلم الزعيم جاء فيه :

«الظاهر أن بريطانيا ماضية في تنفيذ سياستها في فلسطين . وهذه السياسة مبنية على أخذ مضمون وعد بلفور بعين الاعتبار والنظر الى اليهود نظرة المعترف بحقهم في الوطن السوري» .

«إن الوطنية عاطفة نبيلة ولكن سياسة التضحية يجب أن تكون مخططة تخطيطاً دقيقاً وسفك الدم ضروري متى كان وفقاً لخطة دفاعية موزونة واضحة أهدافها العملية ومحسوبة مبرراتها التنفيذية . أما سفك الدم عن جهل للنتائج فنتيجته خسارة الأرواح وضيع الثروة والوقت» .

الحزب يريد أن يقول أن الفكر السياسي لا يجوز أن يخضع للاعتبارات السياسية الاعتبارية . ولا يجوز أن تكون السياسة انعكاسية .

الحزب ورأيه في الانتخابات النيابية عام 1937 :

أعلن الحزب أنه لن يكون له موقف مباشر بصدد المجلس النيابي، مبدئياً تشاؤمه من المجلس النيابي ومن الانتخابات بسبب أساليب تمثيل الشعب . غير معلق أي أمل من فوائد الانتخابات الجارية وذلك للأسباب التالية :

1- الجهود الانتخابية ترمي الى تشكيل قوى سياسية على أساس المنافع الشخصية والعائلية في تلك المرحلة .

2- الانتخابات تجرى على أسلوب تمثيل الطوائف ، لا على أسلوب تمثيل المصالح .

3- جعل المصالح الطائفية أساس التمثيل النيابي يقضي قضاء مبرماً على المصالح العامة الأساسية لحياة الشعب وتقدمه .

4- أسلوب تطبيق الديمقراطية في وطننا شيء بدون معنى لأنه لا يوجد مؤسسات تضبط تصرفات النائب بالنسبة الى البرامج التي قَدَّمها والتي بموجبها تقدّم الناخبون باداء أصواتهم له .

موقف الحزب من الكيان اللبناني والقومية اللبنانية:

لقد هاجم الحزب بعنف كل أشكال التجزئة للأمة السورية، بدءاً من معاهدة سايكس بيكو ووعدها بلفور وقرارات تقسيم سورية إلى دويلات. ولكن كيف يتعاطى الحزب مع هذه الكيانات وكيف يوفق بين نظريته القومية وواقع هذه الكيانات السياسية في الأمة السورية.

لذلك نرى من الفائدة نشر بعض من حديث سعادة مع جريدة النهضة في عددها الصادر في 19 أكتوبر 1937.

سؤال: اتهم الحزب السوري القومي الاجتماعي بالعمل لهدم كيان لبنان. فهل هذا صحيح؟

جواب: لقد جرى الاتهام ولم تثبت صحته والحقيقة اننا لسنا اعداء للكيان اللبناني. ولسنا حزبياً يطالب بالوحدة السياسية الاعتباطية التي يريدها بعض المتزعمين لأسباب غير قومية وان تسترت بالقومية. بل نحن حزب يعمل للوحدة القومية أولاً اما الوحدة السياسية فمسألة غير متعلقة بنا رأساً بل مرجعها الأمة ونحن في لبنان نعمل بصورة إيجابية ضمن الكيان اللبناني لنجاح الشعب اللبناني وتقدمه من غير أن يمنعنا هذا العمل من اعتبار الواقع أن سورية الجغرافية تشكل وحدة اجتماعية اقتصادية. ومنذ الوقت الذي تمّ فيه الاعتراف بالكيان اللبناني أصبح هذا الكيان كيان جميع اللبنانيين، ونحن منهم. وأصبح واجب جميع اللبنانيين ممارسة حقوقهم المدنية ضمن هذا الكيان ونحن من جملة اللبنانيين الذين لهم الحق ان يمارسوا صلاحياتهم المدنية لمصلحة الشعب اللبناني.

السؤال: كيف توفقون بين عقيدتكم القومية الاجتماعية واحترام الكيان اللبناني؟

جواب: ان عقيدتنا القومية الاجتماعية شيء إجتماعي والكيان اللبناني سياسي ونحن لا نخلط بين الاثنين فإذا كانت المصلحة أو الظروف السياسية اقتضت إنشاء الكيان اللبناني فالمسألة من هذا الوجه تبقى مسألة سياسية بحت ولا وجه لاحلال المسألة السياسية محل القضية القومية. ولذلك فالذين يظنون الحزب القومي الاجتماعي حزباً وُجد لمجرد المطالبة بالوحدة السورية يخطئون أو يغلطون أو يسيئون فهم قضية الحزب السوري القومي الاجتماعي والذين يهولون على غلاة اللبنانيين بالقول أن الحزب يريد «ضم لبنان الى الشام» يأولون القصد ويريدون بث دعوة خبيثة، فالحزب لا يقول بالضم أو الفصل بل يعمل للوحدة القومية وجعل الأساس القومي الاجتماعي محل الأساس الديني ونزع فكرة الخصم على أساس المذهب فيكون الكل سوريين

قومين لا أكثرية محمدية ولا أقلية مسيحية، كما يريد ذوو الغرض ايها الناس أنه النتيجة الوحيدة لفكرة الحزب السوري القومي الاجتماعي».

أما القومية اللبنانية فقد سَفّه أساسها الفكري بالدليل العلمي ناعثاً مدعيها بالوقاحة. (راجع مختارات في المسألة اللبنانية 36 - 34 ص 170).

الحزب في مواجهة مؤامرة سلخ لواء الاسكندرون:

شهدت الفترة الممتدة ما بين 1936 - 1939، مؤامرة سلخ لواء الاسكندرون عن جسم الأمة السورية ومنحه لتركيا. والواقع أن جريمة اغتصاب لواء الاسكندرون يعتبر من الزاوية القومية أهم أحداث تلك الفترة. بعد أن سلخت منطقة كيليكيا عام 1921 لأن هذه الجريمة، هي جريمة اغتصاب أرض قومية. وزاوية اختلافها عن أشكال الاستعمار المعروفة في الوطن السوري، انها كفلسطين، والاحواز من قبل. حيث طمس هويته القومية. وسلخه نهائياً عن جسم أمته السورية العربية.

في أواخر عام 1936 بدأت فرنسا وتركيا في إعداد الكارثة، تماماً كما فعلت من قبل عام 1921 بموجب اتفاقية «أنقرة» الأولى - على اقتطاع كيليكيا من سورية والحاقها بتركيا.

في أواخر 1936 تقدمت تركيا بادعاء الى عصبة الأمم المتحدة تزعم فيه أن لها حقوقاً قومية في اللواء. فتمخض هذا الادعاء عن اتفاقية «جنيف» عام 1937 حيث نرعت سيادة سوريا عن اللواء. ووضعت له نظاماً سياسياً خاصاً. وأقرت انتخابات جديدة. وكانت الخطوة الثانية إجراء انتخابات مزورة فاز فيها بالطبع الاتراك. ثم كانت الخطوة الثالثة وهي الأخيرة الاتفاق الذي عقد بين فرنسا وتركيا عام 1939. وعرف باتفاقية «أنقرة» الثانية. حيث سلخ لواء الاسكندرون نهائياً والغيث عملياً اتفاقية جنيف.

هذه المؤامرة الدولية تم تنفيذها من ضمن المعادلات التالية:

- 1 - تركيا تريد اغتصاب هذا الجزء الهام من سوريا نظراً لموقعه الاستراتيجي والثروات الكبيرة.
- 2 - فرنسا تريد من استعمارها لسورية ان تمضي في تجزئتها، وتريد أن تكسب ود جارة حليفة من الشمال.
- 3 - بريطانيا همها ارضاء تركيا وفرنسا، لاستغلال هذه الجريمة كورقة رابحة لما كانت تخططه بريطانيا بشأن فلسطين، تضمن بهذه الورقة موقفاً فرنسياً مؤيداً لسلوكها وجرائمها.

4- الاتحاد السوفياتي، من ضمن سياسته الاستراتيجية التي سبقت الحرب العالمية الثانية يهجم أن يكسب ود تركيا الرابضة على حدوده. وكذلك فرنسا وبريطانيا حليفته في وجه المانيا النازية.

من ضمن هذه الأجواء تم التآمر على لواء الاسكندرون فما هو موقف الحزب السوري القومي الاجتماعي من هذه المسألة وكيف واجهها.

في كانون الأول من عام 1936، في الفترة التي تقدمت فيها تركيا من عصبة الأمم بدعاؤها بحقها القومي في اللواء. كان زعيم الحزب السوري القومي الاجتماعي في منطقة العلويين - الكيان الشامي حيث ألقى خطاباً في صافيتا. جاء فيه:

«... من الشمال يستفحل الخطر التركي على الحدود ويحاول أن يخترقها ويستولي على بقعة أخرى من البقع السورية الخصبية الضرورية لحياتنا وتقدمنا» (الاثار الكاملة 32 - 36).

«إني أعلن أن الاسكندرون أرض سورية ضرورية لحياتنا وتقدم مصالحنا واننا مستعدون للاحتفاظ بها مهما كلف الأمر» (الاثار الكاملة - 32 - 36).

كما يبته سعادة الى استفحال الخطر التركي على الحدود التركية فانه ينبه أيضاً إلى أن الدول تتدخل بهذا الموضوع، وكل تدخل لا يرضينا سنقاومه. فيقول:

«وإني أعلن أيضاً ان كل قضية من قضايا الشرق الأدنى تكون لنا مصلحة فيها وتسوى باهمال مصالحنا وارادتنا تكون تسويتها فاسدة» (الاثار الكاملة 32 - 36).

ولذلك فهو يدعو الى الدفاع عن مصالح شعبه ووطنه فيقول «اني أدعوكم الآن الى الدفاع عن مصالح حياتنا القومية والوطنية ولست أخالكم إلا مليونين» (الاثار الكاملة 32 - 36).

وبعد انتفاضات متلاحقة من الشعب السوري ضد الانتداب الفرنسي البريطاني، قدّمت فرنسا عام 33 مشروع معاهدة كان مصيره الرفض لأنه يكرس الاستعمار الفرنسي للشام ولبنان. ومع استمرار الانتفاضات وظهور الحزب السوري القومي الاجتماعي عام 1935، تقدمت الحكومة الفرنسية بمشروع معاهدة جديدة عام 1936 وكانت الجبهة الشعبية قد استلمت الحكم هناك. كانت المعاهدة تحوي على ثغرات أساسية. إذ أنها مقابل الوعد بإنهاء الانتداب، فقد أبقّت للسلطات الفرنسية السيطرة على الشؤون السياسية الخارجية والمالية والثقافية. كما أبحاث لفرنسا الاحتفاظ بقواعد عسكرية. وبقواتها الكاملة في جبل الدروز واللاذقية لمدة معينة.

قبلت حكومة الكتلة الوطنية هذا المشروع ووافقت على الاتفاقية على أمل ان تمنح السيادة والحرية منة من الاستعمار. وبدأوا بدلاً من تصعيد وتيرة المقاومة الشعبية لكل أشكال الاستعمار. بدأت تسترضيه وتقمع كل حركة شعبية.

لقد استمر الحزب السوري القومي الاجتماعي يحرّض الشعب السوري على الثورة لمنع مؤامرة سلخ لواء الاسكندرون، وقد تجاوب الشعب مع الدعوة، وقامت مظاهرات صاخبة في المدن الشامية في حمص وحماه وحلب. وكانت النتيجة، أعمال قمع تقوم بها سلطة الحكومة الكتلوية لهذه التظاهرات وسجون وملاحقات لقادتها وتعطيل لجريدة الحزب القومي بمنعها من الدخول الى الشام.

ولقد صرّح رئيس الشعبة السياسية في حلب السيد سعيد الترماني عندما سئل عن الشؤون التي سيعنى بمعالجتها قائلاً انه: سيصرف أقوى جهوده لمكافحة الحزب السوري القومي المنتشر انتشاراً هائلاً في حلب، لأن هذا الحزب يسيء الى الوطن المحبوب. (راجع الاثار الكاملة الجزء الرابع 28).

وعندما أثرت في جنيف مسألة الانتخابات في اللواء عام 1938 بعد ان وضع اللواء نظام خاص كما ذكرنا. يكتب زعيم الحزب، في جريدة النهضة مقالاً جاء فيه:

«وغريب أيضاً، بل أشد غرابة من كل شيء غريب، أن يتلفظ مندوب تركية في عصبية الأمم بهذه الكلمات «أن تركية شديدة الاهتمام بالسندق ما دام الانتداب قائماً، وسيزداد اهتمامها به بعد انقضاء الانتداب» ولا تسمع في سورية طولاً وعرضاً، صوتاً يرتفع بالقضية غير هذا الصوت، وقلما يصب النيران غير هذا القلم... أمات الشعور في سوريا؟ أمات الكرامة في أمة هي مهد الكرامة؟ أبلغ التخدير في الشعب السوري الى هذا الحد؟ أوصلت الأمة السورية الى حد الخفة والهوس، لتنام على ضجيج الاستقلال وقرقعة السيادة. (الاثار الكاملة - الجزء الرابع 28).

ويستمر الحزب في مهاجمة السلطة في الشام فيكتب الزعيم إثر الاعتقالات التي قامت بها الحكومة بحق المعارضة «... إن السياسة الاعباطية التي سارت عليها «الكتلة الوطنية» وانتقدناها على صفحات (النهضة) مراراً هي سياسة عقيمة من الوجهة القومية. فهي سياسة قد ربحت «الكتلة» معاهدة لا تزال معلقة بين الأرض والسماء ولكنها أفقدت الأمة لواء الاسكندرون الخصب المنيع، وقيدت البلاد بسلسلة من الامتيازات. وكانت هذه النكبة القومية الكبيرة لا توازي في نظر «الكتلويين» نجاحهم السياسي في الحصول على «معاهدة». وكان الحصول على «معاهدة» يوازي الخسائر القومية التي جلبتها السياسة «الكتلوية» الاعباطية على الأمة».

وتستمر حملة الحزب على الحكومة الشامية وعلى الاستعمار بشأن جريمة لواء الاسكندرون ويؤكد ان الأمة السورية ومن ورائها مؤسستها ونهضتها القوميتان، لن ننسى اللواء بهذه السهولة.

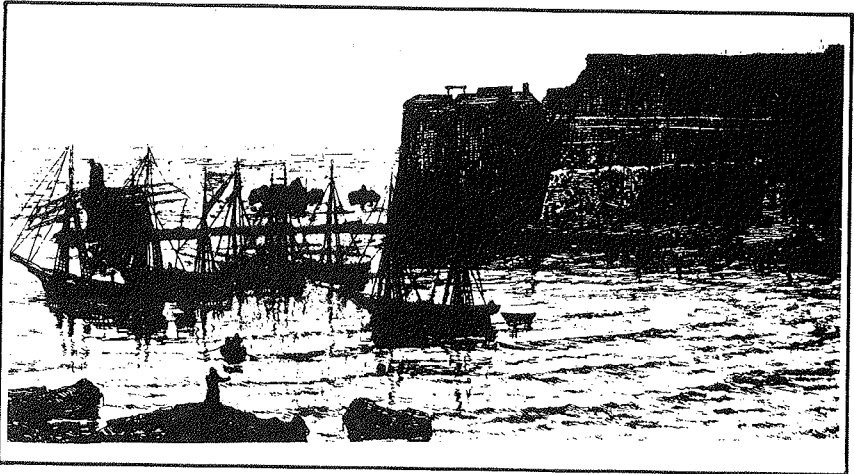
أما حكومة الشام التي تتحمل مسؤولية الانجرار في السياسة الاستعمارية التي أضاعت اللواء لم تفعل شيئاً سوى تصريح وزير داخليتها أن «اللواء عربي وسيبقى عربياً إلى الأبد». (راجع الاثار الكاملة الجزء الرابع 38).

قبرص .. حصن سوريا في البحر

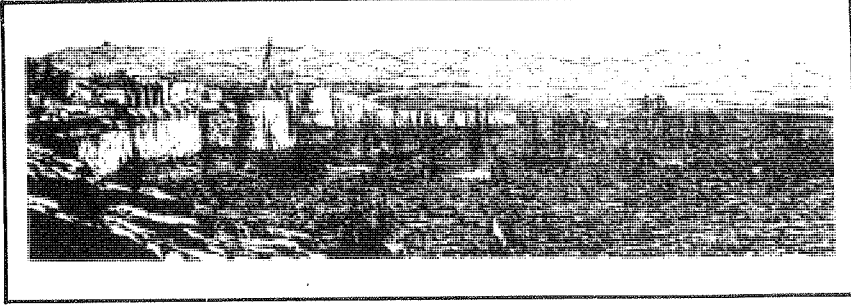
نشرت هذه الدراسة عن جزيرة قبرص في مجلة صباح الخير - البناء،
إعداد سيمون حاتم

لاشك في أن المسألة القبرصية هي من المسائل الكبرى التي تدخل ضمن نطاق القضية السورية القومية لذلك كان من الضروري إلقاء بعض الضوء على هذه المسألة في محاولة لإيضاح أبعادها في الأذهان وزيادة معرفتنا عن هذا الجزء المهم من الأرض السورية.

ومن البديهي لدى دراسة مسألة ما من المسائل القومية أن يتناول الدارس أولاً الناحية الحقوقية من تلك المسألة بغية إظهار ما هو حق فيها وما هو باطل ليصار إلى درس النواحي الأخرى. فتكتمل الصورة العامة للمسألة في الأذهان.



الغور الانهلامي في نهاية الحقب الجيولوجي الثالث: شكل اغلاقاً جغرافياً كاملاً لخليج الاسكندرون.



من هنا فإن هذه الدراسة ما هي إلا مجرد محاولة تقتصر فقط على إبراز وتوضيح الجانب الحقوقي من المسألة القبرصية مع إضافة فقرة أخيرة حول الحياة السياسية ونظام الإدارة في قبرص.

وستأتي هذه الدراسة على حلقات متمحورة حول المحاور التالية:

- 1- في الجيولوجيا والجغرافيا.
- 2- في الأنتولوجيا والحضارة والتاريخ.
- 3- في الاستراتيجية ووحدة المصير.
- 4- في نشوء المسألة السورية القبرصية في التاريخ الحديث والمعاصر.
- 5- الحياة السياسية ونظام الإدارة في قبرص.

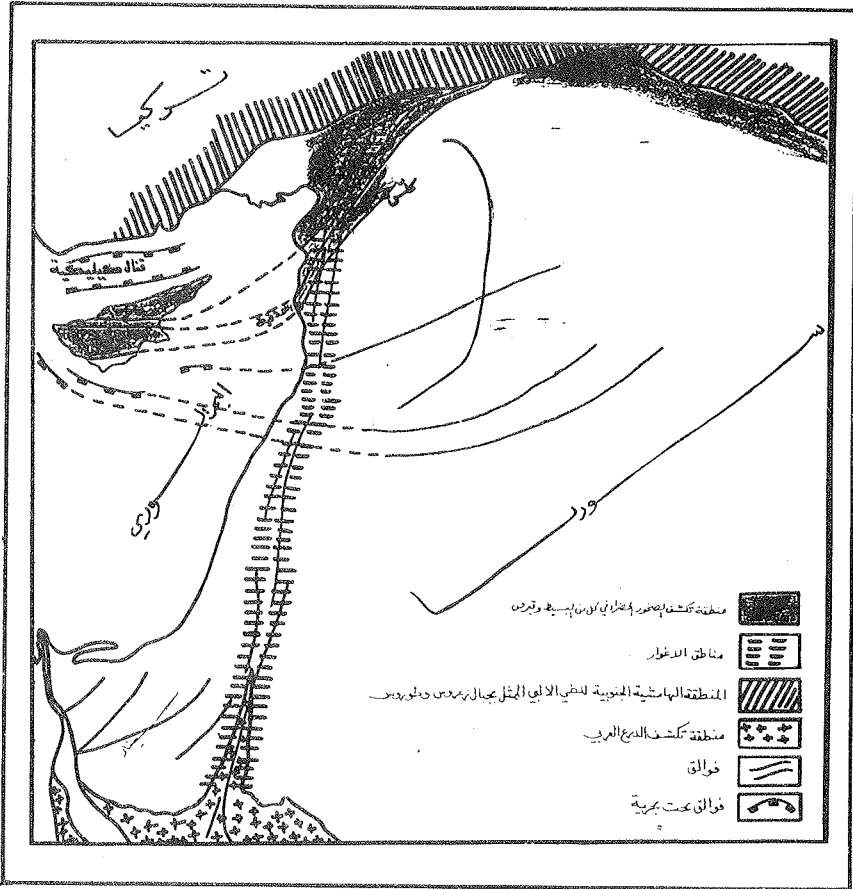
أولاً- في الجيولوجيا والجغرافيا

يقول أنطون سعاده، مؤسس الحزب السوري القومي الاجتماعي، عن جزيرة قبرص (إن هذه الجزيرة تكاد تكون ملتصقة بالشاطئ السوري، فهي قطعة من الأرض السورية في الماء، إن تكوينها الجيولوجي من تكوين هذه الأرض وموقعها الجغرافي يجعلها تابعة لها).

وفي الواقع فإن جزيرة قبرص تعتبر، من الناحية الجيولوجية، جزءاً متمماً جيولوجياً للبر السوري. فهي إحدى النتائج العديدة لحادث جيولوجي كبير ذي ابعاد إقليمية (يسمى حادث نشوء الغور الانهدامي الكبير) أو حادث نشوء (غور البحر الأحمر الانهدامي) الذي حصل في نهاية الحقب الجيولوجي الثالث.

هذا الحادث هو عبارة عن عدة حركات أرضية عنيفة أحدثت العديد من الظواهر

الجيولوجية بمختلف الاتجاهات، كالأغوار والنحود والغواتق والصرور وغيرها، إلا أن هذه الظواهر على اختلاف اتجاهاتها كانت منسجمة إجمالاً مع الاتجاه العام للحادث ككل وهو اتجاه خطوط الطول (شمال - جنوب) حيث يبدأ الحادث اعتباراً من السفوح الجنوبية الغربية لجبال طوروس متجهاً جنوباً عابراً منطقة البسيط إلى غور الغالب مروراً بسهل البقعة الشامية إلى سهل البقاع اللبناني فمنخفض الحولة شمال فلسطين، فغور الأردن فأخدود البحر الميت إلى خليج العقبة مروراً بالبحر الأحمر إلى مضيق باب المندب حتى الصومال. منفصلة بذلك كتلة شبه الجزيرة العربية عن الكتلة الإفريقية بواسطة البحر الأحمر مع تشكّل عدد من الأغوار والبحور والجبال على طول خط هذا الحادث كما ذكرنا.



خريطة جيولوجية توضح جانباً من تكوين سوريا.

ونتيجة هذا الحادث وبفعله كان تميّز جزيرة قبرص بانفصالها عن السفوح الجنوبية لغرب سلسلة جبال طوروس بواسطة الجزء الشرقي من البحر السوري وقنال كيليكية شمال قبرص، وهذا ما تدل عليه بوضوح مختلف الدراسات الباليوجغرافية⁽¹⁾ مثل دراسة الترابط البنيوي⁽²⁾ والتكتوني⁽³⁾ بين قبرص والبر السوري وهذا الترابط يتبدى في الخارطة الجيولوجية بمجموعة من الغوالق المشتركة التي تبدأ في البر السوري لتنتهي في قبرص أو جوارها، وأهم هذه الغوالق غالتق (كلّس - اللاذقية) الذي يبدأ قرب بلدة كلّس في كيليكية باتجاه (جنوب - غرب) ماراً في مدينة اللاذقية ومن ثم يعود إلى الظهور من جديد في قبرص فيقطعها إلى قسمين باتجاه (شرق - غرب).

وكذلك فإن ما يثبت حادثة الانفصال هو دراسة الترابط الليتولوجي⁽⁴⁾ الواضح بين صخور قبرص وصخور منطقة البسيط في الساحل السوري الشمالي، أي منطقة انفصال قبرص عن البر السوري، وهذا الترابط تظهره الدراسات الليتولوجية المقارنة بين التكتشفات الصخرية في كلا المنطقتين. خصوصاً الواقعة منها شمالي امتداد غالتق (كلّس - اللاذقية) حيث يشكل هذا الغالتق حداً فاصلاً واضحاً بين تكتشفات الصخور الخضراء شمال الغالتق في كل من قبرص والبسيط وبين المناطق الواقعة جنوب الغالتق حيث لا تعود تظهر الصخور الخضراء.

إن تكتشفات الصخور الخضراء هذه والمتميزة جداً من الناحية الليتولوجية لصخور فريدة من نوعها هي عبارة عن زمرة كبيرة من الصخور المتنوعة ذات الألوان الخضراء تكتشف بفعل ذلك الفالق باندفاعها عبره من باطن الأرض. وهي في كل من قبرص والبسيط تتألف من نفس الصخور.

إن هذا الترابط التكتوني والبنيوي والليتولوجي بين قبرص والبر السوري يدل بوضوح على شمول جزيرة قبرص ضمن وحدة سوريا الجيولوجية والذي رمى إليه سعادته بقوله (إن تكوينها الجيولوجي من تكوين هذه الأرض).

ومن الناحية الجغرافية فإن نظرة بسيطة إلى الخارطة توضح ما قصده سعادته بقوله «وموقعها الجغرافي يجعلها تابعة لها» أي للأرض السورية، إذ يبدو بجلاء من الخارطة إن الجزيرة تشكل ما يسمى (إغلاق جغرافي) كامل لخليج الأسكندرونه بمعنى أنه لو أزيلت الجزيرة باتجاه الشمال الشرقي لانطبقت تماماً على الخليج السوري، لذلك قال سعادته «أما جزيرة قبرص ترون موقعها في حوض خليج الأسكندرونه وذراعها ممتدة نحو الخليج السوري فكأنها تقول من هذه الأرض أنا وإليها انتمي».

إنها فعلاً تقع في حوض خليج الأسكندرونة فهي لا تبعد عن رأس عماطور في كيليكية أكثر من (40) ميلاً وعن اللاذقية (64) ميلاً وعن الجبل الأقرع (60) ميلاً فقط حيث ترى من على قمته بالعين المجردة، كما أنها ترى من قمم عديدة ممتدة على طول الساحل حتى جوار طرطوس . بالمقابل فإنها تبعد عن مصر (260) ميلاً وعن أقرب نقطة في البر اليوناني (500) ميل وعن أقرب الجزر اليونانية، وهي رودوس وكارباتوس (240) ميلاً.

مساحة الجزيرة (3572) ميلاً مربعاً بأقصى طول (60) ميلاً. أجل «إن هذه الجزيرة تكاد تكون ملتصقة بالشاطئ السوري» سعاد.

ثانياً - في الأنتولوجيا والحضارة والتاريخ :

وكما ان قبرص الأرض هي متمم جغرافي وجيولوجي للبر السوري كذلك فإن قبرص الشعب هي متمم أنتولوجي لوحدة الشعب السوري المتولدة من تاريخ طويل يرجع إلى ما قبل الزمن التاريخي الحالي. وهو لا يرجع إلى أصل سلالي معين إنما هو مزيج أنتولوجي حاصل من تاريخ طويل يشمل جميع الأصول الأنتولوجية السورية التي نزلت هذه البلاد وقطنتها واحتكت فيها بعضها ببعض وتفاعلت من تمازج الكنعانيين والكلدانيين والأموريين والحثيين والآراميين والأشوريين والأكاديين، لذلك فإن الشعب في قبرص هو جزء من السلالة التاريخية السورية.

يقول سعاد في جزيرة قبرص «كانت في القديم في قبضة السوريين فنزلها الكنعانيون «الفينيقيون» وتوطنوا فيها وبقاياهم لا تزال فيها».

وهذا ما يؤكد التاريخ فقد كانت قبرص في جميع مراحل تاريخها تابعة للوطن الأم ومتفاعلة معه، ولم ينقطع هذا التفاعل حتى في الأزمنة التي كانت فيها الجزيرة تابعة لطامع مستعمر كما في أيامنا هذه فهي لا تزال تابعة رعوياً إلى أبرشية (قرنة شهبان) في المتن الشمالي من لبنان ضمن نطاق بطريركية أنطاكية وسائر المشرق التي تشمل سورية الطبيعية كلها بما فيها قبرص وذلك منذ نشأتها حتى الآن.

وعند استعراضنا تاريخ الجزيرة بالمفهوم الحركي - الحياتي لا بالمفهوم السكوني منذ فجر التاريخ فإننا لاشك سنتوصل إلى النتيجة عينها التي توصل إليها العالم الفرنسي (كلود شيفر) عند ما قال: «لا يمكن لباحث أن ينكر أن قبرص هي سورية».

جاءت نتيجة كلود شيفر هذه إثر اكتشاف حيّ للقبارصة في المدينة الثالثة في

أوغاريت رأس شمرا) في القسم الغربي الذي يرجع إلى ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد أي منذ خمسة آلاف عام.

ولنستعرض الحوار الذي نشرته جريدة الثورة الدمشقية في السابع من حزيران عام 1977 مع البروفيسور الفرنسي بول كوربان الذي كان يعمل في التنقيب في تل البسيط والذي أدى إلى اكتشاف مدينة بوسيديون حيث قال «في نهاية القرن (9 - 8) ظهرت من جديد علائم الاتصال بين بوسيديون وقبرص، كان الكنعانيون، وهم شعب محلي، قد سكن التل في عصر البرونز الحديث وكان على علاقة جيدة مع جزيرة قبرص، وفي العصر الحديدي كان لا يزال في البسيط سكان محليون مع زيادة في أهمية قبرص، ويلاحظ أن قبور القرن السابع ق. م لا تحوي أواني فخارية يونانية بل ترى خليطاً من الأواني السورية والقبرصية» ثم يقول «إن قبور البسيط تحمل الطابع (الفلسطيني - السوري) بينما في أوغاريت تحمل الطابع القبرصي والذي يبدو أكثر وضوحاً».

كذلك فمنذ الألف الرابع قبل الميلاد استوطن السوريون الجزيرة، وقد ذكر المؤرخ الإنكليزي (ويلز) في كتابه «معالم التاريخ» عن أثر تاريخي عثر عليه في حفريات (إيريتش) في سهل شنعار جاء فيه على لسان كاهن إيريتش:

«لقد وحدت بلادي من البحر الأعلى إلى الخليج الأدنى، وقد حرست شواطئ بلادي بحارس أمين» والبحر الأعلى هو البحر السوري (الأبيض المتوسط) والخليج الأدنى هو الخليج الغربي والحارس الأمين هو قبرص.

وفي المرحلة من (3500 - 3000) ق. م فإن المقارنة الأنتروبولوجية بين ثقافة الأقوام التي قطنت قبرص في تلك المرحلة وبين الثقافات الأخرى دلت على تشابه كبير بين ثقافة تلك الأقوام وثقافة منطقة بئر السبع الفلسطينية.

أما المرحلة بين (3000 - 2500) ق. م التي ازداد فيها التوطن في الجزيرة فإن موقع (أرمي) الأثري جنوب الجزيرة قرب مدينة ليماسول يبين أن فخاريات هذا الموقع تشبه إلى حد بعيد فخاريات أوغاريت على الساحل السوري وإن مدافنه هي من النمط الأوغاريتي.

وفي أوغاريت تم اكتشاف (تقويم نفوس) لجميع العائلات القبرصية المتواجدة في الجزيرة يعود إلى القرن الرابع ق. م.

كذلك فإن سرجون الأكادي الذي عاش سنة (2750) ق. م قد وَّحد البلاد السورية وأنشأ مملكة واسعة موحَّدة كانت قبرص منها.

وخلال الفترة بين (2800 - 2150) ق. م حصلت هزات أرضية في منطقة كيليكيا أدت إلى هجرة واسعة من كيليكيا إلى قبرص واستقرَّ المهاجرون حول مدينة (مورفو) الحالية في الشمال الغربي من الجزيرة ثم انتشروا حتى مدينة (فيليا) شرقاً ونيوسيا في الداخل وبعد ذلك ازداد عدد المهاجرين من الساحل السوري الذين أسسوا في قبرص مصانع لتعدين النحاس يمدون به الأكاديين والسومريين لتطوير آلتهم الحربية.

وبعد عام (2150) ق. م أصبحت الجزيرة جزءاً من الإمبراطورية السورية التي قامت في سورية فحدثت هجرة واسعة من الساحل السوري إلى الأقسام الجنوبية والشرقية من الجزيرة وتمَّ تشييد العديد من القلاع والحصون على طول الشاطئ القبرصي.

وفي عام (2000) ق. م وَّحد الحثيون البلاد السورية وأصبحت قبرص أحد مركزين أساسيين للدولة الحثية هي (طرابزون) في الشمال و (الاسيا)، أي قبرص، في الجنوب (الاسيا الآن هو اسم لأحد أكبر فنادق مدينة ليماسول).

إبان هذه المراحل التاريخية لم يتوقف تدفق سكان الساحل السوري وسيطرتهم على الجزيرة وتوطنهم فيها بل كان يزداد بعامل قرب الجزيرة وغناها بالثروات الطبيعية كالحديد والفضة والنحاس الذي تشتهر به الجزيرة إلى حدِّ يختلف عنده العلماء حول تسمية قبرص، هل هي مشتقة من تسمية النحاس أم إن تسمية النحاس مشتقة من اسم قبرص. كذلك غناها بالغابات الطبيعية. خاصة غابات الأرز الذي كان يستعمل مع غيره من الأشجار في صناعة أساطيل الدول السورية البحرية، وحالياً فإن مساحة الغابات في قبرص تعادل (18%) من مساحة الجزيرة.

كذلك فإن الهجرة كانت تحصل أحياناً نتيجة الكوارث الطبيعية أو حتى لتجنب الحروب والبطش كما هي الحال بالنسبة للتجار الكنعانيين والكيليكيين والحموريين الذين اضطروا، حفاظاً على مصالحهم الاقتصادية وصوناً لحياتهم من العنف الحثي إلى الانتقال من الساحل السوري إلى قبرص ليصدروا من هناك الفخاريات والصناعات النحاسية التي وصلت أيام الدولة الحثية إلى أقصى الشرق السوري.

أدت تلك الهجرة الواسعة إلى الجزيرة منذ فجر التاريخ إلى إقامة علاقات حياتية

كاملة بين الجزيرة والبر السوري وإلى دخول الحياة في قبرص ضمن الدورة الحياتية (الاجتماعية - الاقتصادية) السورية وأصبحت تشكل جزءاً هاماً منها. ومن جهة أخرى فإن هذه الهجرة لم تكن من جانب واحد بل كانت متبادلة وثنائية الجانب، فعندما تعرّضت قبرص في القرن الحادي عشر ق. م إلى هزات أرضية أضطر القبارصة إلى الهجرة باتجاه الشرق نحو الساحل السوري.

وفي عام (1500) ق. م تمكن تحوتمش الثاني فرعون مصر من احتلال الجزيرة حيث كانت تعرف آنذاك باسم (أس) وتبع ذلك اجتياح مصري للسواحل السورية بين عامي (1225 - 1300) ق. م مما اضطر الكثير من الكنعانيين والعموريين للهروب إلى الجزيرة على الرغم من كونها لا تزال تحت الحكم المصري إلا أن وطأة ذلك الحكم في قبرص لم تكن قاسية بسبب مرور أكثر من مائتي عام عليه.

لم يطل حكم فرعون للجزيرة حتى تمكن الفينيقيون عام (1200) ق. م من استعادتها من جديد لتصبح من حواضرهم، مركزاً تجارياً هاماً بين الدول السورية وبلدان البحر المتوسط يصدرون منها النحاس والفضة والحديد إلى جميع أنحاء العالم القديم.

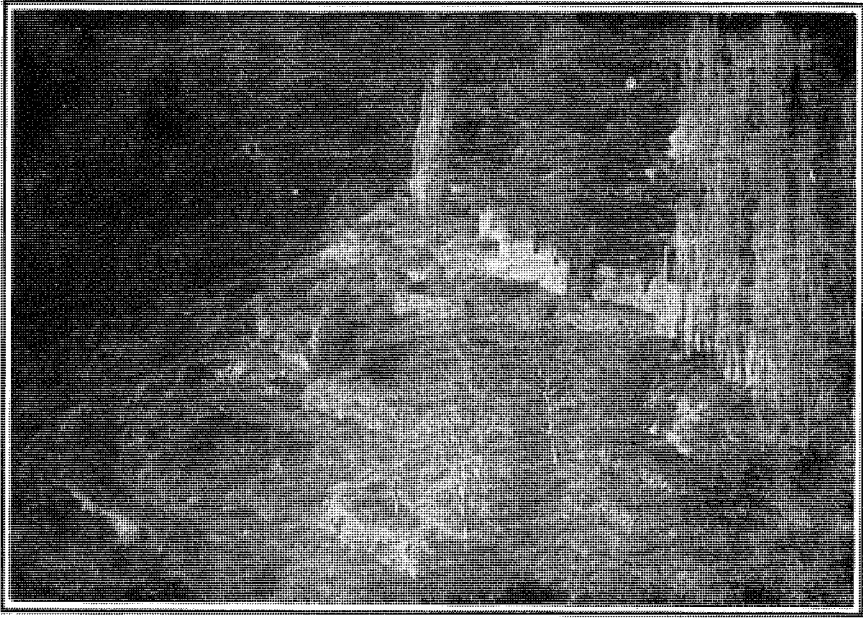
منذ عام (1200) ق. م عندما استعادها الفينيقيون وحتى عام (722) ق. م كان قد بدأ المد الإغريقي إليها مع انحسار المد الكنعاني وذلك بسبب نمو القوة الإغريقية بعد توحيد الدولات اليونانية إلا أن الانحسار الكنعاني قد توقف وعاد تواجد الكنعانيين في الجزيرة ثانية تحت مظلة الحكم الآشوري للجزيرة الذي كان يمهّد لفتوحاته في مصر. فقد احتل الجزيرة عام (722) ق. م الملك الآشوري (شاروكينا الثاني) الذي استقبله أمراء الجزيرة الأغارقة السبعة وسجدوا تحت أقدامه. وقد ذكرت الوثائق إن قبرص ألحقت بالحكم المركزي الآشوري أيام سنحاريب وأسرحدون وحتى الحكم الكلداني في عهد نبوخذ نصر الثاني. وقد أطلق على نيقوسيا خلال فترة الحكم الآشوري الكلداني اسم (ليدرا) (وهو حالياً اسم السوق المركزي في نيقوسيا واسم أحد الفنادق الكبرى فيها) وبقي هذا الاسم حتى ما بعد مرحلة المماليك في قبرص.

استمر الحكم الكلداني حتى عام (536) ق. م حيث احتلها الفرس وألحقوها بمملكتهم وجعلوها. لأهميتها الاستراتيجية، تابعة مباشرة لنائب الملك في صيدا حتى عام (333) ق. م عندما احتلها الإسكندر الماكدوني الكبير تمهيداً لاحتلال السواحل السورية.

وفي الواقع فإنه خلال الفترة الفينيقية والآشورية والكلدانية والفارسية أي منذ

نهاية القرن الثاني عشر وحتى احتلال الإسكندر للجزيرة في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد كان انشغال الآشوريين في حروبهم داخل البلاد السورية لتسويد سيطرتهم وتوحيد سوريا الطبيعية هو العامل المساعد الذي أتاح للمدّ الإغريقي خلال هذه الفترة (وهي في نفس الوقت فترة نشوء ونمو القوة الإغريقية) أن يتصاعد في الجزيرة على حساب المد الكنعاني فنقل الإغريق خلال ذلك إلى الجزيرة لغتهم وعاداتهم ومعتقداتهم الدينية إلى أن احتلها في النهاية الاسكندر عام (333) ق. م .

في عام (322) ق. م أي بعد (11) عاماً من احتلال الجزيرة انقسمت الإمبراطورية الإغريقية إلى سلوقية في سوريا وبطلسية في مصر، كانت قبرص حينها أهم أجزاء إمبراطورية البطالسة في مصر وذلك بعد صراع رهيب مع السلوقيين في سوريا للسيطرة عليها.



استمر حكم البطالسة للجزيرة حتى عام (63) ق. م حيث احتلها الرومان بقيادة القائد باتيوس وهكذا حتى عام (369) ب. م عندما انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى شرقية عاصمتها بيزنطة وغربية عاصمتها روما تبعت قبرص إلى الإمبراطورية البيزنطية خاضعة لحكم الأمراء الأوروبيين حتى دخول العرب إليها عام (649) م وفرضهم الجزية عليها في البدء ثم احتلالها نهائياً فقد جاء في تاريخ ابن الأثير أن المسلمين سيروا من الشام إلى قبرص أسطولاً بحرياً صغيراً بقيادة عبد الله بن قيس

وأسطولاً آخر من مصر بقيادة عبد الله بن سعد فاجتمعوا عليها غير أنهم لم يكونوا راغبين في احتلالها وإنما لمنع البيزنطيين من اتخاذها قاعدة لغزو البر السوري لذلك صالحهم عبد الله بن سعد على جزية سبعة آلاف دينار واشترط عليهم أن يجبروا المسلمين عن تحركات البيزنطيين وأن يكتموا تحركات المسلمين على عدوهم. إلا أن سكان قبرص وجدوا أنفسهم في موقع حرج بين مصادمات الأساطيل العملاقة في البحر المتوسط ولم يتمكنوا من الاحتفاظ على حيادهم وعهدهم للعرب مما أبقى الساحل السوري عرضة لهجمات البيزنطيين الذين كانوا يهددون سلامة الدولة وأمنها فاضطر معاوية بن أبي سفيان (653) أي بعد أربع سنوات إلى إعداد أسطول بحري هاجم قبرص وطرده البيزنطيين منها وألحقها بالحكم المركزي في دمشق مباشرة ووضع فيها حامية قوامها (12) ألف جندي وفي عام (726) م مرّ بها أمير البحر الأموي معاوية بن حسام وزاد في حاميته.

وفي العصر العباسي عندما استطاع البيزنطيون استعادتها أعاد الكرة هارون الرشيد واسترجعها عام (806) م.

وفي عام (965) م عادت الجزيرة وخضعت للحكم البيزنطي حتى عام (1185) حيث تمكن المماليك (الفاطميون) في مصر من حكمها حتى عام (1191) حيث استولى عليها الصليبيون بقيادة (ريكاردوس قلب الأسد) الإنكليزي الذي سلمها إلى فرسان (تمبلر) الذين سلموها بدورهم إلى عائلة (لوزيفنان) الفرنسية التي أسست فيها مملكة على النمط الإقطاعي الفرنسي دامت حتى عام (1489) حيث أجبرت آخر عائلة (لوزيفنانية) على تسليم حقوقها في ملكية الجزيرة إلى دوقية البندقية التي حكمتها لغاية (1571) عندما احتلها العثمانيون.

ويذكر هنا إن نيقوسيا العاصمة صمدت في وجه العثمانيين أربعة أشهر سقطت بعدها في يدهم فاعملوا في أهلها القتل والتذبيح إلى أن بلغ عدد القتلى (20000) قتيلاً ولم تنجح نجدات أمراء البندقية وإسبانيا في مساعدتها لبعده المسافة فعادت سفنهم بجنودها دون قتال حفاظاً على سلامتهم.

وهكذا بدأ التاريخ الحديث للجزيرة .

استمرت سيطرة العثمانيين على الجزيرة حتى بدأ الضعف والوهن يدب في جسم السلطنة العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والذي أدى فيما بعد إلى نشوء ما يسمى بالمسألة الشرقية، في حين ترافق ذلك مع مرحلة تصاعد الأطماع الاستعمارية الأوروبية بتركة (الرجل المريض) فتمكنت بريطانيا بموجب مخطط أوروي

استعماري شامل يهدف إلى تفكيك الإمبراطورية العثمانية والاستيلاء على ميراثها تنفيذاً لبنود اتفاقية برلين بين الدول الأوروبية العظمى، تمكنت بريطانيا من إقناع السلطان عبد الحميد الثاني ببيع الجزيرة فاشترتها بمبلغ (92799000) جنيه استرليني عام (1878) م مقابل ضمان دفاع الحكومة البريطانية عن الحدود الشمالية للسلطنة العثمانية في وجه الزحف الروسي المتوقع لدعم ثورة (البوسنة) و (الهرسك) لتتحرر من العثمانيين.

أدت هذه الصفقة (التجارية!!) إلى سيطرة بريطانيا فعلياً على الجزيرة في حين استمرت سلطة العثمانيين اسماً حتى عام (1923) حيث تنازلت تركيا عن الجزيرة رسمياً.

دام حكم الإنكليز حتى عام (1960) عندما استقلت الجزيرة، فبدأت الأحداث الداخلية المؤلمة التي ورثها الاستعمار العثماني وتبناها الاستعمار الإنكليزي والتي سنلقي عليها بعض الضوء في فقرة لاحقة.

الجدير بالذكر أنه في كل تلك المراحل والأحداث التاريخية كانت قبرص تشكل جزءاً من التاريخ الاجتماعي - الاقتصادي السوري ككل فالشعب فيها هو هو شعب سوري يتألف كما أسلفنا من تلك الأصول الأتولوجية التي أعطت باحتكاكها وتمازجها وتفاعلها السلالة التاريخية السورية والشعب السوري ذلك لأن تلك الأحداث التاريخية لم تكن إلا مجرد توالي فترات حكم مختلفة من قبل جيوش وقوى وعائلات مالكة لم تتمكن من تغيير وجه الجزيرة الأتولوجي والحضاري السوري ولا من فصل الحياة في قبرص عن الدورة الحياتية السورية فكانت تلك القوى تتخذ من الجزيرة نقطة وصل وانطلاق لطموحاتها وأطماعها في العالم القديم فلم يتجاوز تأثيرها سطح الحياة في قبرص وأقصى تأثير كان تأثير الإغريق الذين نقلوا لغتهم وعاداتهم ومعتقداتهم الدينية.

ومن الناحية الأثرية فإن معظم الشواهد الأثرية في قبرص هي شواهد على الحضارة السورية وخاصة الفينيقية منها التي أضفت طابعها على تلك الشواهد فالآثار الفينيقية لا تزال حتى اليوم ماثلة للعيان في قلعة نيقوسيا والجدران الفينيقية فيها ومدينة أماتوس أو انكومي وغيرها كيثيوم ومدينة أثيانو وإيداليوم وليثوس وماريوم وغيرها من المدن التي أسسها الكنعانيون وقلعة بافوس كلها شواهد على سورية الحضارة والشعب في قبرص فكيفما قلبت التاريخ القبرصي وقعت على لمسات فينيقية سورية لم ينقطع لها حبل حتى وقتنا الحاضر.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الفيلسوف السوري الكبير زينون الفينيقي الأصل والنشأة قد ولد في مدينة (كيتيوم) (مدينة لارنكا حالياً) وترعرع فيها وتعلم، وبعد أن

شَبَّ ونضج وانتقل إلى بلاد اليونان لينشر فكره فيها ويعلم فلاسفتهم ويعرفهم على نتاج الفعل السوري. فأسس في أثينا المدرسة الرواقية العملية.

إن الطابع الحضاري الواحد لكل من قبرص والبرّ السوري يدلّ دون شك على شمول شعبنا في قبرص ضمن الوحدة التكنولوجية والحضارية للشعب السوري.

ويفيد هنا استعراض فقرة من مقال للصحفي الإنكليزي (جون بوللوك) في صحيفة الديلي تلغراف البريطانية عن سكان قبرص عقب الغزو التركي لها عام (1974) والذي نشرته جريدة الرأي العام الكويتية في عددها (3695) تاريخ 74/2/6:

(... ذلك لأن هؤلاء القبارصة بالرغم من كون أكثرتهم الساحقة، إن لم يكونوا جميعهم، تنتمي إلى أعراق كنعانية عربية هاجرت إليها عبر أول مستعمرة فينيقية شيدها أهل الساحل المتوسط الذين هجروا الحواضر القديمة الأهلة من صور وصيدا وطرابلس واللاذقية وجبيل (خاصة) وغيرها. فإن اضطهاد الدولة العثمانية لهم طيلة أربعة قرون وذبحها وتنكيلها بأحرارهم، جعلهم ينفرون ويهاجر بعضهم إلى اليونان هرباً من شفرة الظلم العثماني وبعضهم اضطر أن يوالي العثمانيين أنفسهم ويتتمي إليهم ومنهم فئة من المنخرطين اليوم في الجالية التركية هناك نفسها وهم ليسوا أتراكاً في الأصل حتى ظن الكثيرون بأنهم من أصل يوناني وهم ليسوا كذلك مطلقاً إذ لم يسبق أن هاجر يونانيون إلى جزيرة قبرص في التاريخ بل بالعكس. ولربما كانت معرفة الرئيس مكاريوس للتاريخ هي التي شدته إلى اتخاذ موقف مؤيد لقضايا العرب بالرغم من الضغوط الإسرائيلية والبريطانية والأميركانية وكان صديقاً كبيراً للرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر).

إن هذه الحقائق التي يذكرها السيد (بوللوك) عن شعبنا في قبرص، وهو الغريب عن سوريا وشعبها وتاريخها، تشكّل وصمة في جبين المؤرخين وعلماء الاجتماع في وطننا السوري وفي العالم العربي الذين يقتاتون معلوماتهم من مؤائد العلماء الأجانب، خاصة الاستعماريين منهم، الذين يسعون إلى تحطيم وحدة الشعب السوري وتشويه وجهه الحضاري المشرق عبر التاريخ.

إن علماءنا مطالبون اليوم، كما هم مطالبون دوماً، أن يكونوا أكثر جرأة وصدقاً في كشف الحقائق التاريخية الإنسانية لشعبنا العظيم لتكون شاهداً من شواهد لا تحصى على حقوقنا القومية في أنحاء وطننا الحبيب.

إن وعي الحزب السوري القومي الاجتماعي لحقيقة سورية قبرص ووحدتها مع البيئة السورية أعطاه ميزة علمية النظرة القومية وبعدها وعمقها وشموليتها.

ثالثاً - في الاستراتيجية ووحدة المصير:

يعتبر الموقع الجغرافي لجزيرة قبرص من أهم المواقع الاستراتيجية العالمية الذي تنبّه إليه العاملون في الدبلوماسية والحرب والتجارة عبر التاريخ قديمه وحديثه.

تأتي الأهمية الاستراتيجية للجزيرة من المميزات التالية:

1- كونها نقطة استراتيجية هامة من خلال اطلالتها الجغرافية، المجاورة جداً، على معظم أراضي منطقة تعتبر إحدى أهم المناطق في العالم لا بل مركز الحساسية الاستراتيجية في العالم هي منطقة الشرق الأدنى. وهذه الإطلالة تتيح للجزيرة إمكانية كبيرة لكشف سماء وبحر وبرّ معظم منطقة الشرق الأدنى خاصة سورية. فمثلاً فإنه من قمة جبل الأوليمب الذي يعلو عن سطح البحر (2000) يمكن بواسطة محطة رادار تغطية القسم الأكبر من السماء السورية وسماء شمال أفريقيا ووادى النيل كما هي الحال الآن بالنسبة لمحطة الرادار البريطانية المثبتة في قمة الجبل.

2- كونها تشرف بشكل كامل على معظم الطرق والمرات البرية والبحرية والجوية قديماً وحديثاً زمن السلم وزمن الحرب..

ففي زمن السلم تعتبر قبرص مركزاً من أهم مراكز الملاحة والمواصلات الجوية العالمية، كما أنها نقطة تلاقي كل الخطوط البحرية الموصلة بين مناطق الأمريكيتين عبر الأطلسي ومضيق جبل طارق ومناطق غرب وجنوب أوروبا وشمال أفريقيا من جهة وبين الشرق الأوسط ثم المحيط الهندي عبر قناة السويس إلى شرق آسيا وأستراليا من جهة أخرى. كذلك فهي نقطة عبور هامة إلى الطرق البرية الموصلة بين المناطق المذكورة وبين الشرقيين الأدنى والأقصى والهند وعموم آسيا.

وبفضل هذه المميزات تبوّأت قبرص مكانة عالمية هامة جعلتها محط أنظار الطامعين والطامحين.

وعودة سريعة إلى التاريخ الحديث تعطينا مثلاً على أهمية قبرص الاستراتيجية. فنرى كيف أن دبلوماسية الدولة الاستعمارية الأولى في العالم آنذاك، بريطانيا، أدركت الأهمية الاستراتيجية العسكرية والتجارية للجزيرة من خلال كونها مفتاح الطرق إلى مستعمراتها في الشرق وخاصة طريق قناة السويس. وكيف أن تأمين سلامة هذه الطريق كان الشغل الشاغل للدبلوماسية الإنكليزية، فعمدت إلى احتلال الجزيرة لتضمن الشريان الحيوي بينها وبين مستعمراتها في الشرق عبر مضيق جبل طارق ومالطة فقناة السويس إلى تلك المستعمرات.

كذلك ندرك كيف أن بريطانيا رأت في سيطرتها على الجزيرة ما أسمته تأميناً للسلام والأمن، ليس فقط في قبرص، بل في منطقة الشرق الأوسط كلها من خلال ما أعلنته عام (1958) عندما أنزلت (8) آلاف مظلي في الجزيرة إثر الأحداث الدامية فيها لتبرر بقاءها وسيطرتها فاعتبرت ذلك (عاملاً لحفظ السلام والأمن في الشرق الأوسط) على حد تعبير ناطقها الرسمي آنذاك.

وفي أيامنا هذه فإن لبريطانيا قاعدتين عسكريتين تضمّان حوالي (8000) رجل هي قاعدة (ديكيليا) وقاعدة (أكروتيري) كما يوجد لها، كما ذكرنا، في جبل الأولب الذي يرتفع (2000) م فوق سطح البحر محطة رادار ضخمة تسمح بتغطية القسم الأكبر من السماء السورية وسواء شمال أفريقيا ووادي النيل ومن هذه القواعد ساهمت في الاعتداء الثلاثي على مصر خريف (1956).

وبين الحربين العالميتين لعبت جزيرة قبرص دوراً هاماً وخطيراً في استراتيجية حوض المتوسط العسكرية وكانت من العوامل الفعالة في كسب الحرب البحرية في هذا البحر.

كذلك فإن تواجد القوات العسكرية للإمبريالية الأميركية، وريثة، الاستعمار الإنكليزي في الجزيرة يأتي في إطار نظام حلف شمال الأطلسي وفي إطار خدمة المصالح الأميركية في المنطقة إن هذا التواجد يدل على الأهمية الاستراتيجية التي توليها أميركياً للجزيرة لتأمين تنفيذ سياستها في المنطقة التي تتركز على المدى الاستراتيجي وفق محورين:

الأول - هو الدولة اليهودية التي تشكل ، بالمنظور الأميركي، قاعدة متقدمة أمينة على رعاية المصالح الأميركية في شتى مجالاتها السياسية والاقتصادية والعسكرية لذلك يجب حماية هذه القاعدة وعدم التفريط بها بأي ثمن.

الثاني - منابع النفط ومصباته على الساحل السوري والتحركات في قناة السويس باعتبارها همزة الوصل بين المتوسط والمحيط الهندي الذي تسعى السياسة الإمبريالية لتحويله إلى بحيرة أميركانية فتضع بذلك منطقة منابع النفط ومصباته في الشرق الأوسط بين فكيّ كماشة السياسة والعسكرية الأميركية.

وليس أفضل من جزيرة قبرص والدولة اليهودية لتحقيق الفكّ الغربي للكماشة الأميركية الذي يؤمن لها تدخلاً مباشراً لقمع أي تحرك في المنطقة وكذلك تدخلاً غير مباشر عن طريق الضغوط بتحريك الأساطيل.

ومن جهة أخرى فإن الأهمية الاستراتيجية لقبرص لم تبرز فقط في التاريخ الحديث والمعاصر بل برزت قبل ذلك بكثير، خلال التاريخ القديم فقد عرفت شعوب هذه المنطقة وشعوب حوض المتوسط هذه الأهمية منذ كانت هناك حروب وتجارة وتصادم مصالح، خاصة ما يخص منطقة سورية الطبيعية. فجميع الدويلات السورية المتعاقبة أدركت أهمية قبرص الاستراتيجية فكانت بحكم الواقع الطبيعي والشعور بوحدة المصير تحتفظ بقبرص، القلعة السورية في البحر لحماية شواطئها فالموقع الجغرافي لقبرص يشكل نقطة حيوية في الدفاع عن سوريا وبالتالي عن الشرق الأدنى كله.

وفي هذا الصدد قال سعادة «الأرض السورية بيئة طبيعية واحدة تقوم عليها وحدة شعبية وأنحازها تكمل بعضها بعضاً، وصيانة أية جهة من جهاتها ضرورية لصيانة الجهات الأخرى» إلى أن يقول «هناك مراكز في الحدود إذا خرجت من قبضة الجيش السوري عرضت البلاد كلها لأشد أخطار الفتوحات والاستعمار والذل» ويعطي سعادة أمثلة على هذه المراكز فيذكر البوابات الكيليكية وكيف أن مدينة صور، التي كانت وقتها جزيرة في البحر هي وحدها التي تمكنت من الصمود تسعة أشهر في وجه الاجتياح الماكيدوني الذي كان قد عبر البوابات الكيليكية وهنا يقول سعادة «تبقى إمكانية القتال متوفرة في جبال لبنان، فقط إذا كانت الشواطئ السورية مخفورة من البحر».

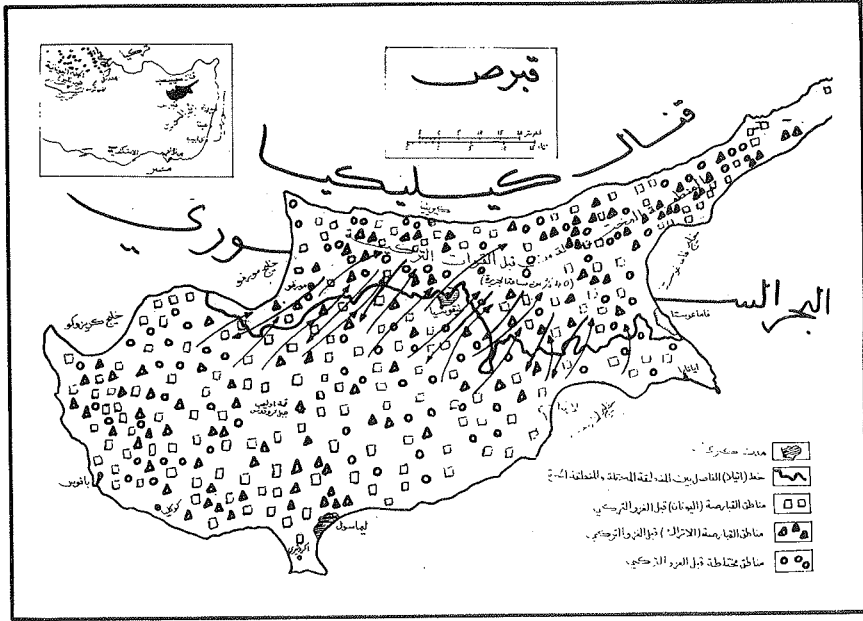
ولكن كيف يمكن تحقيق خفر السواحل السورية وضمان عدم انكشافها؟ يجب سعادة قائلاً «لكي لا تكون الشواطئ السورية منكشفة لعدو مقبل من البحر من الضروري الاحتفاظ بجزيرة قبرص لأنها حصن سوريا من جهة البحر».

وفي الحقيقة فإن قبرص هي نقطة الارتكاز الأقرب التي يستطيع منها العدو اجتياح سوريا، والمستودع الحربي الذي يمكن أي جيش من حشد قواه وتركيز قواعده للانطلاق شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، من هنا تبرز أهمية قبرص كتمم استراتيجي لوحدة سورية الاستراتيجية ووحدة مصيرها، يقول سعادة في هذا الصدد «لا يمكن حفظ سلامة الوطن السوري إلا باعتباره وحدة حربية في وحدة استراتيجية، أي جيش يحتل أية منطقة صغيرة ضمن نطاق الوحدة الاستراتيجية يمكن اعتباره محتلاً البلاد كلها احتلالاً استراتيجياً».

ويبدو ذلك واضحاً من ملاحظة البعد المكاني للجزيرة عن البر السوري.

هذا ما أدركته كل الدويلات السورية المتعاقبة كما ذكرنا، وما أدركه أيضاً كل

فاتح مستعمر، فلكي تتم السيطرة على سورية ومشاغلها حربياً كان لابد من السيطرة على قبرص.



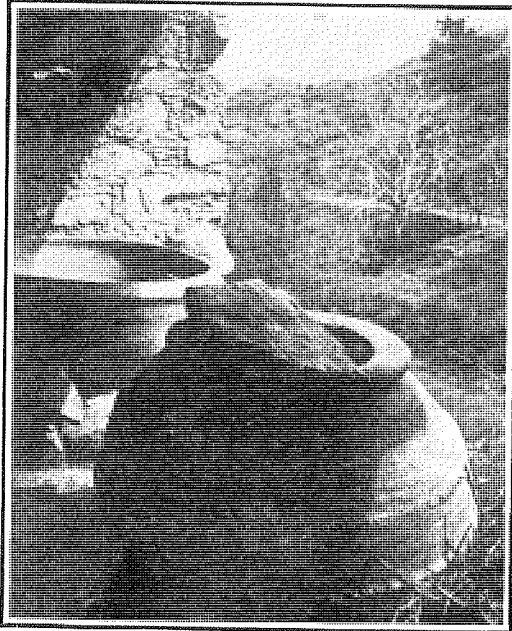
وهذه أمثلة من التاريخ تدلّ بوضوح على الأهمية الاستراتيجية لقبرص ووحدتها المصيرية مع الهلال السوري الخصيب.

- فيها هو كاهن إيرتيش السوري يعتبرها حارساً أميناً لحدود سورية الطبيعية فيقول: «لقد وجدت بلادي من البحر الأعلى إلى الخليج الأدنى وقد حرس شواطئ بلادي بحارس أمين» تماماً كما يعتبرها سعادة «حصن سورية في البحر».

- أما الحثيون فكانوا يعتبرون قبرص المركز الأساسي للتجارة ولرد الغزوات من البحر.

- والفينيقيون اتخذوها قاعدة بحرية للتوسّع الجغرافي والتجاري في جميع أنحاء البحر المتوسط (الذي أصبح يسمى في أيامهم البحر السوري أو بحيرة كنعان) يصدرون منها النحاس والحديد والفضة إلى جميع أنحاء العالم القديم وإليها لجأت اليسار، شقيقة بغماليون ملك صور، في بداية الأمر قبل أن تتوجه إلى شمال أفريقيا لإنشاء الإمبراطورية القرطاضية، وإليها أيضاً لجأ هانيبعل في نهاية الأمر بعد أن خسر آخر حروبه العسكرية بهدف التنسيق مع القادة السوريين لإعادة الكرة ومهاجمة روما.

- وكذلك جعلها الآشوريون مركز انطلاقهم لفتوحاتهم في مصر.
- وفي أيام الفرس جعلوها تابعة مباشرة لنائب الملك في صيدا نظراً لأهميتها الاستراتيجية.
- قبل أن يحتاج الاسكندر الماكيدوني السواحل السورية احتلّ أولاً جزيرة قبرص.
- وقبل انقسام الإمبراطورية الإغريقية إلى سلوقيين وبطالسة حصل صراع هائل بين القسمين لسط النفوذ على الجزيرة.
- في عهد البيزنطيين أصبحت قبرص مستودعاً هاماً للجيش المعدة للانطلاق إلى سوريا ومصر.
- بعد الفتح العربي لسوريا بقيت السواحل السورية عرضة لهجمات البيزنطيين المتمركزة في قبرص فتنبه معاوية لهذا الخطر وبعث إلى الخليفة عمر بن الخطاب يستأذنه باحتلال الجزيرة إلا أن عمر رفض ذلك باعتبار أن العرب لا يزالون حديثي العهد بأمور البحر، والبحر لا يؤمن جانبه، لكن معاوية عاد وكتب إلى الخليفة قائلاً «كيف تريدني أن أنام مطمئناً وأنا أسمع صياح الديكة في قبرص» فأقره الخليفة على احتلالها وهكذا نام معاوية مطمئناً في دمشق.



معاوية: أسمع صياح الديكة في قبرص

وفي رواية أخرى عن ابن الأثير أن معاوية احتلها دون علم الخليفة فلما وجه لومه إلى معاوية لاحتلاله الجزيرة كتب إليه معاوية يقول «كيف تريدني أن لا أحتل قبرص وكل قرية من قرى الشام تسمع نباح كلابهم وصياح دجاجهم».

وفي الروایتين تظهر الأهمية الاستراتيجية للجزيرة بالنسبة للأمن السوري.

- أيام الصليبيين كانت قبرص قاعدة حربية هامة ومركزاً لتدريب الجنود ومستودعاً للأسلحة ولم يعد الاستقرار إلى سورية إلا بعد جلاء الصليبيين عن قبرص.

- وفي عهد العثمانيين كان الأمير فخر الدين المعني الثاني يعلم ما لقبرص،



الأمير فخر الدين

نجمة الهلال السوري الخصيب، من أهمية لذلك عندما عقد معاهدة دفاعية عام (1608) مع دوقية توسكانيا كان أول شرط له هو مساعدة توسكانيا له في تحرير قبرص وعودتها إلى الوطن الأم، وعندما فشل التوسكانيون في طرد البندقية من قبرص وطالبوا الأمير فخر الدين بتنفيذ بقية بنود المعاهدة قال لهم جملته التاريخية «قبرص أولاً أو فاماغوستا على الأقل» اقتناعاً منه بأن سيطرته على مرفأ فاماغوستا كما قال يضمن له تحرير الجزيرة كلها فيها بعد ليتوجه من ثم شرقاً لإتمام عمله في تحرير الوطن السوري متجنباً بذلك ان تصيح الجزيرة نقطة ارتكاز للعدو يأتيه من الخلف فيقسم جيشه.

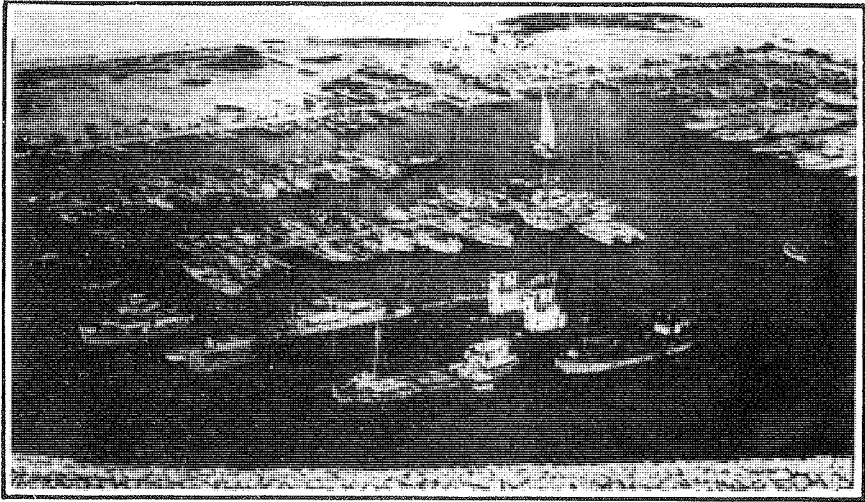
- وفي أيامنا هذه وبعد الغزو التركي لقبرص عام (1974) صرح أحد جنرالات انقرة أن قبرص (قاعدة الدفاع الأولى عن البلاد).

رابعاً - في نشوء وتطور المسألة السورية القبرصية في التاريخ الحديث والمعاصر :

كنا ذكرنا فيما سبق أنه مع احتلال العثمانيين للجزيرة عام (1571) بدأ تاريخها الحديث، ونضيف هنا إن احتلال السلطان سليم الثاني لجزيرة قبرص كان بناء على فتوى صدرت عن الشيخ (أبي السعود) على اعتبار أن قبرص كانت يوماً ما عائدة للمسلمين وعلى المسلمين أن يستردّوا ما كان عائداً لهم ويعني هذا أن الفتح العربي بسط نفوذه عليها كجزء من سوريا كما رأينا في قصة احتلال معاوية لها.

بدأ احتلال العثمانيين للجزيرة كما مرّ معنا بمجزرة كبيرة في نيقوسيا راح ضحيتها (2000) نسمة .

وحتى بعد استقرار الحال للعثمانيين في الجزيرة عمدوا إلى إشعال الفتنة الطائفية، كعادتهم، والتي لم تنطفئ ناراها حتى الآن فقد كانوا يغذون تلك الفتنة ويوقعون المظالم بسكان الجزيرة ممن اعتنقوا الإسلام المسيحي منذع(45) م على يد القديس بولس وبعده على يد القديس العازر (وبالمناسبة فإن إحدى الأفاصيص الشعبية في مدينة لارنكا تقول



أن العازر جاء من فلسطين إلى قبرص بعد أن أحياه المسيح من الموت وأصبح أول أسقف لابرشية كيتيون - لارنكا حالياً - وهناك حالياً كنيسة في لارنكا تحمل اسمه وهي كنيسة القديس لازاروس).

إذن كان العثمانيون بهجرتهم المعهودة يعملون القتل والنهب في سكان الجزيرة مما أرغم القسم الأكبر من السكان على الهرب من المظالم إلى بلاد اليونان والقسم الباقي اضطر إلى موالاة الثمانيين واعتنق الإسلام المحمدي وتعلّم اللغة التركية فأطلق عليهم فيما بعد اسم (الطائفة التركية) واعتبروا جالية تركية، ولما كانت تهدأ المظالم كان القبارصة المهاجرون يعودون إلى قبرص حيث أطلق عليهم فيما بعد اسم (الطائفة اليونانية) واعتبروا جالية يونانية.

استمرّ سكان الجزيرة على هذه الحال بين مهاجر ومقيم طوال فترة الحكم العثماني حتى باعتهما تركيا لبريطانية عام (1878) م فأمنت بريطانيا بدورها في تغذية النار الطائفية والمحافظة على الإرث الاستعماري التركي ولكن بأساليب عصرية خاصة بعد عام (1923) حيث تنازلت تركيا رسمياً عن الجزيرة فتوجت بريطانيا سياستها الخبيثة في الجزيرة بأن أعطت الوضع الطائفي صفة الشرعية من خلال دستور عام (1960) كما سنرى فيما بعد.

كان تنازل تركيا عن الجزيرة رسمياً عام (1925)، بعد نهضة مصطفى كمال الحديثة بموجب الميثاق الوطني الذي صوّت عليه الأتراك في المجلس الوطني التركي الكبير بتاريخ (28) كانون الثاني والذي جاء فيه على لسان مصطفى كمال ما يلي (لقد ذكرت تكراراً أن حكومة المجلس الوطني التركي الكبير لا مطالب لها على الأراضي التي كانت خاضعة للإمبراطورية العثمانية خارج حدود تركيا).

وهكذا لم يعتبر الأتراك قبرص ضمن حدودهم الطبيعية وإنما هي إحدى الولايات الأربع والأربعين التي كانت تؤلف الإمبراطورية العثمانية.

استمر وضع الجزيرة هكذا حتى عام (1954) عندما أعلنت بريطانيا عن رغبتها في منح الجزيرة دستوراً في حين قررت اليونان عرض المسألة على الأمم المتحدة وظهرت منظمة (أيوكا) القبرصية (اليونانية) المسلحة التي تهدف في استراتيجيتها البعيدة إلى تحقيق فكرة الاتحاد مع اليونان فبدأت بشن سلسلة من العمليات العسكرية ضد القوات البريطانية أما القبارصة (الأتراك) فلم يشتركوا في مقاومة الاستعمار البريطاني بل كانوا على الحياد أو متعاطفين مع الإنكليز.

في آذار (1956) أبعدت السلطات البريطانية المطران مكاريوس رئيس الكنيسة الأورثوذكسية القبرصية إلى جزر سيشيل نتيجة نشاطه الوطني في التحريض على النضال وتأييد ثورات الشعب القبرصي ضد الاحتلال البريطاني خاصة ثورتى (1931) و (1951)

وبعد عام من النفي أفرج عنه في آذار (1957) ليتأسس الجانب القبرصي في مفاوضات الاستقلال مع بريطانيا، وكمقدمة لذلك أعلن عن تخليه عن مشروع الانضمام إلى اليونان بقوله (إن الشعب القبرصي قد عدل عن فكرة الاتحاد مع اليونان وهو يطالب باستقلال الجزيرة).



المطران مكاريوس

اليونان من جهتها اعتمدت فكرة استقلال الجزيرة وأعلنت أن لا علاقة لها بقبرص وأنها ستؤيد استقلال الجزيرة في الأمم المتحدة وإن مصير قبرص وحلّ قضيتها متوقفان على التفاهم بين القبارصة وإنكلترا التي لها السيادة على الجزيرة ولها ملء الحرية بمنح قبرص حق تقرير المصير جاء ذلك في النشرة الصادرة عن رئاسة وزراء المملكة اليونانية في (8) تموز عام (1958) تحت عنوان «المصالح التركية في قبرص والعلاقات اليونانية التركية».

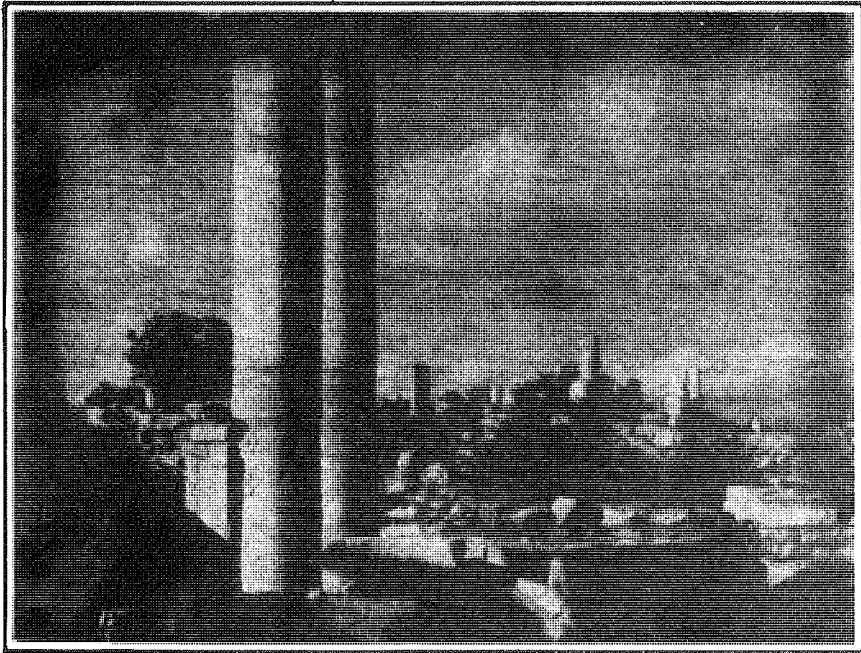
وهنا نتوقف قليلاً لنلاحظ من إعلان تركيا في ميثقتها الوطني المذكور أن لا مطالب لها خارج الأراضي التركية، وإعلان اليونان تبني فكرة استقلال الجزيرة نلاحظ أن ارتباط الدولتين بالمسألة القبرصية غير مبني على أية أسس حقوقية قومية وذلك باعترافها الصريح وإنما على مصالح ومطامع استعمارية في الجزيرة لتساوم عليها الغرب ولتنشئ عليها قواعد استراتيجية.

في حقيقة الأمر فإن ادعاء كل من الدولتين ملكية الجزيرة أو بعض المصالح فيها

مبنى على استغلال الأوضاع الداخلية في الجزيرة. فتركيا تستغل وجود فئة تتكلم التركية وتدين بالإسلام المحمدي فتدعي أن هذه الفئة جزء من الشعب التركي، واليونان بدورها تستغل وجود فئة أخرى تتكلم اليونانية وتدين بالإسلام المسيحي فتدعي أيضاً أن هذه الفئة جزء من الشعب اليوناني، فتسعى كل من الدولتين إلى ضم الجزيرة، فاليونان تضغط من الداخل معتمدة على الكثرة النسبية للطائفة (اليونانية)، في حين تجد تركيا نفسها مضطرة إلى الضغط من الخارج للتعويض عن القلة النسبية للطائفة (التركية)، إذ أن نسبة الطائفة (اليونانية) هي (77%).

إن هاتين الفئتين تشكلان مجموع الشعب في قبرص الذي هو جزء من الشعب السوري وليس جزءاً من الشعب التركي أو اليوناني كما يثبت العلم والتاريخ فالعنصر اليوناني في الجزيرة على قلته لم يظهر إلا بعد القرن العاشر ق. م نتيجة اضطراب قبائل الآخيين اليونانية إلى المهجرة تحت ضغط قبائل الدوريين التي احتلت منازل الآخيين وأجبرتهم على ترك موطنهم والاتجاه جنوباً نحو قبرص.

أما العنصر التركي فهجرته إلى الجزيرة حديثة العهد ترجع إلى الفتح العثماني أيام السلطان سليم الثاني عام (1571).



إن هاتين الهجرتين لا تعنيان إن الجزيرة أصبحت تركية أو يونانية لأن جميع الهجرات كانت تذب في الشعب السوري في قبرص، وحتى في وقتنا الحاضر فإن نظرة إلى الخريطة السكانية لجزيرة قبرص تظهر مدى التداخل البشري الكبير بين الذين يتكلمون التركية والذين يتكلمون اليونانية إلى درجة يبدو عندها من المستحيل تمييز الفئتين عن بعضهما إلا على الصعيد الفردي، عن طريق اللغة أو المذهب، إضافة إلى أن نسبة كبيرة من الشعب تتكلم الإنكليزية إلى جانب اليونانية والتركية.

في حزيران عام (1958) أنزلت الحكومة البريطانية أربعة آلاف مظلي في الجزيرة إثر النزاعات الدامية التي وقعت في كل من قبرص ولبنان بحجة أن ذلك يعتبر «عاملاً لحفاظ الأمن والسلام في الشرق الأوسط» كما ذكرنا سابقاً وفي (11) شباط عام 1950 انعقد مؤتمر زوربخ الذي ضم كلاً من تركيا واليونان وبريطانيا واستبعد عنه الشعب القبرصي وفي هذا المؤتمر أعلنت الأطراف المشاركة فيه التزامها بضمان استقلال الجزيرة على أن يكون رئيس الجمهورية من القبارصة (اليونان) ونائبه من القبارصة (الأترك).

وفي (16) آب عام 1965 وافقت بريطانيا على منح الجزيرة استقلالها مقابل استمرار الوجود العسكري البريطاني فيها كذلك وقعت اتفاقية بين الجمهورية القبرصية من جهة وكلّ من اليونان وتركيا وبريطانيا من جهة أخرى نصّت على «أن قبرص حريصة على ضمان استقلالها وسلامة أراضيها وإنها لن تسعى لإقامة وحدة سياسية أو اقتصادية مع أية دولة من الدول وإنها سوف توقف أي نشاط يهدف بشكل مباشر أو غير مباشر إلى تحقيق مثل تلك الوحدة أو لتقسيم الجزيرة وتضمن كلّ من لندن وأثينا وأنقره سلامة تنفيذ هذه التدابير ولا تتدخل أيّ منها في الشؤون الداخلية للجزيرة وإذا لم تطبق نصوص الاتفاقية يصار إلى إجراء مشاورات بهذا الشأن فإذا تبين أن القيام بعمل موحد ومتفق عليه متعذر فإن لكل من الدول الثلاث الضامنة الحق في أن تصرف منفردة كي تعيد الأمور إلى نصابها كما حدّدت الاتفاقية» سميت هذه الاتفاقية (اتفاقية الضمان).

كما وقعت في نفس اليوم اتفاقية تحالف بين قبرص وتركيا واليونان.

وفي (13) كانون الأول من نفس العام تمّ انتخاب المطران مكاريوس رئيساً للجمهورية وبموجب الدستور انقسمت الإدارة في قبرص محاصصة بين الطائفتين، على غرار نظام المحاصصة الطائفي في لبنان، فُرئس الجمهورية قبرصي (يوناني) ونائبة قبرصي (تركي) أما مجلس الوزراء فيضم (7) قبارصة (أترك) إلا أنهم لم يشتركوا في الوزارة منذ عام (1963)، والمجلس التشريعي أيضاً يضم (50) عضواً منهم (35)

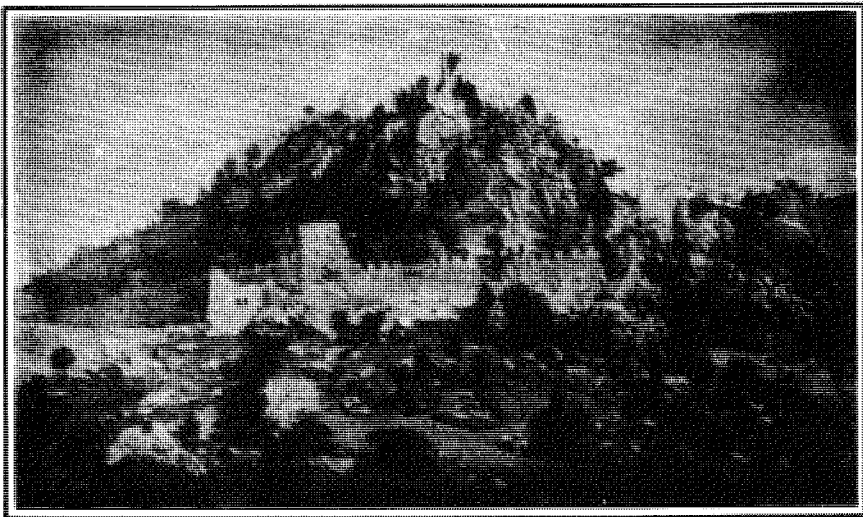
قبارصة (يونان) و (15) قبارصة (أتراك) يمثلون سكان الجزيرة البالغ عددهم (650) ألف نسمة (حسب إحصاء عام 1978) منهم (77%) قبارصة (يونان) و (18,3%) قبارصة (أتراك) و (4,7%) أقليات (موارثة - أرمن - لاتين - وغيرهم).

في تشرين الأول (1961) أعلن نائب الجمهورية (من الطائفة التركية) معارضة مشروع مكاريوس الخاص بدمج القوات القبرصية في إطار جيش قبرصي موحد.

في (4) آذار (1964) قرر مجلس الأمن الدولي إرسال قوات طوارئ دولية للحفاظ على الوضع القائم في قبرص بعد الاصطدامات المسلحة الدامية بين الشعب القبرصي إثر ظهور خلافات قانونية وسياسية حول الحقوق المتبادلة لأفراد الطائفتين.

عام (1970) جرت انتخابات عامة فاز بها الرئيس مكاريوس بشكل ساحق ضد منافسه غريفاس الذي يتبنى مشروع الاتحاد مع اليونان مما دفع بأنصاره في عام (1973) إلى تصعيد عملياتهم المسلحة في طار منظمة أيوكا ضد حكومة مكاريوس في أعقاب تجديد فترة رئاسته مدة خمس سنوات أخرى ورفض مكاريوس قرار السينودوس الخاص بتجريده من سلطاته الدينية واتهامه غريفاس بالتخطيط للإطاحة بالحكومة.

في مطلع (1974) بدأت الأحداث الكبرى تعصف بالجزيرة. ففي (27) كانون الثاني وبعد وفاة غريفاس في ليماسول أعلن (سامبسون) خليفته، على رأس منظمة أيوكا عن وقف النشاط الإرهابي للمنظمة، وبعد ثلاثة أشهر - في نيسان - جرت عملية إنزال قوات أميركانية من المارينز تحت غطاء المساهمة في إزالة الألغام في قناة



السويس عقب توقف حرب تشرين وقد كانت تلك الخطوة تهدف إلى إدخال القوات الأميركية إلى الجزيرة في إطار نظام حلف شمال الأطلسي ولتحقيق الخطط السياسية الأميركية في المنطقة كما ذكرنا سابقاً.

خلال شهري حزيران وتموز اتخذ مكاربيوس عدة إجراءات تهدف إلى قبرص الجيش فقرر وضع الحرس الوطني الذي يقوده (600) ضابط يوناني تحت سلطته المباشرة وبعد ذلك طالب بإبعاد كل الضباط اليونانيين إلى اليونان واتخذ تدابير خاصة لجعل ملاك جيشه يقتصر على الضباط القبارصة وأعلن حالة الاستنفار في صفوف الشرطة الخاصة التي أنشئت لمواجهة نشاط منظمة أيوكا.

في (15) تموز (1975) وقع انقلاب عسكري في نيقوسيا بتخطيط من الحكومة العسكرية في اليونان وبتوجيه من أميركانيا، وعين سامبسون - رئيس منظمة أيوكا - رئيساً للجمهورية واختفى مكاربيوس إلا أنه في اليوم التالي سمع صوته من إحدى الإذاعات السرية يدعو الشعب إلى مواجهة الديكتاتورية العسكرية اليونانية.

وبعد خمسة أيام فقط، وكرد فعل على الانقلاب، بدأ الغزو التركي للجزيرة بحجة إعادة الأمور إلى نصابها بموجب «اتفاقية الضمان» عام (1960) إلا أن تركيا لم تسحب من الجزيرة حتى الآن.

وبعد أربعة أيام أخرى سقطت الحكومة العسكرية في اليونان وتألقت حكومة مدنية برئاسة كرامنليس نتج عنها عزل سامبسون قائد الانقلاب وتعيين كليريدس رئيساً مؤقتاً لقبرص.

الانقلاب العسكري في قبرص والغزو التركي الذي تلاه مباشرة كان بتوجيه وتخطيط من أميركانيا التي حرّضت الحكومة العسكرية في اليونان على الانقلاب وبعد ذلك انتقلت بقدرة قادر إلى تأييد تركيا في غزوها عقب إسقاطها الحكم العسكري في اليونان بعد أربعة أيام فقط من انقلاب قبرص.

وكثر الحديث في أعقاب الغزو التركي في الأوساط السياسية المحلية والعالمية عما سمي آنذاك (بقبرصة) المنطقة كلها فغلاً فقد أبحرت كلمة (تقسيم) من قبرص إلى لبنان بعد أن كانت على شفة كل تركي أبان الغزو بلفظها العربي حيث أن لفظها واحد في كل من العربية والتركية.

كان من نتائج الغزو التركي احتلال (40%) من أراضي الجزيرة الأكثر خصباً والأغنى إنتاجاً وحرق (15%) من مساحة الغابات في قبرص البالغة (18%) من مساحة الجزيرة وذلك نتيجة قصف الطائرات التركية كما أدى إلى تشريد ما يزيد عن (200000)

قبرصي (يوناني) يشكلون (40%) من القبارصة (اليونان) وبرزت أيضاً قضية ألفي شخص من المفقودين في منطقة الاحتلال.

وحالياً تعمل تركيا على توزيع بيوت وممتلكات المهجرين المصادرة على أتراك يُستوردون من تركيا لهذه الغاية.

وبالمقابل فإن القبارصة (الأترك) في القسم الواقع تحت سيطرة الحكومة القبرصية لم يتمكنوا من البقاء فهاجروا إلى القسم المحتل وهكذا حصل الغزو الطائفي كما بتغية تركيا تمهيداً لتحقيق سياستها المعلنة رسمياً في تقسيم الجزيرة على الأقل تمهيداً لاحتلالها كلها في المستقبل عندما تسمح الظروف (وصف أحد جنرالات الجيش التركي قبرص بأنها «قاعدة الدفاع الأولى عن البلاد»).

في (18) آب (1974) عقد مؤتمر ثلاثي (أثينا - أنقرة - لندن) انتهى إلى تثبيت الخلاف القائم ومطالبة تركيا العلنية بتقسيم الجزيرة ومعارضة اليونان لذلك.

عاد الرئيس مكاربوس إلى الحكم في (7) كانون الأول وصدرت قرارات عديدة عن الأمم المتحدة تقضي بانسحاب القوات التركية وعودة اللاجئين إلا أن تركيا كانت دائماً ترفض التنفيذ مع إنها كانت في أغلب الأحيان تصوّت إلى جانب تلك القرارات في الأمم المتحدة.

أحدث الغزو التركي للجزيرة توزيعاً دموغرافياً جديداً للسكان كما في الخريطة.

وهكذا فقد تداخلت خيوط الاستعمارين القديم والحديث بابشع صورها لمنع الجزيرة من الاستقرار وإبعاد شعبها عن وطنه الأم بإلهائه بنزاعات طائفية وباتتاءات مزيفة إلى تركيا أو اليونان بعامل اللغة أو المذهب لقطع أوصال دورة الحياة السورية الواحدة التي كانت تشمل جزيرة قبرص حتى عهد قريب، إلا أن المتنورين من شعبنا في قبرص الأكثر وعياً لانتفاء قبرص الحقيقي وعلى رأسهم الرئيس الراحل مكاربوس لم تحفّ عليهم مقاصد الاستعمار من وراء مؤامراته ومخططاته منها فهي هو الرئيس مكاربوس خلال الفترة القصيرة لاستقلال الجزيرة يحاول أن ينجح في سياسته الخارجية نهجاً تحريراً مع محاولة توفيق الأوضاع الداخلية بشكل يتماشى مع هذه السياسة إضافة إلى سلوكه الأمين في سبيل الدعوة إلى الاستقلال والوحدة الوطنية وسياسة الحياد الإيجابي ليجنب بلاده مغبة الانزلاق في سياسات الانحياز والأحلاف والتبعية فبعد حرب حزيران (1967) حيث استخدمت مياه الجزيرة وسماؤها وبرّها لصالح إسرائيل إذ لم يكن في مقدرة الرئيس مكاربوس آنذاك منع ذلك، أعرب للرئيس عبد الناصر خلال زيارته للقاهرة عن حزنه وأسفه وعذره عما حصل واعداً بعدم تكراره في المستقبل مهما

كانت الأحوال، وفعلاً خلال حرب تشرين (1973) لم يسمح باستخدام الجزيرة لصالح «إسرائيل» بأي شكل وفرض رقابة شديدة على القواعد البريطانية في الجزيرة إضافة إلى تأييده المستمر لحقنا القومي في فلسطين غير آبه بردات الفعل الأطلسية لأن همّه كان تحييد الجزيرة بحيث لا تتحول إلى حاملة طائرات تهدد الشاطئ السوري ووادي النيل علماً بأنه لم يتلقَ أي دعم اقتصادي من العالم العربي في حين كان دائماً عرضة للمغريات من جانب «إسرائيل» حتى خلال فترة حظر النفط في أعقاب حرب تشرين فإن الدول العربية المنتجة للبتروال لم تراعى أوضاع قبرص الاقتصادية الناتجة عن الغزو التركي فنستثنيها من الحظر في محاولة لتوطيد العلاقات معها.

توفي الرئيس مكاريوس في (13) آب (1977) وانتخب مكانه الرئيس سبيروس كبريانو.

خامساً - في نظام الإدارة والحياة السياسية في قبرص:

قبرص هي جمهورية بنظام حكومي رئاسي، السلطة التنفيذية هي بيد رئيس الجمهورية المنتخب في انتخابات عامة لمدة خمس سنوات، يساعده مجلس وزراء معين من قبله يضم (7) وزراء قبارصة (يونان) و (3) وزراء قبارصة (أتراك).

أما القوة التشريعية فيمارسها مجلس النواب المكوّن من (50) عضواً منهم (35) قبارصة (يونان) تنتخبهم (الجالية اليونانية) و (15) قبارصة (أتراك) تنتخبهم (الجالية التركية).

أما القوة القضائية فيمارسها قضاء الجزيرة المستقل المؤلف من المؤسسات القضائية التالية: المحكمة العليا - محكمة الجنايات - محاكم القضاء - المحاكم الكنسية - المحاكم العائلية التركية.

تقسم الجزيرة إدارياً إلى ست ألوية هي نيقوسيا - فاماغوستا - ليماسول - لارنكا - بافوس - كيرينيا.

أما عاصمة الجزيرة ومركز الحكومة فهي مدينة نيقوسيا.

مدینتا فاماغوستا وكيرينيا احتلتها الجيوش التركية بعد الغزو.

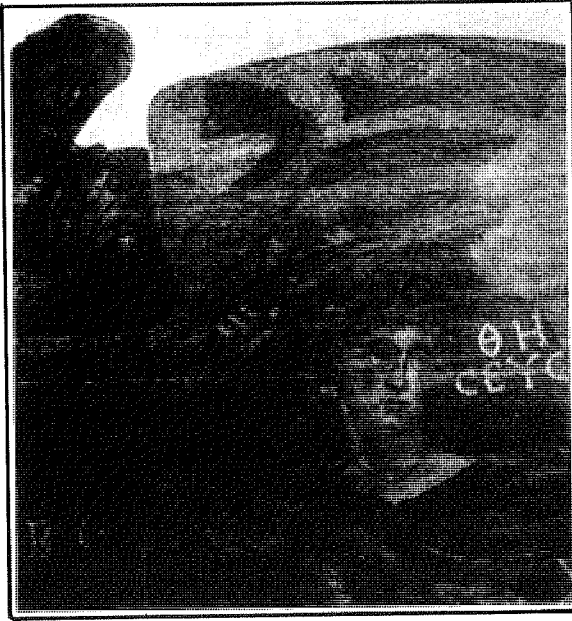
الحياة السياسية تتمثل بعدد من الأحزاب المتميزة وفق تيارين كبيرين هما التيار اليوناني والتيار التركي إذ تنفرد كل من الطائفتين بأحزابها السياسية ونواديا الاجتماعية وسبل حياتها الخاصة.



دير مكارياس



في متحف نيقوسيا



فسيفساء بافوس

أما أحزاب (الطائفة اليونانية) فهي :

1- حزب الجبهة الديمقراطية: يتألف من أرباب العمل ورجال الاقتصاد وأصحاب المهن الحرة يدعو إلى وحدة الجزيرة واستقلالها تحت حكم مركزي يرأسه سيبيروس كبريانو.

2- حزب التجمع الديمقراطي: يدعو إلى الوحدة مع اليونان يرأسه كليريدس.

3- الحزب الاشتراكي القبرصي: يدعو إلى وحدة الجزيرة واستقلالها يرأسه فاسوس ليساريديس.

4- الحزب التقدمي للشعب القبرصي الكادح: وهو الحزب الشيوعي القبرصي يدعو إلى وحدة الجزيرة ووحدة أراضيها في ظل حكومة مركزية يرأسه أندرياس بابا.

5- حزب الجبهة الديمقراطية الجديد: أسسه أيكوس فيماليدس يدعو إلى وحدة الجزيرة واستقلالها يتلقى الدعم من الكنيسة.

6- حزب اتحاد الوسط: أسسه بابا دويولس من أنصار مكاروريوس.

7- حزب التجديد لعموم قبرص: أسسه خريوس توموس سونيأتوس يضم الشباب المثقف يؤمن بحل سلمي للمسألة القبرصية.

تشارك جميع هذه الأحزاب بموقف واحد من القضايا العربية باستثناء حزب التجمع الديمقراطي الذي يتعامل مع «إسرائيل».

وبالمقابل فإن الحزب الاشتراكي القبرصي يعتبر من أكثر الأحزاب وطنية وأكثرها تعاطفاً وتأييداً لحقنا في المسألة الفلسطينية فقد حدّد رئيسه فاسوس ليساريوس خلفيات أحداث عام (1974) بقوله «إن الانقلاب العسكري والغزو التركي الذي تلاه هما حلقتان من سلسلة واحدة كان همّ الولايات المتحدة يمرّ عملياً بتقسيم الجزيرة بين اليونان وتركيا بحماية أطلسية أمريكية في الواقع وبريطانية في الظاهر وعلى المدى الطويل ترغب تركيا في احتلال كامل في حين أن واشنطن ترغب في التقسيم والضحية هو حياد قبرص».

أما بشأن فلسطين فيقول «إن الصراع واحد فالاستعماريون الجدد احتاجوا إلى قبرص ليس طمعاً بثروتها وإنما لمجاورتها لمنابع النفط العربي وقناة السويس (...). والقوى التي تحاول فرض إرادتها على العرب هي القوى ذاتها التي تحاول فرض إرادتها على قبرص».

وفي إحدى زيارته لبيروت صرح بقوله «إن قضايا قبرص ولبنان وفلسطين متشابهة ولا سبيل إلى حلها إلا بالنضال المشترك بين هذه الشعوب. إنني سعيد بأن أكون مع إخوتي هنا وعلى الخط الأمامي نفسه الذي يقف عليه حزبنا أيضاً في قبرص».

- أما أحزاب (الطائفة التركية) فهي:

1- حزب الوحدة الوطنية: حزب يميني متطرف يرأسه رؤوف دنكتاش.

- 2- حزب التحرير الاجتماعي : حزب اشتراكي إصلاحي يرأسه دوردوران .
- 3- الحزب الديمقراطي الاشتراكي: انشق عن حزب الوحدة الوطنية وهو حزب يميني يرأسه كوتوك .
- 4- الحزب الشعبي يرأسه أورهون .
- 5- حزب الوحدة الوطنية: حزب يميني يدعو إلى الوحدة مع تركيا يرأسه ضابط في الجيش التركي .
- 6- حزب الإصلاح والرفاه: حزب ديني طائفي .
- 7- حزب الجمهورية: حزب تقدمي يرأسه أوزكراكور .

تتميز هذه الأحزاب بعدم وضوح موقفها من القضايا العربية وهي على العموم ميالة إلى التعامل مع «إسرائيل» فمثلاً عندما سمح الرئيس مكاريوس بفتح سفارة في قبرص لمصر اشترط الجانب التركي السماح بفتح سفارة «إسرائيل» أسوة بمصر .

واخيراً لتتعرف إلى الموقف الرسمي للحكومة القبرصية من المسألة القبرصية، فقد صرح الرئيس سبيروس كبريانو في مقابلة أجرتها معه مجلة (الحرية) التي تصدر في قبرص باللغة العربية في مطلع عام (1983) بقوله: «القضية القبرصية ليست قضية نزاع بين الجالتين القبرصيتين وليست أيضاً نزاعاً دينياً بين القبارصة اليونانيين والقبارصة الأتراك كما يحاول الإعلام التركي أن يقول، لقد عاش القبارصة، يوناناً وأتراكاً، لعدة قرون سوياً في جو من الصداقة والتعاون بينهما، والشعب القبرصي التركي كان يعيش قبل الغزو التركي في جميع أنحاء الجزيرة وهناك عدة أرياف كانت مختلطة حيث كان اليونانيون والأتراك يعيشون سوياً ويتعاونون فيما بينهم وكانت الجالية القبرصية التركية تعيش في حرية كاملة بالنسبة لإقامة الواجبات الدينية وهناك عدة كنائس مبنية بالقرب من المساجد...» .

هذا على الصعيد الداخلي، أما على الصعيد الخارجي فيمكن القول بأن الحكومة القبرصية تنهج في سياستها سياسة الرئيس الراحل مكاريوس في التوجه شرقاً لإقامة أمتن العلاقات مع الدول العربية وخاصة سورية .

الاستشارات

- (1) الباليوجغرافيا: أو «الجغرافيا القديمة» هي علم جيولوجي يدرس التوزع الجغرافي في الكرة الأرضية وتغيره خلال الأحقاب الجيولوجية المختلفة.
- (2) الجيولوجيا البنوية: هي علم جيولوجي يدرس بنية الأرض الداخلية بحالتها الوضعية كدراسة وجود الطيات والفوالق والانكسارات والصرع وغيرها.
- (3) التكتونيك: علم جيولوجي يدرس الحركات الأرضية الداخلية وأسبابها ونتائجها ومظاهرها.
- (4) الليتولوجيا: علم جيولوجي يدرس تركيب الصخور بنويماً كدراسة الحبات الصخرية وترابطها وملاطها.

المراجع

- 1 - منشورات الحزب السوري القومي الاجتماعي .
- 2 - منشورات وزارة الإعلام القبرصية .
- 3 - «جيولوجية سوريا» د. فؤاد المعجل . .
- د. عبد الرحمن حامد عبد الرحيم .
- 4 - «المحاضرات العشر» أنطون سعادة .



خلاصة

أهمّ ما ورد في المجلد الرابع «من الجعبة» خلال السنة الحزبية السادسة 1937 -

1938 .

- صدور جريدة النهضة
- مرسوم حل الأحزاب في 17 ت 1937 وذيوله
- مقالات الزعيم في «النهضة»: قضية الأحزاب البيغائية والرد على البطريك الماروني والمقالات عن الشام
- تعيين أول مدرب عام: الركن منير الملاذي
- طبع الدستور لأول مرة
- الانتصار للأدبية ميّ (راجع أيضاً باب أدبيات)
- معلومات عن سير الجريدة «النهضة». تعطيلها مدة أسبوع
- مذكرة الحزب وجواب عصبة الأمم عليها
- هدايا أول آذار:
- ماتم سلمان جنبلاط وماتم حسن الأيوبي
- من الزعيم الى شارل مالك: اريدك فيلسوفاً لاناقل فلسفة
- صدور كتاب «نشوء الأمم»
- متابعة الحملة من أجل الاسكندرون. تعطيل جريدة «النهضة» بسببها
- مجلة عراقية تشيد بالحزب
- انشاء مكتب عبر الحدود
- نشاطات تنفيذية المكسيك

- المرحلة الجديدة

- السفر من بيروت، دمشق، عمّان ثم الى حيفا فقبرص ببحراً
- مقابلة الأمير عبد الله
- تشكيل أول مجلس أعلى وانتخاب الأمين فخري معلوف رئيساً له
- مؤتمر الاستعداد. أول مؤتمر حزبي. الاعتقالات
- موقف الحزب الانتخابي في لبنان موقف سياسي

المحتويات

	المقدمة
9	العمل العلني الميداني
17	الزعيم في اجازة
19	مرسوم حلّ الأحزاب
21	جميل عازار يكرم الزعيم
29	النشاط الحزبي المركزي
31	معلومات عامة
41	الانتصار للأدبية «مي»
55	جريدة النهضة
69	في ماتم والدة الرئيس ثابت
71	جواب عصبة الأمم على مذكرة الحزب
79	أول مارس
133	مأتمان
137	معلومات عامة
149	الى الدكتور شارل مالك
153	النشاط الحزبي في الفروع
155	في بيروت
157	في الجامعة والمدارس الأخرى
161	في المتن
165	في الغرب والشوف

169 في البقاع
171 في دمشق
177 في الجزيرة ولواء الاسكندرون
183 في اللاذقية وصافيتا
187 في الشمال اللبناني
193 في الجنوب اللبناني
201 في العراق
203 متفرقات
213 المرحلة الجديدة
215 11 حزيران 1938
223 في قبرص - المراسلات
257 حادث اللطرون
259 خطة «مكتب التحريات» التأميرية
267 في أوروبا - المراسلات
277 المجلس الأعلى ومؤتمر الاستعداد
299 قصّة الندوة الثقافية
303 ماذا في البرازيل؟
311 نشاط عبر الحدود
313 في شاطئ الذهب - غانا والمارتينيك
315 في اميركانية
317 في المكسيك
329 اعتقالات السنة السادسة
330 مستندات
331 أدبيات
395 خلاصة
397 محتويات

مرويات، مستندات، وادبيات
عن الحزب السوري القومي الإجتماعي

المنهج الجديد جبران جريج

المجلد الرابع: الزعيم في البرازيل - إنشاء سورية الجديدة
أول أذار - الاعتقال فالاعتذار - النشاط الحزبي في الوطن -
نشوب الحرب والاعتقالات - مركز سري جديد

النة الحزبية السابعة

من 16 تشرين الثاني 1938
الى 16 تشرين الثاني 1939



الستة الحزبية السابقة

الزعيم عمبر الحلو - نشوب الحرب

1939 - 1938



الزعيم عند وصوله البرازيل

النشاط الحزبي والرد على الشاعر فرحات

تبدأ السنة الحزبية السابعة بوصول الزعيم الى البرازيل بعد غياب عنها دام ثماني سنوات. فقد خلالها والده الدكتور خليل سعاده. كان استقبال الجالية حافلاً، فللزعيم رصيد ضخّم ان بالنسبة لوالده أو بالنسبة لاشتراكه في تحرير الصحف والمجلة التي كان يصدرها والده أو بالنسبة للجمعيات التي أسسها أو انتمى اليها فترة وجوده في البرازيل ما بين سنة 1920 و 1930.

في الوطن

كان قد سبقه صدى تأسيسه الحزب والاضطهادات التي تعرّض لها ولكن كل هذا لم يكن لينشئ فرعاً للحزب. بدأ نشاطه بزيارات صحفية وإعلامية أهمها زيارته للمجلة السورية «الشرق» التي يملكها الصحفي موسى كريم وزيارة أخرى لجريدة برازيلية تدعى «او كوريو بولستانو» O CORREIO PAULISTANO التي سجلت له خبر الزيارة مع ملخص لأهداف الحزب. وكان ذلك في الرابع من كانون الأول 1938.



في زيارة لمجلة «الشرق».
الزعيم وصاحبها موسى كريم

هذا فيما يختص بالزعيم أما فيما يختص بالمركز فقد حدثت تغييرات مركزية على التعيينات التي كان اجراها الزعيم قبل سفره. تألف مجلس العمدة من نعمة ثابت رئيساً له وعميداً للداخلية وجبران جريج عميداً للمالية، جورج عبد المسيح عميداً للإذاعة ومأمون اياس عميداً للدفاع. كان جبران جريج قد عُيِّن أيضاً منفذاً عاماً لمنقذية بيروت تحت اسم مستعار «احسان سالم». كما انه كان قد مارس قبل تعيينه عميداً للمالية، وكيلاً لعميد الداخلية فترة قصيرة من الزمن. فلما صار عميداً للمالية اختار الرفيق منير الحسيني وكيلاً لعميد المالية وأديب قدورة خازناً عاماً كما ان العميد اياس اختار الرفيق الركن منير ملاذي وكيلاً له وبقي عميد الاذاعة دون وكيل.

في هذه الفترة جرى عمل مشترك بين المركز في الوطن والزعيم في البرازيل وذلك في الرد على الشاعر الياس فرحات الذي تحدثنا عنه سابقاً والذي كان لرأيه الناكث عن التأييد قد نشر في صحف عديدة في المغتربات، بخاصة مجلة «الشرق» واني انشر هذا الرد بحذافيره لما فيه من فائدة جليّة. طبع هذا الرد بكراس بعنوان «الجيل القومي يتكلم».

الجيل القومي يتكلم

رد عميد الاذاعة السابق على الشاعر فرحات كما نشرته وعلقت عليه مجلة «الشرق» الصادرة في سانبولو - البرازيل في الجزء الأول من عامها الحادي عشر - يناير - سنة 1939». كان الشاعر الياس حبيب فرحات بين الكثير من الناس الذين اعجبوا بنهضة الحزب السوري القومي، وبعثه القومية السورية. وقد اثبت اعجاباه بكتاب ارسله الى زعيم الحزب يؤيده فيه ويتجنّد تحت قيادته، وهذا نص الكتاب: عزيزي انطون.

(لابار - البرازيل في 11 شباط 1936)

حياك الله يا انطون وسدّد خطاك وبيّض وجهك يا مبيّض وجه الوطن ووجه اخوانك المهاجرين، لقد كان أول ظهورك كبيراً يا انطون حتى كأنك الشمس، وقد خرقت حرمة النظام الطبيعي إذ بزغت بغتة في منتصف الليل. لقد حاولت مراراً ان اكتب إليك مهناً بهذا العمل العظيم، ولكن كان يصدني جهلي كيف اكتب إليك وبأية واسطة، حتى ذهبت أخيراً إلى سان باولو وسألت أذاك ادوار عن الطريق فدلتني، وها أنا الآن أقوم بواجب تهنيتك مسروراً. لا حديث في سان باولو وفي معظم الأقطار الأميركية إلا حديثك يا اخا اهمم. واني أؤكد لك أن اخوانك كلهم وأنا يحسدونك على هذا السجن الشريف الذي ساقك إليه عملك الطيب المتلاء عظمة ومجداً. أقول انهم يحسدونك. الحسد في هذا الموضوع فضيلة. زدت رفعة، يا أخي، وبلغت ما تتمنى وما يتمنى كل غيور مخلص لسوريا والعرب ولا زلت القائد الذي ينضوي تحت لوائه الأحرار.

واعلم ان الأشهر الستة التي ستفضيها في سجنك، كما قرأت مؤخراً ان هي إلا البوتقة التي تزيد معدنك الطيب طيباً وجوهرك اللامع لمعاناً واسلم معاني لأخيك وأحد جنودك.

الامضاء: فرحات

والظاهر ان مراسلات جرت فيما بعد بين فرحات وبين خصوم النهضة القومية الذين أخذوا عليه تأييده للزعيم والتجند للنهضة. وسرعان ما أثر كلام هؤلاء الخصوم في فرحات، الذي تذكر ان الزعيم وهو بعد أحد «الأدباء الصغار»، وكان أول من تصدى لانتقاد ربايعاته واطهار انتحاله بعض اشعار الشاعر السوري الكبير أبي العلاء المعري، ووضع حداً للهرف بها الذي صدر في مقالات طنانة. فاثارت الذكرى نعمة خفية فيه، وهو يشير إلى هذه الذكرى بقوله في «رأيه في الحزب السوري القومي» الذي سيجيء ذكره «ولم تكن علاقتي بانطون ودية دائماً، بل قد كان يتخللها في كثير من الأحيان كثير من النفور». وكان من وراء إثارة حفيظة فرحات على الزعيم انه وجه رسالة الى صديقه العزيز عبد النور ستوت بيدي «رأيه» في الحزب السوري القومي، بعد ان كان ابدى آراء هذا والرأي الطريف الذي اهتدى إليه فرحات على ضوء «مناقشات» أحد اصدقائه يتلخص فيما يلي:

أولاً - ان فرحات يتنصل من ان يكون منتبياً الى الحزب السوري القومي، لا لسبب غير انه لا يجد في نفسه مؤهلات للانتظام في حزب ما. فهو «ما خلق إلا ليعيش حراً، فهجر والديه وامراته وأولاده في سبيل «الحرية».

ثانياً: يذكر فرحات علاقته بالزعيم حين كان مساعداً لأبيه في تحرير «الجريدة» في البرازيل، ويقول انه «والأدباء الكبار» عرفوه في صغره «متألهاً».

ثالثاً: ومع أن فرحات يظهر أن انطون كان «متألهاً»، يدعي انه لم يكن سوى متسقط في مجلسه «والأدباء الكبار»، وهو ما يخالف منطقياً طبيعة المتألهين. فهؤلاء حين يكون تألههم مبنياً على حقيقة اساسية، كما تبين من رسالة سعادة، كثيراً ما يسبون «للأدباء الكبار» ما سببه المسيح للكتبة والفريسيين من النفور. والرجاء من المطالع ان يراعي أن «التأله» في لغة فرحات ليس شيئاً غير ثقة صاحب الرسالة برسائله ثقة تامة.

رابعاً - يظهر فرحات اقتناعه بناء على تأويلات المتأولين وعلى إساءة فهمه ما كتب في جريدة الحزب السوري القومي بأن الحزب عدو «للعروبة» والعرب، لأن هذه الجريدة كتبت مقالات تبين عدم مشروعية محاولة ابن السعود الاشتراك في تجزئة سورية مع المجزئين بدلاً من اعلانه تأييده وحدة البلاد السورية بكل قواه، ولأنها كتبت مثل ذلك في مناورة السياسي العراقي نوري السعيد لاجتاد حل للقضية الفلسطينية بإرضاء قسم كبير من مطالب اليهود في الأرض السورية والحقا باقي فلسطين بالعراق!

خامساً- يحمل فرحات على الحزب السوري القومي لأن جريدة النهضة انتقدت السياسة الخرقاء التي سلكتها «الكتلة الوطنية» على الرغم من تحذير الحزب السوري القومي من مواضع الخطر. وهو في حملته لا يبدي أي فهم للاختلاف الأساسي الجوهري بين عقلية منظّمة تسير على مبادئ واضحة تتقيّد بها وتعمل بواسطة مؤسسات ومنشآت تكفل الحقوق المدنية لجميع القوميين لتحقيق المُثل العليا المتضمنة في مبادئها وغايتها، وبين عقلية «الكتلة الوطنية» التي هي عقلية شركة سياسية لا ترتبط بغير كلمات مطاطة «كالوطنية» المستعملة اسعمالاً مبهماً، و«حقوق الأمة» التي هي عندهم أحياناً الأمة السورية، وأحياناً «الأمة العربية»، وغير ذلك من التعابير غير المنقودة.

سادساً- يدعي فرحات أن انتقاد جريدة الحزب لفخري البارودي «تحامل» على أحد الرجال الذين يؤلفون «مجموعة الكتلة» ولكنه لا يعطي برهاناً واحداً على التحامل غير قداسة «الكتلة الوطنية» و«حرمة» رجالها المكرّمين.

سابعاً- بناء على كل هذه الأسباب، يعلن فرحات انه انخدع «والكريم ينخدع» بالحزب السوري القومي، الذي نشأ، في عرفه، لتحقيق «الوحدة السورية»، التي كان وجماعة الأدباء الذين أثرت فيهم كتابات والد الزعيم، «يحلّمون بها في ليلهم»، خالطاً في كل ذلك بين «الوحدة السورية» و«النهضة السورية القومية»، ويقول ان رسالته الى الزعيم لم تكن سوى رسالة «تنشيط وتحجيد ومديح واطراء وانها لذلك عديمة القيمة».

وقد نشر رأي فرحات هذا في صحف المهجر في صدرها مجلة الشرق في سان باولو البرازيل، وصحف أخرى علّقت عليه ولما كان الموضوع هاماً نوعاً لأنه يتعلق بالحزب السوري القومي وزعيمه من جهة، ولأنه من جهة أخرى، صادر عن أحد «الأدباء الكبار» الذين لهم «الوهية» أنانية غيورة ومنتقمة، رأيت من واجبي، وأنا أحد الذين تحملوا مسؤوليات عالية في الحزب السوري القومي، ان أردّ على «رأي» فرحات رداً لا محاباة فيه ولا خشية من نفور.

الرد

«الكريم ينخدع» قول آثره فرحات الشاعر وجعله حجته في اعلان «انخداعه» بالحزب السوري القومي. وليست أدري لماذا آثر هذا القول وأنزله منزلة الآية الكريمة المطلقة، فكأنه يريد به أن كلّ كريم ينخدع وان الكريم فقط قابل للانخداع، فيخرج اللثيم. وليس في مدلول هذا القول ما يخرج غير الكريم من هذا الحكم، فالكريم ينخدع واللثيم ينخدع، والساذج ينخدع، والمغفل ينخدع، والدعيّ ينخدع، والمتطفل ينخدع، وغير عارف حدّه ينخدع، ومعلن غير الحقيقة بقصد الخداع ينخدع. ولا ينبجو

من الخديعة سوى رجل عارف غير هارف، مطلع، فاهم خبير بما يُقدم عليه من قول أو فعل غير سريع إلى المدح، غير متسرع في القدح، لا يرسل القول اعتباطاً فيعود عليه، ولا يندم على قول قاله قبل أن يستوثق من سبب الندم، ولا يجعل من نفسه مطية لذوي الغايات النفعية والمآرب الرجعية، الخادعين المنخدعين، بصرف النظر عن كرامتهم أو لؤمهم.

لسنا هنا في مقام تعيين ما إذا كان فرحات كريماً أو غير كريم، ولكننا في مقام تحليل انخداعه. إن فرحات أرسل إلى الزعيم كتاباً يؤيده فيه ويعدّد نفسه من جنوده. وفرحات يعترف أن كتابه إلى الزعيم كان بدافع من نفسه، غير محمول عليه بدعاوة أحد، بل لمجرد ظهور حقائق ناصعة عن عمل الزعيم لما تكن قد شابتها دعاوات النفعيين والرجعيين والمأجورين المنافقين، المؤولين الحقائق الكريمة تأويلاً لثيماً. فالزعيم لم يكتب إلى فرحات يزيّن له عمله ويبيدي له محاسنه ويطلب منه تأييده، ولا أحد من جنود الزعيم أرسل إلى فرحات، قبل ورود كتابه، رسالة واحدة حشاهها من الأمور الصحيحة وغير الصحيحة ما حمل فرحات على الاندفاع في تأييد الزعيم حملاً. اذن يكون انتصار فرحات للزعيم وللحزب السوري القومي صادراً عن اقتناعه الشخصي المستقل بصحة ما وقف عليه من الحقائق قبل أن تكون قد وصلت إليه مراسلات الذين أولوا الحقائق تأويلاً مغرضاً وزيّنوا له ما زينه دمنة للشور من الأسد، حتى أصبح لا يرى في عينيه غير بريق الشراسة، وفي قعدته غير تحفز الغادر. وكان من وراء ذلك الوقعة الرمزية المشهورة. أو ما زينه الخبيث لبروتس الكريم فخدعه وحمله على التآمر على اعظم رجل انجبته روما، والغدر به. فواضح اذن أن فرحات أقدم على كتابة تأييده للزعيم وعدّد نفسه جندياً من جنوده بتأثره الشخصي من جاذبية الزعيم، «الذي انبثق وسط ليلنا المدهم انبثاق الشمس في منتصف الليل»، خارق الأنظمة الرجعية المظلمة، منيراً لنا طريق القومية الصحيحة. وليس فرحات أول من أخذته روعة هذا الحدث التاريخي العظيم، على أن فرحات هو الوحيد من بين غير اللثام الذي انخدع بتأويل المغرضين، القومية، وبدافع جهله حقيقة الصراع بين النهضة السورية القومية والقوى الرجعية.

أقول إن فرحات هو الوحيد من بين غير اللثام الذي انخدع بتأويل المغرضين، لأنني أريد أن اعتقد أن فرحات كريم أصلاً. بل أريد أن أقيم الدليل على أن انخداعه كان انخداع كريم غير خبير، فاندفاع فرحات من تلقاء نفسه في تأييد رسالة الزعيم والنهضة القومية التي ولدتها هذه الرسالة غير متأثر في ما فعل بغير سليقته وإحساسه المجرد من المؤثرات المغرضة واقتناعه الذاتي المتولد من تفكيره المستقل بناء على ما قرأه

وقوة يكون لها وزن كبير في إقرار المسائل السياسية الكبرى، هو جزء متمم لغاية الحزب السياسية».

«لقد صرّحنا ونعيد التصريح أن سورية هي احدى الأمم العربية وانها هي الأمة المؤهلة لقيادة العالم العربي، وما النهضة السورية القومية إلا البرهان القاطع على هذه الأهلية. من البديهي أن الأمة التي لا عصبية لها تكفل القيام بنهضتها هي نفسها ليست بالأمة التي ينتظر منها أن تهض بالأمم الأخرى وتقودها في مراقي الفلاح. إن القومية السورية هي الطريقة العملية الوحيدة، والشرط الأول لنهضة الأمة السورية وتمكينها من الاشتغال في القضية العربية.

«إن الذين يعتقدون أن الحزب السوري القومي يقول بتخلي سورية عن القضية العربية، لأنهم لا يفهمون الفرق بين النهضة السورية القومية والقضية العربية، قد ضلوا ضلالاً بعيداً. إننا لن نتنازل عن مركزنا في العالم العربي، ولا عن رسالتنا الى العالم العربي. ولكنا نريد قبل كل شيء أن نكون أقوياء في أنفسنا لتتمكن من تأدية رسالتنا. ويجب على سورية أن تكون قوية بنهضتها القومية لتستطيع القيام بمهمتها الكبرى». وفي خطاب أول مارس سنة 1939.

«انشاء جبهة عربية هو دعوة الحزب السوري القومي إلى أمم العالم العربي التي يهملها الأمر لتأليف جبهة على أساس المصالح المشتركة المعيّنة فيما بينهم، فلا تفرض أمة من أمم العالم العربي وجهة نظرها على أمة أخرى ويتم تأليف الجبهة بتفاهم هذه الأمم بواسطة مؤتمر تمثل فيه؛ لا بتفرد بعض الفئات في بعض هذه الأمم بتعيين «قضية عربية» من عند أنفسهم لم ينظروا من ورائها الى مصلحة سوى مصلحتهم الخاصة». ويؤيد نظرية الحزب السوري القومي في القضية العربية عدد من أكبر رجال الأقطار العربية وأهم الأحزاب السياسية في بعض هذه الأقطار كرئيس الوفد المصري النحاس باشا، خليفة سعد زغلول، الذي قال، جواباً على سؤال وجهه اليه السيد الخردجي في صدد القضية العربية:

فكرة طيبة قيّمة تلك التي تدعو الى الوحدة العربية فهي وحدة العروبة والأخوة والنبوة والجوار واللغة. ان أثرها النافع ليظهر في حسن العلاقات بين الشعوب العربية قاطبة وتنمية التعاون المالي والاقتصادي والتجاري والأدبي فيها. ويقوى بتبادل المسرات والألام والحب الأكيد بين الشعوب التي تفرس بينها هذه البذرة الصالحة.

وحبذا لو مهدت السبل، بعد نجاح هذه الفكرة من الناحية الأدبية الى تعاون سياسي، يحتفظ فيه كل شعب بمركزه السياسي حسب ظروفه ومقتضيات أحواله».

واليك رأي السيد فكري أباطة عضو البرلمان المصري والكتّاب المعروف:

«عنوان جميل وحلم أجمل يتحدث به كل عربي ويتمنى لو اغمض عينيه ووجد حلمه حقيقة ملموسة يراها حين يفتحها. ولكن أتى لنا تحقيق هذا الخيال بالكلام والدعوات الصالحات، وما أكثرها بالشرق العربي بنوع خاص، والواقع الذي لا شك فيه أن الوحدة العربية لا يمكن أن تتحقق على انقاض أمم حقيقية غير منقرضة ولا يمكن اجتماع هذه الأمم المغلوبة على أمرها اليوم، ولكن المخرج العملي الوحيد هو أن تناضل كل أمة بقوة ومثابرة لتحقيق استقلالها الصحيح متعاونة بطبيعة الحال بجهود الأمم العربية الشقيقة».

وقول حافظ عفيفي باشا سفير مصر في لندن سابقاً:

«يجب أن يعمل أولاً كل بلد بمفرده لترقية شعبه ولرفع مستواه العلمي والجسمي، وان يعمل على استغلال منابع الثروة فيه لرفع مستوى معيشة أهله، وان يصل بأنظمتها الصحية والتعليمية والإدارية والمالية والحربية إلى درجة الكمال، ومتى تم هذا في جميع البلاد العربية وهو عمل شاق يحتاج إلى مجهود متواصل لا يقل مداه عن ربع قرن على أقل تقدير، متى تم هذا أصبح من المفيد وقتئذ، بل من الضروري لهذه البلاد جميعاً، أن تتعاون سياسياً لحفظ السلام بينها ولمنع الاعتداء الخارجي عنها».

وقول الشيخ مصطفى عبد الرازق الأستاذ المعروف في الجامعة المصرية ومدير الأوقاف حالياً: «ان فكرة الوحدة العربية هي فكرة جميلة ولكنها تحتاج إلى اجتياز مراحل شتى قبل أن تستقر في شكلها النهائي؛ وعلى دعوة إلى الوحدة تنشأ عنها الدعوة إلى القوة ولكي تحقق هذه الفكرة الغرض المقصود منها يجب ان تكون الدول المشتركة فيها قد بلغت درجة النضج التام. وقبل أن تنضم أي دولة إلى هذا الاتحاد يتعين عليها أن تصمم وجودها «ولما سئل عن رأيه في موقف مصر من الوحدة العربية قال: «ان مصر لتقف وقفة المشاهد أكثر من عاملة».

وهذه الأقوال والمذاهب جميعها تتفق وتؤيد نظرية الزعيم أو نظرية (انطون) التي يعدّها السخفاء سخيفة لأن الضد يكره ضده، ومع ذلك هؤلاء السخفاء الذين حاولوا حقن دماغ الشاعر فرحات بالسخافة، لا يجسرون على محاربة هؤلاء الاقطاب السياسيين لأنه لا يهيمهم غير محاربة سعادته الذي جاء يهدد تزعمهم الباطل. ومما لا ريب فيه أن نظرية الزعيم؛ أو (الزعيم)، هي النظرية العملية الوحيدة لجمع كلمة الأقطار العربية المتقاربة واننا نرى تطبيق هذه النظرية تطبيقاً جزئياً بين العراق وبلاد العرب. فإن الملكين ابن السعود وغازي عقدا معاهدتين لتسوية الحدود بينهما وللتعاون، ولم يقم شعباهما بخلعها وانتخاب جمعية تأسيسية من الجانبين، تجعلها شعباً واحداً ودولة واحدة وحقوقاً واحدة ومجتمعاً واحداً واننا نقول ان شيئاً من ذلك ثابتاً غير قابل الحدوث نظراً

للعوامل الجوهريّة المتنافرة بين المجتمعين العربي والعراقي كما بيّنه (انطون) في الكتاب الأول من مؤلفه «نشوء الأمم».

ومن غريب أمر فرحات، في دعوته على كلامه، انه ينقض قوله هو نفسه. فهو في رسالته المشهورة الى «انطون» يقول: «زدت رفعة، يا أخي، وبلغت ما تتمنى وما يتمنى كل غيور مخلص لسورية والعرب ولا زلت القائد الى آخره» فلماذا استعمل فرحات «سورية والعرب» ولم يقل العرب فقط، كما يريد أن يقول الآن بعد أن لعبت برأسه دعاوات الذين أرادوا أن يربحوا عداوته للحزب السوري القومي.

إن أعظم حقيقة تدفعنا الى «تأليه الزعيم» هي حقيقة انه جاء يعبر عن أماني الملايين منّا تعبيراً صادقاً لم تتجمع في غيره قط تجمعها فيه. وفرحات لم يقل عبارة واحدة أصدق في اعطاء الزعيم حقه من عبارته: «لأنه عبر عن امانينا»، لأنه لو لم يكن الزعيم قد عبر عن امانينا فما كان تكون قيمة رسالته لنا؟ ولو لم يكن يبتهوفن قد عبر عن أماني الملايين من الناس ورغباتهم ومثلهم العليا، فماذا كانت تكون قيمة موسيقى هذا الموسيقي الذي رفعه الذين عبر عن امانيتهم الى مرتبة اله وسمّوا موسيقاه «الموسيقى الالهية» أو «السماوية».

انه ليس قدحاً في «انطون ولا جرحاً له انه عبر عن «امانينا» بل هو اعطاؤه هذه الصفة السامية التي رافقت الانبياء والرسل وابناء الالهة الذين جلبت رسائلهم تعبيراً صادقاً عن أماني ملايين البشر واشواقهم، من لم يكونوا هم قادرين على إظهار هذا التعبير. يثبت ذلك قول فرحات نفسه: «زدت رفعة وبلغت ما تتمنى لسورية والعرب» فإن فرحات قد شعر بتعبير الزعيم الصادق عن امانيه لسورية والعرب تعبيراً يجعله يندفع من تلقاء نفسه في تأييد هذا التعبير الواضح. وعبارة فرحات تظهر انه فهم رسالة الزعيم فهما واضحا، فالزعيم لا يخلط بين العائلة وأصلها ونسبها وفرحات يجد هذا التعبير صادقاً ويقول هو نفسه «سورية والعرب» فلماذا لا يقول فرحات في تحامله على «انطون»: «أنا كنت مخطئاً ولقد خدعتني أمانيّ فطلقتها وأصبحت الآن أريد أن اعتنق أماني الذين يزيّنون لي ان أمانيّ في سورية والعرب ليست أمانيّ الصحيحة وان أماني غيري، من الذين يريدون الغاء سورية ليقع قسم منها في حوزة بلاد العرب وقسم اخر في حوزة العراق بينما أجزاء أخرى تذهب الى الأتراك وغيرهم، وهي أمانيّ أو ما يجب أن يكون أمانيّ الحقيقة».

أمّا أخذ فرحات على جريدة «النهضة»، التي هي لسان حال الحزب السوري القومي، دفاعها عن وحدة سورية فيكون من باب الهذر أو الاختلاط إلا إذا حذف لفظة سورية من رسالته واعترف بانها ليست قطراً عربياً كاملاً في ذاته لا يجوز تجزئته لا

من قبل الأفرنج ولا من قبل العرب؛ وبأن سورية هي الأمة الوحيدة من بين أمم العالم العربي التي لا يجوز ان يكون لها حدود معروفة، وبأنه يجب على جميع العاملين «للوحدة السورية» التي يقول أنه كان في عداد الذين كانوا يتحدثون بها، ان يتركوا مسألة الوحدة السورية بسورية ليس لها وحدة يترتب على الأفرنج «والاقطار الشقيقة» معاً احترامها، إذبدون التخلي عن كيان الوحدة السورية الكامل لا يمكن التساهل بملكية الأراضي السورية وحدودها، كما أنه بدون التخلي عن كيان الوحدة العراقية لا يجوز ترك الحدود بين العراق وبلاد العرب بدون تحديد يعين الملكية والتابعة.

يريد فرحات الشاعر، لا الحقوقي ولا السياسي ولا الاجتماعي، ان يستخرج من غضبة جريدة الحزب السوري القومي لمطالبة ابن السعود بالعقبة السورية، ان الحزب عدو العروبة، وانه هو المخطيء لا ابن السعود، واني أقول أن هذه القضية، التي كبر جوهرها فعلاً على عقل فرحات، هي محك لسفسطة «العروبيين» الذين لا تعرف لهم قضية واضحة فإذا كان ابن السعود يريد من مطالبة بريطانيا بسلخ العقبة عن جسم سوريا أو عن دولة الأمير عبد الله في شرقي الأردن والحقها ببلاد العرب خدمة سورية لا توسيع ملكه، فإن هذه الخدمة أو هذه المعونة للشعب السوري «الشقيق»، كان يجب أن تكون باعلان ابن السعود استعداده لتأييد بقاء العقبة ملكاً لسورية، وتأييد مطالب السوريين الاستقلالية تأييداً معنوياً وفعالياً وإذا كان ابن السعود قد بلغ «بجحافله» حد مطالبة بريطانيا أو تهديدها، فكم كان الأولى به أن يطالب تركيا أو يهددها من أجل تعديها على أراضي سورية «الشقيقة العربية»؟

إن الحزب السوري القومي يرحب كثيراً بتأييد الاقطار العربية الشقيقة لجهاد سورية في سبيل استقلالها ووحدة قطرها التامة، ويرى أن هذه هي الطريق الوحيدة للتعبير عن تضامن الاقطار العربية. أما رمي ابن السعود الى الاستيلاء على أرض سورية، ومحاولة بعض السياسيين العراقيين التدخل - من غير تفويض من البلاد - لحل مسألة فلسطين بحيث تنشأ فيها دولة يهودية على أساس التقسيم البريطاني، وتلحق الأرض الباقية بالعراق، فيرى الحزب السوري القومي فيها تفكيكاً «للوحدة السورية» التي كان فرحات في عداد الذين يتحدثون عنها، والقضاء على كل أمل بتحقيق هذه الوحدة وبنهضة الشعب السوري نهضة مفلحة، اللهم إلا إذا كان ما يعنيه فرحات و«الأدباء الكبار» بالوحدة السورية مجرد لفظة شعرية لا تدل على قطر معين وشعب قائم. وحينئذ يكون هو وهؤلاء «الأدباء الكبار» في واد والأمة السورية وحقوقها في أرضها في واد. وحينئذ لا تبقى من حاجة للوحدة السورية أو للاحتجاج على ابن السعود أو على الدولة التركية، إذ تكون الوحدة السورية «الشعرية» دائماً قائمة - سواء

أكانت حدود سوريا من طوروس الى السويس والعقبة، أو من حلب حتى حدود اللاذقية ولبنان، أو من دمشق حتى القدس بعد أن تكون حلب والجزيرة تبعت «هاتاي». وهنا أريد أن أسأل فرحات إذا كان هناك سوريا فما هي؟ هل هي لفظة أو اسم أو خرافة أو بلاد أو أمة؟ فإذا كانت بلاد أو أمة ليصح طلب توحيدها، فما هو شكل البلاد وما هي مساحتها؟ وإذا كانت البلاد لها شكل ومساحة وكانت:

موطني يمتد من بحر المياه مهنأ شرقاً بحر الرمال
بين طوروس وبين التيه تاه بجمال فائق حدّ الجمال

«فرحات»

فما هي جريمة الحزب السوري القومي الذي يقدر هذه الأرض وحدودها
ويطلب من الافرنج والعرب معاً احترامها؟

أو ليس احترام العرب هذه الوحدة ادعى الى «تقريب القلوب» وتوثيق العلاقات
الطيبة بين «الأقطار العربية الشقيقة» من مطالبة ابن السعود بالعقبة، ونوري السعيد
بالقسم الشرقي الجنوبي من جنوب سورية؟

وكأني بفرحات حين ينعي «سورية المهشمة الاضلاع، سوريا المقطعة الأوصال»
يريد أن تقطع أوصالها بين ابن السعود وابن السعيد يعني «الوحدة السورية والوحدة
العربية» فما أبعد غور قاموس فرحات السياسي والحقوقي والاجتماعي والاقتصادي!
اعتقد أنه متى قرأ فرحات هذه المناقشة والحجج أدرك جلياً أين ينخدع الكريم
وأين ينخدع غير الكريم، ويتضح له الفرق العظيم بين الخديعة والانخداع.

يقول فرحات ان «انطون» قد تشرب روح الوطنية من «معظم الاجتماعات» التي
كان يعقدها فرحات ورفاقه. والمعروف أنه حين كان «انطون» في البرازيل كان ينزل مع
أبيه العلامة الوطني الكبير الدكتور خليل سعادة في سان باولو، وكان فرحات في
أقاصي الجنوب على بعد مئات الأميال عن سان باولو، وان فرحات كان أحياناً يزور
سان باولو ويقصد مجلس الدكتور سعادة، وفرحات نفسه يسمي الدكتور سعادة «ابا
الاحرار». فإذا كان انطون سعادة هو ابن أبي الاحرار ومساعدته في تحرير «الجريدة»
و«المجلة» فهل يعقل أن يكون في حاجة ماسة الى أخذ شيء عن فرحات والأدباء لم
يتمكن من أخذه عن أبيه؟ وهل يعقل أنه، وهو الذي برهن بالأعمال الكبيرة عن
إطلاع واسع وعلم أوسع وفلسفة سامية، يحتاج الى الاقتباس من سفسطة الذين يرون
الحرية في «هجر الأبوين» و«هجر العيلة، والامراة والأولاد»، وحرمانهم من حب
الزوج والأب وعنايته، وتطبيق كل واجب عائلي أو اجتماعي أو قومي، أو إلى الأخذ

عن الذين يَعْدُونَ «الحب العذري»، العقيم من كل وجه؛ اللهم الا من الحرقه والغصه والبكاء، «جهاداً» فيزيلون عن الجهاد كل معنى من معاني العراك والاقترحام في سبيل النصر، وينزلونه هذه المنزلة الزرية من هجر الأبوين والعيلة وعدم الارتباط بحزب من الأحزاب ويقيمون انفلات الفرد الشارد من جميع الواجبات الاجتماعية والقومية مقام حرية الأمة واستقلال الوطن!

ان جميع هذه الأسباب تحملني على الاعتقاد ان ادعاء فرحات اقتباس الزعيم عنه وعن أمثاله من (الأدباء الكبار) ليس سوى افتراء يجعل فرحات في عداد الحاملين على الحزب السوري القومي حملة سلاحها الاختلاق والافك. وفرحات نفسه يستطيع أن يتخذ من افترائه هو نفسه مقياساً لبطلان ما حشي به دماغه من الاشاعات المغرضة عن الحزب السوري القومي وأهدافه، وإذا أراد فرحات دليلاً آخر غير ما ذكرت فهو يجده في المكان الذي يفصح فيه نفسه بنفسه حين يقول: (لم يكن انطون محبوباً منا نحن (الأدباء الكبار) بل كثيراً ما كنا نستثقل ظله، غير أن احترامنا لأبيه كان يجبرنا على احتماله واحتمال غروره)، وقوله في مكان آخر من (رأيه) فقد عرفنا (الزعيم) في (صغره متأهلاً) فليتأمل القارئ في استعمال لفظه (غرور) ولفظة (تأله) وهذا لاعتراف بتفوق الزعيم، على صغر سنه، تفوقاً فيه يبالغ فرحات العارف بالمبالغات حتى يجعله (غروراً وتأهلاً) يفصح فرحات في اختلاقه وادعائه تعلم الزعيم عليه وأمثاله.

يقول فرحات قبيل ختام رأيه في الحزب السوري القومي:

«كان على انطون ان يعلم اني أبعد الناس عن الجنديّة» وهذا القول كان يجب أن يوجهه الى نفسه لا إلى الزعيم. فالزعيم لم يكتب الى فرحات في وجوب التجند أو في غيره. وكتاب فرحات الى الزعيم يدل على أن فرحات قد عرض تجنده على الزعيم عرضاً وتطوعاً من غير دعوة وجهت إليه. فإذا كان هناك لوم فهو على نفسه، وإذا كان هنالك جهل من أحد فالجهل صادر من فرحات وعائد إليه. فقد كان على فرحات، لا على الزعيم، ان يعلم انه ليس أهلاً للجنديّة، فلا يعرض على زعيم النهضة السورية القومية جنديته الزائفة التي كان يليق به أن يعرضها في موقف تهريج على مسرح الهزل، لا في ساحة الجهاد القومي، وسط معركة حامية الوطيس، يتقدم فيها القوميون للتضحية في سبيل انتصار نهضتهم، في موقف حاسم كله جد واتجاه نحو الفكرة السامية التي عبّر بها (انطون) عن أمانينا واسمى ما تتطلع إليه نفوسنا واستحق من اجلها (تأليهنّا) نحن الذين اعتنقنا دين القومية الجديدة الذي صيرنا أمة حية بعد أن كنا شيئاً دينية متنازلة وأصبحنا نعرف قداسة التأليه القومي كما عرفنا قداسة التأليه السماوي.

لم يفرض علينا تأليه ولم يحدث اجتماع واحد للقوميين تحدثوا فيه عن «التأليه» ولكن قلوب القوميين نطقت بما شعرت وأيقنت، وليس ما نطقت به طقوس عبادة أو مراسيم خدمة، وإنما هو إيمان حقيقي ساعده ورسالته القومية. وهذا هو الإيمان الذي يجعل الآن منا أمة حية بين الأمم. فليؤمن من يشاء وليكفر من يشاء، وليكن روحياً من له روحية وليكن مادياً من له مادية عملية. فالطريق قد شُقت، والجنود قد أخذوا يسرون صفوفاً بديعة النظام مطيعين طاعة مبصرة فاهمة، لا طاعة عمياء مشلولة عقيمة.

ان هنالك فرقاً عظيماً بين (تأليهنا) سعادته وبين الادعاء ان سعادته مثاله فنحن لم نعرف سعادته سوى شخص رقيق الجانب قريب الى الكبير والصغير مقدر الأشخاص والأمر، رصين غير مغتبط، بعيد النظر واسع الاطلاع. «أما التأله» الأثاني القتال فظاهر في فرحات نفسه الذي يميز له غروره ادعاء انه ليس بين الوف القوميين ومثات المثقفين منهم ثقافة لم يبلغ فرحات عشر معشارها فرد واحد مثله فهو يقول في «رأيه»: فويل لانظون وويل لحزبه إذا كنت من جنوده أو إذا كان من جنوده من يشبهني».

الويل ثم الويل لجميع المغرورين (التألهين) الغارقين في أنانياتهم الصغيرة.

إن (تأليهنا) سعادته ليس شأناً من شؤون المنطق العقلي المادي بل من شؤون المنطق الروحي الذي يدفعنا إلى محبة هذا الشخص، الذي أوجد قضيتنا القومية ووقف نفسه عليها متحملاً كل ألم وكل نتيجة وكل مسؤولية في سبيل التعبير عن (أمانينا) وقام يقودنا نحو مطالب عليا جديدة بها وحدها أصبحتنا أمة حية بالمعنى الصحيح. محبة تقرب من «التأليه».

ولا يقتصر هذا «التأليه» على أعضاء الحزب السوري القومي، بل تناول كل الذين شاهدوا وأمنوا إيمان القوميين. ففي زيارة الزعيم الرسمية بمنطقة الشوف في أوائل سنة 1937، جاء للسلام عليه عدد كبير من شيوخ الدروز في منطقة عماطور، وكان في مقدمته شيخ جليل قرّبه الزعيم من مجلسه، قال: «أيها الزعيم، ان الاعمال التي تمّت على يد نهضتك رفعت منزلتك عندنا عن منزلة زعيم سياسي. ان ما تمّ على يدك لم يكن أعظم منه ما تم على أيدي الرسل والأنبياء، واعلم يا حضرة الزعيم انه ليس في هذه المنطقة إلا من يخفق قلبه بحبك ويؤيدك. اننا كلنا نطلب أن يوفقك الله ويجعل النصر حليفك».

نصوح الخطيب

عميد الإذاعة السابق

فلتحي سورية وليحي سعادته

بيروت في 1 ديسمبر 1938

(وقد تبنت عمدة الإذاعة هذا المقال وعدّته معبراً عن رأي الحزب الرسمي)

عبر الحدود : البرازيل ، المكسيك

في البرازيل - أول مفوض

لم يكن استيعاب الاقبال على الحزب كما كان يجب. بل كانت الافكار مبلبلة وأكبر شاهد على ذلك تراجع الشاعر فرحات الذي كشف وجود أصحاب نوايا سيئة تجاه الحزب وزعيمه. لكن هذا لم يمنع الزعيم ان ينشئ فرعا للحزب في سانبولو منحه صفة عامة شاملة بلاد البرازيل كلها. سمي مفوضية البرازيل.

أصبح للحزب أعضاء في سانبولو وفي سنتس وفي اراخا وفي ريودي جنيرو العاصمة. من هؤلاء الاعضاء في سانبولو: الدكتور وديع الصفدي الذي أصبح رئيس اللجنة المفوضة المركزية وشقيقه جميل، رشيد شكور، نديم شحفة، توما توما، أديب بندقي، جميل عبد المسيح، وديع عبد المسيح، ادوار سعادة، جورج بندقي، فؤاد بندقي، توفيق بندقي، الياس بخازي. أما في سنتس: يوسف عبدوش الذي كان محرراً أساسياً ثم عبدو عبد الحق، رفيق فرح، سليم عبود، وفي اراخا كان لنا عضوان الأديب ابراهيم حبيب طنوس وويليم بحليس، وفي الريو كان لوجود الرفيق جوج ددة الأثر الفعال فقد بدأ فرعه يتجه الى تكوين مديرية فاعلة كما ان الزعيم اهتم اهتماماً



الزعيم عند وصوله إلى سنتس

خاصاً بفرع سنتس فقد زارها بنفسه ثم أوفد الرفيق أسد الأشقر مرة أخرى وكذلك الأمين خالد أديب .

المكسيك

حضرة الرفيق الأمين عساف أبو مراد المحترم

تحية سورية قومية

كان الناموس الأول قد حضر اليكم بخبركم عن عزمنا على زيارة المكسيك ولما كنتم قد طلبتم منه إرسال الأسماء مع عمر كل انسان لتقوموا بالمعاملات القانونية اللازمة فإنني مرسل اليكم ذلك في هذه الرسالة آملاً أن تتموا ذلك في أسرع ما يمكن وإذا وجدتم صعوبة في اتمام المعاملات الثلاثة معاً أقموا معاملات الناموس الثاني أولاً ليتمكن من القدوم بسرعة إليكم .

أحب أن أذكركم وأذكر جميع السوريين القوميين في المكسيك أن النهضة القومية الفتية هي الدليل على يقظة الأمة السورية يقظة مقرونة بالحياة العملية التي لا تقف عند حد المجادلات المنطقية في المجالس والخطب الرنانة من على المنابر بل تتناول حياتنا بكاملها فتنظمها طبقاً لمصلحتنا في الحياة والارتقاء وانني أود بهذه الحالة العالمية المضطربة أن أذكركم أن الأمم التي تعيش في فوضى الآراء المتضاربة متعامية عن الأمر والأسباب الواقعية العملية أمم لن يكون لها مكان تحت الشمس إلا مكان مغنى القصائد أيام الحصاد .

إننا كقوميين أدركنا حقيقة الحياة العملية نقف في معترك الحياة معلنين عن إرادتنا ومؤيدين تلك الإرادة بجميع أنواع القوة حتى تتمكن من تثبيتها .

إنني أفهم أن هناك دعاوات ضد النهضة القومية ولكنها دعاوات لن تثبت أمام شمس حقيقتنا، لأنها إما تعتمد على جهل طبيعة الحياة أو مأجورة تعتمد على انعامات المستأجرين . وختاماً أقول لكم كقوميين علينا أن نقف إلى جانب زعيمنا المفسدى كجباة نظاميين ندرك المغزى البعيد لمعنى الكلمات: حرية، واجب، نظام، قوة . وثبتت كلمات صاحب الزعامة في سجل الوجود بقوتنا فنكون حقاً أبناء الحياة الحرة .

إلى اللقاء القريب ولتحية سورية وليحي سعادته .

الناموس الثاني

(التوقيع)

خالد أديب

الحزب السوري القومي مكتب الزعيم

الى الرفيق عساف أبو مراد

حضرة الرفيق العزيز،

تحية سورية قومية.

جواباً على كتابكم بتاريخ 25 يونيو 1938 ان «مكتب الزعيم» ملاحظات يديها لكم: انكم تدركون ان الحزب السوري القومي جاء ليخلق أمة جديدة من الأمة السورية المفككة والمتلاشية، ولينشئ دولة قوية على انقاض دولة ضعيفة خائرة، ولكن هذا الخلق والانشاء لا يتم إلا ضمن دائرة شعائر الحزب وهي: حرية واجب نظام قوة. والأمة الجديدة أي الحزب السوري القومي. لها تقاليد جديدة يجب التقيد بها بدقة وإلا أهملنا الواجب والنظام. فحضرة الزعيم الجليل هو رئيس هذه الدولة الجديدة، وباعثها من العدم، والقائد الأعلى لقواتها، وان اللهجة التي تخاطبون بها رئيس الدولة وقائد قواتها لا تنطبق على التقاليد القومية. فهل يحق للجندي ان يقف بحضرة قائد وزعيمه ورئيس دولته أن يخاطبه بهذه اللهجة الأمرة، الحادة وان دلت على الطاعة والتضحية؟!!

كلنا طلاب في المدرسة القومية التي أنشأها الزعيم العظيم، وعلينا ان نتلمذ على هذه المؤسسة الجديدة من نوعها عندنا. لقد كنت أقرأ في جرائد نيويورك أخبار اشتراك منفذية المكسيك في أعمال وتبرعات خارجة عن نطاق الحزب.

فنظام الحزب هو عسكري يجب التقيد به بدقة، وأهداف الحزب لا تتفق مع الأعمال الاقليمية والجزئية التي تضعف مركز الحزب المادي والمعنوي ولا تأتي بفائدة. ففوة القوميين المعنوية والمادية يجب أن تتمركز في الحزب ليتم تكتل القوات والقوى اللازمة للعمل العظيم الذي يهيئه الحزب السوري القومي.

قريباً يلقي حضرة الزعيم الجليل محاضراته الأولى وسنوافيكم بالأخبار بوقتها. إذا كان في منطقتكم جرائد تكتب عن الحزب يجب إرسالها إلى هنا ليظل «مكتب الزعيم» واقفاً على كل ما يجري. يطلب مكتب الزعيم تقريراً عاماً من منفذية المكسيك يبين فيه كل ما يختص بأعمال المنفذية وخصوصاً نفسية الأعضاء وعددهم. عندما تقرؤون مقالاً يختص أو له علاقة بالقضية السورية القومية يحسن قص المقال وإرساله إلى «مكتب

الزعيم» وعلى منغذيات المهاجر ان تتصل الآن «بمكتب الزعيم» لتمرکز المهاجر في نقطة واحدة وهذه النقطة تخابر الوطن لأن الملاحظات والمراقبة قوية على القوميين الآن في سورية. ولتحي سورية وليحي الزعيم

أسد الأشقر

في 27 ديسمبر 1938

حاشية: اطلعت الآن على كتابكم تاريخ 4 أغسطس الماضي فوجدت اسلوبه ولهجته ينطبقان على التقاليد القومية الجديدة.

* * *

العرض المغربي

في هذه الأثناء وصل الى الحزب عرض مغر. منحة سلاح يقوي به الحزب نفسه استعداداً للطوارئ. «الم يعقد الحزب في اخر فترة الصيف مؤتمراً إدارياً عاماً لجميع فروعهم في الوطن الطبيعي سماه «مؤتمر الاستعداد»؟ وذلك نسبة لاقبال العالم على حرب ضروس يعلم الله كيف سيكون منتهائها. مكان التسليم عرض المتوسط أو احدى جزر المتوسط الشمالي الشرقي، رودوس مثلاً. لا شروط، التسليم بلا قيد أو شرط. هبة سياسية لوجه الصداقة الحميمة. ما علينا إلا تأمين ايصالها الى اليابسة على نفقتنا ومسؤوليتنا.

لا شك، ان العرض يغري ونحن في أمس الحاجة الى السلاح فالجو الداخلي ينذر بالويل والثبور وعظائم الأمور والجو الخارجي لا يقل خطورة عنه. هذا إذا لم يكن أخطر بالنسبة للمصير القومي بعد انتهاء الحرب.

صحيح ان المجلس الأعلى كان يملك صلاحيات الزعيم وكان قد ثبتها الزعيم بمرسوم ارسل به من قبرص ولذلك كان بإمكانه البت بهذا الشأن كسواه من الشؤون. مع علمه الأكيد برفض الزعيم كل مساعدة خارجية وبخاصة من دولتي المحور الذي كان يرى أن المصلحة القومية العليا تتعارض مع أهدافه، لكنه مع ذلك فضل الاتصال بالزعيم في مغتربه، في البرازيل مع تقديم خطة عمل في حال العودة الى القبول، خطة عمل ثوري بكل معنى الكلمة.

بعث المجلس الأعلى برسالة مفصلة وتأكد من وصولها للزعيم ولكن الجواب ما كان ليورد. مضى أول شهر ثم الثاني وإذ بالثالث يأتي بخبر اعتقال الزعيم في سانبولو. كان المجلس الاعلى قد صرف النظر عن الموضوع، على كل حال وكان عدم جواب الزعيم أبلغ جواب.

أول آذار في الوطن - سورية الجديدة

لم يحتفل الحزب بمناسبة الأول من آذار كالعادة فوضعه الشبه السري كان يمنع ذلك ولكن مع هذا كله اشعلت النيران على قمة صنين وقام، منفذ عام بيروت «أحسان سالم» بطبع كراس اذاعي يسجل فيه هذه المناسبة السعيدة.

في بيروت

بعد موافقة عميد الاذاعة على فكرة طبع الكراس ذهب الرفيق احسان سالم الى الشويقات حيث اختلى الى نفسه مدة يومين في منزل الرفيق محمد أمين أبو حسن منفذ عام الساحل الجنوبي واخرج كراسا من عشرة صفحات يتضمن ملخصاً لسيرة الزعيم ولسيرة الحزب خلال هذه السنوات الثلاث بعد انكشافه مع بعض التعرض للمنظمات الطائفية وطروحاتها. كانت الغاية من توزيع هذا الكراس إثبات وجود الحزب من جهة ومن جهة أخرى عدم مرور المناسبة دون لفت النظر إليها خصوصاً بعد الدعايات المفرضة التي تعرض لها الحزب بعد سفر الزعيم. طبع من هذا الكراس خمسة آلاف نسخة تم توزيعها بطريقة محكمة جدا.

كانت خطة التوزيع تتطلب أولاً السرية التامة ولتأمين هذه الناحية كانت النسخ جاهزة قبل حلول آذار بأسبوع. تشكلت في كل مديرية زمرة أو زمرتان تسلمت المديرية حصتها من الكمية قبل الموعد المعين بثلاثة أيام وسلمتها الى الزم قبل يوم واحد مع تبليغها عن موعد التوزيع في الساعة العاشرة من ليل 28 شباط - أول آذار. أما كيفية التوزيع فقد كان يوضع الكراس في المحلات التجارية من تحت الباب واما في البيوت فبالدق على أبوابها وتسليمها لمن يُقبل على فتحها. وزعت الكمية كلها حسب الخطة المرسومة ولم تنتبه السلطة لتوزيع الكراس إلا بعد الانتهاء من توزيعه

وهكذا لم تستطع القبض على أحد البتة. حدا هذا النجاح بالسلطة لوضع جائزة قدرها الف ليرة لبنانية لمن يهديها الى منفذ عام بيروت «احسان سالم». واكتفت بتفتيش بيت جورج عبد المسيح.

عضو واحد خالف التعليمات هو الرفيق شكيب أبو مصلح. جرى ذلك وهو في مكان عمل الرفيق فهد حريق الذي كان يتداول مع الرفيق شحادة رزق الله - أحد أعضاء احدى الزمر- عن مكتب التحريات ورئيسه القاضي فرنان ارسانيوس وعن التصرفات الشاذة التي كان يتصف بها هذا المكتب ورئيسه وفرسانه الثلاثة: نصر الله وخير الله وجرمانوس فدبت الحمية في أوصال الرفيق أبي مصلح فقرر ان يتحدثى القاضي ارسانيوس بنسخة من الكراس عيادية بمناسبة الاحتفاء بأول آذار.

اصطحب معه الرفيق رزق الله الذي يعرف منزله وما ان وصل اليه حتى التبس عليه المنزل لوجوده بين عدة منازل أخرى فاستدلا اليه بواسطة احدهم التقياه هناك ورافقهما اليه. صعد الرفيق أبو مصلح الدرج ورنّ الجرس فانفتح الباب فإذا به وجها لوجه مع احدهم يسأله ماذا يريد. في هذه اللحظة لمح القاضي ارسانيوس جالساً على احدى الارائك يتبادل الحديث مع أحد الساهرين فاجاب السائل وهو يدخل القاعة «أريد ان أقدم هذه الهدية الى حضرة الأستاذ ارسانيوس بمناسبة عيد أول آذار عيد مولد زعيم الحزب السوري القومي الاجتماعي» وسلّمه الكراس يداً بيد.

ولكن ما كاد ان يفعل ويستفيق رئيس مكتب التحريات من ذهوله لهذه الجراءة المتناهية التي خرقت جميع حواجز الأمن المضروبة حول سلامته حتى كان الرفيق أبو مصلح ينسحب معتزلاً بعد اداء مهمته، لكن لم يكن سريعاً كفاية لأن يد أحد الفرسان الثلاثة حسين نصر الله الذي كان واقفاً ازاء الباب تمتدّ صوبه وتقبض عليه وتسوقه مخفوراً الى النظارة حيث نال نصيبه من الاكرام والاحترام!!

احيل الى التحقيق فكانت افادته ذكية. تلخصت بانه ذهب الى بيت القاضي ارسانيوس ليقدّم نسخة من الكراس الى زوجته التي قيل له انها صديقة الحزب. حاول المحقق عبثاً انتزاع اعتراف آخر غير هذا فلم يفلح وأخيراً أحيل الى القضاء بتهمة توزيع بيان لحزب منحل، ولم تبرز الافادة عن صديقة الحزب، كان المدعي العام القاضي عادل حمدان وكان محامي الدفاع الأمين عبد الله قبرصي وصدر الحكم بحبسه مدة شهر قضاه بالكمال والتمام.

هذا من جهة المحكمة اما من الجهة الحزبية فقد استدعاه المنفذ العام لمحاسبته

على هذه المخالفة المتحدية وقرر تهنته على التحدي مع فصله لمدة شهر لارتكابه مخالفة نظامية، انتهت مدة الشهر مع انتهاء مدة محكوميته.

واستغل منفذ عام بيروت احسان سالم مناسبة زيارة ولي عهد إيران رضی شاهیور الى لبنان وهو قادم من مصر بعد زواجه بالأميرة فوزية واحتشاد الجماهير للتفرج على موكبها في بيروت فأمر بتوزيع كمية من البيانات كان قد احتفظ بها وارفقها بقصاصات من الورق مكتوب عليها العبارات التالية: «الحزب السوري القومي يمثل الحياة. في أول مارس 1904 ولد سعاده. القوميون يمارسون حقوقهم المدنية والسياسية. اذكروا فلسطين والاسكندرون». كان استغلال هذه المناسبة مفيداً للغاية لانه اتيح لعدد كبير من الناس ان يعلموا بوجود الحزب.

فتى الربيع

وكتب الرفيق الشاعر محمد يوسف حمود مقالاً جبراني الاسلوب نشره في عدد جريدة «الشمس» الأسبوعية لصاحبها أسبر الغريب في عدد شهر آذار وذلك تحت عنوان «فتى الربيع» وقد أعيد نشره في مجلة الجمهور سنة 1942 وسيأتي ذكرهما في حينه.



الرفيق محمد يوسف حمود

«اليوم يقف فتى الربيع منادياً سكان الأحداث ليهبوا ويسيروا مع الأيام.. وإذا ما أنشد الربيع أغنيته بعث مصروع الشتاء وخلع اكفانه ومشى..» (جبران خليل جبران).
اليوم تمتد يد الله من عل، وتزيح عن الدنيا لحافاً تدرت به سحابة الشتاء فتنتفض الأرض وتكشط عن أطرافها الوحول، وتستحمّ بشعاع الشمس الطالعة، وتتنشف بالربيع...»

لا يزال الورق في البراعم، والزهر في الاكمام، والندى يتدحرج على الأغصان
العارية حيران.. .

هوذا آذار الهدار، شهر الريح والإعصار! هوذا مارس الجبار، يتقدم.. . على كفه
زوبعة وفي عينيه ربيع!

الليل حالك العتمة، والغيوم مدلهمة!

سارت الأرض واهتزّت البحار. جُنّت العواصف وعربدت الأنواء. قصف
الرعد صم الأذان، وقدح البرق يخطف الأبصار.. . اشتدت الزوبعة فانفجرت
وانقطعت حول بيت خليل.. . وإذا صوت من الغاب يقول انا مارس اعدوا طريقاً
لابني!

هدأت الزوبعة، وماتت الأعاصير وحملت الرياح لحافها الأسود وهربت.. .
انبليج الفجر واستفاق النهار، فضحكت الشمس واستيقظ الريح. تفتحت
البراعم عن أخضر وانشقت الاكمام عن ألوان.. . فتراقصت حبات الندى على الأوراق.. .
وأطل مارس الجبار من الغاب يقول اعدوا طريقاً لابني! وتعال من البيت
صبيحات الأم تبتعتها زغردات عيد.

وسمع خليل الأصوات من بعيد فانحدر من الأعالي الى بيته.

انه يختصر الروابي ويطوي الكروم.. . وإذا صوت في أذنيه يقول: أنا نبشرك
بغلام يا خليل، ليكن اسمه فتى الريح، سعادة، لأمه وأبيه وأمه التي تؤويه ووطنه
الذي هو فيه!

الحقول في عرس، والأرض في عيد ميلاد فتى الريح، ابن مارس الجبار!
تحركت مواكب الحياة، ملونة الأطراف، مزركشة الحواشي، وتطايرت العصافير،
تحوم وتغرد فوق بيت الوليد.. .

وبعث الريح حيا بعد ربح من الموت الطويل
والدولاب يدور.. . فيظل أول مارس بغرته.. .

ولكن،

أين الريح للعب، فتى الريح الحي، والعصافير الغردة!
الربيع؟ غداً تنبت الزهور على القبور!

فتي الربيع، تغني له العصفير، وفي قلبه زوبعة ميلاده! والعصافير؟ أين
العصافير؟

انها رهينة الأقفاص!
وبكرة، تحطم الأقفاص وتنطلق الطيور نسوراً الى الشمس، ويفيق النائمون،
ليفتحوا عيونهم على جديد.. على حلاوات يقظة الربيع.. على دنيا كلها جمال..
وسعادة!

في منفذية دمشق

كما في بيروت كذلك في دمشق، احتفل السوريون القوميون الاجتماعيون بالأول
من آذار فالحركة السورية القومية الاجتماعية سائرة الى الأمام رضي الكتليوني أم أبوا
وبالرغم من جميع الوشائيات الدنيئة التي أذاعوها ضد الحزب وضد زعيمه المفدى.
احتفل القوميون الاجتماعيون بمظاهرة رائعة إن دلت على شيء فعلى قوتهم وصلابة
عقيدتهم.

كان المهرجان جميلاً. صفوف متراسة يتقدمها علم الزوبعة الحمراء. نظام بديع
هتاف واحد بحياة سورية وحياة سعادة. سارت هذه الصفوف في مساء أول مارس
مجتازة شوارع المدينة، مواكب بديعة، تطلق الأسهم النارية متوجهة بقلوبها نحو الزعيم
الذي يعمل بلا كلل ولا ملل ما وراء البحار.

غاضب اتباع الحكومة هذه المواكب فألقوا القبض على بعضهم ولكن موقف رفقائهم
الحازم أجبر الحكومة على إخلاء سبيلهم في اليوم التالي. فقد دخل السوريون القوميون
الاجتماعيون سراي الحكومة حتى غصت بجموعهم ثم دوت هتافاتهم بحياة سورية
وسعادة دوي الرعود فهرب الوزراء وكلف رئيس الوزارة رئيس ديوانه مقابلتهم والعمل
على تليين الموقف.

أول اذار في سانبولو

قالت سورية الجديدة في عددها الأول تاريخ 11 آذار 1939: «كان من دواعي
السرور لأصدقاء الزعيم والمعجبين برسائله الكثر أن يصدف ذكرى ميلاده الخاصة
والثلاثين في أول مارس في سانبولو. ومع أن الزعيم لم يشر الى هذه الذكرى فقد
تسرب خبرها الى جميع أصدقائه الذين فاجأوه بحفلة أنيقة لطيفة قدمت له فيها هدية
ثمينة. وتحدث الزعيم الى مجندي فكرته زهاء ساعتين فملك حديثه أسماعهم
وقلوبهم.»

إنشاء الجريدة

مر معنا كيف بدأ تكوين فرع الحزب في سانبولو ضعيفاً إن من حيث عدد الأعضاء، إذ كان قليلاً، أي أن العدد كان من القلة بحيث انتظمته مفوضية وعداً ذلك فقد كان مستواه الحزبي دون المستوى الحزبي المطلوب ومع ذلك فقد رغب الزعيم في إنشاء جريدة فكان له ما أراد فقد تطوع الشقيقان فؤاد وتوفيق بندقي للقيام بهذه المهمة فكانت الجريدة وكان اسمها الذي أطلقه عليها الزعيم «سورية الجديدة» وقد أبصر النور أول عدد منها في 11 آذار 1939.

يقول الزعيم بهذا الصدد في رسالته إلى الصديق عبود سعادته في الأرجنتين تاريخ 5 أيلول 1941 ما يلي: «وكنت أنشأت في البرازيل «سورية الجديدة» ونظراً لمقاومة الأوساط الميالة لفرنسا هناك وهي أقوى الأوساط إذ بينها بيت يافث وبيت معلوف وأمثاهم كان تحمل الجريدة غير قليل فتكلف به من قدر هناك. ولولا غيرة أحد الأعضاء الذي عنده مالية حسنة لما أمكن تسيير الجريدة إلى اليوم».

اعتقال الزعيم

الاعتقال

في 23 آذار 1939 تم اعتقال الزعيم من قبل سلطة الأمن البرازيلي وذلك بناء على وشاية لثيمة ودسائس رخيصة هي امتداد للخطة الدنيئة التي كانت تحاك ضد الزعيم وحزبه في الوطن. كانت المؤامرة الجديدة - القديمة تقضي بالقاء القبض على الزعيم وتسليمه لفرنسا باعتبارها الدولة المنتدبة على لبنان لتسلمه بدورها للسلطات اللبنانية لمحاكمته.

نجحت المؤامرة بإيجاد واستخدام الأدوات العميلة من أبناء جنسنا في شقها الأول أي في القاء القبض لكنها فشلت في شقها الثاني أي في عملية التسليم إن لفرنسا أو للبنان عبر فرنسا.

غني عن البيان أن الرفيق أسد الأشقر والأمين خالد أديب شاركا الزعيم هذا الاعتقال الذي تم بسرعة غريبة وذلك بسبب الإهمال - كما ورد في رسالة من الزعيم فهل كان بالإمكان تدارك الأمر؟ الجواب على هذا السؤال يأتي من المعلومات التي توفرت عن كيفية حدوث الاعتقال.

يقول الرفيق أسد الأشقر: «حضر مأموران من شعبة الأمن البرازيلي الى مكاتب جريدة «سورية الجديدة» يطلبان مقابلة الأستاذ انطون سعادة. لم يجدها بل وجدا الأمين خالد أديب الذي دون أن يستوضح منها عن الغاية التي من أجلها يودان مقابلة الزعيم رافقهما - بكل بساطة - الى مكان وجود الزعيم حيث كان من نتيجتها الفورية وضع القيود في أيديهم واصطحبهم جميعاً الى السجن.

كان تعليق الزعيم على هذا التصرف: «للأمين أديب خبرة في تصرفات رجال

الأمن من هذا النوع في الوطن فإنهم يقولون انك مطلوب لخمس دقائق لسؤال وجواب وتكون النتيجة التوقيف على ذمة التحقيق الذي يمكن ان يدوم أشهراً فكيف يتساهل ويأتي بهما الي بهذه السهولة؟ فأين خبرته؟ هل الأسلوب في البرازيل غيره في الوطن؟».

وزيادة في الإيضاح انقل ما أورده الزعيم في رسالته الى جريدة «السلام» الصادرة في بوانس أيرس بتاريخ 19 تموز 1940: «وأخيراً وجد الزعيم نفسه مضطراً لأن يكون تحت معالجة دقيقة بالأشعة فوق البنفسجية لتهدئة حالته العصبية. وفي هذه الحالة أوقف بوشاية بعض السوريين الذين زينوا لادارة الشرطة في سانبولو ان الزعيم يعمل لحساب المانية وإيتالية. وقد عرف الزعيم، بعد أيام على توقيفه، باعتراف أسد الأشقر، أنه وخالد عرفا أن أحد رجال التحري جاء يبحث عن الزعيم وانه أوقف رجلاً سورياً يدعى انطون سعد لتشابه اسمه واسم الزعيم وكان ذلك قبل حصول التوقيف بضع ساعات واعترف فيه خالد أديب بأن هذا الأمر صحيح.

حينئذ رأى الزعيم أن الأمر ليس بسيطاً وان هناك تبعة عظيمة الخطورة تقع على الناموسين ولكنها تقع بالأكثر على خالد أديب الذي منحه الزعيم رتبة الأمانة وهو في أفريقية بناء على طلب رئيس المجلس الأعلى الأمين نعمة ثابت لأسباب موجودة في سجلات الدوائر العليا والذي اختبر في الوطن شؤون التحري وكان يتبجح بأنه أقدر من مدير «اسكتلنديارد».

ومما لا شك فيه أن خطورة أمر توقيف الزعيم عظيمة خصوصاً والزعيم كان في حالة مرض فتعرضت صحته لخطر عظيم. وقد خرج من التوقيف في حالة تدعو الى عناية دقيقة. هذا فضلاً عن حطورة ترك أوراق مكتب الزعيم للوقوع في أيدي غريبة».

«أما أسد الأشقر فقد كان ظاهراً أن خطأه كان لعدم خبرته إذ هو دخل الحزب في أفريقية الغربية بواسطة الرفيق رفيق الحلبي ولم يتسن له الاطلاع عن كثب واختبار معارك الحزب والتمرن على دقة النظام والمسؤولية. وقد أظهر استعداداً للتعويض بالعمل كوكيل لمكتب عبر الحدود».

في التحقيق

كانت الوشاية مبنية على التهمة التقليدية المعروفة - العلاقة الأجنبية - أو العمل لصالح دولة أجنبية وهذه الدولة بالتحديد هي ايطاليا أو المانيا. ألم يزرهما قبل مجيئه إلى البرازيل؟ ألم تنشر مجلة «الشرق» خبر القطار الألماني الخاص الذي أقلّ الزعيم من روما الى برلين؟

تبيّن في التحقيق بطلان التهمة وزيفها. لم يكن لحضور الزعيم الى البرازيل أية علاقة بأية دولة أجنبية وبصورة أخص لم يحضر الى البرازيل للقيام بأي نشاط أو عمل له مساس بالبرازيل بحد ذاته لمصلحة هذه أو تلك من الدول الأجنبية. إنه حضر الى البرازيل لتفقد الجالية السورية ولبثّ الدعاوة للقضية السورية القومية الاجتماعية وهذا لا يتنافى مع القوانين والأعراف البرازيلية.

ولكن نشأت مشكلة من جراء هذا الاعتقال هي مطالبة الحكومة الفرنسية من الحكومة البرازيلية بتسليمها «المجرم الفار، أنطون سعاده»، المطلوب للمحاكمة في لبنان. هذه المطالبة هي بيت القصيد في عملية الوشاية التي أدت الى الاعتقال أي الوصول الى هذا المطلب الفرنسي.

كان الزعيم بنتيجة التحقيق قد حصل على البراءة من التهمة المنسوبة إليه بل كان قد حصل أيضاً على اعتذار من الشعبة السياسية في الأمن العام البرازيلي لاعتقاله دون مسوغ قانوني ولكن الآن عليه أن يجابه هذه المطالبة التي قد تبدو ناجحة نسبة لعلاقات الصداقة التي تربط الدولتين بأواصر متينة.

عالج الزعيم هذا الموضوع بكل جرأة وصراحة وإقدام. أثار أولاً عدم شرعية المطالبة من الناحية الحقوقية ثم انتقل الى تنفيذها من الناحية السياسية وهي الأهم. فهو من الناحية الحقوقية حصل على البراءة وعلى اعتذار من الشعبة المختصة. تبقى الناحية السياسية فهو لهذه الجهة رجل سياسي وله أن يتمتع بكل حقوق اللاجيء السياسي. خصوصاً وأن فرنسا طرف في النزاع وليست فريقاً ثالثاً وأنه مؤمن بشرف الحكومة البرازيلية ومحافظتها على التقاليد السياسية التي تمنع حصول تصرف من هذا النوع، الذي أقل ما يمكن وصفه أنه جريمة في العرف الدولي.

إن تجرد الدولة البرازيلية المشرف وموقف الزعيم الجريء المدعوم بالبراءة وضعاً حدّاً لتصاعد هذه الأزمة فانحلت بجواب من البرازيل الى فرنسا تعتذر فيه عن إمكان تلبية طلبها وأفرجت عن الزعيم في 21 أو 22 نيسان وأعطته مهلة بضعة أيام لتسوية شؤونه. أعطته هذه المهلة بالرغم من الضغوط التي انصبت عليها لاجراجه فوراً كشخص غير مرغوب فيه.

ويصف الزعيم هذا الوضع في رسالته الى «الصديق العزيز عبود سعاده». في الأرجنتين بتاريخ 5 أيلول 1941 نقتطف منها الفقرة المختصة بهذا الأمر: «ثم كان انه جرى تقرير رحلتي الى المهجر لتأسيس الحركة وتنظيمها فيه وإشراك المهاجرين في المجهود العظيم الذي تقوم به الحركة القومية في الوطن. ولكن صحي كانت قد

انحطت كثيراً بسبب الاجهاد فوصلت البرازيل معي . وهناك حدث إقبال ونشاط لم يؤخرهما سوى إهمال الشخصين اللذين رافقاني فحدثت وشايات سافلة من بعض السوريين جعلت المفوضين البرازيليين يفتحون تحقيقاً معي ويوقفوني رهن التحقيق مدة نحو شهر استغلها ماجورو فرنسا لاختلاق الاشاعات في المهجر . ومع ذلك وبعد إعلان التحقيق براءتي مما نسب إلي وجدت أن النشاط لم يقل ولكن المدة المسموح لي البقاء فيها في البرازيل انقضت قبل أن أتمكن من «تنظيم الأمور كما يجب» .

وفي رسالته إلى نعمة ثابت، رئيس المجلس الأعلى، من الأرجنتين أيضاً، تاريخ 20 نيسان 1946 يقول: «إن ظروفي الخصوصية الحاضرة وحالة الحركة السورية القومية الاجتماعية في المغرب، ليست وليدة نفسية المغتربين التي استهلكها حب المال وحب الذات الفردية فحسب، بل هي أيضاً وليدة الأغلاط التي ارتكبت من جهتنا، من أفراد لم تكن لهم خبرة بالمسؤوليات العالية فطوّحت هذه الأغلاط بمركز الزعيم وأفقدتنا وقتاً ثميناً عرف الرجعيون والخونة وجواسيس الارادات الأجنبية كيف يغتتمونه ويستغلونه الى أقصى حد، فحسبنا إمكانيات العمل الواسع في البرازيل حيث كان الزعيم يتمتع بمركز شخصي جيد، إذ ان الجالية السورية هناك تعرفه جيداً من قبل وتحفظ له أوساطها العليا تقديراً خاصاً . وكانت النتيجة اننا اضطررنا للقدوم الى الأرجنتين في ظروف غير موافقة .

كانت حالتي الصحية حين قدومي الى البرازيل سيئة جداً جداً . وقد قطع التوقيف في البرازيل العلاج الذي كنت بدأت به وبالراحة التي كنت شديد الحاجة اليها .

وخرجت من التوقيف بعد نحو شهر متتصراً ولكن صحي زاد سوءاً بتأثير تلك الصدمة غير المنتظرة، التي لا يبررها شيء غير جهل الذين ساعدوا من جهتنا، على حصولها وسلوك الخطأ الذي سلّكوه تجاه مقدماتها وحين كان في الإمكان تلافيها، ونتائج التوقيف المضيء» .

في السجن

كان مكان السجن مؤلفاً من طبقتين . كان الزعيم موقوفاً في الطابق الأرضي والأمين خالد أديب والرفيق أسد الأشقر في الطابق العلوي، فوق تماماً . وقد أمن الزعيم طريقة للاتصال بهما فريدة من نوعها وافهامهما مجريات التحقيق ثم توجيههما لتأي الافادات متطابقة .

استعان الزعيم بالتجويد القرآني فيصنغ الجمل الحاملة المعلومات المطلوبة بشكل

آيات بجودها بصوت عال كفاية يصل الى الطابق الفوقي وبهذه الطريقة استطاع الزعيم ان يطلع رفيقه في السجن على سير التحقيق فلا يتعثر.

ومن حسن الصدف أيضاً أن حارس السجن كان من أصل سوري من حمص فاستطاع الزعيم والرفيق أسد الأشقر تهريب بعض المقالات الى «سورية الجديدة» للتوجيه والاعلام إذ أنها بقيت تصدر بالرغم من الاعتقال. السجن سجن إن في الوطن أو عبر الحدود والطرق الكفيلة للاتصال لا تعصى علينا أبننا كنا.

دام توقيف الزعيم نحو شهر كما مر بنا أما الأمين خالد أديب فقد بقي مدة وجيزة من الزمن بعده وكان الرفيق أسد الأشقر آخر من أفرج عنه وذلك لأن الاستجواب تناول الأوراق التي صودرت وهي بأكثريتها بقلمه لأنه كان مر سابقاً وكيلاً عاماً لمكتب عبر الحدود وهذه الأوراق هي كناية عن مراسلات مع الفروع الحزبية عبر الحدود. أخذت ترجمتها بعض الوقت.

اقوال الصحف عن الاعتقال

كانت الصحف في الوطن رزينة بنقل أخبار توقيف الزعيم في البرازيل إلا جريدتين واحدة في الوطن هي جريدة «البشير» اليسوعية والثانية جريدة «الهدى» النيويوركية. والأولى تنقل عن الثانية ترهاتها وتلفيقاتها ولكن الذروة حصلت عندما نقلت جريدة «المساء» خبراً عن زميلتها الهدى زعمت ان مصدره الشاعر القروي. ولجريدة «المساء» تاريخ حافل بتأديبه ومع ذلك ما ارعوى.

نشرت جريدة المساء في عددها 1039 ما يلي: «انطون ما يزال في السجن في البرازيل مع اثنين من اتباعه لأنه كانوا يثون الدعاية النازية وقد نشرنا في عدد سابق خبراً نقلناه عن جريدة الهدى النيويوركية يفيد اعتقال انطون سعادة واثنين من معاونيه لأنهم يثون الدعاية النازية في تلك البلاد. وقد اطلعنا أمس على كتاب وارد من الشاعر القروي الى أحد أصدقائه في بيروت وفيه أن الحكومة البرازيلية ما تزال تحقق مع انطون ورفيقيه بتهمة الدعاية هتلر وهم ما يزالون «ضيوفاً» في سجن سان بولو».

وقد نقلت «سورية الجديدة» الخبر في عددها عدد 14 تاريخ 10 تموز 1939 الوارد إليها من مراسلها في بيروت كما يلي:

«إننا نقل لكم ما نشرته جريدة المساء بحروفه ونحن على تمام الثقة بأن ما كتبه القروي يختلف بروحه عن النص المذكور فنرجو أن يكذب القروي هؤلاء المشيعين

المرجفين الذين يخلطون الأكاذيب وينسبونها الى كبار الرجال الوطنيين المشهود لهم بالإخلاص ليعطوا إشاعاتهم وأقوالهم مسحة من الصحة.

«سورية الجديدة»: قد أطلعنا حضرة الشاعر القروي على هذه الرسالة فكانت دهشته لا تقل عن دهشتنا من مقدرة البعض على الاختلاق وتشويههم للحقائق وأعطانا حالا النص المذكور الوارد في رسالة لأحد أصدقائه في بيروت وهو «الزعيم وناموساه في سجن سان بولو محجوز عليهم بوشاية دنيئة من بعض السوريين. ولحد الآن لم تكتشف الحكومة من أوراقهم ما يثبت ارتباطهم بدولة أجنبية ولا ندرى متى يفرج عنهم». فليتأمل القاريء بالفرق بين النصين.

من خطاب الزعيم الوداعي

يجدر أن نذكر أن الزعيم أمضى في التوقيف 27 يوماً فخرج في 19 نيسان 1939 وبقي في سانبولو حتى تاريخ 14 أيار، تاريخ مغادرته البرازيل الى الأرجنتين.

وفيما يلي بعض المقاطع الهامة من خطاب الزعيم الذي وجهه الى الجالية السورية في البرازيل بمناسبة الاجتماع- الوداع قبل مغادرته البرازيل الى الأرجنتين. «ليس ما أريد أن أخاطب به الجالية السورية في البرازيل عبارات استفزاز وتحريض ومديح فهذه بضاعة تعود حملها الى المهاجر السورية تتجار يبيعونها للمهاجرين ويقبضون ثمنها وهي من أساليب النظام القديم التي كلف استعمالها الأمة السورية ثمناً فاحشاً من الوجهتين الروحية والمادية».

«إني جئت المهجر السوري باسم البعث القومي الذي حققه الحزب السوري القومي لتيسر للسوريين المهاجرين ان يشعروا بتجدد الحياة في أمتهم وأن يدركوا عظمة العمل القائم في الوطن الجميل الذي هجره بسبب الخراب الروحي والمادي الذي حل به، ولكي لا يحرّموا من حق التمتع بالحرية والكرامة بفخرا».

«ولقد فضّلت أن تكون زيارتي الأولى للجالية السورية في البرازيل، لأنها الجالية التي سبق لي أن عرفتها جيداً وكانت لي بها صلة وثيقة. في هذه الزيارة تمكنت من الوقوف على مبلغ تقدم الجالية السورية...»

«كنت مسروراً كثيراً بوقوفي أثناء زيارتي الجالية السورية في البرازيل على مبلغ نمو العلاقات الودية بين السوريين والبرازيليين، الأمر الذي شجعتني في اعتقادي بوجوب زيادة هذا التفاهم السعيد بين الشعبين السوري والبرازيلي...»

«ولا بد لي هنا من الإشارة بأسف الى المحاولات التي جرت من قبل بعض العناصر السورية المسنّمة بلقاح العقلية الشرقية الغربية عن النفسية السورية الصافية أو المأجورة لمصلحة المطامع الأجنبية في وطننا بقصد الاساءة الى القضية السورية القومية

والى الجالية السورية في البرازيل والى الشعب البرازيلي واعني بها حركة توليد جو من الوشايات والسعايات التي تشكّل محاولة أئيمة لوصم السلالة السورية بالقبايح وتهديد المصلحة السورية العامة ومصلحة الجالية السورية في البرازيل بصورة خاصة وتعكير صفو العلاقات الودية بين الأمتين السورية والبرازيلية.....».

«إن حادث الوشاية الدنيئة ضدي والذبول التي جرّها دعت الى أسفي الشديد ليس فقط لأن الوشاية تلحق إهانة عظيمة بالشعب السوري في الخارج بل لأن الذبول التي جرّتها كانت فاضحة للانحطاط المناقبي الذي انحدرت في مهاويه بعض العناصر السورية المهاجرة. إن أسفي ليس لأن الطعنة وجهت إلي، بل لأنها وجهت إلى كرامة الشعب السوري».

«.....» وكنت أود أن أضرب صفحاً عن هذا الحادث وعناصر الوشاية وعواملها لولا الذبول التي يجرّها وتدل على أن هنالك اتجاهات جديدة ترغّب فيه بعض العناصر لتستغله في عنعناتها المشهورة واختلافاتها الصيانية التي يضخّي في سبيلها كثير من المصالح العامة. إنّي أستنكر توجيه الوشاية الى الأندية السورية الاجتماعية العاملة لأغراض اجتماعية . ثقافية بحثة».

«.....» إنها معركة فاصلة بين المناقب الجديرة بحياة جديدة، سامية الروحية، ومثالب عقلية مستعبدة، عفنت فيها المواهب النفسية الجيدة. ولما كانت الحرب بين هاتين القوتين شرطاً لانتصار الروح الجديدة فلست آسفاً قط لنشوب الحرب. إنّي لا أريد انتصاراً هيناً بدون حرب!

لم أكن يوماً منخدعاً. ولقد قدرت منذ البدء ان مهمة نهضتنا التحريرية الأولى هي إنقاذ مجتمعا من حال انحطاطه وتعثّره بنفسياته الصغيرة الضيقة..... وبالنظر الى هذه المهمة أرى ان النتيجة التي توصلت إليها هي عظيمة وفاضلة. فإن عناصر النور تفترق الآن عن عناصر الظلمة وتعارف وتبتدىء تكوين مجتمعها ومعرفة قوتها ومهمتها. وعناصر الظلمة تنعزل وتندفع وتترامى بعضها على بعض وتكون كومة منفردة جامدة.....».

«إن عناصر الظلمة في الجالية السورية في البرازيل تريد أن تهرب من هذه الحرب وان تستر فشلها بايهام الرأي العام ان الموقف سياسي وتأويل الحقائق للسلطة البرازيلية تأويلاً بعيداً عن الصواب. ولكنني أثق بأن في الشعب البرازيلي الحرّ رجالاً يعرفون حيل الدجالين ولن يسمح الشعب البرازيلي الحر بمقاومة شعب حر صديق يجاهد ليدفع عنه اعتداء الدول الأجنبية الطامعة.

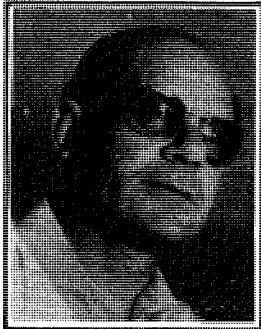
إنّي أحيي مجموع الجالية السورية في البرازيل الحي الطيب. وأعلن سروري العظيم بتجانس الوجوه التي ودعتني وقرأت فيها فضائل أمتي الباقية!». (سورية الجديدة العدد 16 تاريخ 24 حزيران 1939).

اهم النشاطات المركزية

ترك الزعيم الآن ذاهباً الى الأرجنتين ونعود لنستعرض أهم النشاطات الحزبية في الوطن على الصعيد المركزي وذلك حسب التسلسل البروتوكولي، فنبداً من بعد أول آذار حتى أيلول تاريخ إعلان الحرب.

مع بداية فصل الصيف تم تعيين الأمين معروف صعب رئيساً لمجلس العمدة بعد أن كان قد قرر عدم الرجوع الى مركز وظيفته في سامراء العراق.

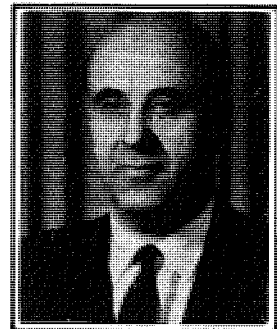
عمدة الداخلية: لم يكن لعمدة الداخلية شأن متحرك فالحزب في وضع شبه سري كما مر بنا، لكن هذا لا يعني انها كانت ساكنة فعملها الاداري كان جارياً حسب الأصول وكانت تقوم ببعض الزيارات أخص منها تلك التي جرت لمدن الداخل. وقد طرأت بعض التغييرات في المسؤولين في بعض المناطق فقد تعين الأمين أنيس فاخوري منفذاً عاماً لمدينة طرابلس كما تعين الرفيق توفيق التيني مسؤولاً إدارياً عن تنفيذية زحلة بعد الانتكاسة التي أصيبت بها من جراء موقف فوزي البردويل وجوزيف بمحمدوني. كذلك تعين الرفيق عبد الكريم سيروان مديراً لمديرية الهرمل المستقلة وعين الرفيق منصور اللحام مسؤولاً إدارياً لمنطقة راشيا الوادي.



أورخان ميسر

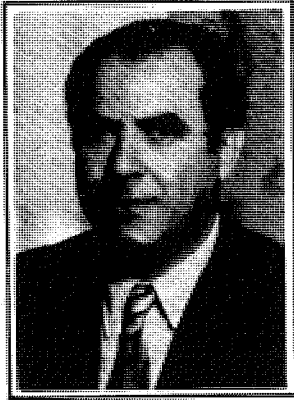


منصور اللحام



أنيس فاخوري

في هذه الأثناء كان عميد الداخلية يعالج وضع منفذ عام صيدا الرفيق معروف سعد الذي كان يصبر بين الحين والآخر على الالتحاق بالثورة في سورية الجنوبية مع أنه كان قد بتّ في موضوع هذا الالتحاق في أثناء وجود الزعيم، لكنه يعود الآن الى الاصرار فيلتحق بالعمل الثوري تاركاً المنفذية على عهدة الهيئة المسؤولة. في الشوف عين الرفيق حسن الطويل منفذاً عاماً للمنفذية. وفي الساحل الجنوبي عين الرفيق محمد أمين أبو حسن بدل حسن ريدان وفي الغرب أصبح الأمين كامل أبو كامل منفذاً عاماً للمنفذية كما عين الرفيق الشاعر أورخان ميسر منفذاً عاماً لمنفذية حلب وطبيب الأسنان الرفيق صادق طيار منفذاً عاماً، لمنفذية صافيتا والرفيق زكي صواف منفذاً عاماً لمنفذية دمشق.



كامل أبو كامل



حسن الطويل

في نهاية شهر حزيران يعقد عميد الداخلية اجتماعاً يدعو إليه بعض الطلبة وي طرح عليهم مشروعاً ملخصه الاستعانة بهم للعمل الاداري في المناطق التي سيقضون عطلتهم الصيفية فيها فيتدربون على الشأن الإداري من جهة ومن جهة أخرى يضيفون الى النشاط المحلي نشاطهم العلمي الثقافي الراقي فيفيدون ويستفيدون. لاقى المشروع قبولاً. ضمّ هذا الاجتماع خمسة عشر طالباً جامعياً.

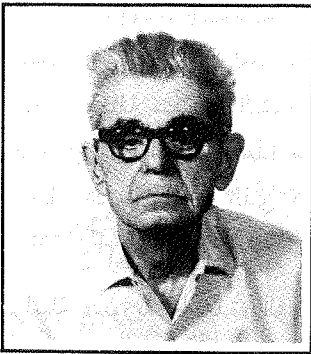
تم إنشاء مكتب مواصلات سري للبريد الحزبي وتعين مديراً له الرفيق انطون جقليس. كان مكان متجره في شارع فوش وهو ليس معروفاً وكذلك متجره. وبدأ يمارس بتسليم البريد لمن يأتي معه وزقة رسمية تفوضه بالاستلام. كما انه تعين الرفيق جبران جبور من كفرحاتا الكورة، مسؤولاً عن الاحصاء وتسلم البطاقات الحزبية لتبويبها.

كان مركز أعمال عمدة الداخلية في منزل الرفيق نقولا بردويل في شارع مار نقولا، الأشرفية وفيه كانت تعقد اللقاءات الضرورية مع مسؤولي المناطق الوافدين الى المركز إما بطلب منه أو لزيارة حزبية يقدمون فيه تقاريرهم عن الأوضاع الحزبية.

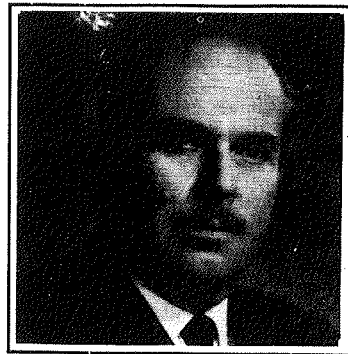
عمدة المالية

كان هم عمدة المالية تحصيل الاشتراكات على ضآلتها ولذلك لم يكن لديها من عمل له شأن كبير ولكن انصب الاهتمام على تنظيم السجلات حسب الأصول الحسابية المتبعة فصار لدى العمدة سجلات حسابية وبالمناسبة قرر عميد المالية الرفيق جبران جريج بالاتفاق مع وكيل العميد الرفيق منير الحسيني القيام بمشروع إحصاء شامل لكل الاشتراكات التي دفعت منذ التأسيس لتاريخه فتمّ لها ما أراداه فقد تيسر لها جمع لوائح مالية قديمة يعود تاريخها الى سنة 1933 بينها لائحة أولى تضم أربعة أسماء هي: «انطون سعادة، رجا خولي، بهيج الخوري المقدسي، وجميل صوايا». لفتت هذه اللائحة انتباهنا، إذ أنها كانت الوحيدة التي تحمل اسم «انطون سعادة».

كان مركز عمدة المالية في بيت الوكيل منير الحسيني في رأس بيروت، اخر خط المارة، حيث كنا نقوم بالعمل الكتابي ونلتقي فيه بالمسؤولين الماليين. من الجدير بالذكر اننا كنا نتحدث بعد الانتهاء من العمل الحزبي الرسمي وتباحث بالأمر الحزبية والقومية ولذلك طرقت باب البحث، مرة، موضوع وجود اسم «انطون سعادة» في لائحة مالية يدفع الاشتراك كأي عضو آخر. فهل يجوز ذلك؟ وهل لأنه لا يجوز لم يعد يظهر اسمه فيما بعد في أية لائحة أخرى أي أنه توقف عن الدفع. وهنا تطرق البحث الى نظريتين: إحداهما تقول «إن الزعيم شخصية معنوية والشخصية المعنوية مؤسسة



الرفيق محمد أمين أبو حسن



الرفيق منير الحسيني

والمؤسسة لا تدفع اشتراك العضوية» والأخرى تقول «ان انطون سعادة عضو في الحزب عليه ما على أي عضو كان». رجحت عندنا النظرية الأولى واكتفينا بها لأنه حتى لو اعتبرنا ان انطون سعادة عضو في الحزب فقد ارتقى الى مرتبة الزعامة والزعامة مؤسسة ولذلك أصبح معقياً من واجبات العضوية المالية هذا إذا تركنا جانباً ان سعادة هو صاحب الدعوة يتم العمل معه لأجلها بناء على تعاقد بين الداعي والمقبل. وهذا وحده سبب كاف لاعتباره اعتباراً يختلف عن اعتبار أي عضو آخر.

من الناحية المكتبية فقد اتفقنا أيضاً في عمدة المالية على أن نستعمل في المعاملات المالية التعابير الحزبية الواردة في القانون المالي الدستوري ولدى التفتيش وجدنا تعبير «الصرف» للمصروف ولكننا لم نجد تعبيراً مقابلاً للمدخول ووجدنا في اللوائح المالية السابقة «الداخل والخارج» فوجدنا التعبيرين وجعلنا كلمة «الدخل» مقابل «الصرف» وتكرست نهائياً وصارت الأموال الموجبة وجميع الإيرادات تسجل تحت باب «الدخل».

كنا نحفظ بالأوراق والسجلات في بناية مرصد الجامعة الأميركية الذي كان يتسلم الرفيق عبد الله سعادة، طالب الطب وذلك لابعاد الخطر عنها في حال حصول أية مدهامة.

عمدة الاذاعة

بالنسبة لوضع الحزب الشبه السري لم يكن لعمدة الاذاعة عمل كبير فلا بيانات أو إذاعات مثلاً. كذلك لم تكن الصحافة تهاجمنا أو تؤيدنا كما كانت تفعل خلال وجود الزعيم بين ظهرانينا، بل كانت الصحافة على العموم في وضعية التجاهل لوجودنا. وأيضاً لا وجود لاجتماعات كبيرة أو مهرجانات لتنتدب عمدة الاذاعة الخطباء ليتكلموا باسمها أو باسم مركز الحزب، لهذه الأسباب كلها اكتفت عمدة الاذاعة بإصدار نشرة مختصرة مكثفة سميت «النشرة الاخبارية» تحتوي على أهم ما يجب أن يعرفه العضو عن حزبه أو عن أعماله. هذا ما عدا الكراس الذي نشر في حلقة سابقة تحت عنوان «الجيل الجديد يتكلم» الذي كان له مردود إذاعي عبر الحدود بصورة خاصة.

إن أهم عمل قام به عميد الإذاعة جورج عبد المسيح خلال هذه الفترة هو مراسلة «سورية الجديدة» التي صدرت في سانبولو- البرازيل وهذه الغاية استأجر غرفة في منزل الرفيق عيسى حمادة الذي كان يسكن في بناية وقف الروم خلف مبنى البلدية، في قلب العاصمة بيروت.



جورج عبد المسيح

كان نعمة ثابت رئيس المكتب السياسي في الحزب يغذيه بالمعلومات السياسية واتجاهاتها في مختلف كيانات الوطن ومدى ارتباطها بسياسة الانتدابين الفرنسية والبريطانية. كان يتردد الى هذه الغرفة السرية بعض الأعضاء المحررين الصحفيين أذكر منهم الرفيق يوسف الخال ووديع الأشقر.

وفي 1939 ورد نداء الزعيم الذي وجهه بواسطة «وكالة فن» من بانوس أيرس الارجتين في شهر تموز الى السوريين القوميون الاجتماعيين خاصة والى الشعب السوري عامة بمناسبة الجو السياسي الانترنسيوني الملبّد بغيوم الحرب الدكناة فعمل عميد الاذاعة على طباعته ليصير توزيعه. طبع البيان في طرابلس بشكل سري أمين بواسطة الأمين أنيس فاخوري. (سينشر عنه في أخبار مكتب الزعيم - عبر الحدود).

جرى وداع الأمين فخري معلوف، عميد الإذاعة السابق، الذي كان يوقع تحت اسم «نصوح الخطيب» والذي كان يرأس دورة للندوة الثقافية موضوعها كتاب «نشوء الأمم» وذلك بتاريخ 15 آب 1939 بمناسبة سفره الى أميركانية للتخصص.

عمدة التدريب

كان مركز عمدة التدريب الغرفة المستأجرة من السيدة فخري، من بشري، في محلة زقاق البلاط، قرب قصر المركز دي فريج، في الطابق الثالث. كنا أنا ووكيل التدريب الرفيق الركن منير الملاذي نستعمل هذه الغرفة للمنامة والاستراحة.

كان وكيال العميد منشغلاً دائماً في عمليات التدريب في المناطق أما العميد الرفيق مأمون أياس فقد كان يهيء لمخيم تدريب في الشوف عملاً بتوجيهات الزعيم في

الاستعداد لمواجهة الأحداث الضخمة المقبلة مع التنبه والتحذير للمحافظة على سرية القوى الحزبية وقيادتها العليا.

كانت الاستعدادات قائمة على قدم وساق. من تدير الشؤون التموينية وعدة السلاح للتمارين العسكرية والخيم والملابس، الخ... وإذا بإعلان الحرب يقطع علينا الطريق للعمل لانجاز هدف إقامة المخيم كما سيأتي عند التكلم عن إعلان الحرب في أيلول.

وضع الزعيم وتشكيلات حزبية

كانت بنية الحزب في سانبولو ضعيفة وما زاد في استمرار ضعفه مرض الزعيم الذي أبعده عن الميدان وان مؤقتاً وفي ذلك يقول في رسالته إلى جريدة «السلام» تاريخ 19 تموز 1940: «يعلم الجميع ان الزعيم وصل الى البرازيل وحده، مريضاً وانه ما كاد يصل الرفيق أسد الأشقر وخالد أديب الى البرازيل حتى أصدر الزعيم قراراً بالحاقهما بمكتب الزعيم بصفة ناموسين لشؤون الرحلة فقط. فعين أسد الأشقر ناموساً أولاً وعين خالد أديب ناموساً ثانياً. ثم انتقل الزعيم من الفندق الى بيت اخته في ضاحية «ابيرنفا» بعد ان فهم الناموسين وضعية البلاد ووجوب الحذر متى نشطت الأفكار، من سعاية السعاة.

لم يكن الزعيم يستطيع الإشراف على الأعمال التي يقوم بها مرافقه بسبب مرضه وجميع الذين زاروه في بيت اخته كانوا يرون دلائل الضيق والاعياء اللذين كان يتألم منهما فسار الناموسان الجديدان على هواهما وسلماً قيادتهما الى شخص يدعى جميل المصفدي كان يظهر الحاحاً غريباً في الاقتراب من مكتب الزعيم وحذرهما الزعيم من فضوله.

وكان خالد أديب ينتهز الفرص ليروي للزعيم وللرفيق أسد الأشقر حكايات «ملاحظاته» ويتظاهر بأنه يفوق جون سنكلر وشركه هولمز بدقة ملاحظاته. اما الزعيم فكان مرضه يمنعه من القبض على زمام الأمور اما أسد الأشقر فكان يصدق الشيء الكثير من فصول خالد أديب «الدونكيخوتية» ولكن الزعيم لاحظ من سؤالاته للناموسين ان العمل لا يسير كما يرغب فطلب من متسلم مكتبه وضع تقرير بالاشتراك مع الناموس الثاني بجميع الأشخاص الذين يتصلون بهم وتعيين ما يقدران ان كل واحد منهم قادر على القيام به في الحركة القومية فوضعا تقريراً أخطأ به القصد واساءوا

الى بعض أصدقاء الزعيم من وجهاء الجالية وكبار أدبائها وقدما الى الزعيم القسم الأول منه وأبقيا القسم الثاني معها. ولم يتمكن الزعيم من النظر في هذا التقرير لأن حالته كانت شديدة».

بقي ان أشير الى أن التقرير الذي طلبه الزعيم من الناموسين وقع مع أوراق مكتبه في أيدي التحري وحمله التراجمة الى الذين يمسهم كلامه فسبب ذلك استياء شديداً لم يبدده فيها بعد سوى وجود مذكرات الزعيم التي تشير الى بعض الشخصيات التي يمسه التقرير بكلام فيه التقدير لهذه الشخصيات. أما عبارات التقرير فمستقاة من معلومات جميل الصفدي الذي كان قصده، وقصد من وراءه إيقاع العداوة بين الزعيم وعدد من الشخصيات». وهكذا بدأ التحقيق الحزبي من قبل الزعيم يتجه نحو اتهام جميل صفدي وأخيه الدكتور وديع بانهما مصدر الوشاية التي أدت الى توقيفه.

الترتيبات الحزبية

في 13 أيار، قبل مغادرته سانبولو الى الأرجنتين بيوم واحد، أصدر الزعيم مرسومين: يقضي المرسوم الأول بإنشاء مديرية أولى في سانبولو تُعرف «بالمديرية عدد 1» وبتعيين الرفيق توما توما مديراً والرفيق أديب بندقي ناموساً والرفيق جميل عبد المسيح محصلاً والرفيق رشيد شكور مديعاً. وتتبع هذه المديرية مفوضية البرازيل.

والمرسوم الثاني يقضي بإنشاء لجنة إذاعية عامة - ضمن ملاك مفوضية البرازيل - تتعهد الدعوة لمبادئ الحزب وبرامجه ومشاريعه العملية ويكون مرجعها للجنة المفوضة وبتعيين المذيع رشيد شكور رئيساً لها والرفيقين نديم شحفة وجميل صفدي عضوين فيها.

كما ان الزعيم كان قد أنشأ وكالة لمكتب عبر الحدود عين الرفيق أسد الأشقر وكليلاً عاماً لهذا المكتب وعين الأمين خالد أديب معاوناً للوكيل العام.

ترتيبات وتوجيهات للجريدة

أصدر الزعيم في التاريخ نفسه في 13 أيار 1939 المرسوم التالي: «بناء على أن «سورية الجديدة» التي صدرت في سانبولو، بناء على رغبة الزعيم وإيعازه لتكون لسان حال حركة الحزب السوري القومي، هي مشروع حزبي، يعين الرفيق رشيد شكور، رئيس لجنة الإذاعة العامة في البرازيل والمذيع في المديرية عدد 1 محرراً «لسورية الجديدة» متقيداً بالتوجيهات الصادرة إليه من مكتب الزعيم أو مراجع الحزب الأخرى المختصة».

هذا من جهة التعيين اما من جهة التوجيهات فإني أنقل من رسالة الزعيم تاريخ

29 أيار. من الارجنتين الى الرفيق رشيد شكور ما جاء فيها تحت عنوان: «الغرض من إنشاء سورية الجديدة».

«إن الغرض من إنشاء «سورية الجديدة» كان واضحاً كل الوضوح وكنت أنت حاضراً وبناء على هذا الغرض يترتب التقيد بما يلي:

1- يُفسح المجال الأكبر والأول لرسائل الوطن التي هي أهم الأخبار في منهاج الجريدة، وللمقالات التي تأتي من المصدر الرئيسي ودوائره أو التي يشير بها هذا المصدر ودوائره.

2- بناء عليه تُخصّص الصفحة الأولى لمقتطفات من رسائل الوطن تتناول أهم أخبارها، وأهم أخبارها في منهاج الجريدة هو ما كان في صدد الحركة القومية وللمعلومات المفيدة وبعض المقالات الخارجة عن الكتابة الرسمية.

3- تُخصّص الصفحتان الثانية والثالثة لبريد الوطن الجوي وكذلك نصف الصفحة السابعة أو أكثر من نصفها.

4- تُخصّص الصفحة الرابعة وقسم من الخامسة للمقالات الرئيسية التي تحمل التوجيه الفكري في القضية القومية والمسائل العارضة.

5- بناء على البند الرابع لا يكون «لسورية الجديدة» مقالات افتتاحية بل مقالات رئيسية تنشر فقط تحت «رأي سورية الجديدة».

6- مهمة متسلم الكتابة في «سورية الجديدة» هي:

أ- المحافظة على منهاج الجريدة والتقيد بالتوصيات المصدرية أو المرجعية بكل دقة.
ب- كتابة مقال رئيسي واحد في أهم نقطة مبدئية أو حادث أو أمر بما يتفق مع التوجيهات، والتعليق بمقالات قصيرة عن الحوادث الهامة والثانوية، ودراسة البرقيات اليومية، وتلخيصها في صورة عامة شاملة واضحة، تعطي القارئ صورة صحفية عن الموقف العام كما هو لا عن جزئيات متناثرة.

ج- يوضع المقال الرئيسي لتسلم الكتابة في أول قسم من «رأي سورية الجديدة» إلا إذا كان هنالك مقال لزعيم النهضة أو لدائرة عليا وهذا يُثبت أولاً. وبعده يمكن وضع مقال كاتب المتسلم. في حالة عدم وجود مقال هام من المرجع يُفضّل وضع مقال يرده من رفيق غيور ويراه جديراً بصدر الرأي وتقدير ذلك عائد الى المتسلم نفسه».

ثم يقول تحت عنوان: «ملاحظة وحيدة»: «بناء عليه أطلب منك ان تتقيد من الوجهة السياسية بما يلي: ان خطتنا في الحالة السياسية الحاضرة ليست خطة الانتصار

المطلق الأعمى لأحد الفريقين بل خطة الميل المتحفظ الحافظ خط الرجعة. والحركة السورية القومية تريد الا ترتقي في أحضان أية قوة خارجية. وريح تأييدها في السياسة الانترناسيونية يجب أن يكون له وزنه، وثمنه. وهذه المسألة مختصة بالمصدر التوجيهي. وأطلب منك التقيد الشديد بهذا التوجيه، يمكننا إظهار جهنمية الجانب الذي نحاربه من غير أن نصبغ على الآخر صفة الملائكة».

«كذلك أشير بالتقليل من اخبار اليهود فعامود أو عامودان على الأكثر كافيان في هذا الباب. «فلا يكون الأكثر عنهم رافعاً لأهميتهم. المهم فضح الاعيهم لشعبنا».

الانتقال الاداري في سانبولو

بعد وصول الزعيم إلى الارجتين وبالرغم من مشاغله الجديدة فيها فقد عين لمفوضية البرازيل لجنة سماها «اللجنة المفوضة» مؤلفة من الرفيقين توما توما والياس بخعازي. وفي رسالة إلى عضو اللجنة المفوضة الرفيق توما توما في تاريخ 26 تموز أعطى الزعيم توجيهاته في كيفية إجراء الانتقال الإداري والتخلص من المسؤول أو المسؤولين السابقين: «لا بد أن تكون تبلغت المرسوم الجديد والتعليمات المرفقة التي حملها الوكيل العام لمكتب عبر الحدود فاطلب التقيد بها بكل دقة واشرح في صدها: يُستعمل مع رئيس اللجنة السابقة الدهاء الشديد. فيصير بعض اجتماعات عنده كالعادة. ولكن يتخذ أحد الأعضاء موقف الشك في صدد بعض الأشخاص الذي يصير اقتراح الاتصال بهم والعمل معهم. ثم يصير إهمال في الاجتماعات. ومتى صار اجتماع تكثر المناقشات حول مشاريع عظيمة خيالية يطول أمر درسها وإعداد تقاريرها. وينبه المركزيون بوجود الحذر من شخصيته وأخيه (جميل صفدي وأخوه الدكتور وديع) ويحظر على الرفقاء معرفة شيء ثابت من أمر اللجنة المفوضة.

تتابع مسألة السيدات ولكن حقيقتها تظل خافية على الرئيس السابق وأخيه وتدرس مسألة كتمان هذا الأمر فيما يختص بالسيدة فدوى (فدوى عطية) اني أتأسف جداً لأنني لم أتمكن من الاجتماع بالسيدة فدوى، التي أشعر بشخصيتها القوية وإخلاصها وغيرتها القومية. وأرى أنها صالحة لبحث كيفية بدء العمل ومتابعته. وأريد أن تشركوها بالرأي بعد مفاحتها بهذا الأمر وظهور القبول منها».

يذكرنا هذا الإجراء بالإجراء نفسه الذي توسله الزعيم مع الأعضاء الخمس الأول عند تأسيس الحزب.

في مرجع اللجنة وصلاحتها

«إن المرجع الأولي التسلسلي للجنة المفوضة هو الوكيل العام لمكتب عبر الحدود

ولا حاجة لمخاطبة الزعيم رأساً إلا لسبب هام جداً ومستعجل جداً». أما عن العمل فيقول: «ينقسم عمل اللجنة المفوضة التنفيذي والإداري بين العضوين على هذا الوجه: الرفيق توما للإدارة والإذاعة والرفيق الياس للمالية وتقرير الخطط الإدارية والإذاعية والمالية يكون باتفاق العضوين في جلسة أو مذاكرة ويكون التنفيذ بواسطة الاختصاص المتقدم ذكره في هذا الباب. فيبلغ عضو الإدارة والإذاعة المديرين واللجنة الإذاعية المركزية قرارات اللجنة المفوضة في هذين البابين ويشرف على تنفيذ القرارات ويصدر التعليمات التي يراها مفيدة لتطبيق القرارات. ويبلغ عضو المالية اللجنة المالية المركزية المؤلفة من الخازن العام ومعاونيه والحاسب العام إلى القرارات التي تريد اللجنة تبليغها ويبلغ المديرين القرارات المالية ويشرف على تنفيذها وعلى أعمال الجباية فيطلب من المديرين والمحصلين بيانات مالية وينظر في أعمال اللجنة المالية ويضع توقيعه على حساباتها ويضع التقارير عن الشؤون الإدارية والإذاعية لتحتفظ في سجلات اللجنة. واللجنة نفسها تضع تقريراً كاملاً في جميع هذه الشؤون مرة كل ثلاثة أشهر ترفعه إلى الوكيل العام لمكتب عبر الحدود». (من رسالة الزعيم تاريخ 1 آب 1939).

إقصاء الواشي

بدأ الزعيم عملية إقصاء الواشي جميل صفدي عن العمل الحزبي والإدارة الحزبية على مراحل انتهت في 13 تموز 1940 وذلك على النحو التالي: «يجب إقصاء هذا الشخص عن كل دائرة قومية وطرده من إدارة الجريدة، لأن أدلة الجاسوسية أصبحت متوفرة عليه. وإني آسف، لأن حالة الأعياء التي كنت فيها أثناء وجودي في سانبولو منعتني من الاحتكاك بنفسي بهذا الشخص. ولو كان حدث شيء من هذا الاحتكاك لما وصلنا إلى هذه النتيجة. وقصده من التردد على إدارة الجريدة والمطبعة الوصول إلى المعلومات التي يريد أعداء الأمة والحركة القومية الاجتماعية... أن إفلاس بيت الصفدي وذبوله حجة ظاهرية كافية لتجنبهم وعدم الاكتراث بجميل وأخيه الدكتور وديع» (من رسالة الزعيم إلى عضوي اللجنة المفوضة تاريخ 10 آب 1939).

وفي رسالة الزعيم إلى عضوي اللجنة المفوضة تاريخ 30 آب 1939 يقول: «كتبت إلى إدارة الجريدة أشير عليها بلفت نظر مراسل «سورية الجديدة» في الوطن إلى الشكوك التي لمكتب الزعيم بهذا الشخص وأنا بدوري اتخذت التدابير الممكنة لتبليغ المركز في بيروت هذا الأمر».

وقد حاول الصفدي تبرئة نفسه والصاق التهمة ببيت يافث وقنصل فرنسا وبيت

المعلوف وذلك مع الرسائل التي أعادها للزعيم وقد كان مؤمناً عليها واختفت... (هذه الرسائل حصل عليها الزعيم بعد متابعة مثابرة صابرة وملحاحة) وقد ورد بهذا الشأن في رسالة الزعيم من الأرجنتين الى وديع عبد المسيح تاريخ 7 تشرين الأول 1940: «لا أرسل إليك الرسائل التي بعثها الي جميل الصفدي وفيها اتهام للسيد باسيل يافث وقنصل فرنسا بأن السيد باسيل خصوصاً كان الدافع الى السعاية التي أوجبت توقيفي، لأن مثل هذه الوثائق لا يجوز إخراجها من مكتب الزعيم. ولكن سأجرب أن اسحب صورة زنكوغرافية عن المقاطع المتعلقة بالسيد باسيل واكتفي الآن بأن أكلفك مقابلة السيد غالب الصفدي وتبليغه اني أذنت لك بالاطلاع على ما كتبه مما ورد في بعض رسائل جميل الصفدي بحق بيت يافث وبيت معلوف ويمكنك اطلاع السيد نجيب يافث أو السيد باسيل عليه. وسأحاول الآن الوصول الى رسائل جميل صفدي لأنقل إليك بعض عباراته في صدد السيد باسيل».

بلاغ مكتب الزعيم

«وردت مكتب الزعيم من البرازيل أخبار تفيد أن المدعويين الدكتور وديع صفدي وجميل صفدي يذيعان أخباراً عن الحركة السورية القومية الاجتماعية ويديعان تمثيلها أو تمثيل رأي الزعيم في البرازيل ولما كانت جميع ادعاءات هذين الشخصين عارية من الصحة ولما كان الزعيم قد قطع كل علاقة له بهما بعد أن تبين مقاصدهما التي لا تتفق مع مبادئ النهضة القومية فكل عمل يأتيه هذان الشخصان وكل قول يقولانه هو من عندياتها ولا علاقة له بموقف الحركة السورية القومية.

ولكي لا تبقى هنالك مسائل غامضة فمكتب الزعيم يعلن انه قد تبين أن الشخصين المذكورين سعياً لنقل الزعيم من التوقيف الى بيت عائلتهما بدون استشارته وانها فعلاً ذلك بعد اقناع بيت شقيقة الزعيم وبيت نسيبه السيد وديع عبد المسيح ان هذه هي رغبة الزعيم، لغرض خاص بهما. وقد اختفت في بيتها ووثائق حزبية مسؤول عنها مباشرة المدعو جميل صفدي ومداورة الدكتور وديع صفدي بناء على تصريحه انه لا يأتي جميل امراً إلا بعد استشارته وهي الأوراق التي استعيدت من دائرة التحقيق الاجتماعي والسياسي. وقد ثبت من الأخبار المتواترة ان هذين الشخصين قد أساء استعمال الشرف الذي أنالهما إياه الزعيم بقبوله النزول في بيتها وقد تظاهرا حيناً بأنهما قوميان ولكنها ليسا قوميين وغير معدودين في صفوف القوميين، وقد عطلت كل علاقة رسمية أو غير رسمية لهما بالحركة القومية أو بمكتب الزعيم منذ شهر تموز 1939 صدر عن مكتب الزعيم بتاريخ 13 تموز 1940.

النشاط الحزبي والوضع السياسي في الوطن

نشاطات مكتب عبر الحدود

من أهم الأعمال الحزبية التي قام بها مكتب عبر الحدود في هذه الفترة من الزمن هو بيانه الى الفروع الحزبية عبر الحدود بقلم ناموس الاذاعة في مكتب عبر الحدود الرفيق رثيف عصام بتاريخ 10 آذار 1939. يشرح هذا البيان بعض الأوضاع السياسية في الوطن ويدحض ترهات الصحف التجارية المأجورة التي تتهم الحزب بالعلاقة الأجنبية. واني أنشر فيما يلي بعض المقاطع منه: «في العالم مجرمون كثيرون متنوعون وخونه عديدون ولكن جرمهم يتنوع حسب الظروف والمؤثرات فهناك مجرمون يعود خطأهم إلى البيئة الموبوءة التي عاشوا فيها، وهناك جناة تضطربهم مؤثرات نفسية وحاجات مادية تتغلب على ارادتهم الضعيفة فيرتكبون جنائيتهم، وهناك خونة يساقون الى عملهم الأثيم بإغراء مالي أو غرامي يستعبد ميولهم ويسيرهم: كل هؤلاء تطبق عليهم المواد المخففة.

اما الذين نرى «الوطنية غالباً على شفاههم والذين يدعون انهم خريجو الكليات السليمة البيئة والذين نعلم انهم لا يعدمون عملاً يأكلون منه خبزهم نقياً طاهراً، ثم يتطوعون، رغم ذلك كله، بارادتهم المتروية المصممة ليكونوا آلة هدامة في أيدي اعداء امتهم وحرية تصوّب الى قلب بلادهم ووباء يفتك بمجتمعهم، فما عذر هؤلاء وكيف يجب أن تكون دينوتهم أمام ضميرهم وأمام امتهم وأمام التاريخ؟ من هؤلاء جريدة «الهدى» النيويوركية التي تهمها قضية وطنها الأصلي قدر ما يهم التاجر ان يربح من سلعة!

من هو الخنوع؟

«ولقد بلغت الوقاحة حدّها عندما اتّهمت هذه الجريدة أعضاء الحزب السوري القومي «بالخنوع» وسجلت تهمة لا يليقها على القوميين إلا كل دجال أو أعمى . لأن الشجاعة والانفة والتمرد أظهرها القوميون في المحاكم وفي كل الظروف وقد أدهشت أعداءهم من وطنيين وأجانب واجبرتهم على احترام الزعيم ورفقائه رغم انفهم!» .

«وجريدة «الهدى» التي تمثل دور شقيقة بلهاء لجريدة «البشير» تريد ان تقلدها في الدعاوة للنفوذ و«الحالة الراهنة» في الجمهوريتين الشامية واللبنانية ولكن يعوزها التمير والتلمذة سواسيه . فهي على سذاجتها وبساطة محرريها ومراسليها لا تقدر ان تحفي اندفاعها الأعمى في تأييد كل من صعد على كرسي الحكم في لبنان وكل سياسة يتخذها النفوذ الأجنبي .» .

السوريون الاصلاء

«تقول شقيقة البشير: «ان السوريين الاصلاء من المهاجرين لا يمكنهم الحفول بمبادئ «الزعيم» لأن اخوانهم المقيمين لم يحفلوا بها ولأن الكتلة الوطنية القابضة على مقدرات الأمة السورية صارحت الزعيم وحزبه العداء» . لقد جاءتنا الهدى بنغمة توفيق عواد القديمة الذي قسّم في المجلس النيابي اللبناني، اللبنانيين الى «اقحاح وغير اقحاح» فقالت «ان السوريين الاصلاء» . . .

قضيتنا انترنسيونية

«إن الساسة «الامين» من الشاميين ومن ورائهم اذناهم، لا يزالون يظنون ان علاقاتهم الانترناسيونية يجب ان لا تخرج عن محور الدولة المستولية على بلادهم، بل يجب ان يثثوا كبغال «العجلات» تحدد اتجاه أعينهم «طماشات» من الجانبيين . فالساسة الاميون يجدون ذلك طبيعياً ويسيروا ولسان حالهم يقول «إذا كان خصمي حاكمي كيف أصنع» واميتهم السياسية لا تجعلهم يفكرون في التغلب على الصعوبات لوضع قضيتهم في المجاري الانترنسيونية ليفهمها الرأي العالمي، فقضيتهم محصورة بين سورية وباريس والمعلومات عن بلادهم يناط أخذها وبسطها للرأي العالمي بالموسيو رويرين دي كيه» .

قوة لها وزن

الحزب السوري القومي بمعنوياته ومبادئه وقواته العسكرية المنظمة هو قوة لها وزن

في الميزان العالمي حال نشوب حرب. وهو حر ان يفاوض أية دولة تقدر هذا الوزن حق قدره كما انه مستعد ان يفاوض فرنسا متى أرادت ان تعترف ان الحزب السوري القومي هو وحده قادر على قيادة الأمة وإيقاف التيارات المذهبية وتوجيه التفكير السوري توجيهاً قومياً حقيقياً».

أموال جريدة النهضة

لقد عرف عن بعض المنفذين السوريين القوميين انهم كانوا يطوفون سورية مشياً على أقدامهم ليقوموا بواجبهم حتى كانت أرجلهم أحياناً تنزف دماً. ويشيع دعاة الاستعمار ان القوميين يطوفون البلاد بسيارات فخمة، ولقد جمع قوميو الشاطئ الذهبي، العائشون كالمنفيين في أقاصي مهاجرهم الوف الليرات لإنشاء جريدة «النهضة» وإنشاء بعض المؤسسات القومية الأخرى فقال الخونة هو مال الأجانب يقوم بهذه الأعمال».

متى يفيق الشعب السوري وينبذ هؤلاء المتاجرين بعواطفه وطيب عنصره، ويرى قادة الأمة الحقيقيين!

ثم تسلّم الرفيق جبران جريج مكتب عبر الحدود وكان الاتصال مستمراً مع مكتب الزعيم ان في البرازيل أو في الأرجنتين ثم انقطع هذا الاتصال المباشر العادي بسبب اعلان الحرب في أيلول. كانت الأوراق والسجلات تحفظ لدى الطالب الجامعي الرفيق ابراهيم يموت.

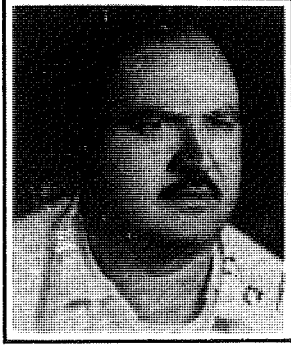
الوضع السياسي اللبناني

استقالت وزارة عبد الله اليافي في 22 كانون الثاني 1939 لكنه كلف بإعادة تشكيلها. دامت هذه الوزارة حتى 21 أيلول 1939. كانت الحرب قد أعلنت. كانت مساعي رئيس الجمهورية تبذل لحل المجلس النيابي واقالة الوزارة وابقائه مع مجلس مديرين.

هذا على صعيد الحكم أما على الصعيد السياسي فقد كانت المعاهدة الفرنسية السورية والمعاهدة الفرنسية اللبنانية في اللجنة الخارجية بباريس تلاقيان معاكسة قوية من قبل العسكريين، وفي مقدمتهم الجنرال هوتزيجر القائد العام للقوى الفرنسية في الشرق سابقاً، والأزمة الدولية في طريقها الى الذروة. وأخيراً رفضت المعاهدتان في اللجان البرلمانية الفرنسية وانتهى أمرهما.

منفذية بيروت

والآن نتقل لتسجيل بعض نشاطات الفروع الحزبية في المناطق ونبدأها بمنفذية بيروت بعد خروج الرفيق محمد اللحام من السجن بعد أن أمضى محكوميته بسبب تأديب الصحفي البديء عارف الغريب للمرة الثالثة.



الرفيق محمد اللحام

تسلمتُ منفذية بيروت باسم إحسان سالم فشكّلتُ هيئة منفذية مؤقتة. لم يكن عندي ناموس للمنفذية فاستعنت لحفظ أوراق المنفذية بالرفيق جورج صليبا وهو رفيق رياضي، واستعنت لتحصيل الاشتراكات بالرفيق خليل جابر صعب الذي كان يتولى مسؤولية حزبية للمرة الأولى.

في الفترة التي تبعت عملية توزيع بيان أول آذار جرت ثلاث وقائع يجدر بنا ذكرها. الأولى: لقاء مع الياس رباي والثانية لقاء ناظر المالية الرفيق صعب مع الفرسان الثلاثة التابعين لمكتب التحريات والثالثة متفجرة وادي أبو جميل.

الواقعة الأولى

خليل برباري، مواطن صيداوي من سكان بيروت. أصبح عضواً في الحزب بعد منحه أذنًا من عميد الداخلية لتجاوزه السن القانونية للانتباء. كان يتردد عليّ دائماً يجمع الى متانة وصلابة العقيدة حماس واندفاع الشباب. في إحدى مناسبات تردادته فاجأني بسؤال: «ما رأيك بلقاء مع الياس رباي؟ انه مستعد للقاء معك». اجبته فوراً «ليس من مانع لدي لأي لقاء مع أي كان من الناس ولكن من أين تعرف الرباي وهو من أركان الكتائب اللبنانية». أجاب: «انه جاري وقد طرحت عليه فكرة التقارب بيننا وبينهم بدل الخصومة فرحب بالفكرة وها اني أطرحها عليك».

اتفقنا على موعد مع انبأته عن النتيجة السلبية سلفاً من قبله لأن شتان ما بين الاثنين ولكن لعل تجد الفكرة القومية الاجتماعية سبيلاً إليه هو بالذات كشخص

متثقف. وكان اللقاء في منزل الرفيق خليل برباري. دام هذا اللقاء أكثر من ساعتين في جو هادىء رصين لم نخرج منه بأية نتيجة لا سلبية ولا إيجابية كان مجرد تبادل آراء وأحاديث.

كان الرفيق برباري مسروراً بهذا اللقاء. وقد سررت به أنا أيضاً وخصوصاً عندما اعترف لي بأنه دارس مبادئ الحزب وكان على اتصال بالمسؤولين عنه في فرع زحله أبان الفترة السرية وكان مقتنعاً بها الى درجة انه كان قد قدم طلباً للانتباء وتعين له موعداً للدخول في الحزب السادس عشر من تشرين الثاني 1935 أي يوم انكشاف أمر الحزب ولهذا السبب تأجل الأجل المضروب إلى أجل غير مسمى وما يزال فلو تأخر الانكشاف يوماً واحداً لكان عضواً في الحزب.

وجواباً على سؤالى «ما الذي دفع به الى عضوية الكتائب»؟ أجاب «تبين لي أن طريق الحزب طويل وسيعرضني الى تحمل ما لا طاقة لي عليه ففضلت الطريق الأسهل» وهكذا كان.

الواقعة الثانية

كان الرفيق خليل جابر صعب من الشويفات من الأعضاء العاملين في منفذية بيروت وقد أصبح ناظر المالية. كنت أتردد كثيراً الى بيته عند حاووز الدحديله في طلعة الأشرفية.

ان وضع الحزب الشبه السري فوّت على مكتب التحريات الكثير من المعلومات التي كانت تتوافر لديه عند علنية الحزب. كان المكتب المذكور يحس بوجود الحزب لكنه لا يلمسه لذلك كان يخطط يخطط عشواء ومن هذه الخطبات الواقعة التالية: «كان الناظر خليل صعب يتمشى في ساحة الشهداء وإذ بأحدهم يلمس كتفه ويدعوه الى اللحاق به إلى دائرة التحري القريبة. كان الوقت عند الغروب. لى الرفيق صعب طلبه وإذ به يمسي في غرفة منفردة أمام أحد الفرسان الثلاثة حسين نصر الله يود أن يتحدث اليه بأمر الحزب الذي يعتزّ ان يكون أحد أبناء الطائفة، مثل خليل جابر صعب من أركانه البارزين. انه عز للدروز.

انضم الى المفتش نصر الله زميله المفتش أميل خير الله وطلبا منه مرافقتها الى منزله لاجراء التفتيش بعد ان كان قد تم تفتيشه بدقة متناهية. وصلا الى البيت فجأة وفي أثناء هذا التفتيش المنزلى حدثت الطرفة الآتية اروها للتفكهة وقد كان الرفيق خليل يتحلى بروح النكتة وبخفة الدم.

كان لدى الرفيق صعب صندوق خشبي عتيق أكل الدهر عليه وشرب. فيه كتب مدرسية مهملة من قديم الزمان وقد علاها الغبار. وكان المفتش نصر الله يعرض خدماته عليه بغض النظر عن أوراق حزبية إذا كانت موجودة وذلك بناء على مساعدة أبناء الطائفة فاغتنم الرفيق خليل فرصة وجود المفتش خير الله قرب هذا الصندوق فغمز المفتش نصر الله بعينه مشيراً الى هذا الصندوق فما كان منه إلا أن دعا زميله خير الله الى الابتعاد عن مكان وجود الصندوق الذي «ما فيه شي» وكأنه يعلمه بالتوجه إليه.

غطس المفتش خير الله بهذا الصندوق وأخذ يقلب الكتب وفي الوقت نفسه يعلو الغبار الذي صلاً طقمه الأبيض المنشى الأنيق. اما النتيجة فقد كانت معروفة «ما في شي». لم تقف النكتة عند الرفيق خليل عند هذا الحد بل تعدتها الى نكتة أخرى أقوى وأفضل. على ظهر الخزانة بعض الصور مبروزة وكان المفتش خير الله قد انتهى من تفتيش الخزانة وبقي عليه ظهرها فنهبه أيضاً زميله نصر الله بأن لا يفعل بناء على إشارة من الرفيق خليل الذي أبدى تحوقاً زائداً من توجه المفتش خير الله نحو ظهر الخزانة فاعيدت الملاحظة نفسها من قبل المفتش نصر الله «ما في شي» وزاد عليها «خلينا نمشي» فأجابه زميله خير الله «بس ظهر الخزانة» وهكذا كان.

وهنا رافق الرفيق خليل صعب تفتيش اميل خير الله ظهر الخزانة بمساوية ظاهرة وخصوصاً عندما قبض خير الله على برواز كبير مغلف تغليفاً متقناً وقال للمفتش نصر الله «ابن الطائفة» «هذه هي صورة الزعيم، شو بدك فيها» وما ان سمع خير الله بأنها صورة الزعيم حتى اشتد حماسه فاندفع يفك الغلاف عنها ليفاجأ بصورة إنسان له شاربان كبيران معقوفان، عمره عمر الكهولة، فيلتفت نصر الله نحو الرفيق خليل متسائلاً «أين صورة الزعيم» فيجيبه بكل برودة «هذه هي صورة الزعيم، زعيم العائلة محمود صعب».

هذه هي واقعة تفتيش منزل الرفيق خليل جابر صعب وهي تصلح لتكون مثلاً رمزياً كيف كان يقابل السوريون القوميون الاجتماعيون حملات التفتيش بهذه الروح الساخرة. مع هذا فقد اعتذرا منه لأنها مجبران على القيام بواجب الوظيفة أما المفتش نصر الله فما تحلى عن عرض خدماته عليه وان كانت حملتها عليه باءت بالفشل الذريع.

الواقعة الثالثة

في وادي أبو جميل، قرب كنيس اليهود، انفجرت قنينة كانت محشوة بمواد ملتهبة

وبمسامير وأشياء أخرى. انفجرت في شبّاك غرفة من إحدى البنايات المجاورة مما سببت بعض الأضرار المادية الطفيفة وقالت الجرائد فيما بعد انها تسببت بقتل أحد اليهود كان موجوداً في الغرفة المذكورة. دامت التحقيقات عدة أيام ثم مضت الأسابيع وكذلك انقضت الأشهر والتحقيق يراوح مكانه وأخيراً طويت المسألة للحفظ.

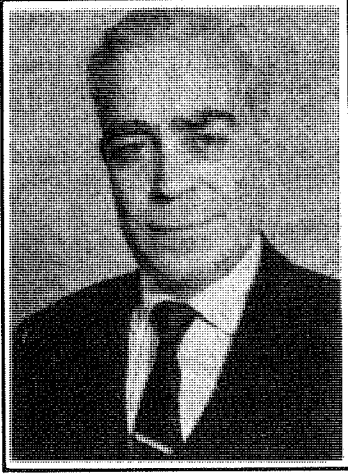
أما من الوجة الحزبية فقد تبين أن العضو محي الدين كريديه يعاونه العضو سعد الدين شريتح أو محمد العطار (لم أعد أذكر تماماً) هما بطلا هذه العملية التي بقيت محافظة على سرّيتها ولم تنكشف كتلك التي قام بها الرفيق خليل الطفيلي يعاونه فيها الرفيق سميح قصيباتي من طرابلس كما مر بنا. لم تتخذ الإدارة الحزبية أي تدبير بحقهما لا في العملية الأولى ولا في هذه الأخيرة وذلك لعدم اطلاعها على ما ينوون القيام به والسماح لهما عملاً بالانضباط واستقامة السلوكية.



الرفيق محي الدين كريديه

نشاط منفذية بيروت

كان نصيب منفذية بيروت من اجتماع عمدة الداخلية الذي انعقد في 23 حزيران حسبما جاء في مذكرات الطالب ابراهيم يموت، عدداً من الطلاب الجامعيين أذكر منهم الرفقاء: ابراهيم يموت نفسه، بدري جريديني، محمد علي عيتاني ومترى عقاد. وعلى هذا الأساس أعيد النظر بهيئة المنفذية فشكلت على الوجه التالي: الرفيق نجيب الشويري ناموساً الرفيق محيي الدين سنو ناظراً للمالية و ابراهيم يموت ناظراً للاذاعة ومنير عيدو ناظراً للتدريب كما عين الرفقاء محمد علي عيتاني وبدري جريديني ومترى عقاد نوايس ارتباط لبيروت التي قسمت الى ثلاث مناطق إدارية شرقية وسطى وغربية.



الرفيق محي الدين سنو



الرفيق نجيب الشويري

ليست لدي معلومات عن توزيع ما تبقى من الطلبة الجامعيين الذين توزعوا على المناطق الحزبية بإيعاز من عميد الداخلية بعد الاجتماع الذي انعقد معهم في منزل الأمين فخري معلوف في 17 حزيران 1939 حسبما ورد في مذكرات الطالب ابراهيم يموت. كان نصيب منفذية بيروت خمسة منهم وقد أثاروا نشاطاً ملموساً في المنفذية بالرغم من الظروف السياسية الداخلية أو الخارجية، وبالرغم من الوضع الحزبي الشبه السري.

بدأ النشاط الجديد بعقد جلسة لهيئة المنفذية الجديدة في منزل الناموس شويري في عين المريسة ومن أهم القرارات التي اتخذت فيها عقد اجتماع لمجلس المديرين الذي تم في 7 تموز. دام الاجتماع ساعة ونصف الساعة تكلم فيه المنفذ العام إحسان سالم عن الوضع السياسي ووجوب إعادة النظر في المديرية ثم شرح مشروع رحلة الزعيم. ثم مواعيد دورية لاجتماعات المديرية.

تم البرنامج بحذافيره. كان ناظر الاذاعة يموت يعاونه نواميس الاتصال عيتاني، عقاد، جريديني يقوم بعقد الاجتماعات، اذكر بعضها على سبيل المثال. كان أحياناً يرافقه ناظر المالية سنو وأحياناً أخرى ناظر التدريب عيدو. اجتماعات مديرية النجاح في الصنائع، مديرية النصر في الناصرة، مديرتها الرفيق أحمد الشيخ. مديرية الحرية في الزيدانية مديرتها خضر سلام كما مرّ بنا، مديرية الكفاح مديرتها أمين عيتاني يعاونه الرفيق حمدي علوان، مديرية التجدد في زقاق البلاط مديرتها قاسم الزين، مديرية الواجب مديرتها خليل محيو وكانت تعقد اجتماعاتها في منزل الرفيق يوسف بدور،

مديرية التضامن - العكاوي، مديرية القومية عند ملعب السلام، مديرية الغبيري، مديرية القوة فرن الشباك، مديرها محمد العنداري، مديرية الاقدام مديرها رافع جريديني، مديرية الجهاد مديرها ميشال حداد، مديرية التعاون في رأس بيروت وكان مكان الالتقاء في محل تصليح الاحذية خاصة الرفيق أمين أبو عجرم كما انه كان ثمة مراكز الالتقاء لهيئة المنفذية مثلاً عند مكان عمل الناموس الشويري على باب ادريس - مخابز خاشو أو في شارع المعرض عند الرفيق عبد الرحمن الخليلي أو عند الحلاق الرفيق خليل الطفيلي في زقاق البلاط، وعند الحلاق الرفيق شحادة فاخوري في الأشرفية أو على الطريق بناء على موعد سابق.

وكانت «سورية الجديدة» التي كانت تصل بانتظام من أهم المواد الاذاعية.

رافق هذا النشاط بعض الادخال على سبيل المثال ظافر جريديني ومحمد عبد الله العيتاني والابرز كان ادخال محمد حبوب العيتاني الذي كان يملك محطة بنزين في محلة الرمول مقابل ثكنة الجيش الفرنسي المعروف بال «33». كان رئيس فرع للنجادة واعتبر ادخاله كسباً للحركة السورية القومية الاجتماعية على صعيد محاربة الطائفية.

كذلك رافق هذا النشاط القيام برحلتين للتعارف واحدة الى الشويفات والأخرى الى بيت مري. جرى فيهما بعض التدريب الجندي.

اعتقال الرفيق جميل عازار

أمام هذا الجدار الشاهق من الكتمان الشديد في الأجهزة الحزبية المركزية والمحلية لم تقف قوى الأمن الأجنبية أو الوطنية مكتوفة الأيدي فبعد محاولاتها الكثيرة وقد



الرفيق جميل عازار

أعطيت نموذجاً عنها تفتيش الرفيق خليل جابر صعب والتي عادت كلها بخفي حين جربت الاستخبارات العسكرية لجيش الشرق الفرنسي Deuxième Bureau حظها وذلك باعتقال الرفيق جميل عازار. السبب في ذلك الاعتقال هو ما كان يشاع في جميع الأوساط عن علاقات شخصية بينه وبين أكثر المسؤولين المركزيين.

كان الهدف من هذا الاعتقال الأمل بانتزاع بعض المعلومات عن التنظيم الحزبي السري في المركز بصورة خاصة. كانت معلوماتهم الأخيرة واقفة عند تاريخ سفر الزعيم. عيثاً حاول الجهاز المذكور المسمى «بالمكتب الثاني» مع الرفيق جميل عازار لا بالوعد ولا بالوعيد، وقد كان على علم بهذا التنظيم وان بطريقة غير رسمية. والذي زاد الطين بلة ان أحد العاملين بهذا المكتب مزق محفظة الرفيق جميل واكتشف ان الحشوة كانت من ورق بعض الصحف الصادرة باللغة الالمانية فاغتنمها حجة - وبأها من حجة سخيفة! - لتعذبه على أساس العلاقة مع الألمان.

تسربت المعلومات عن تعذبه إلينا فقمنا بردود فعل وصلت الى الفاعل بأسلوب خاص فكفّ عن استعمال هذه الطرق الوحشية ولكن بعد فوات الأوان لأن جسد الرفيق جميل لم يتحمل سوء نتائج هذه المعاملة البربرية فأصيب بداء الجنب مما عجل بإخلاء سبيله.

تأجلت الجلسة المعينة في 21 أيار إلى 25 منه للنظر في الدعوى المقامة من منسى على الزعيم.

نشاطات الطلبة

من أهم النشاطات التي استهدفها الطلبة السوريون القوميون في الجامعة الأميركية في بيروت بقيادة الأمين فخري معلوف ومعاونه الرفيق فايز صايغ محاولة إنشاء جمعية اسوة بجمعية العروة الوثقى تدعى «الجمعية السورية». حدث في هذه السنة الدراسية 1938 - 1939 ثلاثة اجتماعات رئيسية هامة، واحد في منزل الأمين قبرصي حضره رئيس مجلس العمد نعمة ثابت في 21 كانون الأول 1938 بحث فيه أمر الجمعية السورية والمسألة الفلسطينية ورحلة الزعيم. كان المتكلم الرئيسي فيه الأمين عبد الله قبرصي. الثاني في منزل الرفيق كنعان الخطيب تداول المجتمعون فيه أمر الجمعية السورية بصورة خاصة. من الحضور الأعضاء النشيطون سليم برغشة وسامي عرفة الفلسطينيين وعبدو زينون وناصيف معلوف وذلك في 21 كانون الثاني 1939



فايز صايغ

والثالث في 17 حزيران 1939 في دار الرئيس نعمة ثابت تكلم فيه الأمين فخري معلوف فذكر بجهاد الحزب بصورة عامة والمقاومة التي يلقاها ثم حث على الدعاية للحزب وخص بالذكر الجامعة الأميركية لرفضها السماح بإنشاء «الجمعية السورية» مطالباً عدم التنازل عن هذا الهدف وملاحقته في السنة الدراسية القادمة.

جرى أيضاً اجتماع عادي في منزل الرفيق فؤاد حداد في رأس بيروت بالرغم من الاضطهاد الذي اصابه وعائلته على أثر سفر الزعيم وذلك في 28 شباط 1939 والسبب في فكره هو تمييزه عن سواه من الاجتماعات لأن الذي تكلم فيه الرفيق برازي من حماه وفيه شرح واف عن الوضع في الكيان الشامي وبالطبع ما خلا الاجتماع من الاشارة الى موضوع «الجمعية السورية».

من الرفقاء الذين نشطوا في العمل الحزبي في الجامعة الأميركية الرفيق حسن الزين من يافا ومن سكان صيدا وكذلك على الصعيد الاداري كان للمدير دانيال كاتبي طالب الطب نشاط مذكور منه ادخال طالب الهندسة محمد علي عيتاني الذي تسلم عملاً حزبياً فيما بعد في منفذية بيروت الذي توج ممارسته الحزبية بخطاب حزبي في اجتماع عام لرابطة آل العيتاني وضعه ناظر الاذاعة يموت. وقد نال الرفيقان تهاني المسؤولين على الخطاب وعلى توجيهه للرابطة العيتانية.

وفي الجامعة الأميركية القى الأديب توفيق يوسف عواد محاضرة ابان فيها حسن مبادئ الحزب السوري القومي ونظامه وقوة عقيدته.

في مدرسة البنات الأهلية

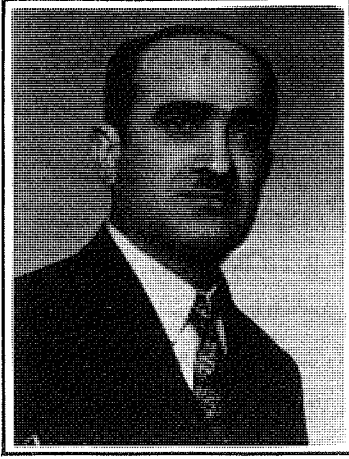
كانت حفلة توزيع الشهادات على المنتهيات في مدرسة البنات الأهلية مظهراً بديعاً راقياً لروح الثقافة القومية. تاريخ الحفلة 28 حزيران 1939. يهمننا من برنامج الحفلة الخطاب الذي ألقته الرفيقة سلوى حليم دموس اذكر منه بعض المقاطع نقلاً عن سورية الجديدة العدد 19 - 20 تاريخ 39/7/15: «هل نعرف بلادنا حقاً؟ هل نحسها في قلوبنا؟ هل يمكننا أن نحبها؟... فهل يحق لنا ان نجهل بلاداً عزيزة كهذه؟...»

«من المعيب أن يكون لنا جيبيل، وهي من أقدم وأعظم مدن العالم، وهي التي وزعت المدنيات على الدنيا بأسرها ونحن لا نعرف عنها إلا انها قرب جوبيه... وهذه بعلبك... التي لا تزال صامدة بعظمتها وجبروتها حتى اليوم. وتلك حلب الشهباء وقلعته المرتفعة الواسعة، الا تستحق زيارة منا؟ وذلك قصر سنجل، ماذا يقول عنه الكثيرون بينكم؟ لا شك في اننا نفتح أفواهنا متعجبين عندما نسمع باسم هذا القصر لغرابته ولكن هو على قيد خطوات منا، هو في طرابلس المدينة المثلثة. تعالوا معي الى الدرة اليتيمة، الى أعظم حصن خلفته لنا تلك الأجيال الغابرة، الى قلعة الحصن. كم طالب من بيروت زار هذه القلعة؟ ومن يعلم أين تقع أو من بناها؟ وتدمر المدينة الجبارة المنطرحه في قلب الصحراء وهي من آثار الجبارة القدماء، الا تحمي في نفوسنا العزة القومية وتمز قلوبنا عندما نتصفح تاريخ ملكتها زنوبيا؟ وهل اعدد لكم ما في بلادنا من قلاع تاريخية منيعة كأنها أوكار العقبان والنسور في أعالي الجبال؟ هنالك غير تدمر وبعلبك وهنالك غير جيبيل وقلعة الحصن، هنالك البتراء وجبال افقا والميناء البيضاء ورأس شمرا...»

اننا بالحقيقة لا نقدر قيمة بلادنا ولا الآثار التي فيها بل نكتفي بتقديرها من بعيد... ان اهمالنا هذا يا أبناء أمتي ويا رفيقاتي العزيزات لا يقع علينا وحدنا بل على الأهالي والمدارس...»

في مدرسة «العهد الجديد»

أقامت مدرسة «العهد الجديد» في الشويفات حفلتها النهائية وكان خطيب الحفلة الأمين عبد الله قبرصي كما انه خطب عدد من الأحداث شعراً ونثراً في مواضيع قومية رائعة بنجاح يدل على مستوى مديرها الرفيع الرفيق نجيب طعان صعب الذي أنشأ هذه المدرسة بجهوده القويّة وخطت خطواتها الأولى في سنتها المدرسية هذه بهذا النجاح العظيم الذي يدل على مبلغ حاجتنا الى مدارس قومية تزرع في النشء حب وطنه ومبادئ الثقافة التي يجب ان تكون أساساً لكل عمل حيوي عام.



نجيب طعان صعب

في دمشق

بعد أن تم نقل المفوض السامي الكونت دي مارتيل وبعد أن حل محله المفوض السامي قبريالي بيو ساد الكيان الشامي فترة زمنية من عدم الاستقرار واللبلة والفوضى بسبب المماطلة والتسوية بتصديق المعاهدة التي بذلت الكتلة الوطنية كل رأسمالها في سبيل اقرارها. ولم تهدأ الحالة الا عند اعلان الحرب في أيلول.

نستعرض باختصار مراحل الوضع السياسي بدءاً من نداء المفوض السامي في 11 كانون الثاني 1939 أبرز ما فيه انه قادم كصديق مخلص وان فرنسا لا تطلب سوى صداقة البلاد وأهلها، الخ... وبسبب قانون الأحوال الشخصية الذي أصدره المفوض السامي قامت قيامة المشايخ وعلماء الدين واضطروا الحكومة المردمية لنقض هذا القرار حفضاً لهيبتها ومركزها من الضياع فإذا بالمفوضية تضربها الضربة القاضية وتضطرها الى الاستقالة بحجة انه لا يجوز ان يلغى مرسوم صادر من المفوض السامي أو يوقف تنفيذه الا بمرسوم اخر من نفس المرجع. ناهيك عن الاضرابات التي عمّت دمشق وجميع المدن السورية الأخرى.

كلف لطفي الحفار بتأليف حكومة بديلة فسقطت أيضاً بعد عشرين يوماً ثم جاء تكليف نصح البخاري الذي عرقل مساعيه رجال الكتلة الوطنية الذين كانت لهم أكثرية الأصوات في المجلس. في هذه الأثناء إذاع الحزب منشوراً بخصوص قانون الأحوال الشخصية يبين فيه للرأي العام ويحذره من الانشغال بهذه المسائل التي لم تقصد السياسة الفرنسية من نشرها في هذه الأحوال الحرجة التي تمر بها البلاد سوى

تحويل انتباه الأمة من الاشتغال بأمورها الأساسية الى أمور فرعية» على كل حال عاد المفوض السامي والغى قراره بصدد قانون الأحوال الشخصية الذي اثار هذه الضجة حوله بالاضرابات والمظاهرات.

استدعي المفوض السامي الى باريز وبقيت وزارة البخاري تنتظر عودته حتى تبت في البيان الوزاري الذي ستقدم به الى المجلس النيابي. عقدت المعارضة اجتماعاً في في دار الجلاد ورفعت مذكرة إلى رئيس الجمهورية تتضمن أربعة بنود. الأول ان يحل المجلس نفسه واجراء استفتاء جديد أي انتخابات جديدة. الثاني: تأليف وزارة حيادية الثالث: عقد المعاهدة مع فرنسا واعداد البلاد للدخول في الحلف العربي. الرابع: ضم الدكتور شهنندر الى عضوية الوفد المفاوض في حال العودة الى المفاوضات.

الدعاية الملكية

في غمرة هذه الأحداث نشطت الدعاية للعودة الى الملكية فمنها من يرشح الداماد أحمد نامي بك ومنها من يرشح الأمير فيصل آل سعود بعد عملية ضم سورية الداخلية وسورية الجنوبية. هذا ما عدا الاشاعات والدعايات القوية للملك عبد الله في مشروعه «سورية الكبرى».

عودة المفوض السامي والبيان الحزبي

عاد المفوض السامي من فرنسا والقى خطبة دامت ثلاث دقائق شملت شؤون الطوائف التي علق قانونها وتطبيق نظام المحافظات وابقاء القوات الفرنسية للمحافظة على البلاد وهذا هو بيت القصيد. لم تستقبل هذه الخطبة بارتياح في أوساط البلاد كافة الا من بعض الصحف البيروتية التي من عاداتها التظليل والتزوير والتي راحت تدعو الشقيقة «سورية» الى الثقة بحسن نية فرنسا. اما من الناحية الحزبية فقد وجهت نظارة الاذاعة في منفذية دمشق كتاباً الى رئيس الجمهورية تعالج فيه الوضع العام الملبل وهذا نصه: «يا صاحب الفخامة! تلاحظون ولا شك البلبلة الفكرية التي تسود العالم في هذه الآونة وأثرها السيء على مجتمعا السوري الناشيء فبعد ان أصبحت الدول تسخر من تأييد الرأي العام العالمي لاعتمادها التام على نفسها تحولت كل خططها الى دعايات محلية غدت تظهر بأشكال شتى وأخذت تجذب شباننا الى مؤسساتها المستترة بأساء بريئة بظاهاها ولكنها موبوءة بالروحية الغربية عن روحية الأمة السورية والشعب السوري الحقيقي، تجاه هذه الحالة الراهنة رأيت نظارة الاذاعة في منفذية دمشق للحزب السوري القومي ان من واجباتها لفت نظر فخامتكم الى سائر ألوان الدعايات المتفشية في سورية وخصوصاً في دمشق لكي تتدبروا الأمر بما لديكم من صلاحيات وبما يملية

عليكم وجدانكم القومي لوضع حد لها ولتوجيه الشبيبة توجيهاً قومياً صحيحاً وتحويلها نحو مؤسساتنا القومية الحرة وانديتنا وذلك بتشجيعها ورفع مستواها وتحث الصحف على بيان أساليب تلك الدعايات وأخطارها على روحية شبيبتنا وتفكيرها ووحدة مجتمعنا ومستقبل أمتنا الناهضة.

ان حرب الدعايات التي لم يشهد العالم لها مثيلاً أوجدت في سورية وخصوصاً في دمشق مسرحاً لنضالها بتأسيس أندية وبذل المال بصورة إفرادية واثارة الشائعات ان بقاءها يكون خطراً على الفكر السوري الناشيء، ويفسد تربيتنا القومية ويجزئ الأمة فرقاً روحية متنازعة تهدد مجتمعنا بالخراب وهذا ما نربأ أن يسجل على عهد فخامتكم.

فالحزب السوري القومي الذي عرف بنضاله المستمر في سبيل تحرير امته وتثبيت سيادتها على نفسها يعمل في وسط هذا الجو المحموم بنشاطه المعروف للقضاء على هذه الحميات التي أخذت تنفث في مجموعنا بصورة سريعة لم تشهدنا سورية من قبل وهو مستعد ان يضاعف نشاطه وان يوجه جهوده الى كل فرد من أفراد الأمة لاصلاح عقيدته وتثبيت إيمانه بأهلية الأمة للحياة ليقف سداً منيعاً في وجه كل دعاية خارجية.

أملنا وطيد بأن فخامتكم ستوجهون عنايتكم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة لهذه الناحية الخطرة ونحن ما نزال في بدء نهضتنا». ولتحية سورية وليحي سعادة.

كذلك صدر عن مكتب الشهبندر بيان يرد فيه على إذاعة المفوض السامي المخيب للأمال.

تأرجح حكومي واستقالة الرئيس

بقيت حكومة البخاري تمارس الحكم شكلاً والأزمة الوزارية التي باتت معالمها تشتد بالرغم من الجهود التي بذلت في سبيل تأليف حكومة بديلة والتي لم تستقر على رأي فانقلت من ترشيح حقي العظم الى جميل الالشي ثم الأيوبي الذي أسرع للاعتذار.

وأخيراً قدم رئيس الجمهورية هاشم الاتاسي استقالته الى مجلس النواب بعد أن كان قد تقدم ببعض الآراء والاقتراحات الى الحكومة الفرنسية والتي جاء الجواب السلبي عليها بعد مرور ربح من الزمن غير يسير. احتجت الكتلة الوطنية ببيان شديد اللهجة على ما آلت اليه الأوضاع من تردّ وانهبان. كما أعلن المفوض السامي النظام الجديد، نظام المديرين العامين برئاسة بهيج الخطيب. كما انه بعد حين تعرض هذا الرئيس الى محاولة اغتيال وقد تعرض للاعتقال لهذا السبب نجيب الرئيس صاحب

جريدة القبس، نجيب الفراء، علاء الدين الحريري، أحمد العلواني، محمد حافظ باشا، يوسف الصفرائي، مصطفى عليان وسواهم. ثم أوقف على ذمة التحقيق كل من أبو الهدى اليافي وشفيق سليمان، فهمي المحايري، وأحمد شراباتي وهم متهمون بأنهم أعضاء في عصابة العمل القومي.

وأخيراً سافر المفوض السامي الى باريز لتقديم تقريره وتلقى التوجيهات الجديدة بالنسبة للوضع الاترنسيوني الذي ينذر بالانفجار.

نداء قومي دمشق

وفي خضم هذه التقلبات نشرت نظارة اذاعة منفذية دمشق للحزب السوري القومي النداء التالي بتاريخ 6 آب 1939: «ان الأمة تحتاز ظروفأ خطيرة فتيقظوا واحذروا شر العاقبة. لقد كفى الأمة ما لاقته من التخاصم على أمجاد شخصيات موهومة وزائلة. ولقد ازفت ساعة اليقظة...». «أيها السوريون! دمء الشهداء تستصرخكم لتوحيد الصفوف. السني والشيعي والمسيحي والدرزي والعلوي في سورية، هم أبناء سورية ولهم قضية واحدة هي القضية السورية. الخطر على الجميع فعلى الجميع تقع مسؤولية درء الخطر. لم يعد الوقت وقت انتقامات وتشفيات ولا وقت حساب أو عتاب...». «الأجنبي يريد أن تكون في البلاد الوف الفرق تتناذب فلا تكونوا كما يريدكم الأجنبي». «الأجنبي يعلق ظفره عندما يقوم حي على حي ومدينة على مدينة ومقاطعة على مقاطعة. ان الخطر الخارجي هو الذي يهددنا فاحذروه وابعده». «يا شباب سورية! انك عرق الأمة النابض ويسواعدك تبني صرح مجدها المنشود...». «حاذروا من ان تفسحوا للأجنبي منفذاً يندس منه الى صفوفنا فيفرقها. ان لنا مطلباً واحداً أوضحناه: نريد الحياة والحق والمجد وليس من قوة تقف أمام إرادة الحياة والحق والمجد».

في حمص

زار حمص رئيس مجلس العمء نعمة ثابت مع بعض المركزيين وتفقدوا سير المنفذية وأعمالها فسروا من النظام والنشاط البادي بين الأعضاء واستعرضوا القوميون الاجتماعيين خارج المدينة وقفلوا راجعين. هذا من جهة المركزيين أما من جهة المنفذية فقد أقام فريق من الأعضاء حفلة للمسؤولين فأقيمت المضارب في غربي البلد ترفرف عليها اعلام الزوبعة الحمراء. تجلت فيها الروح القومية بأجلى مظاهرها وسيطر عليها الانضباط التام الذي اشتهر به القوميون الاجتماعيون. القى فيها المنفذ العام كلمة قارن بها بين مؤسسة النهضة السورية القومية الاجتماعية والمؤسسات الأخرى ثم قام

ناظر الاذاعة واستعرض في كلمته الحوادث والظروف التي تمرّ فيها سورية وابان مدى اليقظة التي أوجدها الحزب وأخيراً كان مسك الختام كلمة لأحد الرفقاء خاطب فيها الزعيم المفدى في مفتديه قائلاً: «نحن ننتظر أوامرك، ايها الزعيم، ان القوميين الاجتماعيين هم كما تعهدهم على استعداد تام للتضحية في سبيل بلادهم ومبادئهم وزعيمهم ثم ختمت الحفلة بالنشيد الرسمي «سورية لك السلام».

في حماه

يستمرّ العمل الحزبي الشبه السري في مفوضية حماه التي تقلصت اليها منفذية حماه بسبب الحوادث السياسية التي ذكرناها سابقاً في عهد المنفذ العام أكرم الحوراني. من أهم العاملين في هذه الفترة أذكر الرفقاء التالية أسماؤهم: ميخائيل انطكلي، عزت الحلبي، سهيل برازي، محمد المصري، محمد الشقفة، خالد مراد آغا، علي النابلسي، جميل جبيلي، صادر العبد الله، عبد الله الفردوس العظم الذي كان قد انتقل الى حماه من بيروت حيث كان يعمل حزبياً في جباية الأموال من الأعضاء.



ميخائيل انطكلي

حلب والجزيرة واللواء

لم يكن الوضع الحزبي أو السياسي في حلب مختلفاً عن سواه في المدن السورية الباقية ولكن أهميتها انها كانت قاعدة أو عاصمة للجزيرة التي كانت وما تزال بؤرة للأقليات ان عنصرية أو طائفية. كانت مسرحاً للدعاية التركية ومركزاً للمؤامرات الفرنسية.

واني أقدم مثلاً على الدعاية التركية: «نشرت البيروق في عددها 600 الصادر في 14

نيسان تحت عنوان «مزاعم هاتاي عن حزب نازي في حلب». اكتشفت السلطات المحلية حزباً نازياً جديداً يعمل بالخفاء لنشر الدعاية النازية بين صفوف الشعب ويدعى الحزب السوري القومي وقد قبض على رئيسه وأركانته حيث أحيلوا الى دوائر الاستنطاق الوطني لاجراء التحقيق ونشرت في ذات العدد ان الأمن العام يواصل التحقيق مع القائمين بالدعايات في حلب وقد انتهى التحقيق مع السوريين القوميين اليوم.

وبالمناسبة أذكر تصريح رئيس حكومة «هاتاي» الأمير الأيوبي: «نحن لا نخشى في عملنا إلا مقاومة حزب واحد لأنه نظامي، فاهم مراده، هو حزب انطون سعادة المسمى الحزب السوري القومي» وكذلك تصريح رئيس الشعبة السياسية في حلب من قبل الكتلة الوطنية: «لقد اشتد ساعد القوميين في حلب والشمال وعمل الوحيد هو محاربتهم!!!».

وأخيراً بالنسبة لمدينة حلب يجب ان لا يسهو عن بالننا صداقة المناضل كامل هنانو شقيق المجاهد الوطني ابراهيم هنانو.

كورد طاغ - جبل الاكراد

جبل الأكراد أو كورد طاغ منطقة من مناطق حلب الإدارية وكما تدل تسميتها جل سكانها من العنصر الكردي ان لم يكن كلهم مركز القائمقامية مدينة عفرين. انها منطقة زراعية غنية هناك حركة كردية تدعى «حركة الميردين» كانت هذه الحركة تعمل ضد الاغوات الموالين للفرنسيين أي انها حركة كردية ضد الاقطاع الكردي وبدلاً من استغلال الحكم الوطني لهم فقد صنفوا أو بالأحرى صنفهم الفرنسيون بالموالاة لتركيا وحاربتهم على هذا الأساس، انما استغلت سواهم من الأكراد وحرّضتهم على المطالبة بفصل قائمقامية جبل الأكراد عن محافظة حلب وذلك بقصد إنشاء كيان كردي مختص بهم تنضم إليه مجموعة الأكراد التي في الجزيرة هذا نموذج عن الحركات الانفصالية في الشمال السوري.

وطن قومي للأرمن

كذلك لعبت فرنسا الدور نفسه مع الأرمن الموجودين في جبل موسى التابع للواء. فمركز جبل موسى الحربي الممتاز جعل فرنسا تنظر الى خسارته نظرة بعيدة حين تصبح تركية دولة مزاحمة لمصالحها فجربت ان تحتفظ به بحجة ان مستعمرة أرمنية يمكن ان تسبب قلاقل لتركية وحركت هذه القلاقل اما الترك فقمعوها بقسوة وفضاعة معروفتين وهجر الأرمن المنطقة فحاولت فرنسا استرضاءهم وذلك بتحريضهم على المطالبة بمنطقة اليعقوبية لتكون مستعمرة أرمنية تحت الحماية الفرنسية!!!

وطن قومي للجرس

وبالماسبة تقيماً لهذه السياسة التفتيتية لا بد من ذكر محاولة الفرنسيين تحريض جرس الجولان للمطالبة أيضاً بهذه المنطقة يجعلون منها كياناً خاصاً بهم.

مهزلة انزال العلم

كان قد تألف في الجزيرة لجنة سميت لجنة الدفاع عن حقوق أبناء الجزيرة ومن أعمالها المجيدة في هذه الفترة الحرجة من مصيرنا القومي عمل أقل ما يقال فيه أنه يثير القرف والغثيان.

وزعت لجنة الدفاع عن الجزيرة أوامرها على جميع البلاد فاضربت وتوزع المسلحون المشمولون بالعطف الفرنسي المدني والعسكري ثم هاجمت جماعات منهم مراكز الحكومة وأنزلوا العلم السوري ورفعوا العلم الخاص بهم - العلم الفرنسي وفي وسطه شمس وسنبلتان متعاقبتان وجمعوا الموظفين من غير أبناء الجزيرة وحملوهم على سيارات خاصة إلى أقرب محطات السكة الحديدية وأمرهم أن يتركوا المنطقة ولم يسمحوا لهم بأن يصطحبوا عائلاتهم بل وعدوهم بأن تلحق بهم فيما بعد. وبعد مفاوضات جرت مع المفوضية في بيروت تسلم الزعماء مفاتيح الدوائر التي أرغم الموظفون على تركها.

أما السلطة الفرنسية التي دبرت هذا الأمر فقد عادت إلى التدخل فطوي العلم «الجزيري» ورفع العلم السوري من جديد. وهكذا انتهت في الظاهر هذه المهزلة.

في اللواء

في 23 حزيران 1939 عقدت فرنسا وتركيا اتفاقاً أخيراً تقرر فيه نقل السيادة على الاسكندرون إلى تركيا وكانتا متأكدتين من حصول موافقة مجلس «جمهورية هاتاي» التركي على ذلك النقل الذي حصل في 29 حزيران من السنة نفسها. وفي 23 تموز 1939 اكتمل تسلم السلطة التركية السيادة على الاسكندرون ففي منتصف ذلك اليوم تسلم السيد سوكمين مدير الأمن سابقاً في أنقرة الحكم بصفة حاكم لمنطقة الاسكندرون التي صارت الولاية الثالثة والستين من ولايات تركيا.

وبهذا الصدد كتب الزعيم مقالاً رئيسياً في سورية الجديدة «في عددها 19 - 20 تاريخ 15 تموز 1939 تحت عنوان «المعاهدتان بين فرنسا وتركيا». هذا نصه انقله لما فيه من فوائد جلى. في الثالث والعشرين من شهر حزيران الماضي وقع في باريس سفير تركيا ووزير خارجية فرنسا معاهدة مؤقتة للتعاون الحربي المتبادل ووقع سفير فرنسا

ووزير خارجية تركيا في أنقرة معاهدة نهائية سلمت بموجبها فرنسا لواء الاسكندرونة السوري إلى تركيا. والمعاهدة الأولى التي هي ثمن خيانة فرنسا سورية وبيعها أرضاً سورية ثمينة تنص على سبع بنود واما اتفاقية أنقرة فتتضمن أربعة بنود (التفاصيل في سورية الجديدة).

«من مقابلة نصوص هاتين المعاهدتين اللتين أصبحتا قيد التنفيذ يتضح للفاحص ان تركيا بادلت فرنسا معاهدة ثابتة ونتائج أكيدة بمعاهدة مؤقتة كثيرة القيود والشروط وغير أكيدة النتائج فتركيا لم تتعهد بدخول الحرب لمساعدة فرنسا في كل حال بل في حالة حدوث اعتداء يثير حرباً في البحر المتوسط» أي عندما تكون مصالح تركيا نفسها قد أصبحت مهددة. ويتضح أيضاً أن فرنسا قد قدمت المعاهدة الثانية التي تخون بموجبها «تمهداتها المقدسة» وتسليم تركيا جزءاً عظيم الغنى من الأرض السورية وأعظم ميناء حربي وتجاري في الشرق الأدنى لقاء حصولها على تعهد تركيا الموقت بمساعدة فرنسا في حالة نشوب حرب في البحر المتوسط.

هذه هي الحقيقة المرة ولكن وزير خارجية فرنسا بونيه الذي شهد له رئيس الوزارة الشامية السابق السيد جميل مردم بالنبوغ وحسن الطوية يريدنا أن نفهم غير هذه الحقيقة فهو لا يريد مطلقاً ان يفهم العالم ان معاهدة أنقرة تشكل خيانة فرنسا الانتداب وشروطه ونصوصه وخيانة سورية التي تعقد فرنسا الاتفاقات المجرمة باسمها وخيانة عهد الجمعية الأممية وان هذه المعاهدة هي نقض للمادة الثانية والعشرين من العهد المذكور ولكل الاتفاقات الانترنسيونية المعمول بها وعبث بحقوق الأمة السورية بل يريد السيد بونيه ان يفهم العالم ان هذه المعاهدة المجرمة هي نتيجة رغبة فرنسا في جلاء «الابهام الخطير» في العلاقات بين سورية وتركيا. وان العلاقات بين هاتين الامتين ستتوثق بعد هذا «الجلاء» بالثقة المتبادلة!

ولماذا لا يعلن وزير خارجية فرنسا مثل هذه السفاسف ويتخذها حجة قاطعة في تبرير العمل الاجرامي الذي تمّ في أنقرة ان الحالة السياسية الداخلية في سورية تحوله أكثر من ذلك فالتفسخ الداخلي الذي بنت عليه «الكتلة الوطنية» آمالها وأعمالها وسياستها وخططها وبذلت كل جهدها وهي في الحكم لتوسعه بتطبيق سياستها الخصوصية لا يسمح بتكذيب ما يعلنه وزير خارجية فرنسا من الاختلافات فسورية اليوم مفسخة مشلولة غارقة في فوضى «الوطنية» غير المنظمة التي حذر منها سعادة في البلاغ الأزرق الذي أصدره في 15 حزيران 1936 حين وصف كيف ان الكتلة الوطنية لجأت الى المفاوضات لعقد معاهدة تحل محل الانتداب من غير ان تكون أمنت الوحدة بالفعل» خصوصاً قوله «لو أن التعاون مع نهضة الحزب السوري القومي التنظيمية سار

في طريق فسح المجال للعمل الموحد أو المشترك لما كنا الآن في شكوك كثيرة من نتائج المفاوضات الباريسية».

الحقيقة ان لجوء فرنسا الى الاعتراف باستقلال الشام ولبنان وعقد معاهدتين بدلاً من الانتداب لم يكن سوى خطة سياسية اضطرها لها ظهور الحزب القومي بدليل تصريح السيد باستيد الذي كان آنئذ رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب الفرنسي وقد أدرك سعادة حقيقتها في حينها وعدها في بلاغه الازرق «مناورة لاقرار الحالة الراهنة في سورية» بصورة حقوقية انترنسيونية قبل أن يتاح لحركة الحزب السوري القومي اكتساح البلاد. وقد اعترف سعادة في بلاغه المشار إليه صراحة بنجاح تلك المناورة فهو كان يرى مهارة المناورة وسداجة السياسيين الكتوليين الذين انخدعوا بها ووقعوا في شباكها والآن نرى كيف تحققت جميع تقديرات سعادة في سنة 1936 فقد وردت الأنباء بتفكك الامبراطورية الكتلولية الى أربع دول لها شكل اتحاد ضعيف.

ما كانت تكون فرنسا تمكنت من تحقيق وحدة الدولة الشامية بنجرة قلم لو لم تكن أسباب التفكك مهياة في الشعب وليس تنفيذ فرنسا هذا القسم من خطتها سوى دليل على إمكانها ادعاء كل ما من شأنه تبرير معاهدة أنقرة المحرمة.

وضعت معاهدة أنقرة بشكل يوهم انها تسوية مشاكل وتبادل مصالح بين سورية وتركيا فسورية تفقد لواء الاسكندرونة الغني بسهوله الزراعية الكافية لاطعام سكان سورية جميعهم في حالة زراعتها زراعة حديثة لقاء تنازل تركيا عن دعاوها في سورية واقلعها عن بث الدعاوة التركية فيها وهذا القياس لو أطلق لكان على المانيا مثلاً ان تسلم منطقة بافاريا لايتاليا أو ان تسلم فرنسا نيس ومرسيليا ومنطقة الألب الفرنسية لايتاليا لقاء هذه تنازلها عن ادعاءاتها في المانيا أو فرنسا باعتبار انها كانتا تابعتين في زمن ماضٍ للامبراطورية الرومانية!

ان تفسخ سورية الروحي والمادي هو وحده يجعل كلام وزير خارجية فرنسا ذا شكل مقبول أمام العالم المتمدين فيقف مصرحاً به بوجه صفيق، دون حياء ولا خجل، وهذا التفسخ هو الذي يجعل اعادة تجزئة دولة الشام ممكنة وهو الذي يوجد شيئاً من القبول لفكرة اشراك تركيا في الانتداب على الشام فيصبح حقيقة محسوسة وامراً واقعا قول وزير خارجية تركيا لوزير خارجية مصر «ليس بين تركيا ومصر سوى فلسطين»!

لو أن جميل مردم أدرك خطورة ما عرض عليه زعيم الحزب السوري القومي في المقابلة التي جرت بينها في صوفر في صيف سنة 1937 وهو أن يصير اجتماع بين وفدين من الحزب السوري القومي والكتلة الوطنية للاتفاق على كيفية التعاون لانقاذ الوطن

من الخطر المهْدَّد بعد أن أكد الزعيم لمردم أن مهمة الحزب السوري القومي الأولى هي تنظيم الأمة السورية للثبات في معترك تنازع البقاء وأن الحزب لا يفكر في تسلّم الحكم في تلك الظروف وانه يعتقد أن العمل الشعبي الأولي سيستغرق كل اهتمامه مدة بضع سنوات، لو أدرك «الوطنيون» كم هي ثمينة الفرصة التي عرضها عليهم سعادة لانقاذ الوطن وانقاذ موقفهم هم أنفسهم لما كنا خسرنا لواء الاسكندرونة الثمين ولما كنا نشعر بسيف التركي المسلط.

اننا لا نريد أن نبكي الآن كثيراً على الماضي مع انه يستحق البكاء عليه بدل الدمع دماً! ولكننا لكي نستفيد من عظاته وعبره نريد أن نقول أن النهضة السورية القومية يجب أن تفهم جيداً وأن الشعب السوري يجب أن يزيح الغشاوات التي وضعها النفعيون والمنافقون في الوطنية والمؤسسات العتيقة المتحجرة على عينيه وببصر خلاصه في انتصار الحركة السورية القومية التي تقيم الوحدة القومية على أساس متين من العدل الاجتماعي - الاقتصادي وتزيل بعقيدها القومية الواضحة كل خطر على روحية الأمة من الميعان والانحلال.

يقول السيد بونيه أن العلاقات بين سورية وتركيا ستصبح، بعد تسليم جزء حيوي من الوطن السوري للأتراك قائمة على الثقة المتبادلة، وهذا تدجيل سياسي كبير وضلال بعيد فإن الخطر التركي يتعاظم يوماً بعد يوم. وما قبول الأتراك وضع مادة في معاهدة أنقره تنص على اقلعهم عن بث الدعاوة التركية في سورية الا من باب ذر الرماد في العيون. فحادث التسليم المخزي يكفي وحده دعاوة لهم ولنفوذهم وليس أمام سورية الآن سوى الاقبال على الحركة السورية القومية قبل فوات الساعة لانقاذ البقية».

(طالع في باب المستندات كل التفاصيل عن مسألة الاسكندرون)

وطن قومي شركسي

سألت «سورية الجديدة» الزعيم رأيه في مسألة مطالب الشركس الانفصالية ونشرت جوابه في عددها 22 تاريخ 29 تموز 1939 وهذا هو نصه بكامله لما فيه من منطلقات فكرية وسياسية أساسية: «ان هذا الحادث يكون وجهة خطيرة من قضيتنا القومية - الاجتماعية. انه ظاهرة من ظواهر مسائل سورية الاتنولوجية. ولذلك فان معالجة هذا الحادث يجب، وفقاً لمدرسة التفكير القومي، أن تتناول حقيقة أساسه الاتنولوجي. فمدرسة التفكير القومي تأخذ المسائل من أساسها. إنها لا تذهب أفقياً مندفعة مع رياح النزعات الجاححة كما هي الحال في مدرسة الحماس «الوطني» الأهوج،

بل تتعمق عمودياً أولاً حتى تبلغ الأساس ومن ثم تعود فتمتد أفقياً. إن تفكير النهضة السورية القومية تفكير هندسي راسخ، لا تفكير حماس عددي أولي.

كل بحث في وحدة سورية ونهضتها لا تتناول بالدرس قضية تركيبها التكنولوجي لا يصل إلى نتيجة ناجحة. وهذه الحقيقة قد أثبتت وجودها في جميع المحاولات السياسية «الوطنية» الماضية التي انتهت مؤخراً إلى فشل مربع وإلى هذا التفكك السريع الذي كشف عن الأساس الرملي الذي بنت عليه «الكتلة الوطنية» امبراطوريتها السياسية. بمشروع المعاهدة تمت وحدة الشام في أواخر سنة 1936 وبنقض هذا المشروع تفككت هذه الوحدة المثبقة من اتفاق «كتلة وطنية» ودولة أجنبية. هذا هو الأساس الذي بنت عليه «الكتلة الوطنية» قصور احلامها الامبراطورية فوقف جميل مردم في عدة مواقف يهدد الذين لا يدعون لمشئته «الكتلة» باستعمال القوة.

في طور انحطاط سورية الأخير دخلت سورية منذ زمان هجرات كبيرة، كما خرجت منها هجرات كبيرة. وهذا التحول من تركيب سورية التكنولوجي أوجد اضطراباً في حياة سورية الاجتماعية وفي نفسياتها الاجتماعية. وفي هذه الحالة من عدم الاستقرار تفسخت وحدة الشعب السوري النفسية، خصوصاً بما اختلط مع هذا التداخل التكنولوجي من تداخل ديني روحي فتسارع إلى الشعب السوري الانحلال الاجتماعي - النفسي الذي لا يمكن أية وحدة سياسية مبنية على مفاوضات ومعاهدة مع دولة أجنبية ازالة حقيقته وتعطيل التفسخ القومي الذي يؤول إليه. وكل كتلة أو فئة سياسية تدعي أنها ستقود الأمة السورية إلى الحرية والاستقلال بواسطة برنامج سياسي لا يتناول الا الشكل السياسي للأمة هي كتلة أو فئة مضللة دجالة تنقصها كل المؤهلات الضرورية لانشاء قضية قومية واضحة والعمل لها بنجاح.

وعندما تلوم «الكتلة الوطنية» العناصر التي لم تخضع لبرنامجها السياسي وتنسب إليها سبب فشلها تظهر نفسها بمظهرها الحقيقي الذي يشابه مظهر جماعة من الأولاد تندفع على غير هدى فتصطدم ويزعجها الاصطدام فيثور نائرها وتضج وتصخب. ومثل «الكتلة الوطنية» الفئات السياسية التي تعمل بأساليبها وعقليتها فتنتهي بنفسها وبالأمة إلى الخراب الذي تقود إليه جميع الأعمال الاعباطية. واني عندما نددت في بلاغي الأزرق الذي أذعته في 15 حزيران 1936 ببرنامج «الكتلة الوطنية» السياسي وابعتمادها سياسة المفاوضات ومقاومتهم للحركة السورية القومية، التي جاءت الأمة بمبادئ وحدتها الاجتماعية - النفسية، لم أكن متحاملاً قط، بل إني عنيت تماماً ما قلت. وقد رأت الكتلة مبلغ صحة ما عنيت. والذي يؤلني ان هذا العلم قد كلف الأمة ثمناً باهظاً.

عدّلت الهجرات الى سورية ومنها، التركيب الاجتماعي - النفسي (العقلي). فأصبحت سورية مجزأة بين أديان وبين أقوام. فمسلمون ومسيحيون وعرب وأرمن. يتمركز النزاع الروحي في القضايا الدينية بقيت قضية وحدة الأمة مجهولة. الدين كان الأمة. وفي التقاليد الاسلامية، المسلمون أمة فيخرج من معنى الأمة غير المسلمين. ووجود هذا الاعتقاد عند الجماعات الدينية لا يعني شيئاً غير تأسيس الأمة على الدين وتأسيس الأمة على الدين لا نتيجة له غير تحويل الأمة المتعددة الأديان الى أمم متعددة. والدول التي أنشأتها فرنسا في سورية كلبنان والعلويين والدروز أوجدتها الإرادة الأجنبية لتثبيت هذه القاعدة في سورية. ويظل العامل الروحي مجزأً بين العوامل الدينية فلا يكون سبيل لصهر الأقوام الانتولوجية، لأن الطريقة الوحيدة لصهر هذه العناصر هي طريقة تسليط عامل روحي - اجتماعي - ثقافي عليها واختلاف الأديان في سورية وجعل الدين محور كل حياة قضايا بتجزؤ روحية الشعب السوري واجتماعه وثقافته فامتنع العامل الجوهري لصهر الجماعات الانتولوجية. وهكذا عاشت الهجرات في سورية أجيالاً فظل الكردي كردياً والشركسي شركسياً والأرمني أرمنياً والأشوري آشورياً. وكانت الإرادة الأجنبية حريصة على استمرار هذه الحالة الشاذة ففسحت المجال لزيادة الهجرات تنعش الشعور بالرابطة الأولية الذي كان أخذ يتحول، مع الأيام، الى شعور بالرابطة الجديدة مع الشعب السوري والأرض السورية.

هذه هي مشاكل الوحدة السورية القومية الأساسية. أما الحكم والمركزية واللامركزية وتغيير الوزارات وغير ذلك من المسائل فهي شكلية. ولا يمكن أن يقوم حل شكلي مقام حل أساسي. فلما بدأت أعالج قضية أمتي. توجهت الى الأساس أولاً فوضعت المبادئ الأساسية لقضية الأمة السورية ثم رتبت الأمور الشكلية لتتنطبق على الأساس.

من هذه الحقيقة ندرك الفرق العظيم بين عقلية الحركة السورية القومية ونظامها وأساليبها من جهة وعقلية الشركات والفئات السياسية وفوضاها واعتباطاتها من جهة أخرى. انه الفرق بين القضايا الأساسية والمسائل الشكلية وبين الأمور الجوهرية والشؤون الوطنية.

أوجدت مبادئ الحزب السوري القومي العامل الروحي - الاجتماعي - الثقافي الذي يتمكن من صهر الجماعات الدينية والاثنية في سورية وتحويلها الى عناصر متجانسة متلاحمة في صلب الأمة السورية وما كادت الحركة السورية القومية تحمل مشاعلها وتسير حتى أقبلت على ضوئها جميع العناصر الدينية والاثنية فوجدت فيها النور والحرارة. لم تبق في سورية هجرة واحدة، غير اليهودية، إلا ورأت في مبادئ الحزب

السوري القومي العدل الاجتماعي الاقتصادي لجميع العناصر الاثنية التي يتكوّن منها الشعب السوري. لم يقتصر الاقبال على الحزب السوري القومي على السوريين الأصليين بجميع مذاهبهم الدينية، بل تناول الهجرات أيضاً. فهي قد وجدت في مبادئ القومية السورية التأمين على حقها في الحياة السورية لقاء قيامها بواجب الدفاع عن هذه الحياة والاشتراك فيها اشتراكاً فعلياً عاماً. وكم هنالك من شركس أعلنوا أن مبادئ الحزب السوري القومي هي المبادئ الوحيدة، التي يمكنها أن تحول الشركس من هجرة أتنية منعزلة الى عنصر حي في صميم الشعب السوري يضع كل قوته السياسية والحربية في سبيل انتصار القضية السورية القومية، ولكن لا يناصر، بل يقاوم كل حركة لا تحمل هذه المبادئ خصوصاً الحركات السياسية المبنية على فكرة طرد العناصر غير «العربية» من البلاد السورية.

كانت الحركة السورية القومية تحتاج الى لا أكثر من سنة أو سنتين من العمل التعميري الهادىء لتحديث تأثيرها الفاصل في العناصر التي لما تذبّ عصبياتها المستقلة في العصبية السورية. ولكن الدولة المنتدبة في الشمال، فرنسا، أدركت النتائج البعيدة التي ستحصل من انتشار حركة الحزب السوري القومي وامتدادها الى الهجرات الاثنية، التي كانت فرنسا تعتمد على انعزالها عن مجرى الحياة السورية العام في مقاومة نشوء الوحدة السورية القومية وفي خضد شوكة الثورات، كما استخدمت الفرقة الشركسية المشهورة ببلائها في ثورة 1925 وكما استخدمت الأثوريين والأكراد في لواء الجزيرة للانتفاض على مركزية دمشق، وكما استغلت عصبية الأرمن في حالات عديدة. أدركت فرنسا أخطار نمو الحزب السوري القومي فعمدت، قبل كل شيء الى إقرار حالة الفصل بين لبنان والشام بواسطة مشروع المعاهدتين الذي طوي الآن بعد أن أعطى النتيجة التي رمى إليها الفرنسيون. ثم لجأت الى إيقاع الحزب السوري القومي في حرب داخلية بينه وبين الفئات النفعية التي أطلقت فرنسا جراح شهواتها بواسطة اعادة الحياة الدستورية عن طريق مشروع المعاهدة فتشغله في هذه الحرب ريثما تكون نفذت القسم الأول من برنامجها المتعلق مع تركيا فتصبح لها حليفة قوية على هضم الحقوق السورية القومية.

وكانت الفئات العمياء عن كل مصلحة من مصالحها الخصوصية المستعجلة ترى أن هذه المصالح توجب عليها محاربة المنظمة القومية، التي تمثل المصلحة القومية العامة فاندفعت في هذه الحرب بشراسة. ولا بد من الاعتراف بأن هذه الحرب التي اندفعت فيها تلك الفئات المجرمة قد استفرقت قسماً عظيماً من جهود الحركة السورية القومية.

ولكن هذه الحركة تمكنت بجلدها العظيم ومناقبها المتينة من توليد فاعلية قوية تناولت الهجرات الاتنية وأثرت فيها بعض التأثير المحسوس.

رأت فرنسا أخيراً أن الحكومات المحلية التي أنشأتها في بيروت ودمشق لتنفيذ خطتها ضد النهضة السورية القومية الموحدة عناصر الأمة لم تتمكن بعد عراك ثلاث سنوات ونيف، من إيقاف تقدم المبادئ السورية القومية وتغلغلها في أوساط الشعب بانتشار الحزب السوري القومي فعمدت الى تنفيذ القسم الثاني من خطتها بعد أن عجلت الاتفاق مع تركيا، وهو يشتمل على تجزئة منطقة الدولة الشامية وإثارة النزعات الاتنية بحثها العناصر الاتنية في لواء الجزيرة والمناطق الداخلية على الانتفاض على الحكم الوطني والمطالبة «بوطن قومي» مستقل.

وكانت حكومة «الكتلة الوطنية» قد ساعدت السياسة الفرنسية مساعدة كبيرة بسياستها الخصوصية الضيقة مع هذه العناصر الاتنية، خصوصاً الصحف الكتلية - العروبية التي أخذت تهدد «شذاذ الافاق» كما أسمت الجماعات الاتنية النازلة في سورية، بالطرد فنشرت هذه الجماعات من الاستقلال وجعلتها تنحاز الى الجانب الأجنبي.

تعجلت فرنسا بتنفيذ هذا القسم من سياستها، لأنها تشعر بخطر الحركة السورية القومية يستفحل وبأن قبضتها على الجماعات الاتنية ستحلّ بادراك هذه الجماعات ان مبادئ الحزب السوري القومي تؤمنها على حياتها ضمن القومية السورية وتشركها في حقوق الشعب السوري وواجباته، بدلاً من الطعن في أصولها وتهديدها بالطرد والتشريد كما فعلت الشركات السياسية التي لم يظهر رجالها أي فهم لقضايا الأمة السورية الاتنية والنفسية.

هذا شكل جديد من أشكال الصراع بين الحركة السورية القومية والسياسة الأجنبية. أن الأخبار التي وردتني تثبت أن فرنسا تولت محاربة الحزب السوري القومي بنفسها مباشرة، بعد أن كانت تحاربه بواسطة الحكومات المحلية وتريد فرنسا ان تستعمل في هذه الحرب كل سلاح ثقافي - روحي، لأنها تعلم ان الحركة السورية القومية لا يمكن أن تقاوم مقاومة فعالة بالسيف.

ان الحزب السوري القومي يدرك جيداً السياسة الفرنسية وخطتها ويعرف أساليبها وينمو قوة الحزب السوري القومي يقضى على كل سياسة أجنبية ترمي الى خراب الشعب السوري. بهذه الثقة يعمل السوريون القوميون في جميع أنحاء العالم!

في محافظة اللاذقية

كانت معالجة الوضع السياسي في هذه المنطقة من الوطن السوري من أوليات الاهتمام الحزبي الرسمي المركزي، ففي محافظة اللاذقية تياران أساسيان، تيار وحدوي وتيار انفصالي. التيار الوحدوي يمثل في الحزب السوري القومي الاجتماعي المنتشر انتشاراً واسعاً في كل بلد وقرية ودسكرة، خصوصاً في جنوب المحافظة التي تضم بانياس، طرطوس، صافيتا وتلكلخ بما فيها الحصنان، الغربي والشرقي والتيار الثاني تيار له طابع سياسي بحث ممثل باتباع الكتلة الوطنية الذين جلهم ان لم يكن كلهم من السنيين الموجودين في المدن من جهة ومن جهة أخرى ممثل بفريق علوي ممثل بعشيرة الحياطين التي رئيسها جابر العباس وكان كل من هذين التيارين الوحدويين مستقل عن الآخر بالرغم من جهود الحزب للعمل المشترك مع بعض حلفائه من التيار الانفصالي القائلين بالانفصال عن سياسة الكتلة والقابلين بالوحدة على الأساس السوري القومي الاجتماعي.

أما التيار الانفصالي فهو ممثل بفريقين: فريق ابراهيم الكنج وهو من رؤساء عشيرة الحدادين ورئيس دولة العلويين سابقاً وفريق مستجد هو فريق سليمان مرشد المدعي الربوبية وأصبح اسمه «الرب». كان عمل الكنج انفصالياً بكل معنى الكلمة لكنه يتوسل السياسة سبيلاً إليه بكل ما في السياسة من مناورات لا تخلو في بعض الأحيان من الضغط والعنف أما عمل «الرب» فقد كان انفصالياً أيضاً ولكن يريد أن يبني مملكة له على الأرض فمارس كل أنواع الوسائل للوصول الى غايته المنشودة بما في ذلك أعمال السلب والنهب وقطع الطرق، الخ...

لمعالجة هذا الوضع الخطير المتفجر عقد رئيس المكتب السياسي المركزي نعمه ثابت يرافقه عميد المالية جبران جريج بصفته خبيراً بشؤون المنطقة، عقد مؤتمراً سياسياً في محلة «عين الكرم» في قرية «رأس الخشوفة» التابعة لقضاء صافيتا. ضم هذا المؤتمر



نعمه ثابت

بعض العناصر الحزبية من منطقة هذه المحافظة وذلك للتداول بشأن الخطة السياسية الواجب اتباعها حيال الحوادث المحلية يضاف اليها فقدان اللواء وانهيار الكتلة الوطنية أو بالنسبة للوضع الانترنسيوني المنذر باندلاع الحرب.

دام المؤتمر نهراً كاملاً وبالنتيجة تقرر الاستمرار بالتعاون مع الكتلة الوطنية بالرغم من سلوكها السيء. أذكر من الذين اشتركوا في المؤتمر المذكور الرفقاء خالد الكنج الدندشي، عزيز حديد المحامي، الدكتور صادق الطيار، محمود أحمد حبيب، وأديب غازار.

وقد تجلّى تطبيق هذا القرار عندما زار المفوض السامي الجديد المنطقة فاستقبل استقبالاً حاراً من قبل الفرقاء الانعزاليين أظهر ضعف الوجدوين. تجلّى تطبيق هذا القرار عندما تظاهر القوميون الاجتماعيون بعدد يقرب الخمسة الاف في منطقة صافيتا وقدموا للمفوض السامي مذكرة إضافية تحليلية للموقف تقبلها بكل سرور دبلوماسي.

وقد تم ذلك رغم ضغط زعماء العشائر الانفصاليين ورغم العراقيل التي وضعها ضباط الاستخبارات الذين حاولوا بجميع الوسائل منع السوريين القوميين من إظهار شعورهم نحو وحدة بلادهم واستقلالها. استحق هذا الموقف شكر وتقدير محافظ المنطقة إحسان الجابري الكتلوي الانتفاء والسياسة فكان تصريحه الشهير «أنتم الحزب الوحيد في سورية الذي يعمل بحق لسيادة البلاد ولا يدفعه سوى الاخلاص والتفاني بحب الوطن». لم تطل مدة بقائه في منصبه فقد خلفه شوكت العباس، النجل الثاني لرئيس عشيرة الخياطين، جابر العباس.



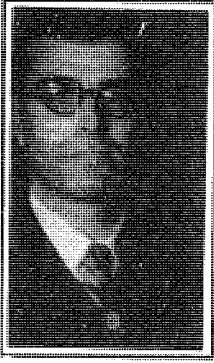
المحافظ إحسان الجابري.



الدكتور صادق طيار

اعتقال أديب عازار

على أثر زيارة المفوض السامي للمدن السورية قامت المظاهرات والاضرابات فيها، منها مدينة اللاذقية فأوقفت السلطة الفرنسية عدداً من المواطنين وبينهم الرفيق أديب عازار. لا يمكن أن يوصف ما نال هؤلاء الموقوفون من أنواع الاهانات والتعذيب والضرب وقد أصاب رفيقنا القسط الأوفر لأنه سوري قومي اجتماعي. هذا ما حدث على يد من يدعون انهم «حماة الديمقراطية والعدل الانساني». وقد تسبب هذا القسط الوفير من التعذيب الوحشي للرفيق أديب عازار ان اضطر السجانون على إحالته الى المستشفى لاجراء عملية له. ومع ذلك أحيل الى المحاكمة في حلب في 4 تموز وصدرت أحكام عليه وعلى زملائه لم أعد أذكر مدتها لكني أذكر أننا استفظعناها.



الرفيق أديب عازار

مديرية بيت الشيخ يونس

لا بد من ذكر كلمة في باب الاضطهاد، ذلك العمل الذي قام به البعض في «بيت الشيخ يونس» التابعة لقضاء صافيتا بعد النكسة التي أصابت مديريتها وذلك في سجن مديرها الرفيق الشيخ عبد اللطيف يونس بضعة أيام في الجامع لارتكابه خطيئة انتمائه الى الحزب السوري القومي الاجتماعي والعمل له. أدى هذا السجن الى توقف الرفيق المذكور عن العمل الحزبي الذي أدى به في النتيجة الى ابتعاده عن الحزب رويداً رويداً واتجاهه الى عمل سياسي من نوع آخر.

ختام توضيحي

وفي ختام الكلام عن الوضع السياسي الحزبي الاجتماعي في هذه المحافظة لا بد من اعطاء بعض التوضيح لانارة السبيل نحو تفهم هذا الوضع وعظمة العمل الحزبي النهضوي الذي اجترح العجائب. ان سكان هذه المحافظة هم بأكثرية من العلويين والعلويون عشائر متضاربة الميول. أكبر عشيرة هي عشيرة الحدادين. فإن كانت عشيرة

الحدادين انفصالية فعشيرة الخياطين وحدوية وقس على ذلك أو كذلك يعكس ومن العشائر عشيرة المتاوررة، عشيرة البشارغة وقد اشتهرت في أعمال رئيسها الشيخ صالح العلي في محاربة الفرنسيين، وعشائر صغيرة العدد كعشيرة الميلاتية وعشيرة الرشاونة أو عشيرة الدراوسة. ان الحزب السوري القومي الاجتماعي غزا هذه العشائر جميعها وأصبح له فيها أعضاء كما أنه غزا المدن الساحلية السنية وأصبح له فيها أعضاء وكذلك الأوساط المسيحية من أرثوذكسية ومارونية وأصبح له فيها أعضاء فتحول هذا الخليط الفسيفسائي الى هيئة اجتماعية واحدة أمة واحدة مجتمع واحد.

«هنا في هذه اللحمة الاجتماعية تكمن قوة الحزب السوري القومي الاجتماعي التي جعلت لأي موقف من مواقفه وزنا يعتد به وما يزال».

في طرابلس

واني اقتطف من النشرة الاحتفالية بمناسبة أول آذار لطلاب طرابلس بعض المقاطع الأدبية الجميلة الرائعة التي تنبض بالوجدان الصافي. «جميل أول مارس. وصنديد اله الحرب مارس. فما أقواك وما أجملك، يا ابن مارس، يا مهجنتنا، يا أمل الأمة، يا شمس سورية في غيومها المتلبدة المكفهرة. ووردتها النضرة الباسمة عن أحلى المعاني وأعذبها بين الأشواك المتشابكة». «نحن نهنتك في عيد مولدك الميمون حيث نجدد الهمم ونقوي العزائم الى المثل العليا. فلأول مرة في تاريخ حياتنا، نحن معشر الطلبة في طرابلس نظهر شعورنا في عيد ميلادك الكريم نحو شخصك المحبوب. لا زلت وحيداً في قلوبنا. طلاباً كنا في نقاء سريرتنا أم رجالاً في أعمالنا أم أبطالاً في ساحات الشرف التي تنتظرنا وتهلل لنا».

«ونحب بعد تهنتنا هذه، ان نصارحك، يا أمل الأمة الأخضر، بأن البلاد في حاجة ماسة اليك فهي كما كانت من قبل منقسمة والأفكار مضطربة والآراء متشعبة والجو مكفهر، الجماعات تطالب بالانفصال في جبل الدروز، وتثير الفتن في العلويين وتنتشر الدعاوات الاستعمارية في ساحل البلاد وسلاسل جبالها. على أن جنوب الوطن لم يكن بأسعد من شماله وجباله وساحله. النار تأكل المزارع والرصاص ينهمر سيلاً على الامنين المسالمين، المساكين». «كأن التاريخ سخرية الساخرين والوطن العوبة اللاعبين والمجد أحاديث فكاهات وخرافات».

«هذه حالتنا في طول البلاد وعرضها، حالة مبكية تبعث التشاؤم والكفر بالوطن والوطنية لولا وجود محط الامال ومجدد الهمم، زعيمنا المفدى، آملي أن يكون أول مارس القادم عيد الأمة قاطبة، عيد التحرر والاستقلال، عيد الشباب الهازج، عيد البطولة الخفاقة، عيد الاتحاد المتين، عيد القومية السورية الظافرة...»

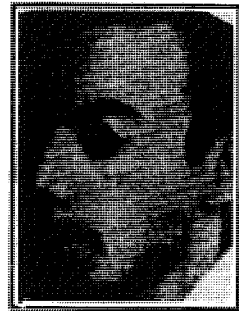
معلومات عامة

الرد على محمد النقاش

كان الصحفي محمد النقاش من الذين انضموا الى الحزب السوري القومي الاجتماعي في فترته السرية ولكن يبدو ان انتفاءه لم يكن مبنياً على أسس متينة صلبة في العقيدة والنظام بل كان انتفاءً سطحياً ما لبث ان تفكك عند أول هزة من هزات الملاحقة والاضطهاد منذ انكشاف أمر الحزب ومثوله أمام المحقق. لم يقف الامر معه عند هذا الحد بل تعداه الى ما هو أفظع بكثير فقد كتب مقالاً في جريدة «صوت الاحرار» بتاريخ 26 حزيران 1939 تناول فيه مرور الزعيم بايطاليا والمانيا وبعض الاخبار التي نشرت في جريدة «سورية الجديدة» والتي يشتم منها رائحة التحيز الى دولتي المحور ومع انه لا شيء يثبت ان الزعيم هو الموجه لها فقد استند اليها النقاش ليشتم الى اتهام الزعيم بالدعاية الاجنبية. عنوان المقال «انظون سعادة داعية لايطاليا والمانيا». وسيظهر فيما بعد موقف الزعيم من هذه الأخبار) جاءت ردود كثيرة على هذا المقال، لكنني اخترت اثنين منها صدرا عن طرابلس. واحد من الامين أنيس فاحوري، على الأرجح، والثاني من الرفيق احسان سوق الذي كان ما يزال طالباً.



الرفيق احسان سوق



الصحفي محمد النقاش



صورة تذكارية

الى جريدة صوت الأحرار

تحت هذا العنوان: الى جريدة صوت الاحرار ومأجوري الاستعمار، كلمة صريحة.

جاء من طرابلس هذا البيان الذي نقتطع منه الفقرات الهامة التي وردت فيه:

«... ونحن لا نعتقد مهما كنا أغبياء أن جريدة واحدة تجرأ على نشر هذه الكلمة ولكن هذا لا يمنع ارسالها كلمة صريحة الى جميع الجرائد ليطلع عليها من ينظر اليهم بأنهم قادة الرأي العام وليطلع عليها السيد نقاش ومن هم على شاكلته في فهم الأمور القومية ومعالجتها على الأساليب السياسية العتيقة.

«عندما أقدم سعادة على تأسيس الحزب كان يعرف جيداً جميع هذه الاعتبارات فوقف دون خشية ولا وجل ولا تردد فأقسم اليمين على أن يقود هذه الأمة في الطريق القويم ويخرجها من حقيقة الامر الواقع المرة ويوصلها الى شاطئ السعادة. أخذ سعادة على عاتقه أمر تحقيق هذا الأمل القوي الذي لم يجرؤ أحد قبله على التفكير به.

«وهكذا نرى بأن الحزب السوري القومي قد انبثق عن العبقرية السورية بالذات وليس هو صورة عن المنظمين الفاشستية والنازية كما ذكر السيد نقاش...».

«الفرق شاسع بين منظمة الحزب السوري القومي وبين المنظمين الفاشية والنازية. الأولى - حركة بعث وانبثاق لحضارة قديمة في أمة عريقة والثانية حركة توسع واعادة مسلوبات لامتين خرجتا من الحرب الكونية بخفي حين». «إن المسألة واضحة الآن: أمة مفككة مقسمة الى دويلات تحت انتدابين، ونهضة قومية في البلاد تسعى لتغيير الوضع الراهن المفكك وبعث أمة قوية موحدة، وتناحر في الغرب بين جهتين احدهما هي السيطرة على بلادنا ويهمها بقاء الحال من تقسيم وانتداب وذل واستعباد وبتر أجزاء غالبية من الوطن ترضية للغير في سبيل حفظ مصالحها. وجمع شذاذ الافاق ليكونوا وطناً لهم وطرد أبناء البلاد واماتتهم جوعاً وقتلاً، الخ... والأخرى تناصبها العداة وتحاول مقاسمتها النفوذ».

«لا ننكر ان الجهتين قد ضررتنا بسهم وافر من الاستعمار والسوريون القوميون لا يفاضلون بين استعمار واستعمار أو انتداب وانتداب بل هم يطلبون دوماً وأبداً الاستقلال التام المطلق على الأسس التي وضعها الزعيم. غير ان العبرة ليست في مجرد الاستقلال فقط بل في ترتيب الخطط واختراع الأساليب وانهاز الفرص في سبيل تحقيق هذه الفكرة. وهذا ما عجز عنه جميع سياسي هذه البلاد منذ قامت الحركات التحريرية قبل الحرب وبعدها. غير ان ما عجز عنه الجميع سيحققه فرد واحد، هو سعادته، لأنه ضرب بجميع الاعتبارات القديمة عرض الحائط وخطت خططاً جديدة سار عليها، خططاً مبنية على أسس علمية منطقية، خططاً لا يفهمها محترفو السياسة وظيفيَّوها، خططاً هي شوكة في فراش المنتدبين الوثير، فسعادة ليس بداعية ايطالي أو الماني بأكثر مما كان جورج واشنطن داعية إفرنسي أو غريلدي أو مازريك داعية أميركاني».

«الاقاتل الله المصالح الخاصة المعجلة التي تعمي اصحابها عن فهم الحقائق العميقة والتي تجعل منهم عبيداً «أحراراً» لخدمة المستعمرين ودعاة لأكبر المجرمين. الا قولوا لنا أيها المنتفعون من الأوضاع الحاضرة في البلاد ماذا فعل الانتداب الانكليزي الفرنسي - في سبيل أبناء البلاد؟ هل هي خدمة لسورية ان يتخلل الجيش الافرنسي بعد الحرب العالمية عن كيليكيا ويتركها غنيمة باردة للأتراك يضيفونها الى بلادهم وهي جزء لا يتجزأ من الوطن السوري؟... أم أن مصلحة البلاد في حشر الصهيونيين في جنوبي سورية لينشئوا وطناً يكون خطراً على وحدة البلاد القومية وموطئاً جديداً لمسمي الاستعمار. أمصلحة البلاد في تقديم اللواء هدية صداقة لدولة عدوة تطمع فينا وذلك تأميناً لمصالح الجبهة الديمقراطية، نصيرة العدالة ومنقذة الإنسانية ورسولة السلام؟ أم هي مصلحة البلاد في جعل حكومة في فلسطين وإمارة في الأردن وجمهورية في الشام وأخرى في لبنان ودولة في جبل الدروز وأخرى في العلويين وثالثة في الجزيرة؟ الا أخبرونا، أين هي مصلحة البلاد التي آمنها المتدبون طيلة عشرين عاماً؟

«أتمم يا طلاب المنافع الخاصة المعجلة ومأجوري الاستعمار الذين تشيدون بأعمال الجبهة الديمقراطية ما زلتم أطفالاً في السياسة تلهون بالصدف على رمال الشاطئء. أما السوريون القوميون، اتباع سعادة، فقد فهموا الحقائق كما يجب أن تفهم ودرسوا التاريخ كما يجب أن يدرس وعرفوا الطريق المثلى لخدمة وطنهم وانقاذه مما هو فيه واهتدوا الى قائدهم ومرشدهم للمجد والفخر وهم سائرون. رؤوسهم الى العلاء وصدورهم الى الامام وخطواتهم ثابتة موزونة لا يعرفون مصلحة سوى مصلحة بلادهم ولا وطناً الا وطنهم الكبير الممتد من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب».

«إن التاريخ يسير بسرعة والأمة اليقظة هي التي تماشى سرعة التاريخ والأمة السورية ليست بحاجة الى مأجوري الاستعمار لينقذوها بل هي تعتمد على الابطال في ساحات النضال وتتبع القائد الحكيم، ذا الفكر النير الثاقب الذي يرى الأمور قبل حدوثها ويتكهن بمصائرهما ويرسم خطته لاغتنام الفرص السانحة - أما عبيد المصالح الفردية المعجلة واذئاب الاستعمار فلا وزن لهم في تقرير مصير أمتهم».

سعادة داعية لسورية

تحت هذا العنوان نشرت جريدة «النجوم» الطرابلسية في عددها 262 الصادر بتاريخ 12 تموز المقال التالي بقلم الطالب إحسان سوق من طرابلس: «نشرت جريدة «صوت الأحرار» الصادرة بتاريخ 26 حزيران مقالاً رئيسياً تحت عنوان «سعادة داعية لمانيا وايتاليا» وكاتب هذا المقال هو السيد محمد النقاش الذي أخذ على عاتقه اطلاع

الرأي العام على اكتشافه الخطير فجاءت تأويلاته خلافاً لما يريده. فبينما يجهد عبقريته الفذة ليدلنا على وجهة التهمة إذا بنا أمام الوهم والخرافات فلم يكن كاتب المقال متأدباً لأنه لم يستعمل النقد لغاية شريفة سوى الاستهزاء والسخرية والطعن والذم والقبح بشخصية الزعيم التي كانت ولا تزال مطمح انظار هذا الشعب اليائس منذ أجيال.

«يقول الكاتب ان الزعيم قد نزع عن البلاد قاصداً المانيا، وكم كان أولى به أن يقول ان الزعيم سافر الى أوروبا ليطلع الرأي العام العالمي على قضية بلاده ويمثلها أمام العالم الراقي. وليس العالم الراقي كما يريد البعض قسماً من الأمم الديمقراطية كما انه ليس المانيا وايتاليا كما يريد أن يؤول الاستاذ. ان العالم الراقي هو تلك الأمم التي تؤلف الانسانية فعلياً أن نثير قضيتنا أمام الانسانية لأننا جزء منها. أما أن يحتفى بزعيم الحزب السوري القومي فهذا دليل على سمو مكانته عند الأمم. وإذا لاقى الأستاذ أنطون سعادة الحفاوة والتكريم فذلك لأنه يستحق كل احترام وتكريم وتعظيم. بيد أن الزعيم لم يتوجه الى المانيا من تلقاء نفسه بل بموجب دعوة رسمية أرسلت اليه من فرع الحزب في برلين الذي أسس منذ سنة تقريباً وهذا الفرع يجمع خيرة الطلاب السوريين الذين لم ينسوا وطنهم رغم بعدهم عنه وقد نشرت جريدة سورية الجديدة الدعوة الموجهة الى الزعيم في عددها الثالث.

«... ثم توجه سعادة الى البرازيل من أجل تمثيل رغبات الشعب السوري فأطلع المهاجرين السوريين على حالة وطنهم الحقيقية كما هي فكان خير داعية لسورية في أوساط الشعب البرازيلي. وهناك استقبل عند وصوله الى سان بولو من الجالية السورية ولم يذكر الكاتب شيئاً عن الحفاوة التي لاقاها الزعيم هناك من لدن حكومة ديموقراطية كحكومة البرازيل.

«يقول الكاتب ان بوادر الفهم الصحيح (كذا) ابتدأت تتسرب الى المؤمنين بالحزب ولم يذكر من أين أتت بوادر الفهم؟ فليسمح لي الأستاذ أن أقول له من أين. عندما علم الزعماء الانتهازيون في بلادنا أن مبادئ سعادة أخذت تنتشر بسرعة زائدة وتكتسح المهاجر السورية ارغوا وازيدوا وراحوا يشيعون ويلفقون ان الحزب السوري القومي هو عدو للعروبة والاسلام فلما أفلسوا من هذا الادعاء الفارغ ابتدأوا يزعمون أن الحزب هو داعية للمحور، الخ... متهجمين على سعادة وأتباعه تهجماً فارغاً. وأخيراً توجه فخري البارودي ومن لف لفه من الزعماء الى المهجر وأخذ يبشر لزعامته وزعامة الكتلة الوطنية التي انسحب منها مؤخراً. وكان هذا التبشير طريفاً الى جمع الأموال من المهاجرين باسم فلسطين تارة وباسم المكتب العربي تارة أخرى. ولم يكتفِ البارودي وغيره ان أثاروا نعرات مختلفة دينية ودموية هناك بل أخذوا يحاربون الحزب

السوري القومي بما لديهم من الأساليب التي لا تسلك الا على العميان وضعيفي النظر وربما غرّت البعض ومن جملتهم الشاعر فرحات (وقد رد نصوح الخطيب على الشاعر فرحات).

«والآن نعود الى السيد نقاش الذي يقول «على كل حال ليس قصدنا من وراء هذه العجالة ان نناقش الحزب السوري القومي عقائده وأساليبه فهذا بحث تناولته الأندية وبعض الصحف بما فيه الكفاية». كان جديراً بالأستاذ نقاش ان يدلنا على ناد واحد من الاندية التي يعرفها هو استطاع ان يبرهن لنا اننا لسنا من أمة سورية وان سورية ليست أمة جدية بأن تحيا. وإذا كانت صحافتنا تتكلم بالأمم والقوميات غير عارفة ما تقوله وما تريده فتارة تقول الأمة السورية وطوراً الأمة العربية وآونة الأمة اللبنانية وأخرى الأمة الاسلامية فيكون نسبنا إذا صحت هذه المزاعم الى أمم متعددة لا عهد لنا بها... ، فالسيد نقاش لم يخبرنا يوماً عن استطاعته وكفاءته النادرة، انه جدير بأن يبين لنا خطأ فكرة الحزب وسمو فكرته التي لا نعرف عنها شيئاً.

«وأخيراً، يحاول الكاتب ان يستنتج من كتابة جريدة «سورية الجديدة» انها داعية المانية وايتالية... اما الصورة الكاريكاتورية التي يريد منها الكاتب إثارة استفزاز «الديمقراطيين» فهي لا تمثل رغباته في ذلك فليس من يتكلم عن حقيقة الحالة الدولية له غاية أو قصد من وراء ذلك واننا لم نلفت نظر أحد للصور الكاريكاتورية التي تنشر يومياً في صحافتنا وفيها ظاهرة الوحشية والمهجمة الفاشستية والنازية ولم نعاتب أحداً على عداته أو حبه لنظام دون آخر. فنحن نعتقد بأن هذه الصور كلها تمثل آراء مصوريها في الحالة الدولية والأنظمة العالمية. ومن جهة ثانية لا نرى مقالات «سورية الجديدة» عن الحالة الدولية سوى تكهن سياسي لنتيجة الحرب المقبلة. وإذا دلت الأرقام التي ذكرتها جريدة «بيروت» في هذا الأسبوع عن قوة الديكتاتوريات فلم لا يتهمها السيد نقاش بالدعاوة لدول المحور؟

والحق الذي يجب ان يقال ان الكاتب كما رأيت من كتابته يميل الى الديمقراطية وهذا لا يعني بأنه ديموقراطي ولكنه يؤيد سياسة الديموقراطيات ويعتقد ان هذه الدول لم تستعمر ولم تستعبد ولم تسفك الدماء البريئة!

ان حملة «سورية الجديدة» الموجهة الى الديمقراطية المزيفة قد آلمت الاستاذ طبعاً ولا بد من القول ان جميع الدول طبعت على الاستعمار وسفك الدماء وان الانسان بطبيعته يحب التعدي وليس من مبرر للقول ان هنالك ديموقراطية وهنالك اقطاعية وظلم وارهاق. وكما كان أولى بالأستاذ أن لا يتحيز لفئة دون أخرى بل يدرس الأمور

والأوضاع والاتجاهات على ضوء مصلحة بلاده التي يدعي خدمتها كما يفعل الفاهمون
المخلصون ولكن، يا للأسف!!!»

في الكورة

أما في الكورة فقد بدأت السلطة المحلية الممثلة بالقائمقام عملية ضغط على المنفذ
العام جورج إبراهيم عبد الله، مدير المدرسة العلمانية في عابا. كان هذا الضغط كناية
عن تهديد بإقفال المدرسة إذا استمر بممارسته العمل الحزبي.



جورج إبراهيم عبد الله

حفلة جناز

كان نهار الأحد الواقع فيه 9 تموز 1939 موعد حفلة جناز الرفيق موسى أسعد
منصور المتوفى في بوابلا - المكسيك والتي أقيمت في مسقط رأسه بيترومين الكورة. وقد
دعا ذوهو مركز الحزب بصفة الفقيده جندياً من جنود النهضة القومية فانتدب المركز
الرفيق جبران جريج لتمثيله. وقد ذكر الرفيق جريج في تأبينه مآثر الرفيق الفقيده بالرغم
من قصر المدة التي انقضت على انتمائه وبالرغم من محدودية الامكانيات يكفي انه كان
من المحرضين على العمل العمراني وقد أشرف بنفسه على شق الطريق التي توصل
بيترومين بالطريق العمومية بين ددة وفيح (طريق العقبة) كانت المدة قصيرة ولكن
عمله باق ليخلده في مجتمعه. وقد أدت فرق المنطقة التحية لرسم الفقيده وقدمت
المنفذية اكليلين باسمها وباسم المركز وقد ابنه أيضاً سيادة مطران طرابلس للروم
الارثوذكس.

محاولة جهيضة

دعا الفرد يزبك من أميون - الكورة عدداً من الشباب لتناول الطعام على مائدته

في مأدبة أرادها كبيرة في منزله العامر. وفي حفلة الطعام هذه تأسس فرع للفلاحين وما ان انتهت هذه الحفلة حتى انفض الاتباع.

هذه المحاولة الجهيضة صورتها جريدة «البشير» حسب عاداتها نصراً مبيناً مما استدعى تسجيل رد فكان ذلك بمقال تحت عنوان «لبنانكم ولبناننا» بتاريخ 12 آب 39 بقلم «ابن الكورة». وهذا نص المقال: جريدة «البشير». في عددها الصادر في 21 آب الجاري البشري الى عمالها بأن الكتائب اللبنانية قد أسست في الكورة فروعاً لها. زفت البشري لهم واستطردت تقول ان لهذه البشري أهميتها لأن الكورة كانت (وكر) الحزب السوري القومي واستنتجت بأن الحزب السوري القومي يلفظ أنفاسه الأخيرة في وكره.

من فمك ادينك. تقول «البشير» ان مائدة الفرد يزيك قد جمعت حولها مئة شخص. ومن يعرف مبالغات البشير في مثل هذه الأمور يعرف جيداً ان هذا العدد لم يزد على الثلاثين من اذنان أحد المتزعمين المعروفين في الكورة بالعمل في جميع الظروف لمصلحته الخاصة وهو القائل عن اتباعه انهم اكلة طيبخ لا يركن اليهم. وقد قال لي في ذات يوم وهو يظنني من الحيايين، ان أكثر هؤلاء قد اتوا للأكل فقط. فإذا كان مئة شخص اجتمعوا للأكل على مائدة شاب شاء ان يتشبه بالمتزعمين في البلاد يبذل ماله لشراء ما لذ وطاب يعني عند البشير ان الحزب السوري القومي يلفظ أنفاسه فماذا تقول البشير في جميع المنطقة التي يقر أصحابها بأنها (وكر) الحزب السوري القومي؟

يا جماعة البشير! ان الكورة ليست وكرًا للحزب السوري القومي بل هي إحدى مناطقه العديدة التي كانت ولا تزال معقلاً حصيناً للروح القومية وللرجولة الحقّة. فإذا فاخرتم بمئة من شباب الكورة فإننا نعود بكم في الذكرى الى صيف 1937 حيث اجتمع حول كتابكم وحول الوحدة اللبنانية هذا نفر الذي تطلبون له وتزمرن فماذا كان من شأنه عندما أعلنت الحكومة اللبنانية حل الحزب وفروعه؟ من من هؤلاء الأبطال تجرأ أن يعود اليكم ويقول «اني كنت أعرفكم»؟

من منهم تجرأ على المباهة بالعمل لكيان لبنان الجزويقي؟ ان روح المسكنة والذل لم تزل في نفوس الكثيرين من أبناء لبنانكم، هذا الجيل المسكين بكم وبالذين تنمو في قلوبهم بذرة الاستعمار التي تررعونها.

أما لبنان البطل، أما لبنان معقل الأبطال، أما لبنان الفاهم المستنير العامل المضحي، الباذل دمه وماله في سبيل قوميته السورية، في سبيل الأمة السورية جمعاء، فأنتم غرباء عنه. ان لبنان الذي يرضى بأن تحميه حراب السنغاليين، لبنان الذي

يفرح عندما تعمل أعقاب بنادق العبيد في صدور أبنائه، لبنان السباق الى المذلة واحناء الرقاب لنيركم ونير الاستعمار هو غير لبنان الذي تحميه أبطال الزوبعة الحمراء.

يا جماعة الجزويت! هنيئاً لكم بالمئة أو الألف من الذين خبرناهم. هنيئاً لكم بلبنان الذي يعرفكم ويريدكم. اما لبنان الحزب السوري القومي، لبنان الأمة السورية، فهو معقل لاشاوس الأمة يمد يده الى الشرق والشمال والجنوب فيكون مع الشرق والشمال والجنوب من سورية يداً واحدة وقلباً واحداً ودماً واحداً يسيل على حد الطباة وصدراً واحداً يقتحم شظايا المدافع للدفاع عن الكرامة (الغريبة عنكم) وعن العزة القومية التي مهما نفثتم من سموم فلن تؤثر فيها.

أما الكورة فستظل الى الأبد معقلاً للقومية ومنبتاً للأبطال وستهتف أبداً الى أن تعلم الدهر أمثلة الحياة، الحرّة العزيزة «لتحى سورية وليحى سعادة».

انتهاء المنصوري وزيارة بنت جبيل

خرج السجين محمد أحمد المنصوري، «همشريتي» في سجن الرمل الذي تركت له عنواني حتى عندما يتم إخلاء سبيله يحضر الي لاتمام عملية انتمائه للحزب. خرج السجين المنصوري وفاجاني في مكان عنواني قائلاً لي: «جئت حسب الوعد».

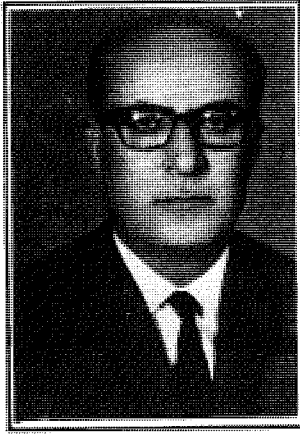
هنأته بالسلامة وسألته «متى خرجت»؟ قال لي: «الآن وقد قررت ان انتسب للحزب قبل ان التقى الأهل والأقارب والأصحاب، لأن القضية قبل الأهل والأقارب والأصحاب. اليس كذلك»؟. عدت وهنأته من جديد على هذه الروحية العارمة واصطحبته معي الى مكان عمل الرفيق أحمد مفتي، في محلة باب ادريس، ومن هناك استدعيت الأمين بشير فاخوري الذي وافاني حالاً وتمّ انتمائه بحضور الشاهدين حسب الأصول واتفقنا على ان نلتقي في وقت لاحق لارافقه الى بلده ونعقد اجتماعاً اذاعياً ننشئ فرعاً للحزب فيها. بلده عيرون التابعة لقضاء بنت جبيل.

تمّ اللقاء الثاني بعد ربح يسير من الزمان وترافقنا الى عيرون ووجدت إنه كان قد بشر بعض المواطنين بالمبادئ السورية القومية الاجتماعية فأدخلت منهم ثلاثة تبين لي بعد الاحتكاك بهم أنهم صالحون وكلفته ان يكون مفوضاً لهذه المفوضية الناشئة واغتنمت فرصة مبيتي ليلة في البلدة المذكورة فقمتم بزيارة لمديرية بنت جبيل وعقدت اجتماعاً لها.

كانت مناسبة وجودي في بنت جبيل مع الرفيق المنصوري فرصة لي للتعرف الى المواطن الوجيه علي البزي الذي كان قد بدا نجمه يلمع في المنطقة.

تمّ هذا التعارف على يد الرفيق المنصوري الذي كانت تربطه به علاقة اجتماعية صرفة عدا عن حسن الحوار. زرتّه في منزله وحدثني حديث الأصدقاء وأبدى لي إعجابه بالحزب خصوصاً لجهة تركيزه على محاربة الخط الصهيوني. هذه كانت حصيلة انتهاء المنصوري ومرافقتي له الى عيرون فبنت جبيل.

تبعّت هذه المفوضية صور التي أصبح مسؤولاً فيها الرفيق خليل حلاوي الذي رافقني إليها وإلى بنت جبيل في مناسبة ثانية تفقدية وبعدها أعلنت الحرب.



خليل حلاوي

في سورية الجنوبية والعراق

أصبحت الثورة في الجنوب السوري بنكسة فادحة فبعد مقتل القائد عبد الرحيم الحاج محمد، قائد منطقة نابلس وانبث قادة الثورة وأشدهم مراسا وبعد استشهاد عدد من مساعديه، حولت السلطة قواها الى قائد منطقة القدس ورام الله عارف عبد الرزاق، المشهور ببسالته وقوة الشكيمة فحاصرته في منطقة الحدود فانسحب الى الضفة الأردن الشرقية فالشام حيث استسلم لحكومتها التي عدّته مع مرافقيه لاجئين سياسيين. وقد استسلم أيضاً الى الدرك اللبناني بضعة عشر عنصراً فعملوا أيضاً معاملة اللاجئيين السياسيين. فهل هذا ايدان بانتهاء الثورة.

الكتاب الأبيض الانكليزي

وفي هذه الأثناء صدر ما سمي «بالكتاب الأبيض» المعبر عن السياسة التي تراها بريطانيا ضرورية للقيام بمسؤوليتها المتدبة لها من قبل العصبة الأممية. في مقدمة الكتاب تذكرنا الحكومة الانكليزية بنصّ الانتداب الذي منحها السلطة السياسية على فلسطين

منذ عشرين سنة ويؤكد ان واجباتها كدولة منتدبة ان تقوم بحماية الاماكن المقدسة وان تُعدّ البلاد لتكون صالحة لانشاء الوطن القومي اليهودي وان تحافظ على حقوق جميع السكان المدنية والدينية بقطع النظر عن المذاهب والجنسيات المختلفة وان تقدم المساعدات اللازمة لانهاض البلاد زراعياً. ثم تصرّح ان اللجنة الملكية لاعادة السلام الى فلسطين وجميع اللجان غيرها التي تشكلت لهذه الغاية قد اجمعت أنه يوجد ابهام في عبارة وطن قومي لليهود وان كل المشاكل التي وقعت في فلسطين هي نتيجة هذا الابهام ولذلك ترى الحكومة المذكورة لارجاع الأمن والطمأنينة الى فلسطين ان تحدّد سياستها وغاياتها بكل وضوح وجلاء ملخّصة بثلاث نقاط هي الدستور والهجرة والمصالح الزراعية العمرانية.

ثم يلي ذلك شرح «بأن وعدها بإنشاء هذا الوطن القومي يجب ان لا يفهم منه إنشاء دولة يهودية بالمعنى السياسي تُحرم السكان الأصليين حقوقهم المدنية وان هذا التفسير الذي وضعه اليهود لوعدها بلفور يخالف واجبات بريطانيا نحو الشعوب العربية والضمانات المعطاة لها كما ان وعد ماکماهون للشريف حسين يجب ان لا يفسّر كما يريد العرب. وعليه يجب ان تنشأ في فلسطين دولة مستقلة يقوم على حكمها العرب واليهود معاً بطريقة تحفظ حقوق الطرفين الأساسية وانها كدولة منتدبة لا تستطيع القيام بذلك ما لم تتوثق العلائق بين الفلسطينيين واليهود ويتفاهموا على طريقة الحكم وهذا لا يكون الا بعد مرور عشر سنوات تستطيع في نهايتها بريطانيا إنشاء هذه الدولة المستقلة وربطها معها بمعاهدة توافق حاجات البلدين وتستشار آنذ جمعية الأمم لنزع الانتداب. وفي مدة الانتقال هذه يشترك الفلسطينيون واليهود في الحكم الذي تكون فيه بريطانيا مسؤولة عن إدارة البلاد، وسيكون هذا الاشتراك تدريجياً.

الهجرة اليهودية

أما بخصوص الهجرة اليهودية فلا تستطيع الحكومة الانكليزية ان تفهم كيف يتم الوطن القومي اليهودي دون ان يظل باب الهجرة مفتوحاً لليهود. وعليه قررت ان تحددها في مدة السنوات الخمس الأولى بـ 75 ألف يهودي أي 15 ألفاً كل سنة حتى يبلغ العدد ثلث عدد السكان وان لم يكف هذا العدد يحق للمعتمد السامي البريطاني ان يزيده الى 25 ألفاً في المدة المذكورة. وبعد مرور هذه السنوات الخمس لا يدخل يهود إلى فلسطين إلا بإرادة العرب «الفلسطينيين».

الشأن الزراعي

اما فيما يتعلق بالأمور الزراعية فالكتاب الأبيض يقول بأنه لكي لا يكون في

فلسطين قسم كبير من سكانها بدون أراض فستمح الحكومه الانقليزية معتمدها سلطة خاصة لوضع القوانين التي يمنع وينظم بموجبها بيع الأراضى لليهود. وسيخول أيضاً السلطة اللازمة لتحويل بعض القوانين التي يستطيع بموجبها منع بيع الأراضى أو تحديد هذا البيع.

استقبل هذا الكتاب الأبيض بالاستنكار التام من قبل الطرفين.

في الأردن

ما يزال الأمير عبد الله يلهو بمشروع سورية الكبرى وبتحويل امارته الى مملكة يصبح هو فيها ملكاً. حلم الملكية يشتد ويقوى حيناً وينزوي حيناً آخر. إنما اليوم هو في أوجه.

في العراق

عاد نوري السعيد رئيساً للوزارة في عهد الملك غازي الذي كان يطمح على ذمة الراوي بعرش يضم الشام والعراق. ذلك العرش الذي فقده والده ثم عمل والده على حرمان أخيه منه سنة 1933. ولكن المعاكسات السياسية وعلى رأسها الأمير عبد الله سببت للملك حرمانه من العرش السوري.

في هذه الأثناء في شهر آب 1939 بينما كان الملك غازي عائداً الى قصر الزهور ليلاً اصطدم بعمود الكهرباء (أو سقط عليه فقتله)؟ ان هذه الواقعة أصبحت ملكاً للتاريخ.

أصبح فيصل الثاني ملكاً على العراق والأمير عبد الله وصياً على العرش.

النشاط المحزبي عبر الحدود

قبل الانتقال الى الارجنتين لمرافقة الزعيم منذ وصوله الى بوانوس ايرس أود أن أنه بمحاضرة الرفيق ساسين ساسين وبرسالة الرفيق يوسف العسراوي الى أخيه في البرازيل. وهذه مقاطع من محاضرة الرفيق ساسين ساسين ألقاها باللغة الاسبانية في جزيرة غينيا والجزائر المحيطة في محطة راديو تناناريف بتاريخ 28 اكتوبر 1938.



الرفيق ساسين ساسين

«مواطني! يجب الاعتراف أنّ في هذه الحياة دافعاً ملحاً يقودنا الى هدف وان هذا الهدف يكون بالطبع أكبر عند أصحاب القلوب الكبيرة الذين يعرفون ما يطلبونه ويجدّون اليه بكل همة ونشاط لتحقيق آمالهم النافعة ومثلهم العليا».

«ليست النفس البشرية إلا شرارة من هذا الكون والطبيعة توجد الإنسان في هذا العالم وتبين له حقوقه وواجباته ملقبة على عاتقه عبئاً كبيراً في خدمة الإنسانية».

«إخواني! مواطني المهاجرين الذين أبعدتكم الظروف عن سورية! ان ما أوصل

الكثيرين منكم الى بلاد الغربية هو السعي وراء ثروة تستطيعون بواسطتها العودة الى الوطن لتعيشوا فيه بنعيم وبحبوحه وراحة، بيد ان هنالك واجباً أكبر هو التعاون مع أبناء جنسكم للقضاء على الحواجز الموجودة في الوطن وهي التي تحول دون انتصار الاراء والمبادئ الجديدة. ومن يترك القيام بهذا الواجب يخالف مبادئ العدل والانصاف».

«أحب ان أشرح لكم، أيها المواطنون! بعض أسس الوحدة السورية القومية التي يدعو اليها بنشاط الزعيم المحبوب انطون سعادة، الذي يسير في نور هداية معارفه ما ينيف على المئة الف شاب من ذوي الغيرة والقلوب الطيبة والمبادئ الشريفة وكلهم من الشبان الناهضين الذين يسرون الى النصر، دائسين بأقدامهم الشرائع والعادات والتقاليد القديمة التي هي سبب تجزئة سورية الى مقاطعات صغيرة ينبض قلب كل منها بالوحدة الشاملة».

اننا نحن الذين نجاهد بأفكار ثابتة نفهم جيداً ما هي نتائج هذه التجزئة التي نعدّها كالحكم على وطننا التاسع بالاعدام حكماً يحو صفحات آلاف السنين من تاريخنا ويجعلنا نهياً حلالاً لكل طامع يسلب حقوقنا ويقضي علينا كوحدة حية حاصلة على أعلى درجات المدنية والرقى».

«إن روح الوحدة السورية المقدسة تسعى لتجديد أسس حياتنا بوضعها لنا برنامجاً يتقدم فيه الواجب السوري القومي على كل واجب وتعليمها كلاً منا ان يقوم بواجبه نحو وطنه قبل كل شيء».

إن قوتنا الظاهرة تعرف ان من واجباتنا الأولية محاربة الكسل والديانات المتعددة التي لا مبرر لوجودها الا مصالح خصوصية جعلت من وطننا مسرحاً تمثل عليه مشاهد معيبة أثرت على سمعته وعادات عليه بأوخم العواقب يجب أن نسير وكلنا ثقة بالنصر القريب ولا نخشى المصاعب ولا العراقيل التي ينصبها الاعداء بوجه هذه القوة الجارفة السائرة الى الأمام والتي لا يعوقها عائق».

إنني أوجه كلامي للمواطنين وخاصة منهم الذين يعرفون الكثير عن النهضة السورية القومية داعياً إياهم لانضمامهم الى الحزب السوري القومي والعمل بمبادئه والخضوع لقوانينه والسعي الى تأليف حركة متينة تصل الحلقات السورية القومية الأخرى في سائر المهاجر بعضها ببعض وتتصل جميعها بالمركز السوري القومي الأعلى لتنفيذ المبادئ السامية التي يخفق بها قلب كل واحد منا».

إن كل سوري يعرف كم هو معيب وحاطّ من قدر الرجل الذي ليست له قومية

ينتسب إليها ويعتزّ بها وبالدفاع عن حقوقه كفرد من أفراد البشرية فيكتفي بأن يعيش عالة على الغير، ليست له شخصية شرعية. ان كل سوري يعرف الآن انه لا يمثل مجتمعاً معروفاً ولا جنسية محددة وان شرفه كرجل متمدن ضائع لضياح استقلال وطنه المرتمي في أحضان سفاحيه وظالميه».

«أيها السوريون! ان عندكم في الوطن زعيماً مجاهداً، هو روح الحركة القومية العصرية، لكنه لسوء الحظ مقيّد بسلاسل من حديد أحاطه بها الذين يرتعدون جزعاً وخوفاً من ذكر مبادئه العظيمة. إنهمضي أيتها الشبيبة المتعلمة المتنورة والنشيطة الشجاعة وحطمي هذه القيود واجتازي المخاطر المحيطة بك ولا يتولاك الخوف والجزع طالما الدم يغلي في عروقك وطالما أفكارك تتجه دائماً نحو المبدأ السامي».

رسالة العسراوي

نشرت سورية الجديدة، في عددها 19-20 تاريخ 15 تموز 1939 الرسالة التي بعث بها الرفيق يوسف العسراوي التابع لمديرية بيت مري في منفذية المتن الأدنى الى أخيه نجيب في البرازيل مستفسراً منه عن الحزب فكان هذا الجواب: «أخي؛ كنت اخبرتني أولاً أن حضرة الزعيم الجليل وصل البرازيل وانك أبرقت لحضرته وكتبت لي صورة البرقية. ولا تسئل عن عظيم فرحي لعملك هذا لأنه طالما حدثني حضرته عنك وعن علمك وذكائك وانك رجل علم وأدب ووطنية صادقة وإخلاص متناه. وهذا كتابك الثاني تخبرني انك كتبت له رسالة خاصة وانه أجابك عليها وان ناموسه أسد الأشقر قد كتب لك أيضاً. ان هذا يسرني جداً وكنت أتمنى ان تزوره وتتعرف عليه شخصياً لتعرف رجل سورية ما هو ومن هو عن قريب وانه حقاً خلق ليكون زعيماً ومخلصاً لهذه الأمة المستعبدة».

«أين صار الحزب بجهاده؟ وجواباً على سؤالك هذا أقول: «ان الحزب قد تغلغل في صفوف الأمة وسرى كالكهرباء في عقول شبانها وفتيانها وشيوخها ونسائها حتى وأطفالها، خذ لك مثلاً أولادي فهم لا ينامون قبل أن يهتفوا قائلين «لتحى سورية وليحى سعادة»، حتى طفلي مع كل صغر سنها فإنها كلما وقع نظرها على رسم حضرة الزعيم ترفع يدها وتقول «تحيا، يا زعيم». اما الاحزاب الطائفية التي أوجدها النفعيون الرجعيون لمناوأة الحزب على أثر ظهوره فقد اضمحلت تماماً ولم يبق منه الا الذين كانوا مدفوعين بالمال للقيام بهذه الأحزاب وهم ما زالوا يروجون بأن أحزابهم تنمو وتكثر والحقيقة انهم أصبحوا اسماً لغير مسمى تقريباً وهؤلاء قد بدا الخوف يساورهم من انتصار الحزب المعنوي وحسبوا للمستقبل الف حساب لذلك تراهم

يتزلفون للحزب خوفاً من اليوم الرهيب، يوم انتصار الحزب على الرجعة والطائفية القتالة...

وأخيراً أقول أن الحزب وصل بجهاده لدرجة ان الناقلين عليه أصبحوا أقلية معروفة يديرها رجال الدين من ميل ورجال الحكومة من ميل آخر...

وأخيراً سألتني ماذا ترجون عمله في المستقبل؟ ان ما نرجو عمله هو سعينا الدائم لتأييد الفكرة والعمل المتواصل لتنوير كل سوري بأن مبادئ الحزب السوري القومي هي الطريقة الوحيدة للوصول الى الهدف الاسمي للاستقلال الذي هو ضالة الشعوب المستعبدة.

أما الطريق الذي سيسلكها، الحزب لتأييد فكرته فهذا منوط بالظروف التي ستمر عليه، فعساه تكون ظرفاً مناسبة تمكنا من انتهاز الفرصة التي نحن دائماً مستعدون لها وستصل الأمة السورية بهمة شبابها وبطولة قائدها الجبار زعيمنا المقدى الى هدفها وسنصل ليوم وهو قريب، ان شاء الله، نهتف به في كل أنحاء سورية لتحيا سورية وليحيى سعادة».

منفذية شاطيء الذهب

بوجود الزعيم في المغرب ان في البرازيل أو في الأرجنتين وبعد تعيين الرفيق أسد الأشقر وكبيراً عاماً لمكتب عبر الحدود فقد تحول اتصال الفروع الحزبية عبر الحدود الى هذه الوكالة العامة. في الشاطيء الذهبي طراً تعديل طفيف على هيئة المنفذية فأصبح الرفيق أمين الأشقر وكيل منفذ عام والرفيق رهياف عز الدين، ناموساً للمنفذية مع الإبقاء على باقي أعضاء الهيئة في وظائفهم.



الرفيق رهياف عز الدين

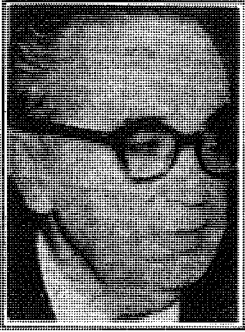


الرفيق أمين الأشقر

الجدير بالذكر في هذه الفترة، تلقى الزعيم بعض الأموال بصورة خاصة من منفذية المكسيك ومن منفذية الشاطيء الذهبي .

مقال سبع حميدان

وفي عدد 36 من «سورية الجديدة» الصادر بتاريخ 39/11/4 ينشر الرفيق أسد الأشقر تحت توقيع مستعار «سبع حميدان» مقالاً أرسله من بيروت بتاريخ 30 آب 1939 من مقاطعه الرائعة: «واليوم نرى زميلة للبربرية الحميدية العثمانية في البربرية السياسية الاستعمارية المتلبسة بالأسياء الخداعة الوهمية والألفاظ الرنانة المستهوية، فكأنها نافست عبد الحميد في مظالمه واستبداده وريائه وأنافت عليه في طغيانه وقسوته، لولا انها اتخذت من المثل العليا دستوراً تحفي وراءه نياتها الخبيثة وشهواتها الدنيئة وتدجيلاتها المنظمة باسم المدنية والحرية». تذكر برقية في 18 آب عن جنيف أن «لجنة الانتدابات» قد اعترضت على تصرفات انقلترا وفرنسا في جنوب وشمال سورية، وبصورة خاصة تذكر تنازل فرنسا عن لواء الاسكندرونة قائلة «ان لجنة الانتدابات تعد ذلك العمل تشويها للوطن السوري».



أسد الأشقر

«اننا نذكر «لجنة الانتدابات» بأن الانتداب على سورية الطبيعية في الشمال والجنوب أصبح، بفضل سلطات المنتدين، قالباً فولاذياً يريد أن يحجر الفكر السوري ويريد ان يقف حاجزاً أمام كل تطور، ويريد ان يقيم الكيانات السياسية، المعترية موقته في عرف العالم فواصل وحدوداً طبيعية بين السوري في لبنان والسوري في الشام! بين السوري في جبل الدروز والسوري في الجزيرة العليا! بين السوري في العلويين والسوري في لواء الاسكندرون!».

«والحزب السوري القومي قد قدم مذكرات عديدة لجامعة الأمم، أشهرها مذكرة الرئيس نعمة ثابت، رئيس مجلس العمد وقد تلقى الرئيس ثابت جواباً عليها ولكن ذلك الجواب لا يعني الا طريقة من طرق حسن التخلص أو التخديراً».

«... وبأي حق يضطهد المصلح السوري العظيم الذي وضع المبادئ القومية

الصالحه؟ وبأي حق يحرم الفرد السوري من المجاهرة باعتناق تلك المبادئ المتضمنة حقيقته؟ بأي حق يسمح بتأسيس فروع لاحزاب أجنبية في سورية ولا يسمح للحزب السوري القومي بالتبشير بمبادئه؟ بأي حق يسمح للمؤسسات والرسالات الأجنبية أن تعلم ما تريد في سورية ولا يسمح بتعليم حقيقة البلاد الجغرافية والاجتماعية والتاريخية؟.

«إن الحزب السوري القومي يمشي دائماً الى النصر بأساليب زعيمه المتكررة ولا يقدم مذكراته الا ليسجل العجز والتدجيل على الذين يدعون انهم يحافظون على مصالح الأمم المنتدب عليها. إن سورية لا تنتظر انقازها إلا بقيادة زعيمها ورجاله الذين تعلموا منه أن يهزأوا بالناورات التي كانت تجوز على «الجمعية السورية المركزية» في باريس وعلى الوطنيين الأولين، والتي عَقَمها الزعيم بتعاليمه الجديدة وأساليبه العملية الفعالة وإرادته الساحقة».

في جريدة السمر

تحت عنوان «مصير سورية إذا وقعت الحرب» نشر الأمين فخري معلوف مقالاً في جريدة «السمر» بتاريخ 2 أيلول 1939 انقل أهم مقاطعه: «بعد استفحال الخطرين - اليهودي والتركي - في الجنوب والشمال لم يبق أمام الأمة السورية غير طريقين لا وسط بينهما. إما طريق الأخذ بالنهضة القومية وما يتبعها من ثورة اجتماعية أساسية تعيد الى الأمة حيويتها وتستخرج قواها وتحركها للأخذ بأسباب الرقي والاشتراك في الحضارة الانسانية القائمة على الفكر والعلم وإما الخضوع الأبدى للقوى العاملة على افقدانا سيادتنا على بلادنا مؤبداً وتحويلها إلى أيد غريبة تستعبدنا وتستعبد أبناءنا إلى أبد الدهر».

«إن المعلومات الموثوقة الواردة حديثاً من الوطن تطمئن الى أن الحزب السوري القومي قد قام في الأشهر الأخيرة بحركة استعداد واسعة ليكون في استطاعته وقوف الموقف الذي تقتضيه مصلحة البلاد العليا في كل الظروف المزمعة ان تصير. وهذه الاستعدادات ذات صلة وثيقة في حقل السياسة العليا وفي إعداد أواسط المهجر لتقوم بقسطها في عملية الرقي والتحرر».

إن السوريين الأحرار الذين لم تُعْمِهم المصالح الفردية والعصبيات الطائفية عن تقدير المصلحة القومية والذين يشعرون في ضمائرهم بمسؤولية تجاه الأمة وتجاه الأبناء في الأجيال القادمة بدأوا يدركون ضرورة التكاثر الموحد حول المنظمة التي برهنت على حيوية وثبات وتقدير تام للمسؤوليات ويرون ان الأعمال الفردية المستقلة لا تفيد بالنسبة الى الجهودات المبذولة في النظام الموحد، اما السوريون القوميون في الوطن وفي المهجر فانهم متربصون باطمئنان وثقة وشجاعة ومستعدون دائماً لتلبية إشارة الزعيم».

الزعيم في الارجنتين

أفضل ما أبدأ به في افتتاح مرحلة وجود الزعيم في الارجنتين الذي طال مقامه فيها بسبب حالة الحرب وقد بدأت في 14 أيار 1939، ان أفضل ما أبدأ به هو ما جاء بهذا الخصوص في خطابه بمناسبة أول آذار 1940 في بوانس ايرس: «قدمت الارجنتين غير معتمد على معرفة أحد ولا أعمال تمهيدية. فلما وطئت قدماي مرفأ بوانس ايرس لم يكن هناك أحد لاستقبالي. لم يأت سوري واحد لاستقبالي. لم يأت سوري واحد لملاقاتي والاهتمام بأمر القضية التي جئت من أجلها. ولكني لم أكن في ذلك الموقف أقل ثقة بالنصر منها في هذا الموقف وقد انتصرت». ويقول أسد الأشقر في رسالة عام 1941 الى المركز جاء فيها: «كان الزعيم في أحد الفنادق وقد تراكمت عليه أجور المنامة والطعام ولم يستطع تسديده لأنه كان طريق الفراش... وبالرغم من كثرة عروض الرفقاء وإلحاح أصدقاء الحركة فقد أبي أن يدفع أحد عنه الحساب المترتب عليه، وانتظر حتى شفي ثم اشتغل وسدّد ديونه».

تسربت الاخبار عن وصول انطون سعادة وناموسيه أسد الأشقر وخالد أديب الى الجالية «فحدثت فيها تحركات غير اعتيادية» كما يقول الرفيق ابراهيم أفيوني في رسالته الى تاريخ 9 شباط 1970: «شخص غريب الشكل، عالم، فيلسوف، سياسي، مقدرة عظيمة لا يدرك كنهها. شخصيات الجالية، الكتّاب، الصحفيون البارزون من أمثال حسني عبد الملك وجورج عساف، رشيد رستم ووديع شمعون وروفايل لحود والشاعر ذكي قنصل. كلهم كتاب افذاذ، لكنه عندما يبدأ الكلام فالجميع يصمتون...» «إن وصول الزعيم الى الارجنتين واجتماعاته بالجالية واحاديثه، فجزّت بركاناً هائلاً، فلم تعد تسمع الآ سيرة انطون سعادة وحزبه».

نزل الزعيم في أوتيل «طربوش» لمواطن سوري من النبك من عائلة طربوش.

من هنا تسمية الاوتيل «الطربوش». وفي هذا الاوتيل بدأت الدعوات الى سهرات ليلية للقاء مع انطون سعادة والاستماع اليه. هكذا بدأ العمل الحزبي في بوانس ايرس - الارجتين. ومرافقة الزعيم في هذه المرحلة سنضطر ان نقسم عمله الحزبي الى قسمين: قسم يتعلق في بوانس ايرس والارجنتين وقسم يتعلق بمراسلاته مع البرازيل. وبصورة خاصة مع جريدة «سورية الجديدة».

نبدأ القسم الارجنتيني بمقال جريدة «لاراسون» في عددها الصادر بتاريخ 21 أيار 1939 نقتطف منه بعض الفقرات. (ان جريدة «لاراسون» أوسع الصحف انتشاراً).

«في بوانس ايرس منذ بضعة أيام السيد انطون سعادة مؤسس الحزب السوري القومي الذي هو من أكبر الأحزاب السياسية في سورية والذي يجاهد بكل جد ونشاط جهاداً لا هوادة فيه ولا راحة ضد القوات الغربية التي تحكم حالياً تلك البلاد المستقلة بالاسم فقط. وعند ذكره سورية قال انه يعني بها سورية الجغرافية أي سورية السياسية الحاضرة والجمهورية اللبنانية وفلسطين وشرق الأردن - والكويت.

والسيد سعادة قادم الآن من البرازيل وبعد أن يقضي ردهاً من الوقت في بوانس ايرس سيتابع سياحته في كل البلاد الاميركية ليدرس حالة مواطنيه وليبحث في ذات الوقت علاقات المهاجرين السوريين الاجتماعية والأدبية في هذه البلدان».

«وقد أجابنا على سؤال وجهناه لحضرته عن الحالة الحاضرة في سورية قائلاً انها ليست واضحة تماماً وانها تخضع لنظام من المعاهدات اجبرت سورية على قبوله. بيد ان له ملء الأمل، هذا إذا لم يقل ملء الثقة بأن الروح القومية ستنتشر في طول البلاد وعرضها وستنهض بها كما نهض طائر الفينكس من بين الانقاض».

وبعد أن شرح مبادئ الحزب الذي أسسه منذ سبع سنوات قال أيضاً: «اني الفت النظر الى أن سورية هي عنوان الديمقراطية التي اعطتها للعالم منذ قرون عديدة والتي كانت مثلاً لا نظير له في انتخابها ملوكها على طريقة الاستفتاء الشعبي العام. ثم شرح لنا تفصيلات هامة حول القضية السورية القومية التي لا نعرف عنها الا القليل».

حديث الزعيم للصحفيين

وجه الناموس الأول في مكتب الزعيم الرفيق أسد الأشقر دعوة الى الصحفيين السوريين في بوانس ايرس لسماع حديث الزعيم الذي عزم على الادلاء به يوم 15 حزيران 1939 الساعة الرابعة بعد الظهر في «أوتيل كستلار» (مدة الحديث 15 دقيقة) والى تناول الشاي بعد الحديث للتعارف.

نشرت جريدة «السلام» نصّ الحديث وهذا هو: «إن الأمور التي يهتم الرأي العام الاطلاع عليها هي: (1) موقف الحزب من المسألة اللبنانية، (2) موقف الحزب من المسألة العربية أو العربية، (3) الغرض من رحلته الى المهاجر السورية، (4) الموقف السياسي فيما يختص بمصير الوطن.

«إن رأي الحزب السوري القومي في المسألة اللبنانية هو ان هذه المسألة أوجدت كحل لقضية جماعة دينية في سورية، هي الجماعة المسيحية التي مرت فيما مضى بظروف جعلت من الواجب عليها النظر في حقوقها ومصالحها، ومحاولة إيجاد مخرج من الحالة التي نتجت من تلك الظروف التي كانت فيها. ومع ان الحزب السوري القومي يجد أن مسألة حقوق الجماعات الدينية في الوطن هي من الأمور الجوهرية التي يجب معالجتها وإيجاد حل نهائي لها فهو لا يرى ان المسألة اللبنانية قد أوجدت الحل لقضية حقوق الجماعة المسيحية ومصالحها، لأن هذه الحقوق والمصالح تتعلق بمقدار كبير بالدورة الاجتماعية - الاقتصادية للأمة السورية كلها، وبكل التفاعل الحيوي الجاري في سورية والذي لا مفر لهذه الجماعة، من الخضوع لعوامله.

إن الحزب السوري القومي يرى ان المسألة اللبنانية قد اتت بعكس النتيجة التي تُؤخّر حصولها، أي انها قد زادت شقة البعد والتفسخ في حياة الشعب الواحد الذي مصيره من الوجهة السياسية والاقتصادية واحد في كل حال، وذلك بالاتجاه الى حياة الانعزال وتأسيس فكرة وطنية ضيقة على أساس ديني. اما الحزب السوري القومي فيرى الحل لقضية حقوق الجماعة المسيحية ومصالحها ولقضية حقوق جميع الجماعات الدينية الأخرى في سورية ومصالحها في إيجاد الأساس الحقوقي القومي العام الذي لا يفرّق بين منتسب الى جمعية دينية ومنتسب الى جماعة أخرى ضمن نطاق الأمة السورية. فإيجاد الحقوق القومية الواحدة لجميع السوريين من أي دين كانوا هو ما يراه الحزب السوري القومي الحل الوحيد للمشاكل الداخلية الناتجة عن اختلاف المذاهب الدينية في سورية. أمّا تجزئة البلاد والشعب الى دول دينية، فيرى الحزب السوري القومي انه أسوأ حل يمكن تصوره انه الحل الذي يقضي بالانحلال والفناء.

ان الشعب في لبنان غير مجمع على التمسك بكيان لبنان، باعتباره حلاً نهائياً أخيراً، وحقته هي وجود الألوف من اللبنانيين في الحزب السوري القومي الذي هو أكبر حزب في لبنان، ولجوء الحكومة اللبنانية الى محاربة عقيدته وحركته الفكرية السلمية بالقوة والعنف. لو كان الشعب في لبنان لا يقبل الفكرة القومية السورية التي جاء بها الحزب السوري القومي لما كان هناك موجب لاستعمال القوة من قبل الحكومة اللبنانية، لأن الشعب نفسه كان يقاوم الفكرة بفكرة من عنده ويعزلها عن مجتمعه. ولكن الواقع

قد برهن العكس، فإن الشعب في لبنان قبل الفكرة القومية السورية ووجد في مبادئ الحزب السوري القومي الحل الأخير الذي يريده وكان يتوق الى الوصول اليه. والحوادث السياسية التي حصلت في لبنان تثبت صحة هذا المذهب وان بعض التصريحات التي جرت في المجلس النيابي من قبل بعض النواب هي شاهد على سرعة القبول للفكرة السورية القومية التي أصبحت حقيقة في جميع أنحاء لبنان وفي جميع جماعته الدينية ومذاهبه المتنوعة.

إن الحكومة اللبنانية لا تمثل الشعب في لبنان ولا مصالح الشعب في لبنان، بل هي آلة تمثل طريقة التنفيذ مداورة للمفوضية الفرنسية فهي حكومة يجب اعتبارها ممثلة الارادة الاجنبية في الحقيقة وفي الظاهر تمثل الشعب في لبنان. انه لا يمكن مطلقاً ترجمة محاربتها للحزب السوري القومي كأنها تعبير عما يريده الشعب لهذه الحركة القومية. ولذلك أطلب من الذين ينظرون الى علاقة الشعب في لبنان بالحركة السورية القومية ان يميزوا دائماً بين الشعب والحكومة في لبنان.

اني لا أنكر على غيري من اللبنانيين ابداء رأيه فيما يختص بمصير الشعب في لبنان، ولكنني أنكر على كل لبناني آخر ادعاه التكلم باسم لبنان واللبنانيين أكثر مني. ان الحزب السوري القومي لا يعترف لاية فئة في لبنان بحق تمثيل الشعب أكثر من الحزب السوري القومي نفسه أو بمقدار تمثيل هذا الحزب لارادة الشعب. فالسوريون القوميون في لبنان هم أكبر جماعة فكرية في هذا القسم من الوطن السوري. وهم الفئة التي لها أكبر حق في تمثيل إرادة الشعب. فلبنان ليس ملكاً خاصاً لبعض سكانه بل هو حق عام لجميع أبنائه الذين يجب ان يكونوا أحراراً للتفكير في مصيرهم في الاعتقاد الذي يجذونه أفضل لحياتهم. وما انكار جماعة من اللبنانيين على السوريين القوميين في لبنان حق التفكير في مصير الأمة السورية، ومن ضمنها اللبنانيون، إلا ادعاء باطل وغطرسة بعيدة عن الحق ومحاولة استبدادية لم يسمع بمثلاها. فنحن لا ننكر على أحد حق مناقشتنا في عقيدتنا وكذلك نريد ألا ينكر غيرنا علينا حق مناقشته في رأيه وتفكيره الذي يتعلق بحياتنا نحن ومصير حياتنا لأننا من هذا الشعب.

يجب الحذر من إساءتها استعمال التعابير التي تحمل على الظن ان مسألة القومية السورية هي مسألة صراع بين اللبنانيين وغير اللبنانيين، انها مسألة صراع ضمن الشعب في لبنان كما هي مسألة صراع في بقية أجزاء الوطن السوري والأمة السورية».

في المسألة العروبية

«إن هذه المسألة غير واضحة وقد مرت في أطوار شتى كطور «حلف عربي» وطور

«اتحاد عربي» وطور «امبراطورية عربية» وغير ذلك من الأطوار. لا وجود الا لحقيقة واضحة هي حقيقة التعاون الممكن لأمم العالم العربي من الوجهة السياسية وبعض الوجوه الاقتصادية والثقافية وقد أعلن الحزب السوري القومي في مبادئه أنه يعتبر أهمية هذا التعاون لمصلحة الأمم العربية. إن الحزب السوري القومي هو أول حزب فكر في تحديد قضية العلاقات بين الأمم العربية وايضاها ليسهل الوصول الى تعاون صحيح مفيد لحياة الأمم العربية وارتقاها.

ليس هنالك قضية عربية أو عروبية على الاطلاق ولكن المسألة هي مسألة بعض الفئات التي تحاول استغلال وجوه نظر دينية لبعض غاياتها. ووجه النظر الدينية هذه تجعل القضية العربية أو العروبية قضية دينية في أساسها باعتبار ان الدافع الأقوى اليها هو الاسلام فهي والمسألة اللبنانية صنوان لأن أساسها ديني يجزيء وحدة الأمة السورية بتنفيير كل عنصر من العناصر الدينية التي تشكل الشعب السوري عن الآخر وتؤدي الى التفكك والانهيار.

ولما كانت المسألة للحزب السوري القومي هي مسألة انقاذ الأمة السورية قبل كل شيء وتأمين مصير مصالحها فإن الوحدة السورية القومية لا يمكن ان تتم بناء على وجوه نظر دينية، بل على مبادئ الاجتماع والحقوق الاجتماعية الاقتصادية العامة للشعب السوري. فهنالك قطر جغرافي مستقل عن غيره هو سورية، وضمن هذا القطر يعيش شعب واحد حياة مستقلة بدورها الاجتماعية - الاقتصادية - الدمية وعلى هذا الأساس وحده يمكن التفكير بتوحيد صفوف الأمة السورية واعداد مصير مجيد لها. من هذه الناحية يجب ان نفهم عقيدة الحزب السوري القومي وطريقته العملية».

القصد من الزيارة

«إن هذه الزيارة هي جزء من برنامج رحلة الى أوروبا والمهجر السوري التي صدرت بها إذاعة رسمية من مركز الحزب السوري القومي في بيروت. والغرض من هذه الرحلة هو تفقد فروع الحزب السوري القومي في المهجر التي نشأت فيها فروع والنظر في احتياجاتها واعطاؤها التوجيهات اللازمة لفائدة الحركة السورية القومية وزيارة الجوالي السورية عامة وتفقد أحوالها الاجتماعية والعمرانية والوقوف على مقدار تقدمها وعلاقتها مع الشعوب التي تعيش في أوساطها ودرس امكانيات توثيق العلاقات الحسنة بين الجوالي والشعوب المذكورة من الوجوه الثقافية والاجتماعية وتوجيه أنظار السوريين في المهجر عموماً الى وجوب العمل لحرية أمتهم لكي يتمتعوا بحق الحريات التي يحصلون عليها بين الأمم التي يعيشون معها. وتأسيس فروع جديدة للحزب السوري القومي في

الجوالي التي تسمح قوانين البلاد النازلة فيها للجوالي الأجنبية بالقيام بحركات فكرية وسياسية لمساعدة أوطانها الأصلية».

الموقف السياسي

«إن الأخطار المدهامة التي تتعرض لها الأمة السورية في هذه الظروف هي أخطار الأمة السورية بأسرها أي بجميع أجزائها كفلسطين وشرق الأردن والشام ولبنان وسائر الاجزاء الصغرى. من هذه الأخطار بصورة خاصة، الخطران التركي واليهودي الواحد في الشمال والآخر في الجنوب. واني أشير الى المساومات الجارية بين اليهود والأتراك والدول المنتدبة لتقرير مصير الشعب السوري تقريراً سيئاً بدون شك، بينما الشعب السوري لاه بمنازعاته وعوامل تفسخه الداخلي. إذا لم يتبته الشعب السوري الى شخصيته وحقيقة حقوقه ومصالحه التي توضحها مبادئ الحزب السوري القومي وبرنامجه، فإن عاقبة حالة الجمود ستكون وخيمة جداً وقد تكون قاضية على هذا الشعب خصوصاً في حالة الصراع العنيف المقبل».

تنظيم الأصدقاء

بالرغم من اهتمام الزعيم الأولي بالاتصال بالجالية السورية ان بواسطة الصحافة كما مرّ بنا أو بواسطة الصحافة المحلية الأجنبية، بالرغم من هذا الاهتمام، لم يغفل اهتمامين آخرين لا يقلان أهمية عنهما وهما الاتصال الحزبي بالبرازيل واجراء الترتيبات الحزبية وتنظيم علاقات الصداقة وقد تم ذلك بمراسلة الأصدقاء الذين آزره في سانبولوان من الناحية الاجتماعية عند توقيفه أو من الناحية المادية في تقديم تبرعات تسدّ قسماً من تكاليف الإقامة.

ولهذه الغاية كلف الزعيم وديع عبد المسيح القيام بمهمة الاتصال بهؤلاء الأصدقاء في كل ما يختص بالأمور المالية من تبرعات أو سواها. ولهذا الأمر نذكر من رسالته اليه بتاريخ 12 حزيران 1939 هذا المقطع: «اني أفكر بجميع المعارف الذين ظهرت منهم روح صداقة طيبة وغيره شريفة على الحق والعدل وساتابع الاتصال بهم. وبينهم السيد حبيب الخوري الذي لمست غيرته الكبيرة وسأكتب اليه في أول فرصة».

بدء الانزعاج من الجريدة

ترك الزعيم جريدة «سورية الجديدة» تحبو وسط أفراد ليسوا على المستوى المطلوب كما بيّنا سابقاً وها ان أول الغيث قطر فقد وصله خبر من المحرر في الجريدة المذكورة، ملخصه نعرفه من الرسالة تاريخ 18 حزيران 1939 التي بعث بها الى الرفيق جورج

بندقي الذي بدأ يبرز في العمل الحزبي بشكل رائع مضبوط يبشر بمستقبل باهر جاء في الرسالة: «وردني كتاب المحرر يطلعي فيه على عزمه على انتهاج خطة غريبة، هي الامتناع عن نشر أخبار الوطن، لأن جريدة أخرى في سان بولو تصدر يومية تنشر أخباراً من الوطن تسبق بها «سورية الجديدة» وقد رأيت هذه الخطة غريبة جداً وتوازي قتل مركز الجريدة وقتل الجهود المبذولة لجعلها صحيفة هامة. والصحيفة الهامة لا يمكن ان تنجرد عن الأخبار لمجرد أن جريدة أخرى محدودة الانتشار تسبق الى نشر بعض الأخبار. فالفت نظرك الى هذه الناحية الخطرة التي تعني مساعدة الجرائد الأخرى على احتلال المركز الذي شغلته «سورية الجديدة» بالتنازل لتلك الصحف عن حقل الأخبار. اني قد استغربت هذه الخطة كل الاستغراب خصوصاً بعدما علمت أن المحرر قد لجأ إليها من عند نفسه متخذاً لنفسه حق التصرف المطلق بالخطة التي يجب أن تسلكها الجريدة، مخالفاً التعليمات التي صدرت اليه من أصحابها».

«إن المشتركين في جميع أنحاء العالم يحتاجون الى تتبع أخبار وطنهم في جريدتهم لا في غيرها». «إن رواية مراسل سورية الجديدة» للأخبار عينها تختلف عن رواية المراسلين الآخرين. وهذه أهم نقطة في الأخبار. إن أهميتها الكبرى هي في كيفية روايتها لا في الأخبار بذاتها. فاطلب المحافظة على سياسة الجريدة وخطتها بكل دقة».

الوضع الحزبي

وسرعان ما تكشفت النوايا فقد خفت العاطفة وخفت الحماس والاندفاع وبصورة خاصة من قبل الكتاب الصحفيين فما انتمى منهم سوى حسني عبد الملك وبقيت جريدة واحدة «السلام» لم تقرر موقفها بعد. وحالة هذا الوضع الحزبي يصفها الزعيم في رسالته الى الرفيق نعمان ضو (من زرعون، المتن الشمالي) الذي كان قد غادر الوطن من حين تاريخها 30 حزيران 1939 يقول الزعيم: «إني كنت اتصور ما سأجده في المهاجر السورية من أغراض خصوصية ودعاوات وعننات. فإني أعرف جيداً نفسية شعبي العتيقة وأعرف المهجر وأعرف أعمال أعداء الأمة ومحبي مصالحهم الخصوصية. ولكنني أعرف ان عامة الشعب طيبة القلب قابلة الاصلاح متى أنقذناها من سيطرة النفعيين واريناهم الطريق القويم نحو الحياة المثلى والفضائل الباقية. وإن لي ثقة بوجود نفوس كبيرة، نبيلة تميز بين النور والظلمة وتعمل في النور لنشر النور».

«إن الصحفيين في هذه العاصمة «وذوي المكانة» جربوا ان يتعصبوا ضد زيارتي، ظانين اني سألتجىء إليهم. وقد ساء فألهم. انهم يجهلون خطورة الحركة السورية القومية وقوة فاعليتها. ظنوا ان زيارتي للمهجر هي كزيارة أولئك التجار السياسيين

الذين تعودوا زيارة المهجر لاستغلال بعض الحوادث وكسب المال فكانوا يلتجئون الى بعض «الكبار» ويتوددون اليهم ويحدثون ضجة ويجمعون مبلغاً من المال ويعودون من حيث أتوا. اما أنا فقد حافظت على حقيقة الرسالة التي أؤديها. وابتدأت الأوساط تتعرف الى مرافقي أولاً ثم تطلب التقدم الي. وقد تبين ان لي بعض الأصدقاء القداماء من الشبيبة أموا الأرجنتين من زمن غير بعيد مثلك، وبعضهم في هذه العاصمة لهم مركز جيد. واني متفائل بالنتيجة».

دعوة أبناء طرابلس

في السادس عشر من تموز 1939 لى الزعيم دعوة أبناء طرابلس الى مأدبة تكريمية على شرفه وشرف ناموسيه. كان صاحب الدعوة باسمهم السيد عبد الغني شقص. كانت المأدبة فريدة من نوعها، فقد جلس المدعوون حول عشرين مائدة ونيف متراسة بشكل قوس، حول بركة فوارة بالماء. ومن حولها بدائع الأزهار، في باحة فسيحة مزدانة الأنوار المختلفة الألوان. تصدر الزعيم المأدبة مع لجنة الاحتفاء والى الجانبين نخبة من أكارم الجالية وشبيبة طرابلس الناهضة.

تكلم في المأدبة باسم المحتفين السيد شقص ثم طلب الحضور من أحدهم حسني عبد الملك الذي كان قد انتمى الى الحزب، ان يتكلم فأجاد وأفاد ثم تناوب على الكلام الشاب الأديب يوسف عبد الذي انتقد موقف الصحافة وبعده جاء دور الناموس الثاني الأمين خالد أديب الذي شرح مبادئ الحزب شرحاً موفقاً. نهض بعده حضرة الزعيم كاشفاً في كلامه حالة سورية الحاضرة وكيف ان العقيدة القومية تصهر كل النزعات الأخرى في بوتقة واحدة من الايمان. وجاء دور الناموس الأول الرفيق أسد الأشقر فاهب النفوس بعد أن شرح الغاية من زيارة الزعيم للمهجر. وكان مسك الختام تمني الزعيم بأن يرى العمل القومي سائراً الى الامام فيستطيع ان يجي في الغد الذين أمامه الآن من السوريين المواطنين تحية قوميين عاملين وحي الحضور مودعاً «لتحي سورية».

توجيهات الزعيم

كان الناموس الأول الرفيق أسد الأشقر يتحدث في أكثر اللقاءات التي كانت تجري وكان الزعيم يبدي رأيه بعد كل لقاء فكان يثني على اسلوبه في التوجه والمخاطبة إلا بعد هذا الاجتماع مع أبناء طرابلس. يقول الرفيق أسد الأشقر «قال لي الزعيم، يا رفيق أسد، لست اثني على خطابك هذه المرة» ولدى استفساره عن السبب مع انه كان قد تكلم بحماس بالغ ولده ما يقرب من الساعة أجاب الزعيم: «كنت في المرات

السابقة تبشر الحضور بالعقيدة السورية القومية الاجتماعية وأسلوبك في هذا التبشير واضح سلس يمكن فهمه لابسطة البسطاء أما الآن فقد خاطبت العاطفة في هؤلاء التجار كأنك تريد أن تدعوهم الى التبرع ببعض المال دون الاسهاب في شرح العقيدة وما يمكن ان يعلق منها في ذهنهم. ان مخاطبة العاطفة يمكن ان يلهب الشعور مؤقتاً ولكن مخاطبة العقل تغرس فيه الأفكار والمبادئ. وهكذا ترى الفرق بين المخاطبتين. لذلك أوصيك عند التبشير ان تخاطب الحضور من أرقى مستوى ممكن مهما تكن نسب مستوياته لأنه لا بد للعقل أن يستوعب من الشرح بعض ما تريده وإن بنسب متفاوتة معينة وقد تكون محدودة في بعض الأحيان، ان العقل يستوعب ويختزن ويبقى ويتفاعل فتكسب هذا المواطن عضواً للحزب في المستقبل مهما يكن مستواه العقلي الثقافي بسيطاً اما بمخاطبتك الحضور بالعاطفة فانك تكسب شعوراً مؤيداً لبعض الوقت أو تظفر ببعض المال لبعض الوقت ولكن لا تكسب مواطناً عضواً للحزب فما يأتي بالعاطفة يذهب مع العاطفة ويُنسى انما الذي يأتي مع العقل يبقى وينمو». وهذه هي بعض مقاطع من كلمة الزعيم نقلاً عن «سورية الجديدة» في عددها 23 تاريخ 15 اغسطس 1939.

وقف حضرة الزعيم ورفع كأسه وقال:

«لنقف وقفه شعب إذا أراد فارادته هي القضاء والقدر. لنقف هادئين هدوء المؤمن بأن النصر هو حليف الأمة الحية التي هي الأمة السورية.

بهذا الايمان نقف نحن السوريين القوميين الاجتماعيين وسط الأحداث العالمية وفي وجه اضطهادات العالم ونشرب نخب حياة سورية.

نحن فئة قليلة ولكن كم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة.

إن هذه الفئة القليلة هي الفئة المنتصرة في المعركة الفاصلة. اننا نحن السوريين القوميين الاجتماعيين قد خسرنا مواقع ومعارك ولسنا نخجل من ذلك. انها مواقع ومعارك أولية شئناً ان نخسرها.

وكم من مرة شئت ان ننكسر كي تبقى قوتنا كاملة مستعدة للساعة التي يجب أن تنتصر فيها في المعركة الفاصلة التي ستمحو كل انكساراتنا الأولية.

إن الأمة العظيمة يبرهن انكسارها عما إذا كانت قوية في نفسها وقادرة ان تثبت للنكبات. ان الأمم العظيمة تعرف بصعودها بعد هبوطها. ان الأمة السورية هي أمة عظيمة ليس فقط لانتصاراتها القديمة بل لأنها تثبت للشدائد على كر الأجيال.

سمعتم ان زعيم الحزب السوري القومي الاجتماعي متكبر لا يقابل أحدا. نعم انه متكبر ومتكبر جداً.

أنا متكبر على كل متكبر على الأمة السورية وعلى حقوق الأمة السورية.

أنا متكبر على كل من يريد ان يضع شخصه ومصالحه فوق شخصية ومصالح الشعب السوري. ولكن عندما يقف الشعب فأنا واحد منه.

إذا كان أرادي الشعب زعيماً فلاني لا أفرط في حقوقه ومركزه ولكن عندما يظن البعض أن مراكزهم تعلو على مركز الشعب فاني لا أتنازل مقدار ذرة وفيما يختص بعلاقتنا الانترنتيونية أيضاً لا أتنازل مقدار ذرة عن حقوق أمتي.

ولكن الجماعات الأنانية لا تريد ان يكون لهذه الأمة مكانها في العالم، انها الانانيات التي تريد ان تأخذ ولا تعطي.

- ثم هاجم الزعيم المعاهدة الفرنسية - التركية الأخيرة التي سلم بموجبها جزء في من الوطن السوري لتركية وحمل على الأتراك وادعاءهم ومطامعهم وقال:

اننا نحن إذا طالبنا باعادة كيليكية الينا كان ذلك من حقوقنا القومية التي لا جدال فيها. ونحن أمة يجب ان يصغي العالم المتمدن الى مطالبها الحقبة لأن نهضة الأمة السورية وانصافها من الأمور الخطيرة التي تم الارتقاء الانساني، فالأمة السورية أمة ثقافية خرجت من ثقافتها أسس التمدن الحديث وعلمت الشعوب حب الوطن وأساليب العمران والرفي. أما الأتراك فبأي حق يطمعون في تراثنا، انهم شعب لم ير العالم منهم غير الظلم والفساد وليس لهم سهم في الثقافة الانسانية. ان اعتداءهم على سورية هو اعتداء على أمة ثقافية يحتاج العالم الى فاعليتها الثقافية اليوم كما كان يحتاج اليها في الماضي.

نحن أمة لها الحق ان تأخذ لأنها أعطت، أما الأتراك فأمة لا تفعل شيئاً حتى الآن غير الأخذ والاعتداء اللذين يضران بالتقدم الإنساني الثقافي».

انزعاج آخر من الجريدة

وفي رسالة الزعيم الى الرفيق جورج بندقي الى البرازيل بتاريخ 26 تموز 1939 يبدى الزعيم تفاعله بمناسبة قرار الحكومة البرازيلية اجبار الصحف الأجنبية على نشر ترجمة موادها لأن هذا القرار يفسح المجال لتقدم «سورية الجديدة» وسيطرتها إذا أحسن درس الحالة الجديدة واتخذت تدابير فعالة لجعل إدارة الجريدة قوة كبيرة دقيقة ثم

يسترسل في إعطاء توجيهاته بهذا الخصوص ولكن الملفت للنظر انزعاجه من الرفيق رشيد شكور المسلم التحرير في الجريدة وهذه مقاطع تبين هذا الانزعاج انقلها لما تتضمنه من توجيهات أساسية. «قبل تقرير مصيره الأخير قلت له اني لا اتبنى مقالاته إلا بعد عرضها على لجنة تمحصها وتنفي منها ما هو مخالف للتفكير القومي. والأفضل ان يرسل هذه المقالات الى الوكيل العام لمكتب عبر الحدود الرفيق أسد الأشقر، وهي كلها مقالات لا يمكن ان يمضي عليها الوقت لأنها مقالات غير متعلقة بالاجبار الجارية كمقالة «نهضة سورية الأدبية» ومقالاته في الدين ومقالته الأخيرة في «التشريع والبيئة». وان نشر هذه المقالات كما هي يولد بلبلة روحية وميعاناً في التفكير السوري القومي». «إن رأي «سورية الجديدة» يعني الرأي المنبثق من التعاليم السورية القومية، لا الرأي الخاص لأحد المنضمين جديداً الى الحركة القومية. ولما كانت صفة «سورية الجديدة» تجاه الرأي العام ليست صفة فردية تتعلق برأي رشيد شكور فليس لرشيد أو لغيره ان يفرض رأيه الخاص عليها وتعاليمه هو. ولكن هذا ما فعله رشيد حتى الان ومنذ البدء. فهو بعد أن أخذ مسودات العدد الأول معه أرسل مقالته الأولى التي أعادها اليه الناموس الأول ليدخل عليها التعديلات التي لا بد منها لنشرها. وقد انتهز رشيد فرصة وجودنا في التوقيف فنشر مقالته كما هي غير متقيد بتوجيهات الناموس وهي الآن مثبتة في أول العدد الرابع بشكل «افتتاحية» بعنوان «العقليتان الشرقية والسورية» ثم ان المقالات التي نشرها فيما بعد أوجدت لنا مشاكل فكرية واسعة. فمحيط النهضة السورية القومية محيظ راق دقيق يعمن النظر في كل قول، خصوصاً متى قصد ان يكون قولاً توجيهياً».

وفي مقالته في العدد 14 تحت «رأي سورية الجديدة» بعنوان «نهضة سورية الأدبية» ان النهضة السورية القومية ليست نهضة ابداع سوري بل «نتيجة منطقية» لما يسميه «النهضة الأدبية السابقة» وهذا مخالف للحقيقة والواقع ويحرم النهضة السورية القومية من صفة إبداعها الفني الفلسفي الذي لا يمكننا أن نجد له أصلاً في تلك الأخطا الأدبية المتنافرة، المتضاربة بين مختلف الأذواق والاتجاهات الأجنبية، التي يسميها الكاتب «نهضة أدبية». فالآن ينشأ أدب قومي جديد بفضل الحركة السورية القومية المستقلة. فهذه النهضة ولدت نهضة أدبية جديدة، لا ان الاخلاط الأدبية السابقة الماضية ولدت هذه النهضة».

«فتجاه هذه الأمور أطلب منك الا تشرشيء تحت «رأي سورية الجديدة» من «تعاليم» رشيد فاني لا استطيع تبنيها أو الدفاع عنها وهي ضارة بالقضية والجريدة على السواء، وحين لا يكون هنالك مقالات مني أو من الرفيق أسد أو من أدباء النهضة

المعترف بهم يمكن نشر ما يرد من التعاليق في أخبار الوطن بشكل مقالات واردة من الوطن تحت «رأي سورية الجديدة» ويمكن رشيد ان ينشر مقالاته بامضاءه أو بامضاء مستعار في مكان آخر».

وعن هذا الانزعاج يذكر الزعيم في رسالته الى عضوي اللجنة التنفيذية تاريخ 10 آب 1939 ما يلي: «إن كتابته خرجت خروجاً بارزاً على اتجاه الحركة السورية القومية وعلى التوجيهات الروحية والسياسية المعطاة له فبسبب هذا الخروج حملة على الحزب السوري القومي في الوطن وتعرض الحزب وسياسته للخطر. والمقالة التي كتبها محمد النقاش في «صوت الأحرار» معرضاً بزعيم الحزب السوري القومي استند فيها الى فقرات غير موفقة من مقالات الرفيق رشيد. وهي فقرات لا يمكن بوجه من الوجوه الموافقة عليها».

عودة الرفيق أسد الأشقر الى الوطن

في النصف الأخير من شهر تموز بدأ الرفيق أسد الأشقر رحلة العودة من الأرجنتين، بعد أن دام غيابه نحو ثمانية أشهر عن مقر أعماله في الشاطئ الذهبي، عندما التحق بالزعيم في دكار- السنغال وهو في طريقه الى سان بولو- البرازيل.

وصل الرفيق أسد الأشقر الى الشاطئ الذهبي ليفاجأ بصدور أمر من السلطة يمنع بموجبه من الدخول الى أراضي الشاطئ فبقي على ظهر الباخرة التي أقلته يضرب أحاسه بأسداسه. لم تنفع طرق المراجعة التي اعتمدها مع السلطة. كاد يتملكه القنوط من إيجاد حل لهذه المشكلة العويصة لولا ان تداركه ذهنه وهدهاه الى صديق له موجود في لاقوس- نيجيريا- عله يمد له يد المعونة ويتشله من المازق الذي يتخبط فيه. وهكذا كان فاتصل به وكان عند حسن ظنه ولبّاه وها هو يؤمّن له الدخول الى نيجيريا، جارة الشاطئ الذهبي وينزل ضيفاً عزيزاً عليه حيث يبقى في ضيافته الى شهر أيلول يقوم خلالها بالاتصالات اللازمة لتدبير شؤونه التجارية، كما انه وجد في مدينة لاقوس بعض الرفقاء فمارس صلاحياته كوكيل عام لمكتب عبر الحدود وعقد لهم بعض الاجتماعات وأنشأ منهم مفوضية كان على رأسها الرفيق وليم لّس من قرية اليازدية التابعة لقضاء صافيتا.

في الاسبوع الأخير من شهر آب يصل الرفيق أسد الأشقر الى بيروت قادماً من نيجيريا عن طريق مطار اللد، في سورية الجنوبية ليواجه بالحرب الكونية الثانية قد استعر أوارها واشتعل لهيها.

توجيهات للزعيم في الشأن المالي

وردت هذه التوجيهات في الشؤون المالية في رسالة الزعيم الى الوكيل العام لمكتب عبر الحدود بتاريخ 30 تموز 1939 وهي ترمي الى المحافظة على الأموال الحزبية التي هي من حق الخزنة العامة من جهة ومن جهة أخرى الى تأمين نفقات رحلته واقامته من موارد مالية أخرى لا تمس هذه الأموال الحزبية العادية. تذكرنا هذه التوجيهات بتلك التي ذكرها الرفيق كميل الجدع عندما مرّ الزعيم بحيفا في طريقه الى قبرص في بدء رحلته الى عبر الحدود.

يقول الزعيم: «فإن تحويل منفذية الشاطيء الذهبي الى مكتب الزعيم بناء على طلب ناموس في هذا المكتب هو عمل مخل بالقانون المالي والقوانين الادارية فليس لناموس في مكتب الزعيم أو في مكتب عمدة أو اية ادارة حزبية سلطة ادارية تحوله اصدار تعليمات إدارية في الشؤون الحزبية. وفي حالة مالية لا يحق لغير عميد المالية نفسه اصدار تعليمات بنقل أموال أو تحويلها بناءً على اضطراريات الموازنة المقررة وكيفية الصرف، أو بناء على قرار مجلس العمدة المصدّق من الزعيم. والزعيم وحده بصفته مرجع السلطتين التشريعية والتنفيذية له حق اتخاذ قرارات نقل أموال بصورة استثنائية لأسباب ترجع الى تقرير الزعيم وحده الذي يعلنه في الظرف المناسب».

«فبناء عليه أطلب منكم تبليغ منفذية الشاطيء الذهبي ان عملها بتحويل مال عائد الى الخزنة العامة الى دائرة أخرى من دوائر الحزب بدون أمر من عميد المالية أو من الزعيم هو غير قانوني واني أعده مخالفة. واكتفي الآن بتسجيل ذلك لعدم وجود حاجة الى غير تدبير باعتبار التقديرات التي من اجلها صار التحويل.

وأطلب منكم أيضاً أن تتبلغوا اني أعدّ طلب الناموس الأول لمكتب الزعيم أثناء الرحلة من منفذية الشاطيء الذهبي تحويل المال المجبي الى مكتب الزعيم غير قانوني ومخالفة».

«وكنت قد طلبت منكم قبل سفركم مراسلة الفروع لتأمين نفقة رحلة الزعيم الى المكسيك فليكن واضحاً لديكم ان ما أعنيه هو أن تهتم هذه الفروع بمساعدة صندوق الرحلة من التبرعات وواردات مختلفة مع عدم مس المال المجبي لخزنة الحزب العامة، إذا أمكن، أي ألا يُلجأ الى تحويل مبالغ مجبة لخزنة الحزب الا لعدم وجود إمكانية أخرى».

توجيهات للزعيم في شأن الجريدة

بعد مخابرات ومراسلات استمرت ما يقرب من الثلاثة أشهر مع اللجنة المفوضة في البرازيل ومع الرفيق جورج بندقي استقر الرأي الأخير على اتخاذ التدابير الآيلة الى وضع حد للانزعاج الذي كان يسببه الرفيق رشيد شكور في ممارساته التي أضرت بالجريدة من جهة التوجيه الفكري والسياسي. وفي رسالة الزعيم الى اللجنة المفوضة بتاريخ 10 آب 1939 يوافق الزعيم على هذه الترتيبات على أن تصدر المراسيم المختصة بها فيما بعد.

«بناء عليه ولما كان مشروع الجريدة أهم مشروع إذاعي للحركة السورية القومية، ولما كان تنظيم هذا المشروع من أهم الشؤون الإدارية النظامية المتعلقة بالاذاعة، أعدت النظر في حالة الجريدة والافراد العاملين وفي مقتضيات الحاجة ووجدت ان انشاء مجلس إداري أوفى بالغرض من لجنة إدارية. وان غرض هذا المجلس وصلاحياته يجب أن تكون محدّدة، واضحة، لكي لا يحدث فوضى أو تضارب في الصلاحيات». «واني أطلب الآن من اللجنة المفوضة بصفتها المركز التنفيذي التسلسلي في نطاقها الذي يجري التبليغ والتنفيذ بواسطته ان تأخذ علماً بما يلي: (1) إن إيجاد المجلس يقصد منه صفة دائمة. (2) ان تأليف المجلس يكون من المراجع المختصة، التي هي عمدة الاذاعة في الدرجة الأولى والزعيم في الدرجة الأخيرة. (3) ان هيئة المجلس الاداري خاضعة للتغيير أو التعديل من قبل هذه المراجع للأسباب التي يكون من حق هذه المراجع وحدها تقديرها. (4) إن هيئة كتابة وتحرير الجريدة خاضعة لهذه المراجع مطلقاً. (5) إن المؤسسات المختصة بالجريدة، كالمؤسسات المختصة بإدارة الحزب خاضعة لبدأ التعاون والتضامن في الصلاحيات والمسؤوليات مع الإدارة العليا. بناء عليه تجري اللجنة المفوضة تبليغات أولية، خاضعة للتثبيت الرسمي بموجب مرسوم. (6) انه قد أنشئ مجلس إداري لسورية الجديدة ستحدد صلاحياته في مرسوم يصدر قريباً. (7) يتألف المجلس الاداري مؤقتاً من الرفقاء عضوي اللجنة المفوضة وفؤاد بندقي ومدير الشؤون فقط».

وفي الثاني من أيلول صدر مرسومان: المرسوم الأول ينص على ما يلي: «مادة أولى- تأسس جريدة «سورية الجديدة» مجلس إداري يسمى «مجلس إدارة سورية الجديدة». مادة ثانية- عين الرفقاء: فؤاد بندقي والياس بخعازي وتوما توما أعضاء في مجلس إدارة «سورية الجديدة». مادة ثالثة- مدير شؤون «سورية الجديدة» ومدير الكتابة والتحرير فيها يكونان عضوين في مجلس إدارة «سورية الجديدة» بحكم وظيفتهما وبصورة

ذاية إلا إذا صدرت تعليمات بشأن أحدهما توقف ممارسة أحكام هذه المادة. مادة رابعة - تعيين صلاحيات مجلس إدارة «سورية الجديدة» بمرسوم آخر. مادة خامسة - على هيئة اللجنة المفوضة للمنطقة الثالثة عبر الحدود تبليغ هذا المرسوم لمن يلزم». أما المرسوم الثاني فينصّ على ما يلي: «مادة أولى - تحدّد صلاحيات مجلس إدارة «سورية الجديدة» كما يأتي: (1) درس وضعيّة الجريدة في أوساط الجالية باعتبارها جريدة تمثل فكرة اجتماعية سياسية يمتثل ان تحدث مقاومة لها من كتل أو هيئات سورية لها نزعات مناوئة. (2) درس أساليب هاته المناوأة وتقرير الخطط والأساليب لاحتباط أساليب وأعمال الهيئات المناوئة. (مثلاً يجوز ضغط تجاري لارجاعها فيجب فهم هذا واتخاذ الأساليب اللازمة). (3) اتخاذ التدابير اللازمة لتأمين الجهاز الاداري أي ادارة شؤون سوريا الجديدة». (4) مراقبة أعمال الكتاب المحليين في الجريدة والنظر اذا كانت كتاباتهم منطبقة على التوجيهات السياسية والثقافية والواردة من المراجع المختصة. (5) الاطلاعات على التوجيهات الواردة الى المحرر والاستحصال على التوجيهات الأساسية لسياسة الجريدة وحفظها. (6) أن ترفع تقارير مفصلة، لكل مخالفة أو شذوذ في الشؤون الكتابية الصادرة عن كتّاب معينين في الجهاز الانشائي، الى مكتب الزعيم أو إلى عمدة الإذاعة حسب التعليمات الصادرة. (7) اقتراح تدابير أو تعديلات يراها المجلس في مصلحة تقدم الجريدة من الوجوه الادارية والانشائية والاداعية والسياسية. مادة ثانية - ما لم يرد في أحكام المادة الأولى لا يكون من صلاحيات مجلس ادارة «سورية الجديدة». مادة ثالثة - على اللجنة المفوضة في البرازيل تبليغ هذا المرسوم لمن يلزم».

سورية الجديدة

أراد الزعيم أن تكون جريدة «سورية الجديدة» نسخة متطابقة لجريدة «النهضة» التي أنشأها في الوطن وقد تمّ له ما أراد من حيث الشكل ولا غرو في ذلك أما من حيث الجوهر فقد أصيبت الجريدة بأول نكسة بسبب توقيف الزعيم بعد صدور عدد من منها، يضاف إليها ضعف بنية التحرير الذي تألف من أفراد لا خبرة صحفية لهم من جهة ومن جهة أخرى لا خبرة حزبية ولا مستوى ثقافي حزبي مع انهم قد يكون لهم صفات أدبية ممتازة، زد على ذلك التوجيه السياسي الاترنسيوني الذي كان يقتضي معرفة ومرونة فالجريدة جريدة حزبية لا جريدة شخصية. ثم النكسة التالية التي جاءت وان بشكل هادئ طبيعي عادي وهو سفر الزعيم من البرازيل الى الأرجنتين مما جعل اشرف الزعيم عليها يجري بالمراسلة التي مهما تكن دقيقة ومتلاحقة لا يمكن أن تعطي النتائج المتوخاة مع أشخاص خبيرين، ذوي اختصاص في المهنة فكيف إذا كانت مع

أشخاص ينقصهم الكثير الكثير. ويجب أن لا نسقط من حسابنا المقاومة التي لاقتها الجريدة من خصوم النهضة كما كان يجري في الوطن وعلى ذلك استشهد ببعض مقاطع من مراسلات الزعيم نفي بالغرض. «في كتاب أرسله الي توما يقول ان عدد مشتركى الجريدة يتناقص. فأريد أن أشير الى انى أرى في ذلك دليل المقاومة السياسية الخفية التي يقوم بها خصوم الجريدة واعداء القضية القومية سراً. فهذه المسألة لا تتعلق بعقلية المشتركين ورغباتهم هم، بقدر ما تتعلق بالدسائس والدعاوات الخفية في أوساط الجالية». و«مسألة المقالات القصيرة والطويلة ليست سوى حيلة لاختفاء الدعاوة العاملة في الخفاء». وفي صدد مواصفات المحرر رشيد شكور يقول «أديب من أدباء المدرسة السابقة ظهور النهضة السورية القومية، انه يجهل الشيء الكثير من تاريخ النهضة السورية القومية ومن قضاياها الكبرى، انه يجهل الفن السياسي الضروري لترؤس كتابة وتحرير جريدة كجريدة النهضة السورية القومية. فهو كاتب أدبي أكثر منه كاتب سياسي». «ولقد كان من وراء عدم فهم الرفيق رشيد شكور سياسة الحزب السوري القومي وخروجه على التوجيهات التي أرسلتها اليه تكراراً ان جريدة «صوت الأحرار» البيروتية قامت بحملة على الحزب متهمة إياه تهاً عديدة باطلة، مستشهدة بفقرات من مقالات محرر «سورية الجديدة» الخارجة على التوجيهات المرسله اليه».

ومع هذا كله فقد قامت الجريدة بقسط وافر من الدعاية للحزب ان بالمقالات المنقولة عن جريدة «النهضة» أو بنقل أخبار نشاطات الزعيم، الخ... وأخيراً أصيبت الجريدة بسيف قرار المندوب السامي الفرنسي بمنعها من الدخول الى الأراضي المشمولة بانتدابه وذلك بتاريخ 39/10/2.

نداء الزعيم

يسرّ مكتب الأخبار السورية أن يُعلن لعملائه والذين يرأسهم انه سبق الى الحصول على الرسالة التي وجهها زعيم الحزب السوري القومي في أول تموز الى السوريين القوميين والشعب السوري بمناسبة الموقف السياسي الحاضر العصيب.

وهو يلفت النظر الى أهمية هذه الرسالة في الوقت الذي تتخرج فيه الحالة الداخلية في سورية خصوصاً بين الحزب السوري القومي والسلطات بالنظر لمصير لواء الاسكندرون والكتاب الأبيض وغير ذلك من الحوادث.

فحسب ان يرى عملاء مكتب الأخبار السوري المجهود الذي نبذله لاستقاء المعلومات من مصادرها بسرعة.

الحزب السوري القومي عمدة الاذاعة دائرة النشر

تدرس الحكومة الفرنسية اليوم مشروعاً يقضي بتجزئة سورية تجزئة جديدة بحيث تقسم الدولة الشاملة الى أربع مناطق يديرها مستشارون فرنسيون بواسطة (حكام) سوريين من المستعدين دائماً لبيع مصالح الشعب السوري بأية وظيفة وأي معاش ولأية مدّة كانت. أن نيات السياسة الفرنسية في بلادنا لم تكن يوماً بخافية علينا. ولقد بذل الزعيم مجهوداً كبيراً لحمل الفرنسيين على الاقلاع عن هذه السياسة المقصود منها اهلاك مصالح الشعب السوري والقضاء على الأساس السياسي الاقتصادي لكيان الأمة السورية، مبيناً للمسؤولين الفرنسيين خاصة، عاقبة هذه السياسة لفرنسة نفسها وأفضلية سلوك سياسة الاعتراف للأمة السورية بحقوقها في تقرير مصيرها ولكن فرنسا فضّلت السير في سياستها الى النهاية متخذة من عقم الكتلة الوطنية وحكومتها وسيلة لتنفيذ اغراضها بدون حادث أو صدمة.

ولقد حذر زعيمنا الحكومات السورية والشعب من السياسة الافرنسية ومناوراتها وظهر تساهلاً كبيراً بمحاولته التفاهم مع حكومة الكتلة الشامية على خطة عامة تؤول الى احباط مناورات هذه السياسة ولكن الشركات السياسية لم تشأ ان ترعوي عن غيها وبقيت مسترسلة في صلفها وغرورها الى أن وصلت الى النتيجة التي سعت اليها بنفسها ولا مفر لمن سلك مسالكها منها.

تجاه هذا المشروع الفرنسي الجديد وتجاه المساومة الافرنسية - البريطانية - التركية الجديدة يقف كل سوري قومي في مكانه مصغياً الى صوت الزعيم مستعداً لتنفيذ أوامره وكلمة الزعيم الآن هي هذه الرسالة الموجهة الى السوريين القوميين والشعب السوري عامة. فلنكن في اماكننا مستعدين!

عمدة الإذاعة

أيها السوريون القوميون

مرت في السنة الماضية أحداث خطيرة اضطرب لها العالم وتشنجت أعصاب السياسة الانترنسيونية فنفاقم الامر وبلغ حدّ تعبئة الصفوف وتحريك الجيوش ولكن، مع كل ذلك، لم أجد لي حاجة بتوجيه رسالة أو خطاب اليكم لاني كنت شبه موقن بأن الأزمة التي اشتدت في سبتمبر الماضي ستحل بدون عملية عامة وبأن المظاهر التي عرضت على المسرح الأوروبي لم تكن ذات قيمة حقيقية أو مستمدة من عزم حقيقي على الوقوف موقفاً حاسماً.

أما الآن فأشعر بأن العالم يتجه بسرعة نحو موقف فاصل توضع فيه مقدرات الأمم في محكمة القوة أو محكمة حق المصالح. فرأيت في هذا الزمن التاريخي ان أوجه اليكم هذه الرسالة الصريحة لتكونوا على بينة من الموقف وليتأهب كل منكم تأهباً تاماً ليقوم بواجبه على أفضل وجه حينها تصدر الإشارة. وأنتم تفهمون جيداً ما أعني.

إن الساعة التي تتمكنون فيها من أن تبرهنوا للعالم ما معنى وجودكم وكيانكم، تدنو مستعجلة في هذه الساعة المضطربة، توضع مثلكم العليا في معترك تنازع الحياة الجيدة والتفوق. ومصيركم يتوقف على مصيرها.

في هذه الساعة الآتية ستعرفون التاريخ والتاريخ سيعرفكم، اني واثق وأوقن من أنكم ستكونون في ذلك الموقف كما انتظر ان تكونوا.

يا ذوي الألبسة الرصاصية! يا رجال الزوبعة الحمراء!

انكم قد تعرضتم حتى الآن لاضطهادات ومعارك عنيفة كان سلاحكم فيها

الصبر الجميل الذي أظهر عظيم قوتكم ومثانة نظامكم وسمو مناقبكم. انكم لم تستعملوا غير هذا السلاح ليس لعجز منكم بل لأنني أنا أردت أن لا تستعملوا غيره فاختبرت بهذه الطريقة قوة نفوسكم لأنه أهون جداً على المرء في المواقف العصبية ان يخرج عن طوقه من أن يصبر على الشدة وأنتم تعلمون جيداً أني ما طلبت منكم الا ما فرضته على نفسي وتقدمتكم فيه.

هنالك أيا منا التاريخية تشهد بأننا لم نلجأ الى الصبر تجاه العنف عن عجز، بل عن مقدرة.

اذكركم بيوم «عماطور- الشوف» ألم تقفوا في ذلك اليوم الشهير تجاه القوة المسلحة المرسله لتفريق شملكم وبعثرة صفوفكم موقف النظام الدقيق والطاعة المثل فلم تحركوا ساكنا والسماء والأرض ومن فيها شهدوا بأنني لو شئت اختيار غير هذا الموقف ومقابلة العنف بالعنف لكان انتصارنا بالقوة أكيداً كما كان انتصارنا بالصبر؟

اذكركم بيوم «بكفيا» وقد هاجتكم القوة المسلحة بقصد انتزاع اعلامكم فاطبقتم عليها أطباق فك أسد على عنق غزال وأرسل الي قائدكم يخبرني بأن القوة المدججة بالسلاح قد أصبحت في قبضتنا ويسأل تعليمات جديدة فأشرت عليكم بالعنف عن القوة التي لم يستحق قائدها هذه المعاملة النبيلة.

اذكركم بيوم «دمشق» حين وقفت صفوفكم أمام الجامع الأموي في يوم الاسكندرونة وحاولت بعض العناصر الشيوعية الاعداء على بعض الرفقاء الذين كانوا في الداخل. وكانت تلك العناصر متفاهمة مع رجال الحكم ضدكم ومؤيدة من رجال الأمن فكفت جريدتان أو ثلاث جرائد منكم للسيطرة على الموقف والاقتصاص من المعتدين وإعادة الأمن الى نصابه وحمايته من «رجال الأمن» حتى صفقت الجماهير لعملكم وهتفت لكم وتجاوب صدى اجراءاتكم الباهرة في موسكو وباريس!

اذكركم بيوم طرطوس حين تألبت جموعكم وجاءت القوات المسلحة ثم ارتدت على أعقابها حين رأت ما يؤول اليه الاشتباك معكم! ومشى الشعب كله معها فما حرك العدو ساكناً.

ويوم صافيتا! ويوم تلكلخ وكواكب فرسانه، ويوم بتربل ومناوراته.

لقد أساء الناس فهمكم... وهو ما حملني على القول في يوم طرابلس - الكورة: «اننا قد انتصرنا بالصبر والاحتمال. ولكننا نقدر حين لا ينفُغ الصبر على الانتصار بوسائل أخرى!»

اذكركم بكل ذلك لتعلموا أن قيمة العظمة الحقيقية لا تزول ولا تنزل عن

مرتبها. اني أعرف نفسي وأعرفكم واثق بنفسي واثق بكم في الصبر والاحتمال وفي الافدام والتضحية!

انكم قد قمتم بعمل عظيم، ولكن عظمتكم الحقيقية لا تقف عند هذا الحد ولا تتخلّى عن العمل الفاصل الذي يتوقف عليه مصير مصالحكم وأرواحكم ومثلكم العليا وحقوقكم في الحياة!

يا رفقائي!

لست بناس ولا اخالكم ناسين اننا قد تعاهدنا في الحزب السوري القومي على تحقيق أمر خطير جداً يساوي كل وجودنا الا وهو: إنشاء دولتنا المستقلة على أساس مبادئنا الثابتة، وجعل إرادتنا نحن نافذة في كل ما له علاقة بوطننا وشؤون حياتنا وحقوقنا ولست بمترجع ولا اخالكم بمتراجعين!

اننا قد تعاهدنا على إنشاء دولتنا المستقلة. ومنذ تلك الساعة نشأ في الأمة السورية الوجدان القومي الممثل بكم: بعقيدتكم ونظامكم ومناقبكم وأعمالكم. منذ تلك الساعة بعثت الأمة السورية وابتدأ كيانها السياسي بنشوء الحزب السوري القومي الذي هو بالفعل دولة الشعب السوري المستقلة.

هذا هو عملكم العظيم الذي أثبتته تاريخ الحركة السورية القومية. ولكن العمل الأعظم الذي أطلب منكم الآن ان توجهوا كل قواكم الروحية - المادية إليه هو حمل الأمم والدول على الاعتراف بأمتنا ودولتنا، على الاعتراف بحقنا في الحياة ومركزنا بين الأمم والدول. هو جعل ارادتنا في حقوقنا ومصيرنا مفعولة ومحترمة. هذه هي النقطة العظمى التي أطلب منكم في هذا الوقت ان توجهوا جهودكم اليها واثقاً من أنكم جديرون بأن أوجه اليكم هذا الطلب ومن اني لا أكلفكم ما لا طاقة لكم به!

اني من أجل ثقتي بكم ومن أجل انكم قوة الوجدان القومي. أوجه في هذا الموقف العصيب كلامي اليكم أولاً!

وفي هذا الموقف العصيب أريد أن أعلن اليكم ما يلي:

اني سرت بكم مدة سبع سنوات طويلة في طريق اللين والتساهل والصبر والاحتمال فحملت نفسي وحملتكم ما كنت واثقاً من اننا نقدر على حمله ووجهت منذ البدء دعوتي وندائي الى العناصر والشركات السياسية التي ادعت العمل لمصلحة الشعب وكررت الدعوة والنداء في ظروف متعددة وضعت فيها مصالح أمتنا بين الوجود والعدم للاشتراك في انشاء جبهة قومية يوضع لها خططاً تعاونية تشترك عناصرها في تنفيذها. واشرت من سجنى الأول بارسال وفد للاتصال بعناصر الكتلة الوطنية واقناعها

بوجود توحيد العمل قبل التوغل في المخابرات والمفاوضات لعقد معاهدة مع الدولة المنتدبة. ولكن تلك الشركة المحدودة قابلت حسن نيتي ودعواتي ونداءاتي بفتور غريب وفعلت كل ما في وسعها لاقضاء حركتكم عن صميم العمل السياسي ومع ذلك فإني لم أتردد في تقديم كل مساعدة سياسية لها اعتقدت انها في مصلحة قضيتنا القومية. ولكن لم أغفل اسماعها واسماع الرأي العام انذاري لها وللشركات اللبنانية من سوء عاقبة السياسة الخصوصية التي تسير عليها، فاذعت في الخامس عشر من يونيو 1936 بلاغي الأول الذي عرف بالبلاغ الأزرق.

من جهة أخرى رأيت ان أسلك بكم طريق التأي والهوادة تجاه سياسة الدولة المنتدبة، لكي لا يقال عني اني لجأت منذ البدء الى العنف واغلقت باب التفاهم، ولكي أعطي الدولة المنتدبة فرصة لاطهار حسن نيتها، وسلوك سياسة التفاهم التي ادّعت، تحت ضغط الحركة السورية القومية، انها قررت على انتهاجها.

فتحملت، ورافقتوني في تحملي، ضغط الملاحقات الثانية والسجن للمرة الثانية وفي أثناء هذا التوقيف الذي طال مدة أربعة أشهر ونصف وجرى بأمر الحكومة اللبنانية، ابتداء الاتصال المباشر الأول بين الحزب السوري القومي والمفوضية فاستقبل رئيس الغرفة السياسية وفد قبرصي - مراد وأظهر رغبته في الاجتماع بي بعد انتهاء التوقيف وكانت الحكومة اللبنانية قد عجزت عن ضعضة صفوفكم على الرغم من محاولاتها التي استمرت كل مدة التوقيف فاتصل بي الوفد وأنا لا أزال في السجن وأبلغني رغبة رئيس الغرفة السياسية في المفوضية العليا السيد كيفر. وكانت المقابلة ودية اظهرت فيها كل التساهل الذي تسمح به قضيتنا القومية. وأفهمت السيد كيفران مصالح سورية وفرنسا المتبادلة توجب على المفوضين الفرنسيين الاعتراف بحركتنا والتفاهم معنا. ولكن رئيس الغرفة السياسية كان يطمع - على ما يظهر - بالحصول على أكثر من هذه النتيجة مني فقال:

«إننا أيضاً نودّ حصول التفاهم فأبواب المفوضية تكون دائماً مفتوحة لاستقبالكم». فظهر لي من هذه العبارة نوع المناورة السياسية التي قررت الغرفة السياسية في المفوضية الفرنسية القيام بها. وهذه المناورة تعني تسليط الحكومات المحلية علينا في لبنان والشام وفتح أبواب المفوضية لنا للالتجاء اليها. فقلت لرئيس الغرفة المذكورة:

«إن الوصول الى تفاهم يقتضي وضع القواعد الاساسية التي يمكن أن ينشأ عليها التفاهم. واننا مستعدون من جهتنا للقيام بنصيبنا من العمل لتسهيل الوصول الى هذه القواعد الاساسية» فتركت باب الاتصال مفتوحاً من غير أن أقبل الالتجاء الى أبواب المفوضية الفرنسية المفتوحة لكل من يريد الازدعان للسياسة الفرنسية.

ثم جاءت مسألة لواء الاسكندرونة فما صبرت على هذه المسألة لحظة واحدة فنشرت في الحال مقالاً في جريدة «الشرق» البيروتية كان أول مقال وضع هذه المسألة أمام الشعب السوري. ثم وضعت مذكرة وجهتها الى الجمعية الأعمية والى الدول الصديقة أبن فيها أن الحزب السوري يعدّ مسألة اللواء مسألة حيوية للأمة السورية وينكر وجود أي أساس حقوقي لتركية في هذا اللواء السوري، وحذرت من الاعتداء على الحقوق السورية. ثم كلفت رئيس المكتب السياسي في الحزب السوري القومي الاتصال بالغرفة السياسية في المفوضية الفرنسية وابلغها وجهة نظر الحزب.

ثم أرسلت كتاباً الى المفوضية الفرنسية أبلغها فيه استعدادكم للدفاع عن حدود الوطن الشمالية، واني اتمكن من وضع القوات الكافية لتأمين حقوقنا وفي الوقت نفسه أصدرت توجيهات بالاتصال من جديد برجال الكتلة الوطنية وحكومتها لدرس هذه المسألة. ثم اجتمعت بنفسي برئيس الوزارة الشامية السيد جميل مردم. ولم أكن أعلق أي أمل على الجانب الفرنسي، ولكن الوزارة الكتلوية كانت في موقفها عوناً للسياسة الفرنسية ضد المصلحة القومية. فقد قال لي رئيس الوزارة الشامية صراحة ان معاليه لا يعدّ نزع لواء الاسكندرون عن جسم الوطن خسارة لسورية بل يعدّ خسارة لتركية فلم أر صواباً في ذلك الوقت أن ازجكم في حرب ضد فرنسة وتركية والحكومات المحلية في وقت واحد. وكانت التأكيدات لنا من المفوضية انه لن يصير تساهل في حقوق السيادة السورية في اللواء فأريت ان أصبر فتكون لفرنسة فرصة جديدة للبرهان عن حسن نيتها.

أما الآن فقد تغيرت الحال. فقد سقطت تلك الشركة السياسية التي عرفت باسم الكتلة الوطنية وأصبح يقيتها حتى الذين كانوا لعهد قريب من أركانها فهي قد قدمت طبق افلاسها وشيئاً فشيئاً أخذت التأكيدات الفرنسية بالمحافظة على السيادة السورية في لواء الاسكندرونة تتلاشى. فبعد أن رفضت فرنسة يديها من كل معاهدة مع سورية ساومت تركية مساومة نهائية على لواء الاسكندرون وغيره من الأراضي السورية وقدمت ذلك اللواء الغالي ثمن مخالفتها تركية. وبعد كل ذلك قررت تقسيم الشام الى أربع مناطق يحكمها مستشارون فرنسيون بواسطة نفعيين من السوريين. تجاه هذه الأحداث وتجاه أحداث السياسة البريطانية في جنوب سورية أعلن باسمكم ان جميع المساومات والتسويات والاتفاقيات التي عقدها وتعقدتها دولة منتدبة على سورية أو على جزء منها، وكانت آيلة الى تعديل وحدة الوطن السوري ووحدة الأمة السورية، هي مساومات وتسويات واتفاقيات فاسدة فلا فرنسة ولا دولة أجنبية غيرها تملك أي حق بالتصرف بشبر واحد من ميراثنا.

وباسمكم أعلن أن الاتفاقية التي سلمت فرنسا بموجبها لواء الاسكندرونة الى تركية هي اتفاقية باطله تكون خيانة لعهدة الجمعية الأمية وتعدياً على أرض الوطن وعلى حقوق الأمة السورية الصريحة، وان مشروع التجزئة الجديد هو مشروع استعماري مطلق لا يقبله الشعب السوري الحر.

وباسمكم أعلن ان وعد بلفور هو تعدُّ على حقوق الأمة السورية الصريحة وأن جلب اليهود الى بلادنا تحت حماية قوانين فرضت علينا بالقوة لا يعطي أية سلطة في العالم حق مساواة اليهود بالشعب السوري في حقوق سيادته القومية. وانه لا بريطانيا ولا غيرها من الأمم تملك حق تعديل الحقوق السورية القومية أو حق تقرير مصير أي جزء من الوطن السوري.

واليكم أقول إن دور الشركات السياسية الذي كان لعباً بمصير الأمة والوطن خطيراً قد انتهى وجاء دور عمل السوريين القوميين لتعطيل المساومات والتسويات والاتفاقيات المجرمة ولانقاذ الأمة والوطن من تلاعب الارادات الأجنبية.

أيها السوريون القوميون! منذ هذه الساعة يتبدى عملكم الأعظم.

إن سياسة الصبر والاحتمال قد انتهت فكونوا في أماكنكم مستعدين.

أيها الشعب السوري! أيها الشعب الحي!

إن الحزب السوري القومي قد جاءك بالعقيدة التي تعبر عن وجدانك القومي وتظهر شخصيتك وتقويها وتوحد مصالحك تجاه المصالح الأجنبية وتوسعها وتثبت مركزك في العالم فتفتح لك مجال الصناعات العظيم التي يتسع له وطننا وتنمي مواردك الزراعية التي تكفي وحدها لنحو عشرين مليوناً من أبنائك يعيشون برفاه، وتحميها وتدعم تجارتك بقوة الدولة القومية المؤسسة عليها وتؤسس مجتمعا تأسيساً جديداً متيناً على دعائم مبادئها الاجتماعية والاقتصادية التي تقيم العدل الاجتماعي - الاقتصادي وتقضي على عوامل التهديم الاقتصادي والتفكيك الاجتماعي وتقيمك أمة حية، متجانسة قوية، منبعا. ولكن النفعيين الذين باعوا منافعهم الخصوصية بمصالحك، كرهوا مجيء الحزب السوري القومي وتأسيس المصلحة القومية على قواعد صحيحة لا تسمح بالتلاعب ولا باستمرار قيام المنازعات الفردية على حساب مصلحة الشعب. فاسرعوا الى محاربهه والى التمسك بعناصر الحالة الراهنة المخزية وهي عناصر التعصب الديني الذي فرق صفوف الأمة وجزأ وحدتها. وغدوا هذه العناصر المؤذية بروح النفاق الذي اشتهروا به. فقالوا للمسلم: حارب النهضة السورية القومية لأن المسلم يجب الا يتخلى

عن الجامعة الاسلامية وفكرة الدولة الدينية الاسلامية - العربية. وقالوا للمسيحي: حارب الحزب السوري القومي لأن المسيحي لا يقدر أن يتحد مع المسلم في مجتمع واحد فيجب أن يبقى المسيحي منعزلاً عن المسلم والأ يفكر الا بدولة صغيرة للمسيحيين تعيش في كنف دولة مسيحية. فبعد ان كنا أمام مسألة تعصب ديني بسيط ضمن حدود الشعب السوري يمكن العمل على حلها فيه، إذا بهم يولدون مسألة تعصب ديني مركب بالنفاق يشرك جماعات كثيرة في الشرق والغرب في قضية الشعب السوري. فأثاروا النعرة الدينية الاسلامية والبسوها لباس قضية عربية مصطنعة وأثاروا النعرة المسيحية والبسوها لباس قضية لبنانية مصطنعة وفيها هم يبذلون كل جهودهم في شطر الأمة السورية الى هذين الشطرين وإيجاد حالة تقضي عليها بالانحلال والاضمحلال. نكايه بالحزب السوري القومي ومقاومة له. يقفون بكل وقاحة بين الناس ويقولون «حاشا لنا أن نستغل النعرات الدينية لمآربنا! نحن أصحاب دعوة قومية»! فما أعظم هذه الدعوة «القومية» التي تريد هلاك الأمة السورية وخرابكم. أيها السوريون! أنتم وعيالكم وأجيالكم ستذهبون فريسة المطامع الأجنبية التي تجدكم غنيمة باردة، ولا تعود تقوم لكم قائمة أبد الدهر!

إن الظروف المحيطة الآن بامتكم هي ظروف فاصلة. انها ظروف صراع بين الحياة والموت بالمعنى الحرفي وفي ظروف هذا الصراع تلوح فرص لا يمكن- أن تقدر قيمة اغتنامها بالمقادير العادية ولا ان تقاس نتائجها بالمقاييس الخصوصية.

إن هذه الظروف فاصلة مهما كانت الطريقة التي ستبَّع في حل الأزمة الانترنسيونية. ولست أرى لحل هذه الأزمة سوى طريقتين: إما تسليم الامبراطوريات المحافظة بمبدأ إعادة النظر في توزيع موارد العالم وقبولها التنازل عن حصص كبيرة للامبراطوريات المتجددة، وفي هذه الحالة تحسب سورية في جملة الموارد التي ينظر في توزيعها. وإما طريقة اللجوء الى الحرب في التنازع على هذه الموارد.

في كلتا الحالتين يكمن خطر هائل للأمة السورية إذا بقيت في تحاذلها مستسلمة لخزعبلات الشركات السياسية وشعوذة النفعيين المنافقين. وإلى جانب الخطر الهائل تكمن فرص النصر لقوة الأمة الموحدة الارادة.

أيها الشعب السوري!

الآن يترتب عليك أن تقرر لنفسك أحد المصيرين: مصير النعرات الدينية والتقاطع والسقوط أو مصير النهضة السورية القومية ووحدة الارادة والقوة والنصر!

إن السوري الحي يختار طريق الحياة السورية القومية - طريق النصر!

فرنسا تعلن الحرب على الحزب

اعلان الحرب

نبدأ هذه الفترة التي امتدت حتى سنة 1944 بسرد قصة الاعتقالات في الوطن .
بدأ اعلان حرب فرنسا على الحزب السوري القومي الاجتماعي مع دخول الجيوش
الامانية الى بولونيا للاستيلاء على مدينة «دانترينغ» . كان ذلك في فجر الأول من أيلول
1939 وقد بدأت حملة الاعتقالات بالعميد جورج عبد المسيح الذي يقول في يومياته
الجزء الأول «في تلك الليلة كنت في فندق في قريتنا مع بضعة من رفقاتنا نتابع الاخبار
من محطة الى محطة . . . وإذا بخير اجتياح الجيش الألماني حدود بولونيا يصل في ساعات
الصباح الأولى» . «وتضاربت الآراء ولكن ما كان واضحاً لأي مراقب أن ذلك العمل
كان يعني الحرب، حرباً عالمية . أتيت الى البيت وغيرت ثيابي . بعد حوالي ساعتين من
اعلان الاجتياح الألماني فتحت باب غرفتي الجانبي لآخرج من البيت . الوقت أول
تباشير الصباح . علينا أن نجتمع المركزيين لرسم خطة عملية . فتحت الباب لآخرج
فيذا بالبيت مطوق من جميع جهاته . شرف معنا!!! الى أين؟» .

هكذا، أعلنت فرنسا المنتدبة الحرب على الحزب السوري القومي الاجتماعي
وزحفت بجحافلها الى ميدان الاعتقالات قبل أن تعلنها على المانيا العدو بيومين ولكن
دون أن تزحف . . .

مسلسل الاعتقالات

فرض على العميد عبد المسيح اثبات وجود يومي لدى دائرة الأمن العام
الفرنسي .

أما أنا فقد كنت عائداً من جولة حزبية وذهبت كعادتي، في كل مرة إلى باب

ادريس ارتاح عند الأمين بشير فاخوري في مستودع الأدوية. ما وجدته. قيل لي انه قد يكون منحرف الصحة فلازم البيت. توجهت الى بيته قرب برج أبي حيدر لاعوده. شددت جبل الجرس المعلق عند الباب الخارجي. انفتح من الداخل بواسطة جبل مشدود اليه ورأيت هناك عند الباب الداخلي الرفيق محيي الدين فاخوري، شقيقه هممت بالدخول، لكنه ما كاد يراني أحاول حتى اصابته نوبة رجفان هيسيرية وتلعثم في الكلام وبدلاً من أن يسمع أو يدعوني للدخول أو يجيبني على سؤالني عن الأمين بشير أشار الي بيديه الاثنتين بأن انصرف وأتدبر رأسي لأن الظرف ينذر بالويل والثبور وعظائم الأمور. ما وعيت شيئاً جلياً مما فاه به من بعيد ولكن أدركت أن أمراً جلاً قد حلّ به فتركته شبه مطرود!!

قصدت غرفتي المستأجرة عند السيدة فخري وما كدت اتخطى عتبة الدار حتى بادهتني بقولها «كيف وصلت الى هنا؟ إن رجال التحري حضروا وفتشوا غرفتكم وأخذوا كل ما وجدوه» من أوراق. عجبت لوصولي الى الدار رغم المراقبة المشددة التي كانت تظنها محيطية بها. ودعتها ورحت اسقصي الأخبار ولكن بتحفظ هذه المرة فاهما الآن سبب ارتباك الرفيق محيي الدين فاخوري. بدأت مرحلة اعتقالات جديدة وأنا أتجول في بيروت - بحريتي التامة!! - من مكان الى مكان كأن شيئاً لم يحدث. «يا غافل الك الله». تأكد لي أن الأمين بشير معتقل.

وأخيراً، حطّ بي الرحال في بيت الرفيق رافع جريديني في الاشرافية، حي مار نقولا فاستقبلني على الرحب والسعة، ضيفاً كريماً أخذت بيته مركزاً للاتصال واليه أتيت بالرئيس نعمة ثابت وكذلك بالعميد مأمون اياس وبالتتابع بدأت تصلنا المعلومات عن الاعتقالات.

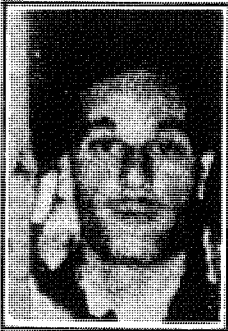


الرفيق رافع جريديني

أفلت من الاعتقال الأمين معروف صعب، الذي كان قد عين رئيساً لمجلس العمدة عند عودته من مقر وظيفته في سامراء، العراق لقضاء فصل الصيف وكان قد قرر عدم الرجوع، ولكن الجؤ المكفهر اضطره الى الاياب الى مقر وظيفته بمدة قصيرة فلم يمارس وبقي نعمة ثابت رئيساً لمجلس العمدة.

كان الرفيق الياس سمعان أول المعتقلين مع الأمين بشير فاخوري ولاعتقاله قصة طريفة كلفته سنتي حبس ونيف، أرومها فيما يلي: «كان العميد عبد المسيح عندما فرض عليه اثبات وجوده اليومي يبيت ليلته عنده وما انقضى على هذا المبيت ليلتان أو ثلاث حتى داهمت قوى الأمن منزله وإذ لم تجده فيه توجهت الى مركز عمله في سوق اياس حيث تمّ إلقاء القبض عليه. كان لدى الأمن العام الفرنسي معلومات تفيد أن الرفيق الياس يعمل ضابط ارتباط (Officier de Liaison). بين المركز والفروع- كان الرفيق عبد الله الجميل قد استحصل على هذه المعلومات بطريقة خاصة فرودنا بها- وعلى هذا الأساس دار التحقيق معه حول مكان وجود هؤلاء المركزيين. كان الرفيق الياس سمعان يحمل صفة حزبية هي رئيس مكتب اللوازم ولكن كما هو ظاهر، لا تخوله هذه الصفة معرفة مكان المركزيين وتحركاتهم ولكن مبيت العميد عبد المسيح عنده عزز هذا الظن والذي زاد الطين بلة وجود رسالة نسيها في جيب سترته موجهة من الرفيق يوسف اليازجي من دمشق الى الرئيس نعمة ثابت يطالب بها بدين له على الحزب. كان قد أرسلها عن طريق الرفيق الياس سمعان لجهله طريقة أخرى وهكذا دار التحقيق حولها وحول مكان وجود الرئيس نعمة ثابت مما استدعى في النهاية اعتقال الرفيق يوسف اليازجي.

دام هذا التحقيق عدة أيام على طريقة الأمن العام أي بممارسة شتى أنواع التعذيب والقساوة ما عدا الضرب واللكم. والركل. ثم أحيل على ذمة التحقيق الى سجن القلعة العسكري الذي كان قد سبقه إليه العميد عبد المسيح والأمين بشير فاخوري وكثرت المسبحة فتتابع الاعتقالات التي شملت في بيروت الرفقاء أديب قدورة وثلاثة من الطلبة القوميين الاجتماعيين، من الذين كانوا يتلقون دروسهم في المانيا وهم طالب الهندسة وليم سابا وطالبا الطب محمد القاضي من الشويفات واسبيريدون ديب من أميون، الكورة.



محمد القاضي



ويليم سابا



أديب قدورة

وكالة «فن» والاعتقالات

أما علاقة «فن» بموجة الاعتقالات فإليك قصتها. كان عميد الاذاعة قد طبع آلاف النسخ من بيان وكالة «فن» في طرابلس بشكل سري مأمون. حمل الرفيق سعد الله حدبا النسخ الى بيروت وتسلمها العميد المذكور ورزّمها تكبير أو تصغر بالنسبة للمنطقة المرسلّة إليها. على كل رزمة مكتوب اسم المنطقة واسم المسؤول عنها. أرسلها الى مكتب المواصلات مع عتال، معبأة في سلّ كبير.



الرفيق سعد الله حدبا

ومن هنا بدأت المشكلة فمدير هذا المكتب لم يقبل ان يكون مسؤولاً عن هذه الكمية وبهذا الشكل في محله التجاري خشية الفضيحة والنتائج المرتبة عليها فما كان منه إلا أن ردها الى حضرة العميد.

استاء حضرة العميد من هذا التصرف وارسلها بدوره الى الغرفة التي كان يقطنها وكيل عميد الدفاع ليتدبرها فباتت تلك الليلة هناك لتجد عند ذلك الفجر رجال الأمن العام يفاجئون المكان بوجودهم ويصادرون الرزم غنيمة باردة بابخس الاثمان.

وفي الوقت نفسه عثرت في حقيبتي وكيل عميد الدفاع على نسخة من بيان العمدة الحاوي مشاريعها ومنها مشروع التدريب والمخيم والاستعدادات، الخ... والذي كان حضرة عميد الدفاع منع وجود أية نسخة منه خارج اضبارة العمدة بأي شكل من الأشكال ولأي سبب من الأسباب.

وهكذا وقع في أيدي السلطة بعض رزم «وكالة فن» الحاوية نداء الزعيم ونسخة من بيان عمدة الدفاع فشكلا معاً قرائن للتحقيق عما ينويه الحزب من أعمال «عنف» بانتظار «الإشارة التي يفهم القوميون الاجتماعيون جيداً ماذا تعني».

الاعتقال غدراً ومكراً

التقينا في منزل الرفيق رافع جريديني - كما مر بنا - عقدنا جلسة مجلس عمد، استعرضنا فيها حالة البلاد بعد إعلان حالة الطوارئ فالزمن أسسى زمن حرب وساد نظام التعقيم وسواه من التدابير الاستثنائية. كنا نروز الوضع بمقاييس موضوعية دقيقة. إن الملاحقة ستشدد والتضييق لا بد منه... كان هناك عرض وصلنا بواسطة كلودا شقيقة نعمة قدمه لها المفوض أسعد البستاني، رئيس الشرطة العدلية، «لا مسؤولية على نعمة، يمكنه أن يفاوض ويناقش فإن إيجاباً فخييراً والأفانه يعود من حيث أتى» ولازلة أي شك فقد أقسم الإيمان المغلظة بالشرف والاخلاص بصدق التفويض الذي يحمله.

إن سلامة الطوية كانت تهيمن على نعمة وشقيقته وميلهما للتصديق لا مبرر عملياً له بنظري بل بالعكس فإن «فرض الإقامة وإثبات الوجود على العميد عبد المسيح، كان منبهاً كافياً لوجود سوء النية لدى السلطة. أبدى الرئيس نعمة وجهة نظره. إن العميد عبد المسيح ليس موقوفاً وهذا مؤشر جيد ثم لا بد من الوقوع في الاسر ان عاجلاً أو آجلاً. فأين المفرّ وقوى الأمن تملأ الارحاء قاطبة ما عدا العيون والمخبرين، ناهيك عن عمال المكتب الثاني للجيش الفرنسي ثم هناك السلطة المحلية اللبنانية وأذناها الخ... لذلك كان يرى أن يسلم نفسه عن طريق هذا العرض علّه يستطيع بهذه الوسيلة اتقاء الضربة الموجهة للحزب.

كان موقفي سلبياً وقد بنيتني اني أفاوض وأنا حر ولا أفاوض وأنا بين أيدي الفريق الثاني مهما وعد وأقسم، أما موقف العميد اياس فقد كان أن ترك البت بهذا الأمر له. وهكذا قرر الرئيس ثابت الذهاب الى هذه الجلسة، جلسة النقاش والبحث على أساس الاخلاص والشرف فوجد «الاعتقال» والتحق بالعميد عبد المسيح وباقي الرفقاء في سجن القلعة العسكري ليقوم بواجبه من الداخل، من خلال التحقيق، العميد عبد المسيح وحده لا يكفي.

وجاء في «سورية الجديدة» العدد 71 تاريخ 22 حزيران 1940 التعليق التالي على هذا الغدر والمكر: «أما القبض على رئيس مجلس العمد فحدث لا مثيل له في تاريخ المعاملات السياسية والدبلوماسية في القرن العشرين. وقد وصفه أحد كبار المسؤولين في الحزب السوري القومي بأنه «أفصح ما عرف من حوادث الغدر والمكر في التاريخ السياسي». أما كيفية حصول هذا الغدر فهو انه عندما وجدت السلطة الأجنبية أن تدابيرها لاعتقال رجال الحركة السورية القومية المسؤولين لم تمكنها من اعتقال غير عضو واحد من أعضاء الهيئة التنفيذية هو الأمين جورج عبد المسيح. رأت أن تعمد الى

حيلة شائنة لا تليق بالمعاملات بين المتمدنين فأعلنت رغبتها في مفاوضة الحزب السوري القومي وطلبت مقابلة رئيس مجلس العمد للمفاوضة ومحاولة الوصول الى تفاهم. ولما كان الحزب السوري القومي أظهر لرجال السلطة الفرنسيين في المحادثات العديدة السابقة انه مستعد للوصول الى تفاهم مع فرنسا على أساس اعتراف هذه الدولة بسيادة سورية وحققها في الحياة، كان طلب الفرنسيين المفاوضة أمراً معقولاً في هذه الظروف.

نظر رجال الادارة المركزية في الطلب ولم يرغب عنهم احتمال كون هذه الدعوة حيلة للقبض على بعضهم. ولكن رئيس مجلس العمد قرر أن يقبل الدعوة وان يعرض نفسه هو وحده لسهام الغدر ولما أراد بعض أعضاء الإدارة حمله على عدم المخاطرة بنفسه قال عبارته المشهورة: «إذا كان في هذه المسألة احتمال كان دليلاً على فساد الدولة التي تأتيه وضعف دعائم سلطتها وعلى أن نجاح قضيتنا السريع أمر مؤكد. اني ذاهب وحدي فإذا حدث الغدر الذي تتوقعونه فثقتوا بأن انتصارنا أكيد وليقم كل منكم بواجبه».

ذهب الأمين نعمة ثابت، رئيس مجلس العمد، بنفسه، وحده لمقابلة الذين سيقومون بالمفاوضة من قبل الجانب الفرنسي، كان هادئاً، رافع الرأس، فواجه المكيدة برابطة جأش نادرة وبهذه الصورة التي تصفع التمدن صفعاً القوي القبض على الأمين الرئيس ثابت».

التشريد

غادرنا أنا والعميد اياس منزل الرفيق رافع جريديني مساء وكان نظام التعتيم قد شمل بيروت بسرعة فائقة مما اسعفنا كثيراً وهبطنا من مار نقولا، والأشرفية الى قرب محطة العكاوي حيث سعدنا الى الترام المعتم، من الورا، نلازم الزحمة حتى وصل بنا الى محطة الكبوشية في باب ادريس ثم انتقلنا الى خط المنارة حتى محطة الكلية - أي الجامعة الأميركية - حيث نزلنا لنذرع شوارع رأس بيروت بينما نهتدي الى بيت رفيق مناسب ناوي إليه. كان الترام المعتم أضمن وسيلة للتنقل المستور وأوفرها في الوقت نفسه.

دقت ساعة الكلية العاشرة والنصف ونحن ما نزال نضرب الأحماس بالأسداس. البيوت كثيرة ولكن هذا يصلح لليل ولا يصلح للنهار أو العكس بالعكس وآخر مكشوف للجيران، الخ... وإذ بصدفة تضع حداً لكل هذا التأرجح. مر بنا الرفيق فؤاد. هو أخو مأمون بالرضاعة. حتى وعرض خدماته فشكره العميد مأمون وتابع كل منا طريقه.. لكن العميد مأمون عاد فلحق به بعد الحاحي ليكاشفه بالأمر فهو غير معروف حزياً وقد يكون لديه الحلّ المنشود. وهكذا كان.

قادنا الى كرم توت، فيه عززال عالي القوائم، استهلك صيفيته وقد يبس كشحه فسقطت أوراقه. كانت تبدو جوانبه كأنها عارية تماماً، لولا غصون الكشح المتشابكة، الذابلة التي تبين لدى احتلالنا له وسلمه يهتز بنا ارتعاشاً، انها لا تتمكن من أن تسترنا عن أعين أحد من الناس عند انبثاق طلّاح الفجر الأولى عدا عن انه لا يدرأ عنا ما يمكن أن يأتي به الليل من برد أو (طلّ). بالاختصار قبلنا به على علاقته فقد أمسينا في موهن من الليل وهناك نظام منع التجول بدءاً من منتصف الليل وصاعداً فبتنا فيه وكأننا ننام في الهواء الطلق. لم تكن رأس بيروت عامرة، كالיום، بالبنائيات الشاهقة بل كانت كروم التوت كثيرة، موزعة، هنا وهناك، والعرازيل فيها منتشرة مثل القرى.

غني عن البيان السؤال عما فعله بنا ذلك الندى الفياض في تلك الليلة الكريمة، بنا وبثيابنا! لقد أجبرنا على البقاء في عززالنا المضياف الى ما بعد شروق الشمس بمدة حتى جف البلبل وصرنا قادرين على ارتداء ملابسنا من جهة ومن جهة أخرى حتى هدأت أمعاًؤنا من قذف ما فيها بتأثير البرودة والرطوبة المتفاعلتين بشكل نائر مريع.

هنا نشأت مشكلة جديدة فأين نذهب في وضع النهار ونحن في محلة يكاد كل فرد فيها يعرفنا معرفة تامة!! بعد تقليب الوضع من جميع وجوهه تفتقت فكرة الاتجاه بشكل طبيعي الى «الكلية» الى «Alma Mater» وهي تكاد تكون خالية بسبب العطلة المدرسية الصيفية، حيث نتغلغل في فسحاتها الرحبة، نقضي نهارنا منتقلين من واحدة الى أخرى، مختارين منها البعيدة عن المباني ونحن الخبيرين بها. وهكذا حوالى الساعة التاسعة استقر بنا المقام على المقعد المنفرد المطلّ على ملعب «الرياضة» الكبير وعلى البحر المترامي الأطراف، المركز تحت تلك الشجرة الغضة، المتوسطة حلقة خاصة بها مكتوب عليها «إيتاليان سييرس» زرعها «دانيال بلس»، جنب الدرب المؤدي الى مبنى المرصد، كل هذا ولحسن الحظ، لم نصادف في طريقنا أحد من معارفنا.

ارتحنا قليلاً، لنعاود النظر بوضعنا هذا، المثير للضحك والسخرية، مطارين بشدة لا مثيل لها ونحن هنا، قاعدان، في رابعة النهار، نستظل هذه الشجرة الوارفة ولكن... ماذا بعد؟ بعد... اعدانا الجوع الى الواقع. وصلنا، صحيح، بسلامة، ولكن كيف نؤمن قوت يومنا؟ أخذ الجوع يلج... لا حيلة في اليد... أمرنا لله... نصوم يوماً... لا بأس... بسيطة... أشعلنا سيكارة نلتهى بها. سادرين، بمراقبة دخانها عن نداءات المعدة الخاوية واستسلمنا للمجهول.

«أي مأمون، أطلّ الفرج». وربّت على فخذه مشيراً الى جهة مبنى المرصد فالتفت اليّ حيث صوبت سباتي متسائلاً بعينيه عما أعنيه «انه الرفيق عبد الله سعادة، طالب طب من أميون الكورة انه من النوع الممتاز، سترى».

ما كدت أنهي كلماتي هذه حتى كان الرفيق عبد الله يحيي مرحباً بنا، مستفهماً عن سبب وجودنا في مثل هذا الوقت في مثل هذا المكان. ما كدت أحرك شفتي كي أجيب حتى قال: «انتظراني هنا، قليلاً، بينما أؤدي مهمتي الصباحية فاتفرغ لكما». قلت له: «لا بأس، انما أدركنا ببعض القوت نسدّ به رمقنا والتفاصيل عند عودتك». ضحك وقال «فهمت، فهمت» وأكمل سيره بحيوية الشباب النابضة فيه. فخرأ واعتزازاً. أما نحن فقد عدنا الى وضعية الانتظار وجوفنا، كله موعب للأمل بالطعام الذي أصبح الآن أكيد المنال، ما طال غيبته عنا، لكننا خلناها دهرأ بناء على مقاييس الجوع الزمنية.

آب إلينا حاملاً عدداً من السندويش - من الحجم الكبير - وطلب إلينا أن نتبعه، وعندما حاولت افهامه عن اننا ملاحقان، سار دون أن يابه وأشار. كرئيس فرقة عسكرية يعطي أمراً بالهجوم، باللحاق به فأطعنا إلى أن وصلنا إلى مبنى المرصد حيث دخل. لاحظ ترددنا فطمأننا، بالإشارات من الداخل، إن المكان خال فدلنا، طبعاً أغلق الباب خلفنا لنجد أنفسنا نهبط وراءه، على درج، إلى الطابق الأدنى، إلى طاولة عليها أدوات صنع القهوة التي ما كاد العميد اياس يراها حتى نسي جوعه وأخذ يستعد لرشف الفنجان الصباحي كمن فرغ من الاستيقاظ وجاء ليصحو على أريج البنّ الفواح.

بعد أن أكلنا هنيئاً وشربنا مريئاً، رحنا نتداول عما يجب أن تكون عليه خطوتنا التالية. إن الرفيق عبد الله موظف، إن صح التعبير، مسؤول عن مبنى المرصد طيلة مدة الصيف ولم يبق منها إلا رده يسير من أيلولنا هذا، ففي أواخره تبدأ الطلبة تفد أي أن مدة ضيافتنا «لمرصد عبد الله» لا يمكن أن تكون، على أطول تقدير أكثر من أسبوعين. وأخيراً قرّ الرأي على البقاء في الضيافة بضعة أيام أخرى بينما ينجلي الموقف تماماً ونكون قد أخذنا قسطاً من الراحة بعد أن تنفسنا الصعداء.

قضينا عشرة أيام في محبنا هذا، بين الطابق الأسفل نهاراً والطابق الأعلى ليلاً لم نر خلالها أحداً من الناس، اللهم إلا مرة واحدة، شخصاً واحداً هو رفيقنا الشاعر أديب سركيس، من بشمزين الكورة، وقد كان أحد أساتذة الكلية يومها وما تخفينا عنه، تقديراً منا لصفة الكتمان التي يتحلى بها.

في هذه الأثناء كنا قد اتفقنا بناء على رأيي الذي دعمه الرفيق عبد الله، إن أفضل مكان نلجأ إليه هو منطقة «القويطع» في الكورة المنعزلة عن باقي الكورة ولفقدان المواصلات ولعدم وجود مخفر للدرك فيها، هذا عدا عن أن أهلها، من ليس

منهم قومياً اجتماعياً بالعضوية فهو قومي اجتماعي بالولاء والتأييد كما أنهم يتمتعون بأخلاق رفيعة وصفات حميدة تعبر أنبل تعبير عن اصالة شعبنا التي بها نؤمن ونبشر.

القويطع مجموعة قرى في الكورة، لبنان الشمالي، تقع بين نهر الجوز لجهة قضاء البترون ووادٍ كبير يفصله عن باقي الكورة لجهة كفر حزير ودربعشتار. يجري فيها نهر شتوي يدعى نهر العصفور. وهو يضم ابتداءً من جهة الساحل القرى الآتية: كفرىا، بدنايل، كفرحاتا، كلباتا، بتعبورة، أجد عبرين، كفتون ودير السيدة.

مفاجأة في المرصد

كان عميد دائرة علم الفلك البروفسور برون وكان من عادته أن يأتي بين حين وآخر إلى المبنى في أوقات متفاوتة في الليل ليقوم بأعمال الرصد وقلما حضر نهراً. على كل حال، كان من جملة التدابير الاحتياطية المتخذة في حال مدهمة نهارية داخلية من أصدقاء الرفيق عبد الله أو من أقاربه أو معارفه - وهؤلاء لا يستطيع صد أي منهم كي لا يستغرب تصرفه فيلفت النظر - أن نصعد سلم المرصد بالذات فتوارى خلف القبة وعند الضرورة القصى ندخل مجوف القبة نفسها ونغلق الباب.

في ذات يوم وصل بعض أقارب الرفيق عبد الله من الضيعة في زيارة له فاضطررنا إلى تطبيق خططنا في التواري ضمن القبة، ومما زاد الطين بلة أن العميد برون حضر أيضاً في زيارة رسمية له أيضاً فكانت مفاجأة مزدوجة، غير سارة طبعاً، وأصبحنا نخشى أن يفاجئنا وجودنا في مملكته. كنا ونحن نسمع صوته نحسب لما ينتظرنا ألف حساب ونحسب للاسوأ.

كنا نشعر، كلما سمعنا صوته يقوى ويتضخم كأنه يخطو نحونا ويقترب فنتهيأ للمقابلة. توترت أعصابنا من جراء التخمينات والتقديرات فمد العميد اياس يده الى مسكة الباب وأخذ يفتحه رويداً رويداً حتى صار بالإمكان التلصص منه. كنت واقفاً خلفه فاستطيع الرؤية من فوق منكبه فبدأ لي الرفيق عبد الله طبيعياً، متين الأعصاب بكل معنى الكلمة وعيناه تسترقان النظر صوبنا بلباقة، أما العميد برون فقد كان يولينا ظهروه وبعد مداولة قصيرة، خلناها دهرأ، حفلت بالحركات الدالة على انها يتشاوران في أمر له علاقة بالمرصد وبعد أن توجه نحوه عاد فعدل عن الزيارة وقرر الذهاب وانصرف يرافقه عبد الله.

بقينا في مكاننا حتى عاد الرفيق عبد الله وما كاد يطل برأسه والابتسامة تملو محياه حتى انحدرنا من أعالي «الفلك» ونحن ننشد «هو دو يودو، مستر برون» وإن كان المستر

برون قد غدا خارج متناول صوتنا. ضحكنا كثيراً، ونحن نعيدها ترنيمة مرة تلو الأخرى. وكم زدنا عليها من تخيل حالات كثيرة، من إندهاش المستر برون واستغرابه لرؤيتنا منحدرين من قبة المرصد كأننا من سكان المريخ أو من رواد القمر، الخ... مما يطول شرحه الآن بعد أن كدنا نقع في ورطة لا مجال لتقدير مداها، إن علينا أو على الرفيق عبد الله، الطالب المرموق فتتسبب في قطع مورد كان يتوكأ عليه في تأمين أفساطه المدرسية.

أما «هو دو يودو، مستر برون» فلها قصة. كان فيلم الموسم في بيروت في تلك السنة فيلماً غنائياً باللغة الانجليزية أخذ اسمه الخفيف الدم من أجل أغنية فيه وهي «هو دو يودو، مستر برون» أي كيف حالك سيد برون؟. مناسبة هذه الأغنية، هي زيادة الاهتمام بالمستر برون فكيفما تحرك في قصره المنيف أو في باحاته الواسعة في غدواته أو روحاته، يجد أسراباً من الفتيات ترحب به منتثرة كالورود إما على الدرج أو عند المدخل، الخ... تغني له بصوت رخيم «هو دو يودو، مستر برون» وترفق هذه الكلمات بحركات جد لطيفة من الرؤوس والأطراف أو العيون، الخ... منسجمة معها كل الانسجام. وقد انتشرت هذه الأغنية في بيروت وأصبحت على كل شفة ولسان، ونحن كنا ممن أصابتهم هذه العدوى. لذلك، كنا قرنا، أنا والعميد اياس في حال نوى العميد برون الإرتقاء إلينا أن نفتح الباب ونطل منه فتمثل بالفيلم وننزل السلم ونرحب به ونحن نغني له «هو دو يودو، مستر برون».

على كل حال، ارتحنا من تنفيذ هذا القرار وانقضى النهار بطوله ونحن نتذاكر فيلم السينما وعلم الفلك والمستر برون، القاسم المشترك بينهما، فنحن وان كنا في حالة تشرد ومطاردة والاختطار تحقيق بنا من كل حذب وصوب فإننا ما تخيلنا أبداً عن اغتنام أية فرصة للمرح والتنكيت واللهو.

المرصد المخبأ

وجاء في مذكرات عبد الله سعادة «أوراق قومية» بهذا الصدد ما يلي:

«كنت شغوفاً بالرياضيات والفيزياء واخترت علم الفلك من بين الدروس التي يحق لي اختيارها في صف السوفومور، وعذراً إذا علقت بأن علاماتي في هذا الصف كانت كلها «A». وفي علم الفلك كان معدل علاماتي 125. فاعتذر الأستاذ براون لأنه لا يستطيع أن يعطيني أكثر من مئة على مئة كمعدل نهائي، وطلب إلي أن أسكن في مرصد الجامعة وأن أعمل معه مراقباً للطقس وللتفجرات الشمسية لقاء بدل مُغفر. غير أن هذه الواجبات كانت تفرض عليّ التغيب عن الصفوف كل يوم من العاشرة حتى

العاشرة والنصف صباحاً، ومن الثانية بعد الظهر حتى الثانية والنصف. لمراقبة التفجرات الشمسية وتحديد مكانها وأحجامها، بواسطة الـ «Spechtroheliography». واستمرت أعمل في المرصد في صفي الجونيور والسنة الأولى طبية. أما في السنة الثانية طبية، فقد رفض الأساتذة أن أنغيب عن الصفوف فانقطعت عن هذا العمل.

جاء صيف 1939، وكنت مقيماً في مرصد الجامعة أتابع عملي فيه صيف شتاء، وذات يوم وكنت صاعداً من الحمام البحري للجامعة الى غرفتي في المرصد، شاهدت على مقعد تحت مثلث السروات قرب المرصد الرفيق جبران جريج ومعه الرفيق مأمون أياس يومئذ إليّ ويتهامسان، فقصدتها للسلام عليهما. ويبدو انهما كانا قد اتفقا على أمر ما، ففاتحني الرفيق جبران جريج بأنهما هاربان من ملاحقة الأمن العام الفرنسي، سائلاً عما إذا كان بإمكانني. أن آويهما في مكان أمين. فأدخلتهما الى المرصد، وكانا المسؤولين الحزبيين الأساسيين الباقين خارج الاعتقال، وبقيتا عندي في المرصد أياماً عديدة كنت أقوم خلالها بمهمة الاتصال بمن يريدان من القوميين الاجتماعيين، لاحظنا بعد عدة أيام أن شخصاً كان يأتي ويجلس على المقعد المواجه للمرصد طيلة النهار، وتكرر هذا الأمر عدة أيام مما أثار الريبة في نفسي الرفيقتين وبدأا يفكران بتغيير المكان. ذات يوم أتاني أستاذ الفلك الأستاذ برون وقال لي: سآتي هذا المساء لإصلاح آلة تسجيل الهزات الأرضية فأطلب إليك أن تكون موجوداً، معي. وكانت غرفة نومنا ملاصقة لغرفة جهاز تسجيل الهزات الأرضية. فلم نرَ مخرجاً إلا أن أحجزهما في الغرفة السوداء المخصصة لرصد الكواكب والنجوم في التلسكوب الكبير في الجامعة وجاء الأستاذ برون ومكث طويلاً في المرصد، والأسيران في القبة الفلكية يعدّان الساعات ويخشيان أن يأتي الأستاذ براون بعد إصلاح الآلة إلى القبة الفلكية لمراقبة أحد الكواكب السيارة، فقرر رأيهما على أن إذا فاجأهما فسوف ينشداً نشيداً كنت قد تداولت به معها قبل حبسهما وهو:

How Do you Do - prof. Brown ? How do you do

Is there any thing . That we can do for you?

ولما انصرف الأستاذ وصعدت وحدي إلى قبة المرصد، فاجأني «الأسيران» بهذا النشيد. وبعد أيام رتبنا أمر نقلهما من المرصد الى قرية بتعبورة - الكورة حيث أقاما. كزاً قيادياً للحزب بحراسة جميع أبناء بتعبورة والمنطقة».

الانتقال إلى القويطع

وأخيراً، نظمنا رحلتنا إلى القويطع فأحضرنا رفيقنا إبراهيم بشارة سليمان من

كفرحاتا ومعه سيارة رفيقنا الآخر عبد الرحمن جبّاصو، من أسكلة طرابلس، فودّعنا الرفيق عبد الله ومرصده وتسللنا من باب الكلية الصغير الخلفي المواجه لدخول الابتدائية وعبرنا الطريق المزفت الناعم بين السوريين إلى الطريق العام حيث امتطينا السيارة التي انطلقت بنا شطر الشمال اللبناني لنصل سالمين بعد ساعتين تقريباً إلى بيت رفيقنا إبراهيم في كفرحاتا. إني لن أنسى ذلك التسلسل وتلك الرحلة، وذلك القمر البدر المنير المشع الذي كان يضيء على وضعنا رومنسية تدعو إلى الشعر والخيال. منذ تلك الساعة أصبح الرفيق إبراهيم مرافقنا الدائم فأطلقنا عليه اسم «برون» اسماً مستعاراً، استوحيناه من واقع المرح في المرصد الطيب الذكر.



الرفيق إبراهيم بشارة سليمان

العمل الحزبي والسجن

وجاء في كتاب حقائق ومواقف لأديب قدورة عن هذه الفترة قبل إعلان الحرب وبعدها ما يلي:

في أوائل تموز 1938، كما سبق وقلت، أتاني جبران جريج وأبلغني أن الإجازة الحزبية قد انتهت ما دمت تخرجت في الصيدلة، وأن أمر الزعيم قبل سفره، وأمر المسؤول الآن هو أن أتولى منفذاً عاماً على بيروت. وكان جبران جريج ناموس المنفذية، وأما هيئة المنفذية فغير مكتملة نظراً للعمل السري ومطاردة الانتداب لنا، والعمل بدون أوراق تقريباً كي لا تكون ممسكاً علينا. فأتبعت دورة تدريب إداري مستعجلة وتسلمت مهمتي.

مهامي الحزبية السابقة كانت أقرب إلى التدريب وإلى الممارسة الواهية والقليلة الاتساع. أما الآن فالأعضاء كثر وبيروت واسعة والعسكر ضدنا نشيطون، والمسؤولية منهكة حقاً.

هذا، وقد جاءني تعيين جديد وأصبحت مع المنفذ العام خازناً عاماً لأموال الحزب. وأول مهمة نفذتها كخازن عام أنني اقترضت عشرين ليرة لكي أمول صندوق الحزب الفارغ. فكانت صيفية مقسّمة بين الصيدلية التي لا بد لي من إدارتها ومن الظهور فيها أمام أعين الناس وإلا كان تغيبي سبباً لشكوك الجواسيس واكتشاف أمر مسؤولياتي الحزبية. ومقسّمة في العمل الحزبي السري كخازن عام ومنفذ عام على بيروت.

في أيلول 1939، اندلعت الحرب العالمية الثانية فاعتقلت مع قوميين آخرين في سجن القلعة. زجونا في قواویش مختلطة مع سجناء الحق العام الموقوفين بشتى التهم.

مآسي السجن

من مآسي السجن المقرفة، ما كانت عليه حالته الفظيعة من بؤس وشقاء، حيث الأوساخ المتراكمة في كل مكان، والروائح الكريهة تزكم الأنوف، و«الحرام» الكريه الذي أعطي به جسدي، والمرحاض النقال، الذي يفرغ خارج القاوش، وتتساقط منه الأوساخ، مما تعافه النفوس، والحبز الذي يرمى إلينا كالكلاب على الأرض الموبوءة، الطعام الذي كان يتألف من شوربة الخضار والدهن والقليل من اللحم أو البقول القاسية كالنعال، والتي يتعذر على الإنسان مضغها!، وقد استلمت «طاسة» للطعام من معدن، يملؤها الصدا، وطاسة أخرى لشرب الماء، يصعب تنظيفها، وبقيت أسبوعاً أتناول الحبز وأشرب الماء من الحنفية مباشرة، وذلك في أوقات فرصة التنفس - وهي نصف ساعة قبل الظهر، ومثلها بعد الظهر، لم يعلم أهلي بمكاني لمدة ستة أيام.

مع كل هذه المآسي القاتلة، والمعاملة اللاإنسانية، كيف لا تنهار الأعصاب، ولا يدبّ الخوف في القلب، ولا يسود اليأس في النفس؟!... ولكن الإيمان العقائدي ونبل الهدف يقوي من معنوية القومي الموقوف ويشدّد أعصابه ويقوي صبره.

وما لبثنا أن نقلنا فجأة إلى «زنانات» وهي بمثابة غرف صغيرة جداً؛ بطول مترين، وعرض متر ونصف، عالية السقف، ذات نافذة صغيرة جداً مشبكة بالحديد لدخول النور، وباب حديدي، وباب آخر خشبي سميك، وقد وضع كل اثنين في زنزانة. رفيقي كان الصيدلي غير الممارس خالد موره لي وهو يكبرني سنّاً، ويدرس الكيمياء في مدارس دمشق. خفف من وحدتي، وعلمني لعبة الشطرنج، حتى حدقتها، وقضينا معاً ما ينوف على شهرين ونصف، أفاض كل منا للأخر بما يجزّ في نفسه من نوازع وآلام وأفكار، حتى أصبحنا صديقين حميمين.

بعد أسبوع واحد من دخولي السجن، سمح لي باستلام الطعام الذي كان أهلي يرسلونه إليّ أسبوعياً، وذلك ضمن سلال أضعها في زاوية الزنزانة، وفي الليل أرفعها وأربطها بباب الغرفة الحديدي بواسطة قش الحصيرة الذي عملت منه شبه جبل، لأن الجبال ممنوعة في السجن. وكان في زاوية الغرفة سطل بغطاء خشبي يستعمل كمرحاض، يسمح لنا كل يوم صباحاً بإفراغه خارجاً في مكان معين. وكانت أرتال البرغش والبق تملأ الغرف والجدران، ورائحة السطل الكريهة تنفص عليّ حياتي!

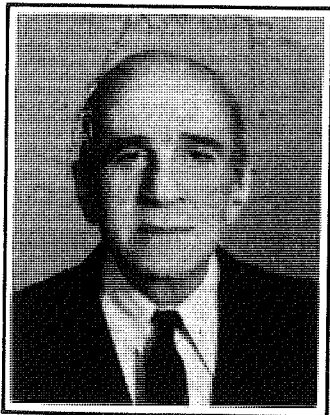
حين حلّ شهر رمضان، صمت مع الرفيق خالد موره لي وكنا نمضي الصيام بلعب الشطرنج وفي أكثر الأحيان نكتفي بالإفطار بعد غياب الشمس ولا نقوم للسحور

بسبب انطفاء النور في السجن وصعوبة تهيئة الأكل في الظلام، وخصوصاً كما ذكرت كنا نعلق السلال في الباب الحديدي عند النوم.

في إحدى الليالي قال لي الرفيق خالد، لماذا لا نتسحر! وقام من الفراش لإنزال السلال التي تحوي الطعام، فضرب رأسه بالسلال التي وقعت بمحتوياتها على الفراش فغطى المربى والنقوع والزبدة والأكل فراشنا الممدودة علاوة على وقوع قسم منه علينا، ولم نجد من سبيل لعمل أي شيء سوى لف الشراشف بما فيها ووضعها جانباً، وتمسيح ما علق على أطرافنا من أكل قدر الإمكان، فزاد هجوم البرغش علينا في ظلام يمنعنا من الرؤية، وجلسنا ننتظر حلول الصباح. لا يمكن أن أنسى الساعات التي أمضيتها في هذه الحالة وفي شهر آب، والحرارة مرتفعة جداً إلى جانب البق الذي يرعى في جسمي والرائحة الكريهة والبرغش اللساع.

كنت والرفقاء حين نلتقي في المسيرة (نخرج مرتين لربع ساعة في ساحة السجن ثمشي على شكل دائرة) نتحدث فيما بيننا بأمر عديدة ولا ننسى حكايات البرغش الذي كنا على حرب معه وكان يقض مضاجعنا.

في إحدى الليالي، أدخل إلى السجن الرفيق فكتور أسعد ووضع في غرفة مع يوسف يازجي. عند الصباح تفتح أبواب «الزنانات» ويخرج نزلاًؤها لتنظيف الزنانات وتفريغ الأوساخ في المراض الخارجي، ومن ثم غسل الوجه أو الاستحمام (مرتين في الأسبوع فقط للاستحمام). فجأة قفز يوسف يازجي وضرب الحائط بكفه قائلاً: 56، نظر فكتور أسعد إليه بدهشة واقترب مني بهمس في أذني: هل مسّه جنون أو اختلال؟ ضحكنا وأخبرت فكتور أنه يتمتع بكل قواه العقلية، فنظر إليّ معاتباً وكيف يقفز ويضرب الحائط قائلاً: 56، أجبته: كان يقتل بعوضة على الحائط ومجموع ما قتله حتى الصباح هو 56 بعوضة!!



فكتور أسعد

نبأ إعلان الحرب

وجاء في كتاب عبد الله قبرصي يتذكر عن نبأ اعلان الحرب ما يلي: «أعلنت الحرب ونحن مدعوان أنا وزوجتي الى الغداء في داره الدكتور فؤاد غصن في ضهور الشوير. تبلغنا الخبر على الراديو فعلمت لقمة الطعام في حلوقنا. من بين الحاضرين، كنت وحدي أوجس خيفة أن أساق إلى السجن، للعلاقة «الوهمية» بدول المحور. أنا إذن متعاون مع أعداء فرنسا. الحزب إذن «عدو» فرنسا. ومصير «العدو» في زمن الحرب معروف!».

فجأة يوم إعلان الحرب تغير كل شيء في ضهور الشوير وكل مكان. فقد البنزين من المحطات. بدأت السلطة بمصادرة السيارات كبيرها وصغيرها. المواد الغذائية طارت من الأسواق (ويل لكم يا أثرياء الحرب كيف أثريتم لولا إخفاؤكم المؤن لبيعها بأضعاف أضعاف أسعارها؟!).. الذعر خيم على لبنان.. شبح المجاعة وصور الجثث على الطرقات أطل من أعماق النسيان!.. في هذا البلد الصغير، هكذا نفهم الحرب: ارتعاباً وجوعاً وسجوناً ومشاتق. متى نفهمها إقداماً عليها وإقبالاً، بلوغاً لمرحلة السلام العالمي، السلام الذي لا حروب بعده ولا من يجزنون، لأنه السلام الذي يسلم فيه العالم بحقوق كل الشعوب وكل الأمم!

بدأت الحملة على الحزب فوراً. كان عبد المسيح أول ضحاياها. دوهم في منزله في بيت مري - على ما اعتقد - وسيق الى السجن.. ثم ما لبث أن استعاد حريته، كان إخلاء سبيله خدعة، لأن احتجازه نبه قيادي الحزب، فتواروا ما عداي».

ويقول الأمين الجزيل الاحترام كامل أبو كامل في مذكراته المخطوطة عن هذا الردح من الزمن بين التوقيف والاعتقال ما يلي:

«فؤاد أبو عجرم كان قد عاد من أميركا حاملاً معه شهادة الصيدلي ويحمل في يده الثانية رتبة الأمانة التي منحه إياها الزعيم استناداً لماضيه المجيد وللأعمال التي قام بها في أميركا أثناء وجوده فيها لإكمال تخصصه. فاستعاض الأمانة خسارتهم بسفر الأمين فخري المعلوف بأمين جديد وقُدِّر بأن يكون سكنه في عالية قريباً من عمله. فأصبحت عاليه مرجعاً للقوميين لوجود أمينين فيها. وكثيراً ما كان ليتسلل إلى عاليه عبد المسيح الذي كان يسلك طريق الأحراش ما بين بيت مري وعاليه فنجتمع نحن الثلاثة وتداول في شؤون الحزب، وكان عبد المسيح خفيف الظلّ في ضيافته لهذا كانت الأمهات تستقبله بالترحاب وأذكر بأن مرة والوقت صيفاً تفتح والدتي الباب وترجع إلى الورااء مذعورة وتدخل غرفة نومي لتقول لي قُمْ وانظر من تراه يكون الرجل النائم على

الصوفة أمام الباب. فهضت من فراشي وتطلعت من الشباك الذي يطل إلى حيث الصوفة حيث أجد عبد المسيح نائماً عليها خرجت فوراً ودعوته ان يدخل غرفة الضيافة حيث يرتاح فيها فأخبرني بأنه وصل إلينا حوالي الساعة الثالثة صباحاً ولم يشأ إزعاجنا. وقد كان انهى جولة حزبية تفقّد فيها منطقة البقاع الشمالي مشياً على الأقدام من مديرية الى أخرى».

ثم يقول عبد الله قبرصي «كنت أتحصن بالمحامة والنقابة. ظننت أن زمن الحرب امتداد لزمن السلم. وان صوت النقابة يعلو على صوت المدافع والإرهاب وأن فرنسا لا تتجرأ حتى في زمن الحرب على نقابة المحامين... كنت طيب القلب في اعتماد هذا المنطق!...

ما لبث عبد المسيح أن أعيد الى القفص.. كانت السلطات تخشى بأسه وإقدامه. اعتبرت أن القبض عليه يعني الاستيلاء على الذراع الضارب وبالتالي شل أي محاولة تحرك حزبي عنيف.

كان نعمة ثابت قد تعاهد مع ماري حليبي على الزواج، فتواري على ما أظن في الشمال ثم استسلم لما عرف أن منزله يدهام وأن السلطة جادة في أثره. لم يستطع الإفلات إلا جبران جريج ومأمون اياس. عندما التقينا في سجن القلعة أطلعني نعمة على أسباب استسلامه. لم يكن قادراً على الاختفاء بسهولة. التواري فنّ وبراعة ودهاء مع قسط كبير من الحظ للمساندة. ويبدو أن نعمة لم يكن فناً في فن الاختفاء من وجه المظالم - لم يكن محظوظاً.

جبران ومأمون بقيا إذن حرّين لا من أجل الاستمتاع بحرية الحرب - إذا كان من أثر للحريات في زمن الحرب - بل للإشراف على روحية الأعضاء. وتهدئة أعصابهم، وإعدادهم نفسياً لتحمل التضحيات. نحن مستهدفون ولا ينقذنا من المأزق إلا مواقف البطولة، والصبر والاحتمال والانضباط الكلي، لأن أية كلمة، أي إشارة، يمكن أن تفسّر تفسيراً يتناقض كلياً مع مضمونها الحقيقي.

رحمة الله على الشيخ الشاعر والخطيب والصدّيق إبراهيم المنذر: عندما عرف بأن بعض الرفقاء من القياديين زجوا في سجن القلعة من قبل السلطات العسكرية الفرنسية كتب لي وريقة جاء فيها: «لسانك حصانك ان صنته صانك.. وعند تغيير الدول احفظ رأسك» ترك لي هذه الوريقة فلما لم يجديني عاد في اليوم التالي وترك ورقة أخرى، وكلتاها تحمّلان توقيعه: المنذر. وسنرى كيف ترجم ترجمان المحكمة العسكرية هذه الوريقة فعوضاً أن يكتب الاسم المنذر (اسم الشيخ إبراهيم المنذر Almounzer) كتب

Lavertisseur أي من أنذر ينذر منذراً، مما يمكن تأويله ألف تأويل في زمن قطع
الرؤوس بدون فؤوس!

الى سجن القلعة

كان ذلك في 22 أيلول 1939. كان مكتبي في شارع المعرض بناية العبد، وكنت
اصطاف في عاليه مع عديلي الدكتور توفيق فرح وزوجته وابنه البكر طلال.

كانت ظروفى المادية الضيقة تجبرني على ملازمة مكتبي يومياً. فنزلت كعادتي
للقيام بواجباتي المهنية. لم تكن لي مسؤولية حزبية سوى عضوية المجلس الأعلى. فلما
قبض على بعض زملائي من المسؤولين، ظننت ببساطة ما بعدها بساطة - إن نقابة
المحاميين تحميني هذه المرة أيضاً وإلا فنحن في 22 أيلول وعبد المسيح أعيد إلى السجن
في 16 أيلول والباقون صدرت بحقهم مذكرات توقيف على التوالي. لو أن السلطة
العسكرية تنوي بي شراً، لما وفرتني حتى الساعة.

تأجيل القبض علي كان الشرك الذي أوقعتني فيه.

المهم اني كنت خالي البال كأن الدنيا بألف خير. وكان السلطات العسكرية
الفرنسية لا هم لها في الحرب إلا صيانة حرية عبد الله قبرصي والاشفاق على شريكة
حياته وطفليه الصغيرين صباح وضحي ومراعاة خاطر نقابة المحامين المحترمة.

وكان أن دخل عليّ شاب أنيق الملبس، أسمر الوجه اسمه نديم أبو عراج
«مشغرة» مفتش في الأمن العام الفرنسي، وطلب إليّ بلهجة الأمر المهذب، ولكن
العابس، مرافقته لمقابلة المدير.

قلت: هل أعطي لائحة بجلساتي ودعاوي إلى خالي الأستاذ فهيم خوري جاري
في المكتب أم أن المقابلة قصيرة؟

قال المفتش: لا. لا. دقائق وتعود إلى مكتبك. لا لزوم لضياح الوقت.

نزلت الدرج، وقلبي يخفق، ولكن بدون هلع، لم أصدق أن المشوار قصير،
ولكني لست في السجن. وحيداً. لقد سبقني الأمناء والرفقاء فلماذا استثنى.

كان في الزاوية من شارع المعرض، على مقربة من محلات أبو راشد، رجل وسيم
الوجه، أنيق الملبس، عرفت انه المفتش الآخر المير فريد شهاب. كم لنا مع المير فريد
من لقاءات وصدقات وحسابات. . ألم يصبح بعد سنوات رفيقاً لنا في سجن راشيا؟

المير فريد وأبو عراج إذن أخذاني الى الأمن العام، الذي كان قريباً من حاووز الساعاتية في بناية قديمة . .

استقبلي، أول ما استقبلي المفتش العام جان حاجي توما (الذي أصبح في ما بعد سفيراً) وكان يجلس وراء مكتبه كأكبر وزير في أعظم دولة .

قال: أنت محال الى المجلس العرفي بتهمة الإعتداء على سلامة الدولة الداخلية والخارجية . . انتظر قليلاً . . قالها بلا مبالاة وبازدراء .

سألت: إذن إلى المشنقة طالما إلى العرفي . (تذكرت شهداء 6 أيار) .

الجواب: التهمة خطيرة .

وجه جان حاجي توما، وجه وسيم بشوش، ولكن بشاشته جافة كبشاشة مطلق موظف في أي أمن عام في الدنيا . . ووسامة وجهه سودتها الأوراق «السوداء» المكدسة على طاولته وكلها تقارير . . ومذكرات إلقاء قبض . . لحظات وأطل علي مدير الأمن العام كولومباني . كان بيني وبينه إنذارات كان اسمي عنده يرنّ خصومة ونفوراً . . توكلت ضده بواسطة أحد أنصار الرئيس اده، بولس عواد، في دعوى تحييز لآل الخوري . كيف تجرأت حتى كمحام أن أقبل دعوى ضد مدير الأمن العام الفرنسي؟ كانت خطيئتي مميتة على الأقل بنظره .

قال: أنت عبد الله قبرصي المحامي؟

قلت: نعم أنا هو .

قال: الظاهر انه ليس عندك دعاوى . نحن سنجد لك شغلاً عندنا .

قلت: شكراً حضرة المدير .

كان علي، كما على أي متهم أو مشبوه يدخل الأمن العام في زمن الحرب، أن يكون حذراً ويقظاً، وقصير اللسان، كلمة وتفتح الزنانات والسياط والمسبات . سيأتي الحديث عن الملازم بوتيون Boutillon وكم اخترع من كلمات الإهانة ومن الشتائم والتحقير وكم أبدع في فنون التعذيب والتأديب .

قلت شكراً وظللت واقفاً، فيما عاد كولومباني من حيث أتى وأقفل وراءه الأبواب .

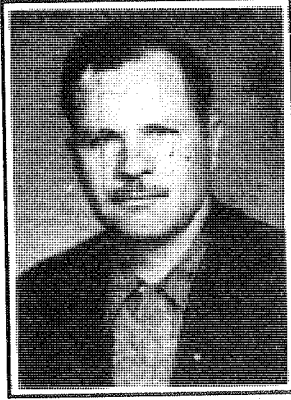
أقفل وراءه أبواب الحرية، لتفتح في وجهنا أبواب الظلام .

برهة وإذا بشاب طويل القامة . ممتقع اللون . مأخوذ بالخوف ورهبة المكان، يمر في نفس خط سيرى إلى أن يصل إلى الكرسي المجاور لي . لا أعرف بأي إلهام أدركت

انه قومي رغم ثقتي بأن القوميين لا يخافون فطمأنته وذكرت له إسمي . كان يعرفني بالاسم أما أنا فعرفت أن اسمه إلياس قدسيه من حلب . تفاهمنا بسرعة البرق - من إشارة من إبتسامة، من كلمة تعرف ان جارك قومي أولاً! ..

انتهت معاملاتنا بسرعة .

خرجنا نبحث مع مرافقينا عن سيارة تاكسي .



الرفيق لويس نصار

كان حظنا كبيراً: رفيق اسمه لويس نصار من أخلص وأطيب رفقاءنا كان يمر من هنالك أو أرسل خصيصاً لنقلنا . لست أدري . إلى الآن لم أسأله . نقلنا إلى سجن القلعة مجاناً . .

أنا الذي كنت أطمئن إلياس قدسيه، هل كنت مطمئناً؟ يخطيء من يعتقد أن الذهاب الى السجن في زمن الحرب كالذهاب إلى نزهة صيد أو إلى حفلة مصارعة ثيران! .. الذهاب إلى السجن يعني إما إلى خشبة الإعدام أو إلى الزنزانة ليبقي حتى معاهدة الصلح! ..

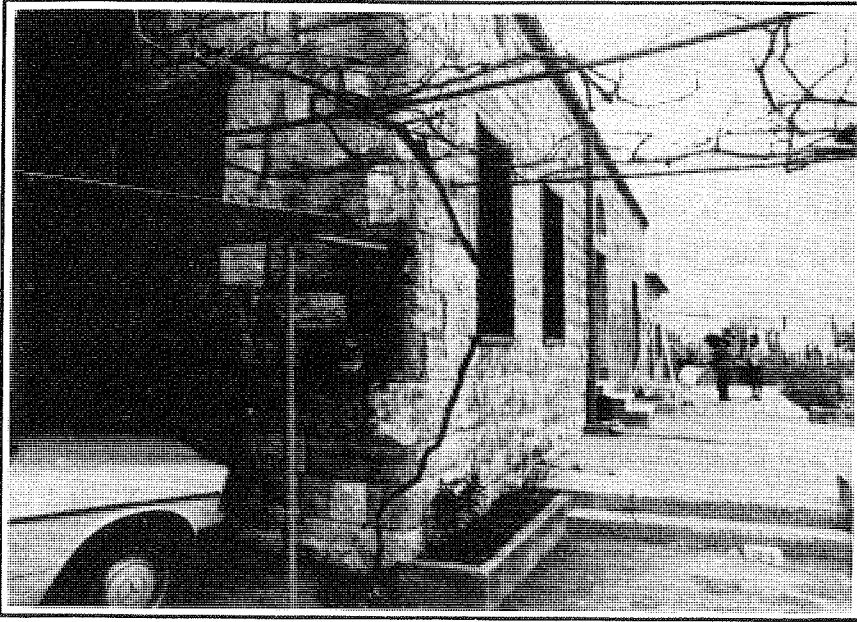
الإعدام قد يتم بسرعة أما الزنزانة فلا تفتح أبوابها بعد أن تغلق إلا بقدرة قدرة أو بحظ أكبر من الحظ . .

كان يجب علي كظم الغيظ أو الألم والخوف . من وصل في الحزب الى مسؤولية القيادة وجب أن يكون قدوة . لقد كظمت غيظي وخوفي، لكي أبذل مخاوف رفيقي إلياس قدسيه الذي بدأ وكأنه ارتاح إلى رفيقي وهدأت نفسه . الإنسان سريع التأثر بالإنسان والخوف ميكروب ينتقل بالعدوى كما الشجاعة تيار ينتقل من الروح الى الروح! ..

دخلنا الى مكتب السجن . معاملات الإدخال سهلة .

التمركز في بتعبورة

بعد مضي بعض الوقت على وجودنا في كفرحاتا وبعد دراسة موضوعية قررنا أن يستقر بنا المقام في «بتعبورة». لهذه الغاية حولنا بيت «رشيد». العتيق، المنزل المغمور بين جلالي التين والزيتون في طرف الضيعة الغربي المطل على الوادي والمشرف على الضيعة بكاملها، حولناه الى مكتب لاعمالنا الحزبية المركزية كما اتخذناه، في الوقت نفسه، مسكناً لنا. هكذا، حلت بتعبورة الضيعة، محل بيروت المدينة، في حمل أعباء النهضة القومية.



بيت رشيد

الوضع العام حزبياً

كانت الصحف في بيروت قد بدأت تنشر على صفحاتها وبعناوين بارزة، ضخمة في بعض الأحيان عن مصيرنا، نحن المسؤولين الرئيسيين للحزب. وصل بعضها الى حد التشبيه والمقارنة بين عهد جمال باشا التركي في الحرب الأولى والمجلس العرفي في بيروت ودمشق ثم تعليق المشانق هنا وهناك وبين هذه الحرب وعهد الدولة الفرنسية وإعلان حالة الطوارئ وعن استمرار موقف الحزب العنيد بمحاربة الأم الحنون. انتظرت لنا المصير نفسه، مصير المشانق.

وصلنا إلى منطقة القويطع والجو نجيم عليه هذا التوتر النفسي والملاحقة حتى الاعدام «كأيام زمن الأتراك». جو تهلع له النفوس الجبابة وتطير شعاعاً وصلنا إلى منطقة القويطع واتخذناها مركزاً للحزب. دام فيها هذا المركز أكثر من سبعة أشهر، مارس فيها الحزب حياته النظامية كأن لا حرب هناك ولا طوارئ ولا من يجزنون...

إن فترة مركزية الحزب في «القويطع» هي فترة تاريخية مشرقة في حياته، لها مغزاه العميق. تصميم على متابعة الصراع تحت كل الظروف، ممارسة الحقوق المدنية كاملة وذلك في ممارسة حقوق العضوية الحزبية، عملية الكتمان فلاواش ولاثرثار يفضح وجودنا المركزي أو الشخصي ونحن مطلوبان من السلطة وأية سلطة!! الاعتراف بسلطة الدولة السورية القومية الاجتماعية على رقعة وإن صغيرة من الوطن، رمزاً للاستقلال والحرية والسيادة فلا وصاية ولا انتداب ولا استعمار.

الاخلاص والولاء والمحبة والطاعة والانضباط، هذه القيم المناهضة السامية التي هي من خصائص الشعوب الراقية المتقدمة المتحضرة، كلها مورست على أفضل وجه. كل هذا كان يعطي الدليل العملي، الواقعي، الملموس، الحسي، على جدارتنا بمواكبة ركب الحضارة والمدنية في القرن العشرين.

أثار اختفاؤنا حفيظة دوائر الأمن الفرنسي فلا تهويلها علينا بواسطة الصحف والإذاعات والمكافآت المالية لمن يدل علينا، أجدتها فتياً، ولا تهديدها باعتقال من يأوينا افادها. ولا عيونها المبثوثة هنا وهناك في المدن والقرى والداكر أبصرتنا أو عرفت عنا شيئاً. ولا عملاؤها المأجورون الموزعون في كل حذب وصوب استطاعوا أن يشتّموا أي خبر عنا. ولا الإشاعات والأقاويل المدسوسة سرى مفعولها ضدنا. الحق يقال ان وجودنا في منطقة القويطع هذه الأشهر العديدة على مثل هذه الحال التي وصفت كان عجيبة من عجائب هذا الشعب الأصيل الذي، به نؤمن ومن أجل رفعتة نجاهد ونعمل.

الوضع العام سياسياً

الوطن، السيادة، الاستقلال، الحرية الاستعمار، الانتداب، كلمات تفيقت فيها ألسن «الوطنيين» في زمن السلم ولكن ما كادت الحرب يتحدث أوارها حتى تعالت التصريحات بكل طلاقة وتبجح من كل فوج وصوب من هؤلاء الزعماء «الوطنيين» بتأييد الدولة المنتدبة «المستعمرة» وبتأجيل السيادة والاستقلال والحرية - انها بإمكانها أن تنتظر - وتتوقف العمل من أجلها والابتهاج الى الله بانتصار الدولة «العالية» فرنسا، أم الحريات. بينما نحن القوميين الاجتماعيين بقينا نتابع عملنا القومي الاجتماعي، دون

تصريح أو تأجيل بل قمنا بأكثر من العمل العادي ففي انكفائنا من بيروت الى القويطع
جاهنا تحدي التخفي والانعزال ومارسنا سلطة سيادة الدولة المستقلة على الوطن، شعباً
حرّاً في أي حين، سيات عنده حرباً أو سلماً فكان بيت «رشيد» العتيق أعزّ دار لمركزها
وكانت القويطع، هذه الرقعة الصغيرة من الوطن الكبير أعظم رمز لاستقلال الوطن
كله وحرّيته وكان الأهالي - قوميون وغير قوميين - أنبل رمز للشعب الحر، فعلاً لا قولاً،
وكانت بتعبيرة خير عاصمة لهذه الدولة السورية القومية الاجتماعية - الرمز . .

هذا من جهة ومن جهة أخرى فمنذ وقعت حالة الحرب أقام أبطال الخوف في
بلادنا ميداناً يتبارون فيه بالمبالغة في التصريحات المخزية لهم وللشعب وهم يفاخرون
بأنهم يفعلون ما «تقضي به ضرورة الحال». انهم قد تخلّوا عن قضية الأمة ساعة الخطر
وكانوا من قبل يدعون انهم هم أبطالها وانهم يحاربون الاستعمار لأجل الاستقلال. إنّما
الآن فاستسلامهم لعوامل الخوف كاد يطلق في الشعب تياراً من الرعب يقتل فيه كل
عزة نفس فاعلة أو كامنة وكل حرمة للشرف والكرامة. لم يبق في الميدان سوى حديدان
وقد صح فيهم القول «محاربون في السلم ومسالمون في الحرب».

أما على صعيد السياسة الفرنسية في الجمهورية اللبنانية ففي 21 أيلول أعلن
المفوض السامي حلّ المجلس النيابي والوزارة وشكّل مجلس مديرين على غرار مجلس
المديرين في دمشق وعين لرئاسته عبد الله بهيم وبقي إميل إده رئيساً للجمهورية شكلاً.

المعتقلون

من المتن: الرفيق إميل الترك من بيت شباب وهو من مغتربينا في الشاطيء
الذهبي والرفيق جورج حنكش في روميه. من الغرب، قضاء عاليه الرفيق رفيق أبو
كامل من الشوف، والرفيقان حسن الطويل حمادة وثمر عبد الباقي. من راشيا الوادي،
الرفيق منصور اللحام. من الهرمل، الرفيق عبد الكريم سيروان. من دمشق، الرفقاء
خالد مورلي، يوسف البازجي ورشيد فرعون، من حمص. الرفيق إحسان مسوح. من
حمه، الرفيق صلاح شيشكلي. من حلب، الرفيقان نعمة غزال والياس قدسية. من
محافظة اللاذقية، الحفّة، الرفيق عزيز ارناؤوط، ومن طرطوس الرفيق إلياس جرجي
فتيزح من طرابلس الأمين أنيس فاخوري والرفقاء أمين مجذوب، هارون صالح،
إبراهيم الشامي وأكرم صوفي من جونيه، الرفيق إميل فتوي. من الطلبة الجامعيين
الرفيق نايف قعوار من عمان. ثم المحامي انطون الرامي من تربل البقاع، المقيم في
فالوغا، المتن الأعلى وفلادو ثابت الذي فك أسره على أثر استسلام شقيقه الرئيس نعمة
ثابت، والرفيق ويكتور أسعد. وأخيراً في 2 أيلول تم اعتقال الأمين عبد الله قبرصي

الذي لازم مكتبه للمحاماة كأن الدنيا بألف خير والذي قابله مدير الأمن العام الموسيو كولومباني بازدرء ولوم وهو يقول له: «إذا لم يكن لديك شغل في المحاماة فسنجد لك شغلاً عندنا. أتعرف انك محال أمام المجلس العرفي؟ أتعرف ما هي النتيجة؟».

وقد صدرت أيضاً مذكرات توقيف غيابية بحق الزعيم والأمين مأمون اياس والأمين فخري معلوف والعميد جبران جريج والرفيقين سروري باردوي من حماه ومصون عابدين بك من دمشق وكلاهما طالبان في المانيا الركن منير الملاذي، وكيل عميد التدريب الذي كان يشاركني السكن وقد جاء الى الغرفة مثلي واكتشف ما اكتشفته فتواري عن الأنظار.



الرفيق منير الملاذي



الرفيق مأمون اياس

الجهاز الاخباري

أول عمل قمنا به في مركزنا الجديد في منطقة القويطع كان إعادة النظر بوضعنا. فوجه العميد اياس اهتمامه إلى الشأن الوقائي. فما مضى على وجودنا الأسبوعان حتى بدأ جهازنا الإخباري عمله ثم نما نمواً محترماً في أواخر تشرين الأول. كان الرفيقان حافظ منذر وإدمون فارس موظفين في شركة الريجي في البترون فما أن وصل لها علم رسمي بوجودنا حتى حضرا لزيارتنا ووضعنا نفسيهما تحت تصرفنا. كان لها صديق موظف في قائممقامية البترون وهو في الوقت نفسه صديق للحزب، يدعى جورج توما وقد نشأت صداقته للحزب عندما كان موظفاً في قائممقامية الكورة وبالنسبة لهذه الصداقة صار بإمكاننا معرفة التعليمات الرسمية التي ترد الى الدوائر الحكومية بشأننا. هكذا بدأ تكوين جهازنا الإخباري ثم بعد حين أضفنا إليه عنصراً جديداً سرياً جداً هو الرفيق ملحم غصن من كفرحاتا المنتسب الى سلك التحري في طرابلس وأطلعناه على وجودنا في المنطقة وقد كلفناه بمواصلتنا عما يحدث.

هذا من جهة ومن جهة أخرى اهتم عميد الدفاع، مأمون اياس بمسألة الحراسة،



الرفيق الياس جبور يشير إلى مكان المنطرة



وبعد الدرس والتدقيق وقع اختياره على أحد جلالتي تلة «منطقة الروس» المقفية والمشرفة في الوقت نفسه على الطريق المطلة على بتعبورة من كفرحاتا. تم بناء منطرة من حجر الدبش، وكان بناؤها مموهاً بشكل لا يلفت النظر ونظمت نوبات الحراسة بشكل مستمر ليل نهار وبطريقة لا تلفت الانتباه أيضاً وتوزعت نوبات الحراسة على مديرتي كفرحاتا وبتعبورة باديء ذي بدء.

وزيادة في الحرص استعرنا اسمين. فأصبح إسمي سلوم واسم العميد إياس وسوف.

مديرية بتعبورة

بهذين الاسمين أصبحنا من أبناء بتعبورة. وعندما أقول بتعبورة، لست أقصد تسمية الجزء القومي الاجتماعي باسم الكل بل أقصد الكل، الوحدة التامة، بكل معنى الكلمة، من شيب وشباب وأطفال من كلا الجنسين. وبينهم سمحنا بانتشار خبر وجودنا ومهمتنا بكل طمأنينة وارتياح وهكذا تمازجنا فما كنا عنهم بغرباء أو ضيوف أو زائرين مؤقتين بل صرنا كأننا منهم؛ معهم ربينا وبين ظهرانهم ترعرعنا، لنا ما لهم وعلينا ما عليهم؛ ومن جهة أخرى ما كانوا دخلاء على قضيتنا فالروح القومية الاجتماعية متأصلة فيهم، دائمة التأجج توجه خطواتهم في هذه الحياة الدنيا.

العظيم العظيم والخطير الخطير، هو إنه لم يكن على «بتعبورة» سر، وقد احتفظت بهذا «السّر» طيلة تلك الحقبة التاريخية من حياتنا الحزبية، وتحت تلك الظروف المشحونة بأجواء الحرب المتلبدة، والموبوءة بكل ما يمكن أن تحويه الدعايات المغرضة المقترية علينا، من سموم وزيف وبهتان وكبت وإرهاب: زد على ذلك روعة الشكل الطبيعي في الاحتفاظ بهذا «السّر» كأنه من جملة الأمور اليومية الاعتيادية. والأسمى من هذا كله، تلك المحبة التي غمرت جونا بها خلال إقامتنا، دون أن تفتّر أو تصاب بما يمكن أن يخذشها من قريب أو بعيد. أليست هذه البتعبورة نسيج وحدها عن حق وحقيق؟

بتعبورة عاصمة الدولة القومية

نقل المركز السري إلى بتعبورة

بالنسبة إلى هذا، قد يبدو كل شيء آخر قزماً. من الناحية الحزبية، طبقت المنفذية مضامين الأنظمة والقوانين بدقة وانتظام مدهشين كأضبط ما يكون في أيام السلم العادية، من عقد الاجتماعات الدورية، إلى دفع الاشتراكات المركزية والمحلية ثم الموجبات الأخرى التي فرضت بالتطوع كالحراسة الدورية الدائمة التي قامت بتعبورة بالقسط الأوفر منها في تلك المنطرة المموهة الى المساهمة بالإعاشة اليومية التي لم تقبل إلا أن يؤدي كل من فيها بنصيب منها، قل أو كثر. كل هذا في جو مفعم بالغبطة والانسراح والمرح والمسؤولية.

هل يمكن أن ننسى القيمة على شؤوننا المنزلية في «البيت العتيق» المسؤولة عن عائلة مكونة من سبعة أفراد فأضافتنا إليها لتصبح تسعة وأحاطتنا بعناية الأخت وعاطفتها. تلك هي دبية موسى شاهين. ولا يمكن أن تذكر دبية إلا أن يذكر معها أبناؤها أنطون، نسيم، ورثيف وجنفياف وبخاصة ابنها الأصغر «رثيف» الذي أطلق علينا اسم «العالم» فإذا جئنا يهرول الى أمه يبلغها عن حضورنا «ماما، إجا العالم» وإذا رحنا «ماما راح العالم» وإذا بنا نطلق عليه بدورنا اسم «العالم» بدل اسم رثيف.

ركائز ومحطات

ما ان استقر بنا المقام قليلاً وبعد أن تعرّفنا على المنطقة ببعض التفصيل حتى نظمنا سلسلة ركائز فردية، كلُّ لها مهمتها. فمن مختار كفرحانا الرفيق نقولا الشويري ومختار أجد عبرين الرفيق حسين شلق وكذلك مختار بتعبورة المواطن الصالح النبيل سليم لطف الله الخوري ومحمد الشيخ في كفريا. أيضاً.

هذا في الحقل الحكومي المحلي ومن الرفقاء زاهي السودا في كفتون ومصطفى

درويش في أجد عبرين وسركيس سعد في كلباتا ونسيم الحاج في دربعشتار عيون لنا في قراهم ثم أصبح لنا محطتان رئيسيتان في حلنا وترحالنا. واحدة في كفريا هي منزل الرفيق علي شلق والثانية في عفصديق منزل الرفيق حبيب ملكي. وقد قمنا بعمليات اختبارية لهاتين المحطتين، وكانت كلها ناجحة وهكذا أخذنا نمثد في القويطع ومنه الى الكورة الخضراء.



الرفيق نسيم جرجي الحاج

زيارات تفقدية

بعد العمليات الاختبارية للمحطتين بدأنا بسلسلة زيارات تفقدية. كانت أولها في منطقة القويطع شملت كفريا وكفرحاتا ثم راسنحاش. ركزنا مديرتي كفرحاتا وكفريا. وأعدنا تنظيم مديرية راسنحاش لأن مديرها الرفيق اسكندر شلق اعتبر أن إعلان الحرب يعني توقيف كل عمل حزبي لذلك عندما راجعه أعضاء المديرية بشأن الاجتماعات والممارسات الحزبية الأخرى أجابهم بكل بساطة «علقت الحرب سرّحناكم» وبقي هذا التعبير في التداول ردحاً من الزمن.

واكتشفنا في كفرحاتا إن المسؤول عن تصنيف البطاقات الحزبية للإحصاء الحزبي قد قام بمهمته شر قيام فما أن سمع بإعلان الحرب حتى خاف عليها من الوقوع في أيدي السلطة غنيمة سهلة فأخفى أثرها بإحراقها. كان تعليق العميد اياس على هذا العمل نكتة ساخرة «من كعب الدست»، إذن، يا حضرة المسؤول، إذا أردنا أن نخفي أحداً من المسؤولين عندك فأحسن طريقة لاختفائه هو إحراقه!!!» وهكذا في «ساعة سماعة» قضي على مكتب الإحصاء وعلى بطاقاته الحزبية التي ما كانت لتقدر بضمن لأنها كانت تضم الألوفا المؤلفين من أسماء الذين انتموا الى الحزب من العاملين ومن غير العاملين.

وأخيراً عرجنا على كفريا، على المحطة لتناول طعام الغداء على مائدة الرفيق علي شلق الذي فاجأته الزيارة وكان وحيداً في البيت. أكلنا من حواضر البيت ونحن نتحدث عن الأوضاع الراهنة ومستقبلها الغامض.

وكانت الزيارة الثانية إلى الكورة، إلى منطقة «القلع» بدءاً من عفصديق، المحطة،

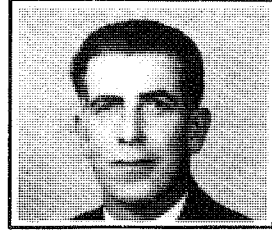
استقبلنا مدير المديرية الرفيق حبيب ملكي وزوجته الرفيقة حنة سابا بأحسن ما يكون الاستقبال. شعرنا اننا في بيتنا العائلي ثم توجهنا إلى مديرية فيع ومديرية بيترومين. في مديرية فيع التقينا الرفيق فؤاد سليمان، الأديب والشاعر، الذي كان ينهي فصل الصيف ويستعد للعودة الى بيروت إلى مقر عمله.



فؤاد سليمان



الرفيقة حنة سابا



الرفيق حبيب ملكي

فاجأته الزيارة وقد رحب بنا بكل حرارة لكنه أبدى ملاحظة قوية. نعت قدومنا الى فيع في وضوح النهار مغامرة جنونية تعرضنا وتعرض الأشخاص الذين نقصدهم إلى الخطر. بقي العميد أياس عنده وبات ليلته لديه أما أنا فأكملت سيري إلى قريتي بيترومين حيث تفقدت المديرية وقابلت والديّ مطمئناً وبت ليلتي فيها. اتفقت في هذه المناسبة مع الرفيقة سعدى نجار والدة الرفيقين خليل ووديع أن يكون بيتها البعيد عن الشبهة محطة لي عند مروري في الضيعة أو عند الحاجة للمبيت فيه.

عدنا في اليوم التالي إلى المركز في بتعبورة سالمين. لم نعلم أحداً من الذين زرناهم عن مكان وجودنا. كانت الزيارة الثالثة إلى طرابلس.

تفتيش دير سيدة البلمند

كنت قد قررت أن اصطحب معي في هذه الزيارة الرفيق علي الأيوبي من مديرية «النخلة» ولكن عند وصولي إلى قريتي بيترومين علمت أن مجموعة «حرزانة» من عشرات الدرك كرت على المنطقة للبحث عني بناء على إخبارية اني أعيش في مغارة تقع بين قرية قلحات ودير البلمند (قرية قلحات هي قرية أمي) دام التفتيش عني حتى العصر تقريباً وعادت القوة من حيث أتت إلى مركز قيادتها في طرابلس، تعباً، ظمأً، وفوق هذا كله، صفر اليدين. الغريب في الأمر اني كنت أسير على الطريق نفسها التي سارت هذه القوة عليها قبل ذلك ببضع ساعات كأني أقتفي أثرها ولو لم أعرج على منزل الرفيق حبيب ملكي في عفضديق لكنت اصطدمت بها أو اصطدمت بي وكنت ذهبت ضحية الصدفة. فسبحان مدبر شؤون البشر. شمل تفتيش المنطقة دير سيدة البلمند.

علمت، أيضاً، أن غبطة البطريك الكسندروس طحان، بطريك انطاكية وسائر

المشرق لطائفة الروم الارثوذكس وقد كان يومها في الدير، يستجم، احتج لدى السلطات المحلية والفرنسية لانتهاك قوى الأمن حرمة الدير والكهنوت. من جهة أخرى أسرّ إلي أحد المقربين إليه انه لو عرف أين أنا موجود لكان استدعاني ليضميني تحت جناحيه «ولتأت فرنسا وتأخذه مني». ما استغربت الاحتجاج فهو طبيعي وفي محله ولا وجدت في همسه عن أيوائي أية غرابة فقد كان يعرف عن الحزب الشيء الكثير وكانت بيننا علاقة وثيقة.

عدلت عن استئناف السير إلى «النخلة» وعدت ادراجي إلى دير سيدة البلمند لألتقي غبطة البطريرك وأشكره على موقفه ولكني وجدته قد غادر الدير فذهبت زيارتي سدى وقفلت راجعاً إلى النخلة أكمل برنامجي في زيارة طرابلس.



الرفيق علي الأيوبي

زيارة طرابلس

أمسيت في «النخلة» عند الرفيق علي الأيوبي وأطلعته على رغبتني، استعداداته دائماً حاضرة للتلبية. أبقاني عنده في البيت النهار التالي لينهي بعض الأعمال وعند المساء بعد العشاء «تزلنا» وانطلقنا، طبعاً، مشياً على الأقدام، (كانت كل زيارتنا مشياً على الأقدام) على بركات الله، يسترنا الليل الدامس وشجر الزيتون، زيتون «المعصرة» في القاطع الآخر من «وادي هاب».

بعد حوالي ساعتين تقريباً، وصلنا الى طرابلس من جهة محلة «باب الرمل»، حيث بيت شاكر الأيوبي المقصود. شاكر الأيوبي الذي كان حلاقاً في سجن طرابلس وأكرمني - كما مرّ بنا - كانت مدة محكوميته قد انتهت وفتح مخزناً في «باب الرمل» لبيع علف التبن وصلنا إلى البيت لنجد الباب موصداً وشاكراً غائباً. راح يتسوق تبناً لمخزنه من مدينة حمص.

كان نظام التعتيم ساري المفعول ولذلك فالتجول بعد منتصف الليل ممنوع. حشرنا الوقت ونحن بين أن نعود القهقري من حيث جئنا أو نتدبر أمرنا بإيجاد بيت آخر. فجأة خطر على بال الرفيق علي بيت وتلفظ باسم صاحبه بصوت عال «بيت أبو

حسن» تفضل إتبعني تبعته. مشينا في بعض حارات محلة «باب الرمل» ونحن نحسب ألف حساب لوقت منع التجول إلى أن وصلنا إلى مدخل فغشيناه ثم صعنا درجاً وطرق الرفيق علي باب الطابق الأعلى. انفتح الباب بعد قليل، وبعد سؤال استفهام عن «من الطارق؟» وجواب «أنا، علي افتحوا».

اقتادني الرفيق علي إلى قاعة الضيوف فهو خير بالمنزل. هو من أهله. قال لأهل البيت «بدنا نام» جيء بالفرش. في هذه الأثناء حضر «أبو حسن». تمّ التعارف بيننا. هو السيد رامز الأحذب. تاجر الكلس المعروف في البلد. قلت للسيد أحذب «أنا، جبران جريج، مطلوب من السلطة الفرنسية. احتاج إلى بيتكم للمبيت هذه الليلة وللبقاء فيه طوال نهار الغد ثم استودعكم الله مساء. فهل هذا ممكن وتحملون هذه المسؤولية؟» أجابني بحماس بادٍ للعيان: «مطلوب أو غير مطلوب، مسؤولية أو غير مسؤولية فأهلاً وسهلاً ولتصبحوا على خير، فأنتم تعبون» وأبدى إعجاب به بصراحي.

نمنا تلك الليلة بأمان وفي الصباح فارقت الرفيق علي الأيوبي وتركتني وديعة غالية في مأمّن «أبو حسن». ولده حسن لازمني في النهار. هو فتى في مقتبل العمر تحدّثنا كثيراً عن الأمور العامة والأحداث الانترنسيونية. عن الحرب وعن السلم ومركز وطننا منها. تحدّثنا كثيراً مما لم أعد أذكره ولكن الذي ما أزال أذكره ان حسن ما غادر القاعة لحظة واحدة. بقي معي وتناولنا طعام الغداء معاً وعندما غابت الشمس وأرخى الليل سدوله رافقتني إلى موعد مع الرفيق ألبير مسعد، ناظر مالية منفذية طرابلس. أنهيت شغلي معه وقبضت الاشتراكات المجابة وعدنا الى البيت حيث وجدت خبيراً من رسول آخر مكلف بتأمين سيارة تقلني الى المقرّ.

حضر أبو حسن في هذه البرهة بالذات ونحن على أهبة مغادرة الدار فسأل ابنه حسن «إلى أين» فلما أجابه «لأرافق العميد» انتفض وانتهره قائلاً: «أنت؟ لا، لا، أنا ذاهب بمعيته، أنت ما تزال صغيراً لهذه الأمور، أنا عاصي. إذا صار ما صار، أنا قادر على العراك، على الضراب، على القراع. عد إلى البيت، يا ابني». وملتفتا إلي قال «تفضل، يا أستاذ، إني جئت في الوقت المناسب، أنا بعدني شاب».

بيننا ونحن سائران إلى لقاء رسولي مع السيارة عرض عليّ أبو حسن ما يلي: «شوف، يا أستاذ، عندي بيت آخر، في باب الرمل، أقرب إلى الضواحي منه إلى المدينة. ساكن فيه شقيقتي وحدهن. فإذا جاءتك طريق مرة ثانية صوبنا فهذا البيت آمن؛ لا يخطر على بال أحد أن يتخبأ رجل مسيحي في بيت حريم إسلام». ووقفه ضاحكاً. ثم اتبع قوله: «لا توفرن، بيتي وبيت اخواتي تحت أمرك، أنا كمان وطني». ودعته وأنا مغمور بفيض من عواطف هذا الإنسان. فعلت في فعل السحر.

أعطاني «أبو حسن الأحذب» الدليل العملي على صحة هذا الإيمان في إصالة هذا الشعب. وقد خلّف بعده عائلة سورية قومية اجتماعية بدءاً من ولده البكر حسن.

في منفذية بيروت

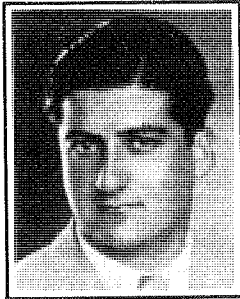
بالرغم من إعلان الحرب وحالة الطوارئ بقيت هيئة المنفذية عاملة فقامت بدعاية واسعة بتوجيه من المنفذ العام الملاحق، إحسان سالم، بعدم التطوع في جيوش الشرق ومواصلة العمل الحزبي كما انه تمّ إدخال نقولا نخلة جريديني بالرغم من الوضع المذكور وذلك في 20 أيلول حسبما جاء في مذكرات الطالب الجامعي إبراهيم يموت.

عند بدء السنة الدراسية عاد هؤلاء المسؤولون الموقتون إلى حرم الجامعة الأميركية. كذلك تمّ تعيين الرفيق فارس معلولي ضابط ارتباط بين المركز والمنفذية. كان الرفيق فارس معلولي موظفاً في المكتبة الخاصة بكلية الطب في الجامعة الأميركية وهو غير معروف حزياً حتى ذلك الحين. إن هذا التعيين كان بداية انصرافه إلى العمل الحزبي.

قصة انتهاء

ويقول الرفيق عادل يعقوب:

«أما تجندي في الحزب تحت لواء سعادة فقد تم في بيت مري بعد سنتين وقد كنت في برمانا استعدّ لدخول الجامعة في المدرسة الصيفية التابعة للجامعة الأميركية في بيروت. وأذكر اني كنت مؤجلاً انتسابي الرسمي ولكن إعلان الحرب العالمية الثانية في أوائل أيلول 1939 جعلني أعجل إذ قلت في نفسي أن الحروب تقرر مصائر الشعوب ويجب أن يكون لي دور في ذلك ولا يمكن أن يكون لي دور دون الانتساب الى حركة أو من بها فدخلت في عضوية الحزب السوري القومي الاجتماعي كما أني دخلت من قبل في صف المدافعين عن قضية فلسطين ومحاربة أعداء الأمة بدون كلل ولا تردد منذ مطلع شبابي».



عادل يعقوب

سجن القلعة العسكري والمعاملات

في منطقة جميلة من مناطق رأس بيروت يقع سجن القلعة العسكري الفرنسي . كان خاناً في العهد العثماني . (هدمته الدولة اليوم لتبني مكانه مدرسة) مدخله باب حديدي مصفح فوقه لافتة حديدية مكتوب عليها باللغة الفرنسية اسم السجن : Prison Prevotal Militaire . في هذا التصفيح باب صغير يفتح بعد عدة طرقات . عليه حارس عسكري يذرع الأرض ذهاباً - إياباً أمام هذا التصفيح . بعد الباب فسحة صغيرة بالكاد تحتوي الداخلين إن كانوا أكثر من واحد أو اثنين . أمامها باب آخر، مصفح أيضاً . يفتح من الداخل أيضاً على أحد مصراعيه بعد دقائق عديدة عليه وبعد عبوره تجد نفسك في فسحة كبيرة فيها جنينة صغيرة، حديقة وسطها شجرة نخيل سامقة .

إلى يسار المدخل مبنى فيه مكاتب الإدارة، يدخلها السجناء فور وصولهم لإجراء المراسم التقليدية التي يُستقبل بها السجن . بعد هذه الجنينة باب من قضبان حديدية يجتازه السجن لتستقبله فسحة مستطيلة صغيرة . على يمينها مطبخ وعلى يسارها غرفة صغيرة للحلاقة . للجهة الجوانبية باب آخر لكنه مصفح بدءاً من علو نصف متر تقريباً إلى الأعلى . وفي وسط التصفيح كوة أو فتحة مستطيلة، عامودية قليلة العرض . بعد أن يزاح المزلاج المرتبط بها تصيح في باحة مستطيلة، قليلة العرض أيضاً، على مدارها غرف أبوابها أيضاً قضبان حديدية، في طرف الباحة الآخر، ملاصقاً للجدار، سور عال .

مخازن «الخان» التي كانت معدة للبالغ أصبحت غرفاً واسمها بالفرنسية شمبير Chambre تعرّبت بلغة السجن فأصبحت «الشمبيريه» . على موازاة عرض هذه الغرف سلسلة غرف صغيرة هي غرفة عزلة، غرف إنفراد، بالفرنسية تسمى سيليل Cellules ،

أمامها ممشى ضيق. ولها بابان، واحد قضبان حديدية وآخر من الخشب السميك.
حرس السجن شرطة عسكرية.

المعاملة في السجن

أودع كل موقوف في سيليل Cellule أي في الزنزانة. أغلق عليه الباب الخشبي السميك إضافة على باب القضبان الحديدية. ليس من منفذ سوى كوة صغيرة في أعلى منتصف الباب. إنه تدير متشدّد. عادة تتخذ تدابير من هذا النوع بحق المجرمين الخطيرين الكبار. لا يسمح له بالخروج إلا مرة في الصباح وذلك للذهاب إلى المغسلة عند الطرف الآخر للساحة المستطيلة. يخرج كل منهم وحيداً، بدوره، يرافقه الحارس - الشرطي العسكري من رتبة «سرجان» وهويلوح بمفتاح الزنزانة. عند مرور الموقوف في ذهابه إلى المغسلة تغلق أبواب الغرف الواقعة على طريقه. يمكننا أن نتصور مقدار الحيلة والحذر. إنه التشدد بالقسوة. إن هذه المعاملة كانت تنمّ عما كان يخالج القيادة العسكرية العليا من وساوس وظنون وتخمينات وتقديرات واستنتاجات عن موقف الحزب. إن الجو جو عداوة والزمّن زمن حرب فالمعاملة كلها صارمة لا ترحم.

كانت هذه «النزهة» الصباحية محدودة الوقت إنها كانت لبضع دقائق فما أن تغسل وجهك حتى يناديك الشرطي. «ساويه» أي انتهى. يمكننا أن نتصور وضع الموقوف المادي والنفسي بهذا الوضع. أضف إليه منع التدخين. ويقضي النهار والليل تبعاً في هذا المربع الضيق المعتم. ومن أجل قضاء الحاجة، موجود في إحدى الزوايا وعاء خشبي مدور غليظ، للاستعمال. هذا الوعاء يدعى تينيت Tinette، يسمح لك بتفريغها إن كنت استعملتها، إن ليلاً أو نهاراً، عندما يفتح الباب للغسيل أو لتناول الطعام من الموزع، يمكننا أن نتصور الوضع التنفسي مع أريجها الفواح!!

كانت الزيارات ممنوعة حتى على المحامين فكيف بالأهل والأنساء! دامت هذه الحال ما يقرب الشهر. بدأ الفرج عندما صدرت التعليمات السنيّة بالإكتفاء بباب واحد. أي الاستغناء عن استعمال الباب الخشبي السميك. بقي باب القضبان الحديدية ثم ارتخت القبضة رويداً رويداً فجاء السماح بالنزهة اليومية لمدة نصف ساعة ولكن كل بمفرده ولكن بعد أن انتهى التحقيق الأولي صدرت الأوامر العليّة بتوزيع الموقوفين على الغرف. كان هذا التوزيع بمثابة إخلاء سبيل. تنفس القوميون الاجتماعيون الموقوفون الصعداء. كان هذا التوزيع مع مساوئه نوعاً من الفرج بحد ذاته. كانت الغرفة «الشمبريه» على وساحة من فيها نعيماً بالنسبة للعزلة والانفراد والحرمان من طعام البيت والتدخين. أصبح التدخين الآن مسموحاً في أوقات النزهة، مرتين في النهار.

قال لي الأمين أنيس فاخوري وهو يصف لي هذه الحالة المزرية: «تصوّر، إنّي رأيت بيد أحدهم، في الغرفة التي نقلت إليها، علبة كرتون فيها قطع من السكر. صبرت نفسي كثيراً على اشتهائي قطعة منها ولكن صبري عيل فوجدتني أحمل نفسي وأطلب منه قطعة».

استمر التحقيق مع الموقوفين مدة من الزمن. إن هذا التحقيق خفف من غلواء السلطة العسكرية فأفرج عمن أفرج وأبقي البعض منهم. في هذه الأثناء اتصل بعلم الرئيس ثابت إن الإدارة بحاجة إلى من يحسن العمل على الآلة الكاتبة فقدم نفسه للمء هذا المركز الشاغر. بعد أخذ ورد بين الإدارة والقيادة صدر القرار بالموافقة وأصبح الرئيس ثابت موظفاً تابعاً لملاك إدارة السجن. له دوام يواظب عليه من الثامنة صباحاً إلى الواحدة بعد الظهر ومن الثالثة بعد الظهر إلى وقت التعداد، عند الساعة السابعة مساءً. أضفى وجوده في المكتب جواً مديناً، مستمداً من لطفه ودماثة خلقه. أرخى صرامة الجوخوشوته بتهدئته الرفيع. كان أمر السجن الادجودان مرتس «Mertz» الالزاسي مثال العسكري المنضبط، القاسي الحازم.

كان أول عمل قام به بعد أن تملك من زمام الأمور في الإدارة أن استأذن للعميد عبد المسيح بالبقاء خارج «الشمبريه» خلال أوقات النهار ثم سعى مع الإدارة للقبول، بجمع الموقوفين القوميين الاجتماعيين في غرفة واحدة بدل تشتيتهم في غرف السجن كافة فنجح مسعاه وخصصت الإدارة الغرفة «6» بهم. فرض على الإدارة معاملة القوميين الاجتماعيين معاملة خصوصية وذلك عندما وردت أخيراً مسألة المطالبة بالسماح بإدخال الفرش. في السجن العسكري لا يُسمح باقتناء الفرش. يسمح فقط بالحرارات. بعد مراجعات كثيرة وأخذ ورد رتيبين مملّين بين الإدارة والقيادة العسكرية العليا انتهى قرارهم إلى الموافقة فتدفقت الفرش إلى غرفة السوريين القوميين الاجتماعيين.

هكذا بدأت المعاملة في السجن وهكذا تطورت إلى أن أصبحت مقبولة نسبياً. أخيراً سمحت بالزيارات العادية فتدقق الطعام وارتاحت المشاعر بعد ذلك التوتر المتشجج القطيع.

بلاغ قلم المطبوعات

في الرابع والعشرين من تشرين الأول وزع قلم المطبوعات في المفوضية العليا على جرائد بيروت بلاغاً مكتوباً بلسان أصحاب الجرائد نشره بنصه الحرفي. «عرفنا أن

المحكمة العسكرية تلاحق قضية الحزب السوري القومي. وقد اتضح من المعلومات الأولى التي استقاها قاضي التحقيق. إن هذه المؤسسة التي يرئسها أنطون سعادة، المقيم حالياً في برلين، كانت تعمل لحساب المانيا وكانت تتلقى من السلطات النازية مبالغ مالية هامة».

هذا هو نص البلاغ الذي وزعه قلم المطبوعات على جرائد بيروت لينشر كأنه صادر عنها وقد نشرته الصحافة على علاته وفساده مما أظهر لأول وهله للمدقق النبيه زيفه. نشرته خوفاً من إغضاب السلطة وذلك عملاً «بحرية النشر وحرية الرأي وحرية الكلمة». هذه الحرية التي تحارب في سبيلها الدولة الأجنبية المحتلة.

الملاحقات والبيانات

الصلح في بتعبورة ومسألة الناطور

ومن أهم أعمالنا الأولى في بتعبورة بالذات كان إزالة الجفاء الذي كان مستحكماً بين السيدين يوسف بربر والياس خليل. كان ذلك باقتراح من مدير المديرية الرفيق جورج الياس صعب فالأول حموه والثاني صهره. قمنا بالمساعي الحميدة. نجحنا في احلال الوفاق وقد أقام ناظر المالية الرفيق نقولا فرح مأدبة عامرة على شرف هذا «الوفاق»، فيها كل ما لذ وطاب، ضمت أعضاء المديرية وبعض الأهالي على رأسهم المختار سليم لطف الله الخوري. هذا الوفاق لقي استحساناً عاماً مما أدى الى إنهاء مسألة أخرى كادت أن تصبح مشكلة.



المدير جورج الياس صعب



الرفيق نقولا فرح

تلك المسألة كانت مسألة النظارة وكذلك باقتراح من مدير المديرية والمساعي الحميدة التي قمنا بها مع الأهالي تمّ الاتفاق بالاجماع على تعيين ديب بشاره ناطوراً للضيعة من دون إحداث أية ضجة أو مناقشة حول الموضوع. لقي هذا الاجماع استحساناً عاماً.

الاذاعة المالية

في الرابع من تشرين الثاني أذاع حضرة عميد المالية الرفيق جبران جريج بياناً على الصحف جاء فيه ما يلي: «بصفتي كنت مفوضاً للمالية في الظروف الاستثنائية بين شهري يونيو وسبتمبر 1937 ووكيلاً لعميد المالية من شهر سبتمبر 1937 إلى شهر يونيو 1938 ومديراً للإدارة في جريدة «النهضة» في هذه الفترة نفسها وعميداً للمالية حالياً، لي الشرف أن أعلن بكل صراحة ما يلي:

أولاً: ليس بين المعتقلين في سجن القلعة من يحمل أية مسؤولية مالية في الحزب السوري القومي فيستطيع الادلاء بأية معلومات تتناول هذه الناحية. والأمين بشير محمد



الرفيق جبران جريج

فاخوري المعتقل بتهمة حمل مسؤولية خازن عام للحزب لم يعد خازناً عاماً منذ شهر يونيو 1938 وخلفه الرفيق «كامل رشيد» كما صرحت بذلك للمحقق الأستاذ صبحي محمصاني في التحقيق الذي جرى في شهري سبتمبر وأكتوبر 1938.

ثانياً: ليس لدى قاضي التحقيق أية وثائق أو سجلات تختص بمالية الحزب أو لها أية علاقة بهذا الموضوع سوى سجل مالي يومي، وهذا السجل لا يمكن تزوير أو تحوير أي شيء فيه إذ انه لدى العمدة نسخة طبق الأصل عنه.

ثالثاً: ليس للأوراق البسيطة التي وقعت بأيدي الأمن العام في غرفتي في بيروت أثناء غيابي عنها، أية علاقة بالبتة بالناحية المالية بل تخص ريفياً معروفاً الهوية كما يتبين من الأوراق نفسها وهو مستعد للقدوم إلى قاضي التحقيق حين الطلب.

رابعاً: إني أتحدى، وأنا أتحمل مسؤولية ما أقول، أية دائرة أو شخصية وطنية كانت أم أجنبية، صدرت عنها التهمة الواردة في الصحف بنشر البيانات الحسنة من وثائق أو أوراق أو سجلات التي تزعم إنها لديها.

البحث عنا

لم تستسلم السلطة الفرنسية لليأس والقنوط فتفتنت عبقريتها عن خطة سرعان ما وضعتها في حيز التطبيق. ففي فجر أحد الأيام بالتحديد 4 تشرين الثاني نقل إلينا جهازنا الإخباري نبأ توجه قوة من الدرك نحو المنطقة عددها يعد بالمئات. ثم تنالت الأنباء بأن القوة بدأت باحتلال المنطقة فقد اجتاز بعضها كفريا والبعض الآخر أطل على كفرحاتا وأصبح واضحاً إن القسم الباقي متجه الى بتعبورة.

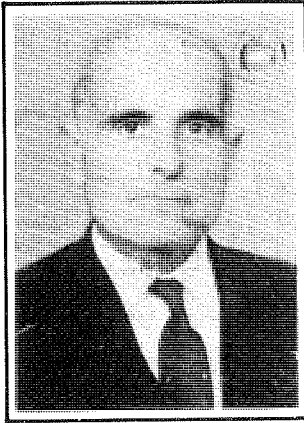
كنا قضيماً ليلتها في بيت يوسف بربر حيث طالت السهرة فأبقانا للمبيت عنده فمنا نوماً عميقاً لنستفيق على تنبيهات ابنته الرفيقة ماري وتبليغها الخبر وان الموقف



الرفيقة ماري بربر

خطير. ارتدينا ثيابنا وما كدنا نفعل حتى وصل المنفذ العام وهو يلهث، ليجدنا جاهزين للخروج من إطار الخطر لاحظت الرفيقة ماري اني محتار بصدد البريد الحزبي الذي كنت قد تلقيتة في ذينك اليومين فأخذته مني بسرعة وهرولت الى الخارج لتطمر الأوراق الحزبية في التراب ثم عادت وأشارت الرفيقة ماري بأن نتوجه إلى البرية عن طريق العين من «قادومية معوض» وسلحتني بعضا معقوفة اليد ولها مسمار حاد في الأسفل وهي تقول: «قد تحتاج إليها».

في لمحة بصر، عن طريق القادومية، وصلنا إلى وادي نهر العصفور وتسلقنا التلة المقابلة ورحنا نراقب من هناك ما استطاعت عيوننا الى ذلك سبيلاً. تعثر العميد اياس فلوت قدمه مما سبب له ألماً شديداً منعه عن السير وحده دون أن يتوكأ على أحد فما كان من المنفذ العام الرفيق ميشال خوري إلا أن حمله على ظهره، صعداً نحو قمة التلة على «عقبة عين البستان».



ميشال خوري

بعد الانتهاء من الحملة التفتيشية وانسحاب القوة العسكرية الضخمة علمنا أن الحملة كانت عامّة في جميع مناطق الجمهورية وهو ما يسمى في اللغة العسكرية «عملية تمشيط» وكانت منطقة القويطع من ضمن المناطق المستهدفة لا أكثر ولا أقل. فاطمأنت نفوسنا إلى قوة جهازنا الاخباري من جهة والى سلامة أمننا من جهة أخرى.

البيان التحدي

في هذا الوقت بالذات، قررنا أن يذيع العميد اياس بصفته ناموساً للمجلس الأعلى بياناً رداً على الحملة الشعواء التي استهدفتنا والتي كانت تدعي ثبوت علاقتنا بدولة أجنبية وان زعيمنا تركنا لمصيرنا القاتم وهو ينعم بالحرية في برلين وذلك بقصد الفصل بين الزعيم وحزبه أي بين الرأس والجسم. تاريخ البيان 8 تشرين الثاني 1940.

أرسلنا البيان إلى الصحف وقد نشره بعضها بالرغم من المراقبة التي كانت مفروضة عليها وأرسلنا نسخة عنه إلى «سورية الجديدة» فنشرته أيضاً وإن متأخراً وقد علقت عليه بما يستحق وهذا أهم ما ورد فيه :

أولاً : «إن الزعيم مقيم حالياً في بوانس آيرس - الأرجنتين - كما تثبت صحف المهجر الواردة مؤخراً من أميركا. ويمكن للحكومة الفرنسية ان تتأكد لو شاءت صحة ذلك بواسطة قنصلها في العاصمة المذكورة الذي ولا شك سيخبرها عن رقم المنزل الذي يقيم فيه زعيم النهضة. كما يمكن أي صحفي من صحفيي الوطن أن يسأل قنصل الأرجنتين في بيروت عن مقر الزعيم.

ثانياً: إن السوريين القوميين عموماً يثقون بزعيم نهضتهم ثقة تامة لا تتزعزع، واني أصرح باسمهم بأننا جميعاً نشارك زعيمنا الحر كل مسؤولية يتعرض لها. إن سعادة والحزب السوري القومي وجميع القوميين المنتشرين في الوطن والمهاجر يشكلون وحدة تامة لا تتجزأ.

ثالثاً: انني أتحدى الصحافة ان تنشر صور الوثائق التي تدعي وجودها لتثبت ان مؤسسة الحزب السوري القومي تعمل لسوى المبادئ الصريحة التي تحملها أو لها أية علاقة بدولة أجنبية، وأطلب من القائمين بالتحقيق حالياً في المحكمة العسكرية أن يطلبوا آراء الشخصيات الآتي ذكرها بالحزب - وهي شخصيات فرنسية ووطنية قامت بالتحقيق مع زعيم الحزب وأركانه بالتوالي منذ انكشافه حتى الآن. (أ) السيد كيفر رئيس الغرفة السياسية السابق الذي يوجد منه في سجلات الغرفة تقارير عن سير الحزب وعن مقابلاته هو مع زعيم الحزب وأركانه أكثر من مرة. (ب) الأستاذ تمبال المستنطق لدى المحكمة المختلطة الذي تولى التحقيق عند انكشاف أمر الحزب في عام 1935. (ج) الأستاذ روسيه رئيس المحكمة المختلطة الذي حكم على زعيم الحزب وأركانه في عام 1936. (د) الأستاذ حسن قبلان المستنطق الذي تولى التحقيق في الاعتقالات الثانية في عام 1936. (هـ) الأستاذ وجيه خوري المدعي العام ورئيس مكتب التحريات الذي أشرف على التحقيق المذكور وكذلك على التحقيق الثالث في سنة 1937. (و) الأستاذ جورج مراد المستنطق الذي تولى التحقيق في الاعتقالات الثالثة عام 1937. (ز) الأستاذ صبحي المحمصاني المستنطق الذي تولى التحقيق في الاعتقالات الرابعة عام 1938. (ح) الأستاذ فرنان ارسانيوس المدعي العام ورئيس مكتب التحريات الذي أشرف على التحقيق الرابع. (ط) الأستاذ وفيق القصار رئيس محكمة بداية الجزاء الذي حاكم زعيم الحزب وأركانه أكثر من مرة. (ي) الأستاذ كمال عيتاني رئيس محكمة بداية الجزاء الذي تولى محاكمة الحزب أيضاً.

كما يمكن سؤال المحامين الآتية أسماؤهم الذين تطوعوا للدفاع عن قضايا الحزب في مختلف المناسبات وهم: الأساتذة حبيب أبو شهلا، اميل لحود، حميد فرنجية، الشيخ ابراهيم المنذر، يوسف جرمانوس، فكتور حكيم، صلاح لباييدي، شارل عمون، جميل مكاي، مختار مخيش، سليم غنطوس، جان تيان، وغيرهم.

وقد كان من البديهي ان تتروى الصحف التي تحترم نفسها في ذكر ما يشين وما يحط من كرامة قسم كبير من شبان البلاد التي تخدمها هذه الصحافة. فإن أركان الحزب السوري القومي ليسوا ممن يمكن أن يوصموا ببيع الضمير بهذه السهولة وكل منهم ابن عائله معروفة في بلده وله من الثقافة مقدار يؤهله لفهم معنى الخيانة الوطنية أكثر من أكثرية الصحفيين - وهؤلاء يعرفون أنفسهم.

أما وصم هؤلاء الشبان بالخيانة فإنه وصمة للبلاد عامة يجب أن لا يرمى الكلام بشأها على عواهنه. إن العدل سيرهن هذه المرة كما برهنت المحاكم اللبنانية من قبل عن نبل المقاصد التي يرمي إليها سعادة ورفاقه، وعند ذلك تبيض وجوه وتسود وجوه وكل آت قريب».

تعليقات على التمشيط

والآن لنسمع الأهالي في القويطع، بخاصة في بتعبورة يتندرون بأخبار حملة «التمشيط» فمن قائل كيف أن الدرك أحاطوا بمنزله وصوبوا اليه البنادق وصعدوا الى السطح يتخذون منه استحكاماً أو من هازيء بحركاتهم وتحركاتهم المليئة بالحذر والتؤدة، ومن مقلد لتعليمات العرفاء والرقباء الصادرة الى الانفار للتفتيش الدقيق. وقد نفذت في تفتيش فرن جبور الأخرس «الحامي» وخابية زيت بيت نخول يزيك، ومن راوٍ عن كيفية انحصار مدهم وهم راجعون بخفي حنين. بينما المطلوبان موجودان على قاب قوسين أو أدنى. يسرحان ويمرحان. بعد هذه المداهمة العامة الحاشدة. توقفت التحريات التي من هذا النوع لثبوت فشلها وعدم جدواها.

سير التحقيق

كنا رتبنا الاتصال بالمعتقلين في السجن العسكري بواسطة الرفيق فارس معلولي «محفوظ». ضابط الارتباط، وهو بدوره أمن هذا الاتصال بواسطة كلودا شقيقة الرئيس ثابت. المعلومات الأولى التي وصلتنا كانت تشير الى أن التحقيق قد ابتدأ فنفي الرئيس ثابت والعميد عبد المسيح وجود أية علاقة أجنبية وأخذوا يفسران بواسطة المحقق

إلى ذوي الشأن غاية الحزب ومبادئه وسياسته الداخلية والخارجية فكسبا صداقة المحقق الكومندان ويتو Vitu .

كما أن سيرة التحقيق اقترنت باسم هذا المحقق العسكري النبيل كذلك سيرة الوكالة عن الموقوفين اقترنت باسم محام فرنسي لامع . بل من المع المحامين الفرنسيين العاملين في هذا الحقل في مدينة بيروت . هو الأستاذ Ferrant الذي نصح بعدم الاكثار من عدد المحامين لأن الدعوى واحدة لذلك تكفي وكالته عن نعمة ثابت لأن الوكالة عن نعمة ثابت تعني الوكالة عن الجميع . الجميع متهمون تهمة واحدة .

إن الهاجس الأكبر الذي كان يخالجنا هو ربط بيان عمدة التدريب بنداء الزعيم الذي نشر بواسطة وكالة فن ، فلو كان بيان العمدة وحده لكانت المسألة قد اختلفت أو لو كان نداء الزعيم وحده لكانت المسألة قد اختلفت أيضاً ولكن وجودهما معاً شكلاً الحجة الدامغة ، هذا من الناحية القانونية اما من الناحية الأخرى فما كان للسلطة المنتدبة بحاجة الى حجج وبراهين لتحويلنا الى المحاكمة ولكن هذا التوفيق الذي حالفها بسبب هذه الصدفة وليدة الإهمال أو عدم التقدير أو على الأقل لعدم الدقة في تنفيذ الأعمال هو الذي سهل لها اعتقال هذا العدد الكبير وترسيخ التهمة بحق الحزب بمحاولة التآمر على سلامة الدولة ، الخ . . .

اعتقال الملاذي

استطاع الوكيل الملاذي التواري عن الإنظار حتى وصل إلى طرابلس حيث دبر له شقيق الأمين أنيس فاخوري الرقيق جوزيف بطاقة سفر بالقطار إلى حلب حيث وجد الاستخبارات الفرنسية تبحث عنه فغادرها الى «الباب» ليلاً ، سيراً على الأقدام (مسافة 27 كيلومتراً) ومنها استقل سيارة أوصلته الى إحدى القرى القريبة من منبج حيث حلّ ضيفاً عند صديق له حميم مدة ثلاثة أيام ذهب بعدها إلى بلدة جرابلس وزار والديه ومن جرابلس عبر الفرات الى الجزيرة ونزل ضيفاً على أحد شيوخ العشائر الكردية الذي اغتنم فرصة وجوده للابتزاز فوشس به طمعاً بالمكافأة التي وضعت ثمناً للقاء القبض عليه ولكن الوشاية لم تنجح فقد استطاع أيضاً الإفلات ولكن ليعود ويقع في قبضة السلطة في جرابلس حيث ذهب ليتزود ببعض المال يساعده على اجتياز الحدود الى تركيا .

ذهب الجند به الى عين عرب فوقع بين برائن أحد المستشارين الفرنسيين الطغاة الذي بدأ بتعذيبه دون شفقة ولا رحمة مدة أربعة أيام صباحاً ومساءً حتى فقد الذاكرة .

بعد هذه الوحشية نقل بالقطار إياباً الى بيروت. الى سجن القلعة العسكري ليلتحق
بقافلة المعتقلين.

بهذه الواقعة أختتم السنة الحزبية السابعة في الوطن لنتقل إلى بوانس ايرس -
الارجنتين لمرافقة الزعيم حتى ختامها أيضاً.

عبر الحدود في توكو مان الأرجنتين

حفلة جمعية نور الهدى

أقامت جمعية «نور الهدى» للسيدات الحمويات حفلتها السنوية في نادي «شرف ووطن» السوري حضرها جمهور غفير من سيدات الجالية ورجالها. وقد خصت الجمعية الزعيم، بدعوة رسمية ليكون ضيف الشرف في هذه الحفلة. فتلطف الزعيم وقبل الدعوة وحضرها، يرافقه الأمين خالد أديب الذي عينه الزعيم مفتشاً لفروع الحزب عبر الحدود.



إلى هيئة اللجنة المفوضة

في رسالته تاريخ 2 أيلول 1939 إلى هيئة اللجنة المفوضة يقول الزعيم موجهاً: «ولما كانت لجتكم المفوضة الهيئة المسؤولة عن إدارة الحركة السورية القومية في البلاد المقيمة فيها ونموها المطرد أي انها الهيئة المطلوب منها اتخاذ التدابير والاجراءات المحلية

اللازمة لتنظيم إدارة فرع الحركة القومية وشؤونها المالية والإذاعية فإني أطلب منكم وضع برنامج أعمالكم المقبلة بالتفصيل وبيان بالأعمال التي تمت على يد هيئتكم حتى الآن، وأعني بالتفصيل الذي يجب أن يشتمل عليه برنامج أعمالكم ذكر التنظيمات الإدارية لجميع أعضاء الحركة وتنظيم الشؤون الإذاعية ولجانها وما يطلب منها وكيفية تنظيم الجباية العامة والمسامي الإذاعية التي تقوم بها اللجنة المفوضة رأساً أو بالواسطة وما هي الأوساط والمراكز التي توجه إليها الأعمال الإذاعية اهتمامها ومساعدتها وما هي تقديرات النمو لحركة الإدخال التي تقدرها لجننتكم».

«أريد أيضاً أن ألفت نظر اللجنة المفوضة الى نوع المسؤولية الملقاة على عاتقها فهي مسؤولية توجب عليها ان ينسى أعضاؤها جميع المشاحنات والخزانات التي قد تكون تولدت عندهم تجاه بعض العناصر أو الأشخاص في الجالية وأن تشعر أن مركزها يعلو عن الضغائن والأحقاد الشخصية، وان هذا المركز يوجب عليها أن تجد كل تضحية شخصية هينة في سبيل انتصار القضية القومية التي تجعلنا أمة واحدة، واجب على أفرادها التعاون المستمر تحت كل الظروف».

«يجب على اللجنة ان تشعر أن نطاق عملها لا ينحصر في المدينة التي تألفت فيها بل يتناول البلاد كلها. وبناء عليه أطلب من اللجنة المفوضة ان يتضمن تقريرها وبرنامجها المنهاج الذي سنتتجهه والخطة العملية التي قررت المسير عليها لمد الحركة القومية في الولايات الأخرى مع الاهتمام بوجود إيجاد التوازن بين اتساع نطاق الحركة ونمو قوة مركزها فلا تصبح الأطراف أثقل من أن يحملها المركز».

أَسْمَاءُ الْمَعْتَقَلِينَ فِي الْوَطْنِ وَعَمْرُ الْحُدُودِ

في بيروت: في عملية التحدي - الرفيق شكيب أبو مصلح وحكم بالحبس مدة شهر في عملية ضد اليهود - الرفيقان خليل الطفيلي وسميح قصبياتي وحكم عليهما بالحبس بين الستة أشهر والسنة.

إنتكاسة البرازيل: المعتقلون

الزعيم: مدة 55 يوماً.

الناموس الأول أسد الأشقر: شهر ونيف.

الأمين خالد أديب الناموس الثاني: شهر.

المعتقلون في الوطن على أثر إعلان الحرب على الحزب:

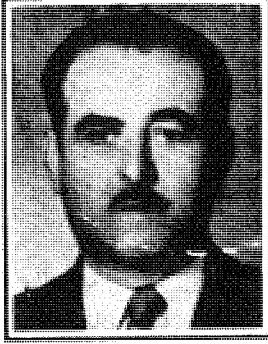
الأمين جورج عبد المسيح، الأمين بشير فاخوري، لياس سمعان، أديب قدورة وليم سابا «طالب هندسة في برلين» محمد القاضي واسبيريدون ديب طالب طب في برلين. الرئيس نعمة ثابت .

من المتن: الرفيق اميل الترك من بيت شباب وهو من مغتربينا في الشاطيء الذهبي، والرفيق جورج حنكش من رومية المتن. من الغرب، قضاء عاليه الرفيق رفيق أبو كامل. من الشوف، الرفيقان حسن الطويل حمادة وتمر عبد الباقي. من راشيا الوادي، الرفيق منصور اللحام. من الهرمل، الرفيق عبد الكريم سيروان. من دمشق، الرفقاء خالد موره لي، يوسف اليازجي ورشيد فرعون. من حمص، الرفيق إحسان مسوح. من حماه الرفيق صلاح شيشكلي. من حلب، الرفيقان نعمة غزال وإلياس قدسية. من محافظة اللاذقية، الحفة، الرفيق عزيز ارناؤوط، ومن طرطوس الرفيق إلياس جرجي قنيزح. من طرابلس الأمين أنيس فاخوري والرفقاء أمين مجذوب، هارون صالح، إبراهيم الشامي وأكرم

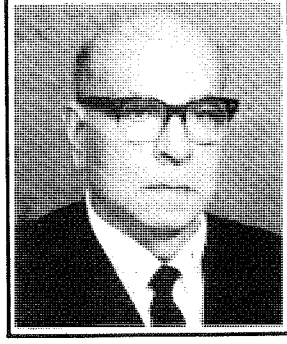
صوفي. من جونية الرفيق اميل فتوي. من الطلبة الجامعيين الرفيق نايف قعوار من عمان. ثم المحامي انطوان الرامي من تربل البقاع، المقيم في فالوغا. وفلادو ثابت الذي فك أسره على إثر استسلام شقيقة الرئيس نعمة ثابت. والرفيق ويكتور أسعد. وأخيراً في 22 أيلول تم اعتقال المحامي الأمين عبد الله قبرصي.



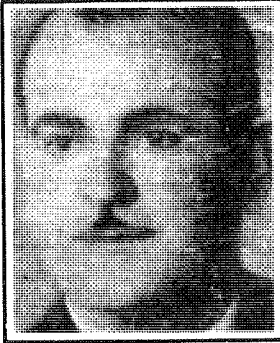
إبراهيم الشامي



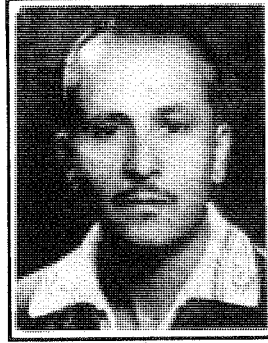
منصور اللحام



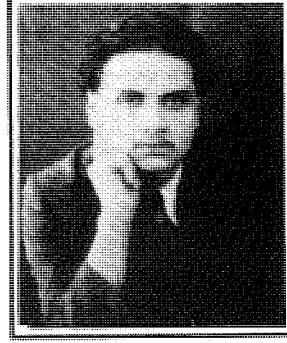
هارون الصالح



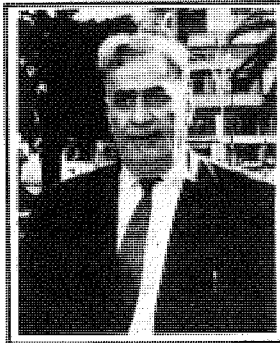
نور عبد الباقي



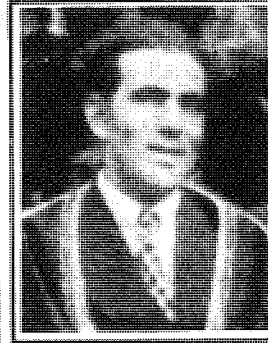
كل الياس جرجي قنيزح



أكرم صوفي



عبد الكريم سيروان



صلاح شيشكلي



رفيق أبو كامل

مُلصحة

- وصول الزعيم إلى البرازيل في تشرين الثاني 1938.
- في 11 آذار 1938 ابصرت «سورية الجديدة» النور في سان بولو- البرازيل.
- في 23 آذار اعتقل الأمن السياسي البرازيلي الزعيم ومعه الناموس الأول الرفيق أسد الأشقر والناموس الثاني الأمين خالد أديب (المعروف بخالد عبد الواحد).
- انتقل الزعيم من البرازيل - سانبولو- إلى الأرجنتين - بوانس ايرس في 16 أيار 1938 بعد أن ألقى في اجتماع الوداع خطاباً عرض فيه للشواية.
- انتقل مركز الحزب إلى السرية واعتقل الرفيق جميل عازار في بيروت وعذب لانتزاع معلومات عن المسؤولين المركزيين السريين.
- اعتقل الرفيق أديب عازار في اللاذقية على أثر مظاهرات ضد الفرنسيين وعذب في سجنه واحيل إلى المحاكمة.
- نداء الزعيم من الأرجنتين في أول تموز 1939.
- في منتصف تموز 1939 يعود الأشقر إلى الوطن.
- اعلان الحرب على الحزب في الأول من أيلول 1939 وقامت سلطات الأمن الفرنسي العسكري بحملة اعتقالات في الوطن، ترافقها حملة إعلامية تهويلية إرهابية في الصحف.
- أصبحت «مديرية بتعبورة» مركزاً سرياً للحزب.
- نشاطات وحفلات للزعيم في بوانس ايرس.

المحتويات

403	النشاط الحزبي والرد على الشاعر فرحات
417	عبر الحدود: البرازيل، المكسيك
421	أول آذار في الوطن - سورية الجديدة
427	اعتقال الزعيم
435	أهم النشاطات المركزية
441	وضع الزعيم وتشكيلات حزبية
447	النشاط الحزبي والوضع السياسي في الوطن
477	معلومات عامة
489	النشاط الحزبي عبر الحدود
495	الزعيم في الأرجنتين
511	نداء الزعيم
519	فرنسا تعلن الحرب على الحزب
531	العمل الحزبي والسجن
545	نقل المركز السري إلى بتعبورة
551	سجن القلعة العسكري والمعاملة
555	الملاحظات والبيانات
563	عبر الحدود في الأرجنتين
565	أسماء المعتقلين في الوطن وعبر الحدود
567	خلاصة
568	المحتويات
569	كتب للمؤلف

مرويات ، مستندات وادبيات
عن الحزب السوري القومي الإجتماعي

السنة الاجتماعية جبران جريج

المجلد الرابع: نشاط الزعيم والحزب عبر الحدود - بيانات ومذكرات
عودة المركز السري الى بيروت - التجمعات العامة وتلاوة بيان
اعتقال القيادة - قيادة جديدة وبيان واعتقال الحياة السجينة -
التظيم الحزبي في البرازيل

السنة الحزبية الثامنة

1939	تشرين الثاني	16	من
1940	تشرين الثاني	16	الى

السنة الحزبية الثامنة

مرحلة الحرب
في الوطن وعبر الحدود
1939 - 1940



سُورِيَه الْجَدِيدَة وَالنَّشَاطُ الْحَزْبِي

نستهل السنة الحزبية الثامنة بصدور سورية الجديدة بمناسبة عيد التأسيس. فقد تكلفت الجهود التي بذلها الزعيم بشأن «سورية الجديدة»، بواسطة الرفيق جورج بندقي الذي كان صلة الوصل الفعلية بين الزعيم وجهاز «سورية الجديدة»، تكلفت هذه الجهود بصدور عدد ممتاز من «سورية الجديدة» بمناسبة عيد التأسيس، 16 تشرين الثاني. إن من يتصفح العدد يلمس رأساً الطابع الحزبي الذي تميزت به جريدة «النهضة» في الوطن، ان من حيث التبويب أو التصنيف أو الاخراج. نجح الزعيم أخيراً في اضفاء الصفة الحزبية المميزة عليها ولكن بعد ان استهلكت منه العديد من المراسلات، سبق نشر بعضها في السنة الحزبية المنصرمة.

وقد استحق الرفيق جورج بندقي تهنئة من الزعيم سجلها في رسالته اليه في 28 تشرين الثاني اقتطع منها الفقرة التالية: «اريد، قبل كل كلام آخر، ان اهثك على تنفيذ فكرة العدد التذكري لنشوء الحزب السوري القومي ولانكشاف أمره وبدء جهاده. فلقد كان عدداً ممتازاً ومع اني لم أتمكن من كتابة شيء جديد له فإن القديم الذي نشر فيه هو جديد. كان عملاً إذاعياً كبيراً وخطوة جريئة تقتل كل خوف ووجل».

حكاية زيارة حمص وحلب:

اتفقنا مركزياً ان أقوم بزيارتين حزبيتين الى الداخل، الى حمص وحلب والى الساحل السوري، صافيتا، طرطوس، بانباس فاللاذقية وذلك لاثبات وجود المركز من جهة ومن جهة أخرى للمحافظة على مستوى المناطق الحزبية المعنوية العالية فقد تطلب القيادة الحزبية إليها القيام بعمل ما.

قمت بالزيارتين وبقي العميد اياس في المركز. كان مركز الانطلاق إليهما من عكار

بواسطة الرفيق توفيق شما التابع لمديرية الحاكور الذي كان يؤمن السيادة ويرافقني حتى عبر الحدود اللبنانية - الشامية بسلام ثم يقفل راجعاً. كان السائق «الياس» من حلبا، السائق المفضل لديه، مؤتمن على السر مع انه ليس عضواً في الحزب.

وصلت الى حمص إلى منزل الرفيق سري الحلبي توا. اتصلت بهيئة التنفيذية فوجدتها على أحسن حال وكان للزيارة الأثر الحسن ورتبت طريقة الاتصال. قضيت فيها ثلاثة أيام بينما وصل إليها الرفيق فؤاد شلبي من مسؤولي حلب، لمرافقتي في زيارتي هذه، ولكن أية زيارة كانت!!!

امتطينا سيارة ركاب كبيرة تعمل على خط حمص - حلب ولم تستخدم سيارة صغيرة زيادة في التمويه أو إذا شئت في التستر أو التخفي، حسب رأي الرفيق شلبي. ومن هنا بدأت متاعبنا. كانت السيارة مزدحمة بالركاب فما حصلنا إلا على مقعدين ولكن أين؟ كرسيين صغيرين من القش، انزلنا في الفسحة التي بين المقعدين الأصليين. قبلنا بهذا الوضع ولكني لم أحسب حساباً لعامل الوقت لعدة ساعات على هذين المقعدين المريحين!!!

على الطريق وأثناء الحديث مع الرفيق شلبي علمت ان المنفذ العام الرفيق أورخان ميسر كان في قريته المملوكة «ددخين» يشرف على جني ثمار أشجار الزيتون. ولذلك كان من رأيه النزول عند مفرق «تفتناز» الذي يؤدي الى طريق أدلب ففسر الشغور. ثم لا بد من مرور سيارة على هذه الطريق فتنقلنا الى حيث نقصد، لأن السيارات على هذا الخط لا تنقطع. وافقت على هذا الرأي ونزلنا عند هذا المفرق وشاء الله ان ينقطع سيل السيارات المعهود.



الرفيق «أورخان ميسر».

داهنا الليل ونحن نذرع هذا المفرق ذهاباً وإياباً حتى انقطع الأمل من مرور سيارة فانكفأنا الى القرية «تفتناز» نأوي إليها. خطر ببالنا أن نبيت في مخفر الدرك مستغلين قرابة الرفيق شلبي لعمه الكومندان، قائد درك محافظة حلب. أما أنا فقد أصبحت تاجر زيتون من الكورة ادعى سليم موسى. قصدنا المخفر فوجدناه في مبنى داخل سور عال، له باب مصفح بالحديد مقفل من الداخل، طرفناه كثيراً حتى كُلت أيدينا، طرفناه بقوة ولكن دون جدوى، مما دعانا أن نبذل وجهة سيرنا فعدنا وبمنا وجهنا شطر مضافة القرية، مضافة الآغا، المفروض وجودها في قرية من هذا النوع.

استهدينا الى المكان ودخلنا إليه فوجدناه عامراً بالسَّمار. اتخذنا لنا مقعداً قرب المدخل. حدثنا جيراننا وتم التعارف بيننا. فؤاد شلبي من حلب وسليم موسى من لبنان، تاجر زيت. سرى الاسمان بين الحضور حتى وصلا الى قائد الحلقة الذي كان في تلك الليلة ابن الآغا، لا الآغا نفسه. لدى وصول اسمينا إليه دعانا وقرينا منه. سألنا بعض الأسئلة عن الزيت في لبنان وعندما انتهت السهرة، دعانا - لياقة - لقضاء الليلة عنده فقبلنا دعوته - طبعاً - شاكرين له اريحته.

مدَّ أحد الفلاحين فراشين على مصطبة المنزل ووضع فوقها لحافين وانصرف، فارقنا الآغا الفتى متمنياً لنا ليلة سعيدة ولم يعرض علينا أي طعام فبتنا ليلتنا على الطوى مع انه أشبعنا عروبة وضيافة عربية بالكلام عن الامجاد والتاريخ التليد ولم يقم بمزية واحدة من مزايا هذه العروبة المضيافة فأبقانا بلا أكل. ما كفانا الجوع بل هاجمنا جيش من الزحافات وجد فينا غايته المرجوة فعمل فينا لسعاً ومصاً مما جمد النعاس في جفوننا وأوقفنا على سلاحنا ندرأ عنا هذا الخطر المحقق بنا. يبدو أن المكان كان مهجوراً وليس لدى هذا الجيش زبائن كرام ترحب بها. ما صدقنا متى انبلج الفجر حتى انهزمنا دون وداع الآغا وشكره. انهزمنا، حامدين الله على سلامتتنا من المعركة غير المتكافئة التي نشبت في ذلك الليل الطويل!!!

وصلنا الى المفرق فالفينا دكاناً مفتوحة أبوابه غدوة. اشترينا ما نتبلغ به، كعكاً وراحة حلقوم. يا للتجربة المرة! كان الكعك من عمر القرون الغابرة فما استطاعت أسناننا إليه سبيلاً. انجبرنا ان نعمل على تحطيمه بوسائل غير وسائل الأسنان، اضطرنا إليها الجوع والجوع كافر. حطمنها ورطبناها بلعابنا والحقناها بالراحة التي ما كان فيها أية راحة بل كان قد أكل الدهر عليها وشرب أيضاً فما كانت تنبلع.

زاد الطين بلة، إقبال دورية مخفر الدرك فتطيرت من هذه السلسلة المتماسكة الحلقات، من البق الساهر المتحفز، الى الآغا الذي أشبعنا أمجاداً ونيمنا وبطوننا

خاوية، إلى هذا الدكان العتيق وكعك وراحة حلقوم من قبل الزمن التاريخي الجلي
والآن تأتي الدورية التي كانت مصانة بسور غليظ دونه السور الصيني وباب مقفل
غليظ، حماة الأمن يحميهم السور والقفل!!!

اقترحت على الرفيق شلبي ان نتمشى ونبتعد عنها رويداً رويداً تحفظاً واحتياطاً
فنتجنب الأسئلة والأجوبة. تبادلنا التحيات واتجهنا صوب إدلب. كان النهار مشمساً
دافئاً. سرنا وعين الله ترعانا. سرنا وسرنا وسرنا. كروم الزيتون حولنا وحوالينا.
ارتسمت صورة الكورة الخضراء في مخيلتي.

كنا نتحدث لتسلي فنقطع المسافة شيئاً فشيئاً على أمل أن تلحق بنا سيارة. كنا
نمشي ونحن نجر أقدامنا جراً، لا نوم، لا أكل. ما تحقق أملنا بالسيارة إلا عند
ضواحي إدلب. أدركتنا شاحنة زفت. سائق السيارة أرمني. الرفيق شلبي يجيد الأرمنية.
والدته أرمنية. تفاهما أرمنياً، جلسنا على المقعد بجانبه.

أوصلتنا هذه الشاحنة الى «محمل» حيث تقصد لتفرغ حمولتها. نزلنا وأخذنا
قسطاً من الراحة في المخفر حيث أكرمت وفادتنا وبخاصة عندما سرب الرفيق شلبي إلى
الدرك ان عمه هو الكومندان. استفدنا من هذا التسرب فقدموا لنا القهوة ووقفوا لنا
أول سيارة ركاب كانت متجهة الى جسر الشغور. شكرناهم وحمدناهم على قهوتهم
وعلى تأمين السيارة. لم يقبض منا السائق أجرة الركوب لأن الدرك كانوا قد أوصوا بنا
خيراً.

وصلنا الى الجسر ومنها تمشينا الى «ددخين» لنفاجيء الرفيق أورخان ميسر
بحضورنا عند الأصيل وهو عائد من كروم الزيتون. بقيت في ضيافته ثلاثة أيام، كان
يريدها أكثر، استجم فيها من وعثاء السفر- واية وعثاء!!- ومن عناء مغامرتنا التي
سردناها على مسامعه بكل تفاصيلها ودقائقها. ان أيام «ددخين» الثلاثة برفقة الرفيق
الأديب أورخان ميسر هي من أيام العمر التي لا تزول ولا تمحي ذكراها.

في محافظة اللاذقية:

وصلت بالطريقة نفسها التي استعملتها في زيارة حلب المذكورة، وصلت الى
جسر الابرش، في الطريق الى صافيتا. كان الوقت ليلاً وأنا بانتظار سيارة تقلني إليها.
مضى جزء من الليل وأنا مصلوب مكاني لا أبرحه، آملاً أن يفك الله انقطاعي بالتي
هي أحسن وإلا فما أمامي سوى المشي. لقد اعتدت المشي في هذه المنطقة. أخيراً،
أطلت سيارة شحن ووقفت عند مفرق الجسر. يبدو ان اتجاهها هو نحو صافيتا.

غامرت وتقدمت صوبها. فتحت باب مركز القيادة. صعدت الى الرفراف لاثمكن من التحدث الى السائق. القيت عليه السلام وسألته ان كان بإمكانه نقلي إلى صافيتا. ولكن لشد ما كانت دهشتي عندما وجدت ان السائق كان الرفيق فاضل لبس، المفصول إدارياً. ما تراجع بل شفعت سؤالي بسؤال آخر عن صحته. تجاوب معي ووضع نفسه وسيارته تحت تصرفي. عبر عن طيب معدنه وجودته.

صعدت الى السيارة وجلست جنبه. أقلع بالشاحنة وانطلقنا الى البلدة. في الطريق جرى هذا الحوار: «كيف وثقت بي وأنت المطلوب من السلطة الفرنسية وتدفع مالاً للقاء القبض عليك وأنا المفصول حزبياً منذ مدة غير وجيزة؟». كان جواي «إني أعرفك أولاً وأعرف اصابة نفسك ونبلها. اعرفك سورياً قومياً اجتماعياً قبل أي شيء آخر. هذه الروح العظيمة تملي علينا مواقفنا. أما الفصل الإداري فهو أمر عارض آني. هو امتحان لصلابة العقيدة في معتنقها وأنت منهم. وها انك الآن تؤدي خدمة تتفق مع هذه النظرة إليك». شكرني قائلاً: «إني أقوم بواجب بسيط».

ما كنت أجامله. كان هذا رأيي فيه وهو يعرفني صريحاً لذلك سره جواي. كان هذا اللقاء فاتحة مرحلة جديدة في حياته الحزبية كما تبرهن فيما بعد. أوصلني الى صافيتا، الى منزل الرفيق إبراهيم عيسى، الحلاق، والذي بدوره نقلني الى منزل آخر حيث قضيت مهمتي. بقيت يوماً واحداً في صافيتا. انتقلت الى بانياس ثم الى اللاذقية. نجحت جولتي نجاحاً باهراً.

الوثيقة الداحضة:

نحن أكيدون من وجود الزعيم في بوانس ايرس، الارجتين والدعاية الفرنسية تجعله مقبياً في برلين يخدم الدعاية النازية. لكن باعنا قصير في الدفاع عن حقيقة وجوده ومجال الدعاية المضادة فسيح رحب، والتحقيق الأولي تقريباً في حكم الانتهاء وهو يأخذ بعين الاعتبار الدعاية الكاذبة عن وجود الزعيم في المانيا، والمحامون يلحون بإثبات وجوده في الارجتين.

لا نعرف طريقة للاتصال به سوى طريقة «سورية الجديدة» في البرازيل فهل يمكن ائتمانها على طلب إثبات وجوده في بوانس ايرس بوثيقة رسمية تصدر عن السفارة الفرنسية هناك؟ لا بد من التجربة.

كلفنا بهيج فاخوري، شقيق رفيقنا أنيس الأسير بهذه المهمة فإرسل الطلب إلى جورج بندقي وقعدنا ننتظر على أحر من الجمر.

إن المراسلات الاخبارية الى الجريدة عن اعتقالاتنا وحوادثنا هامة ولكن وصولها وعدم وصولها لا يغير من الوضع الراهن شيئاً ولكن هذه الرسالة - الطلب، اهميتها انها تدحض أكبر تهمة في التحقيق وهي الوجود في بلاد العدو والعمل معه ضد الحليفة فرنسا.

كثرت التكهنات وكثرت التساؤلات ووصلت معنا الاستنتاجات الى حد انه يمكن للمكتب الثاني العسكري أن يضبط هذه الوثيقة في حال ورودها الى المحامي الذي أعطينا عنوانه، وذلك إمعانا في اضطهادنا.

لا يمكن لشخص ان يتصور مدى القلق الذي ظل ينتبانا طيلة تلك الفترة من الزمن التي انقضت بين الارسال وبين وصول الوثيقة المطلوبة التي وردت في الوقت المناسب.

الوثيقة كانت كناية عن شهادة من السفير الفرنسي في عاصمة الارجتين منحتها لطالبها الموسيو انطوان سعادة انه قدم الى الحاضرة بوانس ايرس في تاريخ ولم يبرحها حتى تاريخه.

انتصرت الحقيقة ولم تعرقلها أية مصادفة من مصادفات القدر. وصلت الى قاضي التحقيق الذي تلقاها بصدر رحب ووجدان صحيح وضمها الى الملف فأسقطت من يد الدعاية المزيفة أمضى سلاح شهرته ضدنا «العمل مع النازية ضد الحلفاء».

البيان المالي الرقمي:

طلب المحقق الفرنسي كشفاً حسابياً رسمياً بالأرقام عن مالية الحزب حسب الموارد والمصادر يثبت صحة ما ندعيه مالياً. وصلنا هذا الطلب عن طريق ضابط الارتباط فحررت البيان المالي المطلوب بصفتي عميداً للمالية فوقته بإمضائي الصريح وختمته بخاتم الحزب.

القسم الأول منه رقمي والقسم الثاني إيضاحي للقسم الأول. كتبت هذا البيان على ورق حزبي رسمي متوج باسم الحزب السوري القومي، عمدة المالية، وبالزوبعة الحمراء وحضرت بنفسي الى بيروت يرافقتي «برون» وسلمته يداً بيد لكلودا ثابت التي أوصلته الى قاضي التحقيق بواسطة وكيل شقيقها «متر فران» Maitre Ferrant الذي كان من المع المحامين الفرنسيين العاملين في مدينة بيروت.

وفاة والدي :

لست أدري لماذا انتابني كآبة مع اني كنت فرحاً لقيامي بمهمتي لدى قاضي التحقيق الفرنسي . كآبة خرساء بسبب شعور داخلي حزين كان يحث بي الخطى للعودة الى المنطقة بل الى ضيعتي بالذات . قلت لمرافقي «هيا بنا، يا برون، انتهت مهمتي وأحس انه يجب أن أكون اليوم في الضيعة، هيا نتدبر سيارة كيفما كان الأمر». تفرس برون في بل حلق بعينه وقال «سأسعى جهدي». ولم يعلق على رغبتى الملحاحة بشيء وانصرف .

عاد بعد وقت ليلغني ان الوقت قد تأخر وان السيارات غير موجودة . وإذا كانت احداها موجودة فسائقها لا يؤتمن، إلى آخره . حجة تلو حجة أقعدتنا عن السفر إلى اليوم التالي . وفي اليوم التالي دبر سيارة أمينة ستقلنا ولكن في اليوم الذي يليه . اذعنت للأمر المفعول وأنا على مضض بل وأنا على جمر الغضي .

وصلنا مساء إلى بيت «رشيد» فما استطعت أن أرى العميد اياس ولكني لم يغمض لي جفن . على كل حال انقضى الليل وعندما انبلج نور الصباح طلبت من الرفيق جورج رشيد عقدة رقبة سوداء وعند استفساره عن الداعي لها قلت له بكل بساطة «توفي والدي». واردفت قائلاً: «اذهب الى الضيعة لعلك تسمع شيئاً بهذا الخصوص».

اعطاني العقدة السوداء ودعاني اتحاور مع وساوسي . كان العميد اياس في كفرحاتا فحضر وحاول التخفيف من هواجسي ولكن عبثاً حاول . تيقنت من وفاة والدي شعورياً باطنياً . كيف؟ لا أدري .

عاد الرفيق جورج رشيد، عابس الوجه، متجهماً وأخبرني مداورة ان الشك أمسى حقيقة . خلاصة الخبر إن والدي توفي منذ ثلاثة أيام . حصلت «كبسة» من قبل رجال الأمن «والجثة في السهلة» مما أحدث اشمئزازاً ونفوراً بين الحاضرين . أليس للموت حرمة؟ كان ظنهم اني قد أحضر لوداع أبي عند ساعاته الأخيرة فأبقى في القرية أو في مكان قريب . كان معهم المفتش «الرفيق» ملحم غصن: الذي أعطى رأيه بعدم جدوى «الكبسة» لأن من غير المعقول أن أحضر وأنا مطلوب بكل هذه الشدة لكن رافقهم لثلا يفسر هذا الرأي بالتحيز فيشير الشكوك حوله . ومن جهة ثانية لعل وجوده ينفعني إذا وقع ما ليس في الحسبان وبعد فشل المداهمة وعودتهم بخفي حنين عاتبهم بشدة لأنهم لم يصغوا إليه وتعرضوا لنقمة أهالي الضيعة والحضور الغفير الذي جاء يشارك في الدفن .

هذا من جهة أما من جهة ثانية فك العميد اياس عقال صمته وأخبرني انه حضر قبل ذهابي الى بيروت بعدة ساعات بعض الرفقاء من مديرية بيترومين - ضيعتي ليصطحبني لوداع والدي الذي كان قد قضى نحبه. أنكر العميد اياس وجودي وأبلغهم اني ذهبت الى بيروت فليس بالامكان تحقيق هذه الرغبة وعاد الرفقاء من حيث أتوا. قال لي العميد اياس «خفت ان تتغلب عليك العاطفة فتليها وتحضر الماتم «وتعلق» فتصرفت بهذه الطريقة. لم أعلق على هذا التصرف لأن الذي كان قد جرى قد جرى.



جبران جريج

أكثر من هذا كان «برون» على اطلاع بالموضوع ولذلك عندما أبدت رغبتني بالعودة المستعجلة تفرس فيّ وحلق وأخذ يظن أنه قد أكون أنبت بالنعي من أحدهم. طبعاً ما لته. وصل الخبر الى الزعيم فكتب منوها بهذا الموقف في مقال له في جريدة «الزوبعة»، العدد 86، الصفحة 3، تاريخ 2 آب 1946: «الرفيق جبران جريج الذي فقد والده في ظروف الملاحقات والاعتقالات وكان متخفياً فلم يتمكن من حضور مآتم والده وتشيعه الى مقره الأخير» لأن دوائر الملاحقة دست في المآتم عيوناً وأرصداً لالقاء القبض عليه فبقي بعيداً يرضي روح أبيه بإتمام واجبه نحو أمته. هو أحد هذه القوى الحزبية المتحركة بنشاط. تسلم وكالة عمدة المالية مدة ثم العمدة وتقلب في وظائف متعددة ويسد الآن فراغاً في الأعمال المركزية».

نشاط الزعيم والحزب عبر الحدود

بعد قضاء شهر ونيف في توکومان، عاد الزعيم الى العاصمة بوانوس ايرس وقد اقيمت له مأدبة وداع حافلة تكلم فيها بالرغم من أن الأطباء كانوا قد نبهوه الى ان حالته الصحية تستدعي الهدوء والراحة وهو الآن تحت المعالجة الدقيقة. تكلم فيها رداً على أربعة خطباء بينهم سيدة. ليست لدينا معلومات تفصيلية عن هذه المأدبة. كل ما لدينا أن أحد الخطباء وهو من مواليد الأرجنتين، صرح بصوت عال: «أنا أرجنتيني، ولكن ذلك لا يمنعني ان أحبذ فكرة فيها الشرف والفضار لأبائي وأجدادي». «إننا ولدنا في هذه البلاد ولكننا نريد أن نبرهن اننا من عنصر يستحق المجد والعظمة وان سورية أعطت وتعطي مدينة وعلماً واختراعاً وهو ذا سعادة أكبر دليل على ذلك».

تصريح صحفي للزعيم:

كان للحديث الذي أدلى به الزعيم لمدوب «الجريدة السورية اللبنانية» والذي نشرته في عددها الصادر في أول كانون الأول وقع عظيم في أوساط الجالية السورية، خصوصاً تصريحه عن موقف الحزب السوري القومي وقوله: «إن كل ما يريده الحزب السوري القومي من الدولتين المتدبتين هو الاعتراف بحق سورية في الحياة واحترام حق السوريين في تقرير مصيرهم بأنفسهم. نحن لا نريد أكثر من هذا من فرنسا وبريطانيا العظمى. «وزاد الزعيم قائلاً: «اننا لن نتخلى عن قضيتنا القومية السامية، المقدسة مهما كانت الظروف والصعوبات... وان الأعمال الكبيرة التي قام بها الحزب السوري القومي تكذب جميع مختلقات الدعاوة الأجنبية أو المعادية للنهضة السورية القومية التي تنمو وتقوى يوماً بعد يوم». وقد اكتسب موقف الحزب السوري القومي المشرف تحييد جميع الذين يجنون نهضة امتهم.

نشوء فكرتين :

في هذه الأثناء أخذت فكرتان تشقان طرقهما للتداول. الأولى عقد مؤتمر قومي لفروع الحزب عبر الحدود للتداول في الوضع الراهن في الوطن والثانية إنشاء جمعية سورية ثقافية في الأرجنتين تهتم بالتراث السوري وتاريخه وثقافته.

يوم الاسكندرون في المكسيك :

احتفلت منغذية المكسيك بمناسبة 14 كانون الأول وهو اليوم الذي كرسه الزعيم ذكرى الحدود السورية الشمالية، بمناسبة سلخ الاسكندرون عن الوطن الأم.

محاضرة الزعيم :

وبعد وصول الزعيم إلى بوانوس ايرس توافد للسلام عليه العديد من الهيئات والمؤسسات والأفراد فاضطر إلى قضاء عدد من الأيام في رد الزيارات لها ولكن بعض الأوساط التي لها شأنها الاجتماعي ما كانت لتكتفي بما تسمعه منه من أحاديث في هذه الزيارات المتبادلة ولذلك قامت تسعى لديه بإلقاء محاضرة وتعيين موعدها. تم ذلك في نادي «شرف ووطن» وحدد 23 كانون الأول موعداً لإلقاء المحاضرة وجعل موضوعها «تأثير السوريين على أميركا».

وعن «سورية الجديدة»، العدد 45 تاريخ 30 كانون الأول، أنقل ما دونه مراسلها عن هذه المحاضرة، بعد مقدمة مسهبة عن شخصية الزعيم وعدد الحضور الضخم: - «اعترف الزعيم بالتأثير الجزئي ولا سيما المادي الفردي الذي كان للسوريين في المهجر وأشار الى التأثير الذي لا يزال يعوزهم إيجادهم كأفراد وكمجموع معاً في المحيط الذي يعيشون فيه. تكلم عن عدد من الفنون على أنواعها: الرسم، الموسيقى، الغناء، المسرح، الخ... محلاً وضارباً أمثالاً ومعطياً استنتاجات. تكلم عن فقر حياتنا الاجتماعية وعن فقد مميزات قومية لنا فيها. تكلم عن عدم تجانس الحياة الاجتماعية بين سوريين مغتربين في بلاد وسوريين مغتربين في غيرها».

«من أقوال الزعيم إن أبرز وأثبت تأثير للسوريين في أميركا انهم أعطوها مادة بشرية صحيحة، في دورها الخامي» وفسر ما يعنيه بالنسل السوري، الصحيح البنية، القوي الأعصاب والعضلات، مواليد هذه البلاد من آباء سوريين. وبعد ان ذكر ما يقال عن أن السوري جلود على تجشم المشاق والأسفار وحمل الأحمال والتنقل في التجارة من أقاصي الجهات الى أقاصيها ونقله ما بينها سبباً تجارياً من أسباب العمران عاد

فلفت الخواطر الى انه لا يجب ولا يجوز لنا أن نتبجح كثيراً بما فعلنا حتى اليوم ولا يحق لنا الشموخ والمفاخرة نظراً لما لا يزال يجب علينا فعله .

«وقد انصف الزعيم مهاجرينا الأوائل مفسراً تقصيرهم بنسبته الى المستوى الثقافي غير الأصيل الذي كانوا فيه أيام الهجرة الأولى بعد خروجهم من بلاد محكومة بضعف الثقافة والارهاق والفقر . وبهذا علل انصراف السوريين ولا سيما في البدء إلى انشغال كل منهم بنفسه دون ان يبالي بالآخر حاصراً همهم في تلافي فقره وجمعه شيئاً من المال ليصلح حاله ويعود . وبهذا ضعفت أسباب العيش الإليني والاجتماعي وخلت الحياة السورية من بواعث الاندغام القومي . كان العمل فردياً وراء المادة وكانت المادة أساس العمل إلى أن تسنى لهم ان يتدرجوا شيئاً فشيئاً إلى العمل على أساس المجموع الذي جذبته إليه اتساع أعمالهم وهذا أدى إلى التعارف والتعامل . وعرف محصولو المادة ان يوجدوا أشياء غير المادة فبدأت الصلات الاجتماعية في المهجر ولما تبلغ المستوى المرغوب لها» .

«ومن أقوال الزعيم في محاضراته: «نخدع أنفسنا . لنعرف ما نحن وكيف نحن بالنسبة إلى المحيط» .

«ونكلم عن خطورة السوريين الصناعية في المهاجر فصور قدرها كما هو . ومثل بحوادث واقعية عن الأسباب التي كانت تعيق تقدمهم فيها أكثر مما هي الآن . وأورد سيرة دود القز وتربيته على ورق الخروع في البرازيل واخفاق العائلة السورية التي ولدت هذه الفكرة وأثبتتها إلى أن صارت الفكرة إلى المصير الذي كان يرجى أفضل منه . وقال: «كان بوسعنا بلوغ أوج أعلى في أميركا ولكن الصعوبة في المستوى الثقافي وفي أفكارنا الخصوصية» . وان حياتنا الاجتماعية لا تزال أشبه بلقاء طائفي ومن هذا لا يمكن أن تصدر منا فاعلية اجتماعية تؤثر في المحيط» وأحاديثنا في حفلاتنا واجتماعاتنا العائلية تتحول الى أحاديث تجارة وما أشبه» .

«وبعد أن أفاض كثيراً في النقد والارشاد والمقابلة بين حياتنا والحياة التي يجب أن تكون لنا لنضارع غيرنا من جهة ونتميز عنه بصفقتنا القومية من جهة أخرى ، تطرق الى النهضة السورية القومية وحركة الحزب السوري القومي ومراميه الاصلاحية للمجتمع والمتحد السوري والعالمي مشيراً إلى فلسفته الخاصة الموصلة دون سواها إلى المدنية الصحيحة والعمران والسلم والعدل . ومن أقواله: «إن الحزب السوري القومي ليس حزباً سياسياً دون صفة ثانية بل هو أكثر من ذلك قليلاً، هو حركة الشعب السوري

الدافعة به ليحتل مركزه في العالم، هو رسالة الشعب السوري الى سورية أولاً وإلى العالم أجمع رسالة الحرية والوحدة والواجب والنظام، هو غير الحركات الجديدة التي نشأت على أثر الحرب العظمى. ليست حركة تقليد، بل مجموع جوهر كل الحركات الصالحة للحياة لمادة وروحاً».

وتكلم عما يسمونه القضية اللبنانية فأوضح نشأتها ثم نشأة «دولة لبنان» وعدم ابرائها علة تلك القضية وصلاحيّة تعاليم الحزب لكل ذلك. وتكلم عن «دعوة العروبة» ففندها تفندياً شافياً مقنعاً وأثبت عدم إمكانيتها فوراً واعتباطاً، وأرشد الى الطريقة المثلى المبتغاة على قيام كل أمة بنفسها ثم التفاهم والتناصر على ما به مصلحة المجموع دون أن يجوز لأمة أن تفكر في تقرير مصير أمة أخرى. وان العبرة ليست في التضخم بل في سلامة البناء وتوفير ما يضمنه».

تكلم حضرة الزعيم مطولاً عن الفن السوري ووجوب تمثيل الحياة السورية من خلاله. وبعد أن حلل أسباب تقصيرنا فيه وأرشد الى ضرورة مزاولته وتنشيطه وابرار النفسية السورية به ذكر للحضور رجلين سوريين برعا فيه وأصبحا من الفنانين اللامعين، هما عمر الانسي ومصطفى فروخ. واستغرب خلو تصور السوريين في المهجر وخلو النادي الذي كان يشغل منبره من أثر ممتلك الرسوم وأمثالها في حين أن على جدرانها رسوماً لا تفوقها قدراً، لا من الوجهة الفنية ولا من الوجهة المعنوية القومية وتمني ان ينتبه السوريون الى هذه النقطة الهامة في حياتهم».

«وعطف حضرة الزعيم على المصارف السورية وما قاله ان البنك السوري الذي ينشأ في المهجر يجب ان لا يكون مقتصرأ فيه على جعله مؤسسة تجارية لمجرد أكتار مال صاحبه أو أموال المساهمين فيه. أما النسبة الاسمية فيجب ان تحدم غاية المجموع صاحب الاسم بخدمة مصالح الأفراد الذين يتألف منهم...»

«من واجب أي بنك كان، ان يحرص على ماله ولكن هذا الحرص الضروري لا يضيق عن نظرة تتجمل وتضان بها سمعة القوم الذي ينتسب إليه والذي يتألف رأسماله منه ويستزيد ارباحه من التعامل معه. والارباح التي تستدر في أيام الرخاء يجب ان تلبس شيئاً من المروعة أيام الشدة...».

نشاط السيدات:

كث نشاط سيدات المجتمع السوري في الارجتين لحمل الفكرة الجديدة التي يبشر

بها الزعيم فبعد الاجتماع الأول الذي دعت إليه السيدة مريانا دعبول فاخوري توات الاجتماعات بينهم نذكر منهم على سبيل المثال: نجبية نصر الله عبود، عفيفة صالحة مداح، مريانا صوايا الخوري، اميليا يونس، كاتالينا المير مسوح ونظيرة مطر نصر كما ان نشاطا مماثلاً بدأ يظهر الى الوجود في توکومان.

أما في البرازيل:

ما يكاد الزعيم يستقر في بوانس ايرس بعد عودته من توکومان حتى عاد يلاحق ويتابع العمل الحزبي في البرازيل ففي العاشر من شهر كانون الأول يوجه رسالة رسمية الى هيئة اللجنة المفوضة المركزية أهم ما ورد فيها: «كان أكثر اهتمامي في المدة الماضية بتنظيم شؤون «سورية الجديدة» ورغم عدم انتهائها تماماً أوجه شيئاً من الاهتمام لمخاطبة اللجنة المفوضة كي الفت نظرها إلى وجوب الاستفادة من الظروف الحاضرة لاكتشاف عناصر جديدة ضرورية للحزب، فأكرر عليها ما قلت سابقاً عن وجوب نسيان كل ذاتية في سبيل توحيد العناصر الصالحة للعمل في الحزب. وأطلب ان تجربني ما هي الأعمال التي قامت بها من الوجهتين الادارية والاذاعية: «هل جرت مراسلات مع أشخاص في داخلية البلاد وفي أماكن بعيدة؟ هل حدثت حركة انضمام في مدن أخرى أم لا؟ ما هو نوع الوسائل المستخدمة من قبل اللجنة لايجاد مراكز في الداخلية؟ ما هي النقط الأساسية التي يتضمنها برنامج عمل اللجنة؟ ماذا تحقق منها وماذا لا يزال تحت التحقيق؟».

أما على صعيد «سورية الجديدة» فيتبين من المراسلات المنشورة في «الرسائل» الجزء الأول - ان وضعها الانشائي قد تحسن كثيراً وقد بدأ الزعيم يفكر بانه يستحسن اعلان إصدار عدد خاص بمناسبة عيد أول مارس الذي بدأت الاستعدادات تبذل له على كل صعيد.

بدء مشكلة رشيد سليم الخوري:

في 3 كانون الثاني 1940 يرد الى الزعيم خبر من الرفيق وليم بحليس مفاده ان السيد رشيد سليم الخوري يتصدى لمحاربة الحزب السوري القومي بطريقة الدس الذليل في الخفاء ويعلق الزعيم على الخبر «اسفت لضلال السيد رشيد سليم الخوري وتعسفه ولكن لا بأس فليس هو أول «الأدباء الكبار» المتصددين لمحاربة النهضة القومية

بطريقة الدس. ولن تكون آخرة حملته أفضل من آخرة غيرها من حملات الجبناء الذين كل قوتهم في أقوالهم الذاهبة في الريح».

كيفية تنظيم الأصدقاء:

كان الزعيم قد اقترح على وديع عبد المسيح إجراء تنظيم للأصدقاء الذين يودون المشاركة في تحمل أعباء الصراع والآن أورد هذه الفقرة عن كيفية هذا التنظيم بمناسبة إرسال تبرع الصديق الياس عاصي بهذا الصدد. «إني أقدر نبل قصد الصديق عاصي فبلغه تقديري وشعوري بموقفه. اني أوافق على فكرة تنظيم ذلك بواسطة اللجنة المركزية وان لا يحشر في عداد المحبذين من يجب ان يكونوا من العاملين المندمجين فيمكنكم ان تنظموا قائمة بالأسماء التي يصير ترشيحها للاشتراك ثم يصير الدرس والتعليق على كل اسم وما هي النتيجة التي ينتظر الوصول اليها معه». (رسالة الزعيم الى وديع عبد المسيح تاريخ 23 كانون الثاني 1940).

ثم يطلب منه ان يشترك مع مجلس جريدة «سورية الجديدة» في وضع البيان المالي للجريدة. كان يجري هذا بعد ان اطمأن نسبياً على سير الجريدة من جهة التحرير بفضل الاتصالات المكثفة مع الرفيق جورج بندقي. كان يتابع هذا الموضوع وسواه ان في البرازيل أو في الأرجنتين بالرغم من حالته الصحية التي لم تعد الى سابق عهدها وان بعد فترة الاستجمام في ريو أونودو في توكومان التي ساهمت كثيراً في التقدم الصحي الملحوظ.

مديرية توكومان:

في أثناء وجوده في توكومان نشأت مديرية جديدة هي أول مديرية في الأرجنتين وأخرى كانت على وشك الإنشاء من السيدات. ولكن حادثة عهدها في العمل الحزبي سببت للزعيم مشكلة نظامية دستورية عاجلها بمراسلة مع المدير الرفيق كامل عواد واني أنقل بعض توجيهاته الثمينة اليه التي وردت في مناسبة الاحتفال الذي حدث بين الزعيم والمؤسسة المصرفية التي يدير شؤونها موسى عزيزه وملك السيطرة عليها ويبنى على أساسها نفوذه ووجهته (تاريخ الرسالة 3 شباط 1940).

«استغربت وضعك هذه «الملاحظات» بهذا الشكل الجازم الذي لا يدل على انك تشعر وتأخذ بعين الاعتبار إن الزعيم لا بد أن يكون عارفاً بهذه الأمور ومقدراً هذه

الاعتبارات وان نظره في هذه المسائل، كما في غيرها، بعيد وان نوع الأسباب التي يبي عليها تدابيرها تختلف كل الاختلاف عن نوع الأسباب التي يبي عليها كثيرون اراءهم . ويجب ان لا يغرب عن البال ان الزعيم نجح كل النجاح في جميع الخطط والأعمال التي حكم عليها غيره بالفشل». «وكم من الحركات الفاضلة في لعبة الشطرنج سببت في البدء استغراب الكثير من المراقبين الذين يعرفون اللعبة وأدهشتهم فعدوها غلطاً فاحشاً أو خسارة وقت أو دليلاً على عدم إدراك حقيقة الموقف وعوامل القضية إدراكاً جلياً فلا يمضي وقت على سياق التطور حتى يظهر جلياً ان هذه الحركة أو الحركات هي التي أنقذت الموقف وحلت القضية أو ساعدت على حلها وكانت أهم الحركات التي أوجبت ربح الدق».

«إن كل انتقاد يحتمل ان يوجهه إلينا الخصوم بسبب ذكر انسحاب راغب كيتلون وانسحاب بعض أعضاء مجلس توكومان يمكن تعطيله حال اطلاعنا على نوعه وشكله . واما قولك «وعلينا تجنب ذلك» فلا أدري إذا كنت تقصد به علينا كلنا أو عليكم انتم في توكومان تجنب الانتقادات. فإذا كان الأول فيمكن حسابه في غير محله ولا يمكن اعتباره إلا من حيث هو تقديم رأي شخصي، مع اغفال وجهة الالزام الذي يوجهه شكل العبارة. وإذا كان الثاني فهو تقدير سريع يحسن إعادة النظر فيه. وقد يكون الأفضل ان تدرسوا الوضعية، بناء على الواقع، في جلسة هيئة المديرية وترسلوا إلى بياناً بنوع التأثيرات التي أحدثها نشر تلك الاخبار وتفصيلها وحقيقة الانتقادات الموجهة بناء على نشر الاخبار، مع التقديرات للفوائد والاضرار التي يمكن ان تحدث ضمن نطاق منطقة المديرية ليتسنى لي النظر في أشياء حقيقية واقعية واعطاؤكم التوجيهات التي تمكنكم من التغلب على كل صعوبة وتلافي كل نتيجة غير مستحسنة. كل المعارك تشتمل على مبدأ التعرض للأخطار. والنصر لا يكون بتجنب الأخطار، بل بغلبتها».

«عزيزه: لا نكران في أنه، مع كل دهائه وجميع نياته ومناوراته، تمكنت من استخدامه لمصلحة القضية في حين كان يرمي هو إلى استخدامي لمصلحته الخصوصية. وكن على ثقة من اني لا أنبذه إلا ساعة أجد أن مصلحة القضية تقضي بذلك».

«وفي الأخير أقول أن اعتقاد القوميين الراسخ بأن الزعيم يفعل دائماً ما تقضي مصلحة القضية وبان تأييد موقف الزعيم وتنفيذ جميع تدابيرها، مصلحة القضية هو مبدأ أساسي من مبادئ الجهاد القومي». «وهناك شيء آخر أساسي فيك، هو نوع تفكيرك العملي الممتاز. فلا تعتقد اني استأت من «ملاحظتك» كلا، بل اني قد سررت بها من

هذه الناحية وانما رأيت الاجابة عليها كما يليق بالزعيم ولكي لا تكتسب مسائلنا النظامية صفة شخصية».

أما بعض المخالفات التي اعتبرت «مسائل طفيفة» فأجاب الزعيم: «قد تكون طفيفة في حد ذاتها ولكنها بالنسبة إلى النظام لا تكون كذلك. فليس تجاه النظام مسائل طفيفة ومسائل غير طفيفة. وهذه المناسبة أجيبك على رأيك في تقديم استقالتك انه لا وجه لهذه الخطوة والصواب هو رفع تقرير بما حدث ليصير وضع كل شيء في محله، خصوصاً في هذا المبدأ التأسيسي والقاعدة التي أسير عليها وأطلب من جميع المسؤولين التقيد بها هي: «عدم الاستهتار بشيء من هذه «المسائل الطفيفة»».

النشاط الحزبي في الوطن

في تاريخ 8 كانون الأول 1939 أذاع مركز الحزب باسم عمدة الاذاعة بلاغاً صحفياً يحتوي على أهم الممارسات الحزبية اقتطف منه أهم ما ورد فيه. «إن عمدة الاذاعة في الحزب السوري القومي تذيع عليكم ما يلي: في 31 آب 1939 وضعت السلطات الانتدابية مؤسسة الحزب السوري القومي في صفوف الاعداء على الرغم منه واعتقلت خمسة وثلاثين من الأركان وغير الأركان في سجن القلعة العسكري. وهؤلاء المعتقلون من مختلف البلاد السورية، فيبينهم من يمثل بيروت وكسروان وطرابلس والكورة والمتن والبقاع في لبنان كما بينهم من اعتقل من دمشق وحلب وطرطوس وحمص وسواها من الساحل والداخل. ولم تلبث السلطات ان خفتت من قيودها وأخلت سبيل البعض منهم والفضل في الوصول الى هذا الموقف يعود إلى عدة عوامل منها:

أولاً: عدم وجود ما يدين القوميين أو يعرضهم للمحاكمة.

ثانياً: صمود أركان الحزب وصراحتهم في التحقيق وإصرار الأركان على تحمل المسؤولية إذا كان هناك من مسؤولية على الحزب.

ثالثاً: بيان حضرة عميد المالية الذي أذيع بتاريخ 4 تشرين الثاني الماضي وبيان حضرة الناموس الأعلى الذي أذيع في الثامن من الشهر نفسه وفيهما القضاء المبرم على تخروصات الصحف المفرضة وتكهنات بعض الصحفيين الخونة.

رابعاً: وصول وثيقة من بوانس ايرس - الارجننتين - موقعه من حضرة قبصل فرنسا فيها، تثبت وجود حضرة الزعيم في العاصمة المذكورة منذ ستة أشهر وعدم خروجه منها طوال المدة المذكورة.

إن في هذه الوقائع دليلاً كافياً لأخراس ألسن الثرثارين من الصحفيين المارقين

ولصنع الدساسين الاذلاء من الناس. إن الحزب السوري القومي الذي أخذ على عاتقه تطهير البلاد ممن يضحون بمصالحه العظمى في سبيل أنانياتهم الحقيرة. إن هذه المؤسسة التي ما فتئت تنمو في ظل الضغط والارهاب منذ خمس سنوات ستستمر في نموها تحت كل الظروف وسيظل زعيمها المفسد وأركانها الميامين متحملين مسؤولية ما يقومون به من أعمال مهما كانت النتائج الى أن يحققوا مثل الأمة العليا».

وقد أشارت الصحف الآتية إلى بلاغ عميد المالية وبيان الناموس الأعلى في حينه أو نشرت أقساماً منها: بيروت، البيرق، البشير، الأوربان لاجور.

كتاب مفتوح:

كانت السيدة الفيرة لطوف أصدرت جريدة «المستقبل» في طرابلس وكان الحزب يشجعها على ذلك ضمن برنامج تشجيع العمل النسائي ولكن بعد أن أعلنت الحرب تبدل الموقف مما اضطر الرفيق جبران جريج لمعرفة الوثيقة بها وبنشاطها على إرسال كتاب مفتوح لها نشر على صفحات جريدة «الرقيب» الطرابلسية بتاريخ 24 كانون الأول 1939 وهذا نصه:

«أيتها السيدة! الفصل الأخير من رواية «تقلبات» التي تقومين بتمثيل دور البطل فيها اثارت إعجابي حقاً. فمن المذهب الماروني إلى البروتستنتي ومن محاصمة المطران انطون عبد الى صداقة الواعظ ومن شرف تجيذ المبادئ السورية القومية الى انحطاط الخيانة ومن توزيع رد الزعيم على خطاب غبطة البطريك إلى تسليم بيان عميد المالية في الحزب السوري القومي إلى إدارة الأمن العام.

إن هذا الفصل الأخير هو الذي أعجبني يا سيدتي، فهل تعلمين ان تسليمك بياناً ورد عليك بصفتك صحفية للأمن العام يسمى بلغة القانون خيانة للمهنة. وانه لا يجوز لك ان تستلمي هذا الشرف لتخدمي دوائر الأمن العام التي لم تكن بحاجة إلى هذه الخدمة المسكينة، إذ أن نسخاً من هذا البيان أرسلت الى أركان المفوضية والحكومة اللبنانية. انك ما اكتفيت بتسليم هذا البيان بل رحمت تحرفين الحقائق التي وردت فيه ورحمت تتبجحين بهذا التزوير أمام الناس كأن الافتراء لديك أمر حلال.

انني لاشكر الظروف التي كشفت لنا عن هذه الناحية فيك. فهنيئاً للصحفيين بزميلتهم وهنيئاً للصحافة بجريدتك. وهنيئاً لك بهذا الأكليل يتوج به رأسك.

سيدتي، صاحبة جريدة المستقبل!

إن من يعمل للمبادئ السورية القومية في سبيل وحدة بلاده واستقلال وطنه لا

يحفل بالاضطهادات والملاحقات ولا هو يخشى ان تفضح بياناته فهي للنشر كما اني اطمئنك بأني أعرف ما سيكون ردك على هذا الكتاب المفتوح وأعدك انه حين انتهاء هذه الظروف سألتخذ التدابير القانونية التي تمكنني من محاسبتك بصفتك صحفية. وأخيراً هنيئاً لدائرة الأمن العام بعميلتها الجديدة وهنيئاً للعميلة الجديدة بوظيفتها الجديدة.

مدير جريدة النهضة سابقاً: جبران جريج طرابلس في 14 كانون الأول 1939

الرفيق - عملاً بحرية النشر أثبتنا هذه الرسالة التي وردت علينا من الأديب صاحب التوقيع ولا غرض لنا من نشرها ولا منفعة ولكي لا نكون ملامين من صاحبة المستقبل نصارحها بأننا مستعدون لنشر جوابها في نفس المكان.

كتاب تقدير:

كان المواطن جرجس سليم من كفرحاتا، القويطع من الذين استقبلوا الزعيم عند زيارته المنطقة سنة 1937 والقي كلمة رحب بها بمقدمة باسم الأهالي وها هو اليوم بمناسبة حملة «التمشيط» العسكرية يقدم خدمة جليلة استحق رسالة تقدير من مركز الحزب وهذا نصها: «حضرة السيد جرجس سليم المحترم - كفرحاتا.

تحية واحترام، بناء على إفادة حضرة وكيل منفذ القويطع السيد ميشال الخوري فاني باسم مركز الحزب السوري القومي اشكر اريحيتمكم وتنبهكم وأقدر الخدمة الكبيرة التي قمتم بها تجاه المؤسسة القومية.

إن خدمتكم هذه ليست موجهة إلى أشخاص، منفردين أو مجتمعين بل الى الأمة السورية جمعاء، وإن الأمة لتذكر خادميها بإخلاص.

اقبلوا احترامي وتقديري

ولتحية سورية وليحي سعاده عميد الداخلية بالوكالة:

مأمون اياس عن المركز،

في 25 كانون الأول 1939.

النشرة الاذاعية:

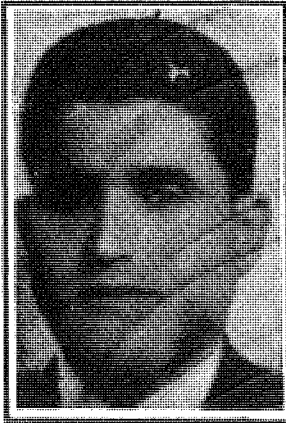
وقد رأينا بالنسبة للعمل الحزبي الداخلي ان نصدر عن مركز الحزب نشرة إذاعية تتضمن لمحة ولو وجيزة عما قمنا به فصدرت هذه النشرة في 30 كانون الأول 1939 وهي تحوي الاذاعة المالية وبيان ناموس المجلس الأعلى والبيان الإذاعي الصحفي. وقد ارفقناها بصادرة خاصة موجهة إلى المسؤولين الاداريين في الوطن وعبر الحدود. وزعت

بشكل مدهش بالرغم من الصعوبات الأمنية من جهة ولصعوبة الاتصال من جهة أخرى وقد استطعنا ان نرسل نسخاً منها إلى جريدة سورية الجديدة التي نشرتها تباعاً في إعدادها وان بتاريخ متأخر.

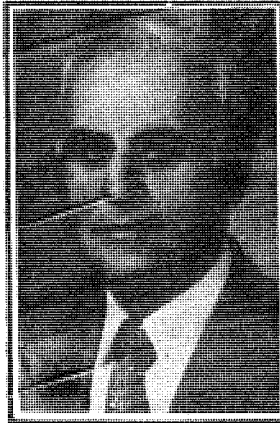
منفذية الكورة:

بعد الانتهاء من هذه الأعمال المركزية والزيارات التفقدية القريبة منها أو البعيدة، أعدنا النظر في وضع القويطع والكورة. خصوصاً الكورة التي كان منفذها العام جورج إبراهيم عبد الله يتعرض للضغوطات والتهديدات بشأن مدرسته وامكان اقفالها وزاد الطين بلة موقف أحد النظار الذي قدم انسحابه الى القائمقام. فتجاه هذا الوضع تم القرار بحل منفذية الكورة ومنفذية القويطع.

وجعلها منفذية واحدة باسم منفذية الكورة وتعينت هيئة جديدة لها: الرفيق ميشال خوري منفذاً عاماً بالوكالة، الرفيق أديب بربر ناموساً، الرفيق جرجي الشويري ناظراً للمالية والرفيق جرجي نقولا أبي اسبر ناظراً للإذاعة. ثم بعد فترة استقلال ناظر المالية فتعين الرفيق نقولا فرح ناظراً للمالية بدلاً عنه. تم ذلك في 16 كانون الثاني 1940.



نقولا فرح



اديب بربر



هولاندا بربر صعب

وشاية فحيس:

كدنا نقع في أيدي السلطة صدفه وذلك عند حضور دورية من درك أميون لتنفيذ مذكرات جلب بحق كل من الرفقاء جورج الياس صعب، فؤاد نخول بربر وديب حنا تامر. داهمت بيوتهم باكراً وساقتهم إلى أميون - مركز قضاء الكورة، لاستجلاء بعض الأمور.

كنا على قاب قوسين أو أدنى من المكان الذي جرت فيه الاعتقالات ولكن فضيلة الكتمان مع التصرف الطبيعي تجاه الخطر المحقق أنقذنا من هذا العارض الخطر. تبين بعد التدقيق ان وشاية وردت من أحد المواطنين من «كفتون»، وهو ذو سمعة سيئة في المنطقة، إن هؤلاء الرفقاء يعقدون الاجتماعات الحزبية بلا وجل ولا خوف مما حمل السلطة المحلية على استدعائهم للتحقيق بهذا الأمر الخطير.

بعد الاستجواب الفوري أمرت السلطة المحلية بتوقيفهم. لا ننسى ان الزمن زمن حرب والمسألة تتعلق بالحزب السوري القومي الاجتماعي. على كل حال قضوا ليلتين في حبس أميون ثم أخلي سبيلهم مع الاعتذار ان التوقيف كان بناء على أوامر عليا وذلك لسلامة التحقيق.

سبب الوشاية كان شجاراً حصل بين الواشي والرفيق ديب تامر في كفتون أدى الى صفعه فتطورت الحكاية الى تلفيق هذه الوشاية ثأراً وانتقاماً. لم يكن صاحب الوشاية عالماً بوجودنا وإلا لكان كبير الحجر وابتهلها فرصة لا تفوت للايقاع بنا. انحسرت هذه الموجة بسلام وعاد إلينا رفاقنا سالمين. هذه كانت الحادثة الوحيدة التي عكرت علينا صفاء الأيام التي كنا نقضيها في رحاب دولتنا السورية القومية الاجتماعية.

النشاط النسائي:

من جملة أعمالنا الحزبية عمل تناول النشاط النسائي في المنطقة إذ أن فيها عدداً لا بأس به من الرفيقات، جلهن من حملة الشهادات العليا. فأنشأ العميد اياس منهن فرعاً نسائياً أخذ يعقد اجتماعاته في كفرحاتا أنا وفي بتعبورة آنأ أخرى. تألف هذا الفرع من الرفيقات: هولاندا بربر صعب، زوجة المدير جورج الياس صعب، ماري بشارة جبور، شقيقة برون وزوجة الرفيق جورج جبور، عفيفة نحوري وشقيقتها جلنار، وكتوريا جبور ولولو صعب نصار. قام هذا الفرع بأعمال اجتماعية جلي.

الاتصال بالرفيق أسد الأشقر:

مررنا بنا أن الرفيق أسد الأشقر كان قد وصل الى الوطن في الأسبوع الذي أعلنت فيه الحرب وقد جرت عدة محاولات للاتصال بشكل غير مباشر لم نوافق عليها لخطورة الوضع العام. أما الآن بعد أن تركزنا في «القويطع» قررنا وجوب الاتصال به. توليت المهمة بنفسني.

قدمت إلى «ديك المحدي»، قريته. استقبلتني الرفيقة رؤوفة، زوجته وقامت بواجب الضيافة كأي شخص غريب مع أي أسررت لها عن حقيقة هويتي فما ركنت إلي

إلا بعد محاورة طويلة عريضة، شيقة، فيها مد وجزر وجاذبية كانت تضي على المقام جواً من الرومنسية التمثيلية برعنا في دورينا بمهارة واتقان.

ما تدمرت من هذا الوضع الشاذ فالزمن زمن حرب والسلطة تلاحقنا وقد وضعت لرؤوسنا ثمناً باهظاً والوهم متسلط على عقول الناس من حيث قدرة هذه السلطة «اللامتناهية» على مراقبة وإحصاء كل حركة يأتيها أي من المواطنين. ما تدمرت «وخصوصاً انه قادم من المغرب وليس له أي إطلاع على الأوضاع المحلية. ما تدمرت، مع ان المسألة أخذت وقتاً ليس بقصير. عند انتهاء هذه المقدمات المسرحية أقبل الرفيق أسد الأشقر ودخل المعمة بثياب الميدان. قام من جهته بمناورات أخرى من نوع آخر. أهمها ابقائي ضيفاً ليلياً عليه. بعد أسئلة وأجوبة ما أنزل الله بها من سلطان وبعد أن سقاني من «أكسير الحياة»، من عنقود بنت العنب. ما لذ وطاب، بالحاح للاستزاده، بعد كل هذا اجتزت هذه التجربة بأمان.

كنا وحيدين، وجهاً لوجه، تبين لي قصده من إكرامي في احتساء العرق، كان يقصد ان يكتشف ما وراثي من أسرار ان كانت لدي أسرار، وذلك بعد ان يتعني السكر فافشي بها. أخيراً، حزت ثقته الغالية وأخذت المياه تتدفق في مجاريها الطبيعية. أطلعت على وضعنا السياسي والحزبي وعلى مراحل التحقيق وعلى كيفية عملنا السري. منذ تلك الزيارة، تحولت «ديك المحدي» وعزال الرفيق أسد إلى محطة راحة واستجمام في حال ذهابنا الى بيروت من مقرنا في القويطع أو في حال إيابنا منها، والسائق قزحياً تحت تصرفنا وسيارته.

أما العزال فنقضي فيه فترات تأمل وبحث ومناقشة للأوضاع ونخطط للمستقبل القريب. ما كان مسموحاً بالاتصال بنا في هذا المنتجع المنعزل إلا لابن شقيقته، الفتى اليافع منصور عازار. أوتمن وحده على سر وجودنا في المنطقة. لا أنسى طلعتة وهو يحمل الزوادة، مهرولاً نحو العزال والنور يشرق بهجة من محياه.

سير التحقيق:

كان اسم الرفيق فارس معلولي التنكري «محفوظ» وقد أتانا من محفوظ ملخص عن سير التحقيق وبعض التعليمات الواجب اتباعها في حال الوقوع في الأسر. اما الملخص المكثف عن سير التحقيق فيفيد أن قاضي التحقيق الكومندان ويتو Vitu رفع تقريراً سرياً مطولاً إلى القيادة العسكرية يتضمن أولاً بياناً مشفوعاً بالوثائق ومدعوماً بوقائع دقيقة مدروسة لا تقبل الدحض بأن الزعيم ليس في المانيا وانه ليس للحزب أية علاقة بأية دولة أجنبية خصوصاً بدولتي المحور وبالتالي يقترح تبرئتنا من هذه التهمة وثانياً ان المصلحة المشتركة تقضي بالتعاون من أجل استقلال البلاد وحريتها لا

بالتطاحن والاعتقالات والنزاعات لأن الحزب السوري القومي يمثل حضارة القرن العشرين.

كان متفائلاً بالنتيجة لأن القسم المدني في المفوضية مع فريق من العسكريين بات مقتنعاً بوجهة نظره وقد رفعت هذه المسألة إلى السلطة المركزية في فرنسا. سرت عدوى تفاؤله إلينا أيضاً وبتنا نترقب المستقبل والأمل يدغدغ خيالنا.

هذا من جهة ومن جهة أخرى وصلتنا من السجن التعليمات الآتية: يجب ان نختفي تماماً وان لا يظهر لنا أي أثر لأنه في اعتقالنا يتجدد التحقيق فيتأخر خروج المسجونين. لذا فمصلحة الحزب تفرض عدم الوقوع في الأسر. اما إذا اعتقل أحدنا فعلينا ان نتقيد بالافادات الآتية: أ) ليس هناك مجلس أعلى. ب) يوجد مجلس عمد يتلقى الأوامر رأساً من الزعيم، كل عميد بمفرده. ج) مسؤولية جبران منفذ بيروت العام وعميد مالية. د) مسؤولية مأمون عميد دفاع. هـ) إن اقتراح وكيل عميد الدفاع بانشاء فرق عسكرية قد رفض لأنه قدم إلى المجلس الأعلى ومجلس أعلى لا يوجد فالدستور ينص انه لا يوجد مجلس أعلى إلا في حالة مرض الزعيم أو سجنه أو موته. و) بصدد نداء الزعيم الذي صادرتة السلطة في الشقة السكنية الذي كان مهيباً للتوزيع وعلى كل رزمة اسم المسؤول في منطقتة فقد اتخذ مجلس العمد قراراً بعدم العمل بموجبه في الظروف الحاضرة وقد هدد رئيس مجلس العمد بالاستقالة إذا نفذ النداء وبرهانا على عدم العمل به وجود النداء المطبوع مرزوما في الشقة وعدم توزيعه.

أخلي سبيل الأمين عبد الله قبرصي في 15 شباط 1940 فزدنا تفاؤلاً.

أول آذار:

لم نحفل بهذه المناسبة في الوطن إلا في اجتماعات دورية في المديریات في شكل سري جداً ولكن قمة صنين شعشت كعادتها في كل سنة وكعادتهم رجال درك داهوا المكان وعادوا بخفي حنين. وبهذه المناسبة نظم الأمين عجاج المهتار قطعة زجلية رائعة بعنوان «بكرًا بيحي» تداولها السوريون القوميون الاجتماعيون بلذة فائقة لما تعبر عما يجيش في نفوسهم.



عجاج المهتار

بکرا بیجی

یا روح لا تتبنجی فیک الحیب ولو نوى
یللی هجر بکرا بیجی ویجیب لعله دوا

* * *

یا مارس، یابی الشفیع یا روح زهرات الربیع
یا فجر یقظتنا البدیع یا حصن بهجتنا المنیع
بکرا بیجی راعی القطیع ویعیدو فیک الجمیع
أعیاد توحید القوی

* * *

بکرا بیجی وبعد السفر بیکشخ الغیم القمر
حامل أکالیل الظفر والفوز، ومرفوع اللوا

* * *

بکرا بیجی روح الجسد للغباب یحمیها الأسد
واللی فسد زرعو فسد بيموت واطی المستوی

* * *

بکرا بیجی ویتبعو من الغرب کل الی وعو
واللی دعو والی سعو بيمشو معو ان هب الهوا--

* * *

بکرا بیجی ویلمنا والزوبعة بتضمننا
بحضن الحنونة أمنا وصفحة شقانا بتنطوی

* * *

بکرا بیجی، وکل الرمم بتقوم تمشی للقمم
بتفیک أصحاب الهمم بصدور تغلی بالشمم
بقلوب قذافة حم ونصیر أمة من الأمم

* * *

نفی سوا ونحیا سوا

والآن ننقل الی الارجنینین حیث ترکنا الزعیم فی توکومان لنکمل مرافقته فی
مسیرتنا معه فی مغتربه القسری .

نشاط الزعيم عبد الحُدود

والآن ننتقل من الوطن الى نشاط عبر الحدود في الرسالة التي أوردتها الى الرفيق
اللياس فاخوري

حضرة المنفذ العام

تحية سورية قومية

أوجه إليكم تهنئة بالحركة الجديدة التي أخذتم تولدونها في أوساطكم، وبعودة
الحركة الى نشاطها المعروف، واهتمامكم بإرسال الأخبار القومية الى «سورية الجديدة».

بعد قراءة منشور المنفذية رأيت ان الاحظ عليه بأن الفقرتين الأخيرتين منه
تتضمنان نقاطاً فيها اجتهاد وتوسّع. وقد حدث في التوسع خروج عن الموقف الحقيقي،
والحالة لم تكن تقتضي على الاطلاق اعطاء مثل هاته التصريحات المتطرف فيها،
كالعبارة: «ليس إلا لتشويه سمعته» فالحزب لا يعتقد ان ميله الى فريق محارب ضد
فريق آخر يشوّه سمعته. ان كل الدول تخدم مصلحتها، والحزب السوري القومي
باعتبار الدولة السورية المستقلة له الحق في ان يعمل ما يرى فيه مصلحة قضية القومية.
وهناك عبارة أخرى في آخر الفقرة هي: «كل الدول الأجنبية لا تريد لنا خيراً ولا
سلاماً» فهذه العبارة تحكّم على الحزب بمعادة كل الدول وسوء ظنه وعدم ثقته بكل
الدول على الاطلاق، وهذا يمنع كل علاقة ودية واشتراك في المصالح بين الدولة
السورية ودول أخرى. وتدخل في حكم هاتين العبارتين عبارة «وان خطر الجميع
سواء»، فإذا رجعتم الى خطاب الزعيم، أول يونيو 1936، الذي بين خطة الحزب
السياسية وموقفه، ودرستموه بإمعان وتدقيق، وجدتم ان منشور منفذيتكم يؤوّل موقف
الحزب ويخرج به عن الحد الذي يقف عنده وعن الخطة التي رسمها. فالفت نظركم
الى العبارة التالية من الخطاب المذكور:

«إننا نعتزف بأن هنالك مصالح تدعو الى إنشاء علائق ودية بين سورية والدول الأجنبية وخصوصاً الأوروبية. ولكن يجب على الدول الأجنبية التي ترغب في إيجاد علاقات ودية ثابتة معنا ان تعترف في الدرجة الأولى بحقنا في الحياة وان تكون مستعدة لاحترام هذا الحق» انتهى هذا الاقتباس.

بناءً عليه لا نريد الانعزال عن العالم، وليس من العار علينا ان ننشئ العلاقات التي نرى انها في مصلحتنا ولكن يجب أن يكون واضحاً ومفهوماً أن أية علاقة يمكن ان تنشأ بين الحزب السوري القومي وأية دولة أجنبية تكون مؤسسة على الشرط المذكور في الخطاب المشار اليه. ولذلك أوصيكم بالآ تقفوا موقفاً ضعيفاً أمام التهم الكاذبة والآ تظهروا مثلما اظهركم في عبارات منشوركم من عدم ثقة الحزب بإمكانية إيجاد علاقات في مصلحة الأمة مع الاحتياط لكل خطر يمتثل أن يتعرض له في هذا الصدد. لتحي سورية! توقيع حضرة الزعيم

صدر عن مكتب الزعيم في 11 ديسمبر 1939

تفويض بالإذاعة والادخال

ان زعيم الحزب السوري القومي قد فوّض إلى الرئيس الياس فاخوري بث فكرة الحزب في رحلته بين السوريين والمهاجرين وادخال من يعتقدون المبادئ القومية في الحزب، حيثما أمكن وكان جائزاً.

يعمل بهذا التفويض لمدة ستة أشهر من تاريخ توقيعه.

صدر عن مكتب الزعيم في 14 ديسمبر 1939

اجازتها دخول الحزب

إني أنقل هنا جواب الزعيم على رسالة من المواطن يعقوب ناصيف في تاريخ 6 شباط 1940 لأنه يلقي ضوءاً على شروط الانتماء وعلى صفة الحزب شبه العسكرية. «وبهذه المناسبة أجييك على مسائل معينة وردت في كتابك الأخير وتتعلق بعضوية الحزب السوري القومي. صحيح ان الحزب السوري القومي يعد كل عضو من أعضائه جندياً وان نظامه انضباطي يشمل الطاعة ولكنه، مع ذلك، ليس عسكرياً محضاً، فاعماله المدنية الثقافية والإدارية والإذاعية والسياسية والاقتصادية لا يمكن ان تجعله محض جيش حربي. ان الحزب السوري القومي هو حركة حياة أمة بأسرها. أي انه يتناول كل نواحي حياة الأمة.

والحقيقة في قبول أعضائه ان يحدد قاعدة القبول بوجوب كون طالب الانضمام لا يتجاوز الأربعين من عمره ولا يقل عن الثامنة عشر. ولكنه لا يمنع دخول من هم فوق الأربعين منعاً قطعاً. ولكن قبول من هم فوق هذه السن يتطلب ترخيصاً رسمياً من مراجع الحزب ذات الصلاحية. والسبب في تحديدنا سن الأربعين ليس تقريرنا الاقتصار على الصالحين للجندية. بل تقريرنا تجنب أخطار فتح الباب ليدخل كل من صرف مدة طويلة من حياته في الثقل والتلون السياسي والعائدي وفي سلوك مسالك الشركات السياسية التي لم يكن لها هدف غير غش الشعب والمتاجرة به فيكونون ماهرين في التلاعب وخذاع الأعضاء السليمي النية وإيجاد الفساد في الحركة القومية.

إن من كان في مثل روحيتك يرحب الحزب بانضمامه الى صفوفه وما زال قد بلغ أمرك إلي فيني أجزير دخولك.

ملاحظات على «سورية الجديدة»:

«لاحظت في العدد 51 انه جرى تعليق في ذيل بعض البرقيات، خصوصاً البرقية المتعلقة بتصريحات غاندي. وأقل ما يقال في هذا التعليق انه مضحك لأنه من شر البلايا! فهو نكبة من نكبات الفكر والإنشاء. يقول المعلق انه يتمنى لو ان زعيماً سوريا قال ما قاله غاندي بدلاً من التصريحات المخجلة التي اشتهر أمرها. فأنكر هذا التعليق على سورية وجود زعامة صحيحة فيها وعلى الزعيم انه سبق غاندي الى وقوف موقف لم يقف غاندي مثله وعلى أركان الحزب السوري القومي موقفهم المجيد. ومع ان هذا التعليق يعني في باطنه «المتزعمين» فظاهره لا يدل على ذلك ولا يوجد استثناء فهو مطلق كل الاطلاق. ومثل هذا الكلام لا يجوز ان يصدر عن مثل «سورية الجديدة» التي لا تعترف بغير زعامة واحده للأمة السورية ولذلك يجب ألا تتمنى شيئاً وألا تنتظر شيئاً من المتزعمين الذين أنكرت صحة تزعمهم وأعلنت فساده».

هذا تعليق أساسي. أما التعليق الآخر الذي يطلب من السوريين الاقتداء بالفرنسيين «فهو مخالف لمبادئ النهضة القومية الأساسية. فالسوريون بحاجة للتعلم من رجال نهضتهم القومية وليسوا بحاجة للتعلم من الفرنسيين قليلاً أو كثيراً. فاطلب منك وضع حد لهذه المهازل التي تهدم بجرة قلم ما تبنيه الحركة في شهر». (رسالة الزعيم الى جورج بندي تاريخ 22 شباط 1940 ملاحظات وتوجيهات أهمها ما تعلق بالصفة العربية وبالماسونية).

في الصفة العربية :

«في العدد الثاني والخمسين وفي التعليق على بيان الأمين مأمون اياس في الصفحة الأولى وردت هذه العبارة: «والانكى ان معظم الجرائد العربية التي تصدر في المهجر»، وقد بحثت في ذاكرتي علي أجد في المهجر السوري جرائد عربية غير سورية فلم أجد. ولذلك فاستعمال تعبير «الجرائد العربية» هو غلط يجب التنبه لعدم تكراره. فكما انه لا يصح ان تسمى الصحافة الاميركانية الصحافة الانكليزية لأنها تصدر باللغة الانكليزية ولا ان تسمى الصحافة البرازيلية الصحافة البرتغالية لأنها تصدر باللغة البرتغالية ولا ان تسمى الصحافة الارجنتينية الصحافة الأسبانية لأنها تصدر باللغة الاسبانية كذلك لا يجوز أن تسمى الصحافة السورية الصحافة العربية لأنها تصدر باللغة العربية الأصل.

في الماسونية :

«نظرت في أمر عودة جمعية الماسونية الى العمل في البرازيل وفي أمر عودة محفل «نجمة سورية» إلى هذا العمل ودعوت أعضائه القدماء ليعودوا الى تشكيله وفي أمر ما جرى بين الرفيقين توما وشحفه في الاجتماع الذي عقده أعضاء المحفل للنظر في الخطة التي يجب ان يسير عليها وقد سررت بالنتيجة التي حصلت من هذا الاجتماع وخصوصاً من موقف الرفيق توما.

تقول في كتابك ان أعداء النهضة عملوا على أبعاد القوميين عن المحفل. الحقيقة هي انه لا يجوز مطلقاً للقوميين الانتماء إلى أية منظمة أو مؤسسة لها صبغة سياسية أو تتناول مبادئها العقائد الاساسية وقد تلجأ إدارة الحركة القومية إلى إدخال بعض أفرادها في منظمة أو مؤسسة من النوع المذكور لأنه يجب ان يحافظوا على وحدة عقائدهم ووحدة روحيتهم ووحدة نظامهم وعلى جهودهم من أن تتبعثر في مختلف الأعمال والاتجاهات. ولذلك يجب أن يمتنع القوميون عن الاشتراك في الأعمال الماسونية ويجب عليهم اعتبار هذه الجمعية شيئاً لا حاجة للمجتمع به بل شيئاً فاسداً يمكنه ان يفسد المجتمع لأن هذه الجمعية لم تعد سوى بؤرة للغايات والمنافع الفردية والدسائس السياسية».

في المكسيك :

من بداية السنة الحزبية الثامنة تعرضت تنفيذية المكسيك الى مضايقات وحملات ودسائس على صعد ثلاثة؛ على الصعيد الشخصي، على الصعيد الحزبي وعلى الصعيد السياسي المحلي (أي المكسيكي) وقد خرجت منها منتصرة واحتفلت بمناسبة أول آذار احتفالاً مهيباً.

على الصعيد الشخصي: قامت قيامة العائلة عندما علمت ان ابنها بطرس حرب، من تنورين، انتمى الى الحزب السوري القومي دون استشارة أحد من أفرادها فلجأت الى عدة وسائل وأساليب تتوسلها لاعادته الى حظيرتها لأنها اعتبرت انتماءه خروجاً على العائلة والدين ولبنان. لم تنفع حجج الرفيق حرب في إقناع العائلة إلى أن كان يوم دعت العائلة كاهن الرعية إلى الغداء بقصد محاولة محاوره الخارج لعله يهتدي إلى الصراط المستقيم!!

فكان الغداء وكان الحوار وكانت الأمور سائرة سيرها الطبيعي إلى أن رفع الكاهن كأسه يشرب نخب فرنسا حامية الموارنة في لبنان وحامية الحريات في العالم فما كان من الرفيق بطرس حرب إلا أن رد على هذا التحدي بأن رفع كأسه وشرب نخب سورية والزعيم وغادر المنزل الى غير رجعة وراح يبشر بالرسالة السورية القومية الاجتماعية في كل مكان داعياً رسولياً متفرغاً لهذا التبشير بالمبادئ السورية القومية الاجتماعية وواضعها الزعيم.

على الصعيد الحزبي: منذ نشوء منفذية المكسيك لم يدع أخصام الحزب وسيلة من وسائلهم الدنيئة الحقيرة التي كانوا يستخدمونها في ظروف سابقة مع الجمعيات المحلية إلا وحاولوا تطبيقها، وذلك عملاً بالتعليمات أو التوجيهات التي كانت تصدر إليهم ان من الدولة المنتدبة مباشرة بواسطة سفرائها أو بواسطة بعض عملائها فباءت كلها بالفشل الباهر!!! فأنا شخصياً أقول هذا كان مصير حملة وريقة تدعى «القسطاس» وزميلة لها تدعى «الغريال».

ولكن الآن، والزمن زمن حرب والاعتقالات جارية في الوطن ضد الحزب السوري القومي فقد رأى فيها المتعشون فرصة مناسبة للاستثمار فانبرت «القسطاس» بحلتها الجديدة لمهاجمة القوميين كعادتها. ولدى مراجعة من بعض القوميين عن أسباب هذه الحملة البذيئة اعتذر وعرض عليهم خدماته، «لأن لديه عائلة تريد أن تعيش».

على كل حال ردت المنفذية على البيان المذكور المدعي بعلاقة الحزب بالمانيا أو ايتاليا بمقال أنشأه الرفيق زاهي نصر نشر في جريدة «البيان» التي تصدر في أميركا الشمالية.

وفيا يلي مقطع من المقال السفه المذكور في «القسطاس» يصح ان يكون نموذجاً للنفسية الوسخة التي كان يتمتع بها صاحبها: «إن السوريين القوميين سيثون بخيلهم ورجلهم على لبنان والشام ويطردون منها انقلترا وفرنسا فيقيم الزعيم له عرشاً سوريا يكون هو «هتلره»، حتى إذا انهزم الحلفاء يسلمون «سورية» لتكون تحت الانتداب

الالمانى، ثم يقول «إن السوريين القوميون ليسوا إلا حشرات تزحف على الأرض ولا تقدر ان تؤثر بنعال «عبيد الاستعمار».

اثناء الحرب أيضاً كاتب ايطالي مقيم في المكسيك ويكتب في إحدى الجرائد الرئيسية اسمه (Aldo Barone) كتب مقالاً يذم فيه الشعب السوري، فردينا عليه عدة مرات واجبرناه أن يعتذر على صفحات الجرائد، وكما قلت سابقاً كان اليهود يفتنمون أول فرصة حتى يبرروا أعمالهم وهم كالعادة يستغلون الجرائد، المجلات، السينما والتلفزيون، فكانوا كلما نشروا مقالاً نرد عليهم، وكنا الوحيدين بين كل الفئات والجمعيات الموجودة الذين يجابهون الدعاية الصهيونية، كان الرأي العام أكثرته معهم، يا حرام مضطهدين من كل الشعوب، كأن الجرم والحق علينا إذا كان هتلر أو غيره قتلوا أي يهودي، فإزاء الحالة هذه جمعنا الكمية اللازمة لدفع ما يطلب منا لاجراء مقابلة في التلفزيون، فجرت المقابلة وكان المقابل المحامي الرفيق الياس سيمون يرافقه الرفيق فيكتور أبو مراد، لقد أصر الرفيق المحامي سيمون حتى يرافقه الرفيق فيكتور، فهو اراد أن يوقع العداوة بين اليهود وعائلة أبو مراد، فلي ابن عم اسمه فيكتور أبو مراد- فوجود الرفيق وذكر اسمه يوجد اشكال، وهكذا كان.

فأنا شخصياً عندما دخلت إلى المكسيك كان اقاربي للاستحصال على المأذونية بدخولي وضعوا كفالة مالية، فعندما عرفوا بنشاطي الحزبي وعدائي ومحاربي لليهود الصهانية ومن ثم رغبتى للزواج مع الرفيقة الماس، طفح الكيل معهم، احارب اليهود والمصيبة الأكبر ابن عائلة أبو مراد بدو يتجاوز بنت من غير طائفة واحوال أهلها المادية متوسطة، فبعد كل هذه المصائب حسب رأيهم، قرروا إبعادي فسحبوا الكفالة، وعلى الأثر استلمت طلب من دائرة المهاجرة لادبر أمري، أما أن أضع كفالة أو أن أترك البلاد، فانجبرت أن أتزوج من بنت مكسيكية صديقة امرأتي وعلى هذا الأساس استحصلت على مأذونية للبقاء في المكسيك».

أما الآن بعد أن برأ التحقيق الأولي في الوطن الحزب السوري القومي من التهمة، الأجنبية فماذا سيكون موقف أمثال هؤلاء؟؟

على الصعيد السياسي المحلي: ما كفى الاخصام استخدام الوسائل الشخصية أو الصحفية لمحاربة الحزب السوري القومي المتمثل بمنفذية المكسيك القوية حتى انتقلوا الى الميدان الحكومي المحلي، فقد اتهموا القوميون الاجتماعيين بأنهم يتلقون المساعدات المالية من سفارتي المانيا وايطاليا وبالتالي اتهموهم انهم عملاء للمحور. كانت هذه التهمة خطيرة جداً وفي أثناء الحرب كان كل من ينتمي الى المحور يعتقل وتصادر املاكه. وهذا هو الهدف الذي كانوا يرمون إليه وخصوصاً العمل لابطال صدور النشرة الصحفية باللغة الاسبانية La Tempestaed .

بناء على هذه الوشاية المقدمة إلى وزارة الداخلية والمهاجرين حضر إلى مكتب الحزب وكان يومها في بيت الرفيق توفيق الأشقر في شارع «Correo Mayor» ثلاثة من رجال التحري لمعرفة أساس عملنا الحزبي ومعرفة مصدر أو مصادر تمويل المجلة أو أي نشاط آخر من النشاطات الحزبية.

كان الجواب الفوري على أسئلة رجال المباحث اطلاعهم على الرخصة الرسمية الممنوحة لمنفذية المكسيك التي يعمل القوميون الاجتماعيون في المكسيك بمقتضاها ثم اطلاعهم على نسخة المبادئ المترجمة للاسبانية والمسجلة أمام المسجل العدلي. (كان الدكتور فارس ساسين قد ترجمها) وبعدها تم اطلاعهم على حسابات المجلة وأسماء الرفقاء الذين يقدمون كمية من المال معينة في كل شهر لاصدار المجلة.

بعد هذا الاطلاع طلبوا من المسؤولين في المنفذية ان يسجلوا وقائع الجلسات بالاسبانية. تقيدت المنفذية بهذه التعليمات وبعد ثلاث زيارات منحت السلطة المكسيكانية الحزب السوري القومي في أراضيها رخصة فوق العادة لممارسة نشاطه طيلة مدة الحرب. نشر هذا الاذن في الجرائد المحلية. وهكذا خرجت المنفذية في المكسيك متغلبة على العراقيل والصعوبات التي وضعها الاخصام في طريقها، وما أن أطل أول مارس حتى كانت المنفذية تحتفل به وأي احتفال!!!.

أول آذار في المكسيك:

ما كادت تدق الساعة العاشرة من ليلة أول آذار حتى امتلأ نادي الحزب بالمدعوين وقد ضاقت بهم القاعة فبقي قسم كبير منهم وقوفاً. كان في صدر القاعة رسم الزعيم جالس تحته المسؤولون الحزبيون. افتتح الاحتفال بالتحية السورية القومية الاجتماعية ثم خطب المنفذ العام الأمين عساف أبو مراد ذاكراً باختصار تاريخ حياة الزعيم وما له من الفضل والهمة والتضحية في سبيل إنشاء النهضة السورية القومية الحديثة في سوريا العزيزة، معاهداً باسم السوريين القوميين الزعيم على الطاعة والولاء والوفاء وعلى الاستعداد بتضحية كل شيء عند الإشارة.



عساف أبو مراد

كان عريف الاحتفال الرفيق زاهي نصر، فقدم الخطباء والمعنيين حسب البرنامج المقرر. فتكلم الرفيق جليل الرحباني الذي حمل على الرجعيين والاقطاعيين وسماهم باعداء الأمة لأنهم كانوا وما يزالون يعملون في السر والعلن لتفريقها وإذلالها. بعده قرأ الرفيق فؤاد سمعان بلسانه الطلق وصوته الجمهوري مقال الأديب القومي جبران مسوح المنشور في «سورية الجديدة» تحت عنوان «لماذا أصبحت سوريا قومية» وجاء على أثره الرفيق عبد الدائم نحاس يشنف الاذان بصوته الممتاز يرافقه على العود الموسيقي الفنان الكسي مبيض.

بعده جرى سحب أوراق «يانصيب» لخابيتين وإبريق فخار غاية في الفن والاتقان أهدتهم الرفيقة السيدة مريم جمل ثم وزعت أفداح الشمبانيا مع المرطبات والحلوى التي صنعتها الرفيقة الأنسة سارة طعمة. ثم استؤنف الاحتفال فتكلم الرفيق الكسي مبيض رافق بعدها على العود الرفيقة الماس صعب التي غنت بصوتها الرقيق العذب مقطوعة «بكرًا بيحي» للأمين عجاج المهتار وعقبها المحامي الخطيب الياس سمعان فارتجل خطاباً بالاسبانية قوطع مراراً بالتصفيق الحاد.

وما كاد الخطيب ينتهي من إلقاء خطابه حتى تهمس الكاتب في جريدة «الاكسليور» السوري الأصل ميخائيل شحادة فارتجل خطاباً نارياً شارحاً شرحاً مستفيضاً الوضع في الوطن السوري الأم ثم ندد بأغنياء الجالية الذين يبدرون الأموال الطائلة على موائد القمار والملذات الفارغة ويتبرعون بألوف الريالات لمشاريع لا تجني الأمة منها أقل فائدة، ذلك من أجل الوجاهة الرخيصة بينما يبخلون بالشيء القليل لأجل وطنهم، ويا ليتهم يكتفون بذلك بل انهم يعاكسون بجميع الطرق الممكنة كل فئة قامت تعمل من أجل خير سورية ونفعها.

في الختام ألقى عريف الاحتفال الرفيق زاهي نصر قصيدة قومية استحسناها الجميع وصفقوا لها طويلاً وغادر الجمع النادي القومي والكل يهتف سرّاً وعلناً «لتحي سوريا وليحي سعادة».

وبالمناسبة وُزع العدد الصادر من المجلة المحلية وذلك مجاناً ثم توسع التوزيع فشمّل الدوائر الحكومية المحلية والصحافة العالمية وبعض ممثلي الحكومات الأجنبية.

أول مارس في البرازيل:

بمناسبة احتفالات أول مارس عيد مولد سعادة، فقد صدر عدد خاص من «سورية الجديدة» كانت قد أعلنت عن صدوره منذ أكثر من شهر. كان عدداً موفقاً

بالنسبة للمغتربات. كان نسخة طبق الأصل عن عدد أول مارس الصادر عن جريدة النهضة من حيث التوبير والمواد والمقالات. كان عدداً ناجحاً استحق عليه الرفيق جورج بندقي تهنئة الزعيم على حسن إخراجها كما استحق التهنية قبل ذلك على حسن إخراج العدد الخاص بعيد التأسيس.

أول آذار في الارجتين:

أما في بوانوس ايرس فقد تألفت لجنجان للاهتمام بالاحتفال بهذه المناسبة السعيدة. الأولى للسيدات برئاسة الرفيقة كتالينا مسوح والأخرى عن الرجال برئاسة الرفيق حسني عبد الملك. وقد بدأ عملها بنشر إذاعة على المواطنين المغتربين يشرحان فيها الغاية من تكريم أنطون سعادة ابن سورية البار. كان ذلك بتاريخ 15 شباط 1940 ثم أرسلت تحية إلى المليون بتاريخ 23 شباط.

وبعد ان تمت الاستعدادات كافة أقيمت مأدبة عظيمة في فندق «خوستين» الفخم واني أنقل وصف هذه المأدبة من «سورية الجديدة» العدد 56 تاريخ 9 آذار 1940: «في الساعة المعينة وقفت أمام الفندق الكبير سيارتان خصوصيتان تقل الأولى حضرة الزعيم وفي معيته رئيس اللجنة وقسم من مرافقي الزعيم الرسميين وتقل الثانية القسم الآخر من مرافقيه. سار محييا المستقبلين وسط اهتاف حتى المصاعد الكهربائية التي أوصلتهم إلى الطابق المحفوظ للوليمة الذي كان قد امتلأ بهوه الكبير بالأسر المحتفية إلا مراً بقي محفوظاً عمداً لمرور الزعيم وعلى جانبيه صفان من الرفقاء، ابهى من ورود الربيع يراعون النظام وهم بوقفة الاستعداد.

أطل الزعيم فارتفعت التحية وتعالق الأصوات واشربت الأعناق فرد التحية أجمل رد ثم طفق رئيس اللجنة يقدم إليه الحضور حتى انتهى التعارف الرسمي. وكان قد انتهى أيضاً توقيع الجميع للرق الفني الرمزي البديع فقدم إلى حضرته تذكراً لتلك الليلة التاريخية. شغل كل مركزه وهناك كانت العيون تنتقل بين تحديقها إلى وجه الزعيم في بهجة وإعجاب وبين تمتعها بأربعة ألواح مثبتة في الجدار وراء مجلسه وأولها رسم في يمثل نسر النهضة السورية القومية خارجاً من رماد وهيب. باسطق جناحيه ليحلق في العلاء وإلى جانبه غصنان من كرامة مثمران وفي أعلى الرسم شعار الزعيم وزوبعتان حمراء وسوداء عن يمينه وشماله. اما الألواح الأخرى فثلاث عبارات نطق بها الزعيم، كتبت كلها بحروف كبيرة بحبر أحمر ناري ضمن اطارين أبيض وأسود غير الاطارات المألوفة. كانت كلها من خشب الجوز الفاخر.

كان الزعيم جالساً في صدر المائدة الرئيسية وأمامه ضمة من الزهر الأبيض بشكل

كرة تتخللها زهور حمراء بشكل زوبعة ووراءه بين الألواح ضمة أخرى من الزهر الأحمر الناري بغصونها حية مغروسة في مشتلتها الأصلي الأحمر أيضاً.

في تلك الساعة وقبل البدء بالطعام أحاط المصورون بالمائدة الرئيسية من كل جانب وأخذوا رسم الزعيم وهو في مجلسه. كان ثمة أمر غير مألوف، يسترعي الانظار فماذا كان ذلك الشيء؟ بضعة عشر شاباً منتصبون كالجبابرة بطلعة كالحبق الفواح ووقفه رائعة كوقفه الأسود، اثنان منهم وراء طرفي مائدة الزعيم والآخرون متفرقون في المواقف المعينة لهم فكانت الهيبة تفيض من كل ناحية. ظلوا في موافقهم وعيون المودة والاعجاب ترعاهم طيلة الساعات الأربع التي استمرت فيها المأدبة.

وأخيراً جاءت ساعة الشمبانيا فهض رئيس اللجنة الرفيق حسني عبد الملك مقدماً المأدبة إلى حضرة الزعيم بقصيدة ثم راح يقدم الخطباء حسب الترتيب المقرر: الأمين خالد أديب، الرفيقة مريانا دعبول فاخوري، الشاعر زكي قنصل، الفريدو شاكر والياس مرجان بالاسبانية وفيليب شديد الذي ألقى أيضاً كلمة الرفيق جبران مسوح الذي أرسلها من توكومان. بعد هذا التقديم طلبت الكلمة من المحامي الدكتور أنور عبيد فتكلم بالاسبانية معبراً عن شعوره وشعور أمثاله من مواليد الارجتين السوريين نحو زعيم سورية فقبول بتصفيق حاد.

ثم جرت تلاوة أسماء أصحاب برقيات الانضمام والتهنئة من كل أنحاء الجمهورية ومن المهاجر المختلفة وبعدها نهض الزعيم ليقول كلمته الفاصلة. بدأ الزعيم كلامه ومضى فيه متدفقاً كالسيل، ماراً كالعاصفة، منقضاً كالزوبعة، مرشداً وواعظاً ومعلماً ومبشراً بالأمال، كان بيانه أفضل ما وعته الاسماع.

خطاب الزعيم

بعد وصف المأدبة التكريمية الرفيعة المستوى التي أقيمت على شرف الزعيم بمناسبة عيد مولده نورد هنا فقرات من الخطاب الذي ألقاه نقلاً عن «سورية الجديدة» العدد 63 تاريخ 27 نيسان 1940: «بعد أن رفع الزعيم يده بالتحية هدأت عاصفة الهتاف وشخصت الأبصار وانصت الأذان. فبدأ الزعيم الكلام بصورة جازمة موضحاً كيف يعدّ هذا الاحتفال بعيد مولده انتصاراً للنهضة السورية القومية في المهجر فقال انه لا يتصور هذه الحفلة أعدت لشخصه مجرداً عن التعاليم السورية القومية وعن الحركة السورية القومية بل هو موقن انها أعدت لشخصه من أجل تمثيل التعاليم والمبادئ السورية القومية ومن أجل أن يقود الحركة السورية القومية. وزاد الزعيم الموقف

وضوحاً من هذا القبيل فأشار إلى أن المجتمعين لآكرامه ليسوا أصدقاء خصوصيين له فهو لم يعرفهم إلا عن طريق رسالته السورية القومية».

فقرات من الخطاب:

«قدمت الأرجنتين غير معتمد على معرفة أحد ولا أعمال تمهيدية. فلما وطئت قدمي مرفأ بوانس ايرس لم يكن هناك أحد لاستقبالي. لم يأت سوري واحد لاستقبالي. لم يأت سوري واحد للملاقاة والاهتمام بأمر القضية التي جئت من أجلها. ولكني لم أكن في ذلك الموقف أقل ثقة بالنصر منها في هذا الموقف وقد انتصرت.

«إن عناصر الرجعة في الجالية السورية في الأرجنتين كانت عالمة بقدمي. وبلغ الأوساط السورية هنا موعد وصولي، فتألبت عناصر الرجعة وقررت الوقوف جبهة واحدة ضدي وأقامت من إشاعاتها وتهويلها سدا بين الجالية وبينى وقالت إن سعادة لن يعبروها قد عبرت».

«كنت حين وصولي والأرض قفر أمامي واثقاً من انتصار القضية القومية الاجتماعية هنا كما كنت واثقاً من انتصارها في الوطن وفي كل مكان آخر على الرغم من جميع الصعوبات والعراقيل التي تعترض سيرها».

«كنت واثقاً من الانتصار على ما أقامته الرجعة هنا في وجهي من سدود لأنني لم أعتمد قط على وساطة أحد بينى وبين الشعب. فكل أفكارى وأقوالى وخططى وأعمالى تنشأ عن قاعدة صلة ضميري بضمير أمتي. وبما أن اعتمادي على وجداني ووجدان شعبي فقد استغنيت عن ذوي الضمائر الميتة!»

«في الوطن أيضاً وجدت السبل مسدودة في وجهي حين عودتي من المهجر لأضع القواعد الأساسية لهضة أمتي ولأجد الطرق العلمية لسير شعبي نحو الحياة المجيدة. جميع اراخنة السياسة والاجتماع كانوا مجتمعين على انه لا فائدة من فعل شيء وانه لا تقوم للأمة السورية قائمة. في ذلك الوقت وتجاه هذه الصعوبات لم أكن أقل ثقة بنهضة أمتي مني بعد نشوء النهضة السورية القومية الاجتماعية بالفعل».

«كما كنت مؤمناً بالانتصار في الوطن كذلك كنت مؤمناً بالانتصار في المهاجر السورية. وكما أن انتصاري في الوطن كان بعد معارك شديدة ضد قوات عظيمة كذلك كان انتصاري في المهجر. فلقد جئت المهجر بالحرب بين مبدأ الحياة القومية ومبدأ الموت القومي فكان للذين أقبلوا على مبدأ الحياة، الحياة وللذين اعتصموا بمبدأ الموت، الموت».

ليست الحركة السورية القومية حركة سؤال واستجداء لبلوغ حرية فوضوية لا مسؤولية تعميرية فيها، بل نهضة أمة ذات حيوية عظيمة وفاعلية بعيدة المدى هي أمة طالما عمرت واستمرت وأعطت العالم مؤسسات لا تزال قائمة لليوم. «نحن إذن لا نقف عند حد طلب شيء نريد نواله. نحن نهض لناخذ حقنا ونعطي العالم المفتقر إلى نبوغ أمتنا ومواهب شعبنا. نحن لا نريد الحرية والتفلسف من كل واجب وكل مسؤولية بل نريد الحرية للنشء المجتمع المثالي الموضوعة قواعده في مبادئنا. نريدها لنعمل للحياة لا نعيش كما كان يفعل المصريون قبل ان تصل إليهم مبادئنا وكما كانت العادة في سورية اللاقومية. نحن لا نهتف بعيش! يعيش! بل يحى، يحى، لأننا نريد الحياة بكل معانيها، لا مجرد العيش. وفي الحياة من المعاني ما لا وجود له في العيش.

المدرحية:

«إن نهضتنا القومية الاجتماعية ليست لاشباع بعض رغبات مستعجلة وبعض خصوصيات شعبنا المحدودة، بل لاعادة النبوغ السوري الى عمله في إصلاح المجتمع الإنساني وترقيته. انه لا يمكننا ان نقف مكتوفي الأيدي بينما العالم يكاد يهلك في صراع مميت بين مبدأ الترجمة المادية للحياة البشرية ومبدأ الترجمة الروحية للأعمال الإنسانية. إن الحركة السورية القومية الاجتماعية لم تأت سورية فقط بالمبادئ المحيية، بل أتت العالم بالقاعدة التي يمكن عليها استمرار العمران وارتقاء الثقافة. إن الحركة السورية القومية الاجتماعية ترفض الاقرار بانحاذ قاعدة الصراع بين المبدأ المادي والمبدأ الروحي أساساً للحياة والأعمال الإنسانية ولا تقف الحركة السورية القومية الاجتماعية عند هذا الحد بل هي تعلن للعالم مبدأ الأساس المادي - الروحي للحياة الإنسانية ووجوب تحويل الصراع المميت الى تفاعل متجانس يحيي ويعمر ويرفع الثقافة ويسير الحياة نحو أرفع مستوى. ان في المبدأ السوري القومي الاجتماعي انقاداً لا يقتصر على سورية بل يتناول وضعية المجتمع الإنساني كله، ونهضتنا لا تعبر عن حاجتنا نحن فقط بل عن حاجات إنسانية عامة».

الوحدة القومية:

لست أول من قال بتوحيد صفوف الأمة السورية ولكن الذين قالوا قبلي بوحدة الأمة ودعوا الى الاتحاد لم يتمكنوا من فعل شيء في سبيل الوحدة القومية لأنهم كانوا يجهلون العوامل الأساسية التي تؤلف هذه الوحدة ويجهلون طرق التوحيد. انه لأمر سهل ان يقف إنسان وينادي: اتحدوا ففي الاتحاد قوة وهبوا لنيل الحرية والاستقلال. ولكنه ليس هينا إيجاد الأسباب التي تنتج الاتحاد والخطط التي تؤدي إلى الحرية

والاستقلال. ولذلك ذهبت صحبات الداعين إلى الاتحاد والحرية والاستقلال مع الريح. أنا لم أقف كهؤلاء المشعوذين داعياً إلى الحرية والاستقلال بل درست وفحصت ووضعت قواعد الوحدة القومية وهيأت أسباب الاتحاد ووضعت أمام شعبي المثل العليا التي تبرر طلب الحرية والاستقلال وتحفز الشعب على طلبها. إن القضية السورية قد أصبحت قضية واضحة وحقيقية مفهومة ومعقولة لأنها قائمة على أساس الحق والعدل تمكن كل سوري من أن ينال نصيبه من الحقوق والواجبات العامة من غير فارق ديني أو عائلي».

العروبة:

إن هؤلاء السوريين المنادين «العروبة! العروبة» لم يفعلوا شيئاً لا في سبيل أمتهم ولا في سبيل العالم العربي. انهم يدعون باطلاً ان الحزب السوري القومي الاجتماعي عدو العرب والعروبة. هم أعداء العرب والعروبة الحقيقيون بما يثيرونه ضد نهضة الأمة السورية التي هي في مقدمة أمم العالم العربي.

«إننا نحن السوريين القوميين الاجتماعيين نوجه كل قوانا فيما يختص بالمسائل القومية الى مسائل أمتنا نحن. أما فيما يختص بالمسائل المتعلقة بالعالم العربي كله فإني أعلن انه متى أصبحت المسألة مسألة مكانة العالم العربي كله تجاه غيره من العوالم، فنحن هم العرب قبل غيرنا. نحن جبهة العالم العربي وصدرة وسيفه وترسه ونحن حماة الضاد ومصدر الاشعاع الفكري في العالم العربي كله.

لبنان:

وفي الحال ارتد الزعيم على الذين يدعون زوراً ان الحزب السوري القومي الاجتماعي «يريد محو لبنان من الخارطة» فأظهر نفاقهم وتأويلهم الحقيقة تأويلاً فاسداً ثم قال:

«إن هؤلاء الانفصاليين الذين ينادون بملء أشداقهم» «لبنان لبنان!» هم أعداء لبنان واللبنانيين. فهم يرمون إلى فصل لبنان عن الوطن الكامل المتلاحم الاجزاء وعزله عن العالم ليكون فريسة هينة لغول الاستعمار الأجنبي. إذا كانت المسألة مسألة قتل الشعب اللبناني من أجل فصل لبنان عن الوحدة الجغرافية للوطن السوري فهم أبطال هذه المجزرة ولذلك أعلنهم أعداء للبنان واللبنانيين. هم الذين يريدون محو الشعب اللبناني من الوجود. أما متى كانت المسألة مسألة الشعب في لبنان وحياته فنحن هم اللبنانيون الحقيقيون ولا لبنانيين غيرنا!»

الحرب:

«لا نياس حتى ولو أكد لنا أن الجيوش الأجنبية المحتشدة في وطننا قد بلغت مليوناً أو مليونين. فحشد هذه الجيوش لا يمكن أن يكون لابقائها هناك. فلا بد لهذه الجيوش من ساعة تذهب فيها إلى مصيرها ولا بد للجيش السوري القومي الاجتماعي من ساعة يتحرك فيها ليثبت حق سورية في الحياة. ومتى تحرك الجيش السوري القومي الاجتماعي مشت الأمة السورية نحو مكانها وحقها في الحياة وكان في مشيتها القضاء والقدرا!

قصيدة «القنصل»:

وبالرغم من موقف الشاعر ذكي قنصل الذي تقلب بعد إقامته هذه القصيدة في احتفال أول آذار فيني أنشروها مع مقدمتها كما وردت في سورية الجديدة العدد 56 تاريخ 9 آذار 1940: «عندما جاء الزعيم الى الأرجنتين كان ذكي قنصل من أول الذين ذهبوا لزيارته. وهو في كل هذه المدة يدرس القضية ويراجعها ويحللها. بل هو يفكر بها من سنين ولديه أعداد كثيرة من جريدة «النهضة» التي كانت لسان حال السوريين القوميين في الوطن. ففكرة سعادة تشغل بال الفتى الشاعر من مدة طويلة وهي ملء فؤاده ولكنه كان متأثراً بعض التأثر بأقوال المعارضين للقضية واليوم جاء الوقت المناسب ليعلن الشاعر موقفه».

بلاد النبوغ

طاطأت	حول	عزمك	الأقدار	وجئت	حول	عرشك	الأفكار
حاول	الدهر	ان يروعك	فارتد	مروعاً	يجره	الانكسار	
أي	ذئب	سطا عليك	ولم تدم	يداه	وتتلف	الأظفار	
أي	خطب	أرغى	ولم تصهره	مثلما	يصهر	الظلام	النهار
يا	بلاد	النبوغ	أنت مصلاي	فثوروا	علي	يا	أحبار
يا	بلاد	النبوغ	أنت إلهي	فلتلفني	بعد	موتي	النار

أيها	السائلي	عن	مجد	قومي	أن	كبا	العقل	غامت	الأبصار
أنا	عبي	فاستنطقوا	الحجر	الأعمى	تجيبكم	عن	قومي	الأحجار	
هم	نسور	العلی	وهم	عدة	الحق	إذا	ثار	وأدهم	الغبار

هم حماة الضعيف إن فحت الحرب وطارت من حوله الأنصار
ركبوا البحر يوم يسلس لعقل ولم يرضه بخار
وغزوا الأرض بالثقافة والعلم فملت اغلاها الأكار
وفاؤوا الاخاء فالناس أهل وتبنوا السلام فالكون دار
لم يخضب دم البريء يديهم لم يين ضيفهم ولا ذل جار
هذه أمتي وهذي سجاياها أبعد الذي أتته فخار

.. لا تقولوا كانت... ولكنها اليوم خيال تلهو به الأقدار
ها شبول الحمى تحفز للوثب فتتهز أجبل وقفار
نهضت سورية يقود الى المجد خطاها زعيمها الجبار
أفيثنيها عن طريق المعالي حادثات الزمان والأخطار

يا زعيما، ترنو القلوب إليه بخشوع وتنتهي الأنظار
عقدت سورية عليك رجاها واستظلت برأيك الأحرار
فنب الوثبة المرجاة تنفك قيود وتستقل ديار
وأثرها - فديت - زوبعة حمراء فالمجد ثورة وانتصار

إيه آذار، ما ذكرناك إلا صفق المجد واشرب الفخار
أنت تاريخ أمة أيقظتها من كهوف الوني خطوط كبار
أنت فجر تلا من الجهل ليلاً عشيت في ظلامه الأبصار
أنت شطر جئت على قدميه مزيدات الأمواج والأعصار
أنت سفر من الحياة تجلى فيه اسمي ما تبعد الأفكار

إيه آذار، ما ذكرناك إلا صفق المجد واشرب الفخار
فأفء ظلك المجيد علينا تتجنب لقاءنا الأقدار

الصحف الارجتينية:

واحتتم هذه الحفلة بذكر الصحف الارجتينية التي نشرت خبر عيد مولد الزعيم والمأدبة التكريمية وهي «لابرنسا» «لاناسيون» «لاراسون» «الموندو»، «نوتيسيا غرافكا» «وكريتك» واني أحتار كلمة «لابرنسا» La Prensa الضمنية عادة بمجال صفحاتها إلا لحادث تعتقده هاماً؛ احتفى السوريون ليلة البارحة بتذكار مولد زعيم نهضة وطنهم القومية السيد أنطون سعادة وهذه الحفاوة التي يشترك فيها كل السوريين في بلادهم وفي الخارج دون تمييز بين الطبقات والأديان صادفت وجود المحتفى به في الارجتين إذ هو قائم اليوم بزيارة لمواطنيه النازلين في أميركا اللاتينية. والنزلة السورية في هذه المدينة قد عبرت بمظاهرتها هذه عن تقديرها وتأييدها للعمل الناهض به السيد سعادة وذلك بشكل مأدبة اقامتها على شرفه في «جوشيه أوتيل» اشتركت فيه جموع غفيرة من الأسر السورية ومثلوا أوساطها الثقافية والاجتماعية».

فترة استجمام:

وبعد المأدبة التكريمية هذه انتقل الزعيم الى تلال «كردبا» حيث أمضى فترة استجمام لمدة ما يقرب الشهر تركه الآن في كردبا ونعود إلى الوطن.



الزعيم يخاطب في مأدبة أول آذار



أحد مشاهد المأدبة

ذِكْرَايَاتُ لَا تُنْسَى

كان الوقت وقت النزهة Promenade. وكان عدد المنتزهين يفوق استيعاب
الفسحة المخصصة لهذه النزهة. كان مراقب النزهة السرجان فراتشي. كان دور الغرفة
النازل فيها أحد رفائنا ميشال طانيوس هاشم من جل الديب. كان معهم بعض البدو
وبعض الأكراد. كان من العادة إن زاح أحدهم عن خط السير أو التفت الى الوراء
ليحككي مع أحد زملائه، ان ينهال عليه السرجان بالشتائم التقليدية «بدوي وسخ،
سوري وسخ» fi Sale Syrien, Sale Bedouin كان رفيقنا ميشال من الذين انحشروا في
هذا الصف المزدحم الذي يدب في حلقة مفرغة حول الفسحة. كانت رجله تنتظر
دورها لتنتقل وتأتي الرجل الأخرى مما سبب له أن زاح قليلاً عن الخط المرسوم وإذا
بالسرجان فراتشي ينتهره ويسبّه ويهجم عليه ناوياً رفسه فما كان من رفيقنا ميشال إلا
وتلقى رجله المرفوعة بيده فاختل توازنه ووقع منبطحاً أرضاً. برك الرفيق ميشال فوقه
وأشبعه لكما وضربا. جاء سرجان آخر لنجدة زميله فما ارتد رفيقنا عنه إلى أن ضربه
بالمفاتيح على رأسه فحل قبضته، عنثد عنه ونهض.

جری هذا كله والجميع ينظر الى هذا المشهد كأنه مشهد تمثيلية على الشاشة
البيضاء. تنفس المنتزهون الصعداء لقد فش رفيقنا ميشال كرتهم. حققت الإدارة
بالحادث. اعترف السرجان بفعلة كما اعترف رفيقنا بما حصل معه تماماً. تدخل الرئيس
ثابت بالمسألة فهو مرموق إليه في الإدارة وكلمته صادقة فنافذة، انتهت بعقوبة سجنية
ثلاثة أيام «سيليل» Cellule أي في الزنزانة مع منع الطعام عنه. Exempt soupe يعني
انفراد مشدداً مع قطعة خبز وبعض الماء. أما السرجان فقد أنزل الادجودان فيه عقوبة
مسلكية ما عدت أذكر ما هيتهها.

شجع هذا الموقف سجيناً آخر على اتخاذ موقف مماثل ولكن بمناسبة مختلفة. كان

الوقت وقت تعداد. كان أحد السجناء الحلبيين يصلي. دخل السرجان «قري» ليعد والحلبي مستغرق في صلاته. انتهره للوقوف فما رد عليه. أفهمه الحضور انه يصلي فما أبه. تقدم منه ورفسه وخاطبه كالعادة شامماً أنهض! يا سوري وسخ! فما تحرك مما زاد في غيظ السرجان. كرر مخاطبته وفعلته النكراء. أخيراً نهض المصلي وقد كان انتهى من صلاته، نهض لا ليقف للتعداد بل ليقبض بيده الفولاذية على عنق السرجان ويطره أرضاً يعمل فيه ركلاً ورفساً ودعساً. تدرك السرجان وتمحدر على الأرض حتى استطاع أن يبتعد عنه لينجو «بريشه» ثم نهض ينفذ غبار المعركة عنه وانسحب يجر أذيال الخيبة والهزيمة. تلقن درساً ليس ينسى. أضيفت هذه الحادثة على دعوى الحلبي التي كانت بسبب مصادرة سلاح حربي منه. قضت المحكمة بالدعوى المزدوجة ولكن راعت مسألة الصلاة واعتبرتها أسباباً تخفيفية.

عودة الى التحقيقات:

أعيد الأمين عبد الله قبرصي الى السجن مع انه لا داعي لذلك أبداً ولكن هي سياسة المفوضية. ألم يكن من المفاوضين الحزبيين السياسيين؟ أعيد إلى السجن في 25 أيار 1940 حسبما جاء في مذكراته التي لديّ نسخة عنها. أعيد الى السجن مع «ان أثار السجن الأول قد بدت على كامل جهازي العصبي والهضمي، والصحي إجمالاً. ضغط وزوغان وفقدان الشهية. كنت أعالج وقد انهارت قواي. فإذا بالأمن العام من جديد يسوقني الى سجن القلعة ويزجني في «قاووش» لا يصلح لأقل الحيوانات شأناً وأعصابي لا تصلح بالحرية فكيف بالسجن. ساءت صحتي الى حد لا يطاق حتى اني لم أعد استطيع الوقوف على رجلي. كنت أوصي جورج عبد المسيح بعائلتي في حال موتي فيقول لي بلهجته الجبلية الجافة «موت وما عليكش».

«نقلت إلى مستشفى سجن الرمل الذي كان بعهدة الملازم كمال الزاهد. وفي الرابع من تموز يهرول كمال الزاهد صوبي ويسألني إذا كنت أريد أن أتغدى في منزلي فظننته مازحاً وإذا به يضع بين يدي قرار إخلاء السبيل موقعاً من الكولونيل كربونيه، رئيس المحكمة العسكرية.

«خرجت من السجن وانطلقت على جناح السرعة إلى «بتعبوره» وحملت بندقية الصيد وفررت من وجه المظالم ورحت أفترش التراب والتحف السماء».

«ومن يوميات عبد المسيح» انقل المقطع التالي بخصوص سجن القلعة: «في الخارج قوة معنويات الرفقاء تدفع واحدنا بهذا التجاوب الصافي إلى الصمود مهما كانت النتائج».

«قبرصي يشاء على ما يبدو ان يستبق الموعد. انه يقاسي المرض ويوصيني بالأولاد. اطمئنه: مت ولا تحمل هم الأولاد- ما عليك. اتفتق قريحته عن قصائد يوصي بها أولاد الشهيد- أولاده- بأن يسيروا على خطى والدهم؟ (ولا يزال الأمين قبرصي حياً في موكب أبناء الحياة). هل تقدم طلب انسحاب من الحرب يا عبد الله، فتموت قرير العين بين المرأة والأولاد؟ وينتفض عبد الله: «أنا لا أرضى الاهانة... ولو كانت من غيرك لثرت... ويعود يعني نفسه لي ويوصيني بالأولاد وأعود لاطمئنه: «مت وما عليك» ويتحدى الموت».

«حسن الطويل يهمة ان لا تهترىء كبده ويتوقف قلبه فيتهم انه مات في السجن لأن قلبه لم يحمل... (الأمين حسن لا يزال يحمل ذات الكبد الحرى حتى اليوم)».

وتصدر قرارات الاتهام وهي لا تفترق عما قبلها في سابقاتها في الاعتقالات الثلاثة الأخيرة ولكن الفرق بينها ان الأولى صدرت عن قضاء مدني «وطني» وهذه تصدر عن قضاء عسكري «أجنبي» التهم هي نفسها العمل ضد سلطة الانتداب لصالح دولة أو دول أجنبية كأن سلطة الانتداب الفرنسي سلطة وطنية!! التآمر ضد السلطات الوطنية في الشام وفي لبنان ما عدا مجموعة من التهم الصغيرة المبعثرة هنا وهناك من اثاره الحرب الأهلية وعقد اجتماعات ممنوعة، التسلح والتدريب، اعادة تنظيم حزب منحل، توزيع بيانات ومناشير مصدرها أجنبي أحييت هذه القرارات الى المحكمة العسكرية ورحنا ننتظر موعد المحاكمات.

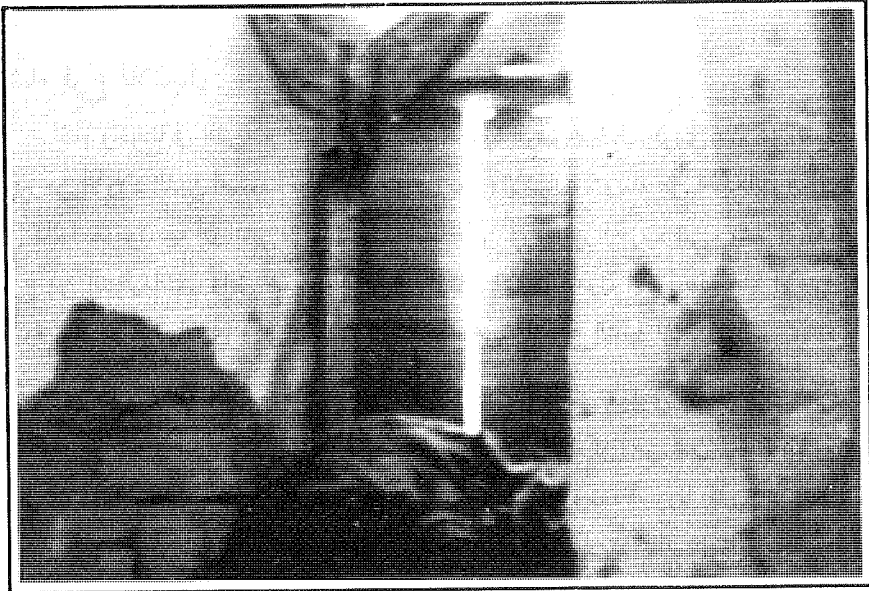
إنشاء فرع للأشبال:

أثناء وجودنا في القويطع اقترح منفذ عام الكورة الرفيق ميشال خوري بناء على العدد الوفير من الأولاد الذين أصبحنا نطلق عليهم فيما بعد «الأشبال»، وبناء على الخدمات الكثيرة التي كانوا يقومون بها أن ننشئ لهم تنظيمًا وان لم يكن في دستور الحزب شيء يشير إلى هذا النوع من التنظيمات. وافق عميد الداخلية بالوكالة الأمين مأمون اياس على هذا الاقتراح وأسوة بمديرية الأشبال في «كفرحاتا»، كانت هذه هي المديرية الثانية للأشبال.

وفي هذه الأثناء أيضاً وردنا نبأ من الرفيق «محموظ» فارس معلولي انه قد ترك الغرفة التي كان يسكنها وحيداً واستأجر بالاشتراك مع الرفيق أمين شكور من عين زحلنا الشوف غرفة غيرها أوسع، تستطيع أن تستقبلنا عند مجيئنا الى بيروت. سررنا كثيراً بهذا النبأ وأسرعنا إلى اختبارها لأن الأعمال الحزبية توسعت لدرجة صارت تتطلب منا وجوداً أكثر فعالية في بيروت. وعلى هذا الأساس جرب العميد اياس مشواراً إلى بيروت يرافقه الرفيق

«برون» وعادا سالمين، مسرورين بالمنزل الجديد المؤلف من غرفتين ودار ومطبخ وحمام، الخ... مركزه في شارع الحمراء بين شارع جان دارك وشارع عمر بن عبد العزيز. فقرأنا على ترك مركز القويطع وبناء على هذا القرار وجه إلينا مدير مديرية بتعبوره الرسالة التالية: تحية سورية قومية وبعد، تشرف هيئة مديرية بتعبورة وأعضاء قريتها بدعوتكم لحضور وليمة تقام على شرف العميدين الجليلين وذلك ابتداء من الساعة العاشرة والنصف تحت الصنوبرات في محلة «عسياتا» من هذا النهار على أمل ان تتناول دعوتنا هذه حضرة الرفيق السيد إبراهيم بشارة ولتحية سورية وليحي سعادة، في 22 ابريل 1940. التوقيع: المدير جورج الياس صعب».

بعد هذه المأدبة تركنا المنطقة مرة أخرى إلى بيروت وكان قد غدا لنا محطة في جل الديب منزل الرفيق جرجس خليل أبو جودة وأخرى في منزل الرفيق سليم سعد الله بين جل الديب وانطلياس وقد مكثنا فيها عدة أيام عدنا بعدها إليها نهائياً بعد أن سجلنا مغامرة جديدة في البترون وذلك في القيام بزيارة إلى الرفيقين حافظ منذر وأدمون فارس في مكثهما في شركة الريجي الكائن مقابل مبنى السرايا وقد دعينا إلى تناول الطعام في أحد المطاعم فلبينا وشاركنا في الغداء الموظف الصديق جورج توما الذي مر بنا. كان الجو صافياً للدرجة التي يتبين منها امكان القيام بعمل من هذا العيار «على المكشوف» تقريباً.



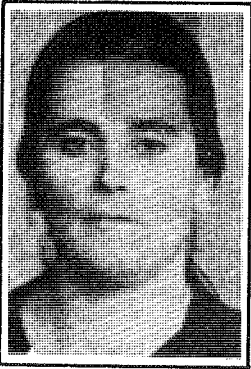
الشباك

بعد هاتين التجربتين قررنا مغادرة المركز في القويطع نهائياً في 10 حزيران 1940 وقد زرعنا شجرة في الحوش عند شبك «بيت رشيد» الشمالي الشرقي، تذكراً لوجودنا فيه منذ شهر أيلول 1939 الى حزيران 1940 أي ما يقرب من ثمانية أشهر ونيف وحفرنا على خشب الشباك هذا التاريخ التاريخي. انتقلنا الى بيروت مزودين بأدعية النساء والرجال، الكبار والصغار ودموعهم وتحياتهم وبركات الجميع ليحالفنا التوفيق والفلاح.

ذكريات لا تنسى:

أهم هذه الذكريات وأهمها من الناحية الحزبية التاريخية هي ذكرى سرمدية لهذه المنطقة من مناطق الوطن التي حافظ أهلها مع القوميين الاجتماعيين على سلامة قيادة الحركة السورية القومية الاجتماعية مما أفسح في المجال أمامها لاستمرار العمل الحزبي الدؤوب بالرغم من حالة الحرب وإعلان الطوارئ العسكرية ونظام التعقيم والمدهامات التفيتشية عن الفارين وخلفت جواً من الهدوء وراحة البال كأن الدنيا بألف خير. كيف لا ووجودنا السري فيها اندمج في الوجود الاجتماعي الذي لا يجوز لي أن أبرح المنطقة دون أن أمر ولو بلمحة خاطفة على ذكرياته الجميلة التي لا ولن تنسى.

أبدأها بذكر الرفيقة دبية موسى شاهين التي رعت شؤوننا طيلة مدة إقامتنا في المركز في بيت «الرشيد» وخصوصاً ذلك الاستقبال الملهوف وتقديمها الاسعافات الأولية لمعالجة وضعي التعس يوم داهمتني تلك العاصفة الهوجاء وأنا عائد إلى بتعبورة



الرفيقة دبية موسى شاهين
(ام انطون)

وغمرتني بذلك المطر المنهمر الذي أعمى بصري وصدمتني بسيول لا يمكن لذاكرتي أن تنساها. عند «عقبة» كفرحاتا بعد الوادي عند جسر «الحبشي» فوصلت إلى المركز وقد استحلحت كتلة من ماء تشر من كل مكان من ثيابي من أعلى رأسي حتى أخمص قدمي: مشاوير الليالي المقمرة على طريق «الروس» وصوت الرفيق أديب بربر الرخيم الحنون

يرافقها في الذهاب والاياب، يضيف علينا جواً من الطرب والانشراح ينسينا - ولو إلى حين - وضعنا المعرض للأخطار الهائلة المحدقة بنا من كل حذب وصوب، ليالي الدبكة و«مجزو» الرفيق سعد كنعان في بيته أو في أحد البيوت الأخرى، المآدب الليلية تقام بالتناوب في بيوت أهالي الضيعة برعاية الرفيق نقولا فرح المؤنسة الأحاديث الرزينة عند الرفيق الياس نصر، معلم الجيل، وهل يمكن أن ننسى جبور، الأخرس، وإيمانه الناطق بالإشارات التعبيرية، هل ننسى اندفاع المواطن إلياس خليل وحماسه للقضية فينبري لحل أزمة مالية عارضة إذ يسمعنا نتحدث عن أعمال حزبية نزمع القيام بها ولكن ينقصنا المال فيغيب لحظات عنا ليأتي لنا بليرة ذهبية عثمانية نيسر بها ما تعسر، هل ننسى يوسف بربر الذي جعل من بيته بيتاً لنا، هل ننسى الياس فياض وتحليله السياسية، هل ننسى طنوس سالم وزوجته الشابة بالرغم من كهولته، هذا من جهة الرجال، أما من جهة النساء فهل ننسى عطف أم حسيب وأمومتها وقلبها الكبير الذي لم ينبض نبضة الا بالمحبة والحنان وكذلك أم أديب وأم فؤاد وأم «برون» ومشاعر نبيهه واملين وناهيل وسكر وشقيقة وبدرا ولولو ومتيلدة وغيرهن مما قد أكون سهوت عن ذكرهن، يرافقتنا الجميع بدعاء السلامة إذ تنغيب في مهمة ولا يهدأ قلق الانتظار إلا عند عودتنا الميمونة.

هذا في بتعبورة أما في كفرحاتا فهل ننسى الخوري جرجس، والد الرفيق ميشال خوري وأدعيته الروحية ومعه الياس صوايا المتلهف لسماع أخبارنا دائماً وكذلك فارس قيصر الهاديء الرزين وبشارة سليمان والد المرافق «برون» الصلب العنيد، هل ننسى جورج غصن ويوم سمحت ان يعرف بوجودنا فانضم الى قافلة المؤتمنين على السر الخطير؛ هل ننسى المحامي جورج كرم وشقيقه طبيب الأسنان توفيق يوم شاءت الصدفة ان نلتقي في منزل مرافقتنا «برون» في زيارة مفاجئة فامتد بيكار دائرة العارفين بوجودنا السري إلى بلدة حامات، هل ننسى «الشيخ» أنطون حرب وزياراته في كلباتا؛ هل ننسى ميخائيل ضاهر من كفتون وتبرعه، عسى أن يفسح لي الوقت فأخصص لهذه المنطقة سجلاً خاصاً بها تستحقه عن جدارة وأهلية.

إن منطقة القويطع دخلت في تاريخ الحزب وسارت في ركابه وما تزال.

نشيد للحزب:

في ذلك البيت بيت «أم نجيب» قرب شارع الحمراء، الذي كان قد أستأجره الرفيقان فارس معلولي وأميين شكور والذي كنا نستخدمه محطة لنا، أنا ومأمون، في حلنا وترحالنا، في ذلك البيت وفي إحدى مناسبات الراحة من عناء التنقلات من منطقة

الى منطقة نظمت ولحنت هذا النشيد للحزب الذي ما يزال الكثير من الرفقاء القدامى
يحفظه نصاً ولحناً.

حيّ سوريا والزعيم	مستعداً للممات
مؤمننا حتى الصميم	فهما كل الحياة
صنهما صون النعيم	من أذى كل زعيم
أنت حاميهما	أنت فاديهما
فدماك الثمن	لحياة الوطن

أفد سورية والزعيم

أيها القومي قم ⁽¹⁾	وانطلق للمعمعه
واقذف الروح حم	تحت خفق الزوبعه
سر إلى أعلى القمم	باباء وشمم
حاملاً علمك	منشداً نغمك
فسعاده البطل	نال فينا الأمل

سوريه موحدّة

صيرّه البحر كفن	للطفاة المزمنين
واجعل القبر سكن	للعبيد المدمنين
واقترح كل المحن	وانتصر رغم الزمن
سائراً للامام	دائماً بانتظام
فسعاده العظيم	دك حصن الجحيم

سوريه محررة

عد وسيطر كالجدود	واملاً الدنيا هدى
وتبوا في الوجود	عرشه طول المدى
أنت تاريخ جديد	فاحفظ الكنز الوحيد
رايضاً كالأسد	ساهراً للأبد
فسعاده النبيل	حقّق المستحيل

سوريه فوق الجميع

(1) اختصار للايعاز التدريبي «استقم».

المركز الجديد :

لم يكن المنزل عند «أم نجيب» مستوفياً كل الشروط التي كان يتطلبها الموقف لذلك رحنا نبحث عن منزل آخر وبعد تفتيش دقيق وقعنا أو بالأحرى وقع «محموظ» على بناء تنطبق عليه الأوصاف السرية المفروض توفيرها فيه . هنأناه على توفيقه هذه المرة . لأنه قلما كان يحالفه التوفيق في المهمات التي كان يكلف بها ولذلك لقبناه باسم «مالمقيتو» كان يقع هذا البناء بين شارع الحمراء وشارع الحسين، المعروف «باللبان» . بناء وسط كروم توت، منفرد ، الطريق المؤدي إليه كناية عن ممر، متفرع من شارع الحمراء عند مبنى المخازن التموينية (مخازن تقلا). هذا الدرب - الممر - هو كناية عن زاروب، بين هذا المبنى وبين سياج من الغزار . لا أنارة عامة فيه . نستخدم ضوء «الكهرباء» في الليل وفي الليالي الماطرة نقفز من حجر الى حجر فالحجارة مشورة هنا وهناك لهذه الغاية بالذات لأن المياه تغمر الممر .

ويقول الأمين كامل أبو كامل في مذكراته المخطوطة :

ويقول الأمين الجزيل الاحترام كامل أبو كامل في مذكراته المخطوطة : فتسلم السلطة التنفيذية السيد مأمون اياس يعاونه جبران جريج ، وفارس معلولي، واستمر مأمون اياس على إدارة الأعمال الحزبية وقتاً طويلاً، متخذاً له من بناية فيها بيت الرفيق نجيب حلاوة مركزاً لأعماله حيث كان لا يتصل به في هذا البيت المنعزل، إلا القلائل من المسؤولين الذين كانوا يأتون البيت بسرية وحذر كبيرين والبناية - كانت تقع في نقطة قريبة من أوتيل الكومودور اليوم حيث كان الوصول إليه صعباً جداً فهذه المنطقة التي أصبحت اليوم مقصداً لكل الناس والغرباء، أي منطقة رأس بيروت والحمراء . بصورة خاصة، كانت في ذلك الوقت ملجأً للفارين من وجه الملاحقات الحكومية، وكما يقولون في العامية «ملجأً للفرارية» وللوصول إلى هذا البيت كان يتطلب المرور . بزوارب تتفرع من شارع الحمراء حالياً وكان شارع الحمراء بساتين أيضاً والزوارب يججها الصبير الذي كان يستعمل كسياج للساتين بدل الشريط الشائك، وأحياناً ما كنا نضيق الطريق لصعوبة المسالك ولولبتها .

نشاط الزعيم والحزب عبد الحُدود

والآن نترك الوطن يضحج اكباراً وإعجاباً بمواقف الحزب السوري القومي المعلنة في سلسلة البيانات المذكورة، الحزبية البحتة منها والحزبية السياسية لنعود الى الارجتين، نرافق الزعيم فيها بعد احتفال أول آذار الضخم.

كنا تركناه في تلول «كردبا» في نزهة استمرت حتى 31 آذار والتي فيها تحسنت صحته تحسناً محسوساً كما جاء في رسالة له الى الرفيق جورج بندقي بتاريخ 3 نيسان 1940 ولكن ماذا جرى في عيابه. بدأ انكشاف الرفيق حسني عبد الملك ثم خالد أديب فروائيل لحود والشاعر ذكي فنصل. والآن نبدأ باختصار سرد مشكلة الرفيق عبد الملك. أول ما يرد ذكر لهذه المشكلة في رسالة بعث بها الرفيق جورج بندقي الى الزعيم والتي ورد في جواب الزعيم عليها هذه الفقرة «أهنتك بعنايتك بإبلاغي ما كتبه إليك الرفيق حسني عبد الملك وأطلب منك أن تكتفم جميع هذه المعلومات عن كل إنسان آخر، داخلي أو خارجي. وهذا الموقف للرفيق عبد الملك يمكن أن يضاف إلى حوادث أخرى له وتكون سلسلة تقود الى معرفة نياته. قد يكون هذا الشعور طيباً من الرفيق عبد الملك وقد يكون إظهار هذا الشعور الطيب بهذه الصورة وفي هذا المكان وسيلة إلى أشياء أخرى».

واني أورد هذا السرد لأعطي صورة تصح ان تكون مثلاً يجتذى في معالجة الانحرافات أو الشذوذ أو الاستغلال عند بعض الذين انتموا الى الحزب لغايات يبيتونها وفيما يلي تكملة لهذا السرد. فقد ورد في رسالة الزعيم إلى الرفيق جورج بندقي تاريخ 10 نيسان 1940 بهذا الصدد: «في جوابي على كتابك المؤرخ في 23 مارس الماضي الذي تذكرني فيه ما كتبه إليك الرفيق حسني عبد الملك ذكرت لك ان هذا التصرف من قبل الرفيق المذكور قد يكون الشعور الطيب البادي فيه ستاراً للوصول الى مسائل أخرى.

فمنذ مدة والاستخبارات الحزبية توصل الى معلومات عن هذا الرفيق . وتذكراني لم أكن راضياً عن مخابرتك رأساً له في صدد تعيينه واني أرسلت أستوضح المجلس الإداري أن كنت كلفته مخابرة السيد عبد الملك رأساً أو كان التكليف يقتصر على اتخاذ قرار بتعيين أجرة عمله . والآن تبين أن «الشعور» الذي أظهره السيد عبد الملك ليس سوى مناورة تجوز على عقلية الفوضى اللاقومية . ولكن نظام الحركة القومية لا يقبلها . فمكتب الزعيم لم يكن يوماً بحاجة الى مساعدة عبد الملك أو من هو مثله فالحزب هو الذي يتكفل بشؤون مكتب الزعيم ورحلته . أما الحفلة فقد كان الاقبال عليها عظيماً وكانت التبرعات كثيرة . ويخشى والمرجح أن حصل تلاعب بالدخل أشبه بالتلاعب الذي حصل من قبل جميل صفدي في البرازيل والمسائل الآن تحت التحقيق لذلك أطلب منك مراقبة رسائل عبد الملك قبل نشرها وقد يرد إليك خبر بوجود توقيف السيد عبد الملك عن العمل في «سورية الجديدة» وهذا الأمر يجب أن نحفظ به سرّاً مكتوماً عن كل إنسان حتى أشير عليك» .

ثم في رسالة الزعيم الى الرفيق جورج بندقي تاريخ 16 نيسان 1940 يتابع الزعيم مسألة الرفيق حسني عبد الملك فيقول: «وردني العدد (61) وهو خلو من مقالة السيد عبد الملك . والظاهر انه قد أوقف الكتابة فيمكنك أن ترسل كتاباً إليه تقول انه أشير عليك بالاستغناء عن مراسلته . والحقيقة اني لم أكن مسروراً لرسائله فقد كانت كلها مقالات وأكثرها تقليد وترجيع لمقالات الرفيق جبران مسوح . وهذا مخالف للاتفاق إذ تعهد السيد عبد الملك بإرسال رسالة عن الأرجنتين عدا عن مقالة يرسلها علاوة . وهو لم يكن يهتم بمراجعة مكتب الزعيم للحصول على المعلومات والتوجيهات ولم يكن يهتم باستقاء الأخبار والتعليق عليها وهي أهم من مقالاته . إن السيد عبد الملك معرّض الآن لتجربة شديدة لا أدري إذا كان يبقى شيء حقيقي من قوميته التي تظاهر بها بعدها .

أحفظ الكتاب الذي أرسله إليك ويقول فيه انه انفق المال على مكتب الزعيم والحفلة . فهذا التظاهر بأنه ذو فضل على مكتب الزعيم في حين ان مكتب الزعيم هو صاحب الفضل عليه بإيجاد شغل له يساعده على عيشه وما يمكن أن يضاف إلى ذلك من تحقيقات في الشؤون المالية التي تسلمها باسم لجنة الحفلة، كل ذلك قد يشكل فضيحة للسيد المذكور . إن هذه الحقيقة مرّة، لأنها ترى كم كان الشعب مخدوعاً بطبقة واسعة من «الأدباء» و«الوطنيين» الذين لا يجمعون عن التظاهر بالقومية أيضاً، ولكن الحركة القومية تكشف حقيقة كل إنسان بنظامها الدقيق» .

وبعد هذه المراسلات قام الزعيم بنفسه بإجراء تحقيق واسع في مسألة الأموال التي جمعت للحفلة المذكورة - حفلة الأول من آذار - فتبين التلاعب وسوء الائتمان وقد شارك عبد الملك فيها الرفيق جبران سابا فأصدر مرسوماً بطردهما من الحزب .

تعميم من مكتب الزعيم :

«أصدر الزعيم مرسوماً بتاريخ 25 فبراير الماضي بطرد السيدين رشيد شكور ونديم شحفة (في سان باولوا البرازيل) بناء على تقارير الإدارة هناك بانفلات الأول من النظام الحزبي وعمله لمآربه الخصوصية وبخيانة الثاني المبدأ القومي وحنثه بيمينه كما هو ثابت في التقارير الرسمية .

وأصدر الزعيم قراراً في الرابع والعشرين من شهر مارس الماضي بفصل الأمين خالد أديب عن مرافقة الزعيم وإقالته من وظيفة معاون وكيل مكتب عبر الحدود وإحالاته إلى سلك الإذاعة برتبة مذياع عام بدون صلاحية إدارية .

وأصدر الزعيم بتاريخ الخامس والعشرين من ابريل الماضي مرسوماً بطرد السيدين حسني عبد الملك وجبران سابا لثبوت عمل الأول لمآربه الخصوصية وسوء ائتمانه في المسائل التي عهد بها إليه . ولمشاركة الثاني الأول في التصرفات الخارجة على النظام والمقصود منها التلاعب ببعض الأعمال والنتائج الروحية والمادية .

وأصدر الزعيم قراراً بتاريخ أول مايو الجاري بمقاطعة جريدة السلام التي يستخدمها المطرود من الحزب حسني عبد الملك لنشر مطاعن ومثالب في الحركة السورية القومية سترأً للفضائح المعرّض لها .

فعليكم أن تتخذوا جميع التدابير الإدارية والسياسية لتطبيق أحكام هذه المراسيم والقرارات ضمن نطاق إدارتكم بكل دقة وسرعة وخذوا علماً بأن المطرودين لأسباب تلاعب وخيانة ولسوء قصد بالحركة القومية يقاطعون مقاطعة كلية من قبل جميع القوميين في جميع الشؤون والمعاملات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ويحاربون في جميع مشاريعهم وأعمالهم التي لها علاقة بالمسائل العامة ويكون على القوميين واجب تحذير الرأي العام من مفاسدهم ومقاصدهم السيئة لكي لا يظل الشعب غافياً عن مآربهم ومنقاداً الى شعوذاتهم .

وتفضلوا بقبول السلام القومي ولتحية سورية .

صدر عن مكتب الزعيم في 3 مايو 1940 .

وفي 13 تموز 1940 صدر عن مكتب الزعيم البلاغ التالي نصه: «بناء على ظهور مسؤولية الرفيق خالد أديب في توقيف الزعيم في البرازيل وتعريض وثائق مكتب الزعيم للوقوع في أيد غريبة ولاهماله الأعمال المكلف بها ولعدم أداء وظيفة «معاون الوكيل العام لمكتب عبر الحدود» حقها، فقد صدر قرار بتاريخ اليوم يقيله من هذه الوظيفة الاذاعية التي كان قد نقل إليها وبتجريده من رتبة الأمانة. وقد كان تبيان مسؤولية الرفيق أديب أمام جمع من القوميين ضم نحو خمسين شخصاً».

بلاغ مكتب الزعيم

«وردت مكتب الزعيم من البرازيل اخبار تفيد ان المدعويين الدكتور وديع صفدي وجميل صفدي يذيعان أخباراً عن الحركة السورية القومية الاجتماعية ويدعيان تمثيلها أو تمثيل رأي الزعيم في البرازيل ولما كانت جميع ادعاءات هذين الشخصين عارية من الصحة ولما كان الزعيم قد قطع كل علاقة له بهما بعد أن تبين مقاصدهما التي لا تتفق مع مبادئ النهضة القومية فكل عمل يأتيه هذان الشخصان وكل قول يقولانه هو من عندياتها ولا علاقة له بموقف الحركة السورية القومية.

ولكي لا تبقى هناك مسائل غامضة فمكتب الزعيم يعلن انه قد تبين ان الشخصين المذكورين سعياً لنقل الزعيم من التوقيف الى بيت عائلتهما بدون استشارة وانها فعلاً ذلك بعد اقتناع بيت شقيقة الزعيم وبيت نسيبه السيد وديع عبد المسيح ان هذه هي رغبة الزعيم، لغرض خاص بهما. وقد اختفت في بيتهما وثائق حزبية مسؤول عنها مباشرة المدعو جميل صفدي ومداورة الدكتور وديع صفدي بناء على تصريحه انه لا يأتي جميل أمراً إلا بعد استشارته وهي الأوراق التي استعيدت من دائرة التحقيق الاجتماعي والسياسي. وقد ثبت من الأخبار المتواترة أن هذين الشخصين قد اساء استعمال الشرف الذي اناهما اياه الزعيم بقبوله النزول في بيتهما وقد تظاهرا حيناً بأنهما قوميان ولكنها ليسا قوميين وغير معدودين في صفوف القوميين، وقد عطلت كل علاقة رسمية أو غير رسمية لها بالحركة القومية أو بمكتب الزعيم منذ شهر تموز 1939» صدر عن مكتب الزعيم بتاريخ 13 تموز 1940.

(التفاصيل عن طرد حسني عبد الملك وجبران سابا في «سورية الجديدة» في العدد 65 تاريخ 11 أيار 1940 وفي العدد 76 تاريخ 27 تموز 1940).

محاضرة الرفيق ساسين

من محطة «تناناريف» في جزيرة غينيا يواصل الرفيق ساسين حنا ساسين محاضراته

في اللغة الاسبانية. عنوان هذه المحاضرة الآن «سلوا التاريخ» (منشورة في «سورية الجديدة» في العدد 60 تاريخ 6 نيسان 1940).

وفي البرازيل يبدأ نشاط الرفيق ويليم بحليس يعاونه الرفيق أبراهيم حبيب طنوس يعطي ثماره. (أ) في محاولة إدخال الأديب نجيب العسرواي. (ب) في زيارة إذاعية إلى بلو أوريزونتي. (ج) التعاون مع الخوري جورج قصاص الذي يود الانتماء الى الحزب. وبهذا الصدد يقول الزعيم: «إن مبدأنا القائل يمنع رجال الدين من التدخل في شؤون السياسة والقضاء القومييين يجعل هذه المسألة دقيقة. ومع ان هذا المبدأ لا يمنع قبول رجال الدين في الحركة القومية باعتبار انهم يريدون أن يدينوا بالمبادئ القومية ويطبقوا فكرة الحركة على أنفسهم والمجتمع...» أما فرع «سان باولو» فما يزال نائماً أو غارقاً في حالته التجارية ولولا اهتمام الزعيم به من الأرجنتين لما كان يمكن توقع شيء من جهته.



الرفيق ساسين حنا ساسين



الرفيق ويليم بحليس

في المكسيك أقامت المنفذية مهرجاناً إذاعياً على مسرح «ايدلفو» امتاز ببرنامج ضخم من خطاب للمنفذ العام الأمين عساف أبو مراد واشترك الرفقاء مبيض ونحاس وصعب وخطاب بالاسبانية للمحامي الياس سمعان وقد نوه الحاضرون بالدبكة التي استحوذت مشاعرهم وعواطفهم.

الوضع الحزبي:

والحقيقة إن القوميين في اتحادهم والفتهم أوجدوا في الجالية حياة إجتماعية جديدة لم تكن معروفة من قبل. وهذه أول مرة نرى جمهوراً من السوريين فيهم السني والعلوي والدرزي والشيعي كما فيهم الارثوذكسي والكاثوليكي والسرياني. وكلهم بروح واحدة وعاطفة واحدة لا يهتفون إلا باسم سورية والوطن الجديد الذي يضمهم كلهم تحت لواء المبادئ القومية الصحيحة.

الزعيم في ستياغو:

أمضى الزعيم في ستياغو عشرة أيام كانت مزدحمة بالأعمال فمن شرح للمبادئ القومية الاجتماعية ومن فتح النور أمام بصائر أبناء المغتربين ليروا تاريخ وطنهم الأصلي المجيد وقد حضر إحدى هذه الجلسات أستاذ في التاريخ خرج مندهشاً بعد لقائه مع الزعيم لسعة اطلاعه ووفرة معلوماته التاريخية وعند خروجه صرح «إن هذا الرجل فخر لكم فمجدوه».

وأعطي مثلاً على الشرح الذي كان يتولاه الزعيم مع هؤلاء الشباب المولودين في الاغتراب انه وضع خارطة أمامهم وأخذ يفند مراحل التاريخ بدءاً من اكتشاف الألبجدية إلى بناء المدن على السواحل والأساطيل البحرية التي فتحت الأمصار أمام التجارة وكذلك مشاركة المرأة للرجل في كل هذه الانجازات.

أطلعهم على اعداد من مجلة «الزوية» التي تصدر في المكسيك فتخاطفوها وأعلن العديد منهم انهم سيدرسون العربية ليتمكنوا من الاطلاع أكثر. لقد أزال الزعيم عنهم كابوساً كان يجثم على صدورهم بأنهم من بلاد لا تاريخ مجيداً لها!!!

ثم انتقل الزعيم إلى تكمان المجاورة حيث تفقد المديرية الحديثة فيها فسر من الاقبال عليها. هذي هي الزيارة الثانية فقد تركهم في حال وهو يراهم الآن في حال ثانية. ازداد عددهم. تقدموا في روحيتهم. ارتقوا في فهم القضية من أساسها. صاروا شجعاناً بوسائل أمام كل أنواع الصعوبات التي يمكن أن تعترض مسيرتهم. والجدير بالذكر إن المصور الخاص لأعظم جريدة تصدر في هذه المدينة أخذ صوراً للجماهير عند الاستقبال صدرت في اليوم التالي تزين الصفحة الأولى برسم الزعيم من الحجم الكبير مع تفصيل واضح عن معنى قدوم الزعيم وقضيته السورية القومية الاجتماعية.

ترك الزعيم سنتياغو وقد أنشأ فيها مديرية عين لها الرفيق نسيم خزيمة مديراً لها وكان من ثمرة هذا الإنشاء أن قامت هذه المديرية بزيارة إلى مديرية تكمان للتعارف.

تكلم في هذا اللقاء الرفيق جميل نعمة عن مديرية تكمان باللغة الاسبانية ومن اجل ما قاله: «نعم، اننا أرجنتينيون وهذه البلاد ولدنا فيها وعلينا نحوها واجب مقدس ولكننا دائماً اسمنا «أولاد سوريين» فيجب أن يعرف العالم ما هي سورية وما هو تاريخها. . . فإذا حققنا أمانى آبائنا المقدسة يصير اسمنا «أرجنتينيون من أصل سوري، له اسمه وتاريخه». ثم تكلم الرفيق جورج شهوان عن واجبات السوري في مغتربه وكان مسك الختام كلمة مدير مديرية سنتياغو الرفيق نسيم خزيمة التي تطرق فيها إلى علاقات السوريين بالبلاد النازلين فيها واستشهد بكلام أحد الوزراء الذي اثنى على هذه العلاقات الجيدة ثم هاجم الرجعية والرجعيين الذين يقاومون النهضة السورية القومية وبس ما يعملون.

في الارجتين:

فكرتان يحاول الزعيم تحقيقهما كما مرّ بنا فكرة تتعلق بإنشاء الجمعية السورية الثقافية وفكرة عقد مؤتمر قومي للمسؤولين في أحد بلدان الاعتراّب. ويبدو ان الفكرة الأولى قد خطت عدة خطوات نحو التحقيق اما فكرة المؤتمر فما تزال في حيز البحث والمراسلة بين الزعيم وفروع عبر الحدود كافة.

في 8 أيار يقوم الزعيم بزيارة إلى مدينة سنتياغو. بناء على دعوة تلقاها منذ مدة لزيارتها فتأجلت الى هذا الوقت بسبب كثرة الأعمال. استقبل الزعيم في محطة «لا بندا» وكان القوميون الاجتماعيون من مديرية «تكمان» المجاورة في عداد المستقبلين. من هذه المحطة انتقل الزعيم الى سنتياغو يرافقه رتل من السيارات.

وفي المساء امتلأت فسحة الدار، التي حل فيها الزعيم ضيفاً، بالناس صفوفاً مرتبة وكلهم ينتظرون لتحيته وسماع أقواله. ومع أن الزعيم لم يكن مستعداً للكلام في تلك الساعة لأنه لم يأخذ راحته بعد من عناء السفر، مع ذلك فبالنسبة للشوق الذي قرأه على وجوههم وبالنسبة للأصغاء الذي كان كله لهفة بدأ الزعيم حديثه الذي تحول

الى شبه محاضرة استمرت نحو ساعتين. واني أنقل عن «سورية الجديدة»، العدد 67 تاريخ 25 أيار 1940 ملخصاً لهذا الحديث - المحاضرة.

«أخذ الزعيم يعدد أمراضنا الاجتماعية والاخلاقية وما وصلنا إليه من الضعف وعدم الثقة وقال ان أعظم ما أصبنا به هو اننا نسينا تاريخنا وصرنا حائرين كاليتيم الذي يجهل أباه وأمه ويهتم دائماً بكشف هذا السر فيقول في سره بلهفة: من هو أبي ومن هي أمي؟»

والحقيقة ان اليتيم الذي يجهل أباه وأمه لا يمكن أن تكون شخصيته كاملة لأنه يشعر دائماً انه ينقصه شيء. وان هذا الشيء لا يمكن أن يستعوض عنه بشيء آخر. إن الكرامة لا يحل محلها شيء لأنها الغرض الاسمي في الحياة، والشعوب متى عرفت قيمتها الحقيقية تموت في سبيلها.

يجب على السوري أن يعرف من هو أبوه ومن هي أمه. أي أن يراجع تاريخه ويدرسه بتدقيق وإمعان. ومتى لاحق هذه القضية يدرك أنه ليس يتيماً بل هو ابن تاريخ مجيد. وإن بلاده أعطت إنتاجاً في أسواق الرقي الإنساني مثل أعظم الأمم بل أكثر منها.

إن وجود السوري في العالم ليس من الأشياء التي يمكن الاستغناء عنها. بل هو كائن لازم وضروري للحضارة والثقافة وترقية النوع البشري. فنحن يجب أن نكون أمة عظيمة حرة ليس لمصلحتنا فقط بل لمصلحة الإنسانية كلها. إن السوري متى تحرر من قيوده وانطلق فكره يعطي العالم تفكيراً جديداً هو بحاجة إليه.

ثم أشار الزعيم الى الحرية التي يتغنى بها السوريون وأولادهم في أميركا. «إن هذه الحرية لا يجوز لأحد منا أن يفتخر بها لأنها ليست لنا ولا نحن اشتركنا في تكوينها فهي حرية مستعارة، ظهورنا بها كمن يظهر أمام الناس بثياب غيره. إن الحرية مثل الثروة لا يجوز لأحد أن يفتخر بها إلا إذا جناها بعرق جبينه. عندئذ يمكنه أن يقول: هذا لي. والسوري في أميركا مهما تمتع بأنواع الحرية لا يمكنه أن يقول: هذا لي. بل هو يشعر دائماً انه عبء على غيره ويتمتع بما لسواه وان هذه الحرية جاءت عن طريق العطف والحنان. وكل حرية من هذا النوع لا تجلب للإنسان غير الألم والمرارة.

بعدها أخذ الزعيم يتكلم عن الصراع بين مبدأ القيمة المادية للحياة الإنسانية

الممثل بالشيوعية ومبدأ القيمة الروحية الممثل بالفاشية فقال إن الحياة الإنسانية يجب أن تعتبر حاصلًا مادياً روحياً. هذا ما تقول به الفلسفة السورية القومية الاجتماعية. وهذه الفلسفة يحتاج إليها العالم كله لا سورية فقط.

وتطرق الكلام عن مؤسسة الديمقراطية في العالم كذلك سورية القومية هي التي تضع أمام العالم اليوم فكرة «التعبير عن الإرادة العامة» بدلاً من فكرة «تمثيل الإرادة العامة» التي لم تعد تصلح للأعمال الأساسية لحياة جديدة. إننا نشق في الحياة طريقاً جديداً نختاره نحن لأنفسنا ونعتمد عليه في تفكيرنا الخاص وسوف يكون هذا الطريق من جملة الانتاج الذي يأخذه الناس عنا. إن التفكير الحاضر دخل في طور الشيخوخة في العالم كله والبشرية بأسرها تنتظر تفكيراً جديداً تنال به سعادتها وراحتها وحريتها وهذه البضاعة الجديدة سيخرج أكثرها وأفضلها من سورية، بلاد العبقريّة والنبوغ.

إن الديمقراطية الحاضرة قد استغنت بالشكل عن الأساس فتحولت الى نوع من الفوضى لدرجة ان الشعب ذاته أخذ يثن من شلل الأشكال التي أخذت على نفسها «تمثيل» الإرادة العامة وصار ينتظر انقلاباً جديداً. وهذا الانقلاب الجديد هو ما تحجىء به الفلسفة السورية القومية القائلة بالعودة الى الأساس والتعويل على «التعبير عن الإرادة العامة» بدلاً من «تمثيل الإدارة العامة» الذي هو شكل ظاهري جامد. فالتفكير السوري القومي الجديد هو إيجاد طريقة جديدة اسمها «التعبير عن إرادة الشعب»، وقد يكون هذا التعبير بواسطة الفرد أو بواسطة الجماعة حسبما يتفق أن يوجد. فهذه الفكرة الجديدة أي «التعبير عن إرادة الشعب» هي اكتشاف السوري الجديد الذي ستمشي البشرية بموجبه فيما بعد. وهو دستورنا في سورية الذي نعمل به لنجعل البلاد دائماً كما تريد الأمة.

إن الأمم كلها تريد الخير والفلاح. ولكن المشكل هو في إيجاد التعبير الصالح عن هذه الإرادة. فالإرادة العامة إذا لم تجد «التعبير الصحيح في فكرة واضحة وقيادة صالحة تصبح عرضة لأن تقع فريسة للمطامع والمآرب «التمثيلية».

فالتمثيل هو دائماً أهون من التعبير لأن التمثيل شيء جامد يتعلق بما قد حصل أما التعبير فغرضه الإنشاء وإدراك شيء جديد. هذا هو الخلل الاجتماعي الذي يريد التفكير السوري الحديث أن يصلحه: «فهم إرادة الشعب وإعطائها وسائل التنفيذ الموافقة».

ثم أخذ الزعيم يسرد شيئاً عن حضارة السوريين في الماضي والمبادئ الصالحة التي أخذها الناس عنهم فذكر نشوء الديمقراطية في سورية التي ظهرت لأول مرة في التاريخ البشري بواسطة انتخاب الملوك في الدول السورية. ثم ذكر الشيء الكثير عن الثقافة العمرانية وإنشاء المدن البحرية وتحسين الوسائل الاقتصادية عن طريق الزراعة وغير ذلك من وسائل الرقي الإنساني التي كانت كلها مما أنتجه الفكر السوري أي ان سورية كانت ينبوع الأول لكل هذه العوامل.

كانت كلمات الزعيم تقابل بالتصفيق الحادّ وكانت الجماهير تصغي إليها بانتباه كليّ وما انتهت السهرة حتى كان حضرته مفهوماً من الجميع وكانت مهمته النبيلة ملء الأفتدة والقلوب وفي اليوم الثاني ما كنت تسمع إلا الحديث عن النهضة السورية القومية الاجتماعية. (سورية الجديدة - العدد 25 أيار 1940).

نداء الزعيم الى الشعب السوري

أيها الشعب السوري العظيم:

في هذه الظروف العصيبة التي يجتازها العالم وتقف فيها أمتنا بين النهوض والسقوط، أعود إلى توجيه خطابي إليك لتكون على بينة من أمرك فيما يختص بالظروف الحاضرة وما ستجره عليك، كما جرت على غيرك من الشعوب، كل شعب وما استحقه تاريخه وموقفه.

أيها الشعب السوري العظيم، اني أخاطبك أنت نفسك، أي اني لا أوجه كلامي إلى طبقة واحدة من طبقاتك ولا إلى جماعة واحدة من جماعاتك، وأخص من هذه الجماعات جماعة صناعة الكلام من عهد الانحطاط الذين لا يعنون بشيء غير الكلام ولا يقيمون لقيمة من قيم الحياة وزناً غير الكلام، فالكلام عندهم هو الفن وهو الحياة. فهم فن كلام وحياتهم حياة كلام وكلامهم ثرثرة مضجة من الأول إلى الآخر، هذه الجماعة استنيتها من مجموع الشعب الذي أخاطبه لأنها ليست منه في حياتها وشعورها.

إني أخاطبك أنت، أيها الشعب السوري العظيم! المؤلف من الفلاح المنتج بعرق جبينه والتاجر الساهر على خطط النجاح الاقتصادي والعامل الدائب على العمل الصناعي المولد الثروة العامة والجندي الواقف على سلاحه للدفاع عن حق الأمة والعالم المكب على درس طبائع الأشياء ليستخرج منها معظم الفوائد لخير المجتمع وفلاحه، والصناعي الذي يفتح للأمة موارد جديدة للثروة - من جميع المنصرفين عن الكلام الى العمل المنتج، الذي به رفاه الشعب وخير الأمة - من جميع هؤلاء الذين عدتهم ويؤلفون الشعب في حقيقته.

أيها الشعب السوري الحمي!

إن الحرب قد استعرت نارها في أوروبا منذ شهور وأخذت ألسنتها تندلع في

ثم أخذ الزعيم يسرد شيئاً عن حضارة السوريين في الماضي والمبادئ الصالحة التي أخذها الناس عنهم فذكر نشوء الديمقراطية في سورية التي ظهرت لأول مرة في التاريخ البشري بواسطة انتخاب الملوك في الدول السورية. ثم ذكر الشيء الكثير عن الثقافة العمرانية وإنشاء المدن البحرية وتحسين الوسائل الاقتصادية عن طريق الزراعة وغير ذلك من وسائل الرقي الإنساني التي كانت كلها مما أنتجه الفكر السوري أي ان سورية كانت الينبوع الأول لكل هذه العوامل.

كانت كلمات الزعيم تقابل بالتصفيق الحادّ وكانت الجماهير تصغي إليها بانتباه كليّ وما انتهت السهرة حتى كان حضرته مفهوماً من الجميع وكانت مهمته النبيلة ملء الأفتدة والقلوب وفي اليوم الثاني ما كنت تسمع إلا الحديث عن النهضة السورية القومية الاجتماعية. (سورية الجديدة - العدد 25 أيار 1940).

نداء الزعيم الى الشعب السوري

أيها الشعب السوري العظيم:

في هذه الظروف العصيبة التي يجتازها العالم وتقف فيها أمتنا بين النهوض والسقوط، أعود إلى توجيه خطابي إليك لتكون على بينة من أمرك فيما يختص بالظروف الحاضرة وما ستجره عليك، كما جرت على غيرك من الشعوب، كل شعب وما استحقه تاريخه وموقفه. أيها الشعب السوري العظيم، اني أخاطبك أنت نفسك، أي اني لا أوجه كلامي إلى طبقة واحدة من طبقاتك ولا إلى جماعة واحدة من جماعاتك، وأخص من هذه الجماعات جماعة صناعة الكلام من عهد الانحطاط الذين لا يعنون بشيء غير الكلام ولا يقيمون لقيمة من قيم الحياة وزناً غير الكلام، فالكلام عندهم هو الفن وهو الحياة. ففهم فن كلام وحياتهم حياة كلام وكلامهم ثرثرة مضجة من الأول إلى الآخر، هذه الجماعة استشيها من مجموع الشعب الذي أخاطبه لأنها ليست منه في حياتها وشعورها.

إني أخاطبك أنت، أيها الشعب السوري العظيم! المؤلف من الفلاح المنتج بعرق جبينه والتاجر الساهر على خطط النجاح الاقتصادي والعامل الدائب على العمل الصناعي المولد الثروة العامة والجندي الواقف على سلاحه للدفاع عن حق الأمة والعالم المكب على درس طبائع الأشياء ليستخرج منها معظم الفوائد لخير المجتمع وفلاحه، والصناعي الذي يفتح للأمة موارد جديدة للثروة - من جميع المنصرفين عن الكلام الى العمل المنتج، الذي به رفاه الشعب وخير الأمة - من جميع هؤلاء الذين عددهم ويؤلفون الشعب في حقيقته.

أيها الشعب السوري الحمي!

إن الحرب قد استعرت نارها في أوروبا منذ شهور وأخذت ألسنتها تندلع في

اتجاهات عديدة، ومرة أخرى، بعد نحو ربع قرن، تجد أمتنا نفسها أمام خطر عظيم وفرصة نادرة، فالحرب تهدد بالامتداد الى البحر المتوسط فتتناول ناراها وطننا حتماً.

إن هذا الخطر العظيم لم يكن شيئاً مفاجئاً لي أو غير متوقع عندي، بل كنت أراه من قبل وفعلت كل مقدوري لاعداد العدة له. ففي اليوم الخامس من شهر مايو 1934 وجهت نداء إلى الجالية السورية في البرازيل بمناسبة وفاة أبي في سان باولو قلت فيه: «ويحسن بنا في هذا الزمن العصيب ان نذكر دائماً أننا على قيد خطوة من حرب جديدة لا يدري أحد ما تكون نتيجتها ولكننا نحن ندرى أن وطننا سيكون مسرحاً من مسارحها وان أمتنا ستكون من جملة الأمم المقدمة الضحايا فيها. وهذا أمر لا بد انه واقع، أردنا أم أبينا، فماذا أعددنا للساعة الآتية».

ومع اني أعلنت هذا الرأي في سنة 1934 الذي أصبح اليوم حقيقة راهنة فقد كنت أراه قبل ذلك الوقت. كنت موقناً ان أوروبا متجهة نحو حرب جديدة وان سورية ستكون ميداناً من ميادينها، وكانت هذه الفكرة ترافقني في جميع مشاريعي وخططي فوجهت قسماً كبيراً من اهتمامي، منذ أسست الحزب السوري القومي الاجتماعي الى إنشاء الجيش السوري القومي، الذي أردته أن يكون عدة الأمة السورية وقت الشدائد وبذلت كل ما في وسعي لأجعله قوة حقيقية ذات شأن خطير في جعل ارادتنا محترمة وحقوقنا في إعادة تنظيم الشرق الأدنى محفوظة.

رأيت الخطر الجديد مقبلاً ولكني رأيت فرصة الانتصار القومي والأنقاذ مقبلة معه فلم يكن قصدي من إنشاء الميليشيا القومية دفع الخطر فقط بل تحقيق سيادتنا القومية واسترجاع حقوقنا المهضومة وجعل إرادتنا في شؤون شرق المتوسط نافذة. اني قصدت تجهيز الأمة السورية ليوم عظيم نغير فيه وجه التاريخ.

هذا القصد أعلنته بصورة جلية لا تقبل الشك منذ وضعت مبادئ الحزب السوري القومي وباشرت الدعوة إلى العمل القومي المنظم، فما سنحت فرصة إلا واغتنمتها لأظهاره فضمته أحاديثي وخططي وتنظيماتي وأعلنته في مبادئ الحركة القومية وفي خطاباتي وكتاباتي خصوصاً خطاب أول يونيو 1935، الذي عين المهاج العملي للحزب السوري القومي والاتجاه الحقيقي لسياسته.

رأيت الحرب مقبلة ورأيت أمتي مبللة الرأي مفسخة الروحية، مفككة الأجزاء، مقطعة الأوصال، فجعلت هي الأول جمع رأياها وتوحيد روحيتها ولجم السياسة الداخلية والمساومات الخارجية كما فعلت الشركات السياسية، التي أعلنت صفتها وازحت الستار عن خفايا مآربها.

بل سرت إليها عن طريق الإنشاء القومي في الداخل وتعطيل خطط الإيرادات الأجنبية الرامية إلى التدخل في شؤون الشعب السوري الداخلية وزيادة طين المسألة السورية بلة. فأسست الحزب السوري القومي وأعلنت في خطابي الرسمي في أول يونيو 1935 مناهج الإنشاء القومي في الداخل وموقف الحزب من الدول الأجنبية والإرادات الخارجية. فلما ابتدأت الميليشيا القومية تتشكل وأصبحنا. بفضلها، نتمكن، تحت حماية سلاحنا من ممارسة حقوقنا المدنية التي سلبتنا إياها القوانين الجائرة أعلنت في الخطاب المذكور «إن هذه القوة النظامية ستغبر وجه التاريخ في الشرق الأدنى».

إن وضع قواعد الحقوق المدنية للشعب السوري وابتداء الدولة السورية القومية كانا فجر تاريخ جديد في حياة أمتنا. ولكن العمل الباقي لتحقيق أهدافنا الأخيرة كان ولا يزال محفوفاً بالمشاق والمعثر من الداخل ومن الخارج. فمن الداخل نفسية عهد الانحطاط الفاقدة الثقة بمواهب شعبها ومصير أمتها، المستسلمة لعوامل التفسخ والتفكيك والتفريق، ومن الخارج المكائد السياسية للحزول دون نهضتنا وحصولنا على سيادتنا القومية.

مع كل المشاق والمعثر التي هي من طبيعة وضع الأمة الناتج عن بضعة قرون من التسلط الأجنبي، أخذت النهضة السورية القومية تشق طريقها بجهد الجليل السوري الجديد، الذي اعتنق مبادئ البعث القومي وامتد نظره الى آفاق الحياة القومية ومثلها العليا. ولولا الحرب الطويلة العنيفة التي نشبت بين الحركة القومية والسلطة الأجنبية وعمآها من أبناءك أيها الشعب! لما كنت الآن في حاجة إلى توجيه هذا النداء إليك.

مهما يكن من أمر العراك العنيف بين الحركة السورية القومية والإرادة الأجنبية القائمة في الوطن، فإن هذا العراك وحده لم يكن كافياً لصد تقدم الحركة القومية فقامت النفعية الخالية من كل دين وكل علم تنفخ في بوق التعصب الديني وتحارب النهضة القومية بتوليد حركة رجعة إلى الدولة الدينية وتنازع المذاهب الدينية السيادة والحقوق المدنية والسياسية. وقد أوضحت طبيعة هذه الحركة الرجعية في خطب ومقالات سابقة وتناولتها بالبحث دوائر الحزب السوري القومي الإذاعية والثقافية وعالجتها معالجة طويلة.

كان همي، من هذه الجهة، ألا تقع الحركة القومية فريسة الجدل والمشاق فسهرت على توجيه الحزب السوري القومي نحو تحقيق أهدافه الأخيرة فلم أدع العراك والاصطدام يستغرقان كل جهود الحركة فحملنا آمنا وتابعنا عملنا الإنشائي وسط السجون والاضطهادات. استمرت الأعمال التشريعية والتنظيمية والتثقيفية والإذاعية فامتد الحزب السوري القومي وانتشرت مبادئه في طول سورية وعرضها. ولكن الوقت القصير الذي مر على انتشارها لم يكن كافياً لارساخ مبادئ البعث القومي في

الجماعات المتأخرة. المنقادة للنفعية النافخة في بوق التعصب الديني ولتغير موقف هذه الجماعات وأساليبها. وقد بذلت الشركات السياسية كل مجهودها واستعملت كل مهارتها لصرف هذه الجماعات عن المبادئ والحركة القومية، فعللت الشعب بالمفاوضات السياسية التي ظنت هذه الشركات انها تصلح أساساً لقيام السيادة القومية وحملت الجماعات الكبيرة من الشعب، حيناً من الزمن، على الأخذ بهذا الاعتقاد وانتظار حصول الاستقلال عن طريق المفاوضات، التي لم تقصد منها الإرادة الأجنبية غير خدع هذه الشركات وكسب الوقت لتنفيذ خطتها.

أيها الشعب السوري!

إن آخر مرة خاطبتك فيها في شأن المصير الذي تختاره لنفسك كانت في آخر شهر مايو سنة 1939 حين وجهت ندائي الى السوريين القوميين وإليك، في سياسة خطيرة تتناول حياتك ويكون فيها تقرير مصيرك من جديد إلى أجل غير مسمى.

في ذلك التاريخ أظهرت لك نوع الخطر المقبل وقيمة الفرصة الآتية إلى جانبه. في ذلك التاريخ، كما في تاريخ النداء الذي وجهته الى الجالية السورية في البرازيل في 5 مايو 1934، كان الوقت منفسحاً للاستعداد لاغتنام الفرصة. في ذلك التاريخ كان لا يزال لك متسع من الوقت لتحارر الطريق وتجزم في أمرك. وكان ندائي إليك واضحاً لا مجال للالتباس فيه. كان ختام ندائي المذكور الموجه إليك في 31 يونيو 1939.

أيها الشعب السوري!

الآن يترتب عليك أن تقرر لنفسك أحد المصيرين: مصير النعرات الدينية والتقاطع والسقوط أو مصير النهضة السورية القومية ووحدة الإرادة والقوة والنصر». ولكنك بدلاً من أن تصغي إلى صوت النهضة السورية القومية وتلبي نداءها وتسير في طريق وحدة الإرادة والقوة والنصر بقيت مستسلماً لخزعبلات الشركات السياسية وشعوذة النفعيين والمنافقين. وبينما الحزب السوري القومي يستعد ويتأهب ليقوم بعمله التحريري العظيم، إذا برجال الشركات السياسية الجبناء يطلبون سلامتهم، بالعمل على قتل إرادتك ومحولون بينك وبين قيادة الحركة السورية القومية القائمة بالجهاد لانقاذك كما حالوا بينك وبين هذه القيادة حين حاولت القيام بحملة لانقاذ لواء الاسكندرونة والاحتفاظ بسلامة الحدود الشمالية.

أيها الشعب السوري!

إن أساليب الحرب وسيرها والوضع الحاضر في الوطن وخيانة الدولة التي طلبت مفاوضة الحزب السوري القومي قد أجلت القيام بالعمل الذي كنت قد رسمت خطته.

وإن هذه الحرب التي انبأتك تكراراً بقرب وقوعها وعملت لك ما في مقدوري لاغتنام فرصتها قد دخلت في طورها الفاصل، وبهذه المناسبة أريد أن أحذرك من الاستسلام لأوهام المشعوذين وخزعبلات الدجالين! أريد أن أحذرك من خطر الاستسلام للوهم أن انسحاق الدولتين اللتين خانتا عهدوهما لنا وعملتا على تجزئة وطننا وتقطيع أوصال شعبنا، وحده سنيلنا غايتنا القومية ويرد إلينا سيادتنا المسلوبة.

أحذر الدجالين الذين يتلاعبون بشعورك لقاء مال مدفوع لهم فيصور لك بعضهم نجاح قضيتك بانتصار هذا الفريق ويصور لك بعضهم نجاحها بانتصار ذلك الفريق على هذا الفريق، اني أقول لك صراحة، كما قلت لك صراحة في الماضي: «إن انتصار قضيتك القومية ليس معلقاً على انكسار أعدائك الحاضرين وحده، بل على الالتفاف حول الحركة القومية التي تمثل مصالحك وإرادتك وأهدافك على الالتفاف حول الحزب السوري القومي».

أيها الشعب السوري!

إن الذين يريدون أن يبنوا زعامات نفعية مستعجلة يجدون في الظروف الحاضرة أفضل فرصة لتأسيس هذه الزعامات المستندة الى المرتبات التي يدفعها هذا الأجنبي أو ذلك لقاء العمل ضمن الشعب السوري لبلوغ مأربه ونصرة قضيته، فيقوم النفر المأجور لهذا الفريق المحارب يدعو بكسر الفريق الآخر ونصرة الفريق العامل هو له، فإذا انتصر هذا الفريق وانكسر الفريق الآخر قال هذا النفر المأجور: «الزعامة لنا فقد انتصرنا!» ويقوم النفر المأجور للفريق المعاكس بالدعوة لنصرة فريقه ضد الفريق الأول. فإذا خرج فريق من الحرب ظافراً صاح: «نحن أرباب السياسة، النصر لنا!»

هكذا بنيت الزعامات الماضية النفعية التي قادتك، أيها الشعب النبيل! إلى الخراب والانحطاط، وهكذا يتوخى طالبو الزعامة المخربة تأسيس زعامتهم في هذا الدور الجديد.

أيها الشعب السوري!

إنك قد خبرت هذا النوع من القيادة ودفعت ثمن اختباراتها في استغلالك من ثروتك وتجارتك وزراعتك وصناعتك ومن دماء بنيك. لقد كان فاحشاً الثمن الذي دفعته حتى الآن لتلكؤك عن الالتفاف حول حركتك القومية التي وقف رجالها يذودون عن شرفك وكرامتك وحققك في الحياة بنفوسهم. وهم الوحيدون الذين ثبتوا في أماكنهم في هذه الشدة ومثلوا أمام المحكمة العسكرية من أجل شرفك وحققك، فهل تريد أن تدفع ثمناً آخر لتعيد اختبارك السابق؟

أيها الشعب السوري!

إن الحركة السورية القومية ليست حركة انتصار لفريق محارب ضد فريق آخر محارب بل حركة تحرير الفكر السوري من إيماءات الإرادات الأجنبية وإنشاء الدولة السورية القومية المستقلة، أما سياستنا الانتزيسيونية فلم تتغير عما أعلنته في خطابي في أول يونيو 1935 واني أثبتته هنا دفعا لكل التباس.

«إننا نعترف بأن هنالك مصالح تدعو إلى إنشاء علاقات ودية بين سورية والدول الأجنبية وخصوصاً الأوروبية. ولكننا لا نعترف بمبدأ الدعاوة الأجنبية. يجب أن يبقى الفكر السوري حراً، مستقلاً، أما المصالح المتبادلة فنحن مستعدون للاعتراف بها ولمصافحة الأيدي التي تمتد إلينا بنية حسنة في موقف التفاهم والاتفاق.

يجب على الدول الأجنبية، التي ترغب في إيجاد علاقات ودية ثابتة معنا أن تعترف، في الدرجة الأولى، بحقنا في الحياة وان تكون مستعدة لاحترام هذا الحق. وإلا فالإرادة السورية الجديدة لا تسكت عن المناورات السياسية التي يقصد منها استدراج أمتنا الى تكرار الأغلاط السياسية التي ارتكبت وكانت وبالاً عليها».

موقفنا من الوضع الانتزيسوني لا يزال مؤسساً على هذه القاعدة، وهي تعني اننا نعمل لتحرير أمتنا من كل سيادة أجنبية وتحرير الفكر السوري من تأثيرات الارادات والمناورات الخارجية واننا نرفض أن ننزل عن العالم ومجرى الشؤون الانتزيسيونية ولكننا نشترط ان تكون كل علاقة مع أية دولة أجنبية قائمة على أساس الاعتراف بسيادتنا القومية، وإذا كنا قد حاربنا ونحارب سيادة فرنسا وبريطانيا على أمتنا ووطننا فهذا لا يعني بوجه من الوجوه اننا نقبل سيادة أية دولة أجنبية أخرى.

إن الذين قبلوا ويقبلون سيادة فرنسا وبريطانيا على أمتنا ووطننا هم أنفسهم يقبلون كل سيادة أجنبية أخرى وهم المسؤولون عن كل نكبة جديدة تحمل بأمتنا ووطننا.

أيها السوريون! استفيقوا فالفرصة لما تفتت! واذكروا ان سقوط اعدائنا لا يعني نهوضنا نحن، إلا أن نكون قد التففنا حول نهضتنا القومية وقمنا قومة واحدة.

احذركم من الاتكال على فكرة انتصار هذا الفريق وانكسار ذاك الفريق فالقضية القومية لا يحققها غير جهاد السوريين. إلى هذا الجهاد أدعوكم! وما أغنت النيات عن الأعمال ولا قامت التمنيات مقام الأفعال. فاختاروا لأنفسكم أحد المصيرين: مصير الاستسلام والانحلال أو مصير الثقة بالنفس والجهاد في الحركة القومية حتى يتم النصر ويقوم حق الأمة السورية!

نشاطات للزعيم

بدعوة من المواطن أنطون بالش، نزيل سانتياغو شيلي، الذي كان صديقاً حميماً للمغفور له الدكتور خليل سعادة، والد الزعيم التقى معه على الغداء في النادي الحمصي، بحضور ومشاركة الجنرال ايبا نياس، رئيس جمهورية تشيلي السابق وأحد رجال سياستها البارزين وحضور عدد من الشخصيات.

دارت أحاديث عامة بينهما ولكن الحديث الذي أثار إعجاب الجنرال الرئيس حديث الزعيم عن شأنٍ داخلي أساسي يخص جمهورية تشيلي ويشكل أزمة يمكن أن يستفحل أمرها إن لم تدارك في أنجع الأساليب. هذا الشأن يتعلق بمركزية الحكم ولا مركزيته، فلا المركزي يناسب التشيلي لامتداد أرضها وعدم وجود كثافة السكان والمواصلات السريعة التي تؤمن الإجراءات بالسرعة المطلوبة، واللامركزي لا يناسب التشيلي أيضاً لأنه يحمل في طياته أخطاراً عديدة للبلاد بالنسبة الى الحالة الثقافية العامة وعوامل البيئة الخاصة مما قد يعرضها للتفكك.

كان هذا، الجو الذي ساد مأدبة الغداء، جو على مستوى أعلى المراتب.

رد الزيارة للنادي الحمصي:

كانت لجنة من هيئة إدارة النادي على رأسها رئيس النادي المواطن راغب كيتلون، تنتظر الزعيم عند الباب لاستقباله، فما أن وصل حتى صعد الجميع الى غرفة مجلس الإدارة حيث دارت أحاديث شتى تناولت الأوضاع القومية العامة كما أبدى الزعيم ارتياحه الى فخامة البناء وحسن ترتيبه والأعمال الابتدائية الآخذة مجراها والى ما يسهله النادي للجمالية من وسائل الألفة والتعارف. ثم ودع اللجنة متمنياً للنادي الأزدهار وقد شيعته الى الباب الخارجي شاكرة له هذه اللقطة الكريمة.

الروح السورية والروح البرازيلية الجديدة:

كانت مناسبة إلقاء رئيس الجمهورية البرازيلية خطاباً اذاعته صحف العالم مناسبة موفقة للمقارنة بين كلامه وكلام الزعيم الذي ألقاه بمناسبة الاحتفال بعيد ميلاده في أول آذار والخطاب الذي ألقاه عند زيارته الى سنتياغودل استيرو.

وقد أوردت «سورية الجديدة» في العدد 72 تاريخ 29 يونيو 1940 بعض الفقرات الهامة للمقارنة أثبت نصها هنا للفائدة الجلية التي تتضمنه. «إن أهم العبارات التي استلقت أنظار السوريين القوميين من خطاب الرئيس فارغاس الأخير «نحن نشعر ان الأساليب السياسية العتيقة قد أخذت بالانحطاط فالاندثار» يقابلها في خطاب الزعيم في سنتياغو: «إن التفكير الذي سارت بموجبه الإنسانية حتى الآن قد دخل في طور الشيخوخة في العالم كله والبشرية بأسرها تنتظر تفكيراً جديداً...».

ثم عبارة الرئيس فارغاس: «يجب علينا أن نفهم العصر الجديد ونسعى لاتلاف الآراء الجامدة والمثل العقيمة» يقابلها في خطاب الزعيم في أول آذار «لا يمكننا التقدم نحو مثلنا العليا بدون طرح التفكير الذليل عن عواتقنا».

ولعل أهم عبارات الرئيس فارغاس الهامة هذه العبارة: «فالثروة اليوم ليست كما كانت قديماً: أرباحاً طائلة تدرها رساميل جامدة بل هي: العمل المنتج الذي يغير الإنسان والأشياء والذي يوسع غايات الإنسانية وأهدافها... ولذلك كان من واجب الحكومة ان تنظّم القوى المنتجة حتى يتمتع الشعب بكل ما يحتاج إليه لأنشاء عظمته كمجموع» فهذه العبارة تنطبق على مبادئ النهضة السورية القومية الاقتصادية المشروحة بقلم الزعيم».

إن السوريين القوميين يغتبطون بهذه الروح الجديدة التي تسري اليوم في جسم أمة عظيمة كالأمة البرازيلية التي تقابلها الروح الجديدة التي تسري اليوم في جسم الأمة السورية. إن هذه الروح هي خطوة واسعة تقرب بين الروح السورية الجديدة والروح البرازيلية الجديدة.

طلّة على الهيئة في البرازيل:

وجه الزعيم رسالة إلى هيئة اللجنة المفوضة المركزية في البرازيل جواباً على عدة رسائل وتقارير واردة منها والتي تريد فيها أن تبرّر تقصيرها «قصور عرضي غير مقصود» والذي استمر حسب قول الزعيم سنة ونيفاً.

أُنقل من هذه الرسالة المؤرخة في 23 حزيران 1940 المقطع التالي لما فيه من توجيهات عامة رئيسية «ويجب على اللجنة أن تعلم انه لا يفيدني شيئاً كثيراً معرفة ان العقيدة وحدها تنتشر. فالعقيدة تنتشر بواسطة توزيع المبادئ ومنشورات الحزب والجريدة. أما وجود اللجنة المفوضة فليس فقط لاكتساب اشخاص يصرحون لنا أنهم يعتقدون مبادئنا بل لتنظيمهم وافهامهم نظام الحزب وتعيين واجباتهم المعنوية والمادية وتكليفهم لمهمات صريحة من قبل الهيئة الإدارية وإيجاد وسائل التدريب لعدد كبير منهم والاهتمام بإيجاد مشاريع تعود على الحركة بالفوائد المادية والمعنوية كالاهتمام بإنشاء مكتبة وتأليف جوق تمثيل وغير ذلك. هذه أشياء محسوسة يمكن أن أفهمها في رسالة رسمية أما القول انه دخل أعضاء كثيرون والحركة تنتشر وغير ذلك فكلام يقال لصديق يطلب ان يعرف صورة عامة عن معنوية الحركة، أما الزعيم فيحتاج ان يعرف اموراً محسوسة يمكنه الاستفادة منها لبرنامج الواسع. ومن هذه الجهة قد أفلست لجننتكم إفلاساً تاماً. إن الزعيم لا يشك بإخلاص الذين يؤلفون هيئة لجننتكم المركزية المفوضة. ولكنه يقرر انهم لم يقوموا خلال سنة، بحقيقة الوظيفة التي عينوا لها. وانه لا يمكن الاستمرار على هذه الحالة. فإذا كان أعضاء اللجنة لا يجدون الوقت الكافي للأضطلاع بأعباء المسؤولية الملقاة عليهم فيجب أن يكونوا صريحين وان يبحثوا عن من يمكنه أن يقوم مقامهم في هذه الظروف. وبعد أن تزول أزمة أعمالهم الخصوصية يمكن أن يعود الزعيم فيسند إليهم وظائف يحتاج الحزب لموظفين لها.

بصدد الجريدة :

وفي الرسالة المذكورة نفسها يذكر الزعيم انزعاجه الذي لم يخف إلا قليلاً في فترات جد قصيرة، يقول الزعيم : «إن مسألة احتمال إيقاف الحكومة الجريدة كانت موضوع محاضرة بيني وبين الإدارة منذ زمن السيد رشيد شكور. في ذلك الوقت أرسلت تعليمات صريحة في كيفية تخفيف خطر الإيقاف إلى أدن حد. فأشرت على الجريدة بالامتناع عن مظاهر الميل إلى الدول التي تخشى البرازيل اتساع نفوذها في بلادها وأظهرت لإدارة الجريدة انه من العار ان تبدأ جريدة سورية قومية بنشر صور هتلر وقواد الدولة الالمانية وصور موسوليني وقواد الدولة الايتالية قبل نشر صور قيادة الحركة السورية القومية ومظاهرها. وطلبت من إدارة الجريدة التخفيف من المظاهر الأجنبية وعدم أخذ جانب واحد من الصور الأجنبية. ومنذ أسابيع والجريدة تردني حاملة صور الزحف الالمانى ومظاهر القوة الالمانية فقط، حتى انها لم تنشر صورة واحدة للفرنسيين أو الانكليز، حتى ولو كان من أجل تخفيف مظاهر الميل بعض التخفيف».

والجريدة اليوم تنشر تعريب كتاب عن المسألة الفلسطينية هو كتاب دعاوة وفيه إيقاظ نعرات مخالفة لاتجاه الحزب السوري القومي وسياسته الداخلية، كإعادة إدخال المسألة السورية في شؤون بلاد العرب وسياستها الخاصة وغير ذلك من النعرات الدينية الوييلة».

«أرجو أن لا تغيب عن وعي الرفيقين فؤاد وتوفيق إن الظروف المعاكسة التي نشأت فيها الجريدة لم تسمح بحصول النتائج التي كنت أتوخواها. لقد نشبت الحرب ولم أتمكن من جلب محرر ممتاز للجريدة من الوطن كما كان قصدي. والمواصلة مع بعض الجهات كإفريقيا الغربية أصبحت عسيرة ولا نقول شيئاً عن المواصلة مع الوطن».

وأخيراً يختم رسالته بهذه العبارة: «وعسى أن تستفيقوا الى الأعمال وان أسمع بنشاط جديد في الحركة عندكم».

الترابط بين الجريدة والحزب:

وفي رسالة الزعيم إلى الرفيق جورج بندقي تاريخ 22 تموز 1940 يعطي الزعيم بعض الايضاحات بشأن وضع الجريدة: «إني كنت أعلم قبل إصدار الجريدة نوع المشاكل التي ستعرض لها باعتبارها جريدة ذات رأي وتمت إلى الحركة القومية. ولذلك فكرت في إنشاء مجلس إداري لها يدرس مسائلها ويكون على صلة بالإدارة القومية لتلقي التعليمات والتوجيهات المفيدة. ولكن الأنفس على ما يظهر، غير مستعدة لفهم هذه الحقيقة وضرورة تحقيق هذه الفكرة. ولانعدام عمل مجلس الإدارة ثم استحالة إيجاد التوافق والتجانس العملي بين الجريدة والعمل القومي وهكذا اصطدمت إدارة الجريدة بالفتور القومي في الأوساط ولم تجد المناصرة اللازمة والاقبال الجدي السريع. لقد كان لمنع توزيع مبادئ الحزب وشلل العمل القومي عندكم التأثير الكبير على موقف الجريدة من القراء وموقف القراء من الجريدة. إن الجريدة مشروع تابع للحركة فإذا لم تنم الحركة ظلت صعوبات الجريدة عظيمة. وقد وافق صدور الجريدة حصول الأزمة السياسية ثم وقوع الحرب وتوقف الاتصال بالوطن وبعض فروع الحزب في الخارج. إن جميع هذه الأسباب تحتاج وجود هيئة تدرس وسائل تنشيط الحركة والتغلب على الصعوبات. لا تلقوا آذانكم إلى الدعايات».

إلى الرفيق العسراوي:

المواطن نجيب أديب سوري من رعييل المخضرمين. كان «عروبي» النزعة وعقليته متأثرة ببعض الدراسات الدينية. ولكن هذا لم يمنع تهيئته الذاتي للتحرر من عوامل

الأفكار اللاقومية وإدراك فكرة البعث القومي والإيمان بالمبادئ الجديدة. وقد نشرت رسالة من شقيقه الرفيق يوسف إليه جواباً على أسئلته عن الحزب ونشاطه وأخيراً تم اتصال به من قبل الرفيقين وليم بحليس والرفيق إبراهيم حبيب طنوس، أعطى ثماره فبدأت اتصالاته بالزعيم ثم تطورت الى الكتابة في سورية الجديدة وأخيراً توج هذه الاتصالات بانتمائه الى الحزب بالقسم أولاً ثم بالشكل بعد أن وقع بطاقة الانتماء الخ. . . وهنا أورد تعليماً للزعيم على أحد مقالاته لما في هذا التعليق من آراء فكرية أساسية وذلك في رسالته إليه بتاريخ 22 تموز 1940. «وفاء بوعدى إياك في الكتاب الرسمي الموجه إليك فيما يختص بالمعاملات النظامية أكتب إليك الآن في صدر مقالك «نحن...»».

المقال في مجمله يحمل خصائص طائفة من المقالات من نوعه. هو يمثل نوعاً معيناً من التفكير السياسي البحت الناشئ في بيئة دينية معينة، هو التفكير الديني الإسلامي في الشؤون السياسية. ويظهر هذا التفكير بصورة بارزة في آخر المقال حيث تتكلم على «الأقلية» وقول «بانقيادها إلينا» فأخرجت الأقلية الدينية «منا» وجعلتها على هامش القومية. وهذا ضد القومية الصحيحة التي لا تعرف أكثرية وأقلية. فنحن يجب ألا نقرر شيئاً بناء على أكثرية دينية وأقلية دينية.

والأقلية التي هي منا ونشعر «اننا» نقودها بالقوة لا «تنقاد» إلينا. ومع ان الصحيح ان الأقلية المعنية في المقال لا تحب الأجنبي لأنه «أطرف» فليس صحيحاً انها تحبه لأنه «أقوى». وإن عدة قرون من السيطرة الدينية على هذه الأقلية الدينية ضمن الدولة قد برهنت لنا انها لم تأنس «إلينا» ولا يمكن أن تأنس عن طريق القوة المرغمة لها. والطريقة الوحيدة التي نربح بها حب هذه الأقلية هي طريقة مبادئ الحزب السوري القومي التي تؤمن جميع السوريين على حقوقهم المدنية والسياسية في الدولة بدون أي فارق ديني أو أثني، باستثناء اليهود. بهذه الطريقة فقط يمكن و يمكن ربح الموازنة وغيرهم من الطوائف المسيحية و ربح الدرروز و ربح الشيعة و العلويين وغيرهم من الطوائف الاسلامية. فنحن لا نكون قد قرنا شيئاً أساسياً ثابتاً حين نكون «نحن» الأكثرية الدينية قد اجتمعت لنفسها واجمعت على فرض إرادتها على «غيرنا» الأقلية.

في الفقرة الأولى من المقال ادغام لحقائق تاريخية بصورة تشوش ذهن الدارس فأنت قد جمعت في العرب كل الذين جرى اصطلاح جمهور من العلماء في التاريخ واللغات على القول انهم صدروا عن البقعة أو الأقليم الذي يسمى الآن العربية أو بلاد العرب. وهذا المذهب السياسي في العلم يقابل المذهب السياسي في العلم الذي يحاول

رد اللبنانيين الى العرق الفينيقي لأن الفينيقيين أقاموا على الشاطئ واقطعوا الأرز من لبنان وبنوا بعض الهياكل فيه . والاستمرار في هذه المذاهب لا يوصلنا الى إدراك حقيقة من نحن في مزيجنا ومزاجنا وتركيبنا الاجتماعي - الاقتصادي ونفسيتنا .

في المقال عبارات يمكن أن تحسب في عداد المذاهب الرجعية وقد تكون وضعتها من غير تدقيق كقولك «نحن تركنا تعاليمنا القومية فوقنا في هاوية الذل والخنوع» فآية تعاليم قومية تعني وما هي هذه «التعاليم» وما هي فلسفتها ومن هم الذين كانوا متمسكين بها وكيف «تركناها»؟

إن فكرك ينجلي عن رأي واضح وشعور قومي صحيح حين تقول «نحن يلزمننا مدارس وطنية وعلوم قومية وجمعيات فدائية تؤدب الخونة من أبناء البلاد، الخ . . نحن يلزمننا خلاصنا من نير العبودية شبان أقوياء يشعرون بالمسؤولية الوطنية ويقومون بتنفيذ برنامج وطني لا هوادة فيه ولا دبلوماسية نفاق . نحن يلزمننا رجال إذا ائتمنوا على أسرار الأمة لا يفشونها ببضعة «شلنات وفرنكات ولا بغير ذلك . نحن تلزمننا قيادة شريفة مخلصه في سرها وعلاقتها» .

هنا الفكر السوري الصحيح المتحرر من قيود الصوفية واللاحسية . هذا هو التفكير الصحيح الذي يدرك الواقع ويعالج المحسوس . فإذا أضفنا إلى هذا التفكير مبادئ النهضة السورية القومية ونظام حركتها وجميع حقائقها الروحية - والمادية خرجنا باتجاه نحو هدف واضح وقصد خالص وفي هذا الخروج سر النجاح .

إني أكتب إليك بالصراحة التي تعودتها والتي لا أعرف غيرها طريقاً إلى قلوب رفقائي القوميين والتي لا أريد غيرها خطة في خطابي لبني أمتي . واني مسرور جداً بعبارتك القائلة بنفي «دبلوماسية النفاق» من تفاهمنا القومي . وهذا التفكير واضح أهنتك عليه وأحبه فيك» .

النشاط في بوانس ايرس :

كان النشاط الحزبي في الأرجنتين قد أعطى ثماره في بعض أنحاء الأرجنتين فنشأت مديرية «تكمان» ومديرية «ستياغودل استيرو» وفرعان في «خوخوي» و«سان خوان» أما في بوانس ايرس العاصمة فقد كان النشاط مقتصرأ على اكتساب الأفراد واني أعطي نموذجاً عن ذلك ما ورد في رسالة الرفيق إبراهيم الأفيوني إليّ بتاريخ 9 شباط 1970 يصف فيها كيفية تعرفه على الزعيم ثم عملية الانتفاء . كان أمثال خليل الشيخ ،

الدكتور عفيف حداد وجواد نادر قد انتموا الى الحزب. «علمت ان الرفيق الدكتور عفيف حداد أتى إلى حي «كورالس»، هو الحي الذي يقع فيه مسكن الزعيم، وانه كان يرغب الاتصال بي ولكن هذا الأمر لم يحصل. كنت أسمع الكثير عما يجري في هذا الحي ولكني أنا اليائس. لم يفدني ما سمعته شيئاً ولم أكن أعلم أن الأمة المعطاء، دائماً، تأتي بالمتقدين.

كان لي صديق حميم تركته منذ ست سنوات وفي ذات يوم قدمت لي عائلتي ببطاقته. قالت انها من صديق لك. كانت البطاقة تحمل اسم هذا الصديق القديم. كتب عليها اني سأكون عندك مساء الغد فانتظرتني لأمر هام جداً. ومع انه لم يكن عندي أهم من الجمعية التي كنت انتسبت إليها منذ مدة ثم انقطعت علاقتي بها (العلاقة كانت مع وديع كزما الذي أسس جمعية «الرابطة العربية») ولكن عامل الصداقة أيقظ بي الشوق للقاء رغم عدم معرفتي ما يريد مني.

كان الثاني عشر من شهر تموز سنة 1940، الساعة السادسة مساء، قدم صاحب البطاقة فتصافحنا وكان هذا الصديق جواد نادر. لم أقم بواجب الضيافة على الطراز القديم لأن جواد كان على عجل من أمره وطلب مني مرافقته الى مكان ما. اعتذرت عن الذهاب لأي مكان غير هذا الحي ولكنه أقنعني لأنه يقصد تقديمي إلى شخص صديق. سألته عنه ولكن لم يذكر اسمه. ألح علي وهو عزيز علي فرفضت أخيراً لطلبه دون سؤال.

كان الشخص حضرته الزعيم بالذات وكان البيت بيته. تلقانا ببسمة. عظمة لطافتها من عظمة الرجل الذي بعث أمة من رقادها، فسار أمامنا بخطوات القائد إلى مكتبه في غرفة من غرف المنزل في بناية تقع في حي «تشاكابولكو» من العاصمة. في هذه الجلسة شرح حضرته الزعيم جميع المبادئ. وكانت الساعة عندما انتهى من الشرح قد بلغت الثالثة بعد منتصف الليل. كانت مدتها خمس ساعات بالضبط.

قال حضرته «حان وقت النوم». طلبت منه اداء القسم. فتردد. كان الحاحي شديداً. سألت الرفيق جواد هل تكفل انتباهه فقال «نعم». فتعجب الزعيم من قبوله الكفالة مع انه كان يأتيه بأشخاص كثيرين فلا يكفل أحداً منهم. قال: «إني أكفل إبراهيم حتى النهاية. فسمح حضرته بإجراء معاملات الإدخال وبعدها طلب مني أن أكون على اتصال دائم به فصرت أقصده يومياً عند المساء وبدأت مسيرتي الحزبية وبدأت اتصل بالناس أبشر بالمبادئ التي آمنت بها طريقاً لإنقاذ الأمة. أخذت أسير في الاتجاه الصحيح».

قصة المباراة

جاء في رسالة الرفيق إبراهيم الأفيني الرواية التالية عن مباراة اشترك فيها الزعيم أثناء فترة الاستجمام التي أمضاها في «تلول كردبا» كما مرّ بنا ونال فيها قصب السبق.

في كردبا، تعرف حضرة الزعيم إلى عائلة المواطن خليل سعادة. مهاجر قديم. كان رجلاً وقوراً وشيخاً جليلاً وله مزرعة بنى فيها بيتاً صحياً لسكنه في أيام الصيف. كان رجلاً معروفاً بذكائه الفطري وهو الذي وضع خريطة قصر الحكومة في الولاية المذكورة. بطريقة فنية عجز عنها كبار المهندسين ورغم انه كان أمياً تقريباً.

نزل حضرة الزعيم في بيت المزرعة بدعوة من السيد خليل. وأخذ هذا المواطن يعود يومياً ويستأنس بحديثه فأتاه ذات يوم بجريدة تحمل خبر مباراة للجيش في الولاية ويسمح لمن يريد الدخول من المدنيين. كان الشيخ كثيراً وحزيناً. فسأله الزعيم عن السبب فأجابه «أصحيح انه لا يوجد أحد من مواليد السوريين لخوض هذه المباراة ولو خسر، شرط أن يحس هذا الشعب بوجودنا؟ فلاطفه الزعيم وأنسه ثم طلب منه ان يعود إليه في اليوم الثاني. ولما عاد الشيخ حمله الزعيم رسالة إلى الجريدة ذاتها يعلن فيها عزمه على خوض هذه المباراة رغم مرضه. وعبثاً حاول شيخنا خليل، اقناعه بالعدول عن ذلك بل شدد على تسجيل اسمه في المباراة التي ستجري بعد أيام. كانت المباراة على أربع مراحل: القفز - الجري - تسلق الجبال - ضرب السيف. وكان يوم المباراة وكان الزعيم الأول في مراحلها الأربع. الزعيم لم يحدث عن نفسه. هذه رواية أحد أبناء خليل سعادة في «بوانس ايرس» حينما كان لمناسبة تجارية.

إن الشيخ خليل أصبح صديقاً للزعيم كما كان صديقاً لوالده من قبل.

إلغاء زيارة المكسيك:

في 26 تموز 1940 يبعث الزعيم برسالة إلى الأمين عساف أبو مراد، منفذ عام المكسيك يتأسف فيها عن عدم تمكنه من السفر إلى المكسيك، وهذا نصها «أتأسف جداً ألا أكون قد تمكنت من السفر إلى المكسيك، كما كانت خطتي والسبب هو ورود خبر من الوطن يفيد أن السلطة العسكرية هناك قد أصدرت مذكرة توقيف بحقي كما بحق الأمين فخري معلوف الموجود في الولايات المتحدة في جامعة متشغن. وهذا يعني أن اسمي أصبح على لائحة الأعداء لمدة الحرب وان القنصلية الفرنسية لن تمدد مدة جواز سفري المنتهية منذ سبتمبر الماضي وقد بذلت مجهوداً كبيراً لاستحصل على جواز سفري من دائرة الهجرة هنا، إذ هي تحجز جميع جوازات «السياح» وقد قاربت

النجاح في هذه القضية حينئذ سأحاول السعي لتمديد مدة جواز السفر فإذا تمكنت من ذلك سأحاول العودة الى الوطن في هذه الظروف، إذ أن صحي قد تحسنت وعاد إلي قسم من النشاط بخولني العمل وان يكن ببطء. وفي هذه الحالة سأطلب من منفذية المكسيك مساعدتي مالياً إذ قد احتاج لركوب الطائرة وغير ذلك. وأطلب منكم إبقاء هذا الأمر سراً مكتوماً عن جميع الناس وعن جميع الأعضاء حتى يحين وقت افشائه».

ردود على حملات صحفية:

على أثر طرد حسني عبد الملك وجبران سابا وخالد أديب للأسباب التي أوردناها قام عبد الملك وأديب بحملة صحفية استهدفت النيل من الزعيم لتبرير الأسباب الواردة لطردهما فاستخدما «جريدة السلام»، إياها التي كانت تنشر بعض المقالات دعاية للحزب أملاً بكسب بعض الرواج الذي يترجم الى بعض الدعم المادي للجريدة ولصاحبها مما اضطر الزعيم على الرد وذلك بتبيان الأسباب التي أدت إلى طردهما وذلك بإيراد الوقائع الثابتة التي حدثت مع البراهين والشواهد الدامغة بأسهاب وتفصيل مما لا يدع مجالاً للشك باقترافهما الجرم أو الجرائم التي وصلت بهما الى ذلك الانهيار المريع بالاخلاق والمناقب. هذه الردود منشورة في سورية الجديدة الاعداد 65 تاريخ 11 أيار 1940 و 69 تاريخ 8 حزيران 1940 و 76 تاريخ 27 تموز 1940.

وفيا يلي بعض مقاطع من نموذج من هذه الردود.

جاءنا من زعيم الحزب السوري القومي للنشر ما يلي:

نشرت جريدة السلام في عددها الصادر بتاريخ 18 يوليو كتابة للسيد خالد أديب الذي صار طرده أخيراً من الحزب السوري القومي. ولما وقفت عليها رأيت ان لا مسحة عليها من الحقيقة من حيث ما يدعيه افكاراً مما له علاقة بي. وحال وقوفي عليها بعثت إلى الجريدة المذكورة بالبيان التالي:

حضرة محرر جريدة السلام!

نشرت جريدتكم في عددها 6389 الصادر في 18 يوليو 1940 كتابة للسيد خالد أديب تحت عنوان «للحقيقة والتاريخ» ولما كنتم قد أعلنتم في مقدمة من إدارة جريدتكم للكتابة المذكورة وانكم تشرونها عملاً بواجبكم تجاه القراء، ولما كان ما ورد في هذه الكتابة يتعلق بي وبالحركة القومية فأنا نسألکم اجابة نداء الواجب المذكور ونشر هذا التصحيح والايضاح في الصفحة الأولى من أول عدد يصدر منها خدمة للحقيقة وتنويراً للقراء!

جاء في المقدمة لكتابة السيد أديب

إن السيد خالد أديب دخل الحزب السوري القومي في طرابلس بعد ان مرّ على تأسيس الحزب لا أقل من سنتين وبعد أن كانت تأسست في طرابلس إدارة مركزية على رأسها الدكتور سميح علم الدين. وحين اكتشاف أمر الحزب وإلقاء القبض على الزعيم والأركان أولاً ثم على عدد كبير من الأعضاء أوقف خالد أديب في طرابلس بضعة أيام فقط، ولم يكن له أي اتصال بالزعيم مباشرة إلا في بعض مهمات ثانوية تتعلق ببعض الأشخاص، ولم يكن من الذين حملوا مسؤوليات إدارية أو سياسية إلا في بعض المديریات وفي منفذية طرابلس لمدة قصيرة. ومنفذية طرابلس لم تكن مسندة إليه بل الى مصطفى خالد المقدم المشهورة مواقفه. وليس خالد أديب ناموساً خاصاً بالزعامة ولا مكلفاً من قبل المجلس الأعلى كمعتمد ولا كشيء آخر. وقد ألحقته بمكتبي في بدء الرحلة بوظيفة ناموس من درجة ثانية، ثم عزلته لتقصيره، ومسؤوليته في حادث التوقيف في البرازيل ولأساءته التصرف وهو الآن ليست له أية وظيفة، قد خسر رتبة الأمانة التي مُنحها لأسباب مدونة في سجل مجلس العمدة والمجلس الأعلى. ثم خسرها بناء على ظهور قصوره ومسؤوليته.

أما ما يكتبه السيد خالد أديب نفسه، الذي أصبح مطروداً من الحزب، ليستر فضله فهو كلام مقصود منه تأويل الحقيقة وتحريف النصوص وتشويش الحوادث لمصلحته. فهو لم يكن مرة من الرجال الذين لهم دخل في سياسة الحزب أو إدارته العليا أو أية دائرة من دوائره السياسية. وهو لم يكن له معي أي حديث سياسي ولا يسمح له شأنه أن يكون له معي تبادل أحاديث وآراء سياسية.

وأما ادعاؤه اني كتبت إليه بعد خروجي من الوطن، وانه هو سعى وعمل وأرسل ملاً فهو كلام ملفق. اني خابرت المنفذ العام للشاطئ الذهبي الذي كان أسد الأشقر. والمال الذي تسلمته لنفقات الرحلة من منفذية الشاطئ الذهبي كان من المنفذ العام أو من ناموس المنفذية رفيق الحلبي. وفي سجلات مكتبي الوثائق لهذه الحقيقة وهي تنفي كل ادعاءات خالد أديب الباطلة.

إن الوثائق التي في حوزة الإدارة بخط خالد أديب تثبت ما يلي:

- 1- اعتراف خالد أديب بأنه كان يغش الزعيم ويكذب عليه.
- 2- إثبات بخط يده لمسؤوليته في حادث توقيف الزعيم في البرازيل.
- 3- تبليغه تحت توقيعه، فصله من مكتب الزعيم في 13 يونيو 1939.

- 4- أفادة بتوقيعه تثبت عدم فهمه مهمة الرحلة والعمل المطلوب .
5- وثائق أخرى مالية وغيرها تثبت سوء أمانته .

وجميع هذه الوثائق يمكن أية هيئة صحافية أو غيرها أو أية شخصية لها وزنها طلب الأيضاح عليها .

هذه الحقائق البسيطة تعطي البيان الكافي عما يكتبه السيد خالد أديب .

وتفضلوا بقبول سلامي واحترامي
أنظون سعادة

في 19 يوليو 1940

الزوبعة - العدد الأول - السنة الأولى

أول أغسطس 1940

روفائيل لحود:

وقد انضم الى هذه المعزوفة النشاز روفائيل لحود ولكن لأسباب أخرى لا تمت الى الانتهاء الحزبي بصله واليك حكايتها كما وردت في رسالة الزعيم الى رئيس المجلس الأعلى الأمين نعمة ثابت بتاريخ 2 نيسان 1946: «اتصل المدعو روفائيل لحود بي عند وصولي الى الارجتين إذ التقى صدفة بالمرافقين أسد الأشقر وخالد أديب في بعض الأوساط وفي الحال أخذ يحدث المرافقين عن علاقاته» بالأوساط الأرجنتينية وأخذ يوهنا أنه «يحرر جريدة كبرى أرجنتينية» خارج العاصمة ثم أخذ يتردد على الرفيق أسد الأشقر ويحدثه عن «كتاب يؤلفه» وأنه يحتاج إلى مبلغ مالي «لطبغ الكتاب» وطلب ان نمده نحن بالمال ولما سافر أسد اتصل بي مرة وأخذ يتابع على سمعي قصة «كتابه» وكيف ان الحزب يحتاج إلى دعاوة وكيف انه صار غلط بقدم الزعيم من غير تمهيد سابق وأنه إذا «طبغ كتابه» يحصل له المال الكافي للتنقل في الأقطار الأميركية فيقوم بالدعاوة اللازمة للحزب ويمهد لزيارة الزعيم النزالات الأخرى، الخ... فقطعت أمله وافهمته انه لا يمكن الحصول على مال مني «لطبغ كتابه» وأنه لا مناسبة الآن لدرس مشروع سياحاته للإذاعة للحزب فذهب خاسئاً وانضم الى المرجفين ومشيبي الاشاعات السافلة. وهذا كل أمره فيما يختص بي وبالحزب السوري القومي الاجتماعي. ونصيحة في محلها تقدمون للحكومة اللبنانية أن لا يكون لها أدنى احتكاك واتصال بمثل هذه العلقات البشرية فلا روفائيل لحود «رئيس تحرير إحدى الجرائد الكبرى» ولا هو

«صديق الكولونيل بيرون الشخصي»، بل هو في حالة لا تؤهله ليكون صديقاً لأحد من ذوي المنزلة الاجتماعية لا بين المواطنين ولا بين الأرجنتينيين.

والسألة في أفضل وجوها، مسألة خدعة لا تزال تجوز عند ذوي العقلية الضعيفة. والحقيقة التالية التي يعرفها جميع السوريين في الأرجنتين تظهر من هوروفائيل لحود- «هذا الشخص سافر إلى الأميركتين بعد الحرب 1914 - 1918 وكانت الحكومة اللبنانية قد كلفته، على ما يشاع، بمهمة بين المهاجرين، ولا يبعد أن يكون هو قد ادعى تكليف الحكومة له فزار الولايات المتحدة حيث نزل ضيفاً على أخ الرفيق أسد الأشقر ولم يترك أثراً حسناً هناك ثم انتقل إلى الأرجنتين حيث نزل في أفخم فنادق بوانس ايرس وأخذ يتظاهر بالوجاهة وصار يستقبل المواطنين في الفندق وأذاع عن نفسه وأقام الاستقبالات ودعا مواطنين وجهاء إلى غداء وإلى عشاء وأخيراً في آخر الشهر قدمت له إدارة الفندق حساب نفقته ولم يكن يملك شيئاً فلجأ إلى خدعة تنقذه من ذلك الموقف الحرج فدخل غرفته وأخرج مسدساً كان يجمله وأطلق النار على فحذه موهماً محاولة الانتحار فاتصل الخبر بالنزلة واهتم بالأمر كهنة الرسالة المارونية، على ما أذكر الرواية، واستدروا الأكف وجمعوا مبلغ ما يطلبه الفندق ودفعوه ودفعوا عار تلك المهزلة القبيحة عن الجالية.

وليس لروفائيل لحود المذكور أية منزلة أدبية أو اجتماعية وقد أصدر منذ ثلاث سنوات، وبمال الدعاوة الأجنبية، جريدة سماها «الدفاع» ولكنها لم تعش سوى أشهر معدودة فماتت ولجأ بعد ذلك إلى التحرير في جريدة لا قوة ولا نفوذ لها تدعى «الزمان» عدد قرائها لا يزيدون على ثلاث أو أربع مئة وصدورها غير منتظم... أما خدعة انه «صديق الكولونيل بيرون الشخصي» فيمكن أن يصدقها من يجهل كل الجهل سوابق روفائيل لحود الكثيرة التي لا لزوم لعداها. وأما أن هذا «السافل» نظم حملة تمهيمية ضدي واستطاع أبعادي عن العاصمة فحديث خرافة وفرع من فروع الحيلة التي قد يكون القصد منها أيام الحكومة اللبنانية ان السافل المذكور ذو شأن ويصلح أن تنتدبه الحكومة لسفارة أو قنصلية أو أية وظيفة أخرى يتمكن أن يمتص مقومات عيشه منها».

الشاعر ذكي قنصل:

وهذا شاعر آخر يصيبه ما أصاب الشاعر فرحات من جهة ضغط «الأدباء الكبار» عليه فيتراجع عن التأييد الذي تطوع له محاولاً التملص منه بطريقة لا تمت إلى مستوى الشاعرية بصله وللمثال سأذكر بعض ما جاء في سلسلة مقالات نشرت عنه في سورية

الجديدة في اعدادها 77 تاريخ 3 آب 1940 و 79 تاريخ 17 آب 1940 و 80 تاريخ 24 آب 1940 تحت عنوان «الشهرة على حساب الحزب السوري القومي».

«كان لظهور الحزب السوري القومي وقع عظيم في أوساط الجالية السورية في هذه البلاد، كما كان له وقع عظيم في كل وسط سوري آخر. وكان من نتائج هذا الوقع في الأرجنتين أن اندفع نفر من الشباب في مقدمتهم الياس قنصل وذكي قنصل لانشاء ما اطلقوا عليه «عصبة الشباب السوري»، جرياً مع التيار الجديد ولو على غير هدى. ولكن «عصبة الشباب السوري» لم تعمر طويلاً فانفطر عقدها وتحول بعض أفرادها إلى هدف سياسي آخر.

في الخطاب الذي ألقاه الزعيم في حفلة أول مارس الماضي إبان كيفية وصوله الى الأرجنتين وقد نشر ملخص ذلك الخطاب في العدد 63 من «سورية الجديدة».

وكانت قد سبقت الزعيم إلى الأرجنتين الاشاعات المغرضة عن توقيفه في البرازيل وظهرت بعض حركات عدائية من أشخاص هنا يعملون لأغراض فخري البارودي. فكان من وراء ذلك ان بعض المتنورين أو «الأدباء الكبار» وقفوا بعيداً يراقبون ما يجري وفي عداد الذين وقفوا هذا الموقف السيد ذكي قنصل الذي مال إلى ممارسة النظم منذ مدة. فهو تهفو نفسه حيناً إلى النهضة السورية القومية وحيناً يعود فيتشبث بسلوكية المجتمع اللاقومي المبلبل الذي نشأ فيه «أدبه». انه أحد هؤلاء الذين يرغبون في السير إلى الأمام ولكنهم يخافون الا يسير الجمهور معه. وبعد فذكي قنصل «أديب وشاعر» فقد كتب مقالات ونظم قصائد فهو لا يستطيع «المجازفة بمركزه» بهذه السهولة.

لما وجد السيد قنصل ان المبادئ السورية القومية تلاقي إقبالاً في أوساط الجالية في الأرجنتين أراد أن يتثبت من أن هذا الإقبال حقيقي فكتب إلى الكاتب القومي الرفيق جبران مسوح يسأله «أصبحح أن المتحد السوري في توكومان قد فهم رسالة سعادة»؟.

ولما اقترب أول مارس وشعر بتحرك أوساط الجالية في بوانس ايرس للاحتفاء بمولد مؤسس سورية الجديدة وواضع قواعد نهضتها نظم قصيدته التي نشرت في العدد 56 من «سورية الجديدة» وألقاها في المأدبة التي أقيمت على شرف الزعيم. وقد كانت قصيدة زكي قنصل خروجاً على التردد والغموض الى الصراحة واليقين فهو فيها سوري قومي يقول بنهضة سورية وبزعامة سعادة وفيها هذه الأبيات التي لا تبقي مجالاً للشك:

«نهضت سوريا يقود الى المجد
يا زعيماً ترنو القلوب إليه
عقدت سوريا عليك رجاها
أيه آذار ما ذكرناك إلا
أنت تاريخ أمة أيقظتها
أنت فجر تلا من الجهل ليلاً

هذه الأبيات الصريحة حملت بعض القوميين على الاعتقاد ان زكي قنصل قد ترك عنعنات البيئة اللاقومية المريضة وانضم بالفعل الى صفوف الذين صاروا أمة واعية «يقود الى المجد خطاها زعيمها الجبار» والظاهر أن بعض القوميين اعتقدوا أن زكي قنصل يعني ما يقول فإذا بالسيد زكي قنصل يعود أدراجه وينشر في جريدة «السلام» بتاريخ 4 أيار الماضي هذا «الايضاح»:

«كتب إليّ أديب من اخواننا في البرازيل ان صديقاً له في الأرجنتين أنبأه بأن قد اصبحت عضواً في الحزب السوري القومي، وبقواً من أبواقه، فاثباتا للحقيقة ودفعاً للتضليل أعلن أن هذ الخبر غير صحيح، فأنا لم أنضم إلى الحزب المذكور ولم أقم له «بالدعاية الواسعة» التي يشير إليها الصديق الأرجنتيني البارّ وان كنت أؤيد الكثير من مبادئه وآرائه الاجتماعية».

وأوضح من هذا «الإيضاح» إن زكي قنصل قد وقع في ورطة مع رصفائه من أدباء عهد الانحطاط فأراد التخلص منها فلجأ إلى إعلان هذا الإيضاح الذي يورطه تجاه النهضة السورية القومية وتجاه الرأي العام، لأنه ينقض موقفه في أول مارس. وما لا شك فيه أن زكي قنصل حاول تجنب هذه الورطة الجديدة فوضع عبارته «وإن كنت أؤيد الكثير من مبادئه وآرائه الاجتماعية» أي بإخراج مبادئه السياسية والاقتصادية والحقوقية فيبرر بهذا التأييد الكسيح قصيدته البريئة من الزمن.

بيد أن ورطة الرجوع إلى قوله الصراح لا تقف عند هذا الحد تتناول شيئاً أهم من «المبادئ والآراء الاجتماعية» انها تتناول المبادئ المناقبية في قوله: «ودفعاً للتضليل» فهذه العبارة الخطيرة تطعن «الصديق الأرجنتيني البارّ» كائناً من كان بتهمته التضليل. والحقيقة هي انه إذا كان هنالك تضليل فالتضليل صادر عن السيد زكي قنصل نفسه الذي ألقى قصيدة غير مأجورة وبمطلق رغبته في عيد مولد سعادته يؤيده فيها تأييداً خالياً من كل قيد ومن كل شرط ويقول فيه «أنت سفر من الحياة تجلي فيه اسمى ما تبدع الأفكار» فإذا كان الصديق الأرجنتيني البارّ لصديقه «الأديب الكبير»

في البرازيل قد ضلله موقف زكي فنصل وقوله الصراح في قصيدته المذكورة حتى اعتقد أن زكي فنصل قد أصبح سوريا قومياً نظامياً بدليل قوله «واستطلت برأيك الأحرار» «وأثرها - فديت زويعة حمراء فالمجد ثورة وانتصار» فافء ظلك المجيد علينا تتجنب لقاءنا الأقدار فالتضليل ليس صادراً عن الصديق «الأرجنتيني البار» ولا عن أحد من القوميين بل عن السيد زكي فنصل نفسه الذي جاء يعلن في «إيضاحه» انه لا يؤيد الا «الكثير من مبادئ الحزب السوري القومي وآرائه الاجتماعية» فقط. هذا إذا كان السيد فنصل لم يقصد في قصيدته سوى التحجب الى القوميين والظهور بمظهر شاعر قومي في يوم مشهود وفي هذه الحالة يستطيع أن يقول ان صراحة أقواله لم تكن إلا من موجبات البيان وان الاستفاقة الظاهرة في قصيدته لم تكن سوى فن صناعي تقتضيه ضرورة البديع وان قوله «امتي سورية والزويعة الحمراء وأذار تاريخ أمة» وغير ذلك ان هي إلا الفاظ اقتضاها الوزن!

إن هذه العبارة الخطرة، «دفعاً للتضليل» التي يظهر انها دخلت في هذه «الإيضاح» عمداً هي نفسها نوع من أنواع التضليل التي يلجأ إليها المغترون بأنفسهم ليوهموا الناس ان أسماهم عظيمة القدر إلى درجة ان نهضة عظيمة غيرت وجه التاريخ كانهضة السورية القومية تحتاج إلى استعمالها! وسامح الله الكاتب القومي جبران مسوح الذي أسرع إلى الوثوق بصراحة زكي فنصل وتشجيعه بعبارات كانت تفوق ما كان يجب أن يقال في هذا الباب».

أول تنظيم في بوانس ايرس:

بالرغم من الحملة الصحفية الشعواء واشتراك من اشترك فيها ممن ورد ذكرهم فقد استمر السعي للعمل الحزبي في بوانس ايرس، العاصمة، فكانت من نتائجه الأولى التنظيمية إنشاء لجنة دعاية من الرفيق إبراهيم الأفيوني رئيساً والرفيق جواد نادر ناموساً والرفيق اسكندر مسوح خازناً وأعطى الزعيم هذه اللجنة صلاحية «مديرية». وهكذا ابتدأ العمل الحزبي حسب القواعد الدستورية يأخذ طريقه الصحيح بعد طول مخاض ومعاناة.

والآن أعود الى الوطن للحديث عن المحاكمات والاعتقالات.

الجمعية السورية الثقافية:

وبعد جهود استمرت عدة أشهر أسس الزعيم الجمعية السورية الثقافية لتكون المظهر العلني للحزب السوري القومي الاجتماعي في الجمهورية الفضية وقد صدر بهذا

الصدد البيان التالي: «في 18 حزيران سنة 1940، اجتمع فريق من رجال الجالية السورية في هذه العاصمة، (بوانس ايرس) وبعد المداولة في بعض الشؤون العمرانية، أجمع رأيهم على تأسيس جمعية ثقافية اطلقوا عليها اسم «الجمعية السورية الثقافية» والغاية منها تسهيل الترقية الثقافية العامة والتفاعل الثقافي بين الشعبين السوري والأرجنتيني. وللحال انتخبوا مجلساً إدارياً قوامه سبعة أعضاء تسلموا إدارة شؤون الجمعية على الترتيب التالي: إبراهيم نبكي، رئيس. فريد الياس نزها، ناموس عام. علي بوز، مدير مال. الياس مرجان،- مقرر الشؤون الثقافية. اميل بندقي، مقرر الشؤون الاجتماعية، وأنس بور ساليان مقرر الشؤون الفنية وفريد شاكر، مقرر الشؤون الرياضية».

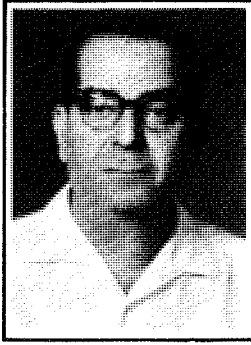
النشاط الحزبي في الوطن

قلت أن الظروف أصبحت تستوجب وجودنا في العاصمة وها نحن الآن فيها. فهبّا إلى العمل. تم اتصال سياسي مع المفوضية الفرنسية بواسطة الدكتور سامح فاخوري والد رفيقنا عفيف وعم رفيقنا محيي الدين والأمين بشير. كانت تجري هذه المقابلات بينه وبين العميد اياس.

بدأ اهتمامنا بملف تنفيذ بيروت التي كان يتفقدونها بين حين وآخر المنفذ العام جبران جريج تحت اسم احسان سالم. كما مر بنا. وكان في هذه السنة من سني الحرب ركيزة العمل الحزبي فيها ناظر الإذاعة الرفيق إبراهيم يموت الذي كان يتابع دراسته في الجامعة الاميركانية. والذي قام بعدة اجتماعات إذاعية يعينه فيها الرفيق فؤاد صايغ أحد طلاب الجامعة وشقيق الرفيقين يوسف وفايز. كانت تعقد هذه الاجتماعات في منزل الرفيق فائز صايغ الذي كان يشرح موضوع الاجتماعات بقدره فائقة.

في هذا الوقت بالذات عدلنا في القيادة المركزية فاجذبنا الرفيق أسد الأشقر إليها كما اننا أخذنا نستعين ببعض الرفقاء. أصبح مجلس العمدة مشكلاً من الأمين مأمون اياس رئيساً لمجلس العمدة. والرفقاء جبران جريج عميداً للمالية. عبد الله سعاده ناموساً لمجلس العمدة وعميداً للداخلية وأسد الأشقر عميداً للإذاعة. أما الرفيق فارس معلولي «محموظ» فقد طلبنا منه أن يمارس وظيفته في الجامعة ويقيم في المنزل الذي هو بيته ظاهراً ولا يتعاطى أي عمل حزبي ولا يقوم بأي نشاط حرصاً على السلامة الحزبية وسلامة العمل الحزبي واستمراره كما انه استدعى الرفيق عيسى حمادة النسيط وغير المعروف حزبياً ووضع تحت تصرف عميد الداخلية رسولاً إلى المناطق ومرافقاً عند الاقتضاء إلى جانب الرفيق إبراهيم بشارة سليمان «برون» وكذلك الرفيق عبد الله أيوب.

التقيت في إحدى الليالي، وأنا أجوب شوارع بيروت، في جولة، بالرفيق زكريا



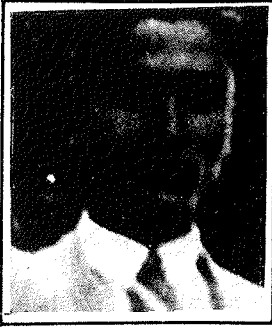
الرفيق زكريا لبايدي

لبايدي في محلة برج أبو حيدر، التقينا وتصافحنا مصافحة الأحاب بعد طول الغياب بالرغم من الفصل الإداري الصادر بحقه سنة 1936، كان الرفيق زكريا كاتباً لمحكمة أميون الكورة عندما انتسب الى الحزب السوري القومي الاجتماعي على يدي وقد كان في حالته السرية كما مرّ بنا.

أبدى استعداده للعودة النظامية وللعمل الحزبي، افترقنا على أمل اللقاء ثانية وفي وقت قريب وأعطائه جواباً إيجابياً. عرضت موضوعه على مجلس العمدة. قبل اقتراحي بإعادته وإلغاء الفصل الإداري الصادر بحقه بدأت مرحلة جديدة في حياة الرفيق زكريا لبايدي استمرت حتى نهاية حياته. صار يتردد إلى المقرّ السريّ الجديد ويصطحب معه أحياناً الرفيق محمد راشد اللاذقي.

اكتشاف مثير:

قلت ان البيت الذي تم استئجاره يقع في الطابق الرابع تواجهه شقة ثانية لم نعرف اسم العائلة التي تقيم فيها. لم يكن قد مضى وقت طويل على انتقالنا إليه حتى أتى فارس ذات يوم ملهوفاً ويخبر الأمين مأمون انه شاهد شرطياً في الشقة المقابلة فنزل الخبر على الجميع كالصاعقة وأخذ الأمين مأمون يعنف الرفيق «محموظ» لأنه لم يبحث عن الجار قبل الدار. وقف الأمين مأمون يراقب باب الجار من ثقب المفتاح والى جانبه الباقون واستمرت المراقبة طويلاً إلى أن فتح الباب أخيراً وأطلت امرأة شابة يتبعها شرطي. لم يكد الأمين اياس يتبين ملامح وجه الشرطي جيداً حتى رآه الرفقاء وسط دهشتهم جميعاً وانشداه الرفيق فارس بصورة خاصة. . . يفتح الباب ويتجه نحو الشرطي ويعانقه ويأخذ في تقبيله، لم يكن ذلك الشرطي سوى الرفيق نجيب حلاوي الذي مرّ ذكره في أكثر من مناسبة، غدا مركز الحزب منذ تلك اللحظة بحراسة رجل الأمن ومراقبته هو وزوجته.



نجيب حلاوي

الهدنة :

وفي 22 حزيران 1940 أعلنت الهدنة بين ألمانيا وفرنسا وفي 24 منه أعلنت أيضاً بين إيطاليا وفرنسا. ولكن المفوض الفرنسي في بلادنا أعلن على الملأ ان قوى جيوش الشرق لا تتقيد بالهدنة التي فرضت على فرنسا وانها ستتابع الحرب، كان قد تعين على رأس هذه القوى العسكرية الجنرال المشهور ويغان. ولكنه اضطر بعد أقل من يومين لأن يعلق بنفس ذائقة الموت عكس إعلانه الأول، وقال انه يدعن لجميع شروط الهدنة لحفظ سلامة الوطن!

أما في فرنسا فقد تسلم المارشال بيتان رئاسة الدولة وبيار لافال رئاسة الحكومة وانتقلت العاصمة من باريس حتى تستقر نهائياً في «فيشي» هذا على صعيد الحرب أما من جهتنا نحن فإن المفاوضات التي كانت تجري بواسطة الدكتور سامح فاخوري، رئيس المجلس الإسلامي الأعلى، قد توقفت نهائياً خصوصاً بعد ورود الجواب من فرنسا على تقرير المحقق العسكري الأنف الذكر، جاء الجواب مخيباً للرجاء الذي كان معقوداً عليه. انتصر الجناح العسكري المضاد بالرغم من الهزيمة التي مني بها بل قد تكون سلبية الجواب ناتجة عن هذه الهزيمة بالذات، تشنجاً فرنسياً كعادة الفرنسيين الحمقاء أو انتقاماً وثأراً.

وتشكلت لجان هدنة فكان من نصيب بلادنا لجتان، واحدة المانية والثانية إيطالية، وسبحان من يغير ولا يتغير، فإن الأوساط السياسية اللبنانية والشامية أخذت تتحول عن «الأم الحنون» التي محضوها تأييدهم الكامل التام عند إعلان الحرب بتصرّيات خالية من كل روح قومية. وما اكتفت بهذا التحول بل بدأت تجري الاتصالات مع اللجنتين لتأمين التعاون و«المصالح»!! حتى وصل هذا التحول إلى حد إسداء النصيحة لنا باستحسان الاتصال مع اللجنتين أو باللجنة الألمانية على الأقل

وذلك لتسوية أوضاعنا وربما إلغاء المحاكمة العسكرية، غني عن البيان ان هذا الاستحسان قابل بالرفض.

بيان عمدة الإذاعة:

عقدت جلسة رسمية لمجلس العمدة تقرر فيها ضرورة إثبات وجود الحزب فبدأناه داخلياً ببيان من عمدة الإذاعة. صدر هذا البيان بتاريخ الثاني من تموز 1940 وهذا نصه.

أيها السوريون القوميون!!

«إنكم في الهزيع الأخير من ليلكم الطويل، من هذه المرحلة القاسية التي تفوق جميع ما تحملتموه في الماضي من مصاعب ومتاعب. وانني لا أشك بأن كلا منكم يعود إلى نفسه مرات عديدة كل يوم ويوجه فكره وقلبه الى زعيمه المفدى وضميره ووجدانه الى مركز منظمته منتظراً بشوق واستعداد الأوامر ليخدم وطنه وحزبه.

انكم تنتظرون، تنتظرون بصبر وثبات وإيمان واستعداد للطاعة والتضحية، وهذا الانتظار الهاديء بسرّه المذخر كل قوى النفس الوثابة في هدوئه، وإحدى مناقبكم العظيمة التي اقتبسناها كلنا عن الزعيم. لقد علمنا زعيمنا العظيم إن الصبر بإيمان واستعداد هو قوة من قوى حزبنا الروحية الكبرى وهو عنصر من عناصر نظامنا الرئيسية، وفلسفة حزبنا العظيمة هي اننا لسنا حزباً سياسياً أنشئ ليصل إلى الحكم، وعمله يتبدى فقط عندما ينال هذه الوساطة، إن فلسفة حزبنا هي اننا حركة مثالية في نفسنا، في جهازنا في كياننا في تنظيمنا القائم على الأهلية والمناقب العالية والحيوية القومية والاتجاه الدائم نحو مثل عليا راقية هي اسمى ما وصل إليه تفكير العبقريّة الإنسانية. فمصدر يقظتنا وهضمتنا واتحادنا متجانسين في الفكر والأهداف هو عبقرى فرد من عباقرة الاصلاح الاجتماعي الذين يظهرون في بعض المجتمعات البشرية العريقة في الحضارة في فترات من الدهر تفصلها بعضها عن بعض آلاف من السنين.

نحن حركة حياة مثلية قائمة في نفسها، وقد وجدنا أنفسنا في الحزب لأنه يعبر تعبيراً واضحاً عن مستوى تفكيرنا ومستوى حضارتنا ومستوى طموحنا، ولا يمكن أن نتنازل عن حزبنا إلا إذا تنازلنا عن اسمى وأقدس شيء في نفوسنا ولا يمكن أن تنفصم عن وحدتنا القومية إلا إذ تكسرت أجنحة سمونا النسرية وسقطنا على الحضيض غرباناً نفتش عن الديدان والأقذار.

إننا حركة مثلية قائمة في نفسها لأننا نتمتع بنظامنا ونطبقه في داخلنا، وهذه غبطة قومية لا يمكن أن نتنازل عنها بعد أن ذقنا طعمها الكوثرى، وقد يكون البعض ممن

حولكم لا يدركون إلى الآن جوهر الرسالة القومية بدقة، فيتخيلون ان الحزب السوري القومي قد أنشئ في ظروف معينة لبلوغ أهداف سياسية قد يكون جعلها تطور الحالة العالمية ووقوع الأحداث الجائحة مستحيلة. إن هذا التفكير ضعيف جداً، إنه لإدراك أولي موروث عن التحزبات الاقطاعية والطائفية التي كانت ولا تزال تحل المشاكل بحرف «لو» فهي تارة تقول «لو» لو كنا أقوياء ومتحدين وأغنياء وكثيري العدد لفلنا كذا» وطوراً «لو كان عدونا ضعيفاً وجاهلاً فعلنا كذا» فهذه الفئة فئة التمنيات العقيمة. تريد أن تأكل ثمرات المجتمع قبل أن تزرع بذورها وتغرس غرساتها وتتعهدها بالعمل المثمر.

أيها السوريون القوميون!!

إن أصول حزبكم تمتد إلى ما وراء أربعة آلاف سنة وان نواصي حزبكم تنسوا إلى أن يسكت نبض الإنسان الأخير في العالم. انكم كنتم سباقاً المدنية العالمية وستكونون المركب الأخير الذي يحملها إلى الأبدية. إن حزبكم لم ينشأ لظروف معينة مرت أو ستمر، بل للحياة كلها. انه لا يقول «أنا أنفع البلاد لو حصلت على كذا وكذا» اننا خدمنا البلاد وسخدمها في كل زمان ومكان، وإن وجودنا وحده هو خدمة كبرى للوطن.

انكم أيها السوريون القوميون، ستدخلون عما قريب في مرحلة فاصلة من مراحل حياتكم الطويلة، لن تكون فاصلة بين الحياة والموت لأن حزبكم خالد لن يموت، وانما هي فاصلة بين انتقال البلاد الى حالة تتمتع فيها بالحياة الراقية، مستثمرة ثروتها العظيمة، وبين بقائها في حالة اجتماعية اقتصادية راهنة لا تزال فيها منذ مئات الأعوام.

أيها السوريون القوميون!!

لقد دقت ساعتكم. الساعة التي تبرهنون فيها لأمتكم وللعالم انكم لستم من فئات الكلام الأجوف التي تعودت الأمة سماع ضجيجها المزعج المنتهي باستغلال الظروف لاشباع الاطماع الخاصة. لقد دقت ساعتكم لتبرهنوا انكم جوهر الأمة الخالد، العامل بتجدد ونظام وتضحية للقضاء قضاء مبرما على عوامل الهدم والانحطاط وخلق نظام جديد يضع حيوية أمتكم في مجاري نموها الطبيعي!!».

فقفوا في مراكزكم مستعدين وانتظروا!!

لتحي سوريا وليحي سعادة زعيمها العظيم

صدر عن المركز في 2 يوليو 1940

عميد الإذاعة

منفذية بيروت :

ولنتطلق الآن إلى منفذية بيروت ونشاطاتها المستجدة لأنها لم توقف أي تحرك بالرغم من ظروف الحرب ومن غياب المنفذ العام الرفيق «إحسان سالم» الذي كان يتفقدتها بين حين وآخر من مقره المركزي في القويطع .

عين ناظر الإذاعة الرفيق إبراهيم يموت منفذاً عاماً بالوكالة الذي استمر بعمله الحزبي بصفته الجديدة إضافة الى صفته السابقة في الإذاعة . كل هذا بالرغم من دروسه الجامعية في كلية الطب التي راح يفكر بالتخلي عنها والانتقال إلى فرع التجارة والمحاسبة . كل هذا بالرغم من عمله الحزبي في إدارة الهاتف في مركز الجامعة الأميركية يستعين به لتسديد بعض النفقات .

كان يعاونه في مهمته الجديدة عدد من الرفقاء، منهم من كان معه سابقاً كالرفيق بدري جريديني، محمد علي عيتاني ومنير عيدو الموظف في شركة راديو أوريان . ومنهم من كان قد انضم حديثاً إلى قافلة المصارعين أمثال الرفيق محمد مغربل طالب المحاماة، ريمون كرمونا ومحمد حبوب العيتاني، حسن سوبره، صلاح عيتاني، بولس صعب، العضو في نقابة عمال المطابع إبراهيم شبارو وأنيس الغر الذي كان يعمل في مشغل الأحذية عند الرفيق أمين أبي عجرم .

كذلك الحق بعض الطلبة في المنفذية من أمثال جورج حكيم من بلاد البترون، ومحمد سنو الطالب في الجامعة اليسوعية كما انه تم إدخال البعض من أمثال مصطفى الغول ولويس حيدر وتم أيضاً إنشاء مديرية جديدة في المصيطبة بفضل نشاط الرفيقيين اسبر حداد وسليم العشي . كما ان مديرية البسطة، «مديرية جبل النار» غدت تضم 62 عضواً . وفي ضواحي بيروت، في بلدة الحدث تم إنشاء مديرية بواسطة الرفيق إدمون شويري، طالب الطب في الجامعة الأميركية .

الأوراق الحزبية والملجأ :

كانت أوراق مكتب عبر الحدود محفوظة في مكان بات يتعرض لخطر الانكشاف لذلك صار لزاماً على المركز تأمين مكان أمين آخر لها فكلّف منفذ عام بيروت لتدبير المخبأ الجديد . كانت خطوته الأولى نقل هذه الأوراق الحزبية من مكانها إلى قبو بيته بينما يفكر في تدبير احترازي من نوع آخر، وإذ يفاجأ في أحد الأيام بخبر اهتزت له فرائضه، صدر قرار من الدفاع المدني بجعل هذا القبو بالذات ملجأ ضد الغارات الجوية فإلى أين يذهب بالأمانة؟ وبعد تأمل طويل قرأه ان يوضبها في تنك ويظمرها

في أرض الجنينة الصغيرة الملاصقة للبيت. سلمت الأوراق وأصبح القبو ملجأ
ولكن... بعد ان مرت العاصفة وعاد الرفيق يموب إلى نبش ما طمر وجد الأمانة قد
تآكلتها الرطوبة وأصبحت غير صالحة..

توزيع صور الزعيم:

من المشاريع التي وافق المركز عليها، مشروع توزيع صور الزعيم في أحياء
العاصمة لصقا على الحيطان وذلك لاثبات وجود الحزب من جهة والعودة إلى إبراز
وجود الزعيم بيننا، نصفع بهذا العمل الذين كانوا يروجون الدعايات المغرضة ضد
وحد الحزب، تم هذا التوزيع في 12 تموز حسبما ورد في مذكرات الرفيق إبراهيم
يموت. ساهم في هذا التوزيع بشكل رئيسي الرفيق السائق لويس نصار، وقد ذكرت
محطة الإذاعة المحلية وبعض محطات الإذاعة في العواصم الكبرى خبر هذا التوزيع مما
أثج النفوس في الوصول الى الغاية المنشودة وذلك بذكر الحزب والزعيم.

وقد اعتقل بعض الرفقاء بسبب خطأ ارتكبه الرفيق بطرس كيروز لأنه فهم موعد
التوزيع غلط فبدأه قبل الوقت المحدد فاعتقل الرفيق كيروز، واعتقل بسببه الرفقاء عادل
طفيلي، خضر سلام وصلاح عيتاني وادوار توتونجي وجيء بهم إلى سجن القلعة
العسكري ولكن لم تطل بهم الإقامة.



الرفيق عبد الله سعادة

في الكورة:

كان الرفيق عبد الله سعادة، طالب الطب في الجامعة الأميركية مكلفاً بالاهتمام
بمنطقة الكورة في هذه الأثناء وأبرز عمل قام به هو ان أحبط عملية استقبال للمفوض
السامي في الكورة.

في دمشق :

كان قد تعين الرفيق ويكتور أسعد مندوباً مركزياً للمنطقة الشامية، وأهم عمل قام به بعد تشكيله هيئة تنفيذية لدمشق على رأسها الرفيق جورج بلدي، هو توزيع بيان باسم الحزب يذكر الشعب بوجوده ويقرب نصره الأكيد، وزع البيان فجأة ولم يعتقل أحد.

في الشام والعراق :

فوجئنا في السابع من تموز نبأ اغتيال الدكتور عبد الرحمن شهنندر في دمشق. هذا الاغتيال الذي وضع حداً نهائياً لنشاطه السياسي المعارض لسياسة الكتلة الوطنية وقد رافق عملية الاغتيال استنكار عارم من جميع الأطراف.

أما في العراق فقد كانت وزارة نوري السعيد قد استقالت في شهر آذار وخلفتها وزارة برئاسة رشيد عالي الكيلاني الذي سبق ان ذكرنا موقفه المعارض للسياسة التي كانت تتبع وها هو في هذا الشهر - شهر تموز - بالذات يعلن انتفاضه الثورية على الوجود البريطاني العسكري في العراق ويسير عدة مراحل في هذا السبيل. حاولت القيادة العسكرية الالمانية مسانده عن طريق لبنان بإرسال طائراتها محملة بالعمد العسكري.

من جهتنا نحن، فقد تقرر في جلسة لمجلس العمد إصدار بيان تأييد لهذه الثورة الاستقلالية وتكليف عمدة الإذاعة بذلك فوضعه عميد الإذاعة الرفيق أسد الأشقر مبيناً الأسباب والدواعي لهذا الدعم القومي. وزع هذا البيان على نطاق واسع بالرغم من الظروف المحيطة بنا مما أحدث ضجة هائلة في جميع الأوساط. (نص البيان مفقود).

بيان مجلس العمد

تقرر في إحدى جلسات مجلس العمد انه حان الوقت ان نثبت وجودنا وان نعبر عن إرادتنا السورية القومية الاجتماعية وذلك بالقيام بعمل سافر نعلن فيه موقفنا السياسي القومي من الأوضاع فوضعنا له الخطة الجريئة التالية:

(أ) وضع بيان يصدر عن الحزب باسم السلطة التنفيذية - رئاسة مجلس العمد.

(ب) توزيعه على نطاق واسع في جميع أنحاء الوطن السوري وبخاصة في المناطق اللبنانية.

(ج) عقد عدة اجتماعات عامة شعبية في بعض الساحات العامة، يتلى فيها هذا البيان .

(د) تأمين الخطباء واتخاذ التدابير الاحترازية والأمنية لتأمين سلامة التنفيذ دون الوقوع والاصطدام بالسلطات المحلية.

(هـ) تقرر ان يكون موعد وضع هذه الخطة في حيز التحقيق في الأول من آب 1940 وفيما يلي نص البيان:

بيان إلى الأمة السورية النبيلة.

«يا أبناء سورية البررة!!!»

أيها السوريون في لبنان والشام وسائر الأنحاء!!!

في هذه الفترة التاريخية الفاصلة من تاريخ العالم إذ تصل مشادة الفكر والقوة بين الأمم الحية إلى أقصى حد من الاستقتال فترمي كل منها بخيرة شبابها في ميدان الانتصار والتفوق. في هذا المعترك الهائل بين مدينتين عظيمتين - الواحدة بماضيها العريق والثانية بشبابها وحيويتها وتوثبها - وبيننا تدق الأمم نفير حيويتها وعبقرياتها لتضعها في ميزان الثورة الفكرية العالمية الجديدة فتأخذ وزنها في هذا الميزان البشري الفكري الجديد. في هذه الدينونة الاجتماعية الجالس في دست قضائها الفكر المبدع والتنظيم الجبار، في هذه المرحلة النادرة المثل في تاريخ البشرية. يقف الرأي العام فيكم حائراً تائهاً، عاجزاً ويقول باستسلام ولا مبالاة بالمسؤولية الكبرى الملقاة على ضميره «من أخذ أمني أصبح عمي».

ولكن من هو الرأي العام في هذه الأمة. الرأي العام هو شعب تعمل لاذلاله أنظمتها الداخلية وأجهزته الحكومية منذ مئات السنين. هو شعب تألبت عليه كل القوى لتجعل مثاله الأعلى أولياً تنتهي آفاقه عند الحصول على ضروريات الحياة فيصون ذريته من فظاعة الجوع والعري والأمراض. الرأي العام هو شعب لم يتمتع بخيرات أرضه ولم يستثمر نبوغ افراده منذ ادهار قاسية طويلة. الرأي العام هو شعب شلت مفاصل حركته المعنوية والمادية، فعطلت قوة أعصابه عن العمل فأصبح كالسطيح يزحف إلى الحياة زحفاً. ولكن اتخاذ الرأي العام، أيها الشعب، مقياساً لحيوية الأمة، هي خرافة اجتماعية قد اندثرت عند الأمم المتجددة، المتوثبة منذ سنين وهي تنهار عما قريب في العالم كله. فإن كان الرأي العام فيكم سمم، أيها السوريون. فإن الكثيرين منك قد انكشفت عن وجوههم الستر وانقشعت عن أعينهم الغشاوات إذ وجدوا طريق الحياة

لأنفسهم ولك وهؤلاء هم الذين لا يريدون ان يكونوا ريشة في كفة الميزان لا تزيد ضغطاً ولا تخفف عنه. إن الكثيرين من أبنائك أنبعثت فيهم أمجاد الأحقاب الماضية فطردوا من عقولهم أشباح الذل والعبودية وتحرروا من كل قيد وصمموا على السير حتى النهاية في طريق الحياة المثنية السامية. إن وجود هؤلاء وحده بين أفرادك دليل كاف على أن الأمة السورية لن تموت ولا يمكن ان تضمحل!!

أيها الشعب!!

منذ ربع قرن. وسط المعركة العالمية الماضية أطلت عن شرفة جبالك العالية، راقبت ما يجري في العالم من التطورات الهائلة وشاركت بالعاطفة والعمل أولئك الذين عللوك بالحياة والحرية وظننت ان بانتهاء تلك المعركة تنتهي ليالي الامك المظلمة فتمتع بالحياة التي منيت بها وتلقى المبادلة العادلة من الذين تألت وقاسيت من أجلهم واكتفيت بالاعتقاد بأن ميزان العدل والمساواة سينتصب بين القوي والضعيف فاستسلمت عن إيمان مهلاً فرحاً. ولكن اشتراكك في الحرب الماضية لم يكن كافياً لأنه لم يؤمن لك سوى التخلص من نير الأتراك الظالم. والذين تسلموا قيادتك لم يكونوا مؤهلين لايضاح مصالحك المعبوث بها. إن النهضة القومية المنتظرة كانت ما تزال في ذلك الحين عاطفة حائرة ليس لها إدراك أو أهداف معينة.

إثنتان وعشرون سنة مرت عليك منذ انتقالك إلى حياتك الجديدة - الحياة التي كنت تطمح إليها مغرراً بك. الحياة التي كنت تتعثر باذيال خيبتها وتنتقل من فشل إلى فشل. الحياة الاستسلامية الخالية من الاتكال على النفس والخالية من أقل حقوق الإنسان الأولية التي لا يمكن لاحد أن يتنازل عنها.

لقد خيبت في عاطفتك الشريفة فلم تبادها من متزعميك ولا من غيرهم. لقد خيبت في حياتك الاقتصادية فرأيت ثروتك النقدية تنهار وشاهدت ثروتك الاقتصادية تشل في أسسها الزراعية والصناعية ولم يبق لديك ما تصدره سوى أبنائك وأحبائك تشردهم في المجهل العالمية. لقد خيبت في حياتك الاجتماعية فرأيت نشأك تتجاذبه وتجزئه أيد عديدة وأفكار متباينة فلا تفهم له عقلية ولا يعرف له اتجاه. لقد خيبت في شخصيتك فرأيتها تتجزأ وتشرذم في العالم طريدة تائهة. تفتش عن ضروريات الحياة الأولية بالتعب والشقاء والأحتقار.

كل ذلك يحدث في مجرى حياتك فيهدمها ويشلها في اجتماعها واقتصادها وأنت يُصوّر لك أن بلادك فقيرة. وأنت ضعيف يجب أن تبقى مستسلياً للحالة الراهنة ولكننا نقول لك انهم طمروا ثروة بلادك في الأرض وابتزوا في هذه السنين الطويلة ما كنت

حصلته بالتعب والنصب وانهم جهلوا قوى نفسك العظيمة فصوروا لك الخلاص
بالتقهقر أمام قواهم الشريرة الأثمة وكانوا الحيتان البرية البشرية الكلبة التي حاولت
تبديد ثروة بلادك العظيمة وتفسخ حيويتك الشعبية بخبث وغباوة نادرتين .

إنه لمستحيل على أي شعب من الشعوب ان ينهض بأسرع ما نهضت إذ تألبت
عليه القوى الثلاثة الهدامة التي جابهتها . اقطاعية داخلية مزمنة تحمل أمراض نفسها
منذ قرون عديدة، وقوة خارجية تجهل قواك المادية والمعنوية وفئة جديدة متتلذذة على
القوتين السابق ذكرهما تحجر ضميرها وجردت من الوجدان القومي ! ولا شك انه خيل
لك ان سبب بلائك الوحيد هو القوة الأجنبية القاهرة . تلك حجة المستسلمين لتبرير
استسلامهم وهي ادعاءات كانت تجوز عليك قبل أن رأيت في ميدان السياسة القومية
رجال النهضة الحقيقيين وقبل ان تعرف مبادئ سعادة الواضحة . إن فقرك وضعفك
وتشريدك في العالم تائها هي عوامل هدامة مفتعلة تهيئها يد خفية وينفذها أناس من
لحمك ودمك لكنهم جهلة ، خونة مستسلمون !!

أيها الشعب !!

إنه لم يُعرف في تاريخ الشعوب والأمم إن أفراد شعب من شعوب العالم الحديث
أو القديم يعطون الأجنبي أكثر مما يطلب إلا افرادك المستسلمون زمام أمرك ولم يرَ أيضاً
إن قوة من قوات الاستعمار القديم أو الحديث سبب بعض أفرادها بسلوكتهم ولا
مبالاتهم شقاء شعب من الشعوب بينما ثروة أرضه الطبيعية كافية لحياة ذلك الشعب
ولاشباع اطماع متسلمي زمام أمره أيضاً .

أيها الشعب العزيز الحي !!

إن الاضطهاد القاسي المجرم الذي قاساه سعادة ورفقاؤه القوميون من جراء
تدابير السلطات المحلية والانتدابية غير المشروعة خلال سنوات خمس لم تعد خافية على
أحد فإنه من حين ظهور الحزب السوري القومي للرأي العام وإعلان مبادئه الأساسية
والاصلاحية المكونة حقيقة الأمة الجغرافية والاجتماعية والقومية قد روع ذوي المنافع
الأنانية المؤلفين كابوساً أنيط به الاحتفاظ بالحالة الشقية الراهنة لتبقى حياتهم الطفيلية
مؤمنة دون رقيب أو محاسب . وقد حاول الحزب في كثير من الظروف ان يفهم
السلطات أن نموه لا يكون خطراً على المخلصين من رجالها . وانه لا يقوم على الضغينة
والحقد بل على مبادئ شريفة سامية لا تتنازل عن حقها في الحياة ولا تبخس مخلوقاً
حقه . وحاول مراراً أن يقنع الشخصيات المسيطرة على مقدرات الشعب بأن وجود
الحزب ونموه هو من مستلزمات التطور والارتقاء الذي يعد حقاً من حقوق الشعب

المشروعة. ولكن الأذان جعلتها الشهوة الى الوظيفة صماء والأعين تعامت إلا عن المحافظة على المصالح الخصوصية الحقة.

أيها السوريون في لبنان والشام وسائر الأجزاء!!!

إنه من وسط ظلمات العهد الكريه البائد انبثقت قوة عظيمه وأخذت تنمو رغم كل ضغط وإرهاق لتكون جزءاً فعالاً من المدينة العالمية الجديدة ولتشارككم في الدورة الاقتصادية - الاجتماعية الانقلابية التي تشق طريقها بنشاط إلى الحياة!! إن هذه القوة التي ستبرهن للعالم بأن هنا أمة مؤهلة للمحافظة على ذرة الحياة مهما نكل بها الجهل وتوهم البعض انه قضى عليها.

إن هذه القوة هي سعادة ومن ورائه الحزب السوري القومي!!!

إن الحزب السوري القومي الذي ما زال منذ سنوات يقاسي أمر الآلام، وإن السوريين القوميين وأهلهم وأصدقائهم الذين تعرضوا لأشد أنواع الاضطهاد من قبل أجزاء الشعب المريضة لا يضمرون أقل حقد لهذه الأجزاء.

إننا أقسمنا يمينا قومية أمام ضميرنا على أن نكون أطباء مخلصين لهذه الأجزاء التي تتآكلها الأمراض الاجتماعية منذ أجيال عديدة! وكما ان الجراح ذا الضمير الحي لا يقسى بالمريض ولا يحجم عن القيام بأية عملية موجعة تنقذ مريضه، هكذا نحن سنقوم بالعملية الجراحية القومية مهما كانت التضحيات. وسيرى العالم بأن هذه الأمة الصغيرة المظلة على شرقي البحر المتوسط هي أمة عظيمة بمواهبها وحيويتها ومؤهلاتها، ويمكنها ان ترافق هذه المرحلة التاريخية العظيمة من مراحل الإنسانية الفاصلة!!!

أيها السوريون!!!

إن العالم على وشك الخروج من معركة عالمية فاصلة، وهذه المعركة ستقرر مصيره الى مئات من الأعوام. ويمكن التأكيد بأن النظام الاجتماعي - الاقتصادي الذي سيطر على العالم سيكون عظيماً بالنسبة إلى النظام العقيم المنهار. وإن الفرق لكبير بين نظام يشل الاقتصاد في الأمم الضعيفة لبيتلغ ثرواتها وهو يشهد بضمير ميت ووجدان متحجر مأساتها الموجعة. وبين نظام يتتدع الأساليب الاقتصادية ليحيا وليفسح طريق الحياة أمام الأمم لتتحيا هي أيضاً.

أيها الشعب الحي!!

لقد وجهوا فكرك في سني ارتكاب جرائمهم القومية الكبرى الى خارج البلاد

فأظهروا لك ان السعادة أو الشقاء بضاعة تأتي من الخارج فحولوا بهذه الوسيلة الخبيثة أنظارك عن أعمالهم المخزية.

إنه لا يحق لأي شعب من الشعوب أن يبحث في مسائله الخارجية قبل أن يصبح جهازه الداخلي مكوناً من العناصر الطيبة المدركة، المخلصة المستعدة أبداً للتضحية بكل شيء في سبيل الوطن والأمة!! وان اغضائك عن هذه الحقيقة الأساسية في حياتك قد أوصلك الى هذه الحالة من الانحطاط المتفرغ والممتد الى كل نواحي حياتك.

إن الجهاز الداخلي المتسلم شؤونك ومصالحك هو أرث أجيال انحطاطك وتراث عصور الجهل والتقهقر! وإذا لم تصمّم تصميماً نهائياً قاطعاً بالأجهزة على الطغمة المجرمة المتجانسة في نشأتها وتربيتها وأهدافها الوارثة عاهاثها البشعة في دمهآ. . إذا لم تفكر هذا التفكير وتصمم هذا التصميم لا يحق لك ان تنتظر أي اصلاح حقيقي.

إننا نعلم ان الظروف القاهرة التي فسخت بعض الأجزاء عن شخصية الأمة كونت فيها خلال عصور الانحطاط مسائل داخلية مزمنة لا يمكن تجاهلها، وأمر معالجتها هو من صلب مبادئنا الأساسية والاصلاحية. ونعلم أيضاً ان بعض أجزاء الأمة التي فسخت صور له بأننا نعمل ضدها فيا للفظاعة ويا للتفكير العقيم.

العمل ضد لبنان ونحن قددنا من صلب جباله فتسامينا بشموخه وتصلبنا بالعقيدة بعزمه وجددنا خلود الشعب العظيم ليرافق خلود الأرز العظيم!!

العمل ضد الشام وهي التي برحابة صدرها وغزارة ضرعها تغذي الوطن كما تغذى الأم طفلها وهي التي في ميسلون التاريخية، في وجه قوة عالمية منتصرة رفعت سيفها ودفعت بشبابها الميامين في ميدان القتال مسطرة أولى صفحات البطولة في التاريخ السوري الجديد ومعلمة السوريين وغيرهم أن سورية ليست أمة عاجزة تحني رأسها لكل مغير.

العمل ضد الجبل - جبل حوران وهو خزان القوة والبطولة الذي غذى الثورة السورية الثانية التي برهنت للعالم أن سورية لا تزال تتمخض بالمعنوية النادرة المثيل.

العمل ضد الأجزاء الأخرى وهي الأعضاء المتممة لشخصيتنا المتبورة. وصلاتنا الدائمة هي اهتاف حياة سورية الموحدة!

إن قضيتنا وقضيتك أيها الشعب ليست قضية فصل وضم ووحدة وانفصال. بل هي قضية نهوضك كمجموع لتصون مصالحك وتدافع عن بلادك. والمسائل الداخلية ككيان لبنان السياسي وخلافها هي مسائل ثانوية تقررها أنت بنفسك فيما بعد.

إن الإصلاح الحقيقي يتبدى بفهمنا حقيقتنا المتضمنة حقوقنا ومصالحنا ثم باللجوء إلى العناصر المؤهلة للدفاع عن تلك الحقوق وصون تلك المصالح بالأساليب المبتكرة المجدية. وأما حقيقتنا فموضحة إيضاحاً تاماً في مبادئ النهضة القومية التي وضعها سعادة وما زال يكافح من أجلها منذ وعي نفسه. وأما العناصر المؤهلة للعمل فإنها ولا شك ليست تلك التي امتتها على مصالحك حتى اليوم. رغم اعتقادنا بأن هناك أفراداً مخلصين دمجوا في ذلك الجهاز الخبيث الذي سبب عذابك ولا شك أنك ستري أولئك الأفراد يندفعون مع التيار القومي الجديد.



مأمون أياس

أيها الشعب الحي:

انك رأيت: ماذا عمل متسلمو شؤونك وماذا عملنا نحن الذين أوضحنا حقوقك للرأي العام العالمي ودافعنا عنها تحت الضغط والارهاق خلال سنوات عديدة وسلاحنا الإيمان والثقة بالنفس وبك. لقد صورنا أعداؤنا وأعداؤك بصور لا تمثل شيئاً من حقيقتنا، ولكن صورتنا الحقيقية ستنجلي لك عما قريب فتميز أنت بنفسك للمرة التاريخية المنتظرة بين أصدقائك وأعدائك أن عبقرية زعيمك العظيم سترفعك على سواعد أبنائك البررة ومثابرتهم الى المركز المعد لك في العالم!!

لتحي سورية أم المدنية وليحي سعادة زعيمها العظيم»

رئيس مجلس عمد الحزب السوري القومي

مأمون أياس

الاجتماعات العامة في الساحات العامة وتوزيع البيان

من جهة الاجتماعات العامة فقد اخترنا أربعة أماكن: في الكورة، بتعبورة وعفصديق وتعين لهما الرفيقان نجيب طعان صعب من الشويفات وعجاج المهتار من المتن، ضهور الشوير وتعين له الرفيق ميشال الخوري من كفرحانا وهو المنفذ العام للكورة. في الساحل الجنوبي، الشويفات تعين له خطيب، لم أعد أذكر اسمه، تخلف فتطوع بدلاً عنه الرفيق عبد الله سعادة، ناموس مجلس العمدة، بعد أن صار تداول بهذا الشأن في ذهاب أحدنا مكان المتخلف أو بإلغاء الاجتماع فكان هذا التطوع السامي التقدير حلاً للزمة. تقرر ان يعطى له اسم مستعار فوقع الاختيار على اسم «جلال طالب». كنا نعول كثيراً على هذا الاجتماع في الشويفات خصوصاً وان مكان إقامته كان مقرراً في الباحة أمام السراي. وفي البقاع، مشغرة. وفي الشوف بعقلين.

من جهة التدابير الاحترازية والأمنية فقد تشكلت زمر تدربت على شل عمل قوى الأمن إن تدخلت لتفريق الاجتماعات بالهائها بينما ينهي الخطيب تلاوة البيان ثم يحنفي فجأة عن العيان كما ظهر فجأة في الاجتماع. وقد سلحت هذه الزمر بالعصي بدلاً من السلاح الحربي لأن القصد لم يكن افتعال معركة مع قوى الأمن الوطنية بل القصد العرقلة والاهاء كما قلنا آنفاً، ناهيك عن المسؤولية الجزائية فيما إذا اعتقل أحدهم فجزاء العصي غير جزاء السلاح الحربي ونحن في حالة حرب، أيضاً.

تم ذلك في الأجل المضروب، في الأول من شهر آب، وعاد الخطباء كلهم إلى قواعدهم سالمين يقدمون تقاريرهم. في ضهور الشوير أحبطت فوراً محاولة قبض. ما أن بدأ التحرك للمحاولة حتى وجد الدرك أنفسهم مزنرين بحبال من كل مكان فتحول همهم لفاك هذا الزنار فكسب الخطيب الوقت الكافي لينسل من المكان إلى حيث كانت سيارة بانتظاره كما أن المسؤول خليل حاوي استطاع الإفلات.

أيضاً في بتعبورة أنهى الخطيب مهمته ليجد نفسه مضطراً أن يمشي حتى البترون لعدم وجود وسيلة نقل فاشتبهت بأمره دورية من الدرك فاستوقفته وقادته إلى مركزها في السراي حيث استجوب عن سبب وجوده في المنطقة فسدد الاستجواب بما أوقع المستجوب فأخلي سبيله. أما في عفصديق فلم يحدث ما يستحق الذكر.

في الشويفات، انتهى الاجتماع على أفضل ما يرام وامتطى الخطيب سيارة إلى عين عنوب حيث نصح ان يتوجه صوب العين فهي المكان الأمين ولكن الخطيب غير فكره واستحضر سيارة أخرى أقلته إلى شمالان ومن هناك توجه إلى عاليه فيبيروت. عرفنا فيما بعد أن خطة قوى الأمن كانت مرسومة لإلقاء القبض على الخطيب فراحت

تتعقبه وداهمت «المكان الأمين» صوب العين وعادت بخفي حنين وهكذا نجا الخطيب من «خروم الشبك» وذلك بتغيير اتجاهه .

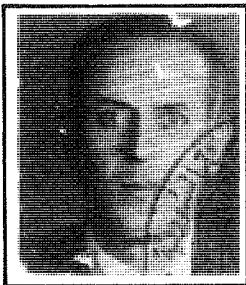
ويقول كامل أبو كامل في مذكراته المخطوطة ما يلي :

«ففي الشويفات التي كانت مركز لمنفذية الضاحية الجنوبية وكان على رأسها الأمين محمد أمين أبو الحسن . كان فيها نجيب طعان صعب مديراً لها، وطنوس نصر مديعاً . والشخصان يتحليان بمزايا إنسانية رفيعة اللذين جعلنا من مديرية الشويفات، عصامية وقومية طلب منها دعوة القوميين وغير القوميين إلى التجمع في البلدة لأن مندوباً مركزياً سيحضر ويلقي خطاباً ويتوارى وعلى الآخرين أن يتواروا أيضاً، وكان المندوب الأمين عبد الله سعادته ألقى الكلمة باسم «مستعار» - وتوارى الجميع قبل أن يصل خبر هذا الجمع إلى السلطات .

وهذا ما حصل في بعقلين أيضاً وفي المراكز الأخرى . ولم يعتقل أحد في الشويفات مع ان تحقيق حصل مع أكثر الأعضاء فجميعهم تجاهلوا معرفة ما حدث بيننا اعتقل آخرون في المناطق التي حصل فيها تجمعات لبعقلين مثلاً، فقد اعتقل حسن الطويل . ومن مشغرة . اعتقل وليم أبو خليل وكذلك في مناطق أخرى» .

ومن مرويات الرفيق عبد الله سعادته «انه في حزيران 1940 صدر عن عمدة الإذاعة بيان عنيف كتبه عميد الإذاعة آنذاك الرفيق أسد الأشقر، يدعو الى مناهضة الانتداب بشدة لنيل استقلال الأمة وتحقيق حريتها . . وكانت الخطة المركزية تقضي بأن يتلى البيان في كل المناطق وفي وقت واحد على عموم الشعب . . وأذكر انه كلف الرفيق فؤاد بربر من الكورة بإلقاء البيان في الشويفات . . وحضر المكلفون بإلقاء البيان إلى مركز الحزب إلا فؤاد بربر، وكانت مديرية الشويفات أعدت لذلك إعداداً شعبياً كثيفاً . والمنفذ العام الرفيق محمد أمين أعد الشباب لاستقبالنا واستقبال البيان بشكل مؤثر وملفت للأنظار .

قرر معروف صعب ان يلقي البيان بنفسه، لكننا لم نوافق على قراره لأنه ابن



معروف صعب

الشويفات وكنت قد انتهيت من السنة الأولى في كلية الطب. فتطوعت للمهمة، على اعتبار أن أحداً في المنطقة لا يعرفني. وكان عمري الحزبي وقتذاك أربع سنوات..

كان علينا أن نلقي البيان ونتخفى بسرعة. وفي الشويفات تجمهر المواطنون في باحة السراي وألقيت البيان من على مدرج باب السراي باسم جلال طالب، ورجال الدرك يستمعون بعدما قطعنا خطوط الهاتف وأوقفنا حركة السير صعوداً ونزولاً. وحالما انتهيت من إلقاء البيان واكبتني سيارتان من الرفقاء إلى عين عنوب حيث اختبأت، ومن هناك توجهت إلى شمالان فعاليه ثم بيروت وكنت أول العائدين بين المكلفين..

كان مخفر الشويفات يطلب من القيادة قوة مساندة وجواب القيادة واحد: «منين بدنا نجيب القوة.. المناطق كلها عمتطلب قوات..» وهكذا شلت مهرجانات البيان الإدارة ولم تستطع السلطة أن تطوق أي مهرجان.. لكنه ألفت القبض على رفقاء الشويفات.

كان شباب الشويفات قد اتفقوا في اجتماع لهم على ان يقولوا بأن اسمي هو «اسكندر ناصيف» لاعتقادهم بأن جلال طالب هو اسمي الحقيقي.. وانشغلت الدولة بالتفتيش عن «اسكندر ناصيف» فاستجوبت الدكتور مروان اسكندر وتأكدت انه ليس المعني، ثم ألقى القبض على عجاج المهتار وأفرج عنه بعد أربعين يوماً بعدما تبين انه ليس المطلوب اسكندر ناصيف، وكنت أول المهنيين له بالسلامة.

حاكموه غيابياً في حضوره:

أحيلت القضية على المحكمة العسكرية وحكم على «اسكندر ناصيف»، الذي هو «جلال طالب» الذي هو عبد الله سعادة بخمس سنوات غيابياً. وكنت حاضراً المحاكمة من أولها إلى آخرها.

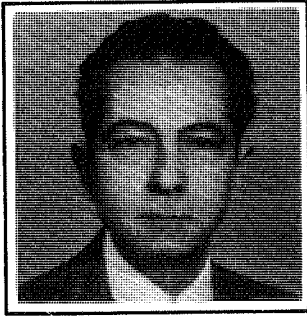
ولا بد بمناسبة ذكر هذه الاجتماعات أن أذكر خطة اجتماع لبيروت وان كان لم يعقد، وذلك في إحدى قاعات السينما. يعتلي الخطيب المنبر أثناء عرض الفيلم ثم يوقف العرض بطريقة مدروسة ويتلو البيان، والأبواب طبعاً مغلقة، وعند الانتهاء يستأنف العرض. لم أعد أذكر سبب العدول عن هذه الفكرة مع ان صاحبها الرفيق إبراهيم يموت كان مستعداً للتنفيذ ولإلقاء البيان.

التوزيع وبعض الاعتقالات:

من جهة التوزيع فقد تم بنجاح منقطع النظير ففي بيروت وزع على مداخل دور

السينما بصورة خاصة وكذلك في دمشق وحلب والمدن السورية الباقية أما في دمشق فقد اعتقل كل من الرفقاء تاج الدين خالد مع ويكتور أسعد ورفيق آخر نسيت اسمه. أما في بعلبك فلا بد من ذكر مساهمة قائمقام المدينة صلاح لبايدي الذي استدعي إلى مركز الحزب (وهو عضو سرّي) وأخذ علماً بموعد التوزيع فعمل على تكليف قوى الأمن بمهمات خارج المدينة فحالا الميدان للتوزيع.

ولكن في طرابلس جرت اعتقالات على أثر التوزيع وانقل هنا ما وردني من الأمين سليم صافي الجزيل الاحترام بهذا الخصوص وهو جدير بالتسجيل.



الأمين سليم صافي

«في الليلة السابقة للأول من آب طرق باب منزلي أحد الرفقاء ولا أعلم اسمه حتى الآن، وسلمني رزمة من المناشير وقال لي «بأمر عميد الحربية يطلب منك تنظيم عملية توزيع هذه المناشير صباح الغد - في الساعة العاشرة قبل الظهر». استغربت هذا الطلب خصوصاً اني لم أكن المسؤول الأول في المنفذية ولما كنا نعمل بهدوء واطمئنان وثيقة عز نظيرها في التاريخ، أخذت هذه المناشير وبدأت أفكر بطريقة التوزيع وبانتقاء الرفقاء الصالحين لتنفيذ هذه المهمة فوقع اختياري على الرفقاء: محمود بيان، سعد الله الحدبا، نزيه الحسيني، أحمد طيخ وراتب صالح. اتصلت بالرفقاء المذكورين ووزعت عليهم البيانات وسلمت كلا منهم منطقة من مناطق طرابلس والميناء، ثم تم التوزيع بشكل ناجح جداً.

ولكن في اليوم التالي وفي تمام الساعة الثالثة والنصف من الفجر طرق باب منزلي موظفو الأمن العام والتحري واقتادوني الى خان العسكر. ولا بد بهذه المناسبة من ذكر ذلك الموظف الطيب الخلق، ذلك الإنسان الذي لم تحل الوظيفة دون ممارسته العمل بأخلاق راقية، وهو «فرح فرح» الذي همس في أذني «قد نفتش البيت هذا اليوم فخبير أهلك للحيفة». اقتادوني إلى الثكنة العسكرية «خان الصابون اليوم» وسلموني إلى

الشفيف بلانشيه الذي بدأ التحقيق معي فأنكرت بادئ الأمر كل شيء ولكن بعد فترة من الوقت فوجئت بالرفقاء محمود بيان، سعد الله الحدبا وأحمد طيبيخ معتقلين.

كان التحقيق يهدف الى معرفة الشاب الطويل الأسمر الذي كلفته بتوزيع المنشور، فاتضح لي انهم يعرفون أني أنا الذي كلفت الرفقاء بالتوزيع، كان الشاب الطويل الأسمر الرفيق نزيه الحسيني، فكان لا بد لي وأنا الموقوف حكماً من تغطيته فأعلنت أني أنا ذلك الشاب الطويل الأسمر الذي وزع المنشور في شوارع المدينة الداخلية: البازركان، سوق الجديد، الجسر الجديد والتبانة.

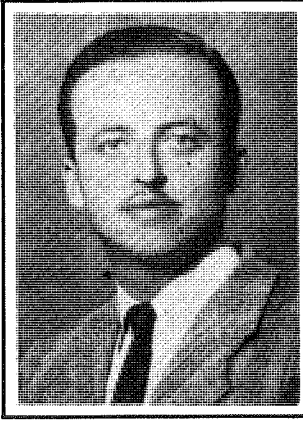
بقيت أثناءها أسبوعاً كاملاً معلقاً «بالكلبشة» بيدي اليمنى بحديد النافذة، دون طعام وقد منّ عليّ الشيفيف بلانشيه بكوب «كار» من الماء مرتين في اليوم. صحوت من غيبوبة في اليوم السابع وأنا مربوط على سرير حديدي ملقى على الأرض. توجه الي الشيفيف بلانشيه بكل احترام «موسيو صافي، لا تخف بعد الآن، انتهى التحقيق». وبالفعل أخذني إلى غرفة الطعام المختصة بالعسكريين ولكنني كنت في حالة لا أستطيع معها الوقوف على رجلي ولا أقدر أن أقضم أي شيء. شربت بعض اللبن وتناولت قطعة من الخبز لابدأ الطعام فلم أتمكن من استعمال يدي اليسرى من الألم وأحسست بأنه قد أصابها التورم عند المرفق. عرفت فيما بعد انها كانت مكسورة.

لم يرني طبيب ولم استعن بأحد لتجبيرها وأنا في السجن فبقيت على حالها حتى ذهب الورم وشفيت من الألم ولكنها بقيت معوجة حيث أن الكسر كان في المفصل.

إني أسجل احترامي العميق للرفقاء محمود بيان، سعد الله الحدبا وأحمد طيبيخ على مواقفهم السليمة أثناء التحقيق وعلى انضباطهم فترة وجودهم في السجن حيث انتقلنا كلنا بعد شهرين إليه، إلى سجن القلعة العسكري في بيروت.

رسالة الرفيق إحسان سوق

«كنت أعمل محاسباً لدى محل عبد الحميد العرجا وقد استقدمني لمحله لثقتة بأمانتي بعد أن اكتشف عدة سرقات واختلاسات من بعض مستخدمين. وفي ذات يوم صادفني الرفيق سليم صافي فطلب مني الحضور لعنده في ساعة ما من نهار غد لم أذكرها بالضبط وفي اليوم التالي لم أتمكن من مغادرة مكان عملي في الوقت المحدد بسبب غياب صاحب المحل إذ على من أترك المحل؟ وأنا الذي أحاسب الزبائن (وجارور الغلة) بيدي مع العلم بأن عملنا في محل الحلويات لا يتعدى الثلاثة أيام في الأسبوع بسبب التفنن المفروض على بيع الحلويات من قبل السلطة. فكيف أترك المحل سائباً في غياب صاحبه؟»



إحسان سوق

بعد يومين جاءني عثمان صافي إلى المحل وهو شقيق سليم صافي وأخبرني أن شقيقه قد اعتقل فانزعجت للخبر وطيب خاطرته ووعده بنقل الخبر لمن يلزم فقال لي بلهجة التهديد إذا لم يفرج عن أخي قريباً فسوف نحطكم بالحبس كلكم.

لم أجد به شيء لعلمي أنه منفعل وما مسؤولي أنا باعتقاله ولست سوى عضو في الحزب ولم أكن من مديرية ولا أنا أدخلته الحزب وهو أكبر مني في السن والانتهاه ولم أكن أتردد إلى بيته أو مكان عمله. قلت في نفسي لا تهتم لهذا إن هي إلا ثورة غضب وتزول. وبعد أيام قليلة جاء مستخدم المحل يقول اهرب يا إحسان فإن بيتك مطوق من قبل رجال الأمن والدرك الفرنسيين فذهبت حالاً إلى بيت عمي فوجدت والدتي هناك فقصت عليّ ما سمعته من الجيران بأن تفتيش بيتي جرى بسبب وشاية من سعاد صافي أخت الرفيق سليم إذ هي التي ذهبت إلى اللبتان بلانشيه وزعمت أني أنا المسؤول الذي أحضر المنشورات وأعطى التعليمات بالتوزيع وقد جرى عقد الاجتماع في بيتها الخ... من التلفيات وما أن تلقف بلانشيه هذه الأنباء حتى أصدر أوامره باعتقالي وسوقي إلى التحقيق مما اضطرني إلى الاختباء خوفاً من إكراهي بالتعذيب على البوح بأسماء أعضاء الحزب والمسؤولين في منطقتي. تمت تلك الليلة في دار عمي وفي اليوم التالي طلبوا مني الانتقال لمكان آخر فلجأت إلى الوجيه الطرابلسي فايز المغربي وهو نسبي فأقامت عنده أكثر من سبعة أشهر وكان يتردد عليّ الرفيق السابق نزيه الحسيني وهو الوحيد الذي كان عارفاً بمخبئي.

أتاني ذات يوم الحاج فايز المغربي قائلاً يهنيك السلام فقد أفرج عن رفقاتك المسجونين وكلهم أفادوا بأنه لم يؤت على ذكر أسمك في المحاكمة فباستطاعتك الرجوع إلى عملك. نزلت في اليوم الثاني إلى عملي وقد التقيت بالرفيق السابق سعد الله الحدبا فأفادني بأنه

ورفقاه حكم عليهم بستة أشهر ما عدا سليم صافي فقد حكم عليه بستة حبس ولم يذكر
أسمي قط لا في التحقيق ولا في المحاكمة فباستطاعتي مزاوله عملي بكل حرية فاطمنت قليلاً
لهذه الأخبار وذهبت إلى عملي ولم يمض عليّ ساعات حتى دخل إلى المحل مخبر الأمن العام
الفريد خوري فقال لي أين كنت تلك المدة الطويلة فقلت له هذا لا يعينك فقال لي أنا
بفرجيك فذهبت حالاً عند نسيبي المغربي وأخبرته بما جرى فقال لي لا تخف فلو أنك مطلوب
حقيقة لأعتقلك رجل الأمن حالاً لا تأبه له فكل ما يحدث لك على مسؤوليتي فعلمت عندئذ
أن الرجل قد تعب من استقبالي عنده وتحمل مسؤوليتي فأين التجيء؟ ما عليّ سوى
تسليم أمري إلى الله!

حوالي الساعة السابعة من صباح اليوم التالي دخل عليّ بلانشيه ورجاله وشهروا
السلاح في وجهي وفتشوني وساقوني إلى خان العسكر بناء لمخابرة هاتفية وردتهم من المخبر
الفريد خوري وفي أثناء الطريق شاهدت السيد رياض أديب وكان هو المسؤول الأول في
المنفذية فدرت وجهي عنه لثلاثا ينتبه الدرك الفرنسيون إليه.

في البرفوتيه (خان العسكر) عاملني الشاف بلانشيه معاملة وحشية ضرباً ولكمياً وشتائم
ثم ربطني بسلسلة حديدية قصيرة ووضعني في مكان ضيق حقير لا أستطيع معه الجلوس ولا
الوقوف مما ينم عن الاحتكار والكراهية التي تعبر عنها نفسيته الاستعمارية الوسخة فهو من
كورسيكا الجزيرة التابعة لفرنسا. ولم يفتح معي تحقيقاً بشيء مما أثار في نفسي تساؤلات كثيرة
وبعد ست ساعات اقتادوني إلى سجن طرابلس حيث قضيت عدة أيام نقلت بعدها مخفوراً
بالقطار إلى حمص وبت ليلة في سجن حمص ومن ثم نقلوني إلى رياق ومنها إلى بيروت حيث
استقري المقام في سجن القلعة العسكري في الغرفة 9 وهي أصغر غرفة في السجن في صباح
اليوم التالي لوصولي ايقظوني باكراً إلى التحقيق حيث مثلت أمام ملازم أول ضبط أسمي
وهويتي وأبلغني أنني محكوم سنة حبس وخيرني إذا كنت أريد استئناف الحكم أم لا فطلبت
استئناف الحكم وارجعت إلى السجن فاهماً السبب الذي من أجله لم يفتح بلانشيه تحقيقاً
معني. ولكن هل المحكوم السياسي يعامل بالضرب واللكم والشتائم ويربط بالسلسلة
كالحيوان إلا حباً بالتشفي والانتقام؟ هذا هو شأن الاستعمار وهذا العمل يغذي فينا الحقد
والصراع ويجعلنا نعرف أننا نشكل خطراً كبيراً عليهم وأنا في هذا الوجود لنا شأن كبير لا
شك ولا ريب.

مضى على سجنني أكثر من شهر ونصف قبل أن أتبلغ ورقة الأدعاء ويوم تبلغتها
استدعيت إلى مكتب السجن حيث سلموني إياها وهي باللغة الفرنسية فقرأتها وفهمتتها وهي

باختصار تفيد: أني متهم بالانتماء لحزب محظور له عقيدة فلسفية Doctrine وأنا عضو نشيط فيه وقد قمتُ في وقت لم يمر عليه الزمن بتوزيع نشرات دعائية مع بضع أعضاء آخرين وهذه النشرات تمس كيان الدولتين المنتدبتين وتعرض أمن فرنسا للخطر وتحرض الشعب على الكراهية للقوات الفرنسية التي تحمي أمن الدولتين المذكورتين سورية ولبنان وتطلب ورقة الإدعاء في النهاية الحكم عليّ بأقصى العقوبة بسبب الطوارئ التي اقتضتها ظروف الحرب وقد ذكر بالاتهامية شهود الإدعاء وهما: المفوض محمود صفا وسليم عبد القادر صافي. وبعد تسلمي ورقة الإدعاء طُلب مني تسمية المحامي الذي أختاره وإلا فهم يكلفون محامياً من الجيش للمرافعة عني وحيث لم يكن معي مال استطيع توكيل محامي به قلت لهم بأن أهلي سوف يوكولون لي محامياً سيما ويوجد متسع من الوقت ليوم جلسة الاستئناف أي بعد أسبوعين. مضى أسبوع ولم يصلني أي خبر من أهلي بشأن المحامي حين نودي علي إلى مكتب السجن بسبب حضور أحد العسكريين برتبة ملازم فسلم عليّ وطلب مني توكيله فأردت امتحانه فسألته أن يشرح لي التهمة الموجهة إليّ فذكر لي ما قرأته سابقاً في ورقة الإدعاء فأنكرت كل هذه الأمور فقال لي لا مجال للإنكار فهذه التهمة ثابتة عليك وقد زعم أن صودرت من بيتي أوراق ومنشورات تثبت إنتمائي للحزب عندئذ لم يبق عندي أدنى شك في أنه جاسوس للسلطة بشخص محام فاعتذرت منه لعدم قبولي بوكالته وقلت أن خطأ قد حصل فالشخص الذي جئت التوكل عنه هو شخص غيبي فمعدرة وانصرف.

يوم الاستئناف وصل تحرير من ابن عمي يفيد أنه قد وكّل لي المحامي خليل طنوس من مكتب فؤاد رزق فنقلت صباحاً من السجن إلى بناية في الطابق الرابع قرب الجامعة الأميركية حيث قرأت لوحة على باب المكتب: الكومندان فاتي المحقق العسكري.

رحب بي المحقق بوجه بشوش وطلب فنجاناً من القهوة وسألني إن كنت مستعداً للإجابة على أسئلته فاعتذرت قبل حضور المحامي فأصدر أمره باحضار الأستاذ طنوس فحضر. كانت الخطة التي أتممتها بيني وبين نفسي هي أني لم أكن فاراً من وجه السلطة واعتماد أجوبة أي على غير علم بالملاحقة أصلاً وهي مهمة رتبها بمنطق وحجج دامغة أثارت حفيظة المحقق ولاقت الثناء والإعجاب لدى المحامي. وإليك الأسئلة والأجوبة وكان الترجمان يقوم بدور الترجمة. س: أين كنت أثناء تعقب رجال الأمن لك؟ ج: ما كنت أعلم بتعقب رجال الأمن لي. س: كيف ذلك وقد فنتشوا بيتك عدة مرات ولم يجدوك؟ ج: لم يفتشوا بيتي سوى مرتين فقط، ففي المرة الأولى كنت على سطح الدار أحتم بالشمس، والمرة الثانية كنت نائماً في غرفتي وقد سألوا عني والدتي من باب الدار وانصرفوا. س: لماذا تتحمم

بالشمس؟ ج: لأني مريض بالعصبي وقد كنت اتعري وادهن جسمي بالفزلين وأجلس ساعتين في الشمس. س: ألم تعرض نفسك على طبيب؟ ج: كلا العصبي بالوراثة وليس له دواء سوى هذا وقد كان أبي يفعل الشيء ذاته. س: ألم تقل لك والدتك أن رجال الأمن يبحثون عنك؟ ج: كلا لم تقل والدتي شيئاً فهي قلبها حنون وتحشى علي من رجال الأمن ومن كل شيء يزعجني وخصوصاً في حالة المرض.

س: وبعد ذلك؟ ج: عندما شفيت من مرضي صرت اتردد إلى مكان عملي حتى بوغت يوماً بحضور رجال الأمن واعتقلت. س: أنت متهم بالانتساب إلى حزب ممنوع؟ ج: كلا لست منتسباً إلى أي حزب. هل تعرف فلان وفلان وفلان كلا س: هل تعرف سليم عبد القادر صافي؟ ج: نعم أعرفه فهو جاري في الحي. س: هل ينتمي سليم عبد القادر صافي إلى الحزب السوري القومي؟ ج: لا أعرف س: هل تربطك به صداقة أو عداوة؟ ج: كلا لا تربطني به لا صداقة ولا عداوة فهو جاري فقط. س: إذاً ما السبب لكي يقول عنك إنك عضو بارز في الحزب وقد جلبت معك المنشورات إلى بيته وقمت بتوزيعها على بعض الأعضاء؟ ج: إني اتمنى أن أواجهه لأسأله عن سبب حشر أسمي بهذه الأمور فاجمعوني به إذا شئتم. إلى هذا الحد ختم التحقيق واعدت إلى السجن بعد أن طلب المحامي لي إخلاء سبيل. ما مضى أسبوع على هذا الاستنطاق حتى صدر الأمر بإخلاء سبيلي موقعاً من قاضي التحقيق ومصدقاً من القائد العام لجيوش الشرق الجنرال دانتر. وبعد شهر تقريباً جاءني تبليغ بوجوب حضوري إلى المحكمة العسكرية للمحاكمة. حضرت إلى المحكمة العسكرية في حرج بيروت وقد كانت مؤلفة من ضباط من مختلف الاختصاصات. رئيس المحكمة برتبة جنرال لقوى البروعن يمينه يجلس قائد البحريين وعن يساره قائد الطيران أما المدعي العام فكان يدعى الليتان كولونيل لا فرج وهو مبتور الساق برجل واحدة على العكاز. افتتحت الجلسة بعد الايعاز لسلة من الحرس بأسلحتها Présentez Armés ودخلت هيئة المحكمة نودي علي بصوت عالٍ فوقفت. سألني رئيس المحكمة إذا كنت أعرف اللغة الفرنسية فأجبت قليلاً فأمر باحضار ترجمان أرمني وكان يجلس ورائي في القفص محامي الجيش الذي رفضته وبعجاني الأستاذ طنوس الذي كلفته بالدفاع عني.

وابتدأت المحاكمة بأخذ أفادتي فكررت ما قلته عند المستنطق بالحرف الواحد وجاء دور المدعي العام فوقف لافرج وأخذ يتحدث عن الحزب متهماً إياه بالنازية والفاشستية مركزاً على سيطرة المسؤولين على الأعضاء قائلًا؛ انظروا إلى هذا المتهم يبدو لكم مظلوماً ويقول أنه بريء لأن الأوامر صدرت إليه بالإنكار أما غيره فقد صدرت الأوامر إليهم بالاعتراف فوقفوا خطباء متبجحين يثيرون الحماس الوطني ضد الانتداب ثم تعرض للأنسة كلودا ثابت

شقيقة نعمة ثابت قائلاً أنها على جمال وفير تجذب إليها الأنظار وذات شخصية قوية تؤثر على الشبان وتقودهم إلى الحزب. وفي نهاية المطاف طلب تثبيت الحكم الصادر بحقي ثم بعد ذلك وقف رئيس المحكمة وأخذ يسألني إذا كنت أعرف أحداً من قادة الحزب وراح يسميهم واحداً واحداً وأنا أجيب بكلمة لا إلى أن انتهى باسم انطون سعاده قلت لا أعرفه ولكن أسمع باسمه فقال لي ماذا تسمع عنه فقلت أنه زعيم.

ثم كرّر رئيس المحكمة مخاطباً إياي للمرة الأخيرة بقول الحقيقة إذا كنت منتسباً إلى الحزب ووزعت منشورات وإن هناك شهود ووقائع فأنكرت كل ذلك وتمسكت بإفادتي. فنودي على الشهود: حضر المفوض محمود صفا فالتفت إليه رئيس المحكمة وسأله كيف عرف بتوزيع المنشورات فأجاب بأنه كان يجلس في مقهى في ميناء طرابلس مساء الأول من آب بلباس المدني لأنه مجاز فرأى سليم صافي ومعه بعض الشبان يقوم بتوزيع المنشورات على رواد المقهى فتلفن لرجال الأمن العام يعلمهم بما حدث. وما إن انتهى من إفادته حتى سأله رئيس المحكمة وأشار إليّ وهذا المتهم ألم يكن مع الموزعين؟ فأجاب المفوض هذا لم أره قبل ذلك ولم يكن معهم. ثم نودي على سليم عبد القادر صافي فلم يحضر لأنه كان مسجوناً وقد ضبطت أفادته لدى المستنطق هكذا قال المباشر لرئيس المحكمة وهذه الإفادة مضمونة لأوراق الدعوى فتلاها كاتب المحكمة فإذا هي تفيد بتراجع سليم عبد القادر صافي عن إفادته الأولى عند بلانسيه لأن إفادته الأولى جرت تحت الضرب والتهديد. بعد ذلك جاء دور المرافعة فطلب المحامي خليل طنوس البراءة.

بعد قليل رفعت الجلسة للمداولة وصدر الحكم على اثرها بتبرئتي وإطلاق سراحي فوراً.

بعد طلوعي من السجن لم يقبل عبد الحميد العرجا استخدامي عنده بحجة أنني مشموس بالحزب وهكذا خسرت عملي وتعويضتي وبقيت عاطلاً عن العمل لمدة طويلة.

طرابلس في 80/10/31

الرفيق إحسان سوق

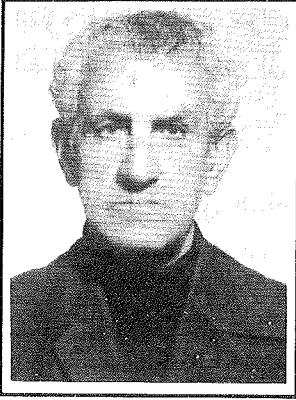
المركز الشبه علي:

غني عن البيان ذكر الضجة التي أحدثتها هذه الاجتماعات العلنية بهذا الشكل المثير وتوزيع البيان بهذا الشكل الواسع ولكن الذي لم نحسب له حساباً هو ان المقر السري في رأس بيروت قد انقلب إلى مقر شبه علي من كثرة الوافدين والمراجعين ليل نهار، مما خشينا ان يلفت نظر الجيران من جهة ونظر عسس الأمن العام من جهة

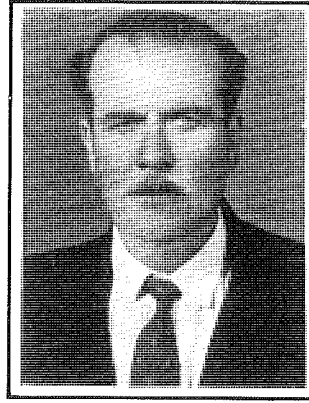
أخرى مع أن السلطة لم تتخذ أية تدابير لا فورية ولا بعد حين، ضد هذه المظاهر العلنية. وهذا موقف، اعتبرناه، نصراً للحزب أيضاً.

صرنا نترك مدخل الشقة مفتوحاً أحياناً لابعاد الشبهة ان من جهة الجيران الصاعدين إلى الطوابق العليا أو الهابطين منها أو من جهة السلطة وعيونها وأخيراً قررنا ابدال الشقة بشقة أخرى فكلفنا الرفيق فارس ببذل المساعي حثيثاً لإيجاد مقر آخر تنطبق عليه المواصفات السرية نفسها، خصوصاً وان الأمين اياس بدأ يلاحظ أن رجالاً غربية تكثر التردد على كرم التوت المجاور لمسكننا. لم يكن ذلك بالمستغرب بعد هذا الانفلاش الذي وصلنا إليه بحكم اتساع العمل الحزبي.

كان في هذه الفترة قد انضم إلينا في هذه الشقة الرفيق عبد الله أيوب واضعاً نفسه تحت تصرف القيادة الحزبية المركزية. لقد استفدنا قوة استيعاب هذه الشقة المباركة التي لا يمكن ذكرها إلا بألف خير.



الرفيق عبد الله أيوب



الرفيق حنا جريج

حادثة بترومين الكورة:

في هذه الغمرة من الأحداث وقع حادث غريب في قريتي، بترومين الكورة، ما وجدت له تفسيراً إلا انه كان عملاً إرهابياً، لا أكثر ولا أقل. كان لكل محافظة في الوطن كله موظف فرنسي، له صفة مستشار وكان لهذا المستشار حرس، يدعى الحرس السيار «Garde Mobile». وكان لهذا الحرس تنظيم خاص به وكذلك لباس خاص. أذكر ان لباس الرأس كان «الكلبك الشركسي». كان بينهم أفراد من الشركس. دورية من هذا الحرس مثلت دور الارهاب في قريتي بترومين.

كان شقيقي الرفيق حنا جريج، يتمشى في الضيعة وإذ هذه الدورية تحاول القاء القبض عليه. لماذا؟... فر من بين أيديها كالمسكة. هاجتها شقيقتاي، منة وتام، محتجتين على هذا التصرف الشاذ. عندما فر شقيقي أنذرته الدورية بالاستسلام ولما لم يأبه للانذار أطلقت عليه النار فأصيب بطلقة في أسفل رجله، قرب القدم. ظل مستمراً في فراره وأفلت من قبضتها. تجمع الأهالي في لحظة بقوة ساحر فحسبت الدورية لهذا التجمع ألف حساب فغادرت القرية وقد اعتقلت شقيقي وأودعتها سجن سراي أميون بتهمة اعتراضهما لدورية أثناء قيامها بوظيفتها.

تفقد رفقاء القرية رفيقهم حنا فوجدوه في أحد الحقول. أوصلوا الخبر إلينا في مقرنا السري فطلبنا منهم إيصاله إلى بيروت للمعالجة وهكذا كان. نقله إلينا الرفيقان الياس خوري نجار واسكندر ضاهر. حل مشكلة المعالجة طالب الطب، الرفيق عبد الله سعادة الذي اتصل بالرفيق الدكتور جورج صليبي في المستشفى الأميركي حيث أجرى الدكتور جيداجيان ما يلزم وأعادنا إلينا للراحة والنقاة. ما كان بالإمكان إبقاؤه في المستشفى سراً وتحمل هذه المسؤولية الدكتور صليبي وجيداجيان وهكذا انضم الرفيق حنا جريج إلى زمرة المقر السري، ملقى على سرير.

المحاكمة العسكرية:

وأخيراً قر رأي السلطات الفرنسية على تعيين موعد لمحاكمة السوريين القوميين الاجتماعيين بجلسة إصدار الأحكام في 20 آب 1940.

ظاهرتان جديرتان بلفت الانتباه إليهما. الأولى موقف الرجال العسكريين القضاة وعلى رأسهم الكولونيل شربونيه. كان موقفهم موقف إثبات الوجود العسكري في بلادنا بينما انهار هذا الوجود خلال فترة أيام معدودات في الوطن الأم، فرنسا. كانوا كأنهم ينتقمون منا عما أصابهم من هزيمة وذلك بدليل قاطع جازم جرى على لسان رئيس المحكمة «نحن الآن في مأتم الحزب السوري القومي». والثاني - موقف الدفاع عنا العاكس للموقف العسكري ويتلخص بأظهار بطلان صلاحية المحكمة بالنظر في هذه الدعوى. أولاً: إذا كانت المحاكمة تجري بتهمة الاعتداء على أمن الدولتين اللبنانية والشامية فهذه المحاكمة هي من اختصاص محاكم الدولتين اللبنانية والشامية. ثانياً: إذا كانت المحاكمة تجري بتهمة التآمر على سلامة الدولة الفرنسية - والعلاقة بدولة أجنبية وهذا ما لم يثبت التحقيق، خصوصاً منع محاكمتنا بموضوع العلاقة بدولة أجنبية. على كل حال - فإن وجود الدولة الفرنسية في هذه البلاد أمر فيه نظر من الناحية القانونية الانترنسيونية فهناك الانتداب. إن فرنسا دولة متتدبة والأرض هنا ليست أرضاً فرنسية.

هذا من جهة ومن جهة أخرى هناك مفاوضات الاستقلال ثم هنالك الوضع الحربي الراهن من وجود لجنتي الهدنة الألمانية والايثالية مما يلغي صحة الشرعية الفرنسية المزعومة.

كان المجلي في هذا الدفاع الميتر فرآن Maitre Ferran وكم كنت أتمنى لو كان بالإمكان الحصول على نسخة منه لأنه يعتبر وثيقة تاريخية. ثم توالى على الكلام باقي المحامين في طليعتهم الكومندان كاب دي جيل «Cap de gel» .

الأحكام:

20 سنة سجنًا و 20 سنة منع إقامة على أنطوان سعادة.

20 سنة سجنًا و 20 سنة منع إقامة على مأمون اياس، جبران جريج، فخري معلوف، سروري بارودي، نايف قعوار، فريد صباغ وأنطون الرامي بالصفة الغيايبة.

15 سنة سجنًا و 15 سنة منع إقامة على مصون عابدين بك.

10 سنوات سجنًا و 10 سنوات منع إقامة على نعمة ثابت، جورج عبد المسيح وعبد الله قبرصي.

5 سنوات سجن و 5 سنوات منع إقامة على منير الملاذي.

السجن سنتين لكل من الياس سمعان، وليم سابا، محمد القاضي، اسبيريدون ديب، خالد موراه لي ورشيد فرعون.

السجن سنة واحدة لكل من بشير فاخوري، عزيز ارناؤوط، احسان مسوح، اميل يوسف فتوة، رفيق أبي كامل، عبد الكريم سيروان! نمر عبد الباقي، أديب قدورة، يوسف اليازجي، منصور اللحام، نعمة غزال، صلاح شيشكلي، أمين مجذوب، حسن الطويل، الياس جرجي فنيح، أنيس فاخوري، الياس قدسيه، إبراهيم الشامي، جورج حنكش ونجيب المقدم.

لم تتناول هذه الأحكام تهمة العلاقة الأجنبية لأن قرار الاحالة إلى المحكمة العسكرية كان قد أسقطها في التحقيق لعدم ثبوتها فمنع عنها المحاكمة.

بالرغم من الأجواء التي كانت تخيم أثناء صدور الأحكام العسكرية يجدر بنا أن نذكر ولو تلميحاً انه جرت تظاهرة أمام مبنى المحكمة العسكرية والجدير بالذكر انه كان على رأسها الرفيقة نجلا حتي. ولكن ما أن وصلت أخبارها إلى المنفذ العام حتى أمر

بالاكتفاء بالمدة التي انقضت لأن المهم في الأمر هو الموقف الرمزي وهذا الأمر قد حصل، فتفرق المتظاهرون انصياعاً للأمر الحزبي.

كذلك ورد اقتراح من الرفيق محمد يوسف حمود بأن يصار إلى استغلال خطبة الرفيق محمد اللحام (مؤدب الصحفي البذيع عارف الغريب) وتسجيل موقف حزبي يكون بمثابة رد غير مباشر على صدور الأحكام ويكون تسجيلاً في الوقت نفسه على أن المسيرة مستمرة بالرغم من صدور هذه الأحكام التعسفية ولكن جاء الجواب بعدم الأخذ به والاكتفاء ببيان الحزب الذي صدر في دمشق بهذا الخصوص. كان هذا بدء نشاط الرفيق حمود على صعيد المنفذية.

وبالمناسبة يهمننا ان نسجل الموقف الناشط للرفيق أحمد مفتي، الخازن العام السابق وإثبات وجود الرفيق جمال الغزي، المدرب الحزبي الأول. ومن جهة ثانية بدأت تظهر بعض الانحرافات من الرفيق الشاعر وليم صعب.

التعليق على الأحكام:

أفضل تعليق على هذه الأحكام كان التعليق الذي نشرته جريدة «سورية الجديدة» في عدديها 86 و 87 تاريخ 5 و 12 تشرين الأول 1940، اقتطف منه بعض المقاطع النموذجية: «نكتب هذا المقال ونحن لا نصدق ان المحكمة العسكرية الفرنسية يذهب بها جنون الغطرسة والخيلاء والتعامي والاستبداد إلى حد الانتحار، فتحكم على السوريين القوميين بعشرات السنين سجناً وعشرات الأعوام نفياً دون أن تدري انها حكمت على نفسها بنفسها، وانها كانت في هذه الأحكام التي لا يحق لها على الاطلاق ان تصدرها مثال الجبانة والتطفل والاعتداء على أقدس الحقوق القومية.

نكتب هذا المقال ونحن لا نصدق أن المحكمة العسكرية الفرنسية تستطيع لنفسها ان تستأسد على السوريين في حين ان فرنسا تعاني مرارة الاحتلال الالماني وتكابذ ذل الحكم الأجنبي المفروض على الفرنسيين بقوة العدو المنتصر، عجباً، كيف تستطيع هذه المحكمة العسكرية الفرنسية ان تحاكم رجالاً موقفهم أمام فرنسا كموقف الفرنسيين أمام الالمان؟ ألا تدري هذه المحكمة انها بحكمها على السوريين القوميين الذين ضحوا في سبيل استقلال سورية وتحريرها من الحكم الأجنبي الاستعماري بالنفيس والنفس، سوغت للمحاكم العسكرية الالمانية في فرنسا محاكمة كل فرنسي يسعى إلى تحرير وطنه من نير الاحتلال الالماني؟

ألا تدري هذه المحكمة أن سقوط فرنسا أدى حتماً إلى سقوط انتدابها على

سورية، وانه لم يبق للانتداب الفرنسي صفة أو شبه صفة شرعية منذ امضت معاهدة الهدنة واستسلمت إلى العدو الظافر في غابة كومبيان التاريخية؟

وبعد، فما اقترف هؤلاء السوريون القوميون، حتى تطفلت المحكمة العسكرية الفرنسية، وهي محكمة أجنبية استعمارية تدعمها حراب الأمريكين وأباحت لنفسها حق القضاء في التهمة الموجهة إلى السوريين القوميين وهي التآمر على سلامة الدولتين اللبنانية والشامية؟

إن السوريين لهم ملء الحق والحرية في اختيار الأنظمة السياسية الداخلية ولهم أيضاً ان يتدخلوا في شؤون وطنهم وينصبوا الحكومة الوطنية التي يريدونها، فما هو شأن الاستعماريين الفرنسيين في الأمر؟ ألم يعلموا حتى الآن، انهم معدودون في سورية كضيوف ولاجئين سياسيين؟ ألم يعلموا حتى الآن، انهم انتقلوا من حماة إلى محميين، وإن لسورية عليهم فضل الحماية في هذه الأيام التي أوضاع فيها الفرنسيون استقلال وطنهم الأصيل؟

لقد أضفتم، أيها الاستعماريون الفرنسيون! حلقة جديدة إلى سلسلة مساوئكم ومظالمكم وأثامكم، لقد افتتحتم عهدكم في سورية بصفحات حمراء مخضبة بالدماء وهما أنتم تختمونهم بصفحات سوداء ملطخة بعار الجبانة والوقاحة، فما أسوأ ما افتتحتم به عهدكم وما أقبح ما ختمتم به ذلك العهد المشؤوم الذي هو عهد النكبات والبلايا.

لقد حاولتم في أول الأمر أن تلتطخوا جهاد الحزب السوري القومي، وهو أنقى وأشرف جهاد عرفته سورية فزعمتم انه متصل بدولة أجنبية وانه يشتغل لمصلحة أجنبية، وانه يتقاضى أموالاً أجنبية، وان حركته أجنبية!

لقد حاولتم أن تشوهوا سمعة جهاد القوميين وتطعنوهم في أقدس كراماتهم فاتهموهم زوراً وبهتاناً انهم يشتغلون لمصلحة دولة أجنبية فقمتم تعقلونهم وتزجون بهم في السجون كمجرمين، ثم أبي نور الحق الا أن يطرد ظلمة التضليل والكذب، فإذا بكم عاجزون عن إثبات ما ادعيتموه، وإذا بكم مخفقون تجرون ذبول الخيبة، وإذا بكم تكذبون أنفسكم بأنفسكم، فيخرج القوميون أبرياء شاخي الأنوف، مرفوعي الرؤوس وتحنون هاماتكم أمام عظمة الدين افترتيم عليهم.

وكان هذه الدحرة التي أصابتكم وطعنتمكم في صميم كبرياتكم أثارت أحقادكم الدفينة، فقمتم اليوم تحاكمونهم بتهمة التآمر على سلامة دولتي المشرق، اللبنانية والشامية. حقاً انكم تمثلون رواية هزلية، أيها القضاة! حقاً انكم تستطيعون التهمك والازدراء!

اننا لا نحتج على المحكمة العسكرية الفرنسية في بيروت ولا نكثر للأحكام التي أصدرتها، لأننا لا نعترف لها بصيغة شرعية، ولا نعترف بها أيضاً، ولذلك نعدّ كل أحكامها لغوا في لغو، وندين الفرنسيين القضاة بضم الفرنسيين المحامين الذين أعلنوا في الدفاع إن هذه المحكمة لا تستطيع أن تصدر الحكم باسم الجمهورية الفرنسية لأن هذه الجمهورية منحلة، ولا يعلم غير الله متى تنبعث من لحدها الذي طويت فيه.

والسوريون القوميون الذين لم يعرفوا في كل جهادهم معنى التردد والخوف والتقهر. سيثابرون على جهادهم بعزيمة أمضى وإيمان أشد إلى أن يكسبوا المعركة الفاصلة ويحرروا سورية من كل أعدائها. إن هذه الأحكام «الروائية» لن تفت في عضدهم، ولن تخمد جذوة حماسهم، بل بالعكس تزيدهم قوة وصلابة وإيماناً بفوزهم النهائي الذي ينتظرهم».

الاعْتِقَالُ

بعد هذا الانفلاش الذي وصلنا إليه، صرنا نفكر بالانتقال من هذه الشقة التي استنفدت قوة استيعابها إلى شقة سواها نتستر فيها من جديد، كلفنا الرفيق فارس معلولي بتدبير هذا الشأن فظل مدة لا يحالفه التوفيق. وأخيراً توفق في بيت وصار ينتظر البت من قبلنا. قررنا أن ننتقل إليه بعد ثلاثة أيام.

وفي ذات ليلة بينما كان الأمين أياس عائداً من لقاء مع كلودا، شقيقة الرئيس ثابت في منزل الرفيق فريد شحادة - وكيل منفذ عام زحلة - الذي كان يبعد قليلاً عن المقر، لاحظ ان سيارة تقتفي أثره، كما اننا كنا قد لاحظنا ان رجلاً غريبة تكثر التردد على كرم التوت المجاور لمسكننا، وصل إلى البيت وأخبرنا عن ملحوظته.

كان رد الفعل الفوري عندي أن نغادر المكان فوراً إلى أي مكان آخر للمحافظة على سلامة القيادة وبالتالي على سلامة تحركنا. العميد أسد الأشقر تباطأ ووجدت من رئيس مجلس العمدة مأمون أياس عدم الميل إلى الأخذ برأيي مع أن العكس هو ما كان يحصل عادة إذ انه كان دائم القلق على سلامتنا فينتقل بسرعة البرق من مكان الخطر عندما تبدو أول بادرة منه في الأفق فما باله هذا المساء؟ ارتحمت الى عدم استعداداه وما عدت الححت.

كان الرفيق عبد الله سعادة قد استأذن في ذلك النهار للذهاب إلى أميون الكورة لزيارة والدته التي كانت مشغولة البال عليه فراح ليطمئنها على صحته وسلامته كما أن الرفيق «برون» كان غائباً في مهمة. أما الرفيق عيسى حمادة فقد رافق الرفيق سعادة إلى الشمال للقيام بمهمة حزبية أخرى؛ ثمنا ولكن القلق على غير عادة كان مستحوذاً عليّ فما اقترب الرقاد من جفوني إلا بعد منتصف الليل بوقت طويل. وخيل إلي انه ما

كادت عيناى تغمضان حتى استفتت على دوى طرقات عنيفة متلاحقة على الباب تكاد تحطمه .

دب الذعر فى مساكن البناية . دب الذعر فىها من جراء هذه الطرقات التى ظنها كل ساكن انها على باب داره، هذه الطرقات التى دوت بعنف وشدة عند انبلاج فجر ذلك النهار، فى 26 آب 1940 والناس فى سباتهم العميق يرتعون، أما نحن، ساكنو الشقة الذين كنا نترقب حصول شىء من هذا القبيل فجر أى يوم، بهاجس أو دون هاجس، فقد نهضنا عند المداهمة وارتدينا ثيابنا لاستقبال الضيوف الوافدين بهذا الطبل وبهذا الزمر.

كان القادمون رجال الأمن، كانوا كثرة، ما عدت أذكر عددهم، فتح أحدنا الباب واقتحموا الدار كالسيل الجارف، كالفيضان، كالطوفان، وهم يشهرون السلاح بأيديهم واكتظوا فيها يلغطون، لا نفهم منهم سوى كلمة «مكانك، مكانك». وأخيراً أقبل من يبدو انه رئيسهم، أقبل وهو يعرج قليلاً، عرف عن نفسه «المفوض أسعد البستاني» (هو الوسيط نفسه الذى نقل التطمينات لكلودا ثابت فاستسلم شقيقها على يده) أقبل علينا وهو يومئء إليهم بإشارات الهدوء قائلاً «عاملوهم بالحسنى، بأحسن ما يمكن أن يكون، مفهوم»؟؟ كانت بادرة جيدة من قبله فى هذا الخضم من الهيجان والتوتر.

كنا فى البيت خمسة ما عداى، مأمون اياس، أسد الأشقر، فارس معلولى، عبد الله أيوب وشقيقي حنا المصاب. فى هذه البناية التائهة، الضائعة بين كروم التوت فى رأس بيروت حيث استقر بنا المقام أخيراً. ختمنا، أنا ومأمون، عاماً كاملاً متوارين عن أنظار السلطة العسكرية الفرنسية بأجهزتها الهائلة المنتشرة كالسرطان فى كل الأنحاء، هذه السلطة العسكرية المهابة فالأمن زمن حرب والتدابير قاسية فظيعة، ومع ذلك فقد استطعنا أن نتجنبها ونفلت من قبضتها طول هذه المدة ونقوم بالأعمال الحزبية على أفضل وجه ممكن، كما مر بنا. هكذا انقضى عام بكامله، «نشاط وملاحقة».

نزلنا من الشقة غير معلولى الأيدي، ما قبل البستاني بوضع «الكلبشا» فيها. حمل كل منا شنطته بيده وتمشينا من البناية بين كروم التوت إلى حيث الشاحنة واقفة بانتظارنا فى شارع الحمراء، مجتازين الممرات، الواحد تلو الآخر، كأننا مسافرون، ذاهبون إلى المحطة، يستعجلون الخطى لثلا يفوتهم القطار أو كأننا ذاهبون فى نزهة إلى البرية.

صعدنا إلى الشاحنة بهذا الوضع المنفرج، أوصلتنا إلى نظارة البرج حيث تسلمنا

الخفير. هو غير «محمد أفندي». ما قد عدنا إلى الاعتقال من جديد. شكليات هذا التوقيف اختلفت عن سوابقه، ابتداء من معاملة أسعد البستاني اللطيفة المهذبة.

ويقول الرفيق عبد الله أيوب في رسالة إليّ ، ما يلي :

بعد إتمام العمل الحزبي في مديرية الحاكور حيث قضيت هناك أكثر من أسبوع أتجول في منطقة عكار (القاطع) عقدنا اجتماعاً عاماً في حرش «ون مور» يقع على جبل فوق قرية الحاكور وكان ذلك يوم الجمعة ويوم السبت عقدنا اجتماعاً عاماً على ضفاف نهر عرقه وكان صدى هتافنا يملأ الفضاء وعند الساعة الخامسة مساءً توجهت إلى المينا وأنا في منزل خطيبي «اليوم زوجتي» إذا بأحد الرفقاء من «الحاكور» مع شقيق الرفيق جوزيف يحضر لعندي ويخبرني أن قوى الدرك داهمت «الحاكور» وألقت القبض على أكثر الرفقاء وهم يطالبون بك حياً أو ميتاً ، وبعد أن ذهب الرفيق وهو سلامة الخوري شقيق الرفيق إبراهيم الخوري مدير المديرية وهو اليوم في البرازيل . مع شقيق جوزيف ، أكملت طعامي وذهبت إلى منزل أحد الرفقاء كي ابيت ، حيث بت عنده وفي الصباح الباكر توجهت مشياً على الأقدام من البيت على شاطئ البحر حتى محلة «أبو حلقه» حيث تعمشقت على مؤخرة (حنتور) عربية خيل من مدخل شكا ومن هناك توجهت إلى منطقة القويطع وقبل دخولي قرية كفرنا شاهدت بعض جنود من الجيش الفرنسي في الوادي على التلول ظننت أنهم يقطعون عليّ الطريق لإلقاء القبض عليّ ، فدخلت بين أشجار البلوط صاعداً التل ودخلت كفرنا ومنها توجهت صوب كفرحاتا وأنا على الطريق شاهدت أحد أبناء السودا شقيق الرفيق زاهي السودا وكان مشتبهاً به حسب ظني . فقال لي لا تخف وصلت على محل الأمان . دخلت كفرحاتا وتوجهت نحو دكان وطلبت قذح من الماء وإذا بالرفيق المرحوم جبور هناك مع بعض الرفاق أخبرتهم بالقصة فأخذني المدعو (أبو سلمى) لمنزله لأنه كان يحمل عصا يسميها (سلمى) أظن على اسم زوجته . في المساء بتّ ليلتي في منزل الرفيق إبراهيم بشاره في الصباح حضر لعندي المرحوم الرفيق نقولا فرح أخذني إلى بتعبورة حيث قابلت الأمانة جبران جريج ومأمون أياس وكانوا على مائدة الطعام بقيت معهم مدة 15 يوماً أذكر أننا ذهبنا إلى بترومين ومنها نزلنا إلى أبو حلقه حيث أخذنا سيارة لبيروت وكان السائق من المينا اسمه إبراهيم حيث تجمعنا كلنا في البيت السري وكان جارنا أحد الرفقاء من الشرطة من بيت حلاوى هناك تعرفت على الرفيق فارس معلولي وغيره من الرفقاء ومنهم الأمين أسد الذي كان يزورنا من حين إلى آخر حتى ألقى القبض علينا وادخلنا سجن القلعة العسكري وكنت كل مدة إقامتي في السجن مع الأمين أياس وبطرس كيروز الرفيق حنا من كفرحزير لم أذكر اسمه الأول في يوم المحاكمة .

- 2 - أثناء التحقيق كان همي الوحيد هو تبرئة رفاقي من مديرية الحاكور وكان عددهم كبيراً كنت أعتقد جازماً أن لا خلاص لي فلا يهم بضع سنين زيادة - فكانت لي أول مقابلة مع المحقق الفرنسي قابلي، بكل إنسانية وقال لي أنت أكبر فوضوي وأكبر مشاغب في البلاد وحتى أعاملك كإنسان على شرط أن تحكي لي كل ما تعلم وكل ما عملته ولماذا أنتم السوريين القوميين تكرهون فرنسا وأنا أساعدك. فرأيت كلامه فرصة لي أن أطلب منه وعداً بإطلاق سراح جميع رفاقي من الحاكور لأنهم أبرياء وأنا المسؤول عنهم، وعن أعمالهم فأعطاني هذا الوعد ولكن بعد المحاكمة، ويكون الحكم خفيفاً عليهم جداً وهكذا كان ستة أشهر لكل منهم.

فقلت له أنا المسؤول عن جميع الاجتماعات في كل عكار ومسؤول عن كل القوميين عليّ تقع المسؤولية. جميع المنشورات كنت أنا أوزعها وانتقل بين القرى على أقدامي.

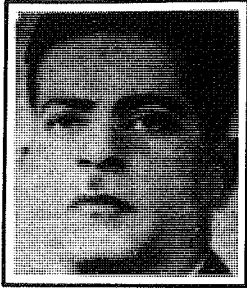
أما كرهنا لفرنسا فهذا غلط كبير يقع فيه رجال من أمثالكم نحن نحب فرنسا لأنها أم الحرية في العالم ولكننا نكره حكم فرنسا لأنها فرقت بلادنا باتفاقها مع حليفها بريطانيا وأذكر بعد تلك الجلسة لم أقابله سوى جلسة واحدة يظهر أنه اكتفى بما سمعه لأنني كنت صريحاً معه جداً.

- 3 - يوم المحاكمة وعند محاكمتي أذكر أن المدعي العام الفرنسي قال عني. إني أتأسف لأن القانون لا يساعدي على أن أطلب الحكم على المدعو عبد الله أيوب بأقصى العقوبة وقد حكم عليه 10 سنوات سجن و 10 نفي مع خمسة آلاف فرنك فرنسي.

في الطريق إلى السجن، العرض المغربي:

قرب الظهر دعينا للذهاب إلى مركز الشرطة العدلية في بناية للشرطة في وسط ساحة البرج. هي بناية كبيرة، ذات طابقين يقع مكتب الشرطة العدلية في الطابق الثاني. كان مرافقي إليه مفتش في الأمن العام يدعى «سليم الداهاوك» من بعقلين الشوف. كان صديقاً للحركة ولي به معرفة سابقة وثيقة، كنا، قبل إعلان الحرب بأسبوع أو اسبوعين، نعمل معاً لحل مشكلة عائلية اجتماعية. تظاهرت بعدم معرفته، كان موقفه مني معاكساً لموقف منه مما أذهلني.

ما كدنا نعدو خارج النظارة في طريقنا إلى الشرطة العدلية وهو يقبض على القسم الآخر من «الكليشا» بيد، تاركاً يدي الأخرى حرة حتى صب علي رشقاً من لغة «الأمن العام» من أمثال «يلعن دينكم كيف علقتمو»؟ كاف سين على هذه الظروف، كتتم في



«سليم الداھوك»

القمة، هازين الأرض، كل الناس معجبة بكم! هيك، يك!! على أهون سبيل!!!
الخ...

تحفظت تجاه عواطفه النارية فما بدرت مني حركة تنم عن أية ردة فعل نحوها،
ختمتها بعرضه علي مشروع فرار وهو بمعيي. قال: «نركب سيارة ونأمرها أن تذهب أني
تريد، نهرب ونعيد نشاطنا - مع انه ليس عضواً في الحزب - لا ندع لهؤلاء، أولاد
القحبة، مجالاً لأن «يتبتكوا فينا، يلاقروا، بت، قل كلمة». عندئذ، ما وجدت مناصاً
من الجواب.

أثار عرضه كوامن الحرية في نفسي وهزني هزاً عنيفاً. الفكرة تغري
وتغوي. لو عرض أن يفلتني لقلت أن وراء الأكمة ما وراءها، لكنه عرض أن يبقى
معي، وبالتالي يتنازل عن وظيفته ويتحمل في الوقت نفسه مسؤوليتين: مسؤولية
التخلي عن واجبه الوظيفي ثم مسؤولية تواطئه معي في الهرب. اقتنعت أنه صادق، انه
ما يزال صادقاً كما كنت أعرفه. أجبته ونحن قد صرنا قرب مدخل المبنى «بالرجعة أجابك».

صعدنا درج المبنى الخارجي ثم درج الطابق الثاني الداخلي وصرنا في الممشى
العريض إلى مكتب الشرطة العدلية حيث أخذ لنا مأمور هناك بعض الصور، مواجهة
وجانبية، أخذ بصمات الأصابع كلها وبالأخص الابهام، قفلنا راجعين إلى حيث كنا
أي إلى نظارة البرج، ما فتحت له موضوع عرضه لاسبر غوره. ما كذب ظني. عاد
يقدم العرض نفسه وهو يتباطأ في السير. بالأحرى عاد يخرضني بكل ما لديه من حجج
للاقناع. فكرت بسرعة فالوقت مداهم. قررت عدم الاستجابة. ما تحمل وجداني
مسؤولية خسارة وظيفته وما يمكن أن يتعرض له من محاكمة وحبس فيما بعد. هذا من
جهة ومن جهة أخرى لقد تفتحت العيون علينا فأصبح المفرد أو المستقر أصعب، إن لم
يكن مستحيلاً، ثم أن الحرب قائمة والمصير مجهول، شكرته وأثنت على موقفه النبيل
وشرف تصرفه. ألح كررت عرضي، شعرت انه انصدم، غمرت الكآبة محياه. كانت
استعداداته طيبة حقاً.

وأخيراً ختمت ترددي بأن قلت له «لست مستعداً ان أحملك خسارتك وظيفتك وتعويضاتها وأعرضك إلى المحاكمة فيما بعد لأوفر على نفسي عدة أشهر حبس» لم يقتنع من جوابي وكان تعليقه ابتسامة مرة. وصلنا الى النظارة وسلمني للمأمور واقتاد غيري للقيام بالعمل نفسه.

يقول الأمين كامل أبو كامل الجزيل الاحترام في مذكراته المخطوطة ما يلي:

تحركت الاستخبارات الفرنسية في لبنان واعتقلت رئيس الحزب السيد نعمة ثابت ولاحقت الآخرين فتوارى مجلس العمدة عن الأنظار، هذا بالنسبة للحزب، أما بالنسبة لأعدائها الآخرين فكانت تعتقلهم الواحد تلو الآخر وتودعهم بسجن القلعة. لم أكن من البارزين في الحزب ومع ذلك فقد اعتقلت على ساحة البرج بينما كنت أهم بركوب سيارة إلى عاليه وكان ذلك بوشاية رفيق خائن يدعى ملحم غريزي فقد استأجره الأمن العام الفرنسي ليدل على الذين لهم نشاط في الحزب، لكنه انكشف قبل أن يوصل إذاه الى غيري واعتقالي لم يتعدّ بضع ساعات لاني صادفت من يعرفني بين أفراد الأمن العام الذين ادلوا بشهادة بأنهم يعرفونني جيداً وإني لست سوى عضو بسيط في الحزب ولهذا تركوني وشأني فأرسلت خبراً فور خروجي من الدائرة إلى مأمون إياس الذي عمم على الجميع خيانة ملحم غريزي!

وبعد أن أعلنت إيطاليا وقوفها بجانب المانيا، بدأ اللبنانيون يشعرون بخطر الحرب، فمنعت التجمعات، وأطفئت الأنوار، بحيث لبست جميع الشبايك اللون الأزرق وكذلك طليت مصابيح السيارات بالأزرق وصار البوليس سيد الشارع.

عند العصر، حضرت شاحنة عسكرية وتسلمتنا من النظارة. هذه المرة كانت الشرطة فرنسية، شرطة الجيش. للمرة الأولى يتم احتكاك بيننا بهذا الشكل المباشر. هي الحرب. هو قانون الطوارئ. غلت أيدينا. أقلتنا الشاحنة إلى رأس بيروت إلى السجن العسكري الفرنسي حيث رفاقنا. لم يكن مركز هذا السجن بعيداً عن مركزنا السري. تغير الجو. صرنا في شدة العدو. وجوه غير وجوه وسماء غير سماء ولغة غير لغتنا. تبدل الحال كأننا انتقلنا من الوطن الى وطن آخر.

هذا هو الباب الحديدي المصفح فوقه اللافتة الحاملة اسم السجن باللغة الفرنسية. ساقتنا الشرطة العسكرية أمامها نعب الفسحات بين باب وباب إلى أن وصلنا إلى مبنى على يسارنا، يبدو أن مكاتب الإدارة تحتله. صعدنا ثلاثة درجات إلى مصطبة ومنها دخلنا المبنى وما كدنا ندخل حتى عرجنا إلى اليمين، إلى مكتب «الاستقبال» فكث فيه قيودنا. وضعنا الشنط على الأرض ووقفنا نرتقب ما سوف يلي.

جاءنا شرطي نحيف البنية، يتكلم بجفاء. أمرنا بأن نتبعه، تبعناه. أدخلنا غرفة أخرى. دخلنا وراه. جلس خلف منضدة عليها سجل كبير مفتوح. أخذ يتفرس فينا ويكتب. انه يسجل ملاحظنا والعلامات الفارقة أن كان ثمة علامات. سألنا بادیء ذي بدء عن أسمائنا وأعمارنا. أخذ قياس طولنا على عامود ملاصق للحائط، الخ... ظننا أنه انتهى ولكن ما كانت أشد دهشتنا عندما أمرنا بأن نتعري. نعم، ان نتعري للبحث عن علامات فارقة في أجسامنا أو هل كنا نخفي فيها أشياء يمنعها القانون. خضعنا للقانون فأجرى نظره علينا. فتشت حقائقنا بكل دقة وأعيد متاعها إلينا ولكن دون الحقائق لأنها ممنوعة. نزلنا ضيوفاً معززين مكرمين على السجن العسكري الفرنسي «الخان العثماني» سابقاً. استقبلنا بعد الانتهاء من هذه المراسم، الرئيس ثابت بعبوس ظاهر يعبر عن أسفه العميق على وقوعنا في الأسر.

تسلمنا حرامين عاديين وآخر صغيراً للرجلين «Couvre - pied». تسلمنا أيضاً سطيلة «Gamelle» هي وعاء لأخذ الطعام فيه وفتجاناً صغيراً من الألومنيوم يسع ربع لتر من السائل لشرب القهوة الصباحية أو لشرب الماء واسمه «Quart» أي الربع فأصبح اسمه العربي «الكار». ومع هذه السطيلة ومع هذا الفتجان «الكار» تسلمنا ملعقة. حملنا بضاعتنا هذه وامتعنا، يقودنا شرطي إلى السجن. خرجنا من المبنى إلى المصطبة وهبطنا الدرجات واتجه بنا نزولاً إلى الداخل. مشينا على طريق معبد إزاء الحديقة. لاحظنا فيها شجرة نخيل كبيرة قريباً بركة ماء. على جوانب الحديقة للجهة المقابلة للمبنى الذي غادرناه، غرف أبوابها محددة بقضبان تتفحصنا من خلالها وجوه مطلة، عليها تعرف أو تتعرف على أحدنا، إنها تعرفنا على كل حال فقد سبق خبر اعتقالنا وصولنا. رافقتنا بأبصارها حتى توارينا.

أماننا باب قضبان حديدية مفتوح. عبرناه، استقبلتنا فسحة مستطيلة صغيرة. على يمينها، ما يبدو انه مطبخ، فرائحة المواد يعبق بها المكان. على يسارها غرفة صغيرة للحلاقة. للجهة الجوانبية باب آخر لكنه مصفح بدءاً من علو نصف متر تقريباً إلى الأعلى وفي وسط التصفيح كوة مستطيلة، قليلة العرض. ازاح الشرطي المزلاج لنصبح في باحة مستطيلة قليلة العرض أيضاً. استقبلنا فيها الأمين جورج عبد المسيح وهو يدخلن بعصية ظاهرة. استقبلنا بابتسامة مرة تحمل كل معاني الألم والغم».

على مدار هذه الباحة غرف أبوابها أيضاً قضبان حديدية تطل منها وجوه السجناء، تتفرج علينا، على هذه الوجوه الجديدة، في طرف الباحة الأخر. ملاصقاً للجدار- السور- لمحت رفوفاً خشبية ملانة بالجزر والبصل والبطاطا وأمامها رجلان يعملان فيها تقشيراً ويضعونها في أوعية كبيرة جنبهما. قدامنا بناء كبير مسقوف،

«بثكنة» من الواح التوتياء، مثلثة الأضلاع. في وسط ممشى ضيق. انحدرنا فيه عدة درجات وقادنا الشرطي يرافقنا عبد المسيح إلى آخر غرفة على اليسار، لحق بنا الشرطي المولج بالحراسة الداخلية ومعه المفاتيح. سحب واحداً منها وفك قفل الباب وفتحته. لهذا الباب درفتان، كل درفة انفتحت لجهة ودخلنا «الشمبرية» الغرفة هنا اسمها «شمبرية» لا «قاووش» حلت التسمية الفرنسية هنا محل التسمية العثمانية كما حل السجن العسكري الفرنسي محل «الخان» التركي. دخلناها ليستقبلنا فيها رفقاتنا بوجوم. كانت هذه الغرفة مختصة بهم كما مر بنا. حينها تم التحية السورية القومية الاجتماعية وأجابونا بمثلها.

ما شعرنا بالوقت كيف مضى فقد جاءنا الرئيس ثابت من المكتب. انه يجيء عادة عند انتهاء الدوام أي قرب وقت العشاء فالتعداد. وزع الأكل علينا. تناولناه بالسطيلة «Gamelle». كان الأكل كناية عن «بويون» «Bouillon». شورباء مع الخضر. حسنتها انها ساخنة، معها قطعة خبز. هذا الخبز هو جزء من رغيف كبير مدور منفوح. هو خبز الجيش الفرنسي، أكلنا. ما كدنا نفرغ من الأكل حتى دوى صوت الشرطي يصيح «Appel»، ترجمة كلمة «تعداد» بالفرنسية. انتصبنا واقفين. انفتح الباب ودخل الشرطي «السرجان» عدنا واحداً واحداً وانصرف، هو نفسه الوجه الجاف. الذي أجرى معاملات أدخلنا في المكتب. أخبرونا عنه انه لا يضحك للرغيف الساخن. انه فج وغلظ. اسمه قريمالدي واختصاراً «قري».

قضينا السهرة تلك في العموميات، ما ركزنا أحاديثنا على أمر معين بالذات. تناولت الأحاديث مجريات سنة كاملة. لاحظت ونحن نتحدث في السهرة أن من يريد التدخين ينزوي في جهة من الغرفة لا يرى من بِّرا. لاحظت انه لا يشعل السيكارة من عود الكبريت - تذكرت ان علبة الكبريت أخذت مني في الإدارة عند إجراء التفتيش وتركت لي علبة الدخان! - سألت الآن عن سبب هذا التدبير. كان الجواب أن التدخين ممنوع داخل الغرف انه مسموح فقط أوقات النزهة، لماذا؟ لا جواب على ذلك إلا أننا في سجن عسكري، لا غير.

أما الطريقة التي حلت بواسطتها مشكلة الكبريت فقد كانت طريقة ظريفة جداً. قطعة قماش محرقة - لا محروقة تماماً - موضوعة في علبة تنك. كانت هذه العلبة علبة حبوب «Valda ولدة» للسعال، تلازمها قطعة خشب صغيرة طول الأصبع الخنصر أو انحف أو أقصر بقليل. حُفَّ أحد طرفيها فنعم ورق، مغروس في هذا الطرف الرقيق حجر قداحة، نائق قليلاً ثم قطعة زجاج بحجم الطابع البريدي تمكَّها على الحجر النائق فتنفدح شرارة من جراء الاحتكام، فتصيب الخرقة المحرقة فتولع ومنها

تشعل السيكرة. انها قطعة وحيدة فريدة، نادرة. يستعملها الجميع وإذا اقترب «السرجان» المناوب صوب الباب فيكفي ان يلفظ أحدهم كلمة «عباية» حتى يفهم الجميع أن الشرطي الحارس قرب الباب. ان كلمة «عباية» هي للتحذير فيتحفظ السجن أو يوقف عملته حين ابتعاده. هذه قصة التدخين في الحبس العسكري وهذي هي الولاة السجينة.

دق جرس في المساء. حان أوان النوم. انها الساعة التاسعة. ثلنا ليلتنا نشارك رفقاءنا فرشهم. أطل علينا الصباح لنجد الغرفة خالية من أدوات الغسيل، لا حنفية ماء جارية ولا مجلى غسيل الوجه بالدور حسب تسلسل الغرف. مكان الغسيل غرفة زاوية الباحة. مجلى على طول جدارها ينصب عليها ماء الحنفيات العديدة المركزة في قسطل نحيف تجري فيه الماء من الخارج. كل يتمسك بحنفية. بعد الغسيل وأحياناً قبله. حسب الدور، توزع القهوة المصنوعة على الطريقة الفرنسية. تؤخذ في «الكار». انها منعشة صباحاً.

في طرف كل غرفة، عند الزاوية، عدة درجات يصعد أحدنا إليها ليدخل حجرة صغيرة تستعمل لقضاء الحاجة. لا مجارير ولا أدوات صحية. في أرض الحجرة فتحة تحتها برميل يتلقى الافرازات من تبول أو تغوط، على جدران الغرفة رف من الخشب سميك وضعنا عليه امتعتنا وأدوات الأكل. هذه الرفوف مسنودة بأجهزة حديدية.

حان وقت النزهة. صار اسمها الآن «Promenade» «البروميناد». خرجنا من الغرفة الى الباحة المستطيلة أمام البناء، مع غرفة أخرى أو غرفتين، ما عدت أذكر. ولكن الذي أذكره جيداً للتنزيه هنا نظاماً خاصاً به. هذا النظام يقضي بالسير صفاً مفرداً. الواحد خلف الآخر ويدور هذا الصف حول الباحة دورانا تريباً مملا، يمشي أحدنا كأنه يمشي على بيض. فهتمت الآن قصة الرفيق ميشال هاشم مع السرجان فراتشي التي مر ذكرها. والانكى انك إذا ضجرت من هذا الانجرار في النزهة ووددت أن تعود إلى الشمبرية فذلك ممنوع. البروميناد واجب إجباري «كالكورفيه» «Corvée». هذه كلمة تعني السخرة في الخدمة العامة أي التنظيف والتكنيس في الغرفة. على كل حال، انها نزهة، انها خروج من عتمة الشمبرية إلى الهواء الطلق.

بدأت أعتاد على المحيط والبيئة في هذا السجن العسكري. يحين وقت «السوب» «Soupe». السوب كلمة تعني الوجبة الغذائية. هي مرادفة لكلمة «أرواني» التركية في السجن المدني الوطني!! نتغدى. نقيل، يحين وقت النزهة ننتزه. فجأة صاح الرفيق أديب قدورة «عماطوري»!! بهت لهذه الصبحة، رأيت يهرول نحو الرف ويتناول قنينة كولونيا يصب منها على يده ويسدّها بها أنفه. فعل مثله الرفيق وليم سابا وكذلك الأمين بشير فاخوري

وأنا واقف لا أدري لهذه التصرفات أي معنى . ما طال وقت جهلي . انتشرت في السجن روايح كريهة سدّت خياشم أنفي فأصابني نوع من الغثيان . بعد فترة وجيزة من الزمان خلعتها دهنراً سألتهم عن سبب هذه الروائح فأجابني الرفيق قدوره «كل نهار، في مثل هذا الوقت، يحضر عمال التنظيفات التابعين لبلدية بيروت إلى السجن لأخذ القاذورات والافرازات البشرية من ضمن هذه القاذورات . يؤخذ برميل كل غرفة ويكبّ في برميل أكبر . وهكذا تبدأ عملية كبّ البرميل الصغير في الكبير ونقله إلى خارج السجن . هذه العمليات تستغرق بعض الوقت تفتح فيه هذه الروائح . إني سميت هذه العملية «عماطوري» (عماطوري هو اسم محل تباع فيه العطورات على باب ادريس في مدينة بيروت . هو اسم صاحبه) لقد استعار الرفيق قدورة الاسم العاطر لهذه العملية القذرة . في القرن العشرين، في إدارة فرنسية، تجري عملية نقل النفايات على هذا الشكل البدائي، الخالي من كل قواعد الصحة والنظافة!!!

بدأت مرحلة جديدة في حياتنا اليومية في السجن على الطريقة العسكرية الفرنسية . يذهب الرئيس ثابت إلى المكتب صباحاً ليعود إلى الشمبرية مساء . عودته تشير إلى وقت «البويون» و«الأبيل» . قبل النوم نتحدث كل من جهته . أخبرناهم عن القويطع، عن بتعبورة، عن المرصد، عن الجامعة الاميركانية، عن شارع الحمراء عن الاجتماعات، الخ... وأخبرونا عن المعاملة العسكرية من أولها إلى آخرها، بدءاً من «السليلات» إلى تجميع الشمل في هذه الشمبرية ثم المحاكمات فالاحكام . غني عن البيان أن هذه الأحاديث أخذت عدة سهرات حتى انتهت ومنها ما كان معروفاً منا ومفهوماً سابقاً بالتواتر .

عرفنا الرئيس ثابت على السرجان «دارسو» (Darsot) . انه إنسان ظريف . يميزه هذا اللطف وهذا الظرف عن سواه من أقرانه الشرطيين كان يأتينا يوماً بانتظام بجريدة «لوريان» (L'Orient) . كان يقرأها ويترجمها لنا الرفيق ويليم سابا ثم توليت أنا المهمة بنفسني . وهكذا بقينا على إطلاع على سير مجرى الحرب والأمور الأخرى المحلية منها والانترنسيونية . وكان السرجان دارسو يقوم بهذه الخدمة لوجه الله فما كان يتعاطى سوى ثمنها العادي . كان يؤمنه له الرئيس الثابت أسبوعياً . كانت شقيقته كلودا تضع النصف ليرة المعدن في قلب البطاطا بوره مثلاً، ملفوفة بقطعة قماش وهكذا دواليك . كانت الجريدة صلة الوصل بيننا وبين العالم الخارجي وكانت تسلية لنا في الوقت نفسه .

كان الأمين أنيس فاخوري يسلينا في أوقات فراغنا وما أكثرها . كان يسلينا بطريقته الخاصة . بتركيب كلمات وعبارات على غير معناها الحرفي فتصبح كلمات وعبارات أخرى . مثلاً، يجزىء كلمة سلامات إلى «سلا» و«مات» ويقول: «الله يرحم

سلا. مات» فيسأله أحدنا ومن هو «سلا»؟ فيجيبه هو أخ تنظي وتعلي ومعلو وكلهم ماتوا أيضاً. فنضحك وذلك إشارة إلى تنظيمات، تعليمات ومعلومات وقس على ذلك مما دعانا إلى تسمية هذه الطريقة في الكلام «الفاخورية» أو «الفاخورزم». وقد توسعت هذه الفاخورزم إلى إدخال حرف السين للمستقبل على الاسم بدل الفعل. مثلاً، سنا بغة أي سيكون نابغة في المستقبل. كذلك أن قال أحدنا مثلاً، «الانتظار» يقول له الأمين أنيس: «لماذا تتكلم بلهجة الأرمن؟ أنت - ظار، يجب أن تقول أنت - ظرت، وقس على ذلك أو كلمة مستشفى فيتساءل من تكون هذه «المسماة» تشفى»، انه استعار كلمة «مس» الأجنبية التي تعني «أنسة» من أصل كلمة مستشفى فتتحول كلمة «مستشفى» الى الأنسة «تشفى» فتغدو اسم علم، كل يوم تركيبات من هذا النوع يستخلصها من حديثنا المتداول فينشر جواً من الضحك والمرح بين الهزل والجد. كان يتسابق الرفقاء لتقليده فهذه تنجح وهذه تفشل. المهم أن الوقت يمر وينقضي.

لم تطل إقامة رفقتنا المحكومين بيننا كثيراً كان قد تم نقل بعضهم إلى سجن الرمل المدني قبل وأثناء مجيئنا وها أنه الآن يتم نقلهم جميعاً ما عدا نعمه ثابت وجورج عبد المسيح.

التحقيق:

ابتدأ التحقيق معنا. كان مختصراً مفيداً أن التحقيق مع من سبقنا قد اغناه عن التوسع معنا. اكتفى القاضي العسكري بالسؤال عما ارتكبهنا من مخالفات خلال هذا العام الذي كنا فيه «مطاردين»!! الجدير بالذكر أسلوب التحقيق. أول ما فاه به الكومندان ويتو «Vitu» بعد تسجيل الاسم والكنية والعمر والجنسية، الخ. هو أي حر في أن أجيبه بالفرنسية التي يبدو اني أجيدها أو أن أطلب ترجماناً بالرغم من هذه الاجادة وكذلك أنا حر في أن أمتنع عن الجواب، تاركاً ذلك للمحكمة.

اخترنا الاجابة بواسطة الترجمان خشية الزلل وضمن عاقبة، رحب بي صاحب البيان المالي منكتاً: «كنا على اتصال بالمراسلة» ثم سألني عن الخازن العام، أجبته مشيراً إلى جيبي. هذا هو الخازن العام، ضحك وعلق على جوابي «خزانة نقالة» (Caisse ambulante) أهم ما ورد في التحقيق هو أن وجود الرفيق أسد الأشقر معنا كان صدفة.

كان مركز المحقق في مبنى المحكمة العسكرية في الطابق الثاني، كم تمنينا لو طال التحقيق قليلاً ففي الذهاب والاياب نزهة ومتمعة للناظرين، فسحة لا تعوض.

في السجن:

كان لنا زملاء سياسيون من دمشق، نزلاء غرفة الباحة المنفردة وهم الدكتور سيف الدين مأمون، نبيه ويشير العظم ومن بعلبك توفيق هولوحيدر، تعرفنا أيضاً على بعض «السرjanaة» مثلاً السرجان فرانتشي صاحب حادثة الرفيق ميشال هاشم صادق الرفيق حسن الطويل الذي كان يضيفه حبات «الدريس» التي كان يستسيغها فورثناه عنه وسميناه «سرجان دريس» وهذا هو «السرجان بونان» كان يحب العنب فلا يقبل ضيافة إلا منه فصار اسم سرجان عنب أما «السرجان برنار» الذي يعرج قليلاً فهو متزوج من مواطنه لبنانية من بلدة عالية فكان اسمه «صهر البلد» اجا الصهر وراح الصهر، هكذا صرنا نقضي أيامنا في هذا السجن العسكري فكسرنا حده وحططنا قساوته.

حتى تكتمل الصورة، لا بد من ذكر بعض السجناء الأخيرين من مواطنين أو عسكريين، تقربوا منا. فضلو سركيس من بيروت، حي المزرعة وهو الرجل الهادي الرزين الرصين. جورج الهندي، الطويل الطويل، طوله يزيد عن 185 سم، ونكاته الكسروانية، السائق البيروقي، الحاذق السمرة الملقب «بالسنغال» الطيب القلب وهو يملأ الباحة بحركاته وروحاته وجيئاته. وذلك الزنجي الافريقي الذي كان يقضي النهار بطوله وهو يغازل صورة امرأة يعرضها على كل سجين، صورة زوجته كما يدعي، من بشري، لبنان الشمالي والله أعلم بصحة ادعائه! أما الأهم من كل أولئك كان لويس صعب، الشيوعي العتيق، البرغماتي، المحكوم لعدة سنوات، الذي سمح له في البقاء في هذا السجن الذي هو للتوقيف الموقت، ليتسلم ما يسمى «بالمصنع» وذلك لأنه صاحب محل موبيليا- محله في حي الجميزة، محلة الرميل في بيروت، يجادلنا ونجادله ومع ذلك فقد توطدت عرى الصداقة بيننا، انه مؤمن بانتصار الروس في هذه الحرب الضروس.

من الصنف العسكري كان نزلاء الغرفة المقابلة لغرفتنا من الجنود التونسيين. ذنبهم أنهم تمنعوا عن إكمال الحرب مع فرنسا فاعتبروا متمردين، زادت التهمة شدة عندما اكتشفت السلطة انهم ينتمون الى الحزب الدستوري الحزب الحبيب أبو رقية، المناضل ضد الاستعمار الفرنسي رقم واحد. كنا نفهم عليهم ويفهمون علينا بالرغم من تباين اللهجات. رئيسهم كان شاباً لطيفاً، دمه خفيف كان يخاطبنا «بالسوري» حتى لا يفوتنا من كلامه شيء. كان الصراع المشترك يقرب قلوبنا ويوحدها، ما عدا ذلك التاريخ البعيد المشترك.

والآن نتقل إلى مرافقة الزعيم في مغتربه الى نهاية هذه السنة الحزبية.

النشاط الحزبي عبر الحدود

ترك المعتقلين السوريين القوميين الاجتماعيين من الأركان في السجن العسكري الفرنسي ينتظرون موعد محاكمتهم لنتقل عبر الحدود ونعاود مرافقة الزعيم في نشاطه فبدأها بتأسيس الزعيم جريدة تنطق بلسان الحزب، بعد جهود جبارة تكللت بالنجاح بالرغم من الظروف الحزبية الضعيفة. سماها «الزوبعة» وصدر أول عدد منها في الأول من شهر آب 1940.

صدر تعميم بشأنها على انها هي الناطقة باسم الحزب السوري القومي الاجتماعي وأسند إدارتها الى الرفيق فريد الياس نزاها.

جريدة «السمير» في أميركانية:

وفي 3 آب 1940 ينشر الأمين فخري معلوف تحت اسم نصوح الخطيب مقالاً بعنوان «رسالة سورية الجديدة إلى العالم» أنقله لاعطاء فكرة عن كيفية معالجة مجرى



الأمين فخري معلوف

الأمر في زمن الحرب العصب. «استعرضت في عدد سابق من «السمير» النظم الأوروبية المتطاحنة على ضوء فلسفة الديمقراطية وأبنت أن جميع هذه الأنظمة تمثل بعض نواحي الديمقراطية وأنه ليس فيها نظام يمكن أن يدعي احتكارها إذ هي ما تزال مثلاً أعلى تتجه الإنسانية إليه ولم يتحقق بعد. وأشارت أو بالأحرى لمحت أن سورية تستطيع أن تكون مطلع النور الجديد للعالم مرة أخرى بإنشائها النظام المثالي للحكم الذي يصبح انموذجاً للأمم تنسج على منواله وتبني على مثاله.

وقبل أن أتقدم إلى تفسير فلسفة الديمقراطية الجديدة التي بزغ نورها على سورية في العشر السنوات الأخيرة ودرس قابليتها على حل أعقد المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تعالجها الأمم العصرية بدرجات متفاوتة من النجاح أجد من الضروري مواجهة بعض الأخطاء الفكرية والنفسية الشائعة ليكون الجو معداً لاكمال البحث وأول الأخطاء الشائعة وأخطرها اعتقاد الكثيرين في شأن طبيعة القوة المسيرة للتاريخ وفي تقدير إمكانات الأمة السورية.

يرى أصحاب العقائد الواهية أن سورية ستخضع لحكم القوة بعد هذه الحرب وسيبت في مصيرها القومي الذي يريح المعركة الفاصلة ويمرر النصر النهائي دون أن يكون لابنائها شأن في تعيين هذا المصير. ومن البديهي إذا كان الأمر كذلك - إن البحث في رسالة سورية الى العالم عبث محض - إذ لا يستطيع أن يحمل الرسالة إلى غيره من يعجز عن تولي إدارة شؤونه!!!

بيد أن هؤلاء القائلين بضعف سورية والسوريين لمخطئون. فمن يقول: «إن القوة هي التي تتكلم» عليه أن يفهم معنى هذه القوة، فالقوة «الغاشمة» والقوة «المالية» مثلاً لا تتكلمان على الدوام ولو كانت القوة أمراً مادياً فحسب لما كان للتاريخ وحوادثه وتضحيات الأبطال وجهاد الأمم أي معنى ومن يقول من بني قومنا بالقوة الغاشمة دون نظر إلى قوة أمتنا الحيوية والروحية والثقافية يقتل معاني القوة فينا. فلنوجه قليلاً من انتباهنا إذن إلى تحليل هذا الكائن العجيب الذي يسمونه «القوة» وينسبون إليه مسير التاريخ.

عند انتهاء الحرب بين فرنسا والمانيا في الأشهر الأخيرة تحدث الناس عن انتصار القوة ومنذ سنوات قليلة انتهت حرب أخرى بين هاتين الدولتين شبيهة بهذه الحرب من وجوه عديدة إلا أنها انتهت على نقیض ما انتهت إليه حربنا هذه. عند ذلك أيضاً تحدث الناس كما يتحدثون اليوم عن انتصار القوة. فالقوة، إذن، ليست صفة ملازمة لمجتمع من المجتمعات ولكنها نتيجة عوامل تاريخية خاضعة لإرادة الإنسان وفكره. إنها

روحية العصر في الدرجة الأولى تنتقل من شعب إلى شعب بينما العوامل المادية ثابتة على حالها لا تتغير.

إن عوامل القوة التي تجعل المجتمع أن يكون سيد مصيره هي: أولاً - القيادة. إن وجود القيادة الصحيحة في أمة من الأمم هي من أكبر النعم التي تمنح للأمة في حقبات من تاريخها فتؤهلها لتحقيق الأمنيات التي حنت إليها في أجيال طويلة. والقيادة لا تتوقف على وجود القائد فحسب بل على استعداد الأمم لمعرفة راعيها وتأييده وسليقة الأمة لتعيين رجلها والالتفاف حوله في الشدائد هي أهم مظهر من مظاهره الحيوية. والأمم التي فقدت هذه المزية هي الأمم الشائخة التي دخلت في طور الانحلال.

ثانياً - وحدة العقائد. إن وحدة العقائد وصلابتها هي العامل الذي يجمع جهودات الملايين البشرية في اتجاه واحد ويولد القوة القومية المركبة التي لا يمكن أن تقاس بقوة الأفراد. إن الأفكار عندما تصبح عقيدة في النفوس الحية المتوثبة ذاتها هي عند ذلك الحقيقة. الإنسانية الكبرى خالقة التاريخ ومعينة المصير الإنساني. لذلك وجب التمييز بين الفكر والأقوال الجامدة التي لا حياة فيها من جهة والعقائد الحية المولودة من الجهة الأخرى.

ثالثاً - الشعور بالرسالة إن شعور الأمة بأن عليها رسالة إلى العالم يخلق في نفوس أبنائها مثلاً أعلى ويولد شعوراً بطولياً يدعو إلى التضحية والاستبسال وليس التفكير بالعالم الخارجي مناقضاً للفكرة القومية بل هو متمم لها فكل أمة تحسب انها الأمة الوحيدة في العالم تهلك من الوهم الذي حاكته حول ذاكرتها كما أن العمل القومي لا يناقض المبدأ الإنساني بل هو طريقه العملي الوحيد. والأمم تتلقن الرسائل التي تتفق مع الأماني الإنسانية من تلقاء ذاتها ولا حاجة لآكراهها على ذلك.

إن الإنسان أينما وجد نراه ساعياً وراء الحياة الجيدة، والحياة الجيدة هي حياة حرة، مؤمنة، اجتماعية، راقية. لذلك فأينما وجدت هذه الحياة في شعب كبير أو صغير، لا بد وان تتجه أنظار جميع العالم إلى ذلك الشعب. ولو نظرنا في التاريخ البعيد نرى أن النور لم يخرج للعالم من الامبراطوريات الغنية المتضخمة ولكنه خرج من مجتمعات حية عاملة مهما كانت صغيرة. لم تطلع الحضارة من بلاد المغول بل طلعت من صيدا وصور وأثينا وأورشليم ومكة. كانت هذه المجتمعات تبعث برسالاتها العالمية بجاذب الإرادة الإنسانية الباحثة أبداً عن تحقيق أعز أمنياتها.

إن الروح المتيقظة تخلق القوة وتضم «الأقوياء» أما القوة بذاتها فتقلب على نفسها ظلاماً وليس منها يخرج النور.

الأمر في زمن الحرب العصب. «استعرضت في عدد سابق من «السمير» النظم الأوروبية المتطاحنة على ضوء فلسفة الديمقراطية وأبنت أن جميع هذه الأنظمة تمثل بعض نواحي الديمقراطية وانه ليس فيها نظام يمكن أن يدعي احتكارها إذ هي ما تزال مثلاً أعلى تتجه الانسانية إليه ولم يتحقق بعد. وأشرت أو بالأحرى لمحت أن سورية تستطيع أن تكون مطلع النور الجديد للعالم مرة أخرى بإنشائها النظام المثالي للحكم الذي يصبح انموذجاً للأمم تنسج على منواله وتبني على مثاله.

وقبل أن أتقدم إلى تفسير فلسفة الديمقراطية الجديدة التي بزغ نورها على سورية في العشر السنوات الأخيرة ودرس قابليتها على حل أعقد المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تعالجها الأمم العصرية بدرجات متفاوتة من النجاح أجد من الضروري مواجهة بعض الأخطاء الفكرية والنفسية الشائعة ليكون الجو معداً لاكمال البحث وأول الأخطاء الشائعة وأخطرها اعتقاد الكثيرين في شأن طبيعة القوة المسيرة للتاريخ وفي تقدير إمكانات الأمة السورية.

يرى أصحاب العقائد الواهية أن سورية ستخضع لحكم القوة بعد هذه الحرب وسيبت في مصيرها القومي الذي يريح المعركة الفاصلة ويحجز النصر النهائي دون أن يكون لابنائها شأن في تعيين هذا المصير. ومن البديهي إذا كان الأمر كذلك - إن البحث في رسالة سورية الى العالم عبث محض - إذ لا يستطيع أن يحمل الرسالة إلى غيره من يعجز عن تولي إدارة شؤونه!!!

بيد أن هؤلاء القائلين بضعف سورية والسوريين لمخطئون. فمن يقول: «إن القوة هي التي تتكلم» عليه أن يفهم معنى هذه القوة، فالقوة «الغاشمة» والقوة «المالية» مثلاً لا تتكلمان على الدوام ولو كانت القوة أمراً مادياً فحسب لما كان للتاريخ وحوادثه وتضحيات الأبطال وجهاد الأمم أي معنى ومن يقول من بني قومنا بالقوة الغاشمة دون نظر إلى قوة أمتنا الحيوية والروحية والثقافية يقتل معاني القوة فينا. فلنوجه قليلاً من انتباهنا إذن إلى تحليل هذا الكائن العجيب الذي يسمونه «القوة» وينسبون إليه مسير التاريخ.

عند انتهاء الحرب بين فرنسا والمانيا في الأشهر الأخيرة تحدث الناس عن انتصر القوة ومنذ سنوات قليلة انتهت حرب أخرى بين هاتين الدولتين شبيهة بهذه الحرب من وجوه عديدة إلا انها انتهت على نقبض ما انتهت إليه حربنا هذه. عند ذلك أيضاً تحدث الناس كما يتحدثون اليوم عن انتصار القوة. فالقوة، إذن، ليست صفة ملازمة لمجتمع من المجتمعات ولكنها نتيجة عوامل تاريخية خاضعة لإرادة الإنسان وفكره. إنها

روحية العصر في الدرجة الأولى تنتقل من شعب إلى شعب بينما العوامل المادية ثابتة على حالها لا تتغير.

إن عوامل القوة التي تجعل المجتمع أن يكون سيد مصيره هي: أولاً - القيادة. إن وجود القيادة الصحيحة في أمة من الأمم هي من أكبر النعم التي تمنح للأمة في حقبات من تاريخها فتؤهلها لتحقيق الأمنيات التي حنت إليها في أجيال طويلة. والقيادة لا تتوقف على وجود القائد فحسب بل على استعداد الأمم لمعرفة راعيها وتأييده وسليقة الأمة لتعيين رجلها والالتفاف حوله في الشدائد هي أهم مظهر من مظاهره الحيوية. والأمم التي فقدت هذه المزية هي الأمم الشائخة التي دخلت في طور الانحلال.

ثانياً - وحدة العقائد. إن وحدة العقائد وصلابتها هي العامل الذي يجمع جهودات الملايين البشرية في اتجاه واحد ويولد القوة القومية المركبة التي لا يمكن أن تقاس بقوة الأفراد. إن الأفكار عندما تصبح عقيدة في النفوس الحية المتوثبة ذاتها هي عند ذلك الحقيقة. الإنسانية الكبرى خالقة التاريخ ومعينة المصير الإنساني. لذلك وجب التمييز بين الفكر والأقوال الجامدة التي لا حياة فيها من جهة والعقائد الحية المولودة من الجهة الأخرى.

ثالثاً - الشعور بالرسالة إن شعور الأمة بأن عليها رسالة إلى العالم يخلق في نفوس أبنائها مثلاً أعلى ويولد شعوراً بطولياً يدعو إلى التضحية والاستبسال وليس التفكير بالعالم الخارجي مناقضاً للفكرة القومية بل هو متمم لها فكل أمة تحسب انها الأمة الوحيدة في العالم تهلك من الوهم الذي حاكته حول ذاكرتها كما أن العمل القومي لا يناقض المبدأ الإنساني بل هو طريقه العملي الوحيد. والأمم تتلقن الرسائل التي تتفق مع الأماني الإنسانية من تلقاء ذاتها ولا حاجة لأكراهها على ذلك.

إن الإنسان أينما وجد نراه ساعياً وراء الحياة الجيدة، والحياة الجيدة هي حياة حرة، مؤمنة، اجتماعية، راقية. لذلك فأينما وجدت هذه الحياة في شعب كبير أو صغير، لا بد وان تتجه أنظار جميع العالم إلى ذلك الشعب. ولو نظرنا في التاريخ البعيد نرى أن النور لم يخرج للعالم من الامبراطوريات الغنية المتضخمة ولكنه خرج من مجتمعات حية عاملة مهما كانت صغيرة. لم تطلع الحضارة من بلاد المغول بل طلعت من صيدا وصور وأثينا وأورشليم ومكة. كانت هذه المجتمعات تبعث برسالاتها العالمية بجاذب الإرادة الإنسانية الباحثة أبداً عن تحقيق أعز أمانيها.

إن الروح المتيقظة تخلق القوة وتضمم «الأقوياء» أما القوة بذاتها فتقلب على نفسها ظلاماً وليس منها يخرج النور.

الوضع الحزبي في البرازيل :

نجد الوصف الواقعي للوضع الحزبي في البرازيل في رسالة الزعيم إلى الرفيق ويليم بحليس تاريخ 14 آب 1940: «إني لم أكن أجهل وضعية سان بولو وعناصرها ولكن لم يكن لي خيار في الأمر. وبعد أن رأيت انه لا دواء للجمود والعقم المصابة به أهملت أمر اللجنة المفوضة ولم أعد أعلق عليها أي أهمية إدارية أو نظامية ووجهت معظم عنايتي الى معالجة «سورية الجديدة» التي كلفتني جهوداً عظيمة ولم أحصل إلا على نتيجة ناقصة. والسبب هو ضعف الحركة وعناصرها في سان بولو ولأن أحد صاحبي الرسمال الرفيق فؤاد بندقي له نظريات سياسية خاصة لا يتنازل عنها. ومع ذلك فالجريدة هي أفضل ما قدرنا الحصول عليه ويجب تقدير أقدام الرفيقين فؤاد وتوفيق بندقي على وضع الرسمال والقيام بنفقاتها في هذه الظروف الصعبة. ولو أمكنني الحصول على محرر للجريدة اعتمد عليه وتكون له الكفاءة لسارت الأمور كلها أحسن. أما الرفيقان غالب وفؤاد فيخشيان المجازفة والتبعة ولولا ذلك لتغلبا على صعوبة أن أكثرية الرفقاء الأولين «غير مرغوب فيها» خصوصاً بعد أن فسحت لهما المجال رسمياً لانشاء فرع سري على حدة. واني انتظر العثور على رجل يصلح للقيام بأعباء سان باولو، وحتى ذلك الحين يجب أن ننسى أن سان بولو موجودة لغير «سورية الجديدة» من الوجهة الإذاعية والإدارية».

الترتيب الموقت :

بناء عليه يجب إهمال مركزية سان بولو وكل فكرة مركزية إلى حين. وقد عولت على ربط المناطق رأساً بمكتب الزعيم فيكون هذا ترتيباً مؤقتاً إلى أن تنضج الأوساط الصالحة وينجلي الموقف تماماً. وهكذا تكون شؤون ميناس منفصلة عن سان بولو كل الانفصال وإذا وجدت انها صالحة لإدارة شؤون «ريو» فاربط «ريو» بها. فإذا وجدت فيما بعد أن ذلك يكون كثيراً على كاهل ميناس فضلت «ريو» وجعلتها مرتبطة رأساً بمكتبي. وهكذا سأفعل بسنتس، مع انها تابعة لسان باولو، وقد لا أفعل فأنشئ هيئة إدارية جديدة في سان بولو المدينة أكلفها بشؤون الولاية فقط.

ثم اني سأنتخب عدداً من المؤهلين أجعلهم تابعين لسلك الإذاعة وأعينهم برتبة مدياع عام فنكون لكل منهم صلاحية الاتصال بغير القوميين في كل مكان وبالتكلم في الأوساط القومية نفسها بما فيه فائدة القضية وتقوية المعنوية».

الجمعية السورية الثقافية:

يقول الزعيم في رسالته تاريخ 14 آب 1940 إلى الرفيق وليم بحليس شارحاً مسألة الجمعية السورية الثقافية: «إني قد عزمت على تعميم إنشاء الجمعيات السورية الثقافية في جميع المهاجر القومية، إذ أن الثقافة ناحية أساسية من نواحي عملنا. وأنا لا أقصد من ذلك مجرد ستر الحركة ووقايتها، بل تنشيط العمل الثقيفي الذي هو في أساس جميع أعمالنا الأخرى.

وبنتيجة إنشاء الجمعيات السورية الثقافية يصبح من الواجب إنشاء مجلة ثقافية جامعة تنشر المحاضرات والأبحاث والأخبار الثقافية التي تصدر عن هذه الجمعيات. في الأرجنتين، الجمعية السورية الثقافية لها مركز في بوانس ايرس (وما يزال حتى اليوم) وفروع في الولايات، كل فرع مستقل بجميع شؤونه الادارية والمحلية ولكنها جميعها تتبع منهاجاً عاماً ينظر فيه كل سنة مجلس مؤلف من مندوبين عن المركز والفروع، مندوب واحد عن كل مركز. وهذا يمكن أن يحدث في البرازيل واني مستعد لارسال نسخة من القوانين الأساسية، متى أصبحت الاستعدادات وافية عندكم.

ولكن الجمعية الثقافية يجب أن لا تنشأ إلا بعد نشوء الفروع الحزبية التي تأخذ على عاتقها تنفيذ فكرة الجمعية وفاقاً للتعليمات المعطاة. ففكرة إنشاء فروع أو مركز في سان بولو قبل وجود عناصر الحزبية القومية الصالحة للسير بالجمعية على المنهاج المقرر والتعليمات الصادرة من المرجع الأعلى ليست فكرة صالحة عملياً فنشوء الحزب يجب أن يسبق نشوء الجمعية».

جمعية التقارب الاسباني العربي:

كان قد جرى اتصالات بين هذه الجمعية «جمعية التقارب الاسباني العربي» والوكيل العام لمكتب عبر الحدود الرفيق أسد الأشقر بواسطة الرفيق ساسين حنا ساسين وقد تحولت هذه الاتصالات بعد سفر الرفيق الأشقر إلى مكتب الزعيم. أهم ما ورد فيها فكرة عقد المؤتمر الذي مر بنا ذكره في اسبانيا. وبالنسبة فإن هذه الفكرة قد وصلت إلى حد إنشاء لجنة مختصة تبحث إمكان تحقيقها ثم توقفت عن العمل بسبب ظروف الحرب التي كانت تتطور حتى استقرت أخيراً على إمكان عقده في اسبانيا.

كان الزعيم يجبذ إنشاء علاقة بين الحركة السورية القومية وهذه الجمعية من حيث المبدأ ولكن فكرة المؤتمر استبعدت ووقفت الأمور عند هذا الحد وقد تبلغ الرفيق ساسين هذا الموقف بعد أن أثنى الزعيم على جهوده.

في البرازيل:

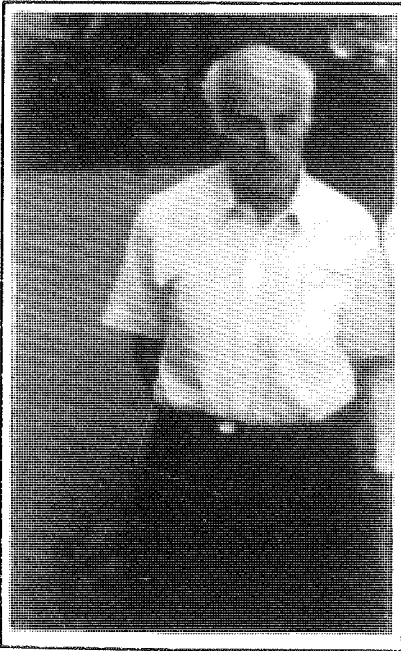
ألقى الشاعر القروي رشيد الخوري محاضرة في سان بولو تحت اسم «المسيحية والاسلام» نشرتها «الرابطة» تبعاً فأثارت ضجة عارمة حولها لما حوته من تزلف للاسلام على حساب المسيحية. كان أول الذين ردوا عليه من الناحية المذهبية القس الراسي ثم انبرى له رفيقنا وليم بحليس بمقال نشرته «سورية الجديدة» في عددها 81 تاريخ 31 آب 1940. كان الرفيق بحليس أول من اكتشف أساليب هذا الشاعر القروي الملتوية في الدس على الحزب السوري القومي. وهذه بعض فقرات من مقاله المنوه عنه بعد تحليل للمحاضرة في مقاطعها الأحد عشر. «في المقطع الحادي عشر بيت القصيد من محاضرة القروي، لأنني أشعر أن القروي ما اتخذ هذه المحاضرة في حفلة دينية صدفة إلا واسطة لإعلان تهجمه وسخطه على الحزب السوري القومي وزعيمه العظيم. لكنه، بالأسف، ما شعر أن هذه الأساليب قد ذهب دورها كما ذهب دور رجال الماضي الذين لا يشعرون بتجديد العناصر الحيوية في الإنسان ولا بتجديد الأساليب التي يسير عليها الرجل الراقي الحي. كذلك ما شعر بالفرق بين حفلة دينية وحرمة قومية إصلاحية بما فيها من مصالح اجتماعية وسياسية واقتصادية وانه سوف يظهر للقراء والسامعين بأن الشاعر قد انقلب إلى سياسي على حساب الدين.

إن تهجم القروي على الحزب السوري القومي لا يعود إلا إلى أسباب طبيعية في الإنسان الضعيف بنفسيته، القاصر بإدراكه وبتميزه والذي يريد محاربة الحق والبعد عن تحكم العقل. فالقروي القائل علناً - حتى يصفق له الناس - : «ولي في حب سورية وعظماها ومناقشة أعدائها مواقف خطابية وميادين كتابية وجولات شعرية لا يستطيع أحد إنكارها» هو هو نفسه ينكرها بينه وبين سره كلما ذكر الرسالة القومية وباعثها سعادة... لكن نفسيته الضعيفة أبت عليه أن يضع مصلحة وطنه فوق شهرة ميادينه الكتابية وجولاته الشعرية ومواقفه الخطابية» وإن يخضع لحقيقة تصعق أوهامه الماضية واختلاط جميع السياسيين الضالين، فقام اليوم يستغل حتى الحفلات الدينية ليطلق ذلك النور بأصابه!! ولو لم يكن هكذا يا شاعري فما علاقة الحزب السوري القومي بحفلة دينية؟ أكنت تريد حمل المسلمين الحاضرين والسامعين على الاعتقاد بأن الحزب السوري القومي وزعيمه ضد الإسلام والمسلمين؟...

نعم، لا أدرك القصد من هذه القفزة البهلوانية من موضوع ديني في حفلة إكرامية إلى موضوع سياسي. وأرى القروي ممزقاً أطرافه في الشرطان الشائكة التي تفصل بين موضوع وموضوع. وإذا ما وجد طريقاً للنيل من مكانة الحزب السوري

القومي راح يرشقه بالتهم الباطلة على طريقة الأولاد عندما لا يتمكنون من تسلق شجرة عالية ممتدة الأطراف ليقطفوا ثمارها فينسفونها بالحجارة لعلهم يتمكنون من تهشيم تلك الأثمار!!!

متى قال الحزب السوري القومي «إن الدماء السورية التي روت ثرى فلسطين فدية عن سورية، لا تساوي قلامة ظفر «سوري قومي» لأنها سالت من عروق سوريين غير قوميين بالمعنى الحزبي»؟ أبهذه التلايف تريدون محاربة الحزب السوري القومي وزعيمه والوقوف في وجه نهضة الأمة السورية؟... إن الحزب السوري القومي لا يقول هذا القول ولا يرمي الشبيبة من غير هدى أمام مناجل الموت ولا يضرم النار في عواطف السوريين قائلاً: «واننا بالأسنة والمواضي نقوم من نرى فيه أعوجاجاً، تميد بنا الجبال إذا زحفنا وترتج السهول بنا ارتجاجاً. وغيره من القصيد العنتري!!!!



الرفيق ابراهيم طنوس



الرفيق نجيب السراوي

ليس في هذه الكلمة رأي الحزب السوري القومي، بل رأيي الخاص، ففي الحزب السوري القومي، ذي التنظيم التام، مراجع خصوصية، مكلفة بإبداء رأي الحزب وهي تقول كلمتها فيما لورأت في محاضرتك ما يستوجب الرد. وأتمنى يا حضرة الشاعر، ان تسقط القشور عن عينيك فترى الهدى بعد الضلال، حتى لا يقال انك تكره صالح أمتك وأنت ترى خير شعبك في ضرره أو حتى لا يتم فيك قولك: «أرى كل شيء عكس ما تنظرونه... وتكره نفسي كل ما تعشقونه... والسلام عليك، يا خاتمة دعاة التعصب والتفريق ورحمة الله وبركاته، إن عدت إلى الحق وتركت الضلال واتبعت الهدى».

التنظيم الحزبي الجديد في البرازيل

لم يطل الوقت حتى فصل ولاية مينس عن اللجنة المركزية في سان بولو وبتاريخ 14 أيلول 1940 أصدر الزعيم مرسوماً بإنشاء تنفيذية فيها وعين الرفيق نجيب العسراوي منفذاً عاماً عليها، على أمل أن يصبح لسان بولو نظام إداري جديد ومع الوقت والتطور يصبح في الأماكن مركزة جميع الفروع حيث توجد الهيئة الكفاء.

وقد أرسل للمنفذ العام الجديد بتاريخ 19 أيلول 1940 رسالة مسهبة عن ترتيب هيكل السلطات الحزبية ليكون على بينة من أمره لأن مهمة ستكون في البداية صعبة وقد اعتبر الزعيم أن كل ما سيقوم به سيكون تأسيساً وهو أمر يتطلب استنباطاً وسهراً وتفكيراً ودقة. فإذا استتب ذلك جاء الأساس متيناً صالحاً لاستمرار البناء.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد عين الزعيم الرفيقين وليم بحليس وإبراهيم طنوس مديعين عامين واني أنقل عن رسالته بتاريخ 21 أيلول 1940 إلى الرفيق طنوس المقصود بالمدياع العام:

«وقد قرّ رأيي أن تكون أنت ويكون الرفيق بحليس مديعين بهذه الرتبة لكي تكون لكما صلاحية الإذاعة الداخلية على الأعضاء والخارجية على السوريين اللاقوميين وعلى الأجانب فيكون لكما تعاون مع الإدارة في «مينس» وفي جميع جهات البرازيل وتمكثان من الاتصال بمن تشاءان من السوريين على مسؤوليتكما ويجوز أن تتعاونوا ولكل منكما أن يعمل منفرداً. وتكون مهمتكما رفع معنويات الأعضاء في الداخل وتقوية روحيتهم بالخطب والرسائل وغيرها وتهيئة نفسية السوريين كقبول مبادئ النهضة والالتفاف حولها. ويكون كلامكما للأعضاء عن أهمية الحركة ونشأتها وصعوباتها وكيفية

التغلب عليها وعن الزعيم ونظام الحزب والعلم والقومي والوطن الخ... والرسائل التي يضعها كل منكما بهذا المعنى يمكن أخذ نسخ عنها وإرسالها إلى الفروع هناك لتقرأ فيها وما يمكن أن ينشر منها في الجريدة فلا بأس بالاكثفاء بنشره مع إرسال كتب إلى الفروع تشير إلى استحسان ووجوب قراءته على الأعضاء في اجتماعات المديرية وغيرها. وحيث توجد منفذية يحسن أن تخابرا المنفذ العام وتسالاه الاشارة الى المديرية بقراءة ما يجب أو لفت نظر الأعضاء إلى أمر أو مسألة ويكون سؤال المنفذ بشكل استحسان شيء أو مسألة. لا شكل أمر أو تعليمات، لأن هذه غير محولة للمذيع العام الذي لا تكون له أية صلاحية إدارية ولكن تكون أهمية فكرية لا يحسن ولا يجوز للمنفذ العام اغفالها أو عدم إعطائها المقام والعناية اللذين تستحقهما.

ولا يمنعكما هذا التعيين من الاشتراك في وظائف إدارية في المنفذية إذا توفرت الشروط اللازمة» بهذا الترتيب الموقت بدأت الانطلاقة الحزبية الجديدة في البرازيل .

المنفذ العام

وفيا يلي سيرة الرفيق نجيب العسراوي المنفذ العام الجديد للبرازيل الذي مضى عليه الآن ستون عاماً في المغرب وهو ما يزال يصارع التنين، وإن في الثمانين من عمره في صفوف النهضة السورية القومية الاجتماعية، كما وردت في المقابلة الصحفية مع جريدة الأنباء:

مقابلة جريدة الأنباء في البرازيل

«المعروف عن الرفيق نجيب العسراوي انه كان أول منفذ عام للحزب في البرازيل، وأن سعادته وجه له مجموعة رسائل نشرت كلها في «الأثار الكاملة».

إلا أن الكثيرين يجهلون عن الرفيق نجيب نشأته ونضاله ضد الأتراك قبل سفره إلى البرازيل، كما يجهلون كيفية انتمائه إلى الحزب، ونشاطه في المغرب.

هنا اضاءة، ولو موجزة، لما يصح أن نعرفه عن الرفيق نجيب العسراوي، مستقاة من أجوبة له على اسئلة وجهتها له جريدة «الأنباء» الصادرة في سان باولو لصاحبها ورئيس تحريرها الأمين الجزيل الاحترام نواف حردان.

س: أين ولدت، ومتى؟ وما هو نشاطك الفكري والسياسي قبل الهجرة؟

ج: ولدت في بلدتنا بتاتر - قضاء عاليه، في منتصف ليل اليوم الأول من شهر كانون الثاني عام 1891، أي مع ولادة تلك السنة - فكان لي عشر سنوات كاملة من القرن التاسع عشر الماضي. ولما كان عمري سنتان ونصف السنة انتقل والدي بالعائلة إلى بيروت، وسكننا في حي المزرعة، وكانت تعرف بـ «مزرعة العرب». وفيها دخلت المدرسة الابتدائية. وكانت معلمتي الأولى، واسمها الماز، تحبني كثيراً لأنني لم أكن العب مع الأولاد، بل ابقى اقرأ وأكتب طوال وقت اللعب. وبعدئذ دخلت الكلية الإسلامية لصاحبها الشيخ عباس الأزهرى، وكان من اساتذتها الشيخ مصطفى الغلاييني الذي أصبح فيما بعد مفتي الجمهورية اللبنانية، والشيخ محي الدين الخياط، وغيرهما. ودرست الحقوق على الشيخ أحمد العارف، وهو مصري الأصل والمولد. وحصلت على شهادة الحقوق عام 1913 وكان عمري ثلاثاً وعشرين سنة. ودرست الصحافة على الأستاذ خليل سركيس صاحب جريدة «لسان الحال»، وعلى الشيخ رشيد عطيه وكان يحرر فيها، ونشرت عدة مقالات في صحف بيروت، «كالرأي العام» لطفه مدور و«ابابيل» لحسن الحبال، و«الصفاء» لصاحبها علي ناصر الدين، وتولاها بعده الشاعر أمين ناصر الدين. وساعدت في تحرير جريدة «المصور» لصاحبها محمد طاهر التنير.

ولما اعلن الدستور العثماني سنة 1908 انشئت صحف جديدة في بيروت ودمشق وحلب، وتآلفت جمعية الاصلاح التي كانت في الظاهر لطلب الاصلاحات للبلدان العربية، وفي الباطن لتحرير بلاد العرب من الحكم التركي العثماني. انضممت إليها على يد فيلكس فارس، وعملت مع الأعضاء المخصصين للمخابرات السرية. وكنا لا نعرف بعضنا نحن رجال المخابرات السرية، تشدداً، وحيطة من الجاسوسية الألمانية.

في أوائل سنة 1914 ظهر كتاب معرّب عن التركية اسمه «مفاخر آل عثمان» طالعته فوجدت أن معظم تلك المفاخر هي عربية لا تركية ولا عثمانية، فرحت أفنّده بسبع مقالات متواصلة، وبينها كنت اعد المقال الثامن للنشر، اندرني مكتوبجي الولاية (سكرتير) عبد الغني سني بك، بواسطة ولده صديقي ورفيقي بالمدرسة ان اختفي حالاً وسريعاً من بيروت لأن امراً صدر بطلبي إلى الآستانة (اسطنبول اليوم). ذهبت توّأ إلى مقلع للحجارة في جناح بيروت (الرملة البيضاء حالياً) واختبأت حتى أظلم الليل فجئت المنزل وابدلت ثيابي بغيرها عتيقة وركبت القطار إلى دمشق، وقصدت دار صديق لي صاحب جريدة «المشكاة» وكان قد

علم بطلمي من اسطنبول، ففرح بنجاتي وهربي من بيروت، وقال لي ستذهب معي إلى الحجاز، لأنني عيّنت مفتشاً (الحديث لصديقي) للمدارس فيها لمدة ستة أشهر وسأذهب إليها غداً أو بعد غد. سافرت معه بصفة خدمتشي أي خادم - وباسم غير اسمي طبعاً. ومن المدينة المنورة واصلنا السير إلى مكة المكرمة، وهناك دخلت على شريف مكة وأميرها الحسين بن علي، واعلمته باسمي وقصدي، وانني هارب من ظلم الأتراك لأنني انتقدت كتاباً لهم، وشرحت له الحقيقة، فقال لي بالحرف: سلمت وعسى الله يسلمك. وهناك تعرفت على الأمراء علي وعبد الله وفيصل وزيد، وهذا الأخير والدته تركية، لأن والدة الأمراء الثلاثة توفيت في اسطنبول لما كان الشريف ضيفاً، بل اسيراً عند السلطان عبد الحميد، لمدة ثمانية عشرة سنة. وبقيت في مكتب الأمير فيصل اساعده كسكرتير للمخابرات الرسمية. ولما أعلن الشريف الحرب على الأتراك، والألمان، وعين ابنه الأمير فيصل لقيادة الجيش الشمالي، رافقته واشتركت في مواقع ومعارك العقبة وأبو اللسن والوهيدة وأم المقابر والأزرق وطفس بحوران، وجبال المانع قرب دمشق، ومنها دخلنا المدينة الخالدة بصحبة من لاقلنا من أعيانها وحكامها مثل رضا الركابي وكان الحاكم العسكري للمدينة، وشكري الأيوبي، ومصطفى الدروبي وغيرهم. وفي اليوم التالي من دخولنا دمشق وصل إليها الأمير فيصل والقائد البريطاني اللنبي، ثم تألفت الحكومة الفيصلية برئاسة هاشم الاتاسي، ومن أعضائها فارس الخوري، وفي اليوم الثامن من شهر آذار سنة 1920 توج الأمير فيصل ملكاً على سوريا، وفي العشرين منه تركت الوطن مهاجراً إلى البرازيل.

ولا بد أن أضيف أني نقلت عدة مرات رسائل من الأمير فيصل إلى مشايخ جبل الدروز، يستحثهم بها للحرب ضد الأتراك. وكان أول من لبي الطلب سلطان باشا الأطرش، وتبعه المشايخ وكثيرون من الشباب المقاتل، حتى تم النصر وانخذل الأتراك.

جرحت في حرب التحرير ثلاث مرات، وعرفت لورنس العرب ورافقته مدة طويلة في الأعمال الحربية، منها تخريب الخط الحديدي الحجازي، بنسف جسوره لأنه كان الوسيلة الوحيدة لتموين الجيش التركي، وبواسطة منه - من لورنس - مُنحت وساماً من رتبة ضابط تقديراً للشجاعة النادرة، كما جاء في البراءة المرفقة بالوسام.

س: متى وصلت البرازيل، وكيف كان نشاطك الفكري والسياسي؟

ج: وصلت البرازيل في اليوم الثاني من شهر آيار 1920 وثاني يوم وصولي نشرت الصحف العربية اسمي كأول صحافي قانوني جاء بعد الحرب العالمية الأولى. ووفد علي

بعض الصحفيين للسلام والتعارف، ومنهم منير اللبائدي، الذي طلب أن أساعده بتحرير جريدته «العاصمة»، وبعد ستة أشهر ابتعتها منه وأصدرتها باسم «الإصلاح» وجعلت شعارها «سورية للسورين»، ورحت اكتب ما يفيد قضايا الوطنية وكان العلامة الدكتور خليل سعاده يصدر جريدته «الجريدة»، وبادلني بها، فابديت له سروري بما يكتبه، وتمكنت الصداقة بيننا، فأمنت له مشتركين جدداً، وجمعت له قيمة الاشتراكات، وكنت أقرأ ما يكتبه ابنه انطون بشغف زائد، واستفيد من معانيه وآرائه ومقاصده النبيلة.

أما كيف تعرفت على نشوء الحركة السورية القومية الاجتماعية؟ . . . عام 1935 قرأت في صحف الوطن ان الصديق انطون سعاده ألف حزباً سياسياً أقبل عليه الشباب المثقف بشكل لم يسبقه مثيل، فكتبت رسالة طويلة لأخي يوسف في الوطن سألته عن حقيقة ما سمعته وقرأته فأجابني أن حزباً سورياً قومياً اجتماعياً له قوانين أساسية وإصلاحية، ويقول أن سورية للسورين والسوريون أمة تامة. لا أذكر أني فرحت بحياتي مثل تلك الفرحة القلبية، إذ حققت شعوري وإحساسي القومي، وصادقت على شعار جريدتي، فكتبت رسالة خاصة لحضرة الزعيم، وبدأت انشر مقالات مؤيدة للحركة الجديدة في صحف الأميركيين، ومنها مجلة «الشرق»، وكان أول مقال فيها بعنوان «رأي صريح» قلت فيه أن المبادئ السورية القومية هي الخلاص الوحيد للسورين وللعرب، وإذا لم يعتنقها الجميع ويعملون بكل نشاط ووجدان في سبيل انتصارها، فسوف يبقى شعبنا يدور في الحلقة المفرغة ألف سنة أخرى.

ولما عاد الزعيم إلى سان باولو عام 1938 استلمت رسالة من الأمين أسد الأشقر قال بها أن حضرة الزعيم يريد مقابلي في سان باولو للبحث في مسائل قومية ملحة. سررت بهذه الدعوة، ورحت اعمل لمن يبقى مكاني في محلي التجاري كي أتمكن من التوجه إلى سان باولو لمقابلة حضرة الزعيم، وقبل أن أحصل على الشخص المناسب علمت أن الحكومة اعتقلت الزعيم بوشاية من مواطنين طائفيين حاقدين. بعدها انتقل إلى الأرجنتين، إنما لم يطل الوقت حتى تسلمت رسالة من حضرة الزعيم اجبته عليها حالاً وتبودلت الرسائل بيننا حتى وصول رسالة التكليف بتولي المسؤولية الأولى في البرازيل وإنشاء منظمة عامة فيها. وقد اخترت للعمل التأسيسي الرفيق وليم بحليس للإذاعة، والرفيق إبراهيم طنوس للثقافة والرفيق أميركو مطر للمالية والرفيق إبراهيم مطر للتدريب، فأسسنا المديرية وأوصلنا عدد الرفقاء في هذه المدينة، بلواوريزونتي، إلى أربعة وخمسين رفقاً. ثم طلب حضرة الزعيم نقل المنظمة

إلى سان باولو، باعتبار نمو الحزب فيها وحصول انتفاءات عديدة، فتم ذلك، وبقيت في ولاية ميناس جيراس مفوضية مركزية تابعة مباشرة لحضرة الزعيم.

س: ولكن كيف تم انتماؤك إلى الحزب ولم يكن في البرازيل رفاقاً؟

ج: بناء لأذن معطى من حضرة الزعيم، تناولت كتاب القسم، وأمام زوجتي وابنائي الذين اردتهم شهوداً. وقفت واقسمت بيمين الولاء للحزب.

وتناول الرفيق نجيب ورقة عتيقة ممزقة من جيبه، وقدمها لنا، فإذا هي تحتوي على القسم الحزبي، وقال:

- هي الورقة الثالثة التي أحملها في جيبى، بعد أن تمزقت سابقتها. فأنا منذ انتمائي، لا اتخل عن حمل ورقة تحتوي على كلمات القسم الحزبي.

ولم يقف الرفيق عسراوي نشاطه الفكري على ما أعطى للحركة السورية القومية الاجتماعية في البرازيل، وساهم في نموها وانتشارها، إنما أصدر كتباً بالعربية والبرازيلية عن المذهب التوحيدي الدرزي، ومعجماً لتعليم اللغة العربية المحكية للأبناء المتحدرين، تسهيلاً لتعليم الفصحى.

وتقديرًا لنشاطه المميز منحتة بلدية مدينة بلواوريزونتي - عاصمة ولاية ميناس جيراس - لقب مواطن شرف للعاصمة، كما قدم له البيت الخيري الدرزي البرازيلي رقاً فضياً كبيراً نقشت عليه كلمات التقدير والشأن، إضافة لأوسمة رفيعة أخرى ورفوق كثيرة حصل عليها تقديرًا لأعماله ونتاجه الفكري والثقافي. «

وصل البرازيل سنة 1920، نشرت الصحف العربية خير مقدمه بصفته زميلاً صحفياً، ساهم في تحرير «العاصمة» لصاحبها منير اللبائدي ثم ابتاعها منه وأصدرها باسم «الاصلاح» وجعل شعارها «سورية للسوريين» تعرف على الدكتور خليل سعادة وولده أنطون بمناسبة التبادل الصحفي واهتماماً بما كان يكتبه الابن أنطون من حقائق في السياسة والعلم والتوجيه الصائب، كتب إليه رسالة إعجاب وتقدير فكان الاتصال الفكري بينهما بداية المسيرة على طريق الحياة الطويلة وان بالمراسلة.

ثم عرف ان سعادة عاد إلى الوطن وانه أسس حزباً سورياً قومياً وأن إقبالاً منقطع النظر يتدفق عليه فكتب لأخيه الرفيق يوسف يسأله جلية الأمر فكان الجواب

الذي نشر فالتقى شعار «سورية للسوريين» بالمبدأ الأساسي الأول للحزب سورية للسوريين والسوريون أمة تامة وقرر أن ينضم إلى هذه الحركة المباركة، وهكذا اندفع ينشر المقالات المؤيدة للحركة السورية القومية الاجتماعية في الصحف العربية في الاميركتين يدعو الى طريق الخلاص الذي شقه سعادة وقد جاء في مقال له تحت عنوان «رأي صريح» «إن ما وصفه أنطون سعادة لاستقلال سورية وحرية البلدان العربية، هو طريق الخلاص دون غيره فإذا لم يعمل الجميع بهذا المخطط الصحيح فعيناً يعملون، بل سيبقون يدورون في حلقة مفرغة ألف سنة ثانية، «إشارة إلى مضي ألف سنة على بدء التأخر العربي».

يقول الرفيق عسراوي في رسالته إلى تاريخ 27 أيار 1980: «في تلك الأثناء تسلمت رسالة من الرفيق أسد الأشقر من سانبولو يقول فيها انها وصلا البرازيل بمعية الزعيم قادمان من الوطن وان الزعيم كلفه أن يكتب لي، لأنه يحسبني من رجال الفكر ومن القوميين العاملين ويعرف أن استعدادي الذهني والفكري يساعدني على الخدمة النافعة وانه يريد مقابلي في سانبولو والتحدث إلى في الشؤون القومية لم أذكر اني فرحت بحياتي كلها كما فرحت بتلك الرسالة لأنها جاءت طبق عاطفتي وشعوري ومحبي للصديق القديم أنطون سعادة. فأجبتة حالاً وأبدت سروري بكل ما قاله لي واني سأسعى لتدبير صديق يبقى مكاني في محلي التجاري وأذهب إلى سانبولو للسلام عليه واستماع ما يريده مني الزعيم وبينما أنا في هذه الحالة الصعبة علمت أن الحكومة سجنّت الزعيم بوشاية دنيئة من أحد المواطنين اللثام، حزنت وتجلدت على نية أن أذهب إليه بعد خروجه من السجن، انقطع جبل انتظاري عندما قرأت انه مسافر إلى الأرجنتين بعد الإفراج عنه لبراءته. فتكدت كدراً لا يوصف وحزنت نفسي لدرجة لم أحس بمثلها في حياتي وبقيت انتظر علماً منه أو معرفة مقره هناك.

لم يطل الوقت حتى تسلمت منه رسالة كريمة أجبته عليها. تواصلت الرسائل بيننا حتى رسالة التكليف بتأسيس العمل القومي في هذه البلاد. أمر بأن أنشئ منفذية البرازيل العامة حسب النظام القومي. بأوراق كثيرة فيها التعليمات والتوجيهات والترتيب اللازم، درستها بكل اهتمام واستوعبتها بالتمام وأجبتة شاكراً ثقته بي واعتماده عليّ دون غيري، مقدراً له هذا الشرف الذي أولانيه بتخصيصي لهذه المهمة الكبرى.

بدأت العمل فاخترت الرفيق ويليم بحليس للإذاعة، الرفيق إبراهيم حبيب طنوس للثقافة، الرفيق قويدر مطر «وكان اسمه بالبرازيلية أميركو مطر» للمالية والرفيق

إبراهيم مطر إلى المثلث الميناوي حيث اجتمعنا بالرفيقين بحليس ووطنوس وأسسنا مديريات في اراشا، أويرابا، كونكيستا وأوليفرا. وواصلنا العمل السوري القومي الاجتماعي بالإذاعة والكتابة والخطابة، بقدر ما تسمح به الظروف الصعبة إبان حالة الحرب.

ساء المواطنون المتفرنسون المأجورون تقدم النهضة القومية وسرعة نموها وتسابق الشبان لاعتناق مبادئها حيث بلغ عدد القوميين بمدة قليلة أربعة وخمسين، فقاموا بوشاية خسيصة للبوليس بأننا نازيون نعمل للمحور الألماني عدو البرازيل، واستعانوا بأن الحكومة البرازيلية سجنّت زعيم الحركة وطردته من البلاد. طلبت للبوليس عدة مرات وفي إحداها بقيت في سجن «الدوس» يومان فاضطرت أن أترجم دستور الحزب وقوانينه ومبادئه الأساسية والاصلاحية وبعض الرسائل الواردة من حضرة الزعيم وقدمتها للحكومة لاثبت لها أن لا علاقة لنا بالمحور ولا بغيره فحركتنا سورية قومية بحتة، نعمل فيها لاستقلال سورية وحريتها.

وبعد جهود كثيرة، وتقديم عشرات الشهداء من أبناء الجالية والبرازيليين سكتت عنا الحكومة بشرط ان لا نعقد اجتماعات ولا ننشر مقالات، لأن كل هذا ممنوع في حالة الحرب».

سورية الجديدة

كان التحرير في «سورية الجديدة» يتعثر فلا يلبي رغبات الزعيم وتعليماته وإذا نفذت فيأتي التنفيذ متأخراً. من الأمور التي نفذت نشر مقالات الأمين فخري معلوف من أميركانيا وأخيراً نشر مقالات للمحرر في جريدة «السمين» الرفيق راجي ضاهر الذي كان قد اقترح على الزعيم إنشاء جريدة للحزب في أميركانيا. ومن الأمور التي لم تنفذ نشر سلسلة مقالات وضعها الزعيم تحت عنوان «جنون الخلود» رداً على محاضرة الشاعر القروي ما عدا نشر مقالات لا تصلح للتعبير عن النظرة القومية وفي هذا الصدد يقول الزعيم في رسالته الى الرفيق جورج بندقي تاريخ 19 أيلول 1940 «ثم ان العدد جاء خالياً من الإشارة الى من هو صاحب مقال «أرميا الاستعمار الأجنبي» التي اعتقد انه هو نفسه صاحب مقال «الليادة السورية». وهذا المقال الأخير لم يعجبني فيه استعمال هذا العنوان وجعل قصة عنتره وقصة الزير في هذه المنزلة السامية وجعلها كأنها لنا بمنزلة الليادة هوميروس للاغريق. فالليادة السوريين يجب أن تكون سورية. إن قيمة

قصة عنتره وما أشبهه هي كبيرة وتستحق ان تعطى حقها من التقدير ولكن هذا التقدير يجب ألا يتجاوز الحدود. ثم ان نشر هذا الرأي في عنتره وغيرها في باب «رأي سورية الجديدة» من غير اطلاعي عليه ومن غير تذييل المقال باسم صاحبه يجعل «رأي سورية الجديدة» مشاعاً للكتابة ومكاناً تتزاحم فيه الآراء غير الموجهة توجيهاً مضبوطاً. ولم يكن هذا قصدي من إنشاء هذا الباب.

أما المقال «أرميا الاستعمار» مع انه أفضل من سابقه فأجد فيه عبارات خطيرة جداً كهذه: «انك لا تبتيم إذا خسرت سيدك المستعمر - ومقصود به هنا فرنسا-، ولكنك تصيح حراً سيداً لنفسك» فهذه العبارة هي عبارة دعاية للمتصرين وقد تغرر بالسوريين فيتوهموا ان انتصار المانيا وايتاليا هو انتصارهم وهذا غير صحيح. إن انكسار فرنسا وبريطانيا هو كسب للقضية السورية إلا إذا صدر توجيه رسمي بكتابة مثل هذا المعنى فيكون حينئذ مبنياً على أسباب سياسية رسمية كافية. أما بث مثل هذه الآراء غير المسؤول في باب رسمي نوعاً في «سورية الجديدة» فقد يأتي والأرجح انه يأتي بنتائج مخالفة للمقصد».

بعد عدم نشر مقالات الزعيم «جنون الخلود» قرر الزعيم قطع العلاقة مع «سورية الجديدة» وأرسل تعميماً بهذا الشأن إلى الفروع الحزبية «فقد بطلت «سورية الجديدة» أن تكون جريدة مخصصة بخدمة الحركة السورية القومية كما انه أمر بمصادرة جميع ما يقبض من اشتراكاتها الى أن يبت بأمرها. ولكن في هذه الأثناء كان الرفيقان بندقي قد تراجعا وقررا التنازل عن حصتها في الجريدة فبدأت المفاوضات بهذا الشأن وانتدب الزعيم في 8 تشرين الأول 1940 لجنة مؤلفة من الرفقاء: أدوار سعادة، وديع عبد المسيح، والياس فاخوري لاجراء المفاوضات اللازمة مع الاشرط بأن تبدأ الجريدة منذ الآن بتنفيذ جميع التوجيهات التي يرسلها إليها وتعليماته في ما يتعلق بنهجها السياسي فلا تنشر بعد الآن صور دعوة لدول متحاربة ولا مقالات هي من نوع الدعاوة أو في مصلحة بعض هذه الدول وتنشر جميع المقالات والبلاغات التي يشير بنشرها دون أدنى تأخر أو مراجعة، «وهذا كله ضروري من أجل المسؤولية الكلية التي ستصبح علي وبالتالي على الحركة».

منفذية المكسيك

بعد حصول منفذية المكسيك على الرخصة القانونية للعمل تابعت عملها الحزبي بكل نشاط وبخاصة في الحقل الإعلامي وبصورة أخص ضد اليهود الذين كانوا كما في كل

مكان، يبررون أعمالهم وفظائعهم في فلسطين فكانت مجلتنا «الزوبعة» تفتح النار دائماً عليهم وعلى كل من يتعاون معهم.

وفيما يلي ثلاثة أمثلة على كيفية الحملة العكسية ضد حملة اليهود:

أولاً: كتب أحد الصحفيين الايتاليين واسمه «Aldo Bravo» مقالاً يذم فيه الشعب السوري فجاء رد مجلتنا على عدة مرات وأجبرته ان يعتذر على صفحات الجرائد هذا وكما هو معروف كان اليهود يفتنمون أول فرصة حتى يبرروا أعمالهم وهم كالعادة يستغلون الجرائد والمجلات والسينما والتلفزيون ولذلك كلما نشرنا مقالاً ترد المنفذية عليهم.

كان السوريون القوميون الاجتماعيون الوحيدون بين كل الفئات والجمعيات الموجودة في البلاد، الذين يجابهون الدعاية الصهيونية. كان الرأي العام بأكثرية معهم: «يا حرام. مضطهدون من كل الشعوب، كأن الجرم والحق علينا إذا كان هتلر أو غيره قتل أي يهودي».

ثانياً: إزاء هذه الحالة جمعت المنفذية مبلغاً من المال يكفي لدفع ما يطلب أجراً بمقابلة في التلفزيون. جرت المقابلة وكان الحديث مع الرفيق المحامي الياس سيمون يرافقه الرفيق ويكتور أبو مراد.

وثالثاً: لوجود الرفيق ويكتور أبو مراد قصة تختص بعائلة «أبو مراد» فالمنفذ العام من هذه العائلة وله أقارب أغنياء يتعاملون مع اليهود وكانوا عند دخول الأمين عساف أبو مراد إلى المكسيك استحصلوا له مأذونية للدخول ووضعوا الكفالة المالية المطلوبة فعندما برز النشاط الحزبي تضايق الأقارب وزادت مضايقتهم عندما شنت المنفذية حربها على اليهود فاعتبروا أن مصالحهم أصبحت مهددة وهنا أثاروا حملة جانبية ضد قريبهم لأن تصرفه جعل الكيل يطفح.

بعد كل هذه «المصائب» قرروا إبعاده فسحبوا الكفالة وعلى الأثر طلبت دائرة الهجرة منه تدبير أحد أمرين: «إما أن يضع كفالة مالية وهذا شرط تعجيزي» أو أن يغادر البلاد. جاء الحل على طريقة ثالثة أخرى بعيدة كل البعد عنها وهي أنه تزوج من فتاة مكسيكانية زواجاً صورياً فاستحصل بهذه الطريقة على مأذونية الإقامة المطلوبة.

كان هذا يجري على صعيد الحقل العام أما على الصعيد الشخصي فكانت حرب أخرى صامتة تشن على الأمين عساف أبو مراد وهي تتناول ناحية اجتماعية تتعلق بفتاة

كان ينوي أن يتزوجها. «وقد تزوجها فيما بعد» كان مشروع هذا الزواج يلقي معارضة الأقارب لأن الفتاة المرشحة للزواج من «ابن أبو مراد» ليست من منزلتهم الاجتماعية، وخصوصاً من جهة الوضع المالي ومن جهة أخرى هي من غير طائفته!!

في الأرجنتين

في رسالة الزعيم إلى الرفيق إبراهيم طنوس تاريخ 21 أيلول 1940 ورد الخبر

التالي:

«صدر العدد الأخير من «مجلة الجامعة السريانية» هو عدد خصصه النادي للحزب السوري القومي وأعلن فيه انضمامه الى الحزب. وهذا انتصار كبير لمبادئنا، فإن جماعة الملة السريانية كانوا يميلون الى الانفصال واعتبار أنفسهم «أمة» قائمة بنفسها. هذا الميل سببه «العروبة» وما تستر من نعرات دينية. فلما أطلع النادي المذكور على مبادئ الحزب ووجد فيها ضمان الحقوق لجميع السوريين من كل مذهب، اقتنع أفراد وفي الحال أخذت «مجلة الجامعة السريانية» تحوّر كتاباتها لتنطبق على الفكرة السورية القومية الاجتماعية وتأولها بشكل مقبول عند أفراد الملة السريانية».

وإني أختتم السنة الحزبية الثامنة في المغرب بهذا المقطع من مقال الزعيم الذي نشره في جريدة «الزوبعة» تحت عنوان «مصير سورية بعد الحرب».

«إن مصير سورية لا يتوقف على نتيجة الحرب والعوامل الخارجية والإرادات الاجنبية إلا لفاقدتي الشعور بشخصية سورية وإرادتها الذين لا يساؤون أنفسهم بها وإن كانوا من أبنائها، أما أصحاب الوجدان القومي فيرون أن مصيرها لا يتوقف على شيء من ذلك بل على الصراع الداخلي بين أحياء الوجدان القومي في الشعب وأماتته، بين إيجاد إرادة الأمة السورية فعليا في التاريخ واعدامها منه.

بين نفسية النهضة السورية القومية الواعية. المؤمنة، المنشئة تاريخ سورية الحديث المستقل ونفسية الخمول القومي والتفسخ الروحي والانحلال الوجداني والتعويل على التواريخ الغربية التي أنشأتها إرادة غير سورية.

على هذا الصراع الداخلي العنيف بين الحياة القومية والموت القومي، على هذا الصراع بين الحركة السورية القومية والمؤسسات التقليدية الفاسدة، يتوقف مصير سورية لا على حرب أوروبية أو عالمية، لأنه إذا انتصرت إرادة الأمة السورية بانتصار الحركة السورية القومية فكل ما تقرره العوامل الخارجية والإرادات الأجنبية يكون عارضاً ويزول.

وقد جرى بعض القوميّين الحديثين، كتاب النفسية اللاقومية في طريقة التفكير القومي ووهما في أن انتصار بعض الدول وانكسار بعضها حصول ما يتمناه السوريون. وهذا غلط فاحش فمصير سورية لا يتوقف على انتصار دول وانكسار دول بل على الصراع الداخلي بين المبدأ القومي القائل: «إن أردتنا نحن هي التي تقرر كل شيء يتعلق بنا» والمبدأ القائل: «إن مصير سورية يقرر دائماً بالعوامل الخارجية والإرادات الأجنبية».

أيها السوريون:

إن مصير سورية يتوقف على ما تختارونه أنتم. انه يتوقف على انتصار مبدأ العمل بإرادتنا أو انتصار مبدأ التسليم لإرادة غيرنا.

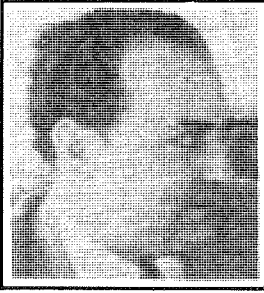
إن القضية قضية مبدأ. لا قضية فرصة فالفرصة قيمتها وقتية، أما المبدأ فقيمته ثابتة دائمة. لا تقولوا ماذا يفعل الحزب السوري القومي؟ فالحزب السوري القومي يفعل ما تمكنونه من فعله.

الحزب السوري القومي هو أن تنصروه فينصركم لأنه منكم ولكم.

في الوطن قيادة جديدة وبيان

والآن نعود إلى الوطن لتتبع الأخبار الحزبية الأخيرة لنجد ثلاثة وستين سورياً قومياً اجتماعياً من مشغرة في البقاع الغربي في السجن على رأسهم المنفذ العام الرفيق عبد الله محسن وذلك على أثر التجمع العام في الساحة العامة الذي حصل اسوة ببقية التجمعات العامة في المناطق المختلفة من البلاد. كان خطيب الاجتماع الرفيق عبد الله محسن لتعذر تأمين خطيب من خارج المنطقة.

أودعوا سجن الرمل ولم يأتوا بهم إلى السجن العسكري الفرنسي لوفرة العدد.



عبد الله محسن

على كل حال لم تطل مدة إقامتهم جميعاً فبعد تحقيق موجز دام أسبوعين أو أكثر تقلص هذا العدد الى ستة احيلوا إلى المحاكمة وهم: عبد الله محسن، سامي ابراهيم، حسن منصور، عقل حداد، فندي جابر ونعيم مهدي.

هذا من جهة أما من جهة أخرى فكان قد بقي من المسؤولين المركزيين حراً العميد عبد الله سعادة ومن المسؤولين المحليين الرفيق إبراهيم يموت، منفذ عام بيروت ومعاونته الرفيق بدري جريديني. إن أول عمل قام به الرفيق يموت من باب الاحتياط انه اتخذ من برج بناية «كوليج هول» الذي فيه الساعة الكبيرة مبيتاً ليلياً له، يرافقه فيه بعض الأحيان الرفيق ادمون الشويري.

وجاء في مذكرات الأمين كامل أبو كامل الجزيل الاحترام المخطوطة ما يلي: «ولما كان لا بدّ من إيجاد قياده بديلة تحل محل القيادة المعتقلة فحصل اتصال بالأمين معروف صعب فاعتذر عن تحمل المسؤوليات مدعياً بأن أعماله في دمشق لا تسمح له بأن يفرغ وقتاً لتحمل المسؤولية في لبنان فغيابه عن الجامعة التي يدرّس فيها قد يثير الشكوك بعدها طلب من الدكتور عبد الله سعاده بأن يتحمل المسؤولية وكان لم يزل طالباً في الجامعة الأميركية فاعتذر أيضاً، فجاءني السيدة كلود ثابت إلى عالية حاملة رسالة من رئيس الحزب المعتقل السيد نعمه ثابت يكلفني فيها تشكيل مجلس العمدة على أن اتولى رئاسته وقبل أن أتم تشكيل المجلس تصلنا معلومات تُفيد بأن الإفرنسيين سينقلون الاحتياط الذهبي من الخزانة اللبنانية الى فرنسا فدعيت إلى جلسة مستعجلة حضرها العمدة الثلاثة الذين كنت قد اخترتهم للتعاون معي وهم - فؤاد أبي عجرم عميداً للدخالية زكريا لبايدين عميداً للمالية ومحسن سليم عميداً للإذاعة، وتركت عمدة الدفاع شاغرة كي أسندها إلى جورج عبد المسيح بعد الالتقاء به. عقدنا جلسة في بشامون في بيت الرفيق خطار أبو إبراهيم حيث كانت بشامون الحصن القومي الاجتماعي المنيع والمديرية فيها تضم نخبة ممتازة من الشباب الرصين الواعي وموقعاً جغرافياً مميّزاً قريبة من الساحل العام وليس لها سوى طريق واحدة تربطها بالجبل وغير نافذة تحيط بها احراش الزيتون والسنديان والصنوبر. فكان يكفي أن ترأب الطريق التي تصلها بعين عنوب المنفذ الوحيد الذي يمكن أن يأتي الخطر فيه لتكون في مأمن على تحركاتك وتحركات السلطات ضدك. والأهالي فيها يراعون خواطر بعضهم البعض ويكرهون الوشاية ويعنفون الوشاة أن خطر لأحدهم أن يقوم بعمل من هذا النوع. لذلك كانت بشامون تُشكل ملجأً آمناً للحزب القومي. فعدا موقعها الجغرافي المحصن ونوعية الرفقاء فيها من النوع الممتاز ففيها خطار إبراهيم سليمان أبو إبراهيم. رفيق الحلبي، وعجاج أبو شكر وغيرهم من الرعيل الأول وكلهم ممتازون بوفائهم وأخلاقهم واستعدادهم الدائم للعطاء.



الأمين كامل أبو كامل



خطار أبو إبراهيم



محسن سليم

تدارسنا ما يمكن أن نفعله للحؤول وعرقلة أعمال السلطة المتدبة و تمنع الهرب ذهبنا إلى خارج بلادنا وقد طُرحت اقتراحات كثيرة وجدناها غير مجدية بعد المناقشة فيها فأمر من هذا النوع لا يجوز أن يبقى محصوراً فينا عن كمشة من أعضاء الحزب ومسؤولية بل يحق أن يذاع على الشعب ويطلع عليه القاضي والداني وبتنتيجة الاجتماع تقرر ان نضع بياناً نذيعه على الشعب (نوزعه) نحذر فيه حكومة الانتداب من القيام بعمل من هذا النوع ونضع على عاتقها كل المسؤوليات كما نتوجه فيه إلى السلطة المحلية ووجهاء البلاد الزمنيين والروحيين إلى الوقوف بوجه ما تنويه سلطة الانتداب لأن عملاً من هذا النوع يشكل قرصنة ولصوصية. تكلفُ عميد الإذاعة بترتيب البيان المذكور وكلفت زكريا لبايدي بنقل نتيجة الجلسة إلى السيدة كلودا التي كانت تشكل صلة الوصل فيما بين القيادة - خارج الأسوار برئيس الحزب المعتقل فيرى رئيس الحزب بأن يوقع البيان باسم حقيقي ولا يوقع باسم مستعار وذلك كي لا تترك سبيلاً لسلطة الانتداب للتمويه على أنه بيان لا قيمة له إذ أن فاعله غير معروف وكنت أدرك أن هذا التوقيع معناه بالحكم على نفسي بالموت وعلى أُمي بالمرارة وعلى خطيبي التي كانت تأمل بالزواج مني في وقت قريب وكانت ترقب هذا الوقت بفارغ الصبر. وعلى تجارتي التي كانت رائجة في وجودي على رأسها في الكساد والضياح. كنت أدرك كل هذا.

ولكن واجبي الحزبي كان يفرض عليّ بأن اطيع الأوامر فظالما هذا التوقيع سيكون له إفادة حزبية فقد يُعطي زخماً للقوميين الاجتماعيين من جهة ويعطي درساً للسلطات المتدبة بأننا لهم بالمرصاد. إذاً فليكن وقد صدر المنشور يحمل توقيع كامل أبو كامل بالخط العريض. ووزع بشكل واسع في المناطق اللبنانية الساحلية منها والجبالية الصق في الساحات العامة وعلى جدران الطرقات وفي بلدة رأس المتن علقوه على رأس ثيران البقر واطلقوها في سوق البلدة وصدرت الجرائد تحمل بعض المحتوى فأقفل بعضها، فعمل المنشور ضجة كبرى في الأوساط اللبنانية مما حمل السلطة المتدبة على توقيف تنفيذ الخطة. فالخطة التي كانت مقررة هي أن ينقل الذهب إلى زحلة بحجة ابعاده عن بيروت ومن زحلة يهرب إلى فرنسا فالمنشور أفضل سرقة ثروة البلاد. وأنقذها من الضياح».

طالب الطبّ عبد الله سعادة

هذه الحكاية رواها لي الرفيق الدكتور عبد الله سعادة، عضو لجنة الطوارئ المركزية وعضو المكتب السياسي في الحزب السوري القومي الاجتماعي. . في أثناء لقائي به في منزله في بيروت. قلت: «لكن ما حقيقة الأمر يا دكتور. . وكيف صرت وأنت طالب طب في سنتك الثانية رئيساً لمجلس العمدة ومتى؟».

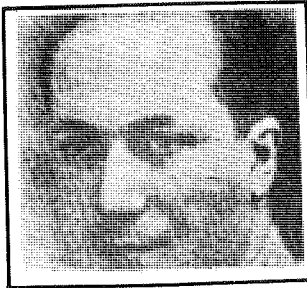
- قال: «كان ذلك في أواخر العام 40 عندما استدعاني رئيس المجلس الأعلى، رئيس الحزب يومذاك نعمة ثابت وطلب إليّ أن أكون رئيساً لمجلس العمدة بعد أن زج بالمسؤولين المركزيين كلهم في سجون الانتداب..»

كان مجلس العمدة قبل ذلك مؤلفاً من مأمون إياس رئيساً عبد الله سعادة ناموساً، وجبران جريج عميداً للمالية. أسد الأشقر عميداً للإذاعة، ومعروف صعب عميداً للثقافة.

طلبت من الرئيس ثابت ان يتم تعييني باسم مستعار فرفض ثم عين الرفيق كامل أبو كامل، الذي قبضت عليه سلطات الانتداب بعد 48 ساعة من تعيينه وأودعته السجن. ثم كلفني الرئيس ثابت الذي كان هو أيضاً في السجن ثانية وطلب لي تحمل رئاسة مجلس العمدة، وامام اصراري على شرطي السابق بادر الى تعيين الرفيق زكريا اللبائدي الذي لم تنقضى أربع وعشرون ساعة على تعيينه حتى كان من نزلاء سجن الرمل مكبلاً. ولم يبق في الميدان الا طالب الطب عبد الله سعادة الذي قبل الرئيس ثابت تعيينه باسم مستعار. وهو جلال طالب.

مجلس عمدة جديد:

تألف مجلس العمدة الجديد في 29 آب 1940 من الأمين كامل أبو كامل. عضو المجلس الأعلى، رئيساً وعميداً للداخلية، الرفيق عبد الله سعادة للمالية، الرفيق إبراهيم يموت، ناموساً للمجلس، الرفيق فريد مبارك للإذاعة والرفيق جورج صليبي عميداً دون مصلحة ولكن لظروف طارئة استبدل الرفيق فريد مبارك بالرفيق محسن سليم. تألف هذا المجلس بعد اعتقال المجلس السابق في فترة ستة أيام فسجل رقماً قياسياً بالسرعة في العمل وفي التنفيذ. وبدل الرفيق إبراهيم يموت عين الرفيق بدري جريديني منفذاً عاماً لمنفذية بيروت.



فريد مبارك

عقد هذا المجلس أول جلسة في 31 آب، كما جاء في مذكرات الرفيق يموت وكان أول قرار له إرسال مذكرة بشأن حادث إطلاق النار في قرية بيترومين الكورة على الرفيق حنا جريج وإرسال نسخ من هذه المذكرة في البريد لشخصيات فرنسية. وفي الرابع من أيلول أصدر رئيس مجلس العمدة بياناً. يعد فيه انه سيتبعه بيان آخر يرد فيه على المحكمة العسكرية وعلى خطاب المفوض السامي الفرنسي الموسيو بيو. وبتاريخ 26 أيلول 1940 صدر البيان بتوقيع مستعار «معروف حمدان». وهذا نصه:

الحزب السوري القومي

رئاسة مجلس العمدة

بيان إلى الشعب السوري النبيل

أيها الشعب

لقد تساءلت كثيراً عن سبب محاكمة القوميين في سلسلة جلسات سرية وقد وعدناك في بيان سابق ان نذيع عليك كل ما وصل إلينا من تفاصيل هذه الجلسات بعد ان عرفت بنتائجها في ظروف كان الأخرى أن تستغل لمحو الأحقاد لا أثارها وتعميق آثارها.

إن الأحكام من حيث هي لا قيمة لها إلا بما بيّنا من نوايا فرنسا نحو الشعب السوري والحركة التي تعمل لرفعه وصيانة مصالحه.

لقد طلب المدعي العام لدى المجلس الحربي ان تكون المحاكمة سرية. ذلك لأن المحكمة ستأتي على ذكر شخصيات ودول مما يعرض قوى الدفاع القومي الفرنسي وسلامة الشعب الفرنسي في الظروف الحاضرة، فكان له ما أراد.

لقد حاكمونا سراً لسببين ظاهرين: الأول، خوفهم من أن يرى الشعب السوري آخر سهم في كنانة الحق الفرنسي عليه. وثانياً، لكي لا يكون الشعب السوري شاهداً على تهجمات الفرنسيين في هيئات رسمية عسكرية على الشعوب التي تسعى حكومتهم في فرنسا للتقرب إليها والتفاهم معها ضمناً بما بقي للشعب الفرنسي بعد الكارثة الأخيرة.

لقد بدأ المدعي العام مطالعته بعد أن خلا له جو القاعة من كل إذن خطرة، بأن طلب إلى المحكمة بأن لا تتأثر بعاطفة أو تؤخذ بمنطق أو عدل، بل ان تقسو أشد القسوة على المائلين أمامها من الشباب وهم أول قافلة تمر في تلك القاعة، لأن الحزب الذي يؤلفون يضم عشرات الألوف من الشباب الذين هم الطبقة الراقية النيرة في

البلاد المشمولة بالانتداب الفرنسي، وهذه الصفات فيهم هي التي تكوّن الخطر الداهم على مصالح فرنسا في هذه البلاد وخصوصاً في هذه الفترة، فترة وقف القتال بين فرنسا وأعدائها، وليست فترة وقف عداوة.

حقد متفجر كانت الهيئة الحاكمة عندما وصل المدعي العام في كلامه عما يسمونه علاقات الحزب بدول الاعداء. لم يكن للمدعي العام إثباتات على هذه العلاقات، ولكن الظن المبني على معلومات عامة، يجعله يطلب من المحكمة ان تكتفي بالظن هي أيضاً. فلا يعيقها قانون أو عدل عن الحكم بأقسى العقوبة على هؤلاء الشباب لكي يكونوا عبرة لغيرهم منهم ومن بقية الشعب في الدول تحت الانتداب، فتحول بذلك دون إمكانية تقوية العلاقات الروحية والمصالح الحيوية بين هذا الشعب في الدول ودول الاعداء. أما ما يدعم به المدعي العام ظنه فهو ان مبادئ الحزب السوري القومي ونظامه البديع وأهدافه العامة، والمنظمات الحزبية، وأهمها منظمة الدفاع القومي ودوائر الاستعلامات الحزبية الدالة على بعد نظر وحسن تدبير، هي أمور عداة هذه الحركة لصالح فرنسا في هذه البلاد المشمولة بانتدابها.

هذا هو المنطق الذي دعم به حضرة الكولونيل المدعي العام طلبه للقسوة وعدم التقيد بالقانون والعدل. أما مصالح الأمة السورية وتمسك الحزب بالدفاع عنها فكانت أيضاً مما يثبت لهم أن الحركة القومية لا تتورع عن القيام بأي عمل ضد فرنسا ومصالحها إذا كان في ذلك سلامة مصالح الأمة السورية.

لقد بلغ الحقد أعلى درجاته عندما وصل المدعي العام في كلامه إلى رحلة حضرة الزعيم إلى عواصم دول المحور في طريقه إلى المهجر وما جاء في إذاعة المركز يومئذ من أن هذه الرحلة كانت لافهام الرأي العام المتمدن حقيقة ما يجري في سورية وما يلاقي هذا الشعب من حجز وضغط وتشتت. لقد تعدى سعادة حقوق الوصاية بعمله هذا فاستحق أكبر قسط من سخط المجلس.

مهلاً يا حضرة المدعي العام إن الأمة السورية التي يمثلها سعادة هي أمة حرة لا ترضى بأن تربط مصيرها بأية دولة كانت إذا كان في ذلك خطر على مصالحها وحياتها. لقد رأس سعادة المصير فوضع أمته في تيار الحياة المجددة لأنه لم يرد لها الفناء في أوضاع راهنة لم يكن لها أي يد في تقريرها. إن الأمة السورية، أمة سعادة الحرة لا ترى موجباً لأن تتعلم منكم الحقد والعداء لأمم دافعت عن حقوقها في جامعة الأمم وشذبت عملكم عندما قدمتم أهم أجزاء الوطن السوري من الوجهتين التاريخية والاقتصادية هدية منصوبة إلى أمة أخرى لصيانة مصالح غريبة عن مصلحة الشعب السوري.

- نحن في مأتم الحزب السوري القومي - هذا هو الجواب المحموم الذي لفظه رئيس المجلس الحربي رداً على كلمة للرئيس ثابت.

عقم باهر وسخف من الطراز الأول. لم نستغرب صدور الروحية المسيرة للأفراد والجماعات في الحزب السوري القومي.

مهلاً حضرة الرئيس لقد أسأت التقدير. فإذا كنت تحسب ان بعدك عن المنطق والعدل والقانون في الحكم وفقاً لطلب المدعي العام ولفظك أحكاماً جائرة على بعض القوميين يعني موت الحزب السوري القومي، فقد ضللت ضلالاً بعيداً. إن الحزب السوري القومي هو حركة الحياة في الأمة السورية التي عملتم كثيراً على اضمحلالها. والأمة التي عرفت ان تقدم عشرات الألوف من الضحايا على مذبح الاستقلال في أيام الفوضى والتفكك والضعف، لن تموت إذا زج بعض أفرادها في السجن، بعد أن حرك سعادة فيها قوة الحياة وضمها كتلة واحدة قوية حية.

لم تكن في مأتم الحزب السوري القومي أيها الرئيس، بل في مأتم سياسة الاستعمار الفرنسي في هذه البلاد التي كان للحزب السوري القومي أكبر أثر في تهديمها ومحو وجهها البشع عن هذه الربوع. كنت في مأتم كل علاقة ودية بين فرنسا والأمة السورية. وكان حكمك شاهداً حياً على نوايا أمتك في عهدنا الجديد على الأمة السورية في مستقبلها المجيد وضربة قاضية على كل ما يمكن أن تترك فرنسا في هذه الأمة من عطف بعد كل ما لاقت من السياسة الاستعمارية الرعناء.

أيها الشعب

هذا مثال جديد يقدمه لك الفرنسيون عن بعدهم عن حركة الحياة فيك وسعيهم إلى القضاء على كل ما فيه تأمين لمصالحك.

أيها الشعب!

إن الذين يقاسون الحجز غير المشروع المدعوم فقط بقوة السلاح لن يتأخروا عن أية تضحية في سبيلك مهما عظمت كما عرفت من التجارب في مدة سنوات عديدة وفي أشد الظروف حرجة.

* * *

أيها الشعب!

لقد عرفت مما تقدم بعض ما وصل إلينا عن محاكمة القوميين السرية. والآن تنتقل بك ونعيد إلى ذاكرتك قليلاً خطاب فخامة المفوض السامي الفرنسي الذي أذاعه في 30 أغسطس الماضي فنصدر جواباً قصيراً صريحاً عليه لتبين بنفسك حقيقة مقاصد المتدينين من وراء سياستهم الغاشمة.

في ذلك الخطاب لم يخرج فخامته عن المعهود. فقد أخبرنا ان حكومة فخامته قد اتخذت جميع الاحتياطات لكي لا يتضايق الشعب من الوجة المعاشية، ونوه عن الجوع وابعاده عنا. ويشتم الفاهم رائحة طلب الاعتراف بالجميل على هذا الفضل. ونحن نريد أن نقول لفخامته ما يشعر به الجميع من أن الضيق النسبي الذي أحاط بالشعب كان مصدره وجود القوة نفسها التي يريد العميد أن يفهمنا أنها رفعت عنه الجوع. وإذا أراد أن يذكرنا بشبح 1918 فنقول له أن ذلك أيضاً قد سببه اغترار السوريين بوعود جرت عليهم نقمة جلاديم السفاحين وكانت ظروف لن نرضى بأن نقيسها بالظروف الحاضرة إلا في أن مقدرات الشعب في المدتين لم تكن في يده ولو كانت اليوم لتمتع هذا الشعب الفاهم بظل قائده العميق الفهم بالأحداث الانترنسيونية بأوسع مجال العز والرخاء.

- نحن لم نستغرب هذه المواقف المتتابعة من فخامته ومن سبقه لأنها في صلب السياسة الفرنسية التي ترجّ الشعب في مأزق قسراً عنه ثم تعمل على وضع حلول جزئية لا تتناول الأساس أبداً ولا تغني ولا تفيد.

يا فخامة العميد!

إن هذا الشعب الذي تطمئنه بوجود البطاطا والحبوب للء معدته يعرف جيداً غنى تربته وان في زنده المقتول قوة أعظم مما يحتاج إلى استخراج هذا الغذاء المادي. ويعترف أيضاً أن المحروقات التي لا يجد جزءاً من حاجته اليها اليوم تملأ بحيرات واسعة تحت أرضها الخصبية، ولكن قوة قاهرة حرمته من أن يتمتع بما هو حقه المقدس. لقد صرحت كما صرح غيرك ممنناً بأن الانتداب قد صنع أكثر مما فرض عليه. نحن لا نريد أن نبحث ما فرضه الانتداب على فرنسا لأنه فرض قوة السلاح على الاعزل الأمن إلا من قوة الروح. ولكننا نؤكد لك ان الشعب كله يعرف جيداً أن الانتداب قد صنع أكثر كثيراً مما فرض عليه ولكن في الاتجاه المعكوس عما في فقرة 22 من صك الانتداب. فميسلون كان احتجاجاً مقدماً على فروض الانتداب، وحوادث العلويين وجبل الدروز وحران وألوف الضحايا في جميع أنحاء البلاد والتفسخ ومساعدة الفوضى والانفصال في لبنان والجبل والعلويين والجزيرة تبعاً لسياسة معينة، وضبط جميع مرافق البلاد الحيوية وقتل حرية التفكير ومحاربة كل ما من شأنه ان يوصل البلاد إلى المستوى اللائق بها، كل هذه تزيد عما فرضه الانتداب. . . وأي سوري لا يقر لكم بفضل اغتصاب الاسكندرون وتشتت مئات العائلات التي لا تزال حتى اليوم تعيش عيش الأسى وذلك لكسب مصالح لو فهم المتدبون لوجدوا أثبت منها في كسب رضى الشعب السوري في مؤسسته القومية المنبثقة من قلبه ومن حاجيات الحياة فيه.

يا فخامة العميد!

لقد مضى زمن وجاء زمان الحزب السوري القومي الذي حاربتموه سراً وجهرًا مباشرة ومن وراء ستار ذوي المآرب الدنيئة من الشعب الذين عرفتم أمثالهم في فرنسا في محتتها الأخيرة. فهو يصارحكم الآن مرة أخرى قائلاً لكم: إن ما جاء من نصائح في خطابكم نفهم جيداً القصد منها. وإن الشعب كان ولا يزال بغني عن نصائح غريبة عن مصلحته وحياته. وقد رأى من نتائج نصائح سابقات ما جرّ عليه الهوان. إن للشعب السوري قادة مخلصين شقوا له طريق الحياة وهؤلاء فقط الحق بأن ينصحوا ويسمع لهم. لقد برهن هؤلاء عن بعد نظر وفهم عميق فلا يطلبون من الشعب هدوء وهم يقصدون الاستسلام، ولا نشاطاً وهم يقصدون العبودية النافعة لسواهم.

إن القوى الروحية في الشباب الذين يظنون أنهم سيصلحون العالم على حد قولكم قد تنظم القسم النير منها فيما لو انكم رأيتم ما رأى قادتها من المصير الانترنسيوني لكفيتهم الشر في أساسه وفروعه.

يا فخامة العميد!

إنكم تنهون عن شهور كثيرة وقلة عدالة، ونحن نقول ان الشر الأكبر في محاربتكم الأمة السورية حرباً عملياً شعواء في نهضتها القومية ثم ان تنهوا بالعطف عليها، هذا لا ينطلي إلا على نفرات عهدهم فماتوا. في السجون مئات من الشباب نخشى ان يقوم الانتداب بعمل زائد كالعادة فيصيبهم ما أصاب جماعة «كودريانو» في رومانيا. نحن نلفت نظر دول العالم المتمدن إلى هذا الأمر الخطير لكي نرفع عنا مسؤولية ردّ الاساءة بمثلها.

أيها الشعب

لقد تقرر المصير وقد وضعك الحزب السوري القومي في مجرى الحياة الجديدة فاتبع سعادة إلى المجد والسعادة.

أما أنتم أيها القوميون فتابعوا الصراع فالنصر قريب».

ولتحي سورية وليحي سعادة

عن المركز في 26 سبتمبر 1940

رئيس مجلس العمدة

معروف حمدان

في دمشق :

وتسهيلاً لتأمين وجود البيان في دمشق وتوزيعه في جميع مدن الداخل تمت الموافقة على اقتراح من المفد العام الرفيق ويكتور أسعد بأن يطبع العدد المطلوب من نسخ البيان في إحدى مطابع دمشق ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن. فقد داهمت قوى الأمن الفرنسي المطبعة وصادرت النسخ المطبوعة وقعدت تنتظر الشخص الذي سيأتي لاستلامها. كان هذا الشخص الرفيق ويكور أسعد فتم اعتقاله وسيق إلى سجن الزه وهو السجن العسكري الفرنسي في دمشق ثم تبعه إليه الرفقاء زهير صواف، تاج الدين.. (لعله تاج الدين مرتضى) وخالد...؟



زهير صواف

في بيروت :

أما في بيروت وفي الكيان اللبناني فقد حصل التوزيع للبيان ولكن وقع بعض الرفقاء في الأسر كما اعتقل رئيس مجلس العمدة الأمين كامل أبو كامل - معروف حمدان - بينما كان يأخذ قسطاً من الراحة تحت ظل شجرة زيتون في أحد الحقول في بلدة «بشامون».

شملت هذه الاعتقالات الرفقاء الآتية أسماؤهم: من بيروت، عيسى حمادة ومحمد اللحام. من الشويفات، حسيب وسعيد صعب. من الكورة فؤاد نجار، نسيم نصر وعزيز عودة. من عكار، إبراهيم بربر، سليم الخوري، وميشال الدوره، من بيت مري، سجع رشيد وشكيب نجار. ثم في مداهمة ثانية تم اعتقال الرفقاء الآتية أسماؤهم: خليل الطفيلي، أحمد الشيخ وعبد الرحمن عكاوي. ولكن بقي المسؤول إبراهيم يموت حراً بعض الوقت فوق في الأخير أسيراً. جرت هذه الاعتقالات خلال شهر تشرين الأول 1940 ووضع الجميع في مبنى الأمن العام الواقع مقابل مستشفى الشرق. عند حاووز الساعائية في بيروت.

الاعتقال والسجن

وجاء في مذكرات الأمين كامل أبو كامل المخطوطة عن هذه الفترة ما يلي :
لم يبق لي من مجال للبقاء في عاليه فأول هربي كان إلى القماطية القريبة من عاليه
نزلت في ضيافة أحد الرفقاء المصطافين فيها من عائلة خطيب نسيب اسمه وكان ينام في
العززال على سطح البيت فأخلاه لي وتمتعت بالضيافة عنده مدة ثلاثة أيام كنت ألقى فيها
الأخبار التي كان يجمعها لي رفيقي صاحب البيت من عاليه الذي يقصدها يومياً لهذه الغاية
ويتصل فيها بالدكتور تلحوق وفؤاد أبي عجرم اللذين يزودانه الأخبار الحزبية كلها . وفي اليوم
الرابع جاء الرفيق عجاج أبو شكر لكي يرافقتني إلى بشامون وكان العميد بانتظاري فيها وكان
الليل قد بدأ فسلطنا طريق الحقول مشياً على الأقدام حتى وصلنا إلى فوق عينعنوب عندها
اضطررنا أن نمشي على الطريق العام فقررنا أن يسير عجاج بعيداً عني حتى إذا داهمنا شخص
يسلك الطريق أو سيارة قادمة أتمكن من إخفاء نفسي .

وبقينا نسير بعيدين عن بعضنا حتى قطعنا عينعنوب واستلمنا طريق بشامون لم نصادف
أحداً طول الطريق التي سلكتها كما لم تمر أية سيارة لا قادمة ولا ذاهبة . . .

وصلنا إلى مكان الاجتماع وكان العمد قد سبقوني إليه فاستعرضنا في هذه الجلسة ما
تركه المنشور من أثر في الأوساط الرسمية والشعبية فالمعلومات كلها أشارت للأثر البالغ الذي
تركته الفقرة التي تشير إلى تهريب الذهب فقد سببت لفظاً كبيراً في الأوساط الشعبية كما
حركت الأوساط الرسمية فاتصلت بالسلطات المنتدبة مستفسرة .

وبالإضافة إلى تقييم صدى المنشور قرّر المجلس تكثيف الاتصالات للضغط على
السلطة المنتدبة لهذه الغاية وتقرر أن أقوم بزيارة السيد سامح فاخوري رئيس المجلس

الإسلامي الأعلى وبزيارة ثانية للمطران صليبي كما تقرر أن يرافقتي في زيارة السيد سامح فاخوري العميد زكريا لبايبيدي كما تقرر انتقالي لبيروت بعد إنهاء هذه الزيارات - فالمدينة أصلح من الجبال للتخفي والاتصال بالأعضاء من المناطق بالمركزين أسهل لهم - ونزلت في سيارة واحدة مع العمدة حيث تركوني في الشويفات في بيت منفذ عام الضاحية - الجنوية محمد أمين أبو الحسن الذي أمن وصولي إلى بيروت بعد مضيّ يومين من تاريخه فتركتني في بيت زكريا الذي قمت برفقته بزيارة السيد سامح خوري الذي كان على علاقة وثيقة بالمفوض السامي وطلبت وساطته بشأن المعتقلين الذين مرّ على اعتقالهم حوالي السنة من الوقت ولم يثبت عليهم أية علاقة بالعدو فوعدني بأنه سيقوم بهذا الإتصال وسيعمل جهده علّ محاولته يكون لها فائدة عندنا من هذه الزيارة وسألنا عن المطران صليبي فقيل لنا أنه في سوق الغرب لأن الوقت كان صيفاً ولما كان لا بدّ من القيام بزيارة لذلك عدت إلى بشامون القريبة من سوق الغرب وأرسلت إلى المطران من أمنّ لي المقابلة وحدّد موعداً لها .

وفي صباح يوم المقابلة خرجت من بلدة بشامون قبل أن يخرج الأهالي إلى الحقول وبقيت في الحرش الواقع بين شمالان وبشامون انتظر قدوم عجاج أبو شكر الذي سيأتي ويرافقتي إلى مقابلة المطران وكان سليم حتى ينتظري في شمالان ليكون برفقتي في هذه المقابلة . طال إنتظاري ولكن ثقتي بعجاج كانت كبيرة فلم يخالني أي شك بأنه قادم وكان النسيم العليل يلفح وجهي فالتفتحت قليلاً في ظل شجرة وارفة، فاسترخت أعصابي وغلبني النعاس . وفجأة شعرت بحركة ايقظتني فظننت أن عجاج قد وصل ففتحت عيني لأرى نفسي مطوقاً من الجند والبنادق مصوّبة نحوي .

الدورية كانت مؤلفة من ثلاثة جاويش ونفرين - وأنا وحدي مسّطح على الأرض وبدأ الحوار بيننا فلا الدورية يتقدم أحدها ليمسك بي ولا أنا أمتثل للأوامر بأن أنهض وأسلم نفسي ومَرَّ ببالي بأن أحسن وسيلة للتخلص من الدورية بأن أرمي عيونهم بالتراب ولكنهم ثلاثة ولذلك يجب أن أترث حتى يأتي عجاج وبمجيئه يشكل عملية إلهاء لهم وبذلك قد استطيع أن أنفد ما فكرت به ولكن مجيء عجاج قد طال ولا يمكن أن تستمر الحالة على هذا الشكل . وكان لا بد من الإستسلام وسلمت زمامي إليهم شرط أن لا يضعوا القيد بيدي وتم الإتفاق على أن أسير معهم وأن لا أحاول الهرب وسرنا بطريق عينعنوب فطلبت من الجاويش أن تمرّ بعاليه كي أجلب فرشتي وأخبر أهلي باعتقالي وفي عينعنوب استأجر الجاويش سيارة نقلتنا إلى عاليه .

لم يصل خبر اعتقالي إلى بشامون حتى هب الشباب وتساقتوا إلى الشويفات لا يصل

الخبر إلى المنفذ العام الذي بدوره استنفر الرفقاء في الشويفات وأوهم بقطع الطريق على الدورية التي ستمر حتماً بالشويفات.

وطال انتظارهم عادوا إلى بيوتهم متحسرين لأنهم لم يتمكنوا من تحريري من الاعتقال.

أما أنا فعندما بلغني ما كان رفقاء الشويفات قد قاموا به شكرت الله بأنني غيرت طريقي وبذلك وفرت على رفقائي نتيجة اصطدام مسلح مع الدرك قد يعود بالوبال على أهل الشويفات سيما وأنا في زمن حرب ومن عادة السلطات أن تكون شديدة الظلم في أيام الحرب.

الدورية التي أوصلتني إلى عاليه قادتني هي نفسها إلى بيروت وعلى حسابها لأنني رفضت أن أدفع أجرة السيارة.

الأمن العام الفرنسي كان متأدباً معي فلم يسمي أحدٌ منهم بسوء لا بكلمة نابية ولا بلطمة على الوجه مع أن لهجة المنشور كانت عنيفة

وبالمقارنة مع تصرفات جنودنا 1961، هذا الجند الذي هو من شعبنا ونحن الذين كنا أول المنادين بالاستقلال والعاملين له يتصرف معنا نحن العقائديين هذا التصرف المسيء الذي يشكل أكبر وصمة عار في جبين الذين ربوه ودرّبوه وسهروا على تنشئته (يا عب الشؤم) وبالمقارنة فالجندي الفرنسي ملاك في تهذيبه بينما الجندي اللبناني كان قليل الأدب عديم الأخلاق في تصرفاته معنا.

أعود للتحقيق الذي استمر يومين كاملين جال فيه المحقق فتارة كان يحقق معي بالعلاقة الألمانية وطوراً يسألني ما هي علاقتنا بروسيا.

فقلت له بعد أن اتعبي بأسئلته التي كانت تدور على نبش العلاقة الخارجية الغير موجودة: «أرى العجب يا حضرة المحقق بأنك تحور وتدور لترى طريقاً يهديك إلى علاقتنا بالدول الخارجية التي تتهموننا زوراً، ولم يخطر في بالك مطلقاً بأننا شعب عريق ويثبت التاريخ ذلك كنا أصحاب حضارة مزدهرة قبل أن تتعرفوا عليها. وساعدناكم على انتهاء الاحتلال العثماني وذلك بغية أن نعيش أحراراً ونحكم أنفسنا بأنفسنا فلماذا تمنعون عنا هذا الحق فأنتم وجدتم هنا كي تدرّبونا على حكم أنفسنا بأنفسنا.

ولهذا سمّي احتلال سوريا انتداباً ونحن نرى أنفسنا جديرين بأن نتولى شؤوننا بأنفسنا وأنتم تصرون على اعتبارنا متأخرين قاصرين نحن نحب فرنسا ولا نرغب أن نعاديها ولا

تعاون مع أعدائها على هزيمتها فتركوا لنا حريتنا إن كنتم كما تدعون بأنكم جئتم لإرشادنا واستطردت أن المانيا تحتل أرضكم اليوم فهل صحيح بأن الشعب الإفريقي سيقبل بهذا الإحتلال ولا يفعل شيئاً لاستعادة حريته وطرده المحتلين فالذي تريدونه لانفسكم لا تحرموا الآخرين منه، تأثر المحقق من كلامي فاكتفى بسؤالني عن شخصية جلال طالب الذي تولى القيادة من بعد اعتقالي. (وجلال طالب الأسم المستعار لعبد الله سعاده). فوصفته له بشخص قصير اسمر يلبس نظارات سوداء وهذا كل ما أعرفه عنه. وانتهى التحقيق عند هذا الحد وتم نقلني من غرف التوقيف المؤقت إلى غرف المعتقلين حيث استقبلت استقبلاً انساني ظلمة السجن ووساخته وويلاته.

السجن

غرف سجن القلعة كناية عن دهاليز طويلة طول الغرفة لا يقل عن اثني عشر متراً سقفها يعلو ستة أمتار وبآخر كل غرفة منتفع واحد كناية عن فوهة قطرها خمسة عشر سنتمترًا متصلة ببرميل لإستلقاء البراز وفي الغرفة الواحدة ينام ثلاثون شخصاً وأحياناً يزيد العدد إلى الإثني عشر وثلاثين ويصادف أن التقى في نفس الغرفة بالرئيس نعمة ثابت. مأمون أياس جبران جريج. أسد الأشقر. . . فارس معلولي. إبراهيم يموت. عبد الرحمن بشناق سجع رشيد. يوسف العسراوي حسين باز أحمد الشيخ نهاد ملحم حنا وليم أبو خليل. وغيرهم من المناضلين القوميين وغير القوميين فالانزعاج الذي يضايق نفس السجن في زجه في غرفة مزدحمة بالسجناء ولا منفس لها سوى الباب الذي منه وشباك حديدي مشبك في آخرها. ومرحاضها الكشوف الذي يقذف الروائح إلينا الفينة بعد الفينة يقابله جو آخر يجعله يتناسى مساوئها وهو النظام الدقيق المفروض في داخلها الذي يقتضي بتنظيف الغرفة يومياً تنظيفاً دقيقاً بحيث يتولى أربعة من السجناء دورياً الاهتمام بالتنظيف والتمسيح هذا صباحاً وبعده يبدأ نظام التسلية ونظام القراءة ونظام الطعام إلى أن يأتي وقت الخروج إلى باحة السجن، إلى الرياضة والتمشي فنقضي ساعة كاملة خارج الغرفة المسقوفة في باحة السجن المحاطة بأسوار عالية جداً لا يظهر لنا منها من العالم الخارجي سوى السماء. وتطلّ الباحة من الشرق على مدخل القلعة الذي يبعد عن الباحة بحوالي ستين متراً وفي أول المدخل بعد البوابة الكبيرة من جهة الشمال مكاتب إدارة القلعة وعلى يمين البوابة أربع غرف صغيرة للتوقيف المؤقت أي قبل الانتهاء من التحقيق وفي الوسط حديقة من الورود والزهور الجميلة - وفوق المكاتب طابق آخر شرقي يطلّ على الحديقة ويسكن هذا الطابق عائلة مدير السجن الافرنسي الزامي برتبة كابتان.

وللكابيتان هذا ابنة صبية حسناء كانت تطل على الشرفة بين الحين والحين ويصادف هذا عندما نكون نمرح في الباحة ذهاباً وإياباً فتتعلق عيوننا بالتطلع إليها وكلنا شباب بعمر الورود. وقد يكون بأن الحسناء قد شعرت بأننا نرتاح لرؤيتها فحنّ قلبها علينا وبدأت تظهر على الشرفة يوماً تفرح عندما تقع عينها علينا وترسل لنا بعض التحيات. فلم تعد نزهتنا المسائية للرياضة وتبديل الهواء فحسب بل أصبحت للمتعة أيضاً. وكان إلى هذا اللطف الذي تبديه الآنسة ابنة الكابيتان القاسي الذي كان كثيراً ما يزعجنا في تحذيراته وفلسفاته والإمعان في إنزال القصاص بناء لأبسط المخالفات، أثر بالغ في نفوسنا فبدأننا نحرض على تنفيذ نزوات الكابيتان وإن أنت قاسية أحياناً حتى لا نحرم الخروج إلى الباحة ونحرم من مشاهدة هذه الحسناء ومبادلتها الإشارات التي كانت تشكل العامل الترفيهي الوحيد في سجننا المظلم.

المقابلات كانت مسموحة للسجناء أيام الأحاد فقط فيأتي الأهلون حاملين الزوادة وينتظرون دورهم للدخول من البوابة الكبيرة الذي يتولى حراستها خفير من الجند ويفتح الخفير المكلف البوابة ويسمح بدخول ثلاثة في كل دورة فيقطع الثلاثة باحة الخديفة ليصلوا إلى باب الحديد الثاني الذي يفصل الباحة عن السجن وعلى هذا الباب الحديدي المشبك يلتقي الأهل مع السجن المطلوب حيث يستمع إلى أخبار الأهل والأصدقاء ويستلم الزوادة. ويرسل تحياته لمحبيه وتنتهي المقابلة. فيوم الأحد كان يوم المقابلات ويوم الاطمئنان عن الأهل والأصدقاء واستلام الأكل البيتي الشهوي والملبوسات النظيفة وتسلم الملابس الوسخة حصيلة الأسبوع للتنظيف.

وقبله يوم السبت يوم الحَمَام للجميع فنخرج إلى الباحة ندخل الحمام عشرة عشرة والحمام غرفة طويلة تحوي عشرة محلات بقواطع تفصلها عن بعضها البعض ودوش لكل منها والمهلة الممنوحة لكل عشرة هي خمسة عشر دقيقة. أي ربع ساعة وكنا نريدها أن تطول ولكنها كانت كافية كي نزيل عن كاهلنا أوساخ الأسبوع. في الشتاء كانوا يعطوننا مياهاً دافئة نشعر معها بارتياح وما إن نخرج من الحمام حتى نذهب تَوّاً إلى الغرفة فرحين مسرورين. ولنطرح على أنفسنا ثياباً جديدة نظيفة صالحة لاستقبال الأحد.

ومساء كل أحد كنا نرفض الطعام (القراوني) ونستعيضه بالمأكولات الطازجة التي يرسلها لنا الأهل فنمد سماطاً كبيراً يضع عليه كل واحد منا ما يجب أن يؤكل فوراً حيث لا برآد عندنا لحفظ الطعام ومن الأكل ما يفسد إذا بقي إلى اليوم الثاني ونحتفظ بما نتمكن من حفظه لأكثر من يوم وما أن يصل بنا المطاف إلى يوم الأربعاء إلى وسط الأسبوع حتى يكون جميع ما أدرناه من مأكولات وطيبات قد نفذ واذكر أنه في أحد الأيام وكان الوقت جمعة عن

على بال أسد الأشقر شيئاً من الحلوى فلم يجد ما يسد حاجته به فطلب من الرفاق السجناء بصوت عالٍ بأنه يريد شيئاً من الحلوى فكلهم أجابوا بالنفي قائلين بأنه لم يبقَ لديهم شيئاً. ما عدا نهاد حنا الذي قال لديّ قليل من العسل بداخله مثل صغير فأجاب أسد لا لا أريد. وكان يجوب الغرفة ذهاباً وإياباً وكأنه في مأزق وفجأة رأيناه يهجم صوب نهاد ويقول اعطني العسل فأنا أحب العسل بنمل فالنمل مفيد للنظر. لم يبقَ في القاوش من سجين إلا وانطرح على قفاه من الضحك. أما أسد فقد التهم العسل بشهية المشتاق. ونشوة المنتصر.

عرفتنا كانت تضيف غير القوميين فكان فيها أثنان منهم من حلب من طبقة عادية ولذتهم لطفاء ومسالمين وكان بيننا روبر أصفر أحد أصحاب شركة باير للأدوية والمعروفة باسم أصفر ومصري وروبير هذا من الشباب العصري المثقف وكان يقضي أكثر أوقاته في أوروبا فاقتبس مدنيّة الغرب وعاداته فهو عدا عن أنه مثقف جيد لطيف وقريب للقلب وخلافاً لقانون السجن فكان الوحيد بين السجناء الذي يسمح له بالمقابلات مرتين في الأسبوع ومرة يُستدعى فيها لمكتب الإدارة حيث يجري مقابلته ومرة يقابل مع باقي المساجين وهذا امتياز لم يكن أحد يحصل عليه وبالإضافة للمأكولات التي يتلقاها من الخارج كان مسموح له بأن ينقل لتر سببوتو في كل مرة يقابل فيها، وكان يستعمل هذا السببوتو ليفرك جسمه بعد رياضته الصباحية التي يجربها كل يوم داخل القاوش فاتفقنا معه بأن يكتفي بلتر واحد يصرفه على مسح جسمه وأن يوفر لنا لتر آخر نستعمله بأن نخلق منه مشروباً روحياً نتلذذ به والفكرة نبعت من مخيلة مأمون أيّاس ووافقنا عليها. . ولما كان الدبس الخروب والحامض متوفر لدينا فنمزج السببوتو بالدبس ونضيف إليه الحامض ونخفقه بالماء حتى يصبح مقبولاً. فقليلاً من الخمر يفرّح قلب الإنسان.

بهذه الصغائر كنا نضيّع الوقت ونضفي على أنفسنا البهجة والسرور وإن مصطنعين.

أضرب القاوش مرةً إحتجاجاً على سوء معاملة أحد الحراس لنا واحتجاجاً على مياه الشتاء التي تسقط من فوهات التهوية الغير مضبوطة فكان نصيبنا أن عوقب عدد كبير منا بتفريقنا على الانفرادات ثلاثة، ثلاثة في كل انفراد. فكنّت ومعني جبران جريج ومأمون أيّاس في الانفراد الأخير في الكوريدور وويليم أبوخليل وأحمد الشيخ ونهاد حنا في الانفراد المجاور ويصاب البعض منا بالاسهال نتيجة المناخ والمعاملة وتبدأ الشكوى والصراخ والأنين مما جعل الإدارة تهتم باستدعاء طبيب للكشف على المصابين بهذا المرض الذي يستدعي كل هذه الضجة وجاء دور وليم أبوخليل الذي رغب أن يستفيد من هذه الفرصة طالباً نقله إلى المستشفى أو إلى مستوصف السجن مدعياً بأنه يشكو من عوارض كثيرة وأراد الطبيب أن

يثبت من مرض حسّي كي يبني عليه تقريره فطلب من وليم أن يأتيه ببعض الخروج البراز يرسله إلى المختبر لفحصه وأمهله نصف ساعة من الوقت كي يأتيه به . فعاد وليم إلى انفراده ليرى أحمد الشيخ جالساً على التينات يقضي حاجته والتينات هذه كناية عن صندوقه حديد مكشوفة بطول خمسين سنتيمتراً وعرض عشرين موجود في كل انفراد واحدة منها (لقضاء الحاجة) ولا تخرج من غرفته إلا صباحاً فيحملها السجين ويفرغها في برميل كبير وراء السجن داخل الأسوار ويغسلها بالماء حتى يعيدها ثانية إلى غرفة الانفراد، وأحسّ وليم بأنه يصعب عليه تلبية الطلب بالوقت المحدد فلا رغبة عنده للخروج فاستقرض من براز أحمد الشيخ حاجته ونقلها إلى الطبيب. ثلاثة أيام بالانفراد توازي حتماً شهراً كاملاً من السجن في القاووش العادية - وازعج ما فيها النوم مع التينات في غرفة تحتضن ثلاثة أشخاص ومساحتها لا تزيد عن المترين بمترين ونقل التينات صباحاً وتنظيفها.

أعلمونا تاريخ محاكمتنا وقد قسمونا إلى قسمين المحاكمة الأولى للقيادة التي تطال كل من رئيس الحزب السيد نعمة ثابت وكل من عمل في مسؤولية أو ترأس تنفيذية. والتي شملت نعمة ثابت أسد الأشقر جبران جريج كامل أبو كامل مأمون أياس فارس معلولي عبد الله أيوب حسن الطويل حماده. وغيرهم وأذكر بأن العدد كان 18 قومياً اجتماعياً والقسم الثاني شمل محاكمة الذين اعتقلوا بتهم متفرقة منها القيام بنشاط حزبي كاجتماع وتوزيع المناشير وغيره.

بعد أن عدنا إلى القاووش بأسبوع قادونا إلى المحاكمة وقد عينوا لنا محامين من الجيش الفرنسي لا بلاغنا أن نعين محامين يدافعون عنا بل قررنا أن ندافع عن أنفسنا. موقف جميع القوميين في هذه المحاكمة كان موقفاً مشرفاً تحلى بالجرأة والصراحة فلم يتنكر أحد منهم لعقيدته وانتمائه كما انه لم يتهرب أحد منهم من المسؤوليات فواجهوا المحاكمة والحاكم بإباء وشمم وتقبلوا الأحكام باستهزاء ومنهم من قال أظنكم سوف لا تفرحون كثيراً لأنكم سوف لا تروننا ننفذ حكمكم ولو أنتم حقيقة أحرار وتساعدون الآخرين كي يتمتعوا بالحرية لما حكتم علينا. ودوت الهتافات الحزبية في قاعة المحكمة مما جعل الجنود يتراكمون ليعيدوا القيود إلى أيدينا واشتبك بعضنا مع الجنود.

فرقة الطوارئ:

كان المسؤول إبراهيم يموت قد أنشأ فرقة للطوارئ. بقيت هذه الفرقة سلمية. مستعدة لتنفيذ ما يعهد به إليها.

برقيات الذل والخنوع:

واني أختتم هذه السنة الحزبية الثامنة ببرقيتين تعبران عن نفسية الذل والخنوع والاستسلام التي يتمتع بها حكام الكيانين اللبناني والشامي بينما كان السوريون القوميون الاجتماعيون يدخلون السجون أفواجاً تعبيراً عن نفسية الإرادة الحرة التي تأبى القبر مصيراً لأمتهم.

البرقية اللبنانية:

فخامة المرشال بيتان، رئيس الحكومة الفرنسية.

في أثناء تحملكم، يا حضرة المرشال مهمة مقدرات فرنسا الصعبة النبيلة يهمني أن أجدد لكم متانة تعلق الشعب اللبناني بالشعب الفرنسي راغباً إليكم في أن تقبلوا الأمانى الحرة التي ارفعها باسمي شخصياً وباسم لبنان من أجل أن تكمل جهودكم بالنجاح وانعاش فرنسا العاجل والمحافظة على اشعاعها في العالم.

رئيس الجمهورية اللبنانية

اميل أده

البرقية الشامية:

فخامة المرشال بيتان، رئيس الحكومة الفرنسية.

إن سورية التي تهتم بصورة خاصة بتطور الموقف في فرنسا من ناحية الاستقرار لسعيدة بأن ترى مقدرات الدولة في يد حكيمة مخلصه كأيدي شخصية يفعم ماضيها وماضي زملائها نفوس الجميع بثقة مشروعة بإمكان محافظة وطنكم العزيز على مركزه الرفيع بين الأمم، ذلك المركز الذي تؤمنه له أجيال من التاريخ وخدمات جلى للمدنية والإنسانية.

والسوريون يقفون أكثر من أي وقت بجانب فرنسا العزيزة ويؤيدونها بكل ما لهم من قوة. أتم الله نجاح مهمتكم الرفيعة حتى النهاية.

رئيس مجلس المديرين في سورية

بهيج الخطيب

والآن نترك المعتقلين في الوطن في نهاية هذه السنة الحزبية الثامنة لنبدأ السنة الحزبية التاسعة من المحاكمات العسكرية في الوطن ونتابع نشاط الزعيم في الارجتين بدءاً من العدد الممتاز لسورية الجديدة بمناسبة عيد التأسيس في 16 تشرين الثاني.

ادبيات

أقوال فيّ وفي كتابي «من الجعبة»

عزيزي الأمين جبران

ليست الكلمات الحلوة التي توجت بها اهداءك الي كتابك الأنيق «من الجعبة» بقليلة الأهمية والأثر لكي أمرّ بها لماماً. أنت حقاً رفيق عمري كما أنا حقاً رفيق عمرك كأنما خلقنا من رحم قدر واحد لنواجه قدراً واحداً. لقد قضينا معاً سن المراهقة والشباب والكهولة، وها نحن على أبواب الشيخوخة (لا أقول شيوخاً عن سابق تصور وتصميم لأنني لا اعترف بوجودها) والواصرُ بيننا تستقوي عوضاً عن ان تهوفَ بفعل السنين والأحداث. لقد تلاقينا دائماً على المحبة والحقيقة والخير - كما نفهمها - حتى عندما كانت تنشب بيننا خلافات عابرة في الرأي والنظر إلى الأمور، فإذا حياتنا لقاء روجي دائم.

ها أنا أقرأك وأحيا معك أيامنا الحزبية الغابرات، لأن جعبتك تبعث الماضي بحرارة وزخم فتجعل منه حاضراً مقيماً. الفضل في ذلك ليس لذاكرتك الجبارة فحسب، بل للصراع الرهيب الذي مارسناه منذ التأسيس حتى يومنا هذا ضد قوى الاستعمار والرجعة، ضد الذين قاتلنا في سبيل انقاذهم من الغرق فساعدوا الاعداء على محاولة اغراقنا... الصراع الذي اشتركنا فيه مع سعادة العظيم وتلامذته في سبيل النهضة القومية الاجتماعية التي قال عنها شهود عدول انها أعظم نهضة في هذا المشرق العربي على الاطلاق... الصراع الذي مارسناه عطاءً لا أخذاً حتى بتنا - أنت وأنا - نحسد الذين توجوا عطاءهم بالشهادة رغم اننا شهداء أحياء.

هل تذكر ما رويته لك مراراً - ودونته في عبد الله قبرصي يتذكر - إني عندما كنت أرفع يميني مقسماً بأبي انتمي إلى الحزب السوري القومي سنة 1934، كان خيالك في خاطري، كنت انتظر أول لقاء لنا لاقنعك بالدخول في الحزب، فإذا بي بعد حين اكتشف أنك كنت السباق. أمرٌ بهذه الواقعة، وهي واقعة فعلاً لأثبت ماكننا عليه من

وحدة روح ووحدة نظر ووحدة اتجاه. صحيح اننا كنا مأخوذين بالأدب شعراً ونثراً عندما استقدمت إلى بيرومين شيخ الأدباء مخائيل نعيمة، إلا اننا لم نكن مع الأدب في مسابكه اللفظية الجميلة فحسب، بل في مضمونه الوطني، كأنما كنا داخلين في الحزب السوري القومي قبل ان نقسم يمين الانتباء!... من هنا لم يكن تلاقينا في الحزب صدفة أو انبهاراً أو رغبة حماسية، بل استجابة لمشاعرنا الوطنية وتوقنا إلى العمل في سبيل تحرير وطننا ونهوضه، مما كانت هذه المشاعر وهذا التوق هبولة غير مبلورة في مفاهيم علمية. لقد كنا نؤمن بوطن أكبر من لبنان الكبير الذي كوَّنه الجنرال غورو بمرسوم، وإن تكن حدود هذا الوطن وشخصيته لم تظهر لنا بجلاء ووضوح الا في تعاليم ومبادئ الحزب... لقد كنا كمن يبحث عن حبيبة وجد كل مواصفاتها فيه.

ليس من باب الانانية أو باب الزهو أن ابادر إلى القول ان جعبتك تؤرخ مرحلة عزيزة ومنتجة - بقدر ما كانت قاسية - من أيام شبابي. لقد وجدت فيها نفسي كما وجدتك كما وجدت صف الرعيل الأول الطويل من رفقاء العقيدة والجهاد، رغم أن بعض شواهد هذا الرعيل صارت رماداً بفعل التراجع أو التعب أو الموت الذي يأكل الاعلين والادنين لأنه حقيقة هذا الوجود التي لا يمكن ان يختلف عليها أحد مع أحد!... كما وجدت سعادة العظيم، معلماً وقائداً، شعلة هادية تتوقد ناراً ونوراً، لتحرق من أمامنا الاشرار ولتضيء لنا الطريق عبر الادغال والجبال الوعرة، ولنضع معاً صخور الأساس لعمارتنا القومية التي بدأت كوخاً وأصبحت ناطحة سحاب بدليل أن كل الزعازع والصواعق التي واجهتها تكسرت على جنباتها... وظلت هي صامدة شاهقة لأن احجار أساسها صخور صلدة!...

نحن نقول بالخلود في المجتمع، وما معنى هذا الخلود إذا لم يكن بعثاً لما كاد ان يندثر، وذكرنا لما كاد أن ينسى وتسجيلاً بماء الذهب لما كاد أن يعفو عليه الزمن؟ لقد اثبتت «بالجعبة» ان القضية القومية الاجتماعية تخلد كل الذين قدموا من أجلها أية تضحية أو أية خدمة، في الازمنة السهلة أو الازمنة الصعبة فكيف لا تخلد ابطالها وشهداءها ومؤسسيها؟ كيف لا تخلد صخور أساساتها?... هكذا اذن بذكر لأسماء القوميين الاجتماعيين الأول، من النباتات الضعيفة إلى الابتداء فالانتشار، في لبنان والشام وفلسطين - (بمضرنسي هنا رسم رفيق لنا من الموصل العراق نسيت مع الأسف) اعدتهم إلى مركز الصدارة في تاريخ نضالنا الحزبي وخلدتهم في المجتمع، الذي لا بقاء إلا له على هذه الأرض في تعاقب الاجيال وتصاعدها... لقد كنت الشاهد العدل، فاضفت إلى نضالك وتضحياتك، منذ اطلالتك على الشباب إلى يومنا هذا، فضيلة النزاهة والتجرد التي كنت دائماً تجسدها في أقوالك وأعمالك.

لندخل في التخصيص. أريد أن أرافقك في «الجمعة» على قدر المستطاع، لأن ميدان نشاطك، بل ميادين نشاطك شملت كل بقعة من بقاع الوطن سمحت لك ظروفك بأن تدوسها قدماك. لم أخاطبك يوماً لابساً كفوفاً بيضاء... لقد قامت اخوتنا على المصارحة لا على الغش ولذلك هي مستمرة ودائمة. لماذا الجزم والحسم ان ما ورد في الجعبة نهائي وحده صحيح ودقيق وما عنده غير صحيح أو غير دقيق؟ لا عصمة للذاكرة مخلوق ولو كانت ذاكرة جبران جريج وعبده الله سعادة الدقيقتين والجبارتين والرهيبتين! ثم أن مراجعتك أصحاب الشأن لاستثبات ما أشكل عليك أو تأكيده لا تعني ان ذاكرتهم في قوة ذاكرتك «وذهيتهما». ان الأمين يوسف الدبس مثلاً يروي قصة ادخاله في الحزب - وكنت أنا صاحب الحظ في ادخاله - حسبها تذكرها. من قال لك ان ذاكرته أفضل من ذاكرتي ليكون ما رويته أنت بقلمه هو الصحيح والدقيق. اني اجزم قطعاً بأن ماكتبه الأمين الحبيب يوسف الدبس عن انتمائه فيه بعض الصور وبعض الكلمات وبعض الوقائع الخاطئة بسبب تهاويل الذاكرة. من يضمن منفرداً انه قادر ان يتذكر - دون احتمال الوقوع في الخطأ - أموراً حدثت منذ نصف جيل؟!... خذ لك هذا المثل: يروي الأمين الحبيب يوسف انني وصلته الى مكتب نعمة ثابت - فوق الامن العام الفرنسي - سنة 1935 وكان سعادة بانتظارنا. وانني دخلت عليه وخاطبته هكذا: «هذا يا مولاي الصديق الذي حدثتك عنه». اني اقطع اني لم أقل لسعادة، كما لم أقل لأي مخلوق سواه: يا مولاي! ثم اني واثق ان سعادة لم يدخل مطعم فتوح على ساحة البرج بوجود فخري البارودي وامين نخلة وعبده الله قبرصي! لحسم هذا الموضوع يمكن الرجوع الى ذاكرة نعمة ثابت الذي كان موجوداً في حفلة ادخال الأمين يوسف وارجح انه هو الذي حلفه يمين الانتفاء!... أرجو أن تترك هامشاً - ولو كان ضيقاً - بين الجزم واللاجزم....

ثم هنالك مسألة أهم. تذكر ان سعادة يقول ان العقل هو الشرع الأعلى وعلماء القانون يقولون ان الدستور، دستور الامة ودستور الحزب، هما الشرع الأعلى القانون الذي لا قانون فوقه، لأنه فوق كل القوانين الوضعية... لا اكتمل أن لأول مرة قرأت قصة مجلس المؤسسين في «جعبتك الثمينة». قد يكون كل ما ذكرته عن لسان فيكتور اسعد (اسمح لي أن أظل على فيكتور لا ويكتور) وفؤاد حداد وجورج عبد المسيح وارداً ودافعاً. ولكن ارجو ان تسجل، مطمئناً راضياً، بأن سعادة جزم في مسألة وضع الدستور باعلانه أمام المحكمة المختلطة في كانون الثاني 1936 بأنه وضع دستور الحزب بمعاونتي. أجل سعادة هو الذي وضع الدستور وكان دوري صياغته باللغة الحقوقية - التي لم أكن قد اتقنتها بعد - وتصنيف مواده. فعندما يعلن سعادة هذه

الواقعة، ينتفي حكماً أي دور لمجلس المؤسسين! تأكيداً لذلك، ان مجلس المؤسسين - في حال وجوده - أنشئ في السنة الأولى أو الثانية من التأسيس، والدستور لم يبرم إلا في 21 - 11 - 1934، فلو كان لمجلس المؤسسين أي دور، أو كان الزعيم راضياً عن «مشروعه» لأبرم هذا المشروع دون ان ينتظر عبد الله قبرصي ليعاونه في تصنيفه وتنسيقه وصياغته الحقوقية! ثم زيادة في الايضاح، ذكرت في عبد الله قبرصي يتذكر اني كنت بالفعل اخشى الدكتاتورية، اخشى الزعامة في فرد - بخاصة لم أكن تعرفت بعد على عبقرية المعلم - لذلك وضعت مادة - طالبت أنا نفسي بالغاءها فيما بعد - هي الا ينخذ الزعيم أي قرار الا في مجلس العمد. اعتبرت ان هذا القيد كافٍ للحد من صلاحياته المطلقة وقد اقتعت شارل سعد بصوابية هذا القيد وبأنه صيغة قانونية دستورية تلغي التفرد!

لأن الدستور هو الشرعة الاسمي والاعلى، اشدد أن تدون هذه النقطة في الطبعات التاليات.

ثم أن لي ملاحظة أخرى، أرى أن تأخذ بها. انك تروي عن فيلسوف الفريكة أمين الريحاني قوله: ثلاثة في لبنان لا تزول: -جماله وعبقرية أبنائه والحزب القومي. أنا متأكد من صحتها ولكن لتكون شهادة يصدقها القارئون كان يجب أن تشير إلى المرجع الذي استقيتها منه، فلا تأتي كلاماً مجرداً عند أي دليل.

وبالمقابل، اهنتك من صميم قلبي على وثيقتين اكتشفتهما وهما ما ورد في مجلة المطران بولس الخوري، مطران صور وصيدا ومرجعيون، التي كان يصدرها في اثينا في العشرينات وهي التي أوردتها بنصها الحرفي وورد فيها كلامه عن القومية السورية منذ سنة 1922. والثانية ما نقلته عن مجلة الكشف بقلم الدكتور زكي نقاش عن الأمة السورية واقعاً طبيعياً في العشرينات أيضاً. وهي حفظ المجلة التي حملني اياها سعادة، أنا وفؤاد سليمان، وكانت دليلنا الى ادخال الدكتور زكي في الحزب وهو أول عميد للحرية (نقول اليوم الدفاع) في حزبنا العظيم!

ها أنا أصل الى الصفحة 107 بمناسبة ادخال الرفيق المغدور رفيق الحلبي، حيث تكتب بالحرف: «كانت الموجة العروبية طاغية لكنها تكسرت على شاطئ الروح العلمية التي كان يتصف بها رفيق الحلبي...» لم تعجبني كلمة تكسرت. كنا نقولها ونحن والعروبيون في موقعين متخاصمين. القومية السورية والقومية العربية بعد النضال في خنادق مشتركة تتكاملان، لا تتعارضان. وإذا كان سعادة قد حمل على العروبيين، في مطلع عهد التأسيس وبقوة، فلائهم هم أنفسهم لم يكونوا قد فهموه وهو القائل:

نحن لا نقول بالوحدة العربية بل نعمل لها. ثم لم تكن لهم، اخواناً وحلفاء ورفقاء، أنهم هم أيضاً لا يقولون بالوحدة السورية بل يعملون لها. أرى في الطبقات القادمة استبدال هذه الكلمة «تكسرت» بأخرى غيرها تصور الواقع الراهن في علائقنا الحميمة مع القوميين العرب...

إذا كان سعادة قد قال عن الوحدة الإنسانية وامكانية تحقيقها: من يدري (راجع نشوء الأمم) فكيف لا نقول عن تحقيق الوحدة العربية وهي الأقرب مثلاً، رغم مظاهر الاستحالة، ما قاله سعادة عن الوحدة الإنسانية.

ملاحظتي الأخيرة: مأمون أياس كان وكيلاً لعميد المالية لا لعميد الاذاعة. هل يمكن ان يكون عين وكيلاً لي أنا عميد الاذاعة آنذاك دون أن أعلم؟

ثم أنا قريب من الجزم اني ادخلت الرفيق نعيم فتوح بالحزب بعد سفري أنا وهو في قارب في بحرنا السوري!

ثم أي أرى الاستمرار في ذكر الحزب السوري القومي حتى سنة 1947 التي أعلن سعادة فيها تعديل الاسم والحدود.

احبيك ختاماً، أيها الذي لا يكلّ عن البحث، وأدعو أن يطيل الله بعمرِكَ لتظل تشع إيماناً وأخلاقاً وصلابة وعطاءً.

الداعي لك
رفيق العمر
عبد الله قبرصي

حضرة الرئيس الأمين جبران جريج المحترم

تحية سورية قومية إجتماعية

خلال وقفة قصيرة قرأت برغبة عارمة مرويات الجعبة واستفدت منها الكثير الكثير. عندما قرأت مذكرات أي شخص تراه يصوّر نفسه وبيدع في كل شاردة وواردة وعندما تقرأ جبران جريج تجده يصف الحزب وبيدع في كل صغيرة وكبيرة. قد يكون ظمناً لمعرفة تاريخ الحزب في تلك الفترة هو كبير وهو ما يجعلنا نقرأ تلك الأخبار بنهم يضاف إلى ذلك أن فترة نشو الحزب وتأسيسه مسألة هامة من كل نواحيها، إن سرد أساء الرسل الاوائل في النهضة، وكيفية إستقبالهم الدعوة ووسائل تبشيرهم وتنظيمهم وقيادتهم في تنظيم سري مع المحافظة على منهاج تربوي للأعضاء ضمن مناخ الالفة

والاحترام والمحبة والجدية التامة والروحية الواحدة والتفاني والاخلاص في سبيل تحقيق غاية الحزب مسائل معقدة وذات أبعاد مختلفة لا تصل إليها إلا القيادات التاريخية التي تتفنن فن التوجيه وتجمع إليه العبقريّة والمناقبيّة التي تجذب الجميع وتصهرهم في بوتقتها ووجهها، أعتقد بأن من أهم الأعمال التي قمت بها حتى اليوم بعد نضالك اليومي الدؤوب هو هذه المرويات والوثائق التي تتلاحم الواحدة بالأخرى وكأنها سرد لقصة مترابطة لا يعتمدها أي نفور أو ينقصها أية مفاصل فترى الاحداث الجسام المرتبطة بحوادث تفصيلية تضيء على المسائل الكبيرة وتتكامل معها وتنساب جميعها تارة بهدوء وطوراً بسرعة، تهبط أحياناً وترتفع أحياناً أخرى ترافقك أنفاس الكاتب عندما يبسطه وعندما يسرع. عندما يكتمها وعندما يفرها فتعيش المرحلة من جديد رغم كونك لم تكن قد ولدت بعد كم سررت عندما شاهدت صور العديد من الرفقاء القدامى الذين لم أعرفهم من قبل وكنت أسمع عنهم، وفرحت كثيراً بصور بعض الرفقاء الذين عملت في قلوبهم النهضة. وكانوا يعملون بصبر وإيمان ومثابرة وتواضع أمثال الرفيق لويس نصار وعبد الله أيوب ونسيب عازار أو صور الذين أحسدتهم على عفويتهم وأخلاقيتهم وحسهم الثوري أمثال سليم صافي حرب والياس سمعان وسواهم. وكنت أتأمل في الصور وأتذكرك تتابع على حدة ومنذ سنوات رقيقاً من منطقة نائية للتفتيش والسعي للحصول على صورة فلان في الداخل وعبر الحدود بدون كلل ودون ملل صابراً على عدم التلبية التي تصيب البعض أحياناً فتكرر الطلب عبر آخر وآخرين حتى تحصل على المطلوب.

لو لم تكتب وتجمع هذه المرويات لضاعت علينا فرص لا يمكن تعويضها من قبل أحد. سررت جداً عندما قارنت بين أول شهيد للحزب حسين البنا وتبين أنه من شارون وبين أول بطل عملية استشهادية وجدي الصايغ من ذات البلدة.

قرأت بفخر قصة إنتقالك من الكورة إلى بيروت لنقل خبر إلى الزعيم. لم يكن معك قرش ونصف لدفع أجرة الحافلة. تدبّرت أمرك. لم يمنعك هذا الوضع من الانتقال وتنفيذ المهمة. إن هذه الروحية هي التي دفعت الحزب وجعلته يعيش سنة عقود إن قصة الرفيق عبد المجيد على أهميتها وجدتها بسيطة، وطبيعية إلى جانب قيامك بالواجب رغم الصعوبات.

ما أشبه اليوم بالأمس وقبل الأمس بموضوع الدسائس على الحزب: من الصرف من الوظيفة. «إلى تسليط الحكومات المحلية علينا» - إلى بلبلّة الاذهان وقتل حيوية الشباب، وافساد الصفوف القومية الاجتماعية وسحق معنويات الحزب بالدسائس والاشاعات على غرار ما دبح الخائن عزيز الهاشم ومحاولته اختراق القيادة العليا بعد اعتقال الزعيم ورفقائه متتهزاً فرصة التضعف الإداري الأول الذي عقب الاعتقالات... إلى منهاج الاشاعات لتسميم الرأي العام ضد الحزب...

قد يتمكن البعض أن يكتب مجلدات عن المؤرخين، والبعض الآخر قد يجمع تاريخ سورية والعالم العربي وقد يتمكن البعض الآخر من شرح العقيدة شرحاً ممتازاً ولكن لن نجد من يجمع تاريخ الحزب لبنة لبنة وقطعة قطعة غير الأمين جبران جريج، إن ما تقوم به يلزمه لجان ولجان لجمع الوثائق ولإجراء التحقيقات وجمع المعلومات بالإضافة لإمكانات مادية ووسائل عديدة ليرى هذا العمل النادر وتسير منفرداً متكلاً على ارادة لا تكمل وصبر لا حدود له. إنني أنتظر صدور الجزء الثالث من الجعبة بفارغ الصبر وأمل أن ينزل إلى القارئ في القريب العاجل بعد أن شاهدت أصبح شبه جاهز للطبع.

- هل مواد الدستور قبل التصنيف منشورة بكاملها في العدد 1094 المشار إليه في الصفحة 506 (جعبة). في حال الايجاب من المفيد جداً نشر كامل النص في الطبعة اللاحقة.
- هل تستطيع وضع تاريخ أو مرجع للادبيات الواردة بقلم الرفقاء صلاح عبد الرحمن الأسير، وصلاح لبكي - ورشدي المعلوف وروبير أيبلا وجورج حكيم ونعمة ثابت وأسعد الأيوبي.
- إن الكلام عن لجنة الزعيم تكرر كثيراً أمل في الطبعات اللاحقة حذف بعض منه إذا رأيت ذلك مناسباً.

- إن النبذات الواردة عن الأمين يوسف الدبس جميلة وكوفي أحبه وأحترمه أمل أن تعطيه إهتمامك لمعرفة أسباب إنحرافه وانجراره إلى جهة التمرد. مع لفت النظر إلى أن الرفيق ربيع ابنه كان إلى جانب الدكتور حتي الذي قد يكون دفع به إلى أحضان التمرد. إن الأمين يوسف نظيف مؤمن ولا يجوز أن نهمله. كما أنه من المفيد الاهتمام بامناء: الياس مشعلاني فاروق أبو جوده رشيد الأشقر، فؤاد غزال كونهم من النوع الجيد ومن الصادقين المخلصين للحزب.

- اليس من المفيد طبع مذكرات الرفيق كامل أبو كامل وهي مخطوطة موجودة لديك كما يتبين من الجعبة.

الأمين نبيل العلم

وجاء في السفير تاريخ السبت 21 كانون الأول 1985

«سعادة» في «جعبة» جبران جريج

اختصار العبقرية عمل شاق وتأريخ «النهضة» شمولية ودقة

من الصعب جداً اختصار العبقرية. والأصعب من ذلك اختصار النهضة. فالعبقرية تعلق فوق الزمان والمكان وهي متألقة فيهما ومشدودة إليهما.

والنهضة لا تكون نهضة إلا إذا أجرت الزمان خلفها.
من هنا تأتي الصعوبة في تأريخ العبقريات والنهضات.
والمحاولات في هذا المجال كثيرة، وقد خاض غمارها باحثون ومؤرخون، وفقوا حيناً
واخفقوا حيناً.

وبين أيدينا اليوم النموذج من هذه النماذج هو كتاب نزل إلى الأسواق جديداً تحت
عنوان «من الجعبة»، لمؤلفه جبران جريج.

والفترة التي يتصدى لها جبران جريج قصيرة جداً: من 16 تشرين الثاني 1932 حتى 16
تشرين الثاني 1935، إنها قصيرة في عمر الزمن، 3 سنوات فقط، لكنها زاخرة بالأحداث
ومدلولات هذه الأحداث. فجبران جريج أخذ على عاتقه التأريخ لانطون سعاده، لا من
حيث هو عبقري بحد ذاته بل من حيث هو نهضة في أمة.

من هنا تأتي الصعوبة في البحث وهنا تكمن المقدرة على التأريخ، إذ من الصعب جداً
التصدي لفكر انطون سعاده الجامع الشامل المتألق واستيعاب هذا الفكر على أساس نهضوي
وبالتالي ملاحقة الأحداث الكبيرة والصغيرة التي أخذت منحى جديداً أو التي لم تكن لتوجد
لولا هذا الفكر.

ولأن الأمر جليل والمسلك صعب لا بد وأن نشكر للمؤلف جهده ونثمن دفته في السرد
والربط والاستنتاج.

الكتاب «الجعبة» يحمل اسمه عن جدارة، فهو خزان معلومات دقيقة لفترة تمتد من
سنة تأسيس الحزب السوري القومي الاجتماعي 1932 حتى سنة 1938 سنة اغتراب مؤسسه
انطون سعاده هذا الاغتراب الذي بدأ بقرار حر وانتهى اغتراباً قسرياً بسبب الحرب. وفي
الكتاب ما يتعلق بعمل النهضة السري إلى جانب عملها العلني.

نحن هنا لا نرغب في تقديم موجز للقارئ عن الكاتب إذ غالباً ما يكون الإيجاز
اجتزاء أو تشويهاً فلا شيء يغني عن مطالعة هذا الكتاب من دفته إلى دفته.

جبران جريج

غلاف الكتاب

والقراءة كالطعام تماماً، لا تكون مفيدة ووافية بالغرض إلا إذا تمت عن طريق المضغ
والهضم ناهيك عن المتعة.

وللكتاب هذا أهمية أخرى في هذه المرحلة بالذات، لأن النهضة القومية الاجتماعية
التي هي موضوع «الجعبة» لم تكن في يوم من الأيام حاجة ماسة لمجتمعنا ولأمتنا كما هي

الآن. فكل ما رآه سعادته بفكره الثاقب ووعيه المطلق، وكل ما كان في رأي البعض وهماً أو
فذلقة فكرية أو أسلوباً سياسياً تكتيكياً صار اليوم واقعاً ملموساً على الأرض.

لقد حذر سعادته من الخطر اليهودي الصهيوني ومن قيام دولة «إسرائيل» عنوة على
أرضنا، ونبه من الأمراض التي تفتك بمجتمعنا وتحول دون وحدة المجتمع وبناء الإنسان
الجديد وقيام النهضة السورية القومية الاجتماعية.

وإذ بنا اليوم في خضم هذه المخاطر كلها، فنحن في حرب مع الصهيونية الموجودة عندنا،
في أرضنا وبين صفوفنا، نحن في حرب مع الانعزالية الكيانية الطائفية المذهبية التي تقض
مضاجعنا وتنغص علينا الحياة. ونحن في حرب ضد كل الآفات التي فصلها سعادته في ما كتب
وقال. كان سعادته في سنواته الأولى يرى بالصورة ويسمع بالصوت ما نحن نراه ونسمعه اليوم.

وحيال هذا الواقع المرير لا بد من العودة إلى الأصول، إلى الفكر الواعي والعمل
النهضوي السليم، كل هذا نجده في سعادته، وهذا ما أراد أن يسجله جبران جريج في
«جعبته» التي نأمل أن تكون نسخة العطاء.

كتاب

بعيداً عن الذاتية الفردية وبمسؤولية المؤمن بالنهضة

كتابات جريج قناديل على الدرب الطويل

وكتبت زهرة حمود في «صباح الخير»

قناديل على الدرب الطويل،

تحت هذا العنوان سأتناول بالعرض فقط كتاب الأمين جبران جريج - رئيس الحزب
السوري القومي الاجتماعي - «من الجعبة» في جزئه الأول، وسأحاول أن أضيء على بعض
جوانبه الهامة. ذلك لما لهذا المؤلف من أهمية. فالزعيم والمؤسس حث مرافقيه في عملية
التأسيس على كتابة «مروياتهم ومعانياتهم» عليها تُؤلف بمجموعها جزءاً من التاريخ الحزبي.
وذلك في رسالة بعث بها إلى غسان تويني مؤرخة في 9 تموز سنة 1946. حيث يقول: «...»
ومع ذلك فإن مجموعة مرويات هؤلاء الرفقاء ومذكراتهم، إذا كان لأحد منهم مذكرات،
تكون مستنداً هاماً من مستندات تاريخ حركتنا القومية الاجتماعية».

في مقدمة الجزء الأول من كتابه من الجعبة يقول: «بناء لطلب رسمي من حضرة عميد
الاذاعة... بدأت تاريخ 1977/10/30 نشر سلسلة حلقات في جريدة «صباح الخير - البناء»
العدد 16 تحت عنوان «من الجعبة» تتضمن ما تستوعبه الذاكرة من حوادث وأحداث أو كما
يسمها الزعيم «مرويات تكون مستنداً هاماً من مستندات تاريخ حركتنا القومية الاجتماعية».

بعد ذلك يشير إلى تكليف رسمي سابق حالت الثورة الانقلاية دون تنفيذه في مطلع الستينات. وفي العام 1982 وبعد الحاح المسؤولين والامناء والرفقاء قرر أن يجمع «من الجعبة» في كتاب يحمل نفس الاسم.

الجزء الأول هذا، تناول الفترة الممتدة من التأسيس حتى 16 تشرين الثاني عام 1935. في البدء أهداه إلى العاملات والعاملين. . . إلى الزهراء والأشبال. . . إلى الأجيال التي لم تولد بعد. . . إلى المناضلين الذين قضوا على طريق الحياة. . . إلى المناضلين. . . حتى الرمق الأخير.

في قصة تأسيس الحزب، يعرض المؤلف مقالاً نشر عام 1972 في جريدة البناء، موقع بأسم حنون يشرح الحالة العامة للأمة في مطلع هذا القرن حيث ولد المؤسس، ويوضح معاناة الزعيم من حال الأمة المتردي وهذه المعاناة التي جعلت الأسئلة تتكاثر في خاطره والبحث عن الجواب يطول من العشرينات حتى الثلاثينات حيث قرر الرد بنفسه فأعلن إنشاء الحزب. لما وجده من تردد ومصالح خصوصية في كل جمعية أو حزب انخرط به قبل التأسيس. «الفترة الممتدة من خريف 1931 إلى خريف 1932 أصعب فترة لاقاها سعادته» لما فيها من جهد ومشقة. حيث قرر أخيراً أن تكون الجامعة الأميركية نقطة البدء. ثم الخطوة التأسيسية الأولى. . . وعملية «الاعتناق التتابعي».

في السنة الحزبية الأولى وتحت عنوان العمل السري. يعرض المؤلف الانطلاق وبداية المسيرة وتعثرها. وعودة استمرارها. وكثرة الصعوبات التي واجهت المؤسس. ثم يلخص الوضع في السنة الأولى. مبيناً بتصميم هندسي شجرة فروع «سنة الانطلاق». وفي السنة الثانية 33-34. عنوان المؤلف الفصل بعنوان العمل السري متحدثاً عن امتداد الحزب وانتشاره. ثم وفاة الدكتور خليل سعادته. واعتماد الزبوعه علماً للحزب وكيف صممت ومن صممها. وبعدها كيف وضع الدستور ومراحل وضعه. وختم الفصل بشجرة فروع سنة الامتداد.

السنة الحزبية الثالثة، وتحت عنوان سنة الانتشار قسّم المؤلف الفصل إلى قسمين الأول تناول التنظيم الحزبي الإداري وتحدث عن أول مجلس عمد. وانتشار النهضة في شتى أنحاء الكيان اللبناني وفي جامعات بيروت وعن الوجود النسائي في الحزب، وانشاء المديرية.

وفي القسم الثاني الذي حدده بين أول حزيران و 16 تشرين الثاني من العام 1935. تحدث المؤلف عن أول اجتماع حزبي عام وعن انتشار الحزب في الجامعات والمدارس والأحياء والأقضية وفي الكيان الشامي. والجنوب السوري - فلسطين.

من خلال هذا العرض السريع نلاحظ عملية التسلسل المنطقي في محاولة ارساء تاريخ الحزب ليس من وجهة نظر فردية بل من خلال مرويات المتمين الأوائل. وشهادة المؤلف، وظروف تلك

المرحلة، موثقة توثيقاً دقيقاً. مدعمة بالصور والمستندات اللازمة لتكون أساساً ثابتاً يعتمد عليه كمرجع في معرفة المفاصل الرئيسية والأساسية التي مرت بها مرحلة الانطلاق لهذه النهضة العظيمة. الفائدة الأخرى لهذه المرحلة تجعلنا نعرف أهمية الصبر وطول الإناة في عملية البناء فنلاحظ أن «المهندس» عانى كثيراً حتى استطاع إرساء القواعد السليمة المعافاة لتكون ركائز متينة لمستقبل واعد. ويبدو أن عملية الاختيار تمت مخالفة لكل الاعراف التي كانت سائدة آنذاك. فلا العائلة ولا الهوية الطائفية ولا الوجهة تشكل صفات للمقبلين بل مدى وعيهم ومعرفتهم وإدراكهم واستعدادهم لتحمل مشاق ومصاعب المخاض العسير، فنجد أن المصطلحات أصبحت جديدة، والآمال والطموحات أيضاً وطريقة العمل السري وصعوبة الوثوق بمن هم أهل لحمل هذه الأعباء..

وفي مرحلة متقدمة انتشرت نسيئات النهضة في مختلف المناطق ووصل أريجها إلى الشام... ولم يكن كتب لها ذلك لولا الدقة والتأني وحسن الاختيار.

في الكتاب الكثير من التفاصيل الدقيقة، لأحداث صغيرة تبدو غير هامة في نظر من يعرفها أو من عايشها ولكنها بالنسبة لنا لقواعدنا الحزبية تشكل مرجعاً أساسياً لقياس الأمور وفق الأصلح.

ونعتبر من تجارب من سبقنا. فنجد أن النهضة علّمت «الأمي» ونسفت روااسب كثيرة من ذوات الأسلاف. لتشعّ فيهم معرفة وهداية.

هكذا ينتشر النور القومي، من الجامعة الأميركية. في بيروت، ليلف لبنان والشام وفلسطين وبالتالي الأمة السورية قاطبة، على قاعدة المعرفة والوعي والالتزام في أرقى عملية تأسيسية تشهدها أمتنا.

لذلك يأتي الكتاب، وثيقة تاريخية مهمة لما فيه من الحياد الواقعية والأمانة في نقل هذه المرويات، وهذه خطوة أساسية مطلوبة لتأريخ مسيرة الحزب، فهي بعيدة كلياً، عن الذاتية الفردية والمصلحة الأنانية، مفعمة بروح الجماعة، وبخصوصية التيار القومي الاجتماعي النقي الذي أطلقه الزعيم، فالكتاب أذن مرجع تاريخي موثوق تجب قراءته».

وجاء في جريدة «النهضة» الصادرة في أستراليا

كتاب

«من الجعبة»

صور المجلد الأول (404) صفحات من الكتاب المنتظر «من الجعبة» مرويات، أدبيات، مستندات عن الحزب السوري القومي الاجتماعي.

جمعها وصنفتها الأمين جبران جريج - يحتوي المجلد على العمل السري 1932-1935 - طبع
انيق ورق ممتاز - يطلب من المؤلف على الهاتف رقم 811109، يليه المجلد الثاني (528) صفحة
عن سنة الانكشاف 1935-1936 .

نقلت هذا الحديث جريدة «النهضة» التي تصدر في أستراليا بتاريخ 1980/1/16 مع هذا
الاعلان:

بمناسبة صدور المجلد الأول «من الجعبة»

جبران جريج لـ «صباح الخير»:

«من الجعبة» أو في مستند في تاريخ حركتنا القومية الاجتماعية

للأمين جبران جريج ذاكرة يطل منها المرء على الماضي بوضوح تام، وقلم يسيل وفاء
وصدقاً لمسيرة النهضة السورية القومية الاجتماعية . . أمين في كفاحه وجهاده القوميين، وأمين
في كلمته التي تشع عبر المداد على صفحات القُرطاس .

بعد ما يزيد على خمسين عاماً أصدر الأمين جبران جريج مجلده الأول من «الجعبة»
الذي يؤرخ فيه لسنوات الحزب السوري القومي الاجتماعي في مرحلته السرية .

«صباح الخير» التفتته بمناسبة صدور «الجعبة» وكان معه الحديث التالي:

□ «من الجعبة» هو كتابكم الجديد عن الحزب السوري القومي الاجتماعي يأخذ
طابعاً تاريخياً أدبياً ونضالياً. إلى أي حدّ تعتمدون في تأريخكم على الذاكرة؟

- اني أرغب في ابضاح فكرة ترافقتي تناول قوة وخصب ذاكرتي وهي في محلها. وإن فكرة
«الجعبة» كانت مبنية عليها وهي صحيحة أيضاً ولكن الذي أرغب توضيحه هو مع أن ذاكرتي
كانت المصدر الأساسي للمعلومات «المرويات» اني ما أتكلت عليها فقط بل كل واقعة أتذكرها أو
كل اسم يرد في ذاكرتي أو أي أمر آخر أسجبه من مستودع الذاكرة كنت أتأكد، واثبت من صحة
الواقعة أو الاسم أو الأمر مكاناً وزماناً أمّا بمراجعة صاحب العلاقة أو بمراجعة مكان ورودها في
أية كتابة من الكتابات أو المقالات أو الصحف والمجلات ولذلك يمكن الاعتماد على هذا السجل
«الجعبة» بشكل نهائي واعتبار أي نص سواء غير دقيق أو غير صحيح فهو أوفى مستند من مستندات تاريخ
حركتنا القومية الاجتماعية وما كان يدور في أثناء مسيرتها من أحداث سياسية كيانية أو عامة .

العمل السري

□ ما هي برأيكم أهم ميزات العمل السري؟

- المرحلة السرية في الحزب كانت مدتها ثلاث سنوات، السنة الأولى كانت سنة

الانطلاق، السنة الثانية كانت الامتداد، والسنة الثالثة كانت سنة الانتشار وكل مرحلة لها خصائصها وميزاتها تخضع للظروف في حينها.

سنة الانطلاق كانت عبارة عن عدد من الأفراد في الجامعة الأميركية في بيروت، والزعيم يسمي هذا الأسلوب «الاعتناق التتابعي» للعقيدة من قبل الأفراد وليس باجتماع معين في يوم معين أي أن هذه السنة كانت سنة اختيار الامكانيات الفردية - النوعية وهذه ميزة تميز تأسيس الحزب عن غيره مع العلم أنه لم يكن للأحزاب أي وجود.

وبمناسبة الذكرى الأولى لسنة الانطلاق 1932-1933 رسمت شجرة فروع هذه السنة تدل على المناطق الجغرافية لهذا العدد القليل من الرفقاء .

الزعيم في السنة الثانية للامتداد اكتشف كتابات لزكي نقاش في مجلة كانت تصدرها مجلة الكشفة - موجودة في مكتبة الجامعة الأميركية - تدور حول فكرة الزعيم التي أسس عليها الحزب، وهذا الاكتشاف أوصل الزعيم لزكي نقاش الذي دخل الحزب . . وعندما بدأت بجمع معلوماتي حول هذه الفترة الزمنية حصلت على مقالة زكي النقاش التاريخية التي اكتشفها الزعيم ونشرتها في كتابي «من الجعبة» .

كما حصلت على كتابات «للاكليركي» بولس الخوري - مطران صيدا والجنوب والبقاع الغربي - يذكر القومية السورية بالحرف. فنشرتها أيضاً في الكتاب «الصفحة 159 - 164» والذي ذكرته عن زكي نقاش والمطران بولس الخوري كان على سبيل المثال لا الحصر وكذلك رسمت شجرة حزبية للفروع التي نشأت في هذه السنة ومع المقارنة بين «الشجرتين» الأولى والثانية للفروع الحزبية يبرز النمو الحزبي بوضوح.

أما السنة الثالثة كانت سنة الانتشار، «والكتاب» يبرز بوضوح أيضاً في شجرة للفروع الحزبية مدى الانتشار الواسع له الذي امتد من القدس جنوباً مروراً بيافا وحيفا وصور وصيدا وجزيرين وشرقاً إلى دمشق مروراً بالبقاع وشمالاً إلى صافيتا وطرطوس مروراً بطرابلس وبلاد جبيل، عدا عن الفروع التي انتشرت في الكورة والشوف.

وما تميّز الحزب به خلال الفترة السرية هو التالي:

انه منذ الانطلاق وحتى السنة الثالثة ما قبل أول حزيران عام 1935، كان العمل يعتمد على الاعتناق التتابعي الذي أشرت إليه أما عندما بزغ فجر الأول من حزيران عام 1935 اجتمع القوميون الاجتماعيون في تاريخ هذا اليوم لأول مرة في تاريخ الحزب فألقى الزعيم يومها خطابه المنهجي الأول وأنطلق العمل الحزبي الجماعي وكانت أيضاً المرة الأولى التي يتم التعارف بين القوميين على بعضهم البعض ومن مختلف المناطق.

وفي سياق هذا السؤال نشير أن هناك شخصيات بارزة أطلعت يومها على فكرة التأسيس منها: الدكتور أنيس فريجة والدكتور رثيف أبي اللمع «الجامعة الأميركية» ومن خارج الجامعة فيلسوف الفريكة أمين الريحاني، وهنري فرعون وعيسى اسكندر المعلوف...

شعار الزوبعة

□ ما هي أهم المحطات التي تريد توضيحها لنا خلال المرحلة السرية للحزب؟

- أريد أن أوضح في هذا الصدد ثلاثة مواضيع هي:

أولاً: «الزوبعة»:

في عين المريسة في منزل الرفيق الدكتور محمد روح غندور في القسم الأول من عام 1934 رأت «الزوبعة الحمراء» النور.

كلنا يعلم أن شعار الحزب يرمز إلى دمج الصليب والهلال في وحدة جديدة أطلق عليها سعاد اسم «الزوبعة» وكلنا يعلم أن الرفيق المهندس بهيج الخوري المقدسي هو واضع القاعدة الهندسية الحسابية لها عاونه في ذلك الرفيق المهندس رجا خولي وكلنا يعلم رموز رؤوس الالهة الأربعة والألوان الثلاثة ولكن ما ليس معلوماً هو أن سعاد اختار هذا الشكل من أصل شكلين.

قدّم له الرفيق المقدسي شكلين، شكل الأربعة رؤوس الحالي وشكلاً بثلاثة رؤوس. اقتراح الرؤوس الثلاثة كان مبنياً على حجة استبعاد فكرة الشبه التي يمكن أن تراود البعض من الناس بين شعارنا وشعار الحزب النازي أي الصليب المعقوف «وقد حصلت فكرة الشبه عند الناس فيها بعد كما هو معروف».

قرّأي الزعيم الأخير على الرؤوس الأربعة واستبعد فكرة الشبه لسببين: الأول. هذا ليس بصليب والثاني شعارنا متحرك بينما الشعار النازي جامد والبون شاسع بين الحركة والجمود!

ويقول الزعيم بصدد الزوبعة في مقاله «ترهات الهدى» الزوبعة - العدد 82 - تاريخ 4 تشرين الثاني 1944؛ «فزوبعة الحزب السوري القومي الاجتماعي الاصلاحى نشأت من فكرة سورية خالصة أرادت أن ترمز إلى الاتحاد الشعبي بإزالة الفوارق الدينية. وهذه الزوبعة هي الطريقة الوحيدة للجمع بين الصليب والهلال متدامجين ومتحدّين اتحاداً متيناً في حركة واحدة. وهذا هو رمز الزوبعة وليس تقليد الصليب المعقوف».

المبادئ

ثانياً: لقد بدأ الحزب مسيرته وليس له من مرتكزات حزبية سوى ورقة مكتوب عليها المبادئ الأساسية الثمانية والمبادئ الاصلاحية الخمسة ونص قسم الانتهاء ودامت هذه الحال سنتين، يمكن اعتبار هذه المرحلة مرحلة ما قبل وضع الدستور. . . أذن لا بد لنا أن نتساءل كيف كان هذا الحزب يُدار أو يقاد وليس له أي قانون مكتوب خصوصاً عندما نعلم أن القسم الذي أداه الأعضاء الأول لم يكن في نصه أية إشارة إلى القوانين أو الأنظمة ولا إلى صفة القيادة وصلاحيتها. . بحيث كان القسم قبل الدستور يختلف عن القسم الحالي المعمول به - ولسنا نعلم عن ممارسات هؤلاء الأعضاء الأول الشيء الكثير إلا ما وصلنا من نتف وأقوال بعضهم تدل على الاجتماعات القليلة التي كانت تحصل.

أما الجديد الذي طرأ بعد انتهاء أعضاء جدد بلغ اثني عشر ريفياً فهو أن كلا منهم أصبح يحمل لقب «مؤسس» وتشكل منهم مجلس سمي «مجلس المؤسسين» وكان ينتظر منه أن يضع أو يساهم في وضع «الميثاق» للحزب. وكذلك كان مطلوباً منه أن يحدد لقب «سعاده» الداعي الأول للتأسيس فقد كان يطلق عليه تارة لقب «الاستاذ» و (قد بقي هذا اللقب ساري الاستعمال حتى انكشاف أمر الحزب) وطوراً لقب «الرئيس» وأحياناً لقب «الزعيم» وأخيراً تم الاتفاق على اصطلاح «القائد العام» فيكون التوجه بهذه الصفة.

في هذه الأثناء كان «القائد العام» قد وضع «التشريع الأساسي» للحزب مواد متلاحقة بلغ عددها اربعين أو خمسين مادة، إن لم يكن أكثر، وفي أحد أيام الثلث الأول من عام 1934 دعا «القائد العام» «مجلس المؤسسين» إلى اجتماع يعقد للتداول بمسودة «التشريع الأساسي» التي وضعها ولا بداء الرأي واعطاء المشورة.

انكب «مجلس المؤسسين» على درس مواد هذا «التشريع الأساسي» وفي الاجتماع الأول تمت قراءة هذه المواد قراءة أولى وبدأ الأعضاء «المؤسسون» مناقشتها واحدة واحدة لاقرارها.

ولا نعرف بالضبط كم جلسة عقدت وماذا كانت تعليقاتهم على هذا المشروع. . ولكن تبين فيما بعد أن جورج عبد المسيح عارض بعنف المادة التي تنص على صلاحيات «القائد العام» المطلقة من جهة ومن جهة أخرى تقضي بمرکزية شديدة في الإدارة والتنفيذ، أما جميل صوايا فقد كان معارضاً معتدلاً. . أما المعارض الثالث رفيق مروش فقد كان اعترضه نظريات.

وكان الزعيم «القائد العام» لا يتدخل في النقاش إلا قليلاً لإيضاح إبهام أو شرح إحدى النقاط. . وحاول جورج عبد المسيح وجميل صوايا الانسحاب من هذا الاجتماع إلا

أن فؤاد حداد اندفع نحو الباب سائداً إياه بظهره وهو يقول: «لن يخرج أحد من هنا إلا بعد أن نكون اتفقنا كلنا على أمر ما، لا نريد أن نفسد ما عملناه حتى الآن».

وبعد نقاش طويل وافق عبد المسيح وصوايا على اعطاء الثقة المطلقة فصار التصديق على المشروع. وأما من حيث اللقب فقد تم الاتفاق على تسمية «القائد العام» بالزعيم.

احتفالات أول آذار

ثالثاً: الاحتفالات بميلاد الزعيم:

إن فكرة الاحتفال بميلاد الزعيم في الأول من آذار حصلت لأول مرة على الشكل التالي: كان نعمة ثابت وعبد الله قبرصي ومأمون أياس في «باب أدريس» وإذ بثابت يلتفت إلى رفيقيه وينبههما إلى أن ذلك اليوم هو الأول من شهر «مارس» آذار الذي يصادف فيه عيد مولد الزعيم ويقترح أن يشتروا باقة من الزهر يفاجئون بها صاحب العيد بهذه المناسبة. أضاف عليها العميد قبرصي قنينة ويسكي وانصرفوا إلى «الكوخ» حيث اقاموا احتفالهم العفوي الشخصي. هذه هي قصة «أول مارس» لأول مرة بكل بساطة دون رومنسية أدبية أو شعرية. دون زيادة أو نقصان.

تأثر الزعيم كثيراً بهذه العاطفة النبيلة وتكلم معهم عن القضية والأمة وكيف أنه وقف وأقسم لأمتهم وقضيتها. هذا كل ما لدينا بما ورد عن لسان العميدين ثابت وقبرصي والوكيل أياس.

وسام سعادته

□ عام 1984 نلتهم من المجلس الأعلى وسام سعادته، وكتبت أول من حصل على هذا الوسام خلال عام 1984. هل تحدثنا قليلاً عن هذا الوسام؟

- في تموز عام 1984 كان مرّ على انتمائي للحزب خمسون عاماً من العمل المستمر والمتواصل مروراً بالسجون والمعتقلات، منذ عهد الانتداب الفرنسي إلى الثورة الانقلابية عام 1961 - 1962، وفي آخر جلسة للمجلس الأعلى في تموز 1984 ودّعت المجلس بمناسبة مرور هذه الأعوام الخمسين، على أثر ذلك منحني المجلس الأعلى فور هذا الوداع وسام سعادته.

قريباً. . المجلد الثاني من «الجمعة»

□ ما هي نتاجاتك التي تعمل الآن لنشرها؟

- أعمل على نشر المجلد الثاني من هذه «الجمعة» يضم السنة الأولى من العمل العلني 1935 - 1936 ويتناول المحاكمات والتوقيفات والادبيات والانجازات وعدد صفحاته 500 صفحة من القطع الكبير.

أسماء المعتقلين في هذه السنة الحزبية

- صدرت أحكام المحكمة العسكرية على المعتقلين على رأسهم الزعيم مركزياً: أسماء المعتقلين خلال هذه السنة الحزبية: مأمون أياس، جبران جريج، أسد الأشقر، فارس معلولي، عبد الله أيوب، حنا جريج ثم كامل أبو كامل، وفي طرابلس: سليم صافي، محمود دبيان، أحمد طبيخ، سعد الله الحدباء، إحسان سوق وفي دمشق: ويكتور أسعد، زهير صواف، (تاج الدين مرتضى؟) وسواهم لم تحفظ أسماؤهم. وفي اللاذقية: أديب عازار. وفي بيروت: أحمد الشيخ ومن مشفرة بسبب التجمّع ما يقرب من الستين أذكر منهم: عبد الله محسن ويليم أبو خليل، حكمت شرارة، فريد شرارة، عقل حداد...
- صدور الأحكام بالمعتقلين الواردة أسماؤهم في السنة الحزبية السابقة.

خلاصة

- اعتقال المركزيين الذين كانوا متوارين
- صدر أول عدد من «الزوبعة» في الأول من شهر آب 1940 في بوانس ايرس.
- نزع رتبة الأمانة عن خالد أديب وإقالته من مسؤوليته ثم طرده. (أصبح الزعيم وحيداً بلا معاونيه).
- مركز سري جديد في الوطن برئاسة كامل أبو كامل لمجلس العمدة تحت اسم معروف حمدان وصدور أول بيان عنه في 26 أيلول 1940.
- في 8 كانون الأول 1930 أذاع الحزب بلاغاً صحفياً باسم عمدة الإذاعة رداً على الحملة التهديدية.
- الاحتفلات في أول آذار في الوطن وعبر الحدود وخطاب الزعيم.
- صدور مجلة «الزوبعة» في المكسيك بالأسبانية
- في أول حزيران 1940 نداء الزعيم إلى الشعب السوري
- في 18 حزيران تأسست الجمعية السورية الثقافية في بوانس ايرس.
- في أول آب 1940 بيان المركز باسم ناموس المجلس الأعلى (مأمون أياس)

المحتويات

573	سورية الجديدة والنشاط الحزبي
581	نشاط الزعيم والحزب عبر الحدود
589	النشاط الحزبي في الوطن
597	نشاط الزعيم عبر الحدود
613	ذكريات لا تنسى
621	نشاط الزعيم والحزب عبر الحدود
631	نداء الزعيم إلى الشعب السوري
637	نشاطات للزعيم
653	النشاط الحزبي في الوطن
683	الاعتقال
695	النشاط الحزبي عبر الحدود
703	التنظيم الحزبي الجديد في البرازيل
715	في الوطن قيادة جديدة وبيان
727	الاعتقال والسجن
735	أدبيات
750	خلاصة

كتب للمؤلف

- حقائق عن الاستقلال أيام راشيا (طبعة ثالثة)
مع أنطون سعادة الجزء الأول (طبعة ثالثة)
مع أنطون سعادة الجزء الثاني (نقد)
مع أنطون سعادة الجزء الثالث
مع أنطون سعادة الجزء الرابع
أنطون سعادة: منذ الولادة حتى التأسيس
من الجمعية: المجلد الأول
من الجمعية: المجلد الثاني
من الجمعية: المجلد الثالث